عبد الغني النابلسي

كشف السر الغامض

في شرح ديوان ابن الفارض

تحقيق ودراسة: خالد الزرعي








مكتبة الإكسير الإلكترونية
Al-Exir Electronic Library


كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

كَشْفُ ٱلسِّرِّ ٱلغَامِضِ
شَرْحُ دِيوَانِ ٱبْنِ ٱلفَارِضِ

عنوان الكتـــاب: كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض (٣-٤)

اســم المؤلـــف: الشيخ عبد الغني النابلسي

تحقيـــــــق: خالد الزرعي

الموضـــــــوع: شعر صوفي

عدد الصفحات: 2190 ص

القيـــــــاس: 17.5 × 25 سم

الطبعـة الأولى: 1000 / 2017 م - 1438 هـ

ISBN: 978-9933-580-60-5

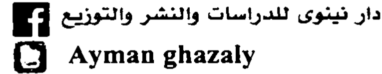


سورية . دمشق . ص ب 4650

تلفاكس: 2314511 11 963+

هاتـــف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org



العمليات الفنية:

التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

تأليف الشيخ

عبد الغني النابلسي

الكتاب الثالث

قدم له

الدكتور بكري علاء الدين

دراسة وتحقيق خالد الزرعي

عُمَرُ بنُ الفَارِض

هو أبو حفص، أو أبو القاسم، شرف الدين عمر بن علي بن المرشد الحمويّ الأصل، المصريّ المولد، والدار، والوفاة. المعروف بابن الفارض.

ولقد برع ابن الفارض في فنون الشعر، وأوتي حسّاً شعريّاً مرهفاً عالياً، وتمكّناً من نواصي اللّغة، وبراعة في اختيار الألفاظ، وروائع التركيب، وحُسن الصورة وإبداعها. وكان يمتلك حسّاً نقدياً متميّزاً تمكن فيه من الحكم بين الشعراء لّما احتكموا إليه.

يقول خير الدين الزركلي في ترجمة ابن الفارض في كتابه الأعلام معرّفاً به: «أشعر المتصوّفين، يُلقّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بها يسمّى وحدة الوجود».

اعتنى ابن الفارض في ديوانه بعلوم البلاغة؛ بيانها وبديعها، لكنّه ساقها ببراعة الفنّان ومقدرة الشعراء الكبار، حتّى إنّه يبدو للوهلة الأولى كأنّها كان يسوقها عفو الخاطر.

إنّ ابن الفارض في حبه الإلهيّ، يصور أطوار المحبّة الإلهيّة، ويكتشف عجائب الحبّ، وحقائق المعرفة، ويتذوّق عطاءات التجلّيات.

الشيخ عبد الغني النابلسي

الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، واحد من أولئك الذين لهم تأثيرهم الكبير في الأمّة في عصره وفي العصور اللاحقة؛ ذلك أنّه عالم غزير العلم متنوّعه، فهو مجموعة موسوعات علميّة متعدّدة الجوانب، فإضافة لكونه صوفيّاً هو أكبر شارح للتصوّف، وباعه في الحديث كبير. كذلك هو فقيه حنفيّ يُعتمد رأيه، ويُقرّ اجتهاده. وهو شاعر مكثر، له أربعة دواوين، أكبرها وأهمّها ديوان الحقائق. وهو ناظم كبير لا يعلم عدد أبيات نظمه إلّا الله. وهو مؤرّخ فذّ لرحلاته التي قام بها إلى بغداد وطرابلس الشام، وبلاد الشام ومصر والحجاز. ويكتسب النابلسيّ رتبة مؤرّخ لوصفه الدقيق كلّ أشكال الحياة الموجودة في عصره بدقّة متناهية، فهو يصف البلدة التي ينزل بها، وأولياءها، وعلماءها، ورجالها، ومساجدها، والدروس، والمجالس، وحياتها العلميّة، والاجتماعيّة؛ فيعطينا صورة واضحة يندر وجودها في المصادر الأخرى لتلك الفترة التاريخيّة التي شحّت أخبار الحياة العلميّة بمثلها.

٥٠٧- وَدَلَّـهَنِي فِيهـا ذُهُـوْلِي وَلَم أُفِـقْ عَـلَيَّ وَلَمْ أَقْـفُ الـتِمَاسِي بِظِنَّتِـي

(ودلّهني): بالدال المهملة قال في القاموس: «الدَّلْهُ بسكون اللام، ويُحَرَّك: ذهاب الفؤاد من هَمٍّ ونحوه. ودَلَّـهَهُ العِشقُ تَدْلِيْهَاً فَتَدَلَّهَ. والمُدَلَّه كمُعَظَّم: السَاهي القلب، الذاهب العقل من عشق ونحوه. أو مَنْ لَا يَحْفَظُ ما فَعَل، أوفُعِل به. وقوله (فيها): أي في محبّة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (ذُهُولي): فاعل دَلَّهَني. والذُهُول: هو الغفلة، أي: ذهولي الذي ذهلته عن نفسي، كما تقدّم في البيت قبله. وقوله (ولم أُفق) قال في المصباح: «أفاق المجنون إفاقة: رجع إليه عقله، وأَفاق السكران إفاقة. والأصل: أفاق من سُكْره، كما يقال: استيقظ من نومه». وقوله (عليّ): بتشديد الياء متعلّق بـ(أُفِق): أي ما فقت على نفسي، وذاتي، وصفاتي، وأفعالي، وأحوالي. إنّ شيئاً من ذلك له وجود مع الحقّ تعالى له لمجرّد تحقّقي أنّ كلّ ذلك أوهام منّي، مفروضة مقدّرة معدومة. تجلّى بها الوجود الحقّ تعالى الواحد الأحد؛ لأنّه فارضها ومقدّرها، وهي معدومة في نفسها؛ فهو الظاهر بها لها ولنفسه. وقوله (ولم أَقْفُ): بفتح الهمزة وسكون القاف وضمّ الفاء، قال في المصباح: «قَفَوتُ أَثَرَهُ قَفْوَاً، من باب قال: تَبِعْتُهُ». وقوله (التماسي): مفعول أَقْفُ. والالتماس: الطلب. وقوله (بِظِنّتِي): أي بتهمتي. قال في المصباح: الظِنَّة بالكسر: التُهمة، وهي اسم من ظَنَنْتُه من باب قَتَلَ إذا اتَّهَمْتُهُ». يعني: لم أتبع طلبي وتفتيشي على نفسي وصفاتها وأفعالها بسبب تهمتي لها أنّها موجودة مع الحقّ تعالى، أو شيء من صفاتها أو أفعالها، كما قالوا: مَنْ عرف الله أزال التهمة، وعلم أنّ كلّ شيء لحكمة.

٥٠٨- فَأَصْبَحْتُ فِيْهَـا وَالِهَـاً لَاهِيَـاً بِهَـا وَمَـنْ وَلَّـهَتْ شُـغْلَاً بِهَـا عَنْـهُ أَلْـهَتِ

(فاصبحت فيها): أي في محبّة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (والهاً): قال في المصباح: «وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهَاً، من باب تعب، ووَلْهَانَاً بفتح اللام أيضاً، وفي لغة وَلَهَ يَلِهُ، من باب وَعَدَ، فالذَّكَرُ والأُنْثَى: وَالِهٌ، ويجوز في الأنثى والهة: إذا ذهب عقله

من فرح أو حزن. وقيل أيضاً: وَلْهَان، مثل غَضِبَ فهو غَضْبَان». وقوله (لاهياً من) لَهَوْتُ به لَهْوَاً، من باب قتل: أُولِعت به. كذا في المصباح. وقوله (بها): أي بمحبّة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (ومَنْ وَلَّـهتْ): بتشديد اللام، أي: ولّهته، بمعنى أذهبت عقله في محبّتها وعشقها. وقوله (شغلاً): تمييز، أي: اشتغالاً. وقوله (بها): أي بمحبّتها، وبمحاسن تجلّياتها في آثارها ومقدّراتها العدميّة. وقوله (عنه): الضمير لمن، أي: عن نفسه وعن صفاته وأفعاله. وقوله (ألهتِ): بكسر التاء للقافية. قال في المصباح: «أَلْهَانِي الشيءُ بالألف: شَغَلَنِي».

٥٠٩- وَعَنْ شُغُلِي عَنِّي شُغِلْتُ فَلَوْ بِهَا قَـضَيْتُ رَدَىً مَـا كُنْـتُ أَدْرِي بِنُقْلَتِـي

(وعن شُغُلِي): بضمّ الشين المعجمة وضم الغين المعجمة، قال في المصباح: «شَغَلَهُ الأَمْرُ شَغْلاً، من باب نفع. والاسم: الشُغُل، بضمّ الشين، وتُضَمُّ الغين وتسكن للتخفيف. والجار والمجرور متعلّق بشُغِلْتُ. وقوله (عَنِّي) متعلّق بشُغُلِي، أي: عن إدراك نفسي، وإدراك صفاتها وأفعالها. وقوله (شُغِلْتُ): بالبناء للمفعول، أي: شَغَلَتْنِي هي عن إدراكي أنّي مشغول عن نفسي، وعن صفاتها، وأفعالها. وقوله (فلو بها): أي بسبب محبّة المحبوبة الحقيقيّة /[٢٣٠/ب] وقوله (قَضَيتُ) قال الراغب: «ويعبَّر عن الموت بالقضاء فيقال: فلان قضى نحبه، كأنه فُصِل أمرُه المختصّ به من دنياه». وفي الصحاح: «ضربه فقضى عليه، أي: قتله، كأنه فَرَغَ منه. وسُمٌّ قاضٍ، أي: قاتل. وقَضَى نَحْبَهُ قَضَاءً: أي مات». وقوله (رَدَىً) تمييز، وهومصدر رَدِيَ رَدَىً من باب تعب: هَلَكَ، ويتعدّى بالهمزة، كذا في المصباح. وقوله (ما كنت أدري): أي أعلم. وقوله (بنُقلتي): بضمّ النون متعلّق بأدري. قال في المصباح: نَقَلْتُهُ نَقْلاً من باب قتل: حَوَّلْتُهُ من موضع إلى موضع، وانْتَقَل: تحَوَّل. والاسم النُقْلَةُ». والمعنى: فلو أنّي مت هلاكاً في المحبّة لما كنت أدري بأنّي متّ من كمال استغراقي بشراب الحبّ والعشق الربانّي.

٥١٠- وَمِنْ مُلَحِ الوَجْدِ المُدَلَّهِ فِي الهَوَى الْـ ـمُوَلِّهِ عَقْلِي سَبْيُ سَلْبٍ كَغَفْلَتِي

(ومن مُلَح): جمع مُلْحَة، قال في الصحاح: «المُلْحَة بالضمّ: واحدة المُلَحِ من الأحاديث». وقال في المصباح: «مَلُحَ الشيءُ بالضمّ مَلَاحَةً: بَهُجَ، وَحَسُنَ منظرُهُ فهو مَلِيح». وقوله (الوجد): مضاف إليه، وهوالعشق والشوق. وقوله (المُدَلَّه): وصف للوجد، أي: فاعل. أي: المُذهِب للعقل من دَلَّهَهُ العشق تَدلِيْهَاً فتَدَلَّهَ، أي: أذهب عقله. وقوله (في الهوى): أي الحبّ. وقوله (المولّه): نعت للهوى، أي: فاعل أيضاً من الوَلَه، محرّكة: الحُزْن، أو ذهاب العقل حزناً، والحيرة والخوف، كذا في القاموس. وقوله (عقلي): مفعول المولّه. (سَبْيُ): مرفوع بالابتداء. وخبره (من مُلَح) قدّم عليه للحصر. والسَبْيُ مصدر سَبَيْتُ العدوَ سَبْيَاً من باب رمى، كذا في المصباح. وقوله (سَلْبٍ): بالجر مضاف إليه. والسَلْبُ مصدر سَلَبْتُهُ ثَوْبَهُ سَلْبَاً، من باب قتل، أَخَذْتُ الثوبَ منه، وكان الأصل سَلَبْتُ ثوبَ زيدٍ، لكنْ أُسْنِدَ الفعل إلى زيد، وأُخِّرَ الثَّوب، ونُصِب على التمييز. ويجوز حَذْفُهُ لفهم المعنى، كذا في المصباح. وقوله (كغفلة) الغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكّره له، وقد استُعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١] كما في المصباح. والمعنى: إن من لطائف العشق والحبّ المفرط استيلاؤه وغلبته بطريق السلب والأخذ قهراً عَنِّي لجميعي باطناً وظاهراً بمنزلة الغفلة والإعراض عن المحبوبة والترك لها، كما ينقل عن مجنون ليلى أنّها جاءته وقالت له: ها أنا ليلى. فقال لها: عنِّي إليك؛ فإنّ حبّك شغلني عنك. ولا شكّ أنّ هذه حالة من أعاجيب الأحوال، ولطائفها المحيّرة للرجال.

٥١١- أُسَائِلُهَا عَنِّي إذَا مَا لَقِيتُهَا وَمِنْ حَيْثُ أَهْدَتْ لِي هُدَايَ أَضَلَّتِ

(أُسَائِلُهَا): أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (عَنِّي): أي عن مجموع ذاتي، وصفاتي، وأسمائي، وأفعالي، لأنّه فقد ذلك لمّا وجدها لغلبة ذاتها الحقيقيّة على ذاته الوهميّة، وصفاتها الحقيقيّة على صفاته الوهميّة، وأسمائها الحقيقيّة على أسمائه الوهميّة،

وأفعالها الحقيقيّة على أفعاله الوهميّة، كما قال العارف بالله عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

أرى رسمها عندي يعوّض عن رسمي ... فما بالهم في الحيِّ يدعونني باسمي
وهل بعد ضوء الشمس يبدو لك الدُّجا ... وهل عندها يبقى على الأفق من نجم
إذا ما دعا الداعي بعلوة فاستجب ... ولكن إذا أفتْكَ عنك على علم
ولا تبق إنْ أبقتك إلّا بها لها ... فأنت إذا حقّقت من عالم الوهم

وقوله (**إذا ما لقيتها**): أي في حال لقائي لها، أي: للمحبوبة الحقيقيّة، ولا يلقاها إلّا إذا فني عن نفسه بالكلّيّة. فعند ذلك تتبدّل أرضه غير أرضه، وسماواته غير سمواته. ويبرز لله الواحد القهّار، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ - أي أصحاب الإجرام، وهي الذنوب - ﴿مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٤٨] وجمع صفد بالكسر، وهو القيد، وهي أعمالهم التي ادَّعوا عملها بأنفسهم. وقوله (**ومن حيث**): أي من الجهة التي أهدت/ [٢٣١/ أ] أي بعثت لي هداي. (**هداي**): مفعول أهدت، وهو إيصاله إلى نفسه، وإيقافه عليها المسؤول عنه. وقوله (**أضلّت**): بكسر التاء للقافية، أي: أضلتني عنها، فإنّ مَنْ شَهِد نفسَه غاب عن ربّه، ومن يشهد ربّه غاب عن نفسه. ولا يجتمعان أصلاً، كما لا يجتمع الليل والنهار، قال أحمد الغزاليّ قدّس الله سرّه في تجريد التوحيد على لسان الحضرة الإلهيّة: «إمّا أنا، وإمّا أنت».

٥١٢- وَأَطْلُبُهَا مِنِّي وَعِنْدِي لَمْ تَزَلْ ... عَجِبْتُ لَهَا بِي كَيْفَ عَنِّي اسْتَجَنَّتِ

(**وأَطْلُبُها**): أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**منّي**): لأنّي أنا مجرّد تقديرها العدميّ، وفرضها الأزليّ في حضرة علمها القديم، وإرادتها الأزليّة، وقدرتها النافذة، وكلامها المنزّه عن الحروف والصوت. فإذا تجلّى وظهر الوجود الحقّ لي ظهر بي. وأنا معدوم متعيّن بعلمه بفصلٍ بإرادته، مقهور بقدرته، مرسوم بكلامه،

ونور وجوده الحقّ، مشاهد له به، أطلبه بطلب هو من جملة أحوالي القائمة به، المرسومة بكلامه الحقّ. فيكون طلبي له به منّي؛ لأنّه كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] أي: بهم. وإلى ذلك إشارتي بقولي من قصيدة:

إنـــما نحـــن للإلـــه شـــؤون فهـــو فينـــا في كـــلّ يـــوم يكـــون

نزلـــت شمـــسه المنـــازل منّـــا فظهـــور لهـــا بنـــا وكمـــون

هـــا هـــو الحـــقّ مـــلء قلبـــي وجسمـــي وعظـــامي وكـــلّ مـــا هـــو دون

لا حلـــول وإنّـــما هـــو فعـــل خلقـــه فاعـــل بـــه محـــصون

كخـــروق الجـــدار يظهـــر منهـــا قمـــر الأفـــق وهـــو عنهـــا مـــصون

إلى آخر الأبيات التي في ديواننا. وقوله **(وعندي لم تزل)**: يعني المحبوبة الحقيقيّة، دائماً عندي أزلاً وأبداً، وذلك لأنّي عندها، وهي معي أينما كنت بحكم قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] أي: وجدتم وإن عدمتم، قال تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [٢٠/ طه/ ٥٢] وقوله **(عجبت لها)**: أي لهذه المحبوبة الحقيقيّة والحضرة الوجوديّة. وقوله **(بي)**: أي بذاتي، وصفاتي، وأسمائي، وأفعالي، وأحوالي، وأحكامي التي هي كلّها أمور عدميّة مقدّرة مفروضة. وقوله **(كيف عنّي)**: أي عن إدراكي لها مع هذا القرب من قوله سبحانه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [٥٠/ ق/ ١٦]. وقوله **(استجنّتِ)**: بكسر التاء للقافية، أي: اختفت، يقال: اسْتَجَنَّ الشيءُ، أي: اسْتَتَر. والمعنى: إنيّ أعجب من هذا الوجود الحقّ، والنور المبين، كيف استتر واختفى بهذا التقدير العدمي والمفروض الوهميّ. ولكن الواحد القهّار على كلّ شيء قدير يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

٥١٣- وَمَــا زِلْــتُ فِي نَفْــسِي بِهَــا مُــتَرَدِّداً لِنَشْوَةِ حِسِّي وَالمَحَاسِنُ خَمْرَتِي

(ومازلت في نفسي): أي أنا دائماً لا أزال في نفسي. وقوله **(بها)**: أي بالمحبوبة

الحقيقيّة، يعني: قائماً بها. وقوله (متردّداً): أي أذهب، وأرجع، وأغيب، وأحضر. لأنّي شأنه المتجدّد، ومظهره المتجرِّد، كما قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] يعني: شؤون يبديها لا يبتديها. وقوله (لنشوة): أي لسكر، قال في المصباح: «النَشْوَة : السُكْر، ورجلٌ نَشْوَان: مثل سَكْرَان». وقوله (حِسِّي): أي قوّة حِسِّي، والحِسّ بالكسر مصدر يتعدى بالباء على معنى شعرت، يقال: أَحَسَّ الرجلُ الشيءَ إحساساً: عَلِمَ بِه، يتعدّى بنفسه مع الألف، وربّما زيدت الباء على معنى شعر به، وحَسَسْتُ به من باب قتل، لغة فيه. ذكره في المصباح. والمعنى: إنّما كنت بقيّوميّتها عليّ أتردد في أطوار شؤونها، وأنواع ملابسها الفاخرة لسكرة حواسي الخمس الظاهرة والباطنة، حيث أشاهدها بها. وشهودي لها من جملة شؤونها البعديّة. وقوله (والمحاسن): قال في القاموس: «الحُسن بالضمّ: الجمال، والجمع محاسن». على غير قياس. وقوله (خمرتي) يعني: إنّ أنواع المحاسن الظاهرة على الشؤون الإلهيّة، والملابس الربّانيّة. هي خمرتي التي أنا سكران بها، وإلى ذلك الإشارة بقول ابن/ [٢٣١/ ب] إسرائيل قدّس الله سرّه:

يا مديراً من لحظ عينيه خمراً ... خمر عينيك يملأ الكون سكراً

اسقنا صرفه فإنّا على السكر ... نُثيب الساقي ثناء وشكراً

يتّمتنا خلائق تملك الأر ... واح لطفاً وتملأ الأفق عطراً

ومعانٍ أضحى لديها المعاني ... في وثاق الوجد المبرّح أسراً

نورها يكسب البصائر نوراً ... ثمّ يثني أبصارها عنه حسراً

ولابن إسرائيل أيضاً قدّس الله سرّه من أبيات:

يا من بهم تستأنس المشاهد ... قلبي لكم من غبتم مشاهد

وقد أمنت في هواكم عاذلي ... والكون لي على هواكم شاهد

وغبتموا توهماً وباطني ... لكم إذا صحّ الصحيح واجد

يـــــراكم في كـــــلّ شيء نـــــاظري　　كــأنّما العــالم عنــدي واحــد

٥١٤- أُسَــافِرُ عَــنْ علْــمِ اليَقِــينِ لِعَيْنِــهِ　　إلِى حَقِّــهِ حَيْــثُ الحَقِيْقَــةُ رُحْلَتِــي

(أسافر): أي انتقل في مراتب نفسي في حالة سلوكي بها إلى حضرات ربّي؛ فأعلم أوّلاً أنّ نفسي شأن من شؤون ربّي، وتجلّ من تجلّياته ظاهراً بها؛ لانّها فعله، وتقديره، وتصويره، وكذلك كلّ شيء. وهذا العلم هو علم اليقين لأنّه مستفاد من الكتاب والسنّة وإجماع الأمّة. فلا شكَّ فيه، ولا تردّد، لأنّه علم، لا ظنّ. والعلم هو القطع بالمعلوم، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وكان صلّى الله عليه وسلّم يحلف: «والذي نفسي بيده لو اجتمعت الأمّة » على أنّ الله خالق كلّ شيء، ومحيط بكلّ شيء، ومدّبر كلّ شيء، وإنْ غفل عن معنى ذلك الغافلون ولم ينكروه. وقوله (لعينه): أي عين اليقين، أي: معاينة ذلك الذي آمن به أوّلاً، وصدَّق من غير شكٍّ ولا تردّد. والمعاينة: حضور ومشاهدة، قال في الصحاح: «عايَنْت الشيءَ عِياناً: إذا رأيته بعينيك» فإنّ عين اليقين لا يصل إليها أحد إلّا بعد تحقّقه بعلم اليقين، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [١٠٢/ التكاثر/ ٥-٦] يعني: بعد تحقّقكم بعلم اليقين. ومن كان عنده شكّ أو تردّد في شيء من كلام أهل هذه الطريقة المحمّديّة، والسيرة الأحمديّة التي عليها أصحاب المعارف الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة لم يصل بعد إلى علم اليقين فلا يقدر أن يتجاوز إلى عين اليقين، ومن المحال أنْ ينكشف عنه الحجاب، أو يشهد بارقة من بوارق ربّ الأرباب. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدّق بها لم ينلها»(١). وقد ورد عن الخضر، أنَّ موسى عليه السلام لمّا أنكر عليه بقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾. ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٧٤و٧١] وقال له: «علم

---

(١) انظر تخريجه ص٤٧٧.

علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا». إنّ موسى عليه السلام مات ولم يصل إلى علم الخضر فيما يعلمه الله ، وإن كان موسى عليه السلام نبيّاً مرسلاً من أولي العزم. والخضر اختلف في نبوَّته، فإنّه تعالى قال في حقّه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٦٥] ونكّر العلم لشرفه، وهو علم الذوق والوجدان، وهو علم الكشف والبيان، وهو علم اليقين الموصل إلى عين اليقين، وللأنبياء عليهم السلام علوم أُخر في مراتب نبوّاتهم وولاياتهم لا يعرفها الأولياء إلّا بطريق الإرث والاستفادة بالفيض والإمداد. وقوله (إلى حقّه): أي حقّ اليقين، وهو ظهور الأمر الإلهيّ في عين ما علم، ثمّ عاينته البصيرة، فيزول الرائي والمرئي، ويظهر الأمر عليه، وهو قول ابن العريف قدّس الله سرّه: «حتى يفنى من لم يكن، ويظهر من لم يزل»، قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا / [٢٣٢/ أ] لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٩٥] فإنّه ليس بعد حقّ اليقين إلّا التسبيح والتقديس لتبدّل النفس بالقلب الذي يسع الربّ. وقوله (حيث الحقيقة): أي حقيقة الأمر على ما هوعليه في نفسه. وقوله (رُحْلَتِي): قال في الصحاح: «الرِحلة بالكسر: الارتحال، يقال: دَنَتْ رِحْلَتُنا، والرُحْلَةُ بالضمّ: الوَجْه الذي تريده، يقال: أنتم رُحْلَتِي، أي: الذين أَرتحل إليهم». والمناسب هنا الضمّ، بمعنى: إنّ الحقيقة هي وجهتي التي أتوجّه إليها، وأقصدها، وأرتحل إليها عن كلّ شيء.

٥١٥- وَأَنْشُدُنِي عَنِّي لِأُرْشِدَنِي عَلَى لِسَانِي إِلَى مُسْتَرْشِدِي عَنْدَ نِشْدَتِي

(**وأنشدني عنّي**): أي أنشد نفسي عن نفسي، يُقال: نَشَدْتُ الضَالَّةَ أَنْشُدُهَا نَشْدَةً ونِشْدَاناً، أي: طلبتها، كذا في الصحاح. أي: أطلب نفسي منّي؛ لأنّها ضلت عنّي، فكأنها ضالّتي التي أطلبها وأفتّش عنها. وقوله (**لأرشدني**): أي لأجل أن أُرْشِدَ نفسي إلى نفسي، أي: أدلّ نفسي على نفسي وأهديها إليها. قال في القاموس: «رَشَدَ ـ كنَصَرَ وفَرِحَ ـ رُشْداً وَرَشَداً وَرَشَاداً: اهتدى، كاسْتَرْشَدَ. واسْتَرْشَدَ طَلَبَ

الرشد، والرُّشْد: الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه». وقوله (على لساني): متعلّق بأرشدني. والمعنى: ليحصل لي الرشاد بتقدير كلامي، وتحقيق مرامي. فإنّ العارف في حال سلوكه يهتدي إلى معرفة تجلّيات ربّه بإيضاح المعاني له بنفسه، واطّلاعه على تحقيق المعارف الغيبيّة بإشارات كلامه ونطقه، فيستفيد العلوم الإلهيّة من إلهام قلبه الجاري على لسانه، ويستغني عن عبارات غيره، وإفادة ترجمانه. لأنّ مولاه قد فتح عليه باب نفسه المغلق، وفني عن دعوى وجوده في تجليّ حضرة الوجود المطلق، وتبدّل حديث نفسه بكلام ربّه، وانكشف له الحجاب عن عين قلبه. وقوله (إلى مسترشدي): متعلّق بـ (أرشدني): أيضاً. والمسترشد بصيغة اسم الفاعل: هو طالب الرشد منه. وهو المحرِّك لهمّته إلى طلب الاستقامة في الدين، والاقتداء بسنن الأنبياء والمرسلين؛ وهو الحقّ تبارك وتعالى لا سواه؛ فإنّه القائم على كلّ نفس بما كسبت، ولا معبود إلّا إيّاه. وهو حقيقة جميع الحقائق. وهو المحبّ حقيقة والمحبوب من جميع الخلائق. وهو السالك والمسلوك إليه في منتهى جميع الطرائق. يعرف هذا من قطع جميع العلائق، واتّصل بينه وبين اللطائف والرقائق. وقوله (عند نِشدتي) قال في القاموس: «النِشْدَة بالكسر: الصوت». أي: في حال رفع صوتي بذلك الإنشاد، والسؤال، والطلب من الكريم المتعالي.

٥١٦- وَأَسْأَلُنِي رَفْعِي الحِجَابَ بِكَشْفِيَ الْـ ـنِّقَابَ وَبِي كَانَتْ إِلَـيَّ وَسِيْلَتِي

(**وأسألني**): أي أطلب منّي. وقوله (**رفعي**): أي إزالتي. وقوله (**الحجاب**): مفعول رفعي. وهو حجاب الغفلة، والجهالة، والغرور المسدول على عين القلب بتوهّم الأغيار مع الواحد القهار. وقوله (**بكشفي**): متعلّق برفعي. والكشف: الإماطة والتحويل. وقوله (**النقاب**): وهو ما يستر الوجه. و(**الحجاب**): ما يستر البدن كلّه. والمعنى: بتحويل الحجاب النفسانيّ الذي هو شأن من شؤون الحقّ تعالى، الذي من ورائه وجه الحقّ تعالى لقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠].

وقوله عزّوجلّ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقوله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] ؛ فإنّ هذا النقاب هالك فانٍ في نفس الأمر، ولكن لسلطان الوهم غلبة على النفوس. ولولاه لما كانت النفوس، لأنّها هي النقاب على الوجه الحقّ بطريق الاستعارة. كما أنّ الوجه كذلك في نسبته إلى الله تعالى استعارة بالكناية وردت في الشرع المحمّديّ، ومثل ذلك اليد والجنب، وغيره مما أشكل على علماء الرسوم، وهو من بلاغة العربيّة التي نزل بها القرآن، وثبت بذلك إعجازه كما قررنا في محلّه من كتبنا. وقوله (وبي): بحولي، وقوّتي، وقدرتي الحقيقيّة من حقيقة ذاتي الوجوديّة الغيبيّة /[٢٣٢/ ب] وقوله (كانت): أي ثبتت وتحقّقت. وقوله (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق بوسيلتي. وقوله (وسيلتي): فاعل كانت. والوسيلة ما يتقرّب به إلى الغير، يقال: وَسَلَ فلانٌ إلى ربّه وَسِيْلَة، وتَوَسَّلَ إليه بوسيلة: إذا تقرّب إليه بعمل، كذا في الصحاح. يعني: تَوَسَّلْتُ بحقيقتي التي أنا قائم بها إليها في تحصيل ما طلبته بها منها مما ذكر.

٥١٧- وَأَنْظُرُ فِي مِرْآةِ حُسْنِيَ كَيْ أَرَى جَمَالَ وُجُودِي فِي شُهُودِيَ طَلْعَتِي

(وأَنْظُرُ): أي من حيث حقيقتي التي هي من ورائي محيط بي. وقوله (في مِرآة): بكسر الميم والمدّ وهي التي ينظر فيها الإنسان في وجهه. وقوله (حسنيَ) ومرآة الحسن هي عوالم الإمكان المفروضة المقدّرة على اختلافها وترتيبها في الحضرة العلميّة الإلهيّة. وإنّما أضيفت إلى الحسن لظهوره عليها في كلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] والحسن مضاف إلى المتكلِّم الحقيقيّ بلسان أثره المفروض المقدّر. وقوله (كي أرى): أي أشاهد وأعاين. وقوله (جمال وجودي): أي وجودي الجميل الذي هو الوجه الحقّ الظاهر في مرآة كلّ شيء، من حيث أنّ حسن كلّ شيء أثره المنسوب إليه. وقوله (في شهودي): أي في حال شهودي ومعاينتي، من حيث أنّ ذلك هو نفس شهوده سبحانه من قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٣/ آل/ عمران/ ١٨]. وقوله (طلعتي): أي طلوعي

وظهوري على مقدار ما تقبل المرآة التي هي عوالم الإمكان. فإن الوجود المشهود في الأشياء بالنسبة إلى وجود الوجه الحقّ الحقيقيّ بمنزلة الوجه الذي يظهر في المرآة بالنسبة إلى الوجه الذي يقابله في الخارج عن المرآة، بل أكمل وأنزه، وأين القديم من العدم ؟!.

٥١٨ - فَإِنْ فُهْتُ بِاسْمِي أُصْغِ نَحْوِي تَشَوُّقاً إِلى مُسْمِعِي ذِكْرِي بِنُطْقِي وَأُنْصِتِ

(**فَإِنَّ**): الفاء للتفريع على ما قبله، وإنْ بكسر الهمزة وسكون النون حرف شرط يجزم فعلين، الأوّل قوله (**فُهتُ**): بضمّ التاء فعل ماض في محل جزم. وفَاهَ بالكلام يَفُوه: لفظ به كذا في الصحاح. وقوله (**باسمي**): متعلّق بـ (**فهت**). وقوله (**أُصْغِ**): بالصاد المهملة والغين المعجمة، أصله أصغي إصغاء بالياء، وقد حذفت لأنّه الفعل الثاني المجزوم بإنْ الشرطيّة. وقال في الصحاح: «أَصْغَيْت إلى فلان: إذا مِلْتَ بسمعكَ نحوه. وقوله (**نحوي**): أي جهة نفسي التي صدرمنها التفوّه بالاسم. وقوله (**تشوُّقاً**): منصوب على التمييز. وقوله (**إلى مُسْمِعِي**): بصيغة اسم الفاعل. أي: الذي أسمعني تفوّهي باسمي، وهو الحقّ تعالى من قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٢]. وقوله (**ذكري**): أي تفوّهي باسمي الذي ذكرته. وقوله (**بنُطْقي**): متعلّق بذكري، أي: ذكري المنطوق بلساني. وقوله (**وأنصتِ**): بكسر التاء للقافية، وأصلها السكون. لأنّ هذا الفعل المضارع معطوف على المضارع قبله، المجزوم بأن الشرطيّة، وهو أصغ كما ذكرنا. والإنصات: السكوت، والاستماع للحديث: تقول أنصتوه وأنصتوا له.

٥١٩ - وَأُلْصِقُ بِالْأَحْشَاءِ كَفِّي عَسَايَ أَنْ أُعَانِقُهَا فِي وَضْعِهَا عَنْدَ ضَمَّتِي

(**وألصق بالأحشاء**): جمع حشا، قال في الصحاح: «الحشى ما انضمّت عليه الضلوع. والجمع أحشاء». قال في القاموس: «الحَشَى ما دون الحِجَاب مِمَا في البَطْن من الكَبِد والكَرِش وما تَبِعَه، أو ما بين ضِلع الخَلْف التي في آخر الجَنْب إلى

الوَرِك، أو ظَاهِر البَطْن والحِضْن». وقوله (كفى): مفعول ألصق. وقوله (عساي أنْ أعانقها): أي المحبوبة الحقيقيّة، قال في القاموس: «عسى فعل مطلقاً، أوحرف مطلقاً للترجّي في المحبوب، وللاشفاق في المكروه». وقال في الصحاح: «عسى من أفعال المقاربة، وفيه طمع واشفاق. ولا يتصرّف لأنّه وقع بلفظ الماضي لمّا جاء في الحال. تقول عسى زيد أن يخرج، وعست فلانة أن تخرج. فزيد فاعل عسى وأن يخرج مفعولها، وهو بمعنى الخروج، إلّا أنّ خبره لا يكون/ [٢٣٣/ أ] اسماً، لا يقال: عسى زيد منطلقاً. وأمّا قوله: عسى الغُوَيْرُ أَبْؤُسَاً فشاذٌّ ونادر. وضع أبؤساً موضع الخبر. وقد يأتي في الأمثال ما لا يأتي في غيرها». وقوله (في وَضْعِهَا): أي وضع كفِّي متعلّق بـ أعناقها. وقوله (عند ضمّتي): أي عند إلصاق كفي بأحشائي. والمعنى في ذلك: غلبة العشق والمحبّة، بحيث لم يملك نفسه في احتشام مقام ربّه تعالى من كمال قربه إليه، وشدّة طمعه في حصوله.

٥٢٠- وَأَهْفُو لِأَنْفَاسِي لَعَلِّيَ وَاجِدِي بِهَا مُسْتَجِيْزاً أَنَّهَا بِيَ مَرَّتِ

(**وأَهْفُو**): من هَفَا الطائر بجناحه: إذا خفق. وهفا الشيء في الهواء: إذا ذهب كالصرخة ونحوها، كذا في الصحاح». وهو كناية عن شدّة الميل، وكمال التوجّه. وقوله (**لأنفاسي**): جمع نَفَس، بفتح الفاء. قال في الصحاح: «النَفَسُ بالتحريك واحد الأنفاس، وقد تَنَفَّسَ الرجل، وتَنَفَّسَ الصُعَدَاء، أو كلّ ذي رِئَة مُتَنَفِّس. ودواب الماء لارئات لها». يعني: إذا خرج النفس ـ وهو الهواء ـ من باطني إلى ظاهري يخرج حاملاً للمعاني التي ترد عليّ من الحقّ تعالى، وأنا متحقِّق بذلك، فأميل إليها، وأتوجّه بكلِّيتي. وقوله (**لعلّي**): قال في الصحاح: «لعلّ: كلمة شكّ، وأصلها علّ، واللام في أوّلها زائدة، والياء ضمير المتكلِّم في محل نصب على أنّه اسمها». وقوله (**واجدي**) خبرها. أي: واجد ذاتي، أي: أترجى بميلي وتوجّهي الكلِّي إلى ما يصدر منّي ممّا أنفس به عليّ من المعاني الوجدانيّات الإلهيّات، عسى

أنْ أجد ذاتي الحقيقيّة التي أنا قائم بها، التي يصدر منها جميع ما هو صادرمنّي، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

مـــا قلتـــه قلـــتُ عنِّـــي فـــلا أرى القـــول يغنـــي
هيهـــــات أدرك ذاتـــــاً إليَّ أقـــــربَ مِنِّـــــي

وقال أيضاً في أبيات:

يـــا مـــن تخاطبـــه حقيقـــة ذاتـــه في غـــيره لكنـــه لا يعلـــم
وهـــو الخاطـــب ذاتـــه في ذاتـــه وهـــو المكلَّـــم عنـــه والمـــتكلّم
مرآتـــك الأكـــوان فبهـــا نـــاظر مـــا أنـــت فيـــه فنـيِّر أو مظلـــم

وقوله (بها): متعلِّق بواجدي. والضمير للأنفاس. وقوله (مستجيزاً): حال من ضمير المتكلّم في واجدي. و(المستجيز) الطالب للجواز، بمعنى المرور والسلوك، قال في الصحاح: «جُزْتُ الموضعَ أَجُوزهُ جَوَازاً: سَلَكْتُهُ وسِرْتُ فيه. وقوله (إنّها): أي الأنفاس المذكورة بي، متعلّق بـ مرّتِ بكسر التاء للقافية. وتقديم الجار والمجرور لمعنى الحصر. والضمير المستتر للأنفاس، أي: طالباً أنّها تَمُرُّ بي، وتُقْبِل عَلَيّ لأجد بشمِّي لها رائحة المحبوبة الحقيقيّة فأقف على التحقق بها.

٥٢١- إلِى أَنْ بَـدَا مِنِّـي لِعَيْنِـيَ بَـارِقٌ وَبَـانَ سَـنَا فَجْـرِي وَبَانَـتْ دُجُنَّتِـي

(إلى أنْ بدا): أي غاية ذلك، أي: ظهر وتحقّق عندي على الكشف والمعاينة. وقوله (منّي): أي من نفسي. وقوله (لعيني): أي لعين بصري. وقوله (بارق): فاعل بدا. والبارق: سحاب ذو برق. والسحابة: بارقة. ويقال بَرَق السيفُ وغيرُهُ يَبْرُقُ بُرُوقاً: تَلأْلأَ، والاسم البَرِيق. والبَرْقُ: واحد بُرُوق: السَّحاب، كذا في الصحاح. وهو كناية عن الروح المنفوخ فيه عن أمر الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [١٥/الحجر/٢٩] وقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ

رَبِّي﴾ [١٧/الإسراء/ ٨٥] ولا واسطة بين الروح وأمر الله تعالى، وهو أوّل مخلوق، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «أوّل ما خلق الله الروح»[1]. وكونه بارقاً: أي سحاباً ذا برق، أي: نور وضياء يظهر بسرعة، ثمّ يذهب ويستتر، ثمّ يعود كلمح بالبصر لصدوره عن الأمر الواحد الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/القمر/ ٥٠] والنور والضياء الذي يظهر بظهوره وهو نور شمس الحقيقيّة الذاتيّة، وضياء عين الحضرة الصفاتيّة الأسمائيّة. وقوله **(وبان)**: أي ظهر وانكشف. وقوله **(سنا)**: أي ضياء، قال/ [٢٣٣/ ب] في الصحاح : «السنا، مقصور: ضوء البَرْقِ». ولعلّه هنا بمعنى مطلق الضياء. ولهذا أضافه إلى قوله فجري. والفجر ضوء الصباح، وهو حمرة الشمس في سواد الليل وقد انْفَجَرَ الصبح، وتَفَجَّرَ وانفجر عنه الليل إلى طلوع الشمس، كذا في القاموس. وسواد الليل كناية عن نشأته الإنسانيّة نفساً وجسماً. وقوله **(وبانت)**: أي فارقت وبعدت، من البَين، وهو الفُرقة والبُعد، كذا في القاموس. وقوله **(دُجُنَّتِي)** قال في

---

(١) قال اللكنويّ، عبد الحيّ في الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ١ / ٤٣: تنبيه: قد ثبت في رواية عبد الرزاق أوّلية النور المحمّدي خلقاً، وسبقه على المخلوقات سبقاً. وقد اشتهر بين القصاص حديث: «أوّل ما خلق الله نوري: وهو حديث لم يثبت بهذا المبنى وإن ورد غيره موافقاً له في المعنى. قال السيوطيّ في تعليق جامع الترمذيّ المسمّى ـ بقوت المغتذي ـ عند شرح حديث: «إنّ أوّل ما خلق الله القلم»، قال زين العرب في «شرح المصابيح»: يعارض هذا الحديث ما روي: إنّ أوّل ما خلق الله العقل، وإنّ أوّل ما خلق الله نوري، وإنّ أوّل ما خلق الله الروح، وإنّ أوّل ما خلق الله العرش. يجاب بأنّ الأمور الأوّليّة الإضافيّة؛ فيأوّل: إنّ أوّل كلّ واحد مما ذكر خلق قبل جنسه؛ فالقلم خلق قبل أجسام، ونوره عليه الصلاة والسلام قبل الأنوار، ويحمل حديث العقل على أنّ أوّل ما خلق الله من الأجسام اللطيفة: العقل، ومن الكثيفة العرش؛ فلا تناقض في شيء. انتهى كلام زين العرب. قلت حديث العقل موضوع، والثلاثة الأخر لم ترد بهذا اللفظ فاستغني عن التأويل. انتهى كلام اللكنويّ. قلت: إن كلام اللكنويّ لاينفي ورود الأحاديث الثلاثة بغير هذا اللفظ مع بقاء المعنى ذاته، ولم ينفِ اللكنويّ صحتهم، ولم يصرّح بوضع المعنى مع أنّه صرح بوضع حديث العقل. والله أعلم.

القاموس: «الدُّجُنَّةُ كحُزُقَّة، وبكسرتين: الظلمة. والغيم المطبق الريّان المظلم لا مطر فيه». وهي كناية عن ظلمة كونه، وغيم إمكانه المفروض المقدَّر بتقدير ربّه القديم؛ فإنّ الوجود الحقّ نور، والظلمة هي العدم.

٥٢٢- هُنَاكَ إِلَى مَا أَحْجَمَ العَقْلُ دُوْنَهُ وَصَلْتُ وَبِي مِنِّي اتِّصَالِي وَوُصْلَتِي[1]

(**هناك**): هنا بضمّ الهاء مقصور: اسم إشارة. قال في الصحاح: «هنا وهاهنا للقريب إذا أشرت إلى مكان. وهناك وهنالك للبعيد. واللام زائدة، والكاف للخطاب. وفيها دليل على التبعيد، تفتح للمذكّر، وتكسر للمؤنّث. والإشارة إلى عالم الأمر الإلهيّ الذي هو أعلى من كلّ شيء. وقوله (**إلى ما**): أي مقام كريم، وسرّ عظيم. وهذا الجار والمجرورمتعلّق بوصلتُ، والتقديم للحصر. وقوله (**أحجم**) يقال: حَجَمْتُهُ عن الشيء أَحْجُمُهُ: أي كَفَفْتُه عنه. وحَجَمْتُهُ عن الشيء فَأَحْجَمَ، أي: كَفَفْتُه عنه فكفّ، وهو من النوادر، مثل: كببته فأكبّ، كذا في الصحاح. وقوله (**العقل دونه**): قال في الصحاح: «دون نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية، وتكون ظرفاً». وقوله (**وصلتُ**): بضمّ تاء المتكلّم، أي: نفذت بصيرتي بحيث وقف عقلي عجزاً عن إدراك ما هنالك، وهو الطور الذي الذي فوق طور العقل مما يعرف السالك. وقوله (**وبي**): أي بذاتي. وقوله (**منّي**): أي من ذاتي. وقوله (**اتصالي**): مبتدأ مؤخّر، خبره قوله منّي، أي: لا من غيري. يعني: إنّما حصل اتّصالي بذاتي من ذاتي، لا من أحد غيري، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ١] وإنّما الشيوخ صور تجلّيات الرحمن. وقوله (**ووصلتي**): معطوف على اتّصالي. والاتّصال ضدّ الانفصال. وقال في الصحاح: «وَصَلَ إليه وُصُولاً، أي: بَلَغ. ووَصَل بمعنى اتَّصَلَ. ويقال: بينهما وُصْلَة، أي: اتّصال، وذريعة. وكلّ شيء اتّصل بشيء فما بينهما وصلة.

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ رحمه الله: «بلغ سماعاً ومقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه. وكتبه الفقير إليه سبحانه: إبراهيم الدكدكجي، غُفر له».

٥٢٣ - فَأَسْفَرْتُ بِشْراً إذْ بَلَغْتُ إلَيَّ عَنْ يَقِـيْنٍ يقِيْنِـي شَـدَّ رَحْـلٍ لِـسَفْرَتِي

(فأسفرت): قال في الصحاح: «أَسْفَر وجهُهُ حُسْناً، أي: أشرق». وقوله (بِشْراً): تمييز من جهة البِشْر بكسر الباء الموحّدة وسكون الشين المعجمة والراء. قال في الصحاح: «يقال بَشَرْتُهُ بمولود فَأَبْشَرَ إبشَاراً، أي: سُرّ. وبَشِرْتُ بكذا بالكسر أَبْشَرُ، أي: اسْتَبْشَرْتُ به. وأتاني أمر بَشِرْتُ به، أي: سُرِرْتُ به، وهو حَسَنُ البِشْرِ، بالكسر، أي: طَلْق الوجه». وقوله (إذْ): تعليليّة. وقوله (بلغت): أي وصلت. وقوله (إليّ): بتشديد الياء، أي: إلى ذاتي فعرفتها. وقوله (عن يقين): أي بلوغاً حاصلاً عن يقين وتحقّق، قال في القاموس: «اليقين: إزاحة الشكّ». وقوله (يقيني): من وَقَاهُ يَقِيْهِ وَقْياً ووِقَايَة: صَانَه، كوَقّاه، كذا في القاموس. يعني: يحفظني. ويكفيني ينصب مفعولين: الأول ياء المتكلّم. والثاني قوله (شَدَّ). قال في المصباح: «شَدَدْتُه شَدّاً من باب قتل: أَوثَقْتُهُ. وشَدَدْتُ العُقدة فَاشْتدَّت. ومنه شَدَّ الرِّحال، وهو كناية عن السفر». وقوله (رَحْلٍ): بفتح الراء وسكون الحاء المهملة واللام، مضاف إليه، قال في المصباح: «الرَّحْلُ: كلّ شيء يُعَدُّ للرَحِيل، من وِعاء للمتاع، ومَرْكَب للبعير، وحِلْس وَرَسَن ، وجمعه: أَرْحُلٌ ورِحَال، مثل بَحْروأَبْحُر وبِحَار». وقوله (لسفرتي): أي سفري، وهو الخروج للارتحال. وكنّى بشدّ الرَّحْلِ للسفرعن استعمال النظر العقلي، ونصب القياسات والأدلّة المعقولة على علوم التوحيد، والمعرفة الإلهيّة. فإنّ طريق التحقيق والوجدان في ذلك لا يسلك بها هنالك. قال الشيخ العارف الكامل أرسلان الدمشقي، قدّس الله سرّه في رسالته المشهورة: «الناس/ [٢٣٤/ أ] تائهون عن الحقّ بالعقل». وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات ترجمان الاشواق:

طلب النعت أنْ يبينها فتعالت فعاد ذا حَصَر
وإذا رام أنْ يكفيها لم يزل ناكصاً على الأثر

إنْ أراح المطـــــي طالبهـــــا لم يريحـــوا مطيّـــة الفكـــر

وقال قدّس الله سرّه في شرح هذه الأبيات في كتابه «الذخائر والأعلاق شرح ترجمان الأشواق» يقول: لا تدرك النعوت والأسماء الواردة عليها، فعاد النعت ذا حصر، لأنّه لم يجد محلًّا يقبله. فإذا جاء الخيال بتكييفه ليحمله عليها لم تقبله، فارتدّ على عقبه راجعاً. وإذا كلّت الهمم التي هي المطايا من العارفين في طلبها، لوقوفهم على عجزهم في ذلك، وأنّها لا تُنال بالسعايات، لم ترحِ العقلاء الذين يزعمون أنَّ الله يُعرَف بالدليل مطيّة فكرهم في استخلاص العلم بها، جهلاً منهم بما يعطيه المقام الأعلى.

٥٢٤- وَأَرْشَدْتُنِي إذْ كُنْتُ عَنِّي نَاشِدِي إلَــيَّ وَنَفْسِي بِي عَلَيَّ دَلِيْلَتِي

(وأرشدتني): أي أَرْشَدْتُ نفسي، من الرَّشَاد خلاف الغَيّ. وقد رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْداً بالضمّ، ورَشِدَ بالكسر يَرْشَدُ رَشَداً لغة فيه. وأَرْشَدَه الله، كذا في الصحاح. وقوله (إذ): تعليليّة. قال في الصحاح: «إذْ كلمة تدلّ على ما مضى من الزمان، وهو اسم مبني على السكون. وحقّه أنْ يكون مضافاً إلى جملة». وقوله (كنت عنّي): متعلّق الجار والمجرور. وقوله (ناشدي): وهو خبركنت. وناشدي: اسم فاعل، مضاف إلى ياء المتكلّم، أي: ناشد نفسي. بمعنى طالبها، من: نَشَدْتُ الضَالَّةَ أَنْشُدُهَا نَشْدَةً ونِشْدَانَاً، أي: طَلَبْتُهَا، كما في الصحاح. وقوله (إليّ): بتشديد الياء، أي: إلى نفسي. والمعنى: كنت أطالب نفسي أن تفارقني من حيث أنانيّتي الوهميّة. وترجع إليَّ من حيث أنانيّتي الحقيقيّة الحقّة. وقوله (ونفسي): أي حقيقتي التي أنا متحقِّق بها من حيث أنّي حقّ لا باطل. وقوله (بي): أي بقوّة نفسي المذكورة. وقوله (عليّ): بتشديد الياء، أي: على نفسي المذكورة. وقوله (دليلتي): أي هي التي دلّتني وأرشدتني إليها، فزالت نفسي الوهميّة، وظهرت نفسي الحقيقيّة الحقيّة.

٥٢٥- وَأَسْتَارُ لَبْسِ الحِسِّ لَمَّا كَشَفْتُهَا وَكَانَتْ لَهَا أَسْرَارُ حُكْمِيَ أَرْخَتِ

٥٢٦- رَفَعْتُ حِجَابَ النَّفْسِ عَنْهَا بِكَشْفِيَ الـ ـنِّقَابَ فَكَانَتْ عَنْ سُؤَالِي مُجِيبَتِي

(**وأستار**): جمع ستر، وهوالغطاء. من سَتَرْتُ الشيء أَسْتُرُهُ: إذا غَطَّيْتُهُ فاسْتَتَر هو، وتَسَتَّر،أي: تَغَطَّى، كذا في الصحاح. وقوله (**لَبْس**): بفتح اللام وسكون الباء الموحّدة وبالسين المهملة، قال في الصحاح: «اللَبْسُ بالفتح: مصدر قولك لَبَسْتُ عليه الأمر أَلْبِسُ: خلطت». وقوله (**الحسّ**): هو الحواس الخمس: السمع والبصر والشمّ والذوق واللمس، كذا في القاموس. وقوله (**لمّا كشفتها**): أي أزلت دعوى الإحساس بها، ومحوت نسبة إدراكها إليّ بظهورالتحقّق بحقائقها، المشار إليها بقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسي: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»[1]. وقوله (**وكانت لها**): أي لتلك الأستار المذكورة. وقوله (**أسرار**): جمع سِرّ، وهو الأمر الخفيّ. وقوله (**حكمي**): أي إلزامي من حيث حقيقتي لنفسي الموهومة بالأحكام التكليفيّة. وقوله (**أرخت**): بكسر التاء للقافية، يعني: أرخت تلك الأستار وسدلتها على عيني. فالحقيقة تكشف، والشريعة تستر، ولا بدّ من الكشف، ولا بدَّ من الستر؛ فالكشف في الباطن، والستر في الظاهر. وقوله (**رفعت**): جواب لما. وقوله (**حجاب النفس**): بسكون الفاء، أي: الحجاب الذي هو النفس. وقوله (**عنها**): أي عن النفس. وقوله (**بكشفي**) متعلّق برفعت / [٢٣٤/ ب] وقوله (النقاب) مفعول كشفي. والنقاب بالكسر: ما تنتقب به المرأة، أي: تستر وجهها؛ فالنفس الإنسانيّة نقاب على وجه الحقّ، مستتر بها؛ لأنّها خلقه وتقديره. وقوله (**وكانت**): أي النفس بعد رفع الحجاب عنها بكشف بالنقاب عن وجهها. وقوله (**عن سؤالي**): أي طلبي لها، أو لما شئت منها. متعلّق بـ(مجيبتي). وقوله (**مجيبتي**): خبركان، أي: مجيبة لي عن كلّ

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

ما أطلبه منها، لأنّ بيدها كلّ شيء.

٥٢٧- وَكُنْتُ جِلَا مِرْآةِ ذَاتِي مِنْ صَدَا صِفَاتِي وَمِنِّي أُحْرِقَتْ بِأَشِعَّتِي

(وكنت): أي من حيث ذاتي الحقيقيّة. وقوله (جِلَا): بكسر الجيم. قال في الصحاح: «جَلَوْتُ السيف جِلَاءً بالكسر، أي: صَقَلْتُه». وقوله (مرآة): بكسر الميم وبالمدّ: هي التي ينظر فيها الإنسان وجهه. وقوله (ذاتي): أي حقيقتي الحقيّة. وقوله (من صدا): أصله بالهمزة حذفت لضرورة الشعر. قال في الصحاح: «صَدَأُ الحديد وَسَخُهُ، وقد صَدِئَ يَصْدَأُ صَدَأً». وقوله (صفاتي): أي الصفات الوهميّة المنسوبة إليّ كسمعي وبصري. وقوله (ومنّي): أي من حيث ذاتي الحقيقيّة الحقيّة. وقوله (أحرقت): بالبناء للمفعول، والضمير المستتر لصفاتي. وفي نسخة (أُحْدَقَتْ): بالدال المهملة، من الإحداق. قال في الصحاح: «حَدَقُوا بالرجلِ وأَحْدَقُوا به، أي: أَحاطوا به». وقوله (بأشعّة): متعلّق بالفعل. والأشعة: جمع شُعَاع. قال في الصحاح: «شُعَاعُ الشمس: ما تراءى من ضوئها عند ذُرُورِهَا كالقضبان. وقد أَشَعَّتِ الشمسُ: نشرت شُعَاعَهَا. الواحدة: شُعَاعَة. وأحرقت بالراء يناسب الحديث: «إنّ لله سبعين حجاباً من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصر من خلقه»[1].

---

(١) قال الزين العراقيّ في تخريج أحاديث الإحياء١/ ٢٤٠: حديث «إنّ لله سبعين حجاباً من نور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصر». أخرجه أبو الشيخ ابن حبّان في كتابه «العظمة»، من حديث أبي هريرة: «بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور». وإسناده ضعيف. وفيه أيضاً من حديث لأنس قال: «قال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لجبريل: هل ترى ربّك؟. قال: إنّ بيني وبينه سبعين حجاباً من نور». وفي الطبرانيّ من حديث سهل بن سعد: «ـ إن الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ـ». ولمسلم من حديث أبي موسى: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصر من خلقه». ولابن ماجه: «شيء أدركه بصره».

٥٢٨- وَأَشْـهَدْتُنِي إِيّـايَ إِذْ لا سِـوَايَ فِي   شُـهُوْدِيَ مَوْجُـوْدٌ فَيَقْـضِي بِزَحْمَـةِ

(وأَشْهَدْتُني أياي): أي أشهدتْ نفسي لنفسي، فذاتي الحقيقيّة شاهدة لذاتي الحقيقيّة، من قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨] بعد فناء واضمحلال ذاتي الوهميّة الإمكانيّة. وهو ذهاب من لم يكن، وظهور من لم يزل. وقوله (إذ): تدلّ على الماضي، مبني على السكون. وتكون اسماً للزمن الماضي. وحينئذ تكون ظرفاً، كذا في القاموس. وقوله (لا سواي في شهودي): أي لا غيري في شهود، أي: معاينة ذاتي الحقيقيّة لذاتي الحقيقيّة. وقوله (موجود): خبر لا، وجميع السوى مقدّر مفروض، لا موجود؛ إذْ الفرض والتقديرهو معنى الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢]. والمخلوق مقدّر مفروض لا موجود. وقوله (فيقضي): أي يحكم ذلك السوي. وقوله (بزحمة): بالزاي، أي: مزاحمة للوجود الحقّ. قال في القاموس: «زَحَمَه كمنعه، زَحْماً وزِحَاماً بالكسر: ضايقه. وازْدَحَم القوم وتَزَاحَمُوا». ولابن إسرائيل قدّس الله سرّه من أبيات له:

وكَيـف يـصبح عنهـا الطـرف محتجبـاً   وحـسنها في جميـع الخلـق يلقـاني

إنْ غيَّبـت ذاتهـا عنِّـي فـلي بـصر   يـرى محاسـنها في كـلّ إنـسان

مـا في محبّتهـا ضـدّ أضـيق بـه   هـي المـدام وكـلّ الخلـق نـدماني

٥٢٩- وَأَسْمَعُنِي فِي ذِكْرِيَ اسِمِيَ ذَاكِرِي   وَنَفْسِي بِنَفْي الحِسِّ أَصْغَتْ وَأَسْمَتِ

(وأَسْمَعُني): فعل ماض ينصب مفعولين، الأول: ياء المتكلِّم، والنون للوقاية. وقوله في (ذكريَ اسميَ): أي في حال ذكري اسمي، أي: في حال ذكري اسمي، أي: في حال ذكري لاسمي الذي سمَّيت به نفسي. واسمي هو المفعول الثاني لأسمعني. وقوله (ذاكري): فاعل أسمعني. والياء ضمير المتكلِّم. والمعنى: أسمعني ذاكري، أي: الذي ذكرني، وهو أنا ذكرت نفسي اسمي الذي ذكرني به،

من قبيل قول القائل / [٢٣٥/ أ]:

لقد كنت حيناً قبل أن يكشف الغطا أظنّ بأنّي ذاكر لك شاكر
فلمّا أضاء الفجر أصبحت موقناً بأنّك مذكور وذكر وذاكر

وقوله (**ونفسي**): أي الحقيقيّة الحقّيَّة. وقوله (**بنفي الحسّ**): أي الحواس الخمس الظاهرة والباطنة، وفنائها، واضمحلالها في تجلّي الوجود بالحقّ، وأنّه إذا جاء الحقّ زهق الباطل، وكلّ شيء ما عدا الله باطل. والعارف مكشوف له ذلك، قال صلّى الله عليه وسلّم: «كنت سمعه الذي يسمع به» في حديث المتقرّب بالنوافل. وقوله «سمعه الذي يسمع به» أي: لا كنت سمعه الذي لا يسمع به، وهو القوّة العرضيّة المنبثّة في العصب المفروش في صماخ الأذن؛ لأنّ ذلك مخلوق لا يسمع به، وإنّما يسمع بالخالق، وكذلك البصر، وبقية الحواس كذلك. وقوله (**أصغت**): أي استمعت. والضمير المستتر للنفس المذكورة. وقوله (**وأسمت**): بكسر التاء للقافية، أي: أسمتني. بمعنى: أعلتني، وجعلتني سامياً، مترفعاً عن أن أسمع بجارحة أذن. وكذلك البصر، وبقيّة الحواس. وفاعل أسمت ضمير مستتر راجع إلى النفس المذكورة.

٥٣٠- وَعَانَقْتُني لَا بِالْتِزَامِ جَوَارِحِ الْـ ـجَوَانِحَ لَكِنِّي اعْتَنَقْتُ هُوِيَّتِي

(**وعانقتني**): فعل ماض، وهو عانق. والتاء ـ ضمير المتكلّم ـ فاعل الفعل. والنون للوقاية. والياء ـ ضمير المتكلّم ـ مفعول الفعل، قال في الصحاح: «العِنَاق: المُعَانَقَة، وقد عَانَقَهُ: إذا جعل يديه على عنقه وضَمّهُ إلى نفسه، وتَعَانَقَا، واعْتَنَقَا». والمعنى: عانقت ذاتي بذاتي». وقوله (**لا بالتزام**) قال في القاموس: «المُلَازِم: المُعَانِق. والْتَزَمَهُ اعْتَنَقَهُ». وقوله (**جوارح**): جمع جارحة. قال في القاموس: «الجوارح أعضاء الإنسان التي تكتسب». (**والجوانح**): جمع جانحة، وهي الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر. يعني: ليس معانقتي لذاتي كمعانقة

جسم لجسم بالتزام الأعضاء للضلوع. وقوله (**لكنّي اعتنقت**): أي التزمت (**هُويّتي**): أي ماهيتي، وهي ذاته؛ فإنّ ذات الوجود الحقّ معانق للوجود الحقّ. والفاصل بينهما: الصورة الكونيّة المقدّرة المفروضة العدميّة. وهذه المعانقة لا انفكاك لها؛ لأنّها في الثبوت، وفي الوجود سواء كانت الصور معدومة أو موجودة، فهي أزليّة أبديّة.

٥٣١- وَأوْجَـدْتُني رَوْحِـي وَرُوْحُ تَنَفُّـسِي يُعَطِّـــرُ أَنْفَـــاسَ العَبِـــيرِ المُفَتَّـــتِ

(**وأوجدتُني**): أي جعلت نفسي واجدة، بمعنى مستنشقة. وقوله (**رَوْحي**): بفتح الراء، قال في القاموس : «الرَّوْح بالفتح: نسيم الرِّيح». إلي، أي: هوائي، بمعنى أنفاسي. وقوله (ورُوْح): بضمّ الراء، قال في القاموس : «الرُّوْح بالضمّ مابه حياة الأنفس». وقوله (**تنفسّي**): من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنِّي لأجد نَفَس الرحمن من قبل اليمن»[1]. وقوله عليه السلام: «لا تسبّوا الريح ، فإنّها من نَفَس الرحمن»[2]. والنَفَس بفتح الفاء: اسمٌ وُضِعَ مَوْضِع المصدر الحقيقيّ، من نَفَّسَ تَنْفِيْساً وَنَفَساً، أي: فَرَّجَ تفريجاً، كذا في القاموس. وذلك كناية عن العالم الروحانيّ، الأمريّ، الإلهيّ، المنفوخ منه في الهياكل المحسوسة الإنسانيّة وغيرها. وقوله (**يعطّر أنفاس**): أي روائح. وقوله (**العَبير**): هو الزعفران، أو أخلاط من الطيب، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «العَبير أخلاط تجمع بالزعفران عن الأصمعي. وقال أبو عبيدة: «**العبير** عند العرب : الزعفران وحده». وقوله (**المُفَتَّت**): بصيغة اسم المفعول، من فَتَّ الشيءَ، أي: كَسَرَه. والتَفَتُّتُ التكسُّر،

---

(١) ذكره العراقيّ في تخريج أحاديث الإحياء، ٢٤٥، بلفظ: «إنّي لأجد نَفَس الرحمن من جانب اليمن». وقال: أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة، في حديث قال فيه: وأجد نَفَس ربّكم من قبل اليمن، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب:من سورة البقرة، ٣٠٧٥، عن أُبيّ بن كعب. وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. علّق الذهبي: على شرط البخاريّ.

والانْفِتَات الانكسار، كذا في الصحاح. والمعنى: إنّي جعلت ذاتي تستنشق روائح أنفاسي في حالة تنفّسي بالأنفاس الطيِّبة العطرة المنبعثة من حضرة القدس، كناية عن المعاني الإلهيّة والحقائق / [٢٣٥/ ب] العرفانيّة التي ترد على قلبه، فيتكلَّم بها، فيلتذ بسماعها منه.

٥٣٢- وَعَن شِرْكِ وَصْفِ الحِسِّ كُلِّي مَنَزَّهٌ وَفِيَّ وَقَـدْ وَحَّـدْتُ ذَاتِيَ نُزْهَتِـي

(وعن شرك): متعلّق بمنزّه. وقوله **(وصف الحسّ)**: أي الوصف الذي هو الحِسُّ كالسمع والبصر والشمّ والذوق واللمس. يعني: عن المشاركة في ذلك، وأنْ يتعدّد شيء من ذلك بسبب تعدّد الأشخاص. وقوله **(كلِّي)**: أي ذاتي الواحدة التي هي عين كلّ ذات، وهي ذات كلّ عضو من أعضاء كلّ إنسان وغيره. وقوله **(مُنَزَّه)**: بصيغة اسم المفعول، من التنزيه، وهو التبعيد. قال في الصحاح: «التَنَزُّه: التباعد عن المياه والأرياف. ومنه قيل: فلان يَتَنَزَّهُ عن الأقذار، ويُنَزِّهُ نفسه عنها، أي: يباعدها عنها، والنَزَاهَة: البعد عن السوء. وإذا كانت ذاته التي عبّرعنها بقوله **(كُلِّي)**: باعتبار كثرة أشخاصها منزّهة عن شرك الاتّصاف بالأوصاف المتعدِّدة، المتكررة بتكرار الأشخاص، فلا تعدّد لذاته في نفس الأمر، ولا اشتراك لأوصافها معها، ولا فيها أصلاً، كما قلت في جملة أبيات لي:

أنـا كـلّ الوجـود والكائنـات أنـا كـلّ الأرواح كـلّ الـذوات
أنـا كـلّ العقـول بـل كـلّ شيء في جميـع الأزمـان والأوقـات
لـيس كـلّ الوجـود إلّا أسـامٍ والمسـمّى بكـلّ ذلـك ذاتي

وقوله **(وفيّ)**: بتشديد الياء، جار ومجرور متعلّق بواجب الحذف، خبر مقدّم، أي: في ذاتي الحقيقيّة الحقّة. وقوله **(وقد)**: الواو للحال من ضمير فيّ المشدّد. وقوله **(وَحَّدْتُ)** بتشديد الحاء المهملة، أي: من التوحيد، أي: وجدت ذاتي الحقيقيّة الحقّة واحدة بتوحيد الوجدان، لا توحيد الدليل والبرهان. وقوله

(نزهتي): مبتدأ مؤخّر، قدّم عليه للحصر؛ إذْ لا نزهة له في غير ذاته المذكورة، لظهورها له في كلّ صورة. و(النزهة): الطرب والسرور والتباعد عن الشرور.

٥٣٣- وَمَدْحُ صِفَاتِي بِي يوَفِّقُ مَادِحِي لِحَمْدِي وَمَدْحِي بِالصِفَاتِ مَذَمَّتِي

(مدح صفاتي): أي الثناء عليها. قال في الصحاح: «المَدْحُ: الثَنَاءُ الحَسَن. وقد مَدَحَه وامْتَدَحَه بمعنىً. وقوله (بي) متعلّق بمدح، أي: بذاتي؛ فإنّ الصفات تابعة للموصوف بها، فإنْ كان الموصوف بها قديماً فهي قديمة، أو حادثاً فهي حادثة. وكمالها ونقصها، وإطلاقها وتقييدها تابع ذلك كلّه للموصوف بها. وهذا معنى مدح الصفات الإلهيّة بالذات العليّة دون العكس. وقوله (يوفّق): بتشديد الفاء، أي: يلهم الموافقة لما هو في نفس الأمر. وقوله (مادحي) مفعول يوفّق، أي: الذي يمدحني ويثني عليَّ بالثناء الحسن، وهو الإنسان الكامل، العارف، المحقّق لمعرفة نفسه، ومعرفة ربّه. وقوله (لحمدي): متعلّق بيوفّق، أي: للثناء عليَّ بما أنا أهله من الثناء الحسن، وهو مدح صفاتي بي، لا مدحي بصفاتي؛ لأنّ جميع المعاني والمفاهيم وإنْ ارتفع شأن بعضها على بعض باعتبارها، أو باعتبار من هي منسوبة إليه من أهل الكمال العرفانيّ، والتحقيق الربّاني حادثة، قاصرة، فانية، مضمحلّة، لا مناسبة لها بالذات القديمة الأزليّة وإنْ قبل تعالى شرعاً الاتّصاف بالمعاني الواردة منها في الكتاب والسنّة، مما يجب اعتقاده. فإنّه أمر تعبّدي، يُعتقد ويُقال بالعبارات الواردة فيه، مع الإذعان للغيب المطلق، فإنّ كلّ ما نجده كمالاً في نظر عقولنا حادث مخلوق كما نحن مخلوقون، وعقولنا مخلوقة، ولا يتّصف الحقّ القديم بما هو مخلوق. وقوله (ومدحي): أي: الثناء على ذاتي. وقوله (بالصفات): أي بصفاتي الواردة في الكتاب والسنّة على المعنى الذي يفهمه المخلوق، ويعرفه المحدث/ [٢٣٦/أ] فإنّ ذلك المعنى محدث مثله؛ وإنّما وجب عليه اعتقاد أمر تعبّدي، وتحكّم إلهيّ لا تصرف فيه للعقول، ولا اطّلاع للأفهام عليه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾

[٤٢/ الشورى/ ١٣] الآية. وقوله (**مذمّتي**): بالفتح أي ما أُذمّ به من العيب والعار، وهو خلاف المَحْمَدَه، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه من أبيات له:

تنزّه عن وصف الكمال لأنّه … لمعنى اعتبار النقص فيه يقود

٥٣٤- فَشَاهِدُ وَصْفِي بِي جَلِيْسِي وَشَاهِدِي … بِهِ لاحْتِجَابِي لَنْ يَحِلَّ بِحِلَّتِي

(**فشاهد وصفي**): أي المشاهد المعاين لأوصافي. وقوله (**بي**): أي بذاتي، وذلك بأن فني عن ذاته الوهميّة، وتحقّق بحقيقة الذات الحقيّة الحقيقيّة. وهو الذي يشاهد الصفات بالذّات، وهذا البيت موافق للبيت الأوّل في تتمّة معناه، وتقرير فحواه. وقوله (**جليسي**): أي مجالس لي قريب منّي، لأنّه شهد أوصافي بذاتي فذكرني بي لا به، وأنا جليس من ذكرني. وقوله (**وشاهدي**): أي المشاهد المعاين لذاتي المتحقّق بها بعد فنائه واضمحلاله. وقوله (**به**): أي بوصفي. يعني: بصفاتي بأن شهد ذاتي بما عنده من معاني صفاتي، كما قدّمناه. وقوله (**لاحتجابي**): أي امتناعي عنه، وقوع معرفته على مقدار ما أدّى إليه نظره، ولَمَحَهُ بصره. وقوله (**لن يَحِلَّ بِحِلَّتِي**): أي لم يلبس ثوبي الذي أنا لابسه، وهو كناية عن الاتّصاف بصفاته بعد التحقّق بحقيقة ذاته، قال امرؤ القيس:

فإن كان لا يرضيك منّي سجيّة … فسلّي ثيابي من ثيابك تنسل

٥٣٥- وَبِي ذِكْرُ أَسْمَائِي تَيَقُّظُ رُؤْيَةٍ … وَذِكْرِي بِهَا رُؤْيَا تَوَسُّنِ هَجْعَةِ

(**وبي**): أي بذاتي الحقيقيّة. وقوله (**ذكر أسمائي**): جمع اسم، وهو ما يشير إلى الذات بمعنى صفة من صفاتها، أو لا بمعنى صفة. يعني: ذكر أسمائه تعالى الحسنى بذاته الحقيقيّة. وقوله (**تيقّظ**): مصدر تَيَقَّظَ ، أي: انتبه من نومه ،يقال: أَيْقَظْتُهُ من نومه، أي: نَبَّهْتُهُ فتيقّظَ، واسْتَيْقَظَ فهو يَقْظَان، كما في الصحاح. وقوله (رؤية): أي معاينة بحاسّة البصر، وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسي، حديث المتقرّب بالنوافل: «كنت بصره الذي يبصر به». (**وذكري بها**):

أي بأسمائي بأن أراد التوصُّل بذكر أسماء الذات الإلهيّة إلى معرفة الذات الإلهيّة. وقوله (**رؤيا**): أي معاينة مناميّة خياليّة. وقوله (**تَوَسُّنِ**) بتشديد السين المهملة، مصدر تَوَسَّنَ من الوَسَنِ بالتحريك، وهو النعاس. وقد وَسِنَ الرجلُ يَوْسَنُ فهو وَسْنَان. وقوله (**هَجْعَةِ**): بفتح الهاء، قال في الصحاح: «أتيت فلاناً بعد هَجْعَةٍ، أي: بعد نومةٍ خفيفة من أوّل الليل. والمعنى: ذكره تعالى بأسمائه رؤيا مناميّة يراها الذاكر. وهي مجرد خيال يطرقه في منامه، منام حياته الدنيا التي هي لعب ولهو، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٣] وفي الأثر: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»[1]. وذلك لأنّ جميع إدراكات الغافلين المحجوبين خيالات فكريّة، وتوهمات نفسانيّة؛ فلا يعرفون الموجود إلّا في صُوَرِه، ولا يدركون المشهود إلّا في حقيقة محصورة.

٥٣٦- كَـذَاكَ بِفِعْـلِي عَـارِفِي بِيَ جَاهِـلٌ   وَعَارِفُـــهُ بِي عَـــارِفٌ بِالْحَقِيْقَـــةِ

(**كذاك**): أي مثل ذلك المذكور قبله في الأبيات السابقة. وقوله (**بفعلي**): متعلّق بعارفي. وقوله (**عارفي**): أي مَنْ يعرفني. وقوله (**بي**): أي بذاتي الحقيقيّة. وهوخبرمقدّم. وقوله (**جاهل**): مبتدأ مؤخّر. أي: هو جاهل بي، لا يعرفني، لأنّه إنّما عرفني بأفعالي/ [٢٣٦/ ب] والمعروف بأفعاله معروف أنّه فاعل فقط، والمعروف أنّه فاعل ليس بمعروف أنّه مسمّى بالأسماء. ولا أنّه موصوف بالأوصاف، ولا أنّ له ذاتاً منزّهة عن مشابهة الذوات فهو جاهل ببقيَّة الحضرات. وقوله (**عارفه**): أي عارف فعلي، يعني: العارف بأفعالي. وقوله (**بي**): أي بذاتي الحقيقيّة. وقوله (**عارف بالحقيقة**): أي بحقيقة الأمر كلّه على ما هو الأمر عليه، وهذا هو مقتضى قول بعضهم في وصيّة المريد السالك: قم به عليه لا بك عليه. وهو نصح واضح، وصدق فاضح، لأنّك إذا قمت به عليه فقد قمت بموجود

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

حقّ على موجود حقّ، وإذا قمت بك عليه فقد قمت بمعدوم باطل على موجود حقّ ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١].

٥٣٧- فَخُذْ عِلْمَ أَعْلَامِ الصِّفَاتِ بِظَاهِرِ الْـ ـمَعَالِـمِ مِـنْ نَفْـسٍ بِـذَاكَ عَلِيْمَـةِ

(**فخذ**): الفاء للتفريع. و(**خذ**) فعل أمر. والخطاب للسالك في طريق الله تعالى. وقوله (**علم**) مفعول خذ. وقوله (**أعلام**): جمع عَلَم بالتحريك، أصلّه العلامة على الشيء. والعَلَم أيضاً الجبل، والراية. وقوله (**الصفات**): أي صفات الله تعالى، وأعلامها أصولها وأمّهاتها، وهي المشاهير منها، وهي سبعة: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. وبقية الصفات تابعة لهذه السبعة، ومفصّلة لها بأسماء مخصوصة. وقوله (**بظاهر المَعالِم**): جمع مَعْلَم بفتح الميم وسكون العين المهملة: الأثر الذي يستدلّ به على الطريق. والمعنى هنا: بظاهر المعالم مواضع ظهور هذه الصفات السبع من جوارحنا وأعضائنا، فإنّها آثار تجلّيات الصفات القديمة، ومواضع توجّهات تصرّفاتها. وقوله (**من نَفْس**): إنسانيّة كاملة في مرتبة العلم والعمل. ولهذا أنكرها. وقوله (**بذاك**): أي بمعرفة معالم أعلام الصفات على ما تقرر. وقوله (**عليمة**) نعت لنفس.

٥٣٨- وَفَهْمُ أَسَامِي الذَّاتِ عَنْهَا بِبَاطِنِ الْـ ـعَوَالَمِ مِـن رُوْحٍ بِـذَاكَ مُـشِيْرَةِ

(**وفهم**): بالنصب، معطوف على علمِ في البيت قبله، أي وخذ فهم. والفهم: الإدراك للأمر الخفيّ الدقيق. أخصّ من العلم؛ لشمول العلم للخفي والجَلي، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٧٩]. وقوله (**أسامي**): جمع اسم، وهو ما يراد به الذات عند الإطلاق من الكلمات كالقديم والعليم. وقوله (**الذات**): أي ذات الحقّ تعالى. وقوله (**عنها**): أي عن الذات، أي: حاصلاً ذلك الفهم عن تجلّيها، لا عن نفسك. وقوله (**بباطن العَوالَم**): جمع عالَمَ بفتح اللام، وهي المخلوقات المتنوّعة إلى أنواع كثيرة، كلّ نوع منها يقال له

عالَم. وباطن هذه العوالم سريان الروح الأمري الإلهيّ. والجار والمجرور متعلّق بفهم. وقوله (من رُوْحٍ): وهو الروح الأعظم الذي أوّل ما خلقه الله تعالى، الصادر عن أمر الله تعالى بلا واسطة. وتنكيره للتعظيم. وقوله (بذاك): أي بالفهم المذكور. وقوله (مشيرة) نعت لروح، فإنّها تشير للمنفوخة فيه إلى فهم ذلك.

٥٣٩- ظُهُورُ صِفَاتِي عَنْ أَسَامِي جَوَارِحِي مَجَازاً بِهَا لِلْحُكْمِ نَفْسِي تَسَمَّتِ

٥٤٠- رُقُومُ عُلُومٍ فِي سُتُورِ هَيَاكِلٍ عَلَى مَا وَرَاءَ الحِسِّ فِي النَّفْسِ وَرَّتِ

(**ظهور صفاتي**): أي الصفات الإلهيّة ظاهرة باعتبار استيلائها على صور الحوادث. وقوله (**عن أسامي**): جمع اسم، الجار والمجرور متعلّق بظهور. وقوله (**جوارحي**): جمع جارحة، كالعين الباصرة، والأذن السامعة، والأيدي الباطشة والأرجل، ونحو ذلك في كلّ حيوان. وقوله (**مجازاً**): أي بطريق المجاز لعلاقة السببيّة فيسمّى سمعاً، وبصراً، وقدرة، وإرادة في المخلوق على جهة المجاز، والسمع، والبصر، والقدرة، والإرادة في الخالق الحقّ حقيقة/ [٢٣٧/ أ] وقوله (**بها**): أي بتلك الأسامي المجازيّة. وقوله (للحكم): أي لأجل الحكم الإلهيّ والشرع الربّانيّ. وقوله (**نفسي تسمّتِ**): بكسر التاء للقافية، أي: تسمّت نفسي المدركة بالسميع، البصير، القادر، المريد، إلى غير ذلك مجازاً لا حقيقة لمراعاة القيام بالأحكام الشرعيّة، والملّة المحمّديّة. وقوله (**الرقوم**): خبر قوله: **ظهور صفاتي** في البيت قبله. وقوله (**الرقوم**): جمع رَقْم، وهو الكتابة والختم. قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٩] ورَقْمُ الثوبِ: كتابته، كذا في الصحاح. وقوله (**علوم**) جمع علم، وهو ما يتنزّل في تلك الرقوم من المعارف والإدراكات. وقوله (**في ستور**): جمع ستر، وهو ما يستر الذي وراءه. وقوله (**هياكل**): جمع هيكل، وهو البناء المشرف، وبيتٌ للنصارى، وهو بيت عبادتهم، كما ورد في الصحاح. كنّى بالستور عن النفوس البشريّة، وبالهياكل عن الأجسام البدنيّة. وقوله (**على ما وراء**): أي

خلف. والجار والمجرور متعلّق (بورّتِ). وقوله (الحسّ): أي قوّة الإدراك بالحواس. وقوله (في النفس): أي الإنسانيّة. وقوله (ورّتِ): بتشديد الراء وكسر التاء للقافية. من واريتُ الشيءَ: إذا أخفيته. وتَوارَى هو، أي: اسْتَتَر. والمعنى في التورية أن يذكر لفظ في معنى، ويراد به معنى آخر. وتقديرذلك هنا أنّ القوى في المخلوقات قوي الإدراك. وقوى التصرّف في الأعمال البدنيّة مخلوقة على جهة التوريّة. والمراد: ما وراءها من الصفات الإلهيّة والأسماء الربّانيّة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢١] وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١].

٥٤١- وَأَسْمَاءُ ذَاتِي عَنْ صِفَاتِ جَوَانِحِي جَـوَازاً لأَسْرَارٍ بِهَـا الـرُّوْحُ سُرَّتِ

٥٤٢- رُمُوْزُ كُنُوْزٍ عَنْ مَعَانِي إِشَارَةٍ بِمَكْنُوْنِ مَا تُخْفِي السَرَائِرُ حُفَّتِ

(وأسماء): جمع اسم، وهو ما ينشأ عن الصفة، كالقدرة ينشأ عنها الاسم القادر. وقوله (ذاتي): أي ما تسمّت به الذات. وقوله (عن صفات جمع): صفة متعلّق بواجب الحذف، خبر للمبتدأ، وهو أسماء. وقوله (جوانحي): جمع جانحة، قال في الصحاح: «الجَوانح: الأضلاع التي تحت الترائب، وهو مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر. الواحدة: جانحة». يعني: كلّ اسم من أسماء الذات ظاهر عن صفة من صفاتها، متفرّع عليها. وقوله (جوازاً): منصوب على التمييز من انتشاء الأسماء عن الصفات. يعني: إنّ ذلك غير لازم؛ بل هو جائز أنْ يعتبر على تقدير أنّه غير ممتنع، يقال: جَوَّزَ له ما صنع، وأَجَازَهُ له، أي: سوّغ له ذلك. وقد يكون من جُزت الموضع أَجُوزه جوازاً: سَلَكْتُهُ وسِرْتُ فيه، كذا في الصحاح. وقوله (لأسرار): جمع سرّ، وهو الأمر الخف. يعني: لأجل أمور خفيّة لا تكاد تدرك إلّا بمعونة إلهيّة. وقوله (بها): أي بتلك الأسرار، وهو متعلّق بـ سُرَّت، قُدِّم عليه للحصر. وقوله (الروح): أي الإنسانيّ المنفوخ عن أمر الله تعالى. وقوله

(سُرَّتِ): بالبناء للمفعول، وكسر التاء للقافية، أي: صارت مسرورة، من السرور، قال في الصحاح: السُرُورُ خلاف الحُزْنِ، تقول: سَرَّنِي فلان مَسَرَّةً، وسُرَّ هُوَ على ما لم يُسَمَّ فاعله، فهو مَسْرُورٌ». وقوله (رموز): أي هي رموز، يعني: أسماء الذات. والرموز جمع رمز، وهو الإشارة والإيماء بالشفتين والحاجب، كذا في الصحاح. يعني: إنّ الأسماء إشارات وإيماءات من جهة الذات ناشئتان عن الصفات. وقوله (كنوز): مضاف إليه، جمع كنز، وهو المال المدفون. وقد كَنَزْتُهُ أَكْنُزُهُ، كما في الصحاح. وهذه الإضافة على معنى إليّ، أي: رموز إليّ كنوز أسرار مخبوءة، وأمور لا تظهر إلّا لأهلها. وقوله (عن معاني) أي صادرة عن معاني. جمع معنى، وهو ما يُعنى/ [٢٣٧/ ب] أي: يُقصد. وقوله (إشارة): من أَشار إليه باليد: أومأ. وهي الإعلام والتفهيم من حضرة الغيب المطلق. وقوله (بمكنون): متعلّق بـ (حَفَّتِ). والمكنون: المخفي، قال في الصحاح: الكِنُ السُتْرَة. وكَنَنْتُ الشيءَ: سَتَرْتُهُ وصُنتُهُ عن الشمس. وأَكْنَنْتُهُ في نفسي أسررته، يقال: كَنَنْتُ العلم وأَكْنَنْتُهُ فهو مَكْنُون. وقوله (ما تخفي السرائر): جمع سريرة، وهي السِرّ. كناية عن القلب. و(حُفَّت) بضمّ الحاء المهملة وتشديد الفاء وكسر التاء للقافية. يقال: حَفُّوا حوله يَحُفُّون حَفّاً، أي: أطافوا به واستداروا، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٧٥] وحَفَّهُ بالشيء يَحُفُّه كما يُحَفُّ الهودج بالثياب، كذا في الصحاح. وجملة (حُفَّتِ): نعت لإشارة محفوفة بالأسرار الإلهيّة التي تخفيها القلوب العرفانيّة، والأفئدة الإحسانيّة.

٥٤٣- وَآثَارُهَا فِي العَالَمِيْنَ بِعِلْمِهَا وَعَنْهَا بِهَا الأَكْوَانُ غَيْرُ غَنِيَّةِ

٥٤٤- وُجُودُ اقْتِنَا ذِكْرٍ بِأَيْدِ تَحَكُّمٍ شُهُوْدُ اجْتِنَا شُكْرٍ بِأَيْدٍ عَمِيْمَةِ

(وآثارها) جمع أثر. والضمير للصفات والأسماء المذكورة قبله. وقوله (في العالَمين): جمع عَالَم، بفتح اللام: اسم لما سوى الله تعالى من الأكوان. والجمع باعتبار اختلاف الأجناس والأنواع. والمعنى: في العالَمين المقدّرين في الأزل،

وآثارها فيهم إيجادها لهم بتكوينها لهم، بتكوينها لأعيانهم الثابتة في العدم على طبق ما هم ثابتون فيه، غير منفيين. وقوله (**بعلمها**): أي العلم القديم المضاف إلى تلك الصفات والأسماء، الذي هو صفة من جملتها. واسم من بعضها على تقدير أنّ ذلك طبق علمها، قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [٤/ النساء/ ١٦٦] وقوله (**وعنها**): متعلّق بغَنيَّة، والضمير للصفات والأسماء. وقوله (**بها**): أي بالصفات والأسماء أيضاً. وقوله (**الأكوان**): أي المخلوقات جميعها. وقوله (**غير غَنيَّةٍ**): أي مستغنيّة. يعني: إنّ جميع الكائنات ليست بمستغنية عن تلك الأسماء والصفات ولا طرفة عين، ولا استغناء حاصلاً بها؛ فإنّ الاستغناء يحتاج فيها أيضاً إلى الأسماء والصفات؛ لأنّه حال من أحوالها إنْ كان ثابتاً لها وإن كان مسلوباً عنها. وإيضاح ذلك: إنّ جميع الأكوان مفتقرة إلى تلك الصفات والأسماء افتقاراً ذاتيّاً ليست بمستغنية عنها من نفسها، ولا من استغناء حاصلها لها منها. وقوله (**وجود**): خبر المبتدأ الذي هو آثارها، يعني: آثار تلك الصفات والأسماء إفاضة وجود. بمعنى توجّهه من قوله تعالى: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] فالإشراق للأرض، والنور لربّها. كما أنّ الظهور بالوجود للأكوان، والوجود للحقّ تعالى. والأكوان على ما هي عليه لم تتغيّرعن عدمها الأصلي، فلا يتصوّر عند العارف المحقّق توهّم الحلول من قوله (تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] مع قوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١] ولا يتوهّم اتّحاد، ولا حلول، ولا انحلال في قوله تعالى عن نار موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [٢٠/ طه/ ١١-١٤] الآية. فإنّ الأوهام الفاسدة لا تعتري من يعرف الله أصلاً؛ وإنّما هي وساوس في نفوس الغافلين المحجوبين. وقوله (**اقتنا**): بقصر الممدود لضرورة الوزن، أي اكتساب. وقال في الصحاح: «اقتناء المال وغيره اتّخاذه».

والمعنى بالاقتناء هنا: الإحتواء والمداومة. وقوله (ذِكْرِ): مضاف إليه، وهو الذِكْر القديم، ذكر الحقّ تعالى للكائنات التي في علمه الأزليّ على الترتيب، والتقديم، والتأخير الذي عليه الكائنات الثابتة في حضرة العلم الإلهيّ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩] وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٤٥] وتنكيره هنا للتعظيم. وقوله (بأيدي): جمع يدّ، قال في / [٢٣٨/ أ] في القاموس: «اليد: الجاه، والوَقار، والقوّة، والقُدرة، والسلطان، والملك». وكلّها مناسبة هنا. وقوله (تحكّم): مضاف إليه، يقال: تَحَكَّمَ في الأمر: جَازَ فيه حُكْمُهُ، كذا في القاموس. فالتحكّم بمعنى القهر والاستيلاء والغلبة من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٨]. وقوله (شهود): أي مشاهده من قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٢٤/ سبأ/ ٤٧]. وقوله (اجتنا): بالقصر مصدر، يقال: جَنَيْتُ الثمرةَ أَجْنِيْهَا جَنْياً، واجْتَنَيْتُهَا بمعنىً. كذا في الصحاح. وأصلها الاقتطاف. والمعنى: هنا التناول والتحصيل. وقوله (شكر): مضاف إليه، وهو مقابلة المنعم بالثناء عليه، والطاعة له من قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٥٦] أي: ليشكروني بعبادتي من غير طلب جزاء منّي عليها، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [٢٤/ سبأ/ ١٣]. وقوله (بأيد): أي بسبب إسداء. أيد: جمع يد، قال في الصحاح: «اليد النِعْمَة والإحسان تصطنعه، وتجمع على أَيْد، قال الشاعر:

تكنّ لك في قومي يد يشكرونها وأيدي الندا في الصالحين قروض

وقوله (عميمة): نعت لأيد، أي: نعم عامّة شاملة لكلّ شيء. ومن جملة النعم الرحمة؛ بل من أجلّها وأشملها، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٦].

٥٤٥- مَظَاهِرُ لِي فِيْهَا بَدَوْتُ وَلَمْ أَكُنْ عَلَيَّ بِخَافٍ قَبْلَ مَوْطِنِ بَرْزَةِ

(مظاهر): أي تلك الآثار التي هي الأكوان، جمع مظهر، اسم موضع الظهور، من ظهر ظهوراً: تَبَيَّنَ. وقوله (لي): أي من حيث الذات بمحض الوجود، ومن

حيث الصفات والأسماء باختلاف الأعيان والأكوان، والتقليب والترتيب، وغير ذلك من الأحوال، وتصرّفات الأفعال. وقوله (**فيها**): أي في تلك المظاهر. والجار والمجرور متعلّق ببدوت، قدّم عليه للحصر، أي: لا بَدْوَ لنا في غيرها. وقوله (**بدوت**): من بَدَا الأمرُ بُدُوّاً، مِثْل قَعَد قُعُوداً، أي: ظهر، كذا في الصحاح. وقوله (**ولم أكن عليّ**): بتشديد الياء، أي: على نفسي، متعلّق بخافٍ. والمعنى: لم أكن مختفياً على نفسي. وقوله (**قبل**): ظرف لِخافٍ. وقوله (**موطن برزة**) من بَرَزَ: ظَهَرَ بعد الخفاء، كذا في القاموس. ومعنى ذلك: إنّ مظاهري التي أظهر بها من حيث ذاتي وصفاتي وأسمائي، هي جميع الأكوان. وهذا الظهور ليس عن خفاء عنّي سابق على ذلك؛ بل خفاء الكائنات، وظهورها سواء بالنسبة إليه تعالى، وهي كلّها على حالة واحدة، لا تتغيّر عنها، ظاهرة له تعالى أزلاً وأبداً، ثبوت بلا وجود، وفروض وتقادير ذات ترتيب وحدود. وأمّا الظهور والخفاء فهو بالنسبة إلى الكائنات بعضها لبعض؛ وذلك لأنّ وجود الكائنات عندها مجرّد إضافة: إمّا بإضافتها إلى الوجود الحقّ، أو بإضافة الوجود الحقّ إليها. والإضافة توهّم لا تحقّق. ويستحيل على الحقّ تعالى التوهّم بالإضافة المذكورة.

٥٤٦- فَلَفْظٌ وَكُلِّي بِي لِسَانٌ مُحَدِّثٌ وَلَحْظٌ وَكُلِّي فِيَّ عَيْنٌ لِعِبْرَةِ

٥٤٧- وَسَمْعٌ وَكُلِّي بِالنَّدَى أَسْمَعُ النِّدَا وَكُلِّيَ فِي رَدِّ الرَّدَى يَدُ قُوَّةِ

(**فلفظ**)[1] الفاء للتفريع على قوله (**وآثارها**): في البيت السابق. أي: من تلك الآثار لفظ، وهو صوت مشتمل على الحروف لإفادة معنى من المعاني. وقوله (**وكلّي**): الواو للحال، أي: جميعي؛ روحاً، ونفساً، وجسداً. وقوله (**بي**): أي بسبب وجودي الحقيقي القيوم على الكلّ . وقوله (**لسان**): تظهر عنه المعاني كما

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه». انتهى. والملحوظ هنا: إن الناسخ قد قلل من عدد الصفحات في كتابة مثل هذه الحاشية بين الملاحظة والأخرى.

تظهر الألفاظ عن اللسان.

وقوله (مُحَدِّث): بصيغة اسم الفاعل، صفة لسان، وحديثه لأولى البصائر، وأصحاب السرائر. وقوله (ولُحظٌ): معطوف على لَفْظ. واللحظ مصدر لَحَظْتُهُ بالعين، ولَحَظْتُ إليه لَحَظاً، من باب نفع: رَاقَبْتُهُ. ويقال: نظرت إليه بمؤخّر العين عن يمين وشمال، وهو أشدّ التفاتاً من الشَزْر، كذا في المصباح. يعني: من جملة تلك/ [٢٣٨/ ب] الأثار لَحَظٌ. وقوله (وكلِّي): الواو للحال أيضاً، أي: والحال أنّ جميعي ظاهراً وباطناً. وقوله (فِيّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: كائن ذلك الكلّ في حقيقة الوجوديّة، أي: مندرج في علمها، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٦]. وقوله (عين): أي بصيرة باصرة مدركة. وقوله (لِعِبْرَةٍ) بكسر العين المهملة، قال في المصباح: «الاعْتِبار بمعنى الاتِّعاظ، نحو قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [٥٩/ الحشر/ ٢]. والعِبْرَة اسم منه، قال الخليل: العِبْرَة والاعتبار هما بمعنىً، أي: الاتّعاظ والتَذَكُّر. وجمع العِبْرَة عِبَر، مثل سِدْرَة وَسِدَر. وتكون العِبْرَة والاعْتِبار بمعنى: الاعتداد بالشيء في ترتُّب الحكم نحو: والعِبْرَة بالعَقِب، أي: والاعتداد في التقدم بالعَقِب ـ يعني في الاقتداء بالإمام ـ ومنه قول بعضهم: ولا عِبْرَة بِعَبْرَةِ مُسْتَعْبِرٍ ما لم تكن عَبْرَة مُعْتَبِر». وقوله (وسمع): معطوف على لفظ. والسمع مصدر سَمِعْتُه وسَمِعْتُ لَه سَمْعَاً. واسْتَمَع: لِمَا كان بقصد؛ لأنّه لا يكون إلّا بالإصغاء، وسَمِعَ يكون بقصد وبدونه. يعني: من تلك الآثار السمع أيضاً. وقوله (وكلِّي): الواو للحال أيضاً. وكلّي بمعنى جميعي. وقوله (بالندى): أي بسبب العطاء من الكريم الوهّاب. قال في المصباح: «النَّدَى مقصور، في الأصل المطر، ثمّ أُطلق لمعانٍ: يقال أصابه ندىً من طَلٍّ ومن عَرَقٍ، وندى الخير، وندى الشرّ، وندى الصوت. والندى: ما أصاب من بلل، وبعضهم يقول: ما سقطَ آخرَ الليلِ ندى، وأمّا الذي يسقط أوّله فهو السَدَى. ويقال: هو أَنْدَى من فلان، أي: أكثر فضلاً وخيراً». وقال: في الصحاح : «نَدَوْتُ من الجود،

ورجل نَدٍ، أي: جواد. وفلان أَنْدَى من فلان: إذا كان أكثر خيراً منه. وفلان يَتَنَدَّى على أصحابه، أي يَتَسَخَّى، ولا تقل يُنَدِّى على أصحابه. وقوله **(أسمع النِدا)**: بكسر النون، قال في الصحاح: «النِداء: الصوت. وقد يضم، مثل: الدُّعاء، والرُّغاء. وناداه مُناداة ونِداء: أي صاح به». وقال في المصباح: «النِداء: لدُعاء، وكسر النون أكثر من ضمّها، والمدّ فيهما أكثر من القصر. وناديْتُه مُناداة ونِداء، من باب قاتل: إذا دعوته». والمراد هنا النداء من قبل الحقّ تعالى على ألسنة الملائكة والنبيين عليهم السلام في دعاء المكلّفين بالأحكام الشرعيّة أمراً ونهياً، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [٣/ آل عمران/ ١٩٣] قال البيضاوي: «في تنكير المنادي وإطلاقه ثمّ تقييده تعظيماً لشأنه. والمراد به الرسول صلّى الله عليه وسلّم. وقيل القرآن. وقوله **(وكلِّي)**: أي جميعي ظاهراً وباطناً أيضاً. وقوله **(في ردّ)**: أي دفع وإرجاع، قال في المصباح: «رَدَدْتُ الشيءَ رَدّاً: أرجعته فهو مَرْدُود». وقال في الصحاح: «رَدَّهُ عن وجهه يَرُدُّهُ رَدّاً ومَرَدّاً: صرفه» ، قال تعالى: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [١٣/ الرعد/ ١١]. وقوله **(الرَّدَى)**: أي الهلاك. قال في الصحاح: «رَدِيَ بالكسر يَرْدَى رَدًى، أي: هَلَكَ، وأَرْدَاهُ غيرُه، ورجل رَدٍ للمهالك، وامرأةٌ رَدِيَةٌ، على فَعِلَةٍ». والمعنى في صرف الهلاك، ودفعه هلاكاً دنيويّاً أو أخرويّاً عنه، أوعن غيره. وقوله **(يد قوّة)**: أي يد هي قوّة. خبر المبتدأ الذي هو كلِّي. أي: جميعي قدرة وقوّة أدفع بها جميع المؤذيات عنِّي وعن غيري، قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] وقد أشار إلى ذلك العارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه بقوله من أبيات:

ولولا انخرام الكلّ بالقوّة التي ... لإطلاقها في جمعهن قيود

لما عدم الموجود يوماً ولا انقضت ... رسوم بأنواع البلا وحدود

ولكنّها يأبى النهايةَ وضعُها ... فليس لها في الدور قطّ جمود

ولــو وقفــت يومــاً تجــددها لنــا   به عدم هيهات وهي وجود/ [٢٣٩/ أ]

٥٤٨- مَعَانِي صِفَاتٍ مَا وَرَا اللَّبْسِ أُثْبِتَتْ   وَأَسْمَاءُ ذَاتٍ مَا رَوَى الحِسُّ بَثَّتِ

(معاني): جمع معنى. خبر مبتدأ محذوف تقديره هي. يعني اللفظ، واللحظ، والسمع، ويد القوّة المذكورات. وقوله (صفات): مضاف إليه، جمع صفة. وتنكيرها للتعظيم. وهي صفات الحقّ تعالى، والآثار المذكورة معانيها المقصودة لها؛ فهي قائمة بها قيام المعاني بمن يعنيها، قال في الصحاح: «عَنِيْتُ بالقول كذا: أَرَدْتُ». ومعنى الكلام ومَعْنَاتُه واحد، تقول: عرفت ذلك في معنى كلامه. وقوله (ما ورا) بالقصر. وأصله المدّ، قال في الصحاح: «وراء بمعنى خلف. وقد يكون بمعنى قدّام، وهي من الأضداد قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [١٨/ الكهف/ ٧٩]، أي: أمامهم. والمراد هنا الأوّل. وقوله (ما): زائدة. و(ورا اللَّبْسِ):صفة للصفات. و(اللَّبْس) بالفتح: مصدر قولك لَبَسْتُ عليه الأمر أَلْبِسُ: خَلَطْتُ، من قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩]. واللَّبْس أيضاً اختلاط الظلام. وفي الحديث: «لُبْسة » بالضمّ، أي: شبهة، ليس بواضح. والْتَبَس عليه الأمر، أي: اختلط واشتبه، كذا في الصحاح. والمعنى: أنّ تلك الصفات خلف أستار الكائنات الملبسة على القلوب الغافلة عن معرفة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وقوله (أُثْبِتَتْ) بالبناء للمفعول، أي أثبتها الحقّ تعالى. والضمير المستتر للمعاني، ويصحّ أن كون أَثْبَتَتْ مبنياً للفاعل. و(ما): مفعول أثبتت مقدّماً عليه، والذي وراء اللبس، أي: قدّامه هي الكائنات. والإثبات ضدّ النفي. ولم يقل أوجدت؛ لأنّ الوجود ليس للكائنات، وإنّما لها الثبوت ضدّ النفي، فهي ثابتة بإثبات الله تعالى لها، وليست بموجودة، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] فالذين آمنوا قائمون في الحياة الدنيا وفي الآخرة بإثبات الله تعالى لهم، والوجود له تعالى لا لهم، والظالمون لأنفسهم ولربّهم بعدم المعرفة في دعوى الوجود، ضالّون متحيِّرون، يرون إيجاداً وإعداماً، ولا يعرفون أنّ الوجود لا يصير عدماً، والعدم لا يصير وجوداً، والحقائق لا تنقلب أصلاً، والله فعّال لما يشاء. وقوله (**وأسماء**): جمع اسم، وهو مظهر الصفة، معطوف على صفات، بتقدير معاني، أي: ومعاني أسمائي. يعني: تلك الآثار المذكورة معاني أسماء إلهيّة. وقوله (**ذات**): مضاف إليه. والتنكير للتعظيم، وهي ذات الحقّ تعالى. وقوله (ما): موصولة، أو نكرة موصوفة بقوله (**رَوَى**): أي نقل (**الحسّ**): أي الإدراك بالحواس الخمس السمع والبصر والذوق والشمّ واللمس. وقوله (**بَثَّتِ**): بتشديد الثاء المثلّثة وكسر التاء للقافية. يعني بثت ما رواه ونقله الإدراك الحسِّي للمُدرَك العقلي من أنواع المحسوسات؛ لأن تلك الذات قائمة بأسمائها الحسنى على كلّ نفس بما كسبت.

٥٤٩- فَتَصْرِيفَهَا مِنْ حَافِظِ العَهْدِ أَوَّلاً بِنَفْسٍ عَلَيْهَا بِالوَلَاءِ حَفِيْظَةِ

(**فتصريفها**): أي تلك المعاني القائمة بالصفات الإلهيّة، والأسماء الحسنى الربّانيّة الثابتة بها من غير وجود ولا نفي. ومعنى تصريفها تقديم ما هو مقدّم منها، وتأخير ما هو مؤخر، وتركيب ما هومركّب وإفراد ما هو مفرد، وجمع ما هو مجموع، وتفريق ما هو مفرّق إلى غير ذلك من أحوال الكائنات إلى الأبد دنيا وآخرة. وقوله (من **حافظ العهد**): خبر تصريفها. وحافظ العهد: كناية عن الحقّ تعالى من قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ وهو عهد الربوبيّة المأخوذ على الذريّة الآدميّة قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] الآية. وقوله (**أوّلاً**) منصوب على الظرفية مقطوع عن الإضافة، أي: في ابتداء ظهور كلّ ذرّة من الذريّة/ [٢٣٩/ ب] واستناد تصريف تلك الأحوال كلّها حاصل من الحقّ

تعالى للذريّة الآدميّة بالأصالة، و لغيرها من سائر الكائنات بالتبعيّة للذريّة المذكورة؛ لأنّ الجميع خُلق لأجلها كما ورد: «يابن آدم خلقت الأشياء كلّها من أجلك، وخلقتك من أجلي؛ فلا تشتغل بما خُلق من أجلك عمّن خُلقت من أجله»[1]. وقوله (بنفسٍ): أي بملابسة نفس، ومصاحبتها كالباء في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٣٢] أي: بملابسته ومصاحبته، لا بالاستعانة به. وتنكير النفس للتعظيم، وهي نفس الإنسان الكامل من رسول، أو نبي، أو وليّ، فإنّ لهم التصرّف في العوالم بتصريف الله تعالى، كما يتصرّف الماء المنزل من السماء في تنمية الزروع، وإخراج الثمرات بحسب الظاهر. وقوله (عليها): أي على تلك المعاني والآثار المذكورة. والجار والمجرور متعلّق بحفيظة. وقوله (بالولاء): أي مقام الولاية، وهي تقليد المنصب والإقامة على التصريف بالخير في الغير. وفي نسخة الوفاء، وهو يناسب العهد. والوفاء ضدّ الغدر، قال في القاموس: وَفَّى بالعهد، كوَعَى، وَفَاءً: ضِدّ غَدَرَ، كأَوفى. وقوله (حفيظة): وصف لنفس، من الحِفْظ ، وهو الحراسة. يقال: حَفْظتُ الشيءَ حِفْظاً، أي: حَرَسْتُهُ ولم أُضِيعه.

٥٥٠- شَــوَادِي مُبَاهَــاةٍ هَــوَادِي تَنَبُّــهٍ   بِــوَادِي فُكَاهَــاتٍ غَــوَادِي زَجِيَّــةٍ[2]

(شوادي): جمع شادٍ، قال في الصحاح: «الشادي الذي يَشْدُو شيئاً من الأدب، أي: يأخذ طَرَفاً منه. وشَدَوْتَ: إذا أَنْشَدْتُ بيتاً أو بيتاً أوبيتين تمدّ به صوتك كالغناء. ويقال للمغنِّي الشادي. وقد شَدا شعراً أو غناء: إذا غنى به أو ترنّم به». وشوادي خبر مبتدأ محذوف، تقديره هي. أي: تلك المعاني التي عنتها، أي: قصدتها الصفات والأسماء، وهي جميع الكائنات. (سوادي): أي ذوات كلام موزون من قوله تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [١٥/الحجر/ ١٩] تترنّم

(١) انظر تخريجه ص/ ٢٩٢.

(٢) في (ق): رجيّة.

بنفسها الاشياء تسبيحاً لخالقها من قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٤٤]. وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢١] فالأشياء تغني بالنطق، بالتسبيح على طريقة الوزن والإيقاع، ولكن الصم لا يسمعون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٢]. وقوله **(مباهاة)**: مضاف إليه، والمباهاة: المفاخرة، وتباهَوْا أي: تفاخروا، كذا في الصحاح. يعني: إنّ تسبيح الأشياء لله تعالى على وجه المباهاة والمفاخرة بإتقانها وإحكامها على أحسن ما يكون، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣-٤]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٩٥/ التين/ ٤] وفي الحديث: «إنّ الله كتب الحسن على كلّ شيء»[1] وهذا معنى المباهاة. وقوله **(هوادي)**: جمع هادي، من الهدى، وهو الرَّشاد والدلالة على الحقّ. وقوله **(تَنبُّهٍ)**: مضاف إليه، وهو مصدر نَبَّهْتُهُ على الشيء أَوقَفْتُهُ عليه فتَنَبَّهَ هو عليه، كذا في الصحاح. يعنى: إنّ الأشياء تهدي إلى الحقّ بالتنبيه عليه لمن كشف الله تعالى له عنها فعرفها، وتحقّق بقيامها به تعالى، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [٨٨/ الغاشية/ ١٧] إلى غير ذلك. فأحال تعالى عباده على النظر في مصنوعاته؛ لأنّها تهدي إليه تعالى، وإلى الانتباه من نوم الغفلة عنه سبحانه. وقوله **(بوادي)**: جمع بادٍ، من بَدَا الأمر بُدُوّاً، مثل قَعَدَ قُعُوْداً، أي: ظَهَرَ. وأَبْدَيْتُهُ، أي: أظهرته. وقال تعالى: ﴿هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [١١/ هود/ ٢٧] أي في ظاهر الرأي. ومن همزه جعله من بدأت، معناه: أوّل الرأي، كذا في الصحاح. وقوله **(فُكاهات)**: جمع فَكَاهَة، بالفتح، مصدر فَكِهَ الرجل بالكسر فهو فَكِهٌ، إذا كان طيب النفس

(١) انظر تخريجه ص٥٥٦.

مَزَّاحاً. والمُفَاكَهَةُ: المُمَازَحَةُ، وتَفَكَّهْتُ بالشيء تَمَتَّعْتُ به كما /[٢٤٠/أ] في الصحاح، يعني: إنّ الأشياء أيضاً ظواهر ما بطن في الجنّة من أنواع النعيم؛ ففي الدنيا من كلّ شيء عنوانه وأنموذجه. وقوله (غَوَادِي): جمع غَادِية، وهي سحابة تنشأ صباحاً، كما في الصحاح. وقوله (زجيّةٍ): بالزاي والجيم، من زَجَّيْتُ الشيءَ تَزْجِيَةً: إذا دَفَعْتَهُ برفق. وأَزْجَيْتُ الإبل: سُقْتُها، والريح تُزْجِي السحاب، كما في الصحاح. يعني: إنّ الأشياء سحب مسوقة، تنبعث عن توجيهات الأسماء الإلهيّة، والصفات الربّانيّة، فتغطّي عين شمس الحقيقة الوجوديّة، تسوقها القدرة الرحمانيّة، فتمطر علوم المعارف الغيبيّة، والحقائق الصمدانيّة.

٥٥١- وَتَوْقِيفُهَا مِنْ مُوْثِقِ العَهْدِ آخِراً ... بِنِفْسٍ عَلَى عِزِّ الإبَاءِ أَبِيَّةِ

[توقيفها] أي: توقيف تلك المعاني المذكورة، أي: اطّلاع العقل والحسّ عليها، يقال: وقَّفْتُهُ على ذنبه، أي: أطلعته عليه، كذا في الصحاح. وقوله (من مُوْثِق) بكسر الثاء المثلّثة اسم فاعل، أوبفتحها اسم مفعول من أوثقت العهد: أكدّته. وقوله (العهد): مضاف إليه. أي: عهد النبوّة والرسالة. وقوله (آخراً): منصوب على الظرفية، وهو آخِر الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ الله تعالى خلق الأشياء كلّها، وأظهرها من نوره المخلوق الأوّل، كما ورد في الحديث. وإليه الإشارة بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨] الآية. وقوله (بنفس): متعلّق بتوفيقها، وهو نفسه صلّى الله عليه وسلّم بمعنى حقيقته النوريّة التي هي من نور الله تعالى. وقوله (على عزّ الإباء): صفة لنفس، أي: مستولية على عزّ الإباء، أي: الامتناع عن رذائل الأخلاق، قال تعالى له صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٦٨/ القلم/ ٤] وقوله (أبيّة): نعت أيضاً. والنفس الأَبِيّة: الممتنعة عمّا ينقصها لكمال شرفها، وفي القاموس: «والأُبِيَّة بالضمّ: الكِبْر والعَظَمَة». أي: ذات كِبْر وعَظَمَة.

٥٥٢- جَـوَاهِرُ أَنْبَـاءٍ زَوَاهِـرُ وُصْـلَةٍ طَـوَاهِرُ أَبْنَـاءٍ[1] قَـوَاهِرُ صَـوْلَةِ

(جواهر): جمع جوهر، وهو كلّ حجر يُستخرج منه شيء ينتفع به، ومن الشيء: ما وضعت عليه جِبِلَّتُهُ، كذا في القاموس. يعني: هي جواهر، أي: المعاني المذكورة. كناية عن الأشياء كلّها معاني الصفات والأسماء الإلهيّة. أي: مقاصدها المعنيّة بها. وقوله (أنباء): أي: أخبار. جمع نبأ، بمعنى خبر، أي: هي أخبار عن الغيب المطلق تشبه الجواهر المعدنيّة، لاستخراج المنافع منها. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩]. أي: عن الدنيا؛ فإنّها خمر لأهلها. ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾: أي القمار، إشارة إلى الآخرة، فإنّ فيها يقمر بعضهم حسنات بعض. ثمّ قال تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩]؛ فالإثم الكبير لما في الدنيا من الفتن في الدين والأموال، ومنافع الناس في الآخرة ظاهرة. ثمّ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩] يعني: إذا تركوا الدنيا والآخرة، وتعلّقوا بجناب الغيب المطلق الذي يُدرك ولا يُترك. ويسألونك عن إنفاق شيء من جنسهم يتصرّفون فيه، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩]، أي: المحو والفناء والاندراس، قال في الصحاح: «عَفَتِ الريحُ المنزل: أَدْرَسَتْهُ، وعَفَا المنزل يَعْفُو: دَرَسَ، يتعدّى ولا يتعدّى. وتَعَفَّتِ الدار: دَرَسَتْ. وعَفَّتْهَا الريح: شُدِّد للمبالغة، ثمّ قال تعالى في بيان الإشارة الآية على حسب ما ذكرنا: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩] أي: لتتفكّروا في الدنيا والآخرة؛ فجعل الإشارة تفكّروا من العبد على وجه الاتّعاظ والاعتبار، لا المعنى المسوق إليه الكلام. وأولياء الله تعالى هم أهل الاتّعاظ والاعتبار بآيات الله تعالى، فيفهمون منها ما لا يفهمه غيرهم، ومعاني الآيات بحسب الظاهرعلى ما هي عليه عندهم كما هي عند علماء/ [٢٤٠/ ب] الظاهر، وبهذا ترقّوا عليهم، وخُصّوا

(١) في (ق): ظَوَاهِرُ إِنْبَاءٍ.

بالفهم في القرآن ما لا يفهمه غيرهم، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٩]. وقوله (**زواهر**): جمع زاهر، من زَهَرَ السراجُ والقمر والوجه، كمنع، زُهُوراً: تَلَألَأَ، كازْدَهَرَ، و ـ النار أضاءت، كذا في القاموس. وقوله (**وصلة**): أي اتّصال وذريعة، وكلّ شيء اتّصل بشيء فما بينهما وُصْلَة. يعني: إنّ الاشياء اتّصالات وذرائع ووسائل للتحقيق بمعرفة الحقّ تعالى، كما قال الشاعر:

إنّ آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

فهي آثار زواهر ودلالات بواهر

وقوله (**طواهر**): جمع طاهر. وقوله (أبناء): جمع ابن. يعني: إنّ الأشياء أبناء بعضها لبعض، فالأرواح أبناء الروح الأعظم الذي هو أوّل مخلوق. واللوح المحفوظ ابن القلم الأعلى. وما في اللوح أبناء اللوح. والعناصر الأربعة أبناء الطبائع الأربعة، والطبائع أبناء الطبيعة الكليّة، والمولدات أبناء بعضها لبعض. وهكذا الخواطر أبناء القوى الخياليّة، والمعاني أبناء العقول. وقوله (**قواهر**): جمع قاهر. وقوله (**صَوْلَةِ**): مصدر صَالَ، قال في الصحاح: «صَالَ عليه: إذا اسْتَطَالَ. وصَالَ عليه: وَثَبَ، صَوْلاً وصَوْلَة. يعني: إنّ كلّ شيء من الأشياء له قهر وصَوْلَة على ما دونه من الأشياء، كقهر الأرواح للأجسام، وصولتها عليها، وقهر النفوس الحيوانيّة والإنسانيّة بعضها لبعض، وصولتها عليها استعلاء وضع إلهيّ.

٥٥٣- وَتَعْرِيْفُهَا مِنْ قَاصِدِ الحَزْمِ ظَاهِراً سَجِيَّةُ نَفْسٍ بِالْوُجُودِ سَخِيَّةِ

(**وتعريفها**): أي تعريف المعاني المذكورة، معاني الأسماء والصفات، أي: إعلام الغير بها. قال في الصحاح: التعريف الأعلام، فإنّ معرفة الأشياء على ما هي عليه، وتعريفها للغير على ما ينبغي لا يكون ذلك إلّا ممن ذكر. وقوله (**من قاصد الحزم**): قال في القاموس: «الحَزْمُ ضَبْطُ الأمور، والأَخْذُ بالثقة. حَزُمَ ككَرُمَ، فهو

حَازِم وَحَزِيم». وكنّى بقاصد الحزم عن العارف الكامل؛ فإنّه يشرح تلك المعاني المذكورة، ويعرف حقائقها لمن لم يعرفها. وقوله (**ظاهراً**): أي في ظاهر أحواله، فإنّ قصد الحزم من العارف الكامل إنّما هو بحسب ما يظهر للناس. وفي نفس الأمر لا قصد له؛ لا لحزم ولا لغيره؛ لاستيلاء الحقيقة الربّانيّة عليه في ظاهره وفي باطنه، وإليه أشار بقوله (**سجيّة**): بالسين المهملة والجيم. قال في الصحاح: «السَجِيَّةُ: الخُلُقُ والطَبيعة». وقوله (نفس): مضاف إليه. يعني: إنّ ذلك لا تكلّف له به، وإنّه طبيعة نفسانيّة بحسب ظاهر القضيّة. وإنّما ذلك وجود رحماني، وظهور ربّانيّ. وقوله (**بالوجود**): متعلّق بسجيّة. وقوله (**سخيّة**): نعت لنفس بصيغة اسم الفاعل، من سَخَا يَسْخُو، أو سَخِيَ يَسْخَى والسَخَاوَةُ والسَخَاءُ: الجود، كذا في الصحاح. يعني: إنّ تلك النفس حادث بوجودها الذي كانت تدّعيه في حالة غفلتها عن ربّها الحقّ الذي هو معها أينما كانت، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] لأنّه تعالى هو وجودها الحقّ الذي هي موجودة به عندها. كما أنّ كلّ شيء موجود به عند نفسه، لا بنفسه؛ فالوجود الحقّ له تعالى وحده، وكلّ ما سواه فانٍ في وجوده الحقّ عدم صرف. فمن خرج عن وجوده إنّما خرج في نفس الأمر عن دعوى وجود الحقّ تعالى، لا عن وجود مستفاد له من وجود الحقّ تعالى؛ لأنّه تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولا عن وجود خرج من العدم؛ لأنّه من المحال أنّ يخرج الضدّ من ضدّه. والقدرة لا تتعلّق بالمجال الذاتي. وقد استوفينا هذا البحث في كتاب: «الوجود الحقّ بما له استحقّ».

٥٥٤- مَثَانِي مُنَاجَاةٍ مَعَانِي نَبَاهَةٍ مَغَانِي مُحَاجَاةٍ مَبَانِي قَضِيَّةِ

/ [٢٤١/ أ] (**مثاني**): أي هي مثاني المعاني المذكورة، معاني الأسماء والصفات، كناية عن جميع الأكوان. والمثاني هي مثنى بمعنى اثنين اثنين، قال في الصحاح: «يقال جاؤوا مثنى مثنى، أي: اثنين اثنين. والمثاني من القرآن ما كان أقل من المئتين. وتسمّى فاتحة الكتاب مثاني، لأنّها تُثَنَّى في كلّ ركعة. ويسمّى جميع القرآن

مثاني أيضاً؛ لاقتران آية الرحمة بآية العذاب» انتهى. وذكروا أيضاً غير ذلك في التسمية، وهنا جميع الأكوان مثاني؛ لأنّها مظاهر الكلمات الإلهيّة، والآيات القرآنيّة، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣] وقال: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [٧٨/ النبأ/ ٨]. وأضاف ذلك إلى قوله (مناجاة): نَاجَاه مُنَاجَاة ونِجَاء سَارَّه. وانْتَجَاه: خَصَّه بمناجاته. والنَّجْوَى السرّ، كذا في القاموس. يعني: إنّ الأكوان جميعها مناجاة ومسارّة بينه تعالى وبين العارفين به سبحانه من أنبيائه وأوليائه، متكرر ذلك لهم منه عزّ وجلّ فيستفيدون العلوم الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة من سماع ذلك، وفهمه عنه تعالى، كما قلنا إشارة إلى ذلك من المواليا:

ليل الهياكل دجى يا سعد إيقاظو   والبرق يلمع لمن ينظر بألحاظو

والحبّ معناه ظاهر عند حفاظو   من يفهمو فاز والأكوان ألفاظو

وقوله (مَعَاني): جمع معنى، وهو ما يُعنى باللفظ، أي: يقصد. فإنّ ظواهر الأكوان من حيث ما يظهر للعقل والحسّ ألفاظ وكلمات وحروف مركّبات لمن تحقّق بذلك، وبواطن الأكوان من حيث النظر بنور عيون الإيمان معاني لطائف في صور المتخيلات الكثائف، صادرة عن حضرات الأسماء والصفات الإلهيّة القائمة بالذات الربّانيّة، وتلك المعاني مضافة إلى قوله (نباهة): قال في الصحاح: «نَبُهَ الرجلُ، بالضمّ: شَرُفَ واشتهر، نَبَاهَةً، ونَابِه، وهو خِلاف الخامل. ونَبَّهْتُه أنا: رفعته من الخمول». يعني: تلك المعاني ترفع مقام الحضرة الأسمائيّة والصفاتيّة، وتكشف عن شرفها وكمالها في بصائر العارفين المحقِّقين. وقوله (مغاني): بالغين المعجمة، جمع مغنى. قال في الصحاح: «المغنى واحد المغاني، وهي المواضع التي كان بها أهلوها». كناية عن الأكوان التي في بصر العارف، وفي بصيرته، أغياراً مستقلّة؛ فانكشف لها أنّها تجلّيات الحقّ تعالى وشؤونه التي قال سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] فكأنها منازل خلت من أهلها، وانعدموا منه، فتبيّن اندراسها وانمحاؤها، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

قــف بــالطلول الدارســات بلعلــع وانــدب أحبّتنــا بــذاك البلقــع

وللناظم قدّس الله سرّه فيما سيأتي إنْ شاء الله تعالى:

قـف بالـدِّيار وحـيّ الأربـع الدرسـا ونادهـا فعـساها أن تجيـب عـسى

وإنْ أجنّـك ليـل مـن توحّـشها فاشعل مـن الـشوق في ظلمائهـا قبسا

ثمّ إنّه أضاف المغاني إلى (**المُحَاجَاة**): وهي مصدر حَاجَيْتُه مُحَاجَاةً فحَجَوْتُه فَاطَنْتُهُ فَغَلَبْتُهُ، وهي الأُحْجِية والأُحْجُوَة، كذا في القاموس. فإنّ الأغيار دائماً يكون بينهم المحاجاة والمغالبة في أمورهم النفسانيّة، وتصرّفاتهم الوهميّة. وقوله (مباني): جمع مبنى وهو ما يُبنى عليه الشيءِ كالأصل للفروع. والمباني مضافة إلى قوله (**القضيّة**): مصدر قَضَى عليه يَقْضِي قَضْياً وقَضَاءً وقَضِيَّة، وهو الاسم أيضاً، والصُّنْع، والحَتْمُ، والبَيَان، كذا في القاموس. يعني: إنّ الأكوان أيضاً أصول للأمور المقضيّة الإلهيّة المتفرِّعة على التجلِّيات الإلهيّة، والاستتارات الربّانيّة، وهي قضية الظهور الرحمانيّ بالعرش السلطانيّ، والكرسي الديوانيّ، والكواكب السبعة المستوزرة للتصرّف الربّانيّ في المملكة الجماديّة، والنباتيّة، والحيوانيّة، والإنسانيّة. على حسب المقام الإسلاميّ والإيمانيّ والإحسانيّ.

٥٥٥- وَتَشْرِيْفُهَا مِنْ صَادِقِ العَزْمِ بَاطِنَاً إِنَابَــةُ نَفْــسٍ بِالــشُّهُوْدِ رَضِــيَّةِ

(**وتشريفها**): أي تشريف تلك المعاني المذكورة، معاني الأسماء والصفات، وهي الأكوان، وقوله (**من**/ [٢٤١/ ب] **صادق العزم**): مصدر عَزَمْتُ على كذا عَزْمَاً وعُزْماً بالضمّ، وعَزِيْمَةً وعَزِيْمَاً: إذا أردت فعله، وقطعت عليه. قال تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَـزْمًا﴾ [٢٠/ طه/ ١١٥] أي: صريمة، كذا في الصحاح. وكنّى بصادق العزم عن الإنسان الكامل من الأنبياء وخلفائهم من الأولياء، وهو قطب الأكوان الذي تدور عليه رحى الكائنات، وقد التحقت ذاته بذات ربّه، وصفاته بصفات ربّه، وأفعاله بأفعال ربّه؛ فأفنى ما لم يكن، وأبقى ما لم يَزُل. وقوله (**باطناً**): يعني

صدق عزمه في أموره كلّها في عالم باطنه الذي لا يطّلع عليه غيره. فإنّ به يحصل التشريف، وليس إلّا به يتمّ التعريف، ويتقرر التكليف. وقوله (**إنابة**): خبر مبتدأ محذوف، تقديره هو إنابة. يعني: صدق عزمه في الأمور إنّما هو مجرّد إنابة، أي: رجوع مضاف ذلك الرجوع إلى قوله (**نفسٍ**): أي نفسه. يعني رجوعها عن كلّ ما سوى الحقّ تعالى من جماة الأغيار حتى عنها من حيث هي نفسه. وقوله (**بالشهود**): أي بمعاينة الحقّ تعالى بالحقّ تعالى، والجار والمجرورمتعلّق بقوله (**رضيّةِ**): ورضيّة: بتشديد الياء التحتة وصف لنفس بمعنى مرضيّة، أي: مرضيٌّ عنها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي: الساكنة المستقرّة على أنّه الحقّ تعالى لا هي: ﴿ٱرْجِعِىٓ﴾ أي: عنك وعن كلّ شيء: ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [٨٩/ الفجر/ ٣٠] حيث تشهدين بشهود منه، وهو شهوده من قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨] ﴿رَاضِيَةً﴾ برضاه، لا برضا منك: ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عنك بذلك الرضا: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ الذين هم في المقام الذي فيه أنت، سواء كانوا في قيد الحياة الدنيا أو الحياة الأخرى، سابقة أو متأخرة. وسواء وصل إليهم علمهم بأحوالم، أو لم يصل. وهم كلّ شيء من جملة الأكوان، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [١٩/ مريم/ ٩٣] أي: عبداً واحداً. ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ من حيث كثرة صورهم التقديريّة المختلفة ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ واحداً. ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [١٩/ مريم٩٤-٩٥] أي: حقيقة واحدة هي حقيقته الواحدة. وهذا معنى إتيانهم إليه. وقوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [٨٩/ الفجر/ ٣٠] أي: ستري الذي أنا مستتر به، وهو المشار إليه بالكتاب الذي يأتي لأهل الجنّة من الحيّ الذي لا يموت إلى الحيّ الذي لا يموت: «إنّي جعلتك تقول للشيء كن فيكون»، كما ورد في الحديث النبويّ وقال صلّى الله عليه وسلّم «إذا وضعتِ أصبعيكِ في أذنيكِ سمعت خرير الكوثر»[1]. والكوثر نهر في الجنّة. وقد أعطاه الله تعالى للنبيّ

(١) انظر تخريجه ص١٠٠١.

صلّى الله عليه وسلّم بحكم قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [١٠٨/ الكوثر/ ١] وهو ذلك العبد الواحد المذكور الذي خلق الله تعالى من نوره كلّ شيء بعد أنْ خلق تعالى نوره من نور ذاته أنّه سبحانه كما ورد في الحديث النبويّ، وإلى ذلك أشرنا بقولنا:

ما الخلق سوى خرير نهر الكوثر هذا قد جاء في حديث يؤثر
والذات هي الجنّة بل ما فيها فهي الأسماء فاعتبر من أثر

٥٥٦- نَجَائِبُ آيَاتٍ غَرَائِبُ نُزْهَةٍ رَغَائِبُ غَايَاتٍ كَتَائِبُ نَجْدَةِ

(**نجائب**): جمع نجيبة. قال في القاموس: «نَاقَةٌ نَجِيْبٍ ونَجِيْبَة.،والجمع نَجائِب. والنَّجِيْب: الحَسِيب». يعني الذي له نسب شريف وعراقة. وقال في الصحاح: «رجلٌ نَجِيب: أي كريم، بَيِّنُ النَّجَابَة. والنجيب من الإبل، والجمع النُجُب والنَّجَائب». يعني: إنّ الأكوان بمنزلة النوق النجائب لحمل ما تضمّنته من قوله (**آيات**): جمع آية، وهي العلامات الدالّة على الحقّ تعالى، المشار إليها بقوله سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤١/ فصلت/ ٥٣] ولم يسمِّها آيات في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [١٨/ الكهف/ ٥١]؛ لأنّه لم يكشف لهم عمّا تضمّنته تلك النجائب من الآيات فكأنّهم حيوانات، ما ترى إلّا حيوانات لا غير. وقوله (**غرائب**): جمع غريبة، من الأغراب، وهو الإتيان بالغريب، وهو الشيء المستغرب، وهي الأكوان البديعيّة التي يسبق لها أمثال، كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] أي: المبدع/ [٢٤٢/ أ] لها بمعنى المخترع، فإنّه تعالى لم يكرر شيئاً في الكائنات لسعة علمه وقدرته، وهذا عند أهل التحقيق من العارفين، وغيرهم من الغافلين يقولون: جرت عادة الله في كذا، والعادة تكرار. وذلك على حسب علمهم به تعالى، ولو تحقّقوا لأثبتوا له تعالى الابتداع

والاختراع في كلّ لمحة لكلّ شيء. وأضاف الغرائب إلى قوله (**نزهة**) قال في القاموس: «النُّزْهَة التباعد، والاسم: النُّزْهَة». والمراد هنا التباعد عن الأوطان الأصليّة، وهي الحضرة العلميّة الإلهيّة، فإنّ الأكوان كلّها متباعدة عنها بظهورها الحادث في أعيانها، وإنْ كانت الحضرة العلميّة الإلهيّة غير متباعدة، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [٥٠/ ق/ ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٨٥] وقوله (**رغائب**): أي هي رغائب جمع رغيبة، بمعنى مرغوب فيها، قال في الصحاح: «رَغِبْتُ في الشيء: إذا أَرَدْتُه، رَغْبَةً ورَغَباً بالتحريك. وارْتَغَبْت فيه مِثلُهُ». وهي الأكوان المرغوب فيها، أي المرادة بالإرادة الإلهيّة مضافة إلى (**الغايات**): جمع غاية، وهي مدى الشيء، بمعنى: مقادير الأشياء ونهاياتها، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [١٣/ الرعد/ ٨] فالأشياء مرغوب فيها إلى غايات معلومة بالعلم الإلهيّ. وقوله (**كتائب**): جمع كتيبة، بالتاء المثنّاة الفوقيّة، أي: هي كتائب. قال في الصحاح: «الكتيبة الجيش، تقول منه: كَتَبَ فلان الكَتَائِب، أي: عبّاها كَتِيبَة كتيبة. وتَكَتَّبَتِ الخيل، أي: تَجَمَّعَتْ». وأطلق على الأكوان كتائب من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٤٨/ الفتح/ ٧] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٧٤/ المدثر/ ٣١] وفي الحديث: «الأرواح جند مجنّدة»(١). والجنود العساكر، وكلّها لله سبحانه وتعالى على معنى أنّها أسباب يخلق عندها ـ لا بها ـ ما يريد، ويفعل ما يشاء، وله القهر والغلبة على كلّ شيء، لأنّه الملك السلطان، وهذه الكتائب مضافة إلى (**نجدة**): قال في الصحاح: «النَّجْدَة الشجاعة. ورجل ذونَجْدَة أي: ذو بأس. ولاقى فلان نَجْدَة، أي: شِدَّة». يعني: إنّ الأكوان عساكر شجاعة وشدّة وبأس لقيامهم بالله، وتوجّههم بمراد الله في الخير والشرّ، علموا أو لم يعلموا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٧٣].

---

(١) قال العراقيّ في تخريج أحايث الإحياء، ١٧٦٦: أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، والبخاريّ تعليقاً من حديث عائشة.

٥٥٧- فَلِلَّبْسِ مِنْهَا بِالتَّعَلُّقِ فِي مَقَا م الإِسْلَامِ عَنْ أَحْكَامِهِ الحِكَمِيَّةِ
٥٥٨- عَقَائِقُ أَحْكَامِ دَقَائِقُ حِكْمَةٍ حَقَائِقُ إِحْكَامٍ رَقَائِقُ بَسْطَةِ

(فلِلَبس): الفاء للتفريع. واللَبْس بالفتح: مصدر قولك لَبَسْتُ عليه الأمر أَلْبَس: خلطت، من قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] كذا في الصحاح. وقوله (منها): أي مما ذكر من معاني الصفات والأسماء المكنّى عنها بالشوادي، والهوادي، والبوادي، والغوادي، والجواهر، والزواهر، والظواهر، والقواهر، والمثاني، والمعاني، والمغاني، والمباني، والنجائب، والغرائب، والرغائب، والكتائب؛ فإنّها كلّها تلبيسات كونيّة، وخيالات وهميّة، وإنْ تحقّقها المتحقِّق بالعقل والحسّ، فإنّه وعقله وحسّه مثلها في الصفة الإمكانيّة، وتحقّقه من جنسها في كلّ قضية. وقوله (بالتعلّق): أي بسبب تعلّق النفس البشريّة بها من حيث أنّها مظاهر الصفات الإلهيّة، والأسماء الربّانيّة، ومن حيث أنّها معانيها وآثارها؛ ولهذا ظهرت من عدمها بها. وقوله (في مقام بالإسلام): أي التسليم والإذعان للحقّ المتصرّف في جميع الأكوان على حسب مراده تعالى. وقوله (عن أحكامه): أي أحكام مقام الإسلام الصادر فيه اللَّبس المذكور عن تصرّفاته تعالى في الأكوان بلا منازعة ولا اعتراض، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤١] وقوله (الحِكَمِيَّة): أي المنسوبة إلى الحكم، جمع حكمة، وهي العلم المتقن، والحكيم المتقن للأمور، والحكيم العالم صاحب الحكمة؛ فإنّ أحكام المقام الإسلاميّ مُحكمَة، مُتقَنَة؛ لأنّها وضع إلهيّ قديم، ظهر ببعثة الرسل، وإنزال الكتب. وقوله (عقائق): مبتدأ خبره مقدّم، وهو لِلَبْس، جمع عقيقة، قال في الصحاح: «عَقَّ بالسهم إذا رمى به نحو السماء وينشد:

عقّوا بسهم ثمّ قالوا صالحوا يا ليتني في القوم إذ مسحوا اللحى

/ [٢٤٢/ ب] وذلك السهم يسمّى عقيقة وهم سهم الاعتذار، وكانوا يفعلونه في الجاهليّة، فإنْ رجع السهم ملطّخاً بالدم لم يرضوا إلّا بالقود. وإنْ رجع نقياً

مسحوا لحاهم، وصالحوا على الدية، وكان مسح اللحى علامة للصلح». والمعنى هنا: إنّ جميع هذه الأكوان كائنة لأجل اللَّبس بمنزلة السهام العقائق التي ترمي جهة الغيب الحقّ، أي: ترفع إليه لتعرف أحوالها منه، وهو الذي يحكم عليها بما يحكم. فإنْ رجعت منه نقيّة فهي على خير. وإنّ رجعت مدنسة فهي على شرّ. وأضاف العقائق إلى قوله (**أحكام**): جمع حكم، لأنّها لا تعرف أحكام الأشياء إلّا من جهته تعالى بمقتضى كتابه وسنّة نبيِّه صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**دقائق**): جمع دقيقة. من دقّ الشيء، أي: صار دقيقاً، والدقيق خلاف الغليظ، مضاف ذلك إلى قوله (**حكمة**): وهي العلم المتقن. يعني: إنّ الأكوان علوم محكمة دقيقة، لا يهتدي إلى أسرارها إلّا اللبيب، ولا يستنير بأنوارها إلّا الأريب. وقوله (**حقائق**): جمع حقيقة، وهي ماهيّة الشيء على ما هو عليه (**إحكام**): بكسر الهمزة، أي: إتقان الصنع، قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٨٨] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقوله (رقائق): جمع رقيقة، والرقيق نقيض الغليظ والثخين. وقد رَقَّ الشيء يَرِقُّ رِقَّةً. وتَرْقِيقُ الكلام تحسينه، كذا في الصحاح. وهي مضافة إلى قوله (**بَسْطَةِ**): بالفتح، قال في الصحاح: البَسْطَة السَّعَة». يعني: إنّ الأكوان جميعها لطائف رقيقة مبسوطة لا يعلمها على التفصيل إلّا الحقّ تعالى الذي وسع كلّ شيء رحمة وعلماً، وهي المشار إليها بقوله سبحانه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [٢/ البقرة/ ١٣٨] فإنّ الألوان في المتلوِّن بها أعراض فانية فيه، قائمة به. فلو تجرد الجرم المتلوِّن بها عنها لانعدمت في الحال، لعدم قيامها بنفسها، والله أعظم من ذلك وأعلى تسبيحاً وتقديساً.

٥٥٩- وَلِلْحِسِّ مِنْهَا بِالتَخَلُّقِ فِي مَقَا ... مِ الإِيمَانِ عَنْ أَعْلَامِهِ العَلِيَّةِ[1]

٥٦٠- صَوَامِعُ أَذْكَارٍ لَوَامِعُ فِكْرَةٍ ... جَوَامِعُ آثَارٍ قَوَامِعُ عُزَّةِ

(**وللحسّ**): أي لقوة الإحساس بالحواس، وهي المشاعر الخمس: السمع،

---

(١) البيت في (ق): وللحسّ منها بالتحقّق في مقا ... مِ الإيمان عن أعلامه العمليّةِ.
والبيت مكسور الوزن بكلمة (العليّة).

والبصر، والشمّ، والذوق، واللمس. وقوله (**منها**): أي من تلك المذكورات في الأبيات قبله. وقوله (**بالتخلّق**): أي بسبب تَكَلُّف الخُلُق، واحد الأَخْلاق. قال في الصحاح: «الخُلْقُ والخُلُقُ يعني: بسكون اللام وضمّها: السَجِيَّةُ، يقال: خالِص المؤمن وخَالِقِ الفاجر، وفلان يَتَخَلَّقُ بغير خُلُقِهِ، أي: يَتكَلَّفُهُ، قال الشاعر: (إنّ التَخَلُّقَ يأتي دونه الخُلُقُ). والخَلِيْقَةُ: الطبيعة، والجمع خَلائِق، قال لبيد:

فاقنعْ بما قسم المليك فإنّما قسم الخلائق بيننا علّامها

وقوله (**في مقام الإيمان**): وهو التصديق بالله تعالى، وبما جاء عنه. يعني: إنّ النفوس البشريّة تشهد في هذا المقام الذي هو مقام الإيمان بطريق الحسّ انتقالاً عن طريق العقل. فإنّ مقام الإسلام ـ وهو المقام الأوّل ـ فيه ظهور اللَبْس الإلهيّ بالأغيار؛ فالحسّ مشغول بها، فلا سلوك لصاحبه إلّا بالعقل والفكر والخيال، فإذا توجّه إلى ربّه فإنّما يتوجّه إليه بعقله وفكره وخياله؛ فيصيب المعاني والصور الخياليّة؛ فيسلم ويستسلم لما ورد عنه تعالى في الكتاب والسنّة على حسب ما يريده الله ورسوله، وهي طريقة السلف الصالحين من غير تصرّف في شيء من ذلك أو تصوير. وأمّا صاحب مقام الإيمان فإنّ حسّه تنبّه للتجلّيات الربّانيّة، والتدلّيات الرحمانيّة، بإشراف نور إيمانه، وإخلاص قلبه بزيادة إيقانه، فتعطّل عنده طريق العقل/ [٢٤٣/ أ] والفكر والخيال. وسلك طريق الحسّ في معرفة تجلّيات ذي الجلال. وقوله (**عن أعلامه**): أي أعلام مقام الإيمان. يعني: صادر ذلك التخلّق له عن أعلام مقام إيمانه. والأعلام بفتح الهمزة جمع عَلَم بالتحريك، وهو العلامة على الشيء، والعَلَم الراية أيضاً. فإنّ علامات مقام الإيمان الآياتُ البيِّنات التي قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٣] وقوله (**العليّة**): صفة للأعلام. أي: هي منشورة في الآفاق مثل الرايات المنصوبة والألوية المرفوعة. وقوله (**صَوَامِعُ**): مبتدأ مؤخّر، خبره قوله (**وللحسّ**) من الجار والمجرور المتقدم. و(**الصوامع**): جمع صَوْمَعَة، فَوْعَلَة، من

قوله للكلاب صُمْعُ الكُعُوب، أي: صغار الكعوب. وهي صومعة النصارى، لأنّها دقيقة الرأس، كما في الصحاح. وإضافتها إلى قوله (أذكار) جمع ذِكْر. يعني: يتذكرون بها ربّهم تعالى، فيذكرونه بقلوبهم، فتكون لهم بمنزلة الصوامع التي جرّدتها أهلها للعبادة. وخرجوا فيها عن أحكام العادة. وقوله (**لوامع**): من لَمَعَ البَرْقُ لَمعاً ولَمَعَاناً: أضاء. واللَوامِعُ مضافة إلى قوله (**أفكار**)[1]: جمع فِكْر،من إضافة الصفة إلى موصوفها. والأصل أَفكار لوامع، وهي الأفكار المضيئة المشرقة بأنوار الإيمان واليقين. فكلّ شيء يتوجّه إليه صاحب مقام الإيمان المذكور يشرق به فكره ويستنير له ذكره. وقوله (**جوامع**): جمع جامع، وهو ما يجمع المعاني الكثيرة في الجثة اليسيرة. وقد أضافها إلى قوله (آثار) جمع: أَثَر بالتحريك، وهو ما بقي من رَسْمِ الشيء. والتَأْثِير: إبقاء الأَثَرِ في الشيء، كذا في الصحاح. والمعنى: إنّها آثار جامعة، وأسرار لامعة. وقوله (**قوامع**): أي قواهر، من قَمَعْتُهُ وأَقْمَعْتُه، أي: قهرته وأذللته فانْقَمَع، قال ابن السكيت: أَقْمَعْتُ الرجل عَنِّي إقْماعَاً إذا طَلَعَ عليك فَرَدَدْتَهُ عنك كذا في الصحاح. يعني: هذه الأكوان قواهر تقهر وتغلب بحسب تجلّيات الأسماء والصفات الإلهيّة بها عليها. وقد أضاف القوامع إلى قوله (**عُرّة**): بالعين المهملة المضمومة والراء المشدّدة، قال في الصحاح: «يقال فلان عُرّة، أي: قَذِر، وهو يَعُرُّ قومه، أي: يدخل عليهم مكروهاً يلطِّخهم به". أي: تقهر كلّ خبيث قذر فتردّه خاسراً بإذن الله. وفي نسخة (**عِزَّةٍ**): بالزاي، من العِزّ ضدّ الذلّ، أي: تقهر كلّ مستعزّ بغير الله تعالى من مال أو جاه، وهو الجبّار المتكبِّر، فتجعله ذليلاً حقيراً بإذن ربِّها.

---

(١) في نسختي الديوان دار صادر ودار الشريف الرضي «فكرة» بدل «أفكار». وكذلك ناسخ الديوان يكتبها عند سرد البيتين معاً «فكرة»؛ ثمّ يعود لكتابتها أثناء الشرح فيقول: «أفكار»، مما يدل على أنّ نسخة النابلسي التي اعتمدها «أفكار»، وبكلمة (أفكار) يختل وزن البيت.

٥٦١- وَلِلْنَفْسِ مِنَهَا بِالتَّخَلّقِ فِي مَقَا مِ الإِحْسَانِ عَنْ أَنْبَائِهِ النَبَوِيَّةِ
٥٦٢- لَطَائِفُ أَخْبَارٍ وَظَائِفُ مِنْحَةٍ صَحَائِفُ أَخْبَارٍ خَلَائِفُ حِسْبَةِ

(وللنفس): أي للنفس البشريّة، وهي ما يعبّرعنه كلّ إنسان بقوله أنا. فإنّ صاحب مقام **الإسلام** غير متلفت إلى نفسه، ولا إلى مدارك حِسّه في حال توجّهه إلى ربّه. وإنّما هو قانع بالتوجّه بعقله ولبّه ونفسه وحسّه. مشتغلاً بالأكوان، من حيث ظهورها له بأنواع الصور والألوان. **وصاحب مقام الإيمان** تنبّه حسّه فقط فاشتغلت مداركه ومشاعره في تجلّيات ربّه الرحمن في أنواع المحسوسات المختلفة الأكوان، وهوغافل عن نفسه، منهمك في التحقّق بمحسوسات حسّه، تارك استعمال عقله ولبّه في معاني تجلّيات حضرات ربّه. وأمّا **صاحب مقام الإحسان** المشار إليه في هذه الأبيات الحسان فإنّه منتبه لنفسه بعد تنبّهه لمدارك حسّه، ولهذا قال فيه وللنفس كما قال فيمن قبله وللحسّ. وقال في الأوّل وللَبْس. وقوله (**منها**): أي من المذكورات في الأبيات السابقة. وقوله (**بالتحقيق**): من الحَقّ الذي هو/ [٢٤٣/ ب] خلاف الباطل. وحَقَّ الشيء يَحِقُّ بالكسر، أي: وجب وأَحْقَقْتُ الشيءَ أي: أَوجبته، وتَحَقَّق عنده الخبر، أي: صحّ. وحَقَّقْتُ قوله وظنّه تَحْقِيقاً، أي: صدقت، كذا في الصحاح. وقوله (**في مقام الإحسان**) وهو في الحديث النبويّ: «أن تعبد الله كأنّك تراه» حيث ترى تجلّياته بك، وبغيرك لك. «فإنّ لم تكن تراه» لأنّك لا ترى إلّا صورالتجلّيات. «فإنّه يراك»[١] برؤيتك لك، ولا أنت؛ وإنّما هو هو. وهذا **مقام الإحسان** له مرتبتان: الأولى كأنك تراه. والثانية: فإنّه يراك. وهي أعلى من الأولى؛ لبقاء النفس البشريّة في الأولى دون الثانية. فإنّها في الثانية تبدّلت قلباً من قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٢١]. وقوله (**عن أنبائه**): أي حصل ذلك التحقّق، وصدرعن أنبائه، أي: أخبار مقام

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، ٥٠.

الإحسان المذكور. والأنباء بفتح الهمزة، جمع نبأ. بمعنى خبر. وقوله (**النبويّة**): صفة لأنبائه المنسوبة إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كما ورد في الحديث المذكور. وقوله (**لطائف**): مبتدأ مؤخّر، خبره قوله وللنفس. واللطائف جمع لطيفة، من اللُّطف، وهو الرِّفق، وأَصله الصغر، يقال: لَطُفَ الشيء بالضمّ يَلْطُفُ لَطَافَة، أي: صَغُرَ، فهو لَطِيف. واللُّطْف في العمل الرفق فيه. واللُّطْف من الله سبحانه التوفيق والعصمة، كذا في الصحاح. وأضاف اللطائف إلى قوله (**أخبار**): جمع خبر، أي: هي أخبار لطيفة تأتي من الحقّ تعالى إلى عبده في مقام شهوده بتجلّيه في كلّ شيء، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

أسْكَرْتِ بانَ الحِمى يا نسمةَ السَّحَرِ ... فهل أتيتِ عن الأحباب بالخَبَرِ

وقوله (**وظائف**): جمع وظيفة، قال في الصحاح: «الوَظِيْفَة ما يُقَدَّرُ للإنسان في كلّ يوم من طعامه، أو رزق. وقد وَظَّفْتُهُ تَوْظِيْفاً. وقد أضافها إلى قوله (**مِنْحَةٍ**): أي عطيّة، من المَنْح، وهو العطاء. مَنَحَهُ يَمْنَحُهُ والاسم: المِنْحَةُ بالكسر، وهي العَطِيَّةُ؛ يعني: هي عطايا من الله تعالى لعباده على حسب حوائجهم، مُوَظَّفَة ،دارّة لا تنقطع. قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [١١/هود/٦] وقال تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [٢٠/طه/٥٢]. وقوله (**صحائف**): جمع صحيفة، وهي الكتاب، وجمعه صحف وصحائف، كذا في الصحاح. وإنّما كانت صحائف لأنّها مكتوبة بالقلم الأعلى الممسوك بيد الأمر الإلهيّ، كما أشرنا إلى ذلك بقولنا من قصيدة لنا:

إنّ العوالم كلّها ... بظهورها والاختفا

في سرعة وتقلّب ... مثل الكتابة في الهوا

قد خطّها القلم الذي ... هو باب ديوان العطا

بمداد أنوار الوجود ... الحقّ من يد ذي العلا

وقد أضاف الصحائف إلى قوله (أحْبَار): بالحاء المهملة، جمع حَبْر، بالفتح، أو الكسر، قال في الصحاح: «الحَبْر والحِبْر: واحد أَحْبَار اليهود، وبالكسر أفصح، لأنّه يجمع على أفعال دون الفعول. هو حِبْر بالكسر، يقال ذلك للعالم، وإنّما قيل: كعب الأحبار لمكان هذا الحبر الذي يكتب به. قال: وذلك لأنّه كان صاحب كتب، قال الأصمعي: لا أدري هو الحَبر أو الحِبر للرجل العالم. وقال أبو عبيد: والذي عندي أنّه الحَبر بالفتح. ومعناه العالم بتجهيز الكلام وتحسينه. قال: وهكذا يرويه المحدثون بالفتح. يعني: إنّها كتب وصحائف إلاهيّة نازلة من الحضرات الرحمانيّة لتقرأها علما الملة المحمّديّة، كما قلنا من قصيدة لنا نعرّض فيها بأهل الغفلة المغترين:

قرؤوا الوجود زخارفاً ووساوساً ... وقبيح أوهام وخبث فهوم

ولقد قرأنا صحائف نشرت ... بالحقّ دين معارف وعلوم

وأردنا بالوجود الموجودات وهي الأكوان المتخلّقة. وقوله (**خلائف**): جمع خليفة / [٢٤٤/ أ] قال في الصحاح: «الخليفة السلطان الأعظم، والجمع خلائف، جاؤوا به على الأصل، مثل كريمة وكرائم». والمراد: إنّ الله تعالى استخلف آدم وذريّته في الأرض كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [٦/الأنعام/١٦] وأضاف الخلائف إلى قوله (**حِسْبَةٍ**): بالكسر، وهي الاحتساب بإقامة المأمورات وإنكار المنكرات، قال في الصحاح: «احْتَسَبْتُ عليه كذا: إذا أنكرته عليه. ويقال: إنّه لَحَسَنُ الحِسْبَة في الأمر إذا كان حَسَنَ التدبير له». والمعنى: إنّهم الخلفاء للتصرّف بالحقّ في الحقّ عن الحقّ.

٥٦٣- وَلِلْجَمْعِ مِنْ مَبْدَا كَأَنَّكَ وانْتَهى ... فَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَنْ آيَةِ النَّظَرِيَّةِ

٥٦٤- غُيُوْثُ انْفِعَالَاتٍ بُعُوثُ تَنَزُّهٍ ... حُدُوْثُ اتِّصَالَاتٍ لُيُوثُ كَتِيبَةِ

(**وللجمع**): أي لمقام الجمع، وهو الجمع على الله تعالى بفناء كلّ ما سواه. وقوله (**من مبدا**): أي من ابتداء قوله (**كأنّك**): في الحديث الشريف في تعريف

مقام الإحسان. وذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[1]. فإنّ ابتداء مقام الجمع المذكور ظهور نور الوجود الحقّ في قلب الإنسان بطريق الإحساس بالتجلّي، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [٢٤/ سبأ/ ٢٣] وهو مقام الملائكة، وفيه ثبوت النفس بكاف الخطاب في قوله (**كأنّك**): وهي رؤية التجلّي في الصور لثبوتها بالمصوِّر الحقّ، ونسبة الوجود إلى النفس به. وقوله (**تراه**): أي رؤية مشبهة بالصور الحسيّة والمعنويّة، كما ورد في حديث الصحيحين: «إنّكم سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر»، وفي رواية «كما ترون الشمس في الظهيرة»[2] وهذا في الآخرة لعامّة أهل الجنّة، ولأهل الجمع في الدنيا في ابتداء مقامهم، كما قال الناظم قدّس الله سرّه.

تراه إنْ غاب عنّي كلّ جارحة ... في كلّ معنى لطيف رائق بهج

في نغمة العود والناي الرخيم إذا ... تألّفا بين ألحان من الهزج

إلى آخر الأبيات المشتملة على رؤية الحواس الخمس. وقوله (**وانتهى**): أي مقام الجمع المذكور إلى قوله (**فإنْ لم تكن**) من قول النبيّ صلّى الله عليه وسلم «فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك» يعني: فإنْ وصلت إلى حالة لا تراه فيها لغلبة فناء الصور الحسيّة والمعنويّة عليك، بحيث فنيت بالكليّة نفساً وروحاً وجسداً، ولم يبقَ عندك شيء أصلاً محسوس ولا معقول، فإنّه حينذاك يراك برؤيتك الأولى التي كنت تزعم أولاً أنك تراه بها؛ فقد ظهر لك الآن أنّه يراك بها. وذكر الشيخ إبراهيم الكوراني المدني في شرح التحفة المرسلة، قال في حديث الإحسان: «أنْ تعبد الله كأنّك تراه فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك» من أنّه إشارة إلى مقام المحو والفنا. واعترض عليه

---

(١) انظر تخريجه ص١٠٧٧.

(٢) انظر تخريجه ص٢٧١.

الحافظ في فتح الباري حيث قال: وأقدم بعض غلاة الصوفيّة على تأويل الحديث بغير علم فقال: «فيه إشارة إلى مقام بالمحو والفناء. وتقديره: «فإنّ لم تكن» أي: لم تصر شيئاً، وفنيت عن نفسك حتّى كأنّك لست بموجود، فإنّك حينئذٍ تراه». وغفل قائل هذا لجهله بالعربيّة عن أنّه لوكان المراد ما زعم لكان قوله «تراه » محذوف الألف؛ لأنّه مجزوم على زعمه جواب الشرط. ولم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف، ومن ادّعى إثباتها في الفعل المجزوم على خلاف القياس، فلا يصار إليه؛ إذْ لا ضرورة هنا، وأيضاً لو كان ما ادّعاه صحيحاً لكان قوله «فإنّه يراك» ضائعاً لأنّه لا ارتباط له بما قبله، ومما يفسد تأويله رواية كهمس[1]؛ فإنّ لفظها «فإنّك إن لا تراه فإنّه يراك» أي: عند ابن/ [٢٤٤/ ب] ماجه، حدّثنا عليّ بن محمّد، حدّثنا وكيع عن كهمس بن الحسن إلى أنْ قال: «فإنّك إنْ لاتراه فإنّه يراك» وكذلك رواية سليمان التيمي، فسلّط النفي على الرؤية لا على الكون الذي حمله على ارتكاب التأويل المذكور» انتهى. أقول: إنّه استند في هذا الردّ على استقراء ناقص، ومع هذا فقد ناقض نفسه، أمّا الأوّل فلأن إثبات لام الفعل المعتل اللام، المجزوم له وجه صحيح في العربيّة، وواقع في فصيح الكلام، لا في الضرورة ، فقد قال ابن هشام في المغني في قاعدة تقارب اللفظين: والثالث إعطاء إنْ الشرطية حكم لو في الإهمال، كما روى في الحديث: «فإنْ لاتراه فإنّه يراك» وهو تخريج ابن مالك. والظاهر: إنّه يتخرج على أجزاء المعتل مجرى الصحيح كقراءة قُنْبُل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ [١٢/ يوسف/ ٩٠] بإثبات ياء يتقّي وجزم يصبر، انتهى. وأمّا الثاني فلأنّه قد قال: إنّ إثبات الألف على خلاف القياس لا يصل إليه هنا؛ إذْ لا ضرورة، ثمّ روى ما فيه إثبات الألف مع كونه مجزوماً اتفاقا؛ فإنّه صرّح بأنّه لم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه».

الألف، ثمّ أورد رواية كهمس بلفظ: فإنّك إنْ لا تراه، بإثبات الألف في تراه الواقع شرطاً بلا خلاف. والشرط مجزوم كالجزاء اتفاقاً. فما هو جوابه في تراه الواقع شرطاً فهو جوابنا في تراه الواقع جزاء. ثمّ إنّ بعض المحقّقين من الصوفيّة أبدى نكتة لإثبات الألف في تراه الواقع جزاء، وحاصله: إنّ الرؤية لا تتعلق إلّا بمتعيِّن؛ فإثبات الألف إشارة إلى أنّ الله تعالى من حيث التجلِّي والتعين بالوحدة تتعلق به الرؤية لا من حيث عين ذات المشار إليه بحذف الألف لو حذفت. وأمّا ادّعاؤه لزوم كون قوله «فإنّه يراك» ضائعاً إلى آخره. فجوابه: إنّه ليس بضائع؛ لأنّه مرتبط بما قبله بوجه صحيح، غير أنّ الفاء جوابَ الشرط في الظاهر وتعليليّة في التأويل، وذلك غير قادح كما بيّناه، وإنّما القادح أنْ لا يبقى له وجه ربط صحيح في العربيّة، وليس كذلك. وبيانه: إنّ المشاهد للحقّ سبحانه عند الفناء عن البشريّة إذا تحقّق مَن يشهد منه علم أنّه يشاهد الحقّ بعين الحقّ فبهذا يثبت؛ إذ الحقّ لا يفنى بمشاهدته نفسه، ولا العالم. فإذا قلنا بالتأويل فإنْ لم تكن أنت؛ بل فُنيت عنك من حيث بشريّتك، وكان الحقّ حينئذٍ بصرك تراه إذْ ذاك، ولا تضمحلّ. فإنّه يراك، ولا فناء ثَمّ. فكذلك في رؤيتك إيّاه؛ لأنك به تراه إذا تحقّقت من المشاهد منك، فإنّ للحقّ سبحانه وجهاً خاصّاً في كلّ ممكن، فإنّه القيّوم للكلّ. وقد قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٧]. فإنْ قلت: قد تبيّن فيما سبق، إذْ الوجوه المحتملة إنّما يصحّ إرادتها لم يقدح فيها شيء من الأصول الشرعيّة. وقد صرّح مسلم في روايته من حديث أبي أمامة بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «واعلموا أنّكم لن تروا ربّكم حتّى تموتوا» قلت: قد قال السيّد قدّس الله سرّه في شرح **المواقف** قال الآمدي: «أجمعت الأمّة من أصحابنا على أنّ رؤيته تعالى في الدنيا والآخرة جائزة عقلاً، واختلفوا في جوازها سمعاً في الدنيا فأثبته بعضهم ونفاه آخرون» انتهى. وهذا يدلّ على أنّ حديث مسلم ليس نصاً في نفي جواز الرؤية لمن لم يمت بالموت الطبيعيّ، وإلّا لما اختلفوا. وإذا كان كذلك فجاز أن يتمسّك المثبت

بهذا الحديث على الوجه المقرّر في المعنى الباطنيّ، وتفسير الموت في حديث مسلم بمعنى يعمم حالة الفناء للسائرين. وذلك أنّ الموت ليس انعداماً للروح؛ وإنما هو مفارقة الروح عن البدن، وانقطاع تصرّفه عنه. وفي حالة الفناء ينقطع/ [٢٤٥/ أ] تصرف الروح عن البدن وإنْ لم يفارقه، فكان نوعاً من الموت، فكأنّه قال «إنكم لن تروا ربّكم» حتى ينقطع تصرّف أرواحكم عن أبدانكم، وتغيبوا عن الأحكام الدنيويّة جملة واحدة، إمّا بالمفارقة عن الأبدان، وهو الموت الطبيعي، أو بالغيبوبة والفناء، وهو الموت المعنويّ، وقد أوضح المقام المحقِّق الفرغاني قُدّس سرّه في منتهى المدارك عند قول ابن الفارض قدّس سرّه.

فلمّا انقضى صحوي تقاضيت وصلها ولم يغشَ في بسطها قبض حشيّة

حيث قال ما نصّه: «فإنْ قلت كيف طلب الوصل والرؤية، وذلك محال في هذه النشأة الدنيويّة لقوله صلّى الله عليه وسلّم «إنّ أحدكم لن يرى ربّه حتّى يموت» قلت: نعم، نقول بالموجب؛ فإنّ السائر لا يرى حتّى يموت عن جميع الأقسام والأحكام الدنيويّة، ويغيب وينقطع عن الإحساس بها، وبالقوى والمدارك المختصّة أحكامها بهذه النشأة الدنيويّة. نعم، وعن الأحكام الأخرويّة أيضاً، وحينئذٍ يكون ميتاً موتاً معنويّاً؛ بل موتاً صوريّاً في تلك الحالة المعنيَّة بالصعق. فلم يكن حالتين في الدنيا ولا في الآخرة أيضاً. ألا ترى أنّ المتوجّه إلى أمر وهمي كاللعب بالشطرنج مثلاً، كيف يغيب فيه بحيث لم يشعر بشيء دون ما توجه إليه، فانتفاء الوهميّات، والعقليّات، والحسيّات، حالة التوجّه إلى جنبة عالم الحقّ، والحقيقة أشدّ وأقوى من انتفاء الحسيّات، وحدّها حالة التوجّه إلى الوهميّات والعقليّات فتكون تلك الغيبة والانقطاع والانسلاخ موتاً أشدّ وأقوى من الموت الطبيعي؛ فإن النفس في الموت الطبيعي لم تغب بالكليّة عن عالم الحسّ؛ بل تكون شاعرة بها وبالأحكام التي تجري فيها على ما نصّ على ذلك الشارع في أحاديث صحاح ما يدل على شعورها، وتلذّذها بما عمل وأنفق لأجلها. وهذا المتوجّه إلى

تلك الحضرة يستغرق في توجهّه، بحيث ينسلخ عن جميع الملابس الحسيّة، والوهميّة، والعقليّة، والروحيّة. حتّى إنّه لم يحسّ بشيء مما سوى من توجّه إليه ألبتّة، واصلاً إلى حدّ أنّه لو قطع في تلك الحالة من أعضائه لم يحسّ بذلك من جهة ألم أصلاً، فلم يكن هذا المتوجّه عند ذلك في الدنيا ولا في الآخرة، فلا جرم صحّ في حقّه أنّه مات فرأى، ولم يرَ حتّى مات»، انتهى. ثمّ لا دلالة في رواية كهمس وغيره على فساد التأويل المذكور، إذ يلزم من تضمّن بعض الروايات إشارة إلى معنى أن يسري ذلك في جميع الوجوه، فإنّه غير مستلزم، ولا لازم الالتزام، والحمد لله على الدوام. على أنّا نقول: يمكن أنْ يقال إن الشرط محذوف في هذه الرواية، أي: رواية كهمس. والتقدير: فإنّك إنْ لا تكن تراه بقرينة رواية «إنْ لم تكن» على حدّ قول الشاعر:

فطلِّقها فلست لها بكفؤ وإلّا يعلُ مفرقك الحسام

أي: إنْ لا تطلّقها، كذا في مغنيي اللبيب. فيكون النفي مسلّطاً على الكون لا على الرؤية، فتتوافق الروايتان، وبالله التوفيق. وقوله **(عن آية)**: يعني حاصلاً ذلك عن آي الجمع، وهي جمع آية، قال في الصحاح: «الآية العلامة، وجمعها آي وآيات». وقوله **(النظريّة)**: نعت للآي، يعني: إنّ آيات مقام الجمع، أي: علاماته الدّالة على الحقّ تعالى كلّها نظريّة، أي: منسوبة إلى النظر، وهو المعاينة والمشاهدة. قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٣] ثم شرع في بيان الآيات فقال **(غيوث)**: جمع غيث؛ وهو المطر. كنّى به عن علوم الإلهام النازلة على القلوب من حضرات الغيوب. وقوله **(انفعالات)** مضاف إليه، وهي جمع انفعاله، كناية عن الأشياء المنفعلة عن أمر الله تعالى في الحسّ والعقل؛ فإنّ صاحب مقام الجمع تنكشف له الحكم والأسرار في معاينة مخلوقات هذه الدار. وقوله **(بعوث)**: جمع بَعْث، قال في القاموس: «البَعْثُ. ويحرّك: الجيش. وجمعه: بُعُوث». وقوله **(تنزّه)**: مضاف إليه، أي: تباعد

من نَزَّهَه عن كذا: باعده عنه، قال في القاموس: /[٢٤٥/ ب] «التنزّه: التباعد، ونَزَّهَ نفسَهُ عن القبيح: نَحَّاهَا». إشارة إلى أنّ جميع المنفعلات الحادثة في الحسّ والعقل تنزيهات للوجود الحقّ سبحانه وتعالى، فلا يشبه شيئاً منها، ولا يشبهه شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] وهو معنى التسبيح الذي قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٤٤]. وجمع ضمير الأشياء كلّها بصيغة من يعقل إشارة إلى أنّ ذلك تسبيح مقصود من الكلّ، وأنّه نطق وإنْ لم يكن مفهوماً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢١] ولا ضرورة للتأويل بالتغليب البياني، كيف وهو تعالى بكلّ شيء محيط، وقد حكي عن الملائكة قولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [٣٧/ الصّافات/ ١٦٤-١٦٥] بصيغة الحصر، أي: لا مُسبِّحَ غيرنا، فالكلّ ملائكة من وجه القيام بالأمر الإلهيّ وإنْ كانت غيرذلك من وجوه أُخر، ولهذا سمّاها بُعُوثاً، أي: جنوداً، كماقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٤٨/ الفتح/ ٤] وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٧٤/ المدّثر/ ٣١] كما سمّاها عبيداً له في قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [١٩/ مريم/ ٩٣-٩٤] فأخبرعنهم بصيغة من يعقل، وهذه كلّها أمورتنكشف لصاحب مقام الجمع. وقوله (**حدوث اتّصالات**): جمع اتّصال، أي: أحوال تتّصل بها حقائق الأكوان بالوجود الحقّ تعالى. بمعنى: وصول الإمداد إليها، لا بمعنى اتصال الشيء بالشيء؛ فإنّ المعدومات الثابتة غير المنفيّة يستحيل أن تتصل بالوجود الحقّ تعالى مثل اتّصال الشيء بالشيء؛ لأنّ شرط هذا الاتّصال مستحيل. وقوله (**ليوث**): جمع ليث، وهو الأسد. وقوله (**كتيبة**): بالتاء المثنّاة الفوقيّة، قال في القاموس: «الكتيبة: الجيش والجماعة المُسْتَحِيِرَة من الخيل، أو جماعة الخيل إذا غارت من المائة إلى الألف». كناية عن ظهور الاقتدارالإلهيّ والبطش منه تعالى بالأشياء المحسوسة أو المعقولة، بحسب ما يريد سبحانه. فينتقم ممن يشاء

بمحسوس أو بمعقول؛ فالأشياء بهذا الاعتبار أسود مفترسة، وجيوش مجتمعة في تصرّف أمر الله تعالى. قال سبحانه: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥].

٥٦٥- فَمَرْجِعُهَا لِلْحِسِّ فِي عَالَمِ الشَّهَا دَةِ الْمُجْتَدِي مَا النَّفْسُ مِنِّي أَحَسَّتِ

٥٦٦- فُصُولُ عِبَارَاتٍ وُصُولُ تَحِيَّةٍ حُصُولُ إِشَارَاتٍ أُصُولُ عَطِيَّةِ

(**فمرجعها**): الفاء للتفريع، والمرجع مكان الرجوع، أو هو مصدر ميمي قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٦٤] وهو شاذّ؛ لأنّ المصادر من فَعَلَ يَفْعِلِ إنّما تكون بالفتح، كذا في الصحاح. والضمير للكائنات المكنّى عنها في البيت قبله بغيوث الانفعالات إلى آخره. يعني: هي راجعة. وقوله (**للحسّ**): أي لإدراك الحواس الخمس، فهي عند القوّة الحاسّة على حسب ما تدركه الحواس، وإلّا فهي في نفس الأمر حقائق تجلّيات إلهيّة. وقوله (**في عالم الشهادة**): وهو العالَم، بفتح اللام، المشهود للحسّ والعقل؛ لأنّها في عالَم الغيب الحقّ المطلق، هي تجلّياته الربّانيّة. ثمّ وصف عالم الشهادة بقوله (**المجتدي**): بصيغة اسم الفاعل، من جَدَوتُهُ واجْتَدَيْتُهُ واسْتَجْدَيْتُهُ، بمعنى: طلبت جَدْواه، والجَدَا بالقصر، والجَدْوَى: العطيّة، كذا في الصحاح. يعني: إن عالم الشهادة من حيث هوعالم شهادة طالب. وقوله (**ما**): أي أمراً وشأناً، وهو مفعول: المجتدي. وقوله (**النفس**) مبتدأ. وقوله (**منّي**): متعلّق بأحسّت. وقوله (**أَحَسَّتِ**): بكسر التاء للقافية، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ. ومفعول أحسّت محذوف، وتقديره أحسّت به. يعني: أدركته بإحدى حواسّها. والمعنى: إنّ عالَمَ الشهادة مفتقر طالب علمي الذي أدركته نفسي منّي ومن/[٢٤٦/ أ] حقيقتي التي أنا قائم بها، فهو مستفاد من إدراكي لنفسي ومعرفتي بها. والحاصل: إنّ عالم الدّنيا تابع لأحوال أهلها. فإنْ حَسُنتْ أحوالهم حَسُنت بهم أحوالها، وإنْ ساءت أحوالهم ساءت أحوالها. فالأصل هم، وهي التبع لهم. ثم قال في بيان ذلك (**فصول**): جمع فصل، وهو القطعة من الشيء. وقوله (**عبارات**): جمع عبارة، من عَبَّرعمّا في نفسه: أعْرَبَ. وعَبَّرعنه غيره فأعْرَبَ

عنه. والاسم: العَبْرَة والعِبَارَة، كذا في القاموس. يعني: هي عبارات مفصول بعضها عن بعض، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [١٧/الإسراء/١٢]. وكونها عبارات لأنّها من قبيل الكلمات الصادرة عن المتكلّم الحقّ الذي يقول: للشيء ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. وقوله (**وصول تحيّة**): التحيّة السلام، وحَيَّاهُ تَحِيَّةً، كذا في القاموس. يعني: إنّها جميعها واصلة من حضرة الغيب إلى حضرة الشهادة. ومن الأوّل إلى الآخر، ومن الباطن إلى الظاهر. ونظير ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم لمّا كان يسلم من صلاته قاصداً بالخطاب ـ في قوله: السلام عليكم ـ الحَفَظَةَ والمقتدين، وسن لأمته أنّ يقصدوا ذلك، والمنفرد يقصد الحفظة فقط، والمقتدي يقصد الإمام والحفظة ومن عن يمينه أو يساره من المقتدين. ثمّ يقول بعد تمام السلام: اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام. وهذه مرتبة التنزّل، وهو مقام التشبيه والتجلّي بالصور. ثمّ يقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام. وهذه مرتبة التنزّه والتباعد عن مشابهة كلّ شيء، وهو المقام الذاتيّ. والأوّل هو المقام الأسمائيّ والصفاتيّ. وقوله (**حصول إشارات**): جمع إشارة، وهي ما يشار بها إلى الوجود الحقّ من الأعيان الثابتة في علمه سبحانه من غير وجود لها على الاستقلال؛ فالإشارات هي المظاهر والتجلّيات، وهي الآيات البيّنات. وقوله (**أصول عطيّة**): أي هي أصول للعطايا الإلهيّة، والهبات الربّانيّة. وفروعها الشهوات الدنيويّة، واللذائذ الأخرويّة، والعنوان القائم، والنعيم الدائم.

٥٦٧- وَمَطْلَعُهَا فِي عَالَمِ الغَيْبِ مَا وَجَدْ ... تُ مِنْ نِعَمٍ مِنِّي عَلَيَّ اسْتَجَدَّتِ

٥٦٨- بَشَائِرُ إِقْرَارٍ بَصَائِرُ عِبْرَةٍ ... سَرَائِرُ آثَارٍ ذَخَائِرُ دَعْوَةِ

(**ومَطْلَعُهَا**): أي مَطْلَع هذه الكائنات جميعها. قال في الصحاح: «طَلَعَتِ الشمسُ والكواكبُ طُلُوعاً ومَطْلَعاً ومَطْلِعاً. والمَطْلِع أيضاً موضع طُلُوعِهَا؛ فالمَطْلِع هنا بكسر اللام وفتحها مصدر ميمي، أو اسم موضع. وقوله (**في عالم**

الغيب): أي طُلوعُها، أو مَوضع طُلُوعِها على الوجه المخصوص في البيت بعده، حاصل في حضرة الوجود الحقّ الذي هوغائب عن العقل والحسّ، لأنّهما يكيفانه ويمثلانه، وهو منزّه عن الكيفيّة والمثليّة، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه من قصيدة له:

شــمس ومطلعهــا ذاتي ومغربهــا ... بين السوادين من قلبي ومن بصري

(وسواد القلب): هو القوّة المدركة منه، وكذلك سواد البصر: القوّة المدركة منه. وهو النور الأسود بسبب الغيريّة التي يدركانها، وغلبة الوهم والتوجّه الربّاني بالمرادت الكونيّة من الحقيقة العلميّة. وقوله **(ما وجدت)**: أي الذي وجدته وجداناً، ومنازلة لا تخييلاً عقليّا وتمثيلاً حسّياً؛ لأنّ العقل والحسّ يكذبان في شهود الوجود الحقّ، ويكذِّبان به. ولا شهود إلّا شهود الحقّ تعالى، وتكذيبها من كذبهما. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾ ـ أي اشهدوا وعاينوا ـ ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] والعقل والحسّ مع ذلك يكذِّبان بشهود الأغيار. ويكذِّبان بشهود الواحد القهار، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ ـ أي على الحقيقة الوجوديّة التي لا سواها ـ ﴿فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦]. ثمّ قال/ [٢٤٦/ ب] تعالى مخاطباً للعقل والحسّ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٥٦] وتكرّر ذلك في هذه السورة، وهي سورة الرحمن الذي على العرش استوى، وهو تعالى لا صورة له ـ بالصاد المهملة ـ وإنّما له سورة بالسين، من سور البلد، اسم للجدار المحيط به، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] فسورته تعالى إحاطته بكلّ شيء، وهي سورة الرحمن المستوي على عرش الكائنات، ولا صورة له تعالى؛ لأنّ الصورة محكوم عليها محاط بها، والسورة حاكمة محيطة، ولهذا انتفت عنه الصورة وثبتت له السورة. وقوله **(من نعم)**: بيان لما. والنِعَم: جمع نِعْمة بالكسر، وهي الدَعَة والمال. والتَنَعُّم: التَرَفُّه. والاسم: النَّعْمَة بالفتح. والنَّعْمَاء، بالفتح، ممدود: جمع

أنْعُم ونِعَم ونِعِمَات بكسرتين، وبفتح العين، كذا في القاموس. وقوله (**منّي**): متعلّق باسْتَجَدَت، قُدّم للحصر، أي: لا من غيري، أي: باعتبار حقيقتي التي أنا قائم بها. وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق باستجدت أيضاً، أي: لا على غيري. وقوله (**اسْتَجَدَّتِ**): بكسر التاء للقافية من قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥]. وقوله (**بشائر**): جمع بشارة، وهي الخبر المُسِرّ الذي يغيِّر بشرة الوجه. وقوله (**إقرار**): أي: نطق، من قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢١] وتصديق له تعالى بالعبوديّة من قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [١٩/ مريم/ ٩٣] والمراد: إتيان بالله تعالى، وإذعان له سبحانه. وكون ذلك بشائرلأنّه أنوار ساطعة من حضرة الغيب الحقّ بتجلّي اسمه المؤمن. وقوله (**بصائر**): جمع بَصيرة، وهي عقيدة القلب والفطنة، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «البصيرة: الحُجَّة والاسْتِبْصَار في الشيء. وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [٧٥/ القيامة/ ١٤] قال الأخفش: جعله هو البصيرة، كما تقول للرجل: أنت حُجَّة على نفسك». وقوله (**عِبْرة**): مضاف إليه، قال في القاموس: «العِبْرَة بالكسر: العَجَب. واعتَبَرمنه: تَعَجَّبَ». يعني: إنّ جميع الكائنات عقائد صحيحة، وحُجَج رجيحة يعجب منها اللبيب، ويعتبر بها الأريب. قال تعالى: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ [٢٨/ القصص/ ٤٣] أي: يبصرون به ما خفي عنهم من الأسرار، ويكتشفون عمّا استتر عليهم من الأنوار. وقوله (**سرائر**): جمع سريرة، وهي السر، قال في القاموس: «السرّ ما يُكتم كالسريرة. وجمعه أَسْرار وسرائر. وقوله آثار مضاف إليه، جمع أَثَر، محرّكة: بقيّة الشيء، كما قال في القاموس. يعني: إنّ هذه الكائنات على اختلافها هي سرائر، أي: أسرار آثار الأسماء الإلهيّة، والصفات الربّانيّة. وقوله (**ذخائر**): جمع ذخيرة، قال في القاموس: «ذَخَرَه كَمَنَعَه، ذُخْراً، بالضمّ، واذَّخَرَه: اختاره واتخذه. والذَّخِيرَة ما ادُّخِر». وقوله (**دعوة**) أي: هي دعوات مدّخرة من قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٤] وفي الحديث:

«لكلّ نبيّ دعوة مستجابة، وقد ادّخرت دعوتي لأمّتي»[1] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «أنا دعوة أبي إبراهيم»[2] يعني: قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ١٢٩] الآية. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢].

٥٦٩- وَمَوْضِعُهَا فِي عَالَمِ المَلَكُوْتِ مَا خُصِصْتُ مِنَ الإسْرَا بِهِ دُوْنَ أُسْرَتِي

٥٧٠- مَدَارِسُ تَنْزِيلٍ مَحَارِسُ غِبْطَةٍ مَغَارِسُ تَأْوِيلٍ فَوَارِسُ مِنْعَةِ

(**وموضعها**): أي موضع هذه الكائنات، قال في الصحاح: «المَوْضِع المكان، والمَوْضِع أيضاً مصدر قولك وَضَعْتُ الشيءَ من يدي وَضْعَاً ومَوْضِعَاً، وهو مثل المعقول، ومَوْضِعَاً والمَوْضَع بفتح الضاد لغة في المَوضِع». سمعها الفراء. وقوله (**في عالَم**): بفتح اللام وقوله (**الملكوت**): قال في الصحاح: «المَلَكُوْت من المُلك كالرَهَبُوت من الرَّهْبَة، يقال: له مَلَكُوتُ العراق ومَلْكُوَةُ العراق أيضاً ـ مثال التَّرْقُوَة ـ وهو المُلْكُ والعِزُّ». والمعنى: في الملكوت أبلغ منه في الملك؛ وهو عالم الأرواح، كما أنّ المُلْك عالم الأجساد، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ/ [٢٤٧/ أ] وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٣] وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٦٧/ ١] فالملكوت ظهور الأمر، والملك ظهور الخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤]. وقوله (ما): أي الأمر الذي. قوله (**خُصِصْتُ**) بالبناء للمفعول، أي: خصّني الله تعالى. وقوله (**من الإسرا**): بيان لما. والإسرا

(١) قطعة من حديث طويل. أخرجه أبو يعلى في مسنده، باب: وإنّي ادّخرت دعوتي لأمّتي، ٢٨٦٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: تفسير سورة الأحزاب، ٣٥٦٦، عن العرباض بن سارية، وتتمّة الحديث: وبشارة عيسى، ورؤيا آمنة، وكذلك أمّهات النبيّين يرين، وأنّ أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأت حين وضعته نوراً أضاء لها قصور الشام. قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه. وعلّق الذهبي: صحيح. انظر المستدرك ٢ / ٤٥٤.

بالقصر هنا، وأصله المدّ، قال في الصحاح: «سَرَيْتُ سُرَىً ومَسْرَى، وأَسْرَيْتُ بمعنى: إذا سَرْتُ ليلاً، وبالألف لغة أهل الحجاز. وأسْرَاه وأَسَرَى به ـ مثل أخذ الخطام وأخذ بالخطام ـ وإنّما قال الله عزّ وجلّ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ١] وإنْ كان السُرى لا يكون إلّا بالليل للتأكيد، كقوله: سرت أمسِ نهاراً، والبارحة ليلاً. وقال في القاموس: «السُرَى، كالهدى سَيْرُ عامّة الليل. وأسْرَى بعبده ليلاً تأكيداً. أومعناه: سَيَّره». والحاصل: إنّ الإسراء هنا السير بالحقّ تعالى في حقائق أعيان الأكوان، والغوص في بحار ظلمات تلك الأعيان، حتّى ينتهي بالتحقّق بفنائها إلى حقيقة الوجود الحقّ. وليس هذا المعنى بمخصوص بالأنبياء عليهم السلام بل لورثتهم من الأولياء تحقّق فيه، كما عمل الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في ذلك كتاب «الإسرا ». وقوله **(به)**: متعلّق بـ **(خُصِصْتُ)**. وقوله **(دون أُسْرَتِي)**: بالضمّ، قال في القاموس: «الأُسْرَةُ بالضمّ من الرجل: الرَّهْطُ الأَدْنَوْنَ». وفي الصحاح: «أَسَرَ قَتبَهُ، يأسِرُهُ أَسْراً: شدّه بالإسار، وهو القَدُّ. وأُسْرَة الرجل رهطه»؛ لأنّه يَتَقَوَّى بهم. والمراد هنا رفقته وأتباعه من المريدين. يعني: إنّهم بَعْدُ لم يبلغوا مقامي، ولم يشربوا من شرابي. وقوله **(مَدارِسُ)**: جمع مِدْرَاس، وهو الموضع يُقرأُ فيه القرآن. ومنه مَدارِسُ اليهود، كذا في القاموس. وقوله **(تنزيل)**: هو في الأصل مصدر نزّله تنزيلاً. والتنزيل أيضاً الترتيب، كما في الصحاح، و أشار بذلك إلى الكلام الإلهيّ المُنزل في حروف الكائنات، وكلماتها، وآياتها، وسورها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٣٧] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٢] إلى غير ذلك **فهي** مَدارس، مواضع درس الآيات والسير الإلهيّة، هذا ما قلنا في مطلع قصيدة:

افتح عيونك في الآيات والسور   واحذر غرورك بالأشباح والصور

والحقّ تعالى هو التالي لتلك الآيات، والدارس لها، من الدَرْس، وهو القراءة. والدرس بمعنى المحو والإزالة، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٢/ القرة/ ٢٥٢] أي: نظهرها، أو نظهر تلوّها، أي: بعد درسها. بمعنى محوها وإزالتها. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [٧٥/ القيامة/ ١٨-١٩]. وقوله (مَحَارِسُ): جمع محرس بالحاء المهملة والسين المهملة: من الحِراسة، أي: هي مواضع الحِراسة، وهي الحِفْظُ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠-٢٢]. وقوله (غبطة): مضاف إليه. والغِبْطَة: أنْ تتمنّى مثل حال المَغْبُوط من غير أن تريد زوالها عنه، وليس بحسد، تقول: منه غَبَطْتُه بما نال أَغْبِطُهُ غَبْطاً وغِبْطَةً فاغْتَبَطَ، هو كقولك مَنَعْتُه فامْتَنَع، وحبسته فاحتبس، كذا في الصحاح. يعني: تغبط تلك المحارس لما فيها من كمال الحراسة لها والحفظ، بحيث لا يتصوّر استباحة حُرَمِها، ولا انتهاك حُرْمَتِها لعزّة حاميها، وارتفاع مراميها. وقوله (مَغَارِس): جمع مَغرِس، وهو موضع الغَرْس. وقوله (تأويل): هو تفسير الكلام بأحد محتملاته. وقال في الصحاح: «التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أوَّلَه تأويلاً». والمعنى: إنّ هذه الكائنات كلّها مغارس المعاني الإلهيّة والتأويلات الربّانيّة، تظهر للعقول على طبق موارد النقول. وقوله (فوارس): جمع فارس، قال في الصحاح: «الفارس راكب الفرس، أي: صاحب فرس. ويجمع على فوارس، وهو شاذّ لا يقاس عليه». وقوله (مِنْعَةِ): يقال مكان مَنِيع. وقد مُنِع بالضمّ مَناعَةً، وفلان في عِزَّة ومَنَعَةٍ بالتحريك. وقد يُسَكَّن، أي: هو في عِزٍّ مَنْ يَمْنَعُه من عشيرته، كذا في الصحاح. يعني: إنّها فوارس العِزّ الإلهيّ، والحماية الربّانيّة، من قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٤٨/ الفتح/ ٤]/ [٢٤٧/ ب] وقوله : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٧٤/ المدّثر/ ٣١].

٥٧١- وَمَوْقِعُهَا فِي عَالَمِ الجَبَرُوتِ مِنْ   مَشَارِقِ فَتْحٍ لِلْبَصَائِرِ مُبْهِتِ
٥٧٢- أَرَائِكُ تَوْحِيْدٍ مَدَارِكُ زُلْفَةٍ   مَسَالِكُ تَمْجِيْدٍ مَلَائِكُ نُصْرَةِ

(وموقعها): أي الكائنات المذكورة. والموقع موضع الوقوع، قال في الصحاح: «مَوَاقِعُ الغَيْثِ مساقطه. ويقال: وَقَعَ الشيءُ مَوْقِعَه، ومَوْقَعَةُ الطائر بفتح القاف: المَوْضِع الذي يَقَعُ عليه». وقوله (في عالَم): بفتح اللام. وقوله (الجَبَرُوت): بالتحريك من الجَبْر، وهو القَهْرُ، قال في القاموس: «الجَبَّار: المُتكبِّر الذي لا يرى لأحد عليه حقّاً، فهو بَيِّن الجِبْرِيَّة والجِبْرِياء مكسورتين. والجِبِرِيَّة بكسرات، والجَبْرِيَّةِ والجَبَرُوَّةِ والجَبَرُوتِي محركات» انتهى. فكأنّها مصادر من الجَبْرِ، خلاف الكَسْر، وبمعنى التكَبُّر. وقال في الصحاح: «الجَبَّار الذي يقتل على الغضب. والمُجَبِّر الذي يُجَبِّرُ العظام المكسورة. وتَجَبَّرَ الرجل: تَكَبَّرَ». **فالجبروت على هذا إمّا من صفات الجلال، أو من صفات الجمال**. وهو هنا **عالم العقول**. [و] إمّا **المَلَكِيَّة**، وهي ملائكة العذاب، أو ملائكة الرحمة. وإمّا **البشريّة** وهي العقول الضّالّة المدبرة، أو المهتديّة المقبلة. وقد ورد في الحديث: «أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل، وقال له أدبر، ثمّ قال : وعزّتي وجلالي، لا خلقت خلقاً أضعك فيه، فبك أعطي، وبك أمنع، وبك أخفض، وبك أرفع»[1]. ومعنى أقبل، أي: عليَّ. ومعنى أدبر، أي: عنّي. فمن العقول الملكيّة والبشريّة العقول المقبلة على شهود الحقّ تعالى في كلّ شيء. والعقول المدبّرة المعترضة عن شهود الحقّ تعالى، فلا تشهد إلّا للخلق. ومنها ما يكون مقبلاً فيصير مدبراً، ومنها ما يكون مدبراً فيصير مقبلاً. بحسب تصرّف الحقّ تعالى فيها، بلا صنع من العبد. وتصرّف الحقّ تعالى من الأزل على مقتضى علمه سبحانه، وتقديره، وقدرته، وإرادته. وقوله (من مشارق): جمع مشرق، وهو موضع الشروق، أي: طلوع نور الوجود الحقّ، وإنشاره على صفحات

---

(١) انظر تخريجه في ص١٠٣٨.

التقاديرالعدميّة، والتصاوير الإمكانيّة المسمّاة بالخلق والكون. وقوله (فتح): مضاف إليه منكّر للتعظيم. والفتح: مصدر فَتَحَ كمَنَعَ ضدّ أَغْلَقَ، كذا في القاموس. قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢] فالفتح على العقول إظهارما فيها من أسرار الوجود الحقّ، وهو الفتح المبين، الذي تضمحلّ به رسوم العبد السالك. ويخرج به إلى النور من الظلام الحالك. وقوله (للبصائر): جمع بصيرة، وهو عين القلب، متعلّق بمُبهتٍ. وقوله (مُبْهِتٍ): بصيغة اسم الفاعل، وصف لفتحٍ، من البَهْت، وهو الحَيْرَة، بَهِتَ كعَلِمَ ونَصَرَ وكَرُمَ وزُهِيَ، وهو مَبْهُوت لا بَاهت ولا بَهِيت، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «بَهِتَ الرجلُ، بالكسر: إذا دَهِشَ وتَحَيَّرَ. وبَهُتَ بالضمّ مثله. وأفصح منها بُهِتَ، كما قال تعالى: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ [٢/ البقر/ ٢٥٨]. وقوله (أَرَائِكُ): قال في الصحاح: «الأَريكة سرير متخذ مزيَّن في قبة أو بيت. فإذا لم يكن فيه سرير فهو حَجَلَة. والجمع: الأرائك». وقوله (توحيد): أي اعتقاد وحدانيّة الله تعالى، وهو قوله سبحانه: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٣] أي: يشهدون الوحدانيّة الإلهيّة من فوق صور أجسامهم وأرواحهم. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [٥٤/ القمر٥٤-٥٥] وقوله (مدارك): جمع مدرك، وهو موضع الإدراك، أو مصدر ميمي بمعنى الإدراك، وهو اللحوق، ويقال: مشيت حتّى أدركته، وعشت حتّى أدركت زمانه، وأدركته ببصري، أي: كذا في الصحاح. وقوله (زُلْفَةٍ): أي قرب/[٢٤٨/ أ] قال في الصحاح: «الزُّلْفَةُ والزُّلْفَى: القُرْبَة والمَنْزِلَة». يعني: هي إدراكات قربات ومنازل عند ذي الجلال. وقوله (مَسَالِكُ): جمع مَسْلَك، وهو الطريق. من سَلَكْتُ الشيءَ في الشيء فَانْسَلَك، أي: أَدْخَلْتُهُ فيه فدخل، قاله في المصباح. وقوله (تمجيد): من المجد، وهو نيل الشرف والكرم، ولا يكون إلّا بالآباء، أوكرم الآباء خاصّة. مَجَدَ كنَصَرَ، وكَرُمَ. مَجْداً ومَجَادَة فهو: ماجِد ومَجِيد. وأَمْجَدَهُ: عَظَّمَه، وأثنى عليه، وتَمَاجَد:

ذَكَرَ مَجْدَه، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «التَّمْجِيْد أنْ يُنْسَبَ الرجل إلى المجد». يعني: هي طرق لتحصيل المجد والشرف في الدنيا والآخرة. وقوله (**مَلَائِكُ**): جمع مَلَك، قال في الصحاح: «المَلَكُ بالتحريك، أصلُه مَأْلَك، بتقديم الهمزة، من الأَلُوك، وهي الرسالة. ثمّ قُلبت وقدّمت اللام فقيل مَلْأَك، ثمّ تُركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل مَلَك. فلمّا جمعوه ردّوها إليه فقيل ملائكة وملائك أيضاً». وقوله (نُصْرَةِ): هي حُسْنُ المعونة، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «نَصَرَهُ الله على عدّوه يَنْصُرُهُ نَصْراً. والاسم: النُّصْرَة» أي: هم ملائكة للنصر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣١/الأنبياء/ ١٠١-١٠٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٣٠-٣١] أي ناصرون لكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٥٧٣- وَمَنْبَعُهَا بِالفَيْضِ فِي كُلِّ عَالَمٍ   لِفَاقَةِ نَفْسٍ بِالْإِفَاقَةِ أَثْرَتِ

٥٧٤- فَوَائِدُ إِلْهَامٍ رَوَائِدُ[1] نِعْمَةٍ   عَوَائِدُ إِنْعَامٍ مَوَائِدُ نِعْمَةِ

(ومَنْبَعُهَا): أي الكائنات، أي: موضع نبعها، أوهو مصدر ميمي. بمعنى نبعها، يقال: نَبَعَ الماء يَنْبَعُ ويَنْبُعُ ويَنْبِعُ بتثليث الباء [نَبْعاً و] نُبُوعاً: خرج، أشار إليه في الصحاح. وقوله (**بالفيض**) يقال: فاض الماء يَفِيضُ فَيْضاً وفَيْضُوضَة: كَثُر حتّى سال على صفة الوادي، وأرض ذات فُيُوض: إذا كان فيها مياه تفيض، كذا في الصحاح، والإشارة بذلك إلى إفاضة العلوم الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة. وقوله

(١) في (ق): زوائد.

(في كلّ عالَـم): بفتح اللام، كعالَم الإنسان، وعالَم الحيوان، وعالَم النبات، وعالَم الجبال، وعالَم الخيال، وغير ذلك. وقوله (لِفَاقَةٍ): الجار والمجرور: خبر المبتدأ الذي هو منبعُها، والفاقة: الفقر والحاجة. وافتاق الرجل، أي: افتقر، كذا في الصحاح. وقوله (نَفْسٍ): نكَّرها للتعظيم. وقوله (بالإفاقة) متعلّق بأَثْرَتِ. والإفاقة: مصدر أَفَاقَ المجنون إفاقَةً: رجع إليه عقله، وأفاق السكران إفاقة. والأصل مصدر أفاق من سُكْره، كما يقال استيقظ من نومه، كذا في المصباح. وقوله (أَثْرَتِ): بكسر التاء للقافية، يقال: أَثرى الرجلُ: إذا كثرت أمواله، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «الثَرْوَةُ: كَثْرَةُ المال، وأَثْرَى إثْراء: استغنى. والاسم منه: ثَراء، بالفتح والمدّ». والمعنى إنّ النفس التي فقرها إلى الحقّ تعالى ذاتي، استغنت بالغيبة عنها، والإفاقة من سُكْر عقلها، وهو استغناؤها بالله تعالى عمن سواه، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [٩٦/ العلق/ ٧] أي: رأى نفسه، فإنّ من رأى نفسه رأى ربّه متجلّياً بصورة نفسه، فيحصل له الاستغناء حينئذٍ، ورؤيته بربّه هي إفاقته من سكر دعوى نفسه وطغيانه، زيادته في العرفان، والعلم الإلهيّ، كما قال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [٦٩/ الحاقّة/ ١١] وهو العلم من قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [١١/ هود/ ٧] ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [٦٩/ الحاقّة/ ١١] وهي النفس المذكورة، وهذا تفسير الإشارة، لا العبادة، والكلام لك يا كنّة فاسمعي يا جارة. ثمّ أخبرنا عن المنبع بقوله (فوائد):/ [٢٤٨/ ب] جمع فائدة. وقوله (إلهام): مضاف إليه، والإلهام: إلقاء المعنى في النفس، سواء كان خيراً أو شرّاً قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٨]. وفوائد الإلهام هي العلوم الإلهيّة. وقوله (روائد): بالراء المهملة جمع رائد من الرَوْد، وهو الطلب، والذهاب والمجيء، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «راد الشيء يرود، أي: جاء وذهب». وقوله (نعمة): بفتح النون هي التنعم. بمعنى التَرَفُّه. قال في القاموس: «التنعّم الترفُّه، والاسم: النَّعْمَة بالفتح». والمعنى: الترفُّهات تتردّد المرّة بعد المرّة.

وقوله (**عوائد**): جمع عائدة. وقوله (**إنعام**): مصدر أنعم الله علينا إنعاماً. والاسم النعمة بالكسر، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٣٤] فإنّ كلّ متّصف بالوجود منعم عليه، وبه على غيره. ولنا في هذا المعنى مما في ديواننا:

شكرت إلهي باللسان تعبّداً   وبالقلب والأركان منّي تقصّداً

فأشهدني شكري له نعمة بدت   ونعمة إشهادي تلتها لأشهدا

فأعجزني عن شكر نعماه دائماً   فصيّرت شكري عنه عجزي على المدى

وشاهدت عجزي منه أكبر نعمة   وذا القول إنعاماً أراه تجدّدا

فقلت إلهي لست أحصي لك الثنا   فكن أنت عنّي شاكراً لك سرمداً

وقوله (**موائد**): جمع مائدة، قال في المصباح: «مَاد مَيْدَاً، من باب باع، ومَيَدَاناً بفتح الياء: تحرّك، ومَادَه مَيْدَاً: أعطاه. والمائدة: مشتقّة من ذلك، وهي فاعلة بمعنى مفعولة، لأنّ المائد مادَهَا للناس، أي: أعطاهم إيّاها، وقيل: مشتقة من مادَ يَمِيد: إذا تحرّك، فهي اسم فاعل على الباب». وقوله (**نِعمة**): بكسر النون، اسم مصدر من الإنعام، ولنا من ذلك في ديواننا قولنا في مطلع أبيات:

إنّي أنا المكتوب في الطرس   لا يهرب الكلب من العرس

موائد الإحسان ممدودة   والفضل ملء العرب والفرس

والكلّ إنعام عليهم بهم   من كلّ نوع كان أو جنس

٥٧٥- وَيَجْرِي بِمَا تُعْطِي الطَّرِيْقَةُ سَائِرِي   عَلَى نَهْجِ مَا مِنِّي الحَقِيْقَةُ أَعْطَتِ[١]

(**ويجري**): من الجري، وهو السير السريع. وقوله (**بما**): أي بالذي، متعلّق بـ(**يجري**). وقوله (**تعطي**): أي: تعطيه الطريقة، وهي السلوك إلى معرفة الله تعالى

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه.

من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأحوال، كالصبر، والشكر، والزهد، والتقوى، والورع، والإخلاص، واليقين إلى غير ذلك. وقوله (**سائري**): فاعل يجري، أي: جميعي ظاهراً وباطناً. والمراد: ما بقي مِنِّي، لأنّه من سَئِرَ الشيء سُؤْرَاً، من باب شرب: بَقِيَ، فهو سائر، قال الأزهري: واتفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء: باقيه، قليلاً كان أو كثيراً. وقال الصنعاني: سائر الناس باقيهم، وليس معناه جميعهم، كما زعم من قَصُرَ في اللغة باعه، وجَعْلُهُ بمعنى الجميع من لَحْنِ العوام. ولا يجوز أنْ يكون مشتقاً من سُورَ البلدُ لاختلاف المادّتين، ذكره في المصباح. ويحتمل أن يكون سائري، أي: السائرين منِّي، اسم فاعل من السَّيْرِ، وهو السلوك في طريق الله تعالى، ويكون على طريقة التجريد البياني، كقولك رأيت من زيدٍ أسداً. ويؤيّده قوله (**على نهج**): متعلّق بيجري أيضاً، قال في المصباح: «النَّهْج مثل فَلْس: الطريق الواضح، ونَهَجَ الطريق يَنْهَجُ بفتحتين نُهُوجاً: وَضَحَ واستبان. وأَنْهَجَ بالألف مثلُهُ ونَهَجْتُهُ وأَنْهَجْتُهُ: أوضحته، يستعملان لازمين ومتعديين». وقوله (**ما**): أي الذي. وقوله (**منيّ**): متعلّق بأعطتِ. وقوله (**الحقيقة**): مبتدأ، وحقيقة الشيء: مُنتهاه، وأَصله المشتمل/[٢٤٩/أ] عليه، وحَقَقْتُ الأمرَ أَحُقُّهُ: إذا تيَقَّنْتُهُ، أو جعلته ثابتاً لازماً. وفي لغة بني تميم أَحْقَقْتُهُ بالألف، وحَقَّقْتُهُ بالتثقيل مبالغة، كذا في المصباح. والمراد بالحقيقة: ما يكشف عنه السالك من قيام الخلق بالخالق، ومعرفة الأمر الإلهيّ على ما هوعليه في نفسه، وهو منتهى سيرالسالكين. وقوله (**أَعطتِ**): بكسر التاء للقافية، وأصله أعطته. والجملة خبر المبتدأ. والتقدير: على نهج الأمر الذي أعطته الحقيقة منِّي، وهذا مقام الكاملين الذي لم يُطفِئ نور معرفتهم نورَ ورعهم؛ فهم قائمون بأحكام الشريعة المحمّديّة ظاهراً وباطناً، ومتخلّقون بالأخلاق المحمّديّة ظاهراً وباطناً، ومتحقّقون بالحقيقة المحمّدية ظاهراً وباطناً، والله الموفق لما يشاء.

٥٧٦- وَلَمَّا شَعَبْتُ الصَّدْعَ وَالْتَأَمَتْ فُطُوْ ... رُ شَمْلٍ بِفَرْقِ الوَصْفِ غَيْرَ مُشَتَّتِ

٥٧٧- وَلَمْ يَبْقَ مَا بَيِنِي وَبَيْنَ تَوَثُّقِي ... بِإِيْنَاسِ وُدِّي مَا يُؤَدِّي لِوَحْشَةِ

٥٧٨- تَحَقَّقْتُ أَنَا فِي الحَقِيْقَةِ وَاحِدٌ ... وَأَثْبَتَ صَحْوُ الجَمْعِ مَحْوَ التَشَتُّتِ

(**ولمّا شَعَبتُ**): من الشَعْب، كالمَنْع: الجَمْع، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «شَعَبْتُ الشيءَ فَرَّقتُه، وشَعَبْتُه: جَمَعْتُهُ، وهو من الأضداد، تقول: الْتَأَمَ شَعْبُهُم: إذا اجتمعوا بعد التفرُّق، وتفرَّق شَعْبُهُم: إذا تفرّقوا بعد الاجتماع. الشَعْبُ هنا بمعنى الجمع، والالتآم، والضمّ. وقوله (**الصَّدْع**): أي الشَقُّ، يقال: صَدَعْتُهُ فانْصَدَع، أي: انشق. والتَصدِيعُ: التَفْريقُ، وتَصَدَّعَ القوم: تَفَرَّقُوا كذا في الصحاح. والألف واللام في الصدع عوض عن المضاف إليه، أي: صدعي، وهو تفريقه عن الاتّصال بربّه. فاعل بمفعول، ومحرّك بمتحرّك، ومصوِّر بمتصوَّر. وهنا التفريق يقتضي القيام بالنفس، والغفلة عن شهود الربّ تعالى. وشَعْبُ هذا الصدع: شهودُ العبد رجوعه إلى أنّه فعل ربّه لا استقلال له دون ربّه تعالى، فهو قائم به قيام الظلّ بالشاخص، والمعدوم المقدّر بالوجود الحقّ. وقوله (**والْتأَمَتْ**): أي انجمعت وانضمّت. وقوله (**فطور**): جمع فطر، قال في القاموس: «الفَطْرُ: الشُقُّ. وجمعه: فُطُور وفَطَرَه يَفْطِرَه شَقَّهُ فَانْفَطَر وتَفَطَّرَ». وقوله (**شَمْلٍ**): مضاف إليه، وتنكيره للتعظيم، والشَمْلُ: ما اجتمع من الأمر، قال في الصحاح: «جمع الله شملهم، أي: ما تشتت من أمرهم، وفَرَّقَ الله شَمْلَهُ، أي: ما اجتمع من أمره". فعلى هذا الشَّمْلُ من أسماء الأضداد، يقال للمتفرّق وللمجتمع من الأمر. والمراد هنا: المجتمع والمعين، إنّ ما تشقّق وتكسّر من الشمل فقد التأم وانجمع. وقوله (**بفرق الوصف**): متعلّق بمُشَتَّتِ. وفرق الوصف هوالفرق بمجرّد الوصف، أي: لا بالذات؛ فإنّ الذات واحدة، والأوصاف هي المتعدِّدة في نفسها، فمنها أوصاف روحانيّة، وأوصاف نفسانيّة، وأوصاف جسمانيّة، وذلك في كلّ إنسان

وحيوان، ونبات، وجماد، ومَلَك، وجنّي، وغير ذلك من أنواع العوالِم. والذات واحدة. وجميع تلك الأوصاف قائمة بها، فانية مضمحلّة فيها. والذات بهذا الاعتبار كثيرة، متعدِّدة بتعدّد تلك الأوصاف الكونيّة الاعتباريّة، كما قيل: لتعلَمْ أَنّي واحد وكثير، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤]. وقوله (غير): بالجرّ، نعت لشمل. وقوله (مُشَتَّتِ): أي: مفرّق. والمعنى: إنّ ذلك الشمل في نفس الأمر غير مُشَتّت ولا مفرّق؛ وإنّما تفريقه وتشتيته بحسب الأوصاف النفسانيّة من قوله تعالى: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨] فمقتضى الإغفال هو التفريق والتشتيت. وهو فعل من أفعال الربّ تعالى بعبده. كما أنّ العبد وجميع أعماله فعل من/ [٢٤٩/ ب] أفعال الربّ سبحانه؛ فالتفريق والتشتيت لا تفريق ولا تشتيت، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] أي: وأعمالكم. وقوله (ولم يبقَ ما بيني وبين توثقي): أي اعتصامي واستمساكي بالأمر الوثيق القوي المتين، من قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٠٣] وحبله أمره الذي قام به كلّ شيء، وهو وجوده الظاهر الذي به كلّ شيء موجود، مع أنّ كلّ شيء هالك، فانٍ، مضمحلّ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [٩٥/ الطلاق/ ٥] فأنتم غيره بما به أنتم فانون مضمحلّون معدومون بالعدم الأصلي، وأنتم عينه بما أنتم به موجودون فاعلون. وقوله (بإيناس): متعلّق بـ(يبقَ)، والباء للسببيّة. والإيناس خلاف الإيحاش، وهو حصول المباسطة. وقوله (ودِّي): مضاف إليه، قال في القاموس: «الوُدُّ والوِدَاد: الحُبُّ، ويثلّثان، أي: بسبب إيناسه لي محبّة ومودّة؛ لأنّ من أسمائه تعالى الودود، وهو الكثيرالودّ. وقوله (ما): أي أمر من الأمور فاعل يبقى. وقوله (يؤدِّي): صفة ما، أي: يوصل. وقوله (لوحشة): نكّرها للتعميم. والوَحْشَةُ: خلاف الأُنْس، قال في القاموس:

«الوَحْشَةُ: الهَمُّ والخوف». وقوله (تحقّقت): قال في الصحاح: حَقَّقْتُ الأمر وأَحَقَقْتُهُ أيضاً: إذا تَحَقَّقْتُه، وصرت منه على يقين». وقوله (أَنَا): أي أنا والوجود الحقّ. وقوله (في الحقيقة): أي في نفس الأمر، لا بحسب ما يظهر للعقل والحسّ. وقوله (واحد): أي لا ثاني له؛ لأنّه وجود حقّ، وكلّ شيء سواه تقديره، وتصويره عدم محض، لم يشمَّ رائحة الوجود، وما أدراك ما العقل؟ وجود كلّ شيء، وكذلك إدراك الحسّ ذلك فهو جهل بالحقيقة، وغلبة وَهْمٍ على العقل والحسّ، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٥-٢٧] خطاب للعقل والحسّ. وللعارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ قوله من أبيات:

شمس ومطلعها ذاتي ومغربها ... بين السوادين من قلبي ومن بصري

وإنّما عرف أنّها شمس، وأنّ مطلعها ذاته ببصيرة الإيمان، فإنّه نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد المؤمن، فيعرف به ربّه، ولا يحتاج إلى عقله ولا إلى حسّه؛ وإنّما يدرك بعقله وحسّه مخلوقات ربّه تعالى في الدنيا والآخرة، فالفاني يدرك الفاني، والباقي يدرك الباقي؛ فإنّ الإيمان هو الباقي، ومن أسمائه تعالى المؤمن، وقد سَمَّى به عبده لهذا السرّ العظيم، والنور المستديم. وقد وردت علينا هذه الأبيات في هذا المحلّ فأثبتناها، وهي قولنا:

سكرت بخمر العقل والحسّ مدّة ... وأعقب صحوي منهما سكر إيماني

وإنّي لبالإيمان صاح وإنّني ... لسكران بالإيمان إيمان إيقان

ألا فاعجبوا ممن يقلّب في الورى ... قلوباً وأبصاراً لإظهار إنسان

وما ذلك الإنسان غير تقلّب ... يكون كما قد جاء في نصّ قرآن

فإنْ ذهب التقليب فالكلّ ذاهب ... ولم يبقَ إلّا واحد ما له ثاني

هو المؤمن الحقّ الذي نحن لم نزل ... بإيمانه أصحاب كشف وعرفان

وما الكشف والعرفان إلّا شؤونه   كما كلّ يوم قال لي هو في شأن

وقوله (**وأثبت صحو**): مرفوع على إنّه فاعل أَثْبَتَ. وقوله (**الجمع**): مضاف إليه، وهو الجمع على الوجود الحقّ الذي كلّ يوم هو في شأن فبأي آلاء ربّكما يا عقل ويا حسّ تكذِّبان. وقوله (**مَحْوَ**): بالنصب، مفعول أَثبت، أي: إزالة. وقوله (**التشتّت**): أي التفريق، وهو مقام الأغيار الناشئ من إدراك العقل والحسّ، المكذبين بآلاء ربّهما، جلّ وعلا كما أشار تعالى إلى ذلك.

٥٧٩- فَكُـلِّي لِسَانٌ نَـاظِرٌ مِـسْمَعٌ يَـدٌ   لِنَطْـقٍ وَإِدْرَاكٍ وَسَـمْعٍ وَبَطْـشَةِ

/ [٢٥٠/ أ] (**فكلِّي**): الفاء للتفريع على ما سبق في البيت قبله من معنى الاتّحاد، الذي هو كناية عن قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١]. والمعنى: إنّ الله تعالى يملك ذلك كلّه، لا ما تسمّونه نفوسكم؛ لأنّها فانية معدومة ولا موجود سواه تعالى، فهو المالك لا سواه. وهذا الاتّحاد الذي يشير إليه الناظم قدّس الله سرّه مجمع عليه عند المسلمين. لكن تختلف العبارة عنه فيظنّ الجاهل أنّه اتّحاد في ذات الحوادث، والحوادث معدومة فانيّة عند التحقق بالوجود الحق الواحد، قال العارف عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

وهل بعد ضوء الشمس يبدو لك الدجا   وهل عندها يبقى على الأفق من نجم

ولكنّ الجاهل لمّا كان في الظلمة، ظلمة نفسه وطبعه، ظنَّ أنّ الكلام عنه وعن ظلمته. وهيهات هيهات أنْ تعرف الخفافيش ضوء الشمس، قال القشيري في رسالته قدّس سرّه:

ليلي بوجهك مشرق   وظلامه في الناس ساري

الناس في غسق الظلام   ونحن في ضوء النهار

هذا مقدار ما يمكننا من الردّ عن أولياء الله تعالى المتحقّقين بمعرفته سبحانه،

والله الموفّق. وقوله (**كلِّي**): أي جميعي باطناً وظاهراً من حيث روحي المنفوخ فيّ من أمر ربِّي كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وقوله (**لسان**) من حيث الحركة والتعبير عن المراد، قال تعالى: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصلت/ ٢١]. وقوله (**ناظر**): أي بصر. يعني: كلّي بصر من حيث إدراك المحسوسات. وقوله (**مِسْمَع**): بكسر الميم الأولى وفتح الثانية: الأُذن. قال في الصحاح: «المِسمَع بالكسر: الأُذن، يقال: فلان عظيم المِسْمَعَيْنِ. يعني: كلِّي أُذن من حيث سماع الأصوات. وقوله (**يد**): أي: كلِّي يد من حيث الأخذ والعطاء والتناول. وقوله (**لِنُطْقٍ**): راجع إلى قوله لسان. وقوله (**وإدراك**): راجع إلى قوله ناظر. وقوله (**وسمع**): راجع إلى قوله مِسْمَع. وقوله (**وَبَطْشَةٍ**): راجع إلى قوله يد، قال في الصحاح: «البَطْشَةُ: السَّطْوَةُ، والأَخْذُ بالعُنف. وقد بَطَشَ به يَبْطُشُ ويَبْطِشُ بَطْشَاً». وهذا معنى الاتّحاد الحقيقيّ في مقام الجمع بعد محو آثار الأسماء والصفات. فإنّ الذي ينطق من الإنسان، ويبصر ويسمع ويبطش؛ إنّما هو في الحقيقة روحه الإنسانيّة، وهي واحدة. واللسان والعين والأُذن واليد آلاتها ومظاهرها التي تظهر بها من حيث أسماؤها وصفاتها، فإذا فنيت عن الآلات والمظاهر كانت هي المسمّاة بتلك الأسماء كلّها والموصوفة بتلك الصفات، فإذا فنيت الروح في أمر الله كان الظهور لله بأسمائه وصفاته، فتحقّق الاتّحاد، وتنزّه الوجود عن الإيجاد وزال ما لم يكن، وحضر من لم يزل، والنازل صعد، والصاعد نزل. ثمّ شرع في بيان هذا الاتّحاد الروحاني الربّانيّ فقال:

٥٨٠- وَعَيْنَيَ نَاجَتْ واللِسَانُ مُشاهِدٌ وَيَنْطِقُ مِنِّي السَمْعُ وَاليَدُ أَصْغَتِ

٥٨١- وَسَمْعِيَ عَيْنٌ تَجْتَلِي كُلَّ مَا بَدَا وَعَيْنِيَ سَمْعٌ إنْ شَدَا القَوْمِ تُنْصِتِ

٥٨٢- وَمِنِّيَ عَنْ أيْدٍ لِسَانِي يَدٌ كَمَا يَدِي لي لِسَانِي في خِطَابِي وَخُطْبَتِي

٥٨٣- كَذَاكَ يَدِي عَيْنٌ تُرِي كُلَّ مَا ترى وَعَيْنِي يَدٌ مَبْسُوطَةٌ عِنْدَ بَسْطَتِي[1]

٥٨٤- وِسَمْعِي لِسَانٌ فِي مُخَاطَبَتِي كَذَا لِسَانِيَ فِي إِصْغَائِهِ سَمْعُ مُنْصِتِ

(**وعيني**): أي الباصرة منّي بعد فنائها في الروح الأمري. وقوله (**ناجت**): أي تكلّمت عوضاً عن اللسان، من النجوى، وهي السِّرّ، نَاجَاه مُناجاة سَارّه، قال الشاعر: [٢٥٠/ ب]

تكلّم منّا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلّم

وقوله (**واللسانُ مُشاهِدٌ**): أي: متّصف بما اتّصفت به العين، وهي المشاهدة كما اتّصفت العين بما هو متّصف به، وهو التكلّم لاتّحادهما في الحقيقة الروحانيّة الأمريّة. وقوله (**وينطق منّي السمع**): أي الأُذن، قال في الصحاح: «السَّمْعُ سَمْعُ الإنسان، يكون واحداً وجمعاً لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٧] لأنّه في الأصل مصدر قولك: سَمِعْتُ الشيءَ سَمْعاً». ونُطْقُ الأُذن: اتّحادها مع اللسان في القوة الروحانيّة. وقوله (**واليد أصغتِ**): بكسر التاء للقافية، أي: اسْتَمَعَتْ، يقال: أَصْغَيْت إلى فلان: إذا ملْتَ بسمعك نحوه. كذا في الصحاح. واستماع اليد باعتبار اتّحاد الحواس، ورجوعها إلى القوّة الروحانيّة الأمريّة، كما قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] والقوّة الإلهيّة من تجلي اسمه تعالى القويّ، وهي حقيقة الوجود الحقّ الظاهر بالغلبة والاستيلاء على كلّ شيء محسوس، أو معقول، أو موهوم، أو غير ذلك. وبتلك القوّة انخرام الأشياء وفناؤها واضمحلالها ورجوعها إلى عدمها الأصليّ باستتار الوجود الحقّ عنها، كما أنّ وجودها بتجلّيه عليها، قال العارف عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه من أبيات له:

لولا انخرام الكلّ بالقوّة التي لإطلاقها في جمعهن قيود

---

(١) في (ق): سطوتي.

لما عدم الموجود يوماً ولا انقضت رسوم بأنواع البلا وحدود
ولكنّها يأبى النهاية وصفها فليس لها في الدور قطّ جمود
فلو وقفت يوماً بحدّ لنا لها به عدم هيهات وهي وجود

وقوله (وسمعي): أي أُذُنِي. وقوله (عين): باعتبار القوّة المذكورة الواحدة. وقوله (تَجْتَلِي): أي تنتظر، قال في القاموس: «اجتلاه نظر إليه». وقوله (كلَّ): بالنصب مفعول تجتلي. وقوله (ما): أي شيء. (بدا): أي ظهر. وقوله (وعيني سَمْعٌ): أي أذن سامعة. وقوله (إنْ شدا): بالشين المعجمة. والدال المهملة، أي: أنشد وغنّى، قال في الصحاح: «شَدَوْتُ الإبلَ شَدْوَاً: سُقْتُها، والشادي: الذي يَشْدُوا شيئاً من الأدب، أي: يأخذ طرفاً منه كأنّه ساقه وتبعه». وقال في القاموس: «شَدَا الإبلَ ساقها، و-الشِّعْرَ: غنّى به، أو ترنّم، وأنشد بيتاً أو بيتين بالغناء، أو أخذ طرفاً من الأدب». وقوله (القوم): فاعل شدا، وهم الجماعة من الرجال والنساء معاً، أو الرجال خاصّة، أو تدخل النساء على التبعيّة، ويؤنّث، وجمعه: أقوام. وقوله (تُنْصِتِ): فعل مضارع مجزوم بأنْ الشرطية لأنّه جوابها، وحُرّك بالكسر للقافية. وقوله (ومنِّي): أي من ذاتي. وقوله (عن [أيدٍ]) جمع يد، أي: صادر ذلك منِّي عن قوى مختلفة، راجعة إلى قوّة واحدة منصبغة بصبغة مرادها، كما قال سبحانه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [٢/البقرة/١٣٨] وقال في القاموس: «اليدّ القوّة والقدرة». وقوله (لساني يدٌ): يعني القوّة التي أحرّك بها اللسان أحرك بها اليد، فاعمل بها باللسان ما أعمل بها، بل اليد. وقوله (كما يدي لي لساني) أي: أنطق بيدي مكان لساني، ولكنّه قيده بقوله (لي): أي نطقاً ظاهراً إليّ لا لغيري. وقوله (في خطابي): أي مخاطبتي لنفسي، ومكالمتي لها، وكذلك لغيري من أمثالي من العارفين المجرّدين عن العلاقة البشريّة. وقوله (وخُطبتي): بضمّ الخاء المعجمة، قال في القاموس: «خَطَبَ الخَاطِب على المنبر خَطَابَة بالفتح، وخُطْبَة بالضمّ، وذلك الكلام خُطْبَة أيضاً، أوهي الكلام المنثور

المُسْجَع ونحوه. ورجل خَطِيب: حَسَن الخُطبة بالضمّ». قوله (**كذاك**): أي مثل ذلك. وقوله (**يدي عينٌ**): أي بصر. وقوله (**ترى**): أي يدي (**كلّ ما بدا**):/ [٢٥١/ أ] أي العين، ومن هذا الباب كان صلّى الله عليه وسلّم يرى من ورائه كما يرى من أمامه، حتّى تكلّف بعض علماء الرسوم فقالوا: له صلّى الله عليه وسلّم عين بين كتفيه لا تحجبها الثياب، يرى بها من ورائه كما يرى من أمامه، ولم يثبت ذلك، وإنّما كان يرى بكلّه؛ لأنّه صلّى الله عليه وسلّم نور، فلا يحتجب عنه شيء، وحواسّه متّحدة بالقوّة الربّانيّة كما ذكرنا. وقوله (**وعيني يد**): أي أفعل بها ما أفعل بيدي من التناول والأخذ والعطاء. وقوله (**مبسوطة**): أي ممدودة، قال في القاموس: «بَسَطَ يده: مدّها». وقوله (**عند بَسطتي**): أي مسرّتي، قال في القاموس: «بَسَطَ فلاناً سَرَّهُ». وقال في الصحاح: «البَسْطَةُ السَّعَةُ، والانْبِسَاطُ: ترك الاحتشام». وقوله (**وسمعي**): أي أُذني التي أسمع بها. وقوله (**لِسانٌ**): أي آلة للتكلّم. وقوله (**في مخاطبتي**): أي في حال خطابي لمن أُريد أنْ أخاطبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٢] فلا يتوقّف إسماعه على صوت، ولا لسان. وقوله (**كذا**): أي مثل هذا. وقوله (**لساني في إصغائه**): أي ميله للاستماع. وقوله (**سَمْعُ**): أي أُذُنٌ سامعة. وقوله (**منصت**): مضاف إليه بصيغة اسم الفاعل، من نَصَتَ يَنْصِتُ، وانْصَتَ وانْتَصَتَ: سَكَتَ، وأَنْصَتَهُ وأَنْصَتَ له: سَكَتَ، واسْتَمَعَ لحديثه، كذا في القاموس. وهذا كلّه من اتّحاد الحواس والعقل مع الروح الأمريّ كما ذكرنا. وإنّما يفترق عنها بالصور الجسميّة، والمحال الطبيعيّة، وهذا الأمر ظاهر عند المجرّدين عن العلائق البشريّة، والشهوات النفسانيّة.

٥٨٥- وَلِلشَّمِّ أَحْكَامُ اطِّرَادِ القِيَاسِ فِي اتْـ ... ـتِحَادِ صِفَاتِي أَوْ بِعَكْسِ القَضِيَّةِ

(**وللشمّ**): أي للقوّة التي أدرك بها الروائح. وقوله (**أَحكام**): جمع حكم. وقوله (**اطّراد**): القياس، أي: جريانه كما تقدّم. وقوله (**في اتّحاد صفاتي**): أي كونها واحدة، وتعددها بسبب محالّها وأماكنها التي تظهر فيها، فقوّة الشمّ هي قوّة

السمع، وقوة البصر، وقوّة النطق، وقوّة البطش. قوله (**أو بعكس القضيّة**): بأن تظهر كلّ قوّة من هذه القوى بقوّة الشمّ فتعمل عملّها طرداً وعكساً.

٥٨٦- وَمَا فِيَّ عُضْوٌ خُصَّ مِنْ دُوْنِ غَيْرِهِ بِتَعْيِينِ وَصْفٍ مِثْلُ عَيْنِ بَصِيْرَتِي

(**وما**): نافية. وقوله (**فِيَّ**): بتشديد الياء خبر مقدّم. وقوله (**عضو**) مبتدأ. وقوله (**خُصّ**) بالبناء للمفعول. وقوله (**من دون غيره**): أي العضو الآخر. وقوله (**بتعيين**): متعلّق بخُصَّ. وقوله (**وصفٍ**): بالجرّ، مضاف إليه، كعضو العين، لا تختصّ بالنظر، بل يحصل بها السمع والذوق والشمّ واللمس والنطق، وكذلك عُضو اللسان لا يختصّ بالنطق، بل يحصل به جميع ما يحصل ببقية الأعضاء، وهكذا كلّ الأعضاء. وسبب ذلك غلبة الروح على طبيعة البدن، وضعف طبيعة البدن بظهور أمر الله الواحد الممدّ للروح، فإنّ أوصاف الأعضاء كلّها هي أوصاف الروح الواحد، ولهذا بعد مفارقة الروح للبدن بالموت الطبيعي تبقى أوصاف الأعضاء كلّها مع الروح الواحد وإنْ بطلت الأعضاء وتعطّلت عن سريان القوى فيها، كما ورد أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في يوم بدر لمّا أمر بإلقاء جثث المشركين في قليب بدر وقف على شفيره ونادى الموتى بأسمائهم: «يا فلان بن فلان، هل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً، حتى أتى على آخرهم، فقيل له: هل يسمعون وهم موتى؟!. فقال: والله إنّهم لأسمع منكم، غير أنّهم حيل بيننا وبينهم». يعني: تعطلت الآلات التي كانوا يستعملونها في إيصال ما يجدونه إلينا، وهي الأعضاء كلّها، وبقيت الأوصاف عليه. وقوله (**مثل عين البصيرة**): أي عقيدة القلب؛ فإنّها جامعة للإدراك كلّه، ومتّصفة بأوصاف الأعضاء كلّها: الظاهرة والباطنة؛ لأنّها موضع ظهور الروح الحيوانيّ في البدن الإنسانيّ.

٥٨٧- وَمِنِّي عَلَى إِفْرَادِهَا كُلُّ ذَرَّةٍ جَوَامِعَ أَفْعَالِ الجَوَارِحِ أَحْصَتِ

(**ومِنِّي**): أي من جميعي. وقوله (**على إفرادها**) بكسر الهمزة، أي: كُلّ ذرَّة / [٢٥١/ ب] والأصل كلّ ذرّة منّي على إفرادها. وقوله (**جوامع**): جمع بالنصب،

مفعول أَحْصَتِ. وقوله (**أفعال**): مضاف إليه، وهي جمع فعل. وقوله (**الجوارح**) جمع جارحة، وهي أعضاء الإنسان مجرور بالإضافة. وقوله (**أَحْصَتِ**): بكسر التاء للقافية. يعني: كلّ ذرّة منّي على إفرادها، أي: من حيث هي منفردة باعتبارها في نفسها، مع قطع النظر عن انضمامها إلى غيرها من الذّرات. (**أحصتِ**): أي جمعت أفعال كلّ الجوارح والأعضاء باعتبار ما قدّمناه.

٥٨٨- تُنَاجِي وَتُصْغِي عَنْ شُهُودِ مُصَرَّفِ بِمَجْمُوعِهِ فِي الحَالِ عَنْ يَدِ قُدْرَةِ

(**تناجي**): أي كلّ ذرّة منّي من النجوى، وهي السِّرّ. نَاجَاه مُنَاجَاة ونِجَاءً: سَارَّهُ، كذا في القاموس. يعني: تُشاور الحقّ تعالى في أي مظهر شتات من صور الكائنات. وقوله (**وتصغي**): أي تسمع المناجاة ممن ناجته لرجوع الروح الجزئيّ المنفوخ في بدنه من الروح الكلّي الذي هو من أمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ ـ أي الكلّي الذي هو منفوخ في كلّ الأبدان ـ ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾ ـ وهو الكلّي ـ ﴿وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ صَفّٗا ﴾ [٧٨/ النبأ/ ٣٨] وهي الأرواح الجزئيّة المنفوخة من الأبدان المُسوَّاة، وهو الإمام المبين. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [٣٦/ يس/ ١٢] أي: مظهر لأحوال جميع الأرواح الجزئيّة؛ فهو إمامها في تقلّب الأحوال عليها. **وهذا اتّحاد أعلى من الاتّحاد الأوّل**. وهو النّزلة الأولى، والاتّحاد الأوّل هو النزلة الأخرى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾ معاينة رجل نزلة أخرى . وقوله (**عن شهود**): أي حاصل ذلك له عن معاينة الحقّ تعالى رجل. وقوله (**مُصَرَّف**): بصيغة المفعول، مجرور بالإضافة، وهو الذي صرفه الحقّ تعالى، أي: جعله متصرّفاً. وقوله (**بمجموعه**): متعلّق بمصرَّف. والضمير لمصرّف، أي: في جميع أموره الظاهرة والباطنة. وقوله (**في الحال**): أي في الوقت الذي يكون فيه. وقوله (**عن يد قدرة**): أي حاصلاً ذلك التصرّف له عن يد قدرة إلهيّة، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧].

٥٨٩- فَأَتْلُو عُلُومَ العَالَمِينَ بِلَفْظَةٍ وَأَجْلُو عَلَيَّ العَالَمَيْنَ بِلَحْظَةِ

٥٩٠- وَأَسْمَعُ أَصْوَاتَ الدُّعَاةِ وسَائِرِ الـ ـلُّغَاتِ بِوَقْتٍ دَوْنَ مِقْدَارِ لَمْحَةِ

٥٩١- وَأُحْضِرُ مَا قَدْ عَزَّ لِلْبُعْدِ حَمْلُهُ وَلَمْ يَرْتَدِدْ طَرْفِي إِلَيَّ بِغَمْضَةِ

٥٩٢- وَأَنْشَقُ أَرْوَاحَ الجِنَانِ وَعَرْفَ مَا يُصَافِحُ أَذْيَالَ الرِّيَاحِ بِنَسْمَةِ

٥٩٣- وَأَسْتَعْرِضُ الآفَاقَ نَحْوِي بِخَطْرَةٍ وَأَخْتَرِقُ السَبْعَ الطِّبَاقَ بِخَطْوَةِ

(فأتلو): أي أقرأ. وقوله (علوم): جمع علم. وقوله (العالمين): جمع عالَم، بفتح اللام، وهو اسم لما سوى الله تعالى. وجمعه باعتبار تعدّد أنواعه. وعلوم العالمين لا تحصى كثرة. وقوله (بلفظة): أي بكلّمة واحدة تجمع ذلك كلّه إجمالاً، وهي كلمة من كلمات الله التّامّات. قال تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٤] غيرها منفيّ لا موجود؛ لأنّه معدوم، والوجود للحقّ تعالى وحده. ﴿وَفَرْعُهَا﴾ أي: ما يتفرّع على أصلها، وهي العلوم في السماء لارتفاعها عن الحسّ بكونها معقولة. ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٤] وهو ما يؤكل منها، أي: يعلم، وهي معلوماتها. ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ أي: وقت على التدريج؛ لأنّه لا يمكن الإحاطة بها دفعة واحدة في وقت واحد بإذن ربّها المحيط بها، قال العارف الكامل في مثل ذلك:

كلّ شيء فيه معنى كلّ شيء فتفطّن واصرف الذهن إلي

وقوله (وأجلو): أي أكشف. (عليَّ): بتشديد الياء. وقوله (العالَمَين): بفتح اللام والميم، تثنية عالَم، أي: عالَم الدنيا وعالَم الآخرة. وقوله (بلحظة): أي نظرة واحدة أنظر بها شيئاً من الأشياء، الجامع كلّ منها لكلّ منها. وبيان ذلك أنّ كلّ شيء ظاهر عن كلمة: كُنْ فيكون/ [٢٥٢/ أ] وهو أمره تعالى، كما قلت في مطلع أبيات لي:

كلّ تحريك تراه وسكون فإشارات إلى كن فيكون

وأمره تعالى جامع، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ فوَحّدَهُ، ثمّ قال: ﴿أَنزَلَهُۥٓ﴾ فوَحّدَهُ أيضاً ثمّ قال: ﴿إِلَيۡكُمۡ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ٥] فكَثّره، وهو الخلق الكثير الظاهر عن الأمر الواحد. وقال تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [١٠٨/ الكوثر/ ١] أي: الكَثرة، وهو إرجاع الكثرة إلى الوحدة مع أنّه قال تعالى لغيره صلى الله عليه وسلّم من الغافلين: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [١٠٢/ التكاثر/ ١] أي: الكثرة؛ لأنّهم في مقام الفرق، وهو إرجاع الوحدة إلى الكثرة. وقوله (**وأسمع أصوات الدّعاة**): جمع داع. وقوله (**وسائر**): أي جميع. وقوله (**اللغات**): جمع لغة، قال في القاموس: «اللغة أصوات يُعَبِّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وجمعها لُغات ولُغُون. ولَغَا لَغْواً: تكلّم. وعطف اللغات على الأصوات، من عطف الخاص على العام لنكتة؛ وهي شرفها بالدلالة على معانيها. وقوله (**بوقت**): أي في وقت واحد. وقوله (**دون مقدار لمحة**): من لَمَحَ كمَنَعَ: اختلس النظر كألْمَحَ، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «لَمَحَهُ وأَلْمَحَهُ والْتَمَحَه: إذا أبصره بنظر خفيف. والاسم اللُّمْحَة». وقوله (**وأُحْضِرُ**): أي أجْعَل حاضراً. وقوله (**ما**): أي الذي. وقوله (**قد عَزَّ**): أي قَلّ، فلا يكاد يوجد. وقوله (**للبعد**): أي لأجل بُعد المسافة في حمله، وهو كعرش بلقيس الذي جاء به آصف بن برخيا وزير سليمان بن داوود عليهما السلام وابن خالته. وكان يحفظ الاسم الأعظم، وهوعلم الكتاب. يعني: كتاب الله الذي هو كلمح بالبصر فانسلب الوجود عن العرش في سبأ، واتّصف بالوجود في بيت المقدس قبل ارتداد الطرف؛ وهي سرعة الأمر الإلهيّ الذي قام به الخلق كلّه، قاله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾. وقوله (**ولم يرتدد**): الواو للحال. وقوله (**طرفي**) فاعل يرتدد. وقوله (**إليّ**): بتشديد الياء، متعلّق بـ (**يرتدد**). وقوله (**بغمضة**): وهي طبقة الجفن الأعلى على الأدنى، وهو معنىً لارتداد الطرف، أي: رجوعه بعد

الانفتاح إلى الانطباق. وقوله (وأَنْشَقُ) يقال: استنشقت الريح: شممتها منه رِيحاً طيبة بالكسر، أي: شممت. وهذه ريح مكروهة النشق؛ يعني: الشَّمِّ، كذا في الصحاح. وقوله (أرواح): جمع ريح، وهي الرائحة، والشيء الطيّب، كذا في القاموس. وقوله (الجِنَان) بكسر الجيم، جمع جَنَّة بالفتح، وهي الحديقة ذات النخل والشجر. والجمع: جِنَان ككِتَاب، كما في القاموس. وهي جِنان الآخرة المذكورة في القرآن بأوصافها الحسان، أو أعمّ من ذلك، فيشمل جنان الدنيا. وغلبة الروحانيّة على الجسمانيّة يوجب الكشف عن ذلك، وعموم الإحساس كالذي كان يكاشف بالجنّة الأخرويّة والنار، فوجد أمّه في النار إلى أن أهدى إليها بعض الحاضرين سبعين ألف لا إله إلّا الله ، كأنّ عملها لنفسه، حتى قال ها هي أمّي خرجت من النار. في قصّة ذكرها السنوسيّ في أواخر شرحه على مقدّمة أمّ البراهين. ونقلها غيره أيضاً. وورد في الحديث قال صلّى الله عليه وسلّم: «مثلت الجنّة في عرض الحائط، وعُرض عليَّ عنقود منها لو أخرجته إليكم لأكلتم منه ما بقيَتْ الدنيا»[1]. وفي حديث حارثة: «رأيت أهل الجنّة في الجنّة يتنعّمون وأهل النار في النار يتعذبون فقال له صلّى الله عليه وسلّم عرفت فالزم»[2] في قصّة ذكرها ابن عطاء الله الإسكندريّ في كتابه لطائف المنن. وغيره أيضاً. أو/ [٢٥٢/ ب] يراد جنان الدنيا بدليل قوله (وعَرْفَ): بالنصب معطوف على أرواح الجنان، و(العَرْف) بالفتح: الريح، بمعنى الرائحة طيبة، كانت أو منتنة، يقال: ما أطيب عَرْفَهُ ذكره في الصحاح. وقوله (ما): أي

---

(١) انظر تخريجه ص٢٤١.

(٢) أخرجه السيوطيّ في الجامع الكبير، باب مسند الحارث بن مالك الليثيّ، ٣٧٢١٢، عن الحارث ابن مالك قال مررت بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: كيف أصبحت ياحارث، قال: أصبحت مؤمناً حقّا، فقال: انظر ما تقول؛ فإنّ لكلّ شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟! فقال: قد عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا، وأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأنّي أنظر إلى عرش ربّي بارزاً، وكأني انظر إلى أهل الجنّة يتزاورون فيها، وكأنّي أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها ـ أي: يتباكون ويتصايحون ـ. فقال: يا حارث، عرفت فالزم.

روض، أو زهر رياض. وقوله (**يُصافِحُ**): من المُصافَحَة، وهي: الأَخْذُ باليدّ كالتصافح، كذا في القاموس. والمُراد: اللمسّ واكتساب الرائحةعلى وجه الاستعارة التبعيّة. وقوله (**أَذْيال**): جمع ذيل، شبّه الرياح ـ جمع ريح، وهي الهواء ـ بإنسان لابس ثوباً له أذيال، يمرّ بها على الروض، فيعلق بها رائحة الزّهر. وقوله (**بِنَسْمَةٍ**): متعلقّ بأَنْشَقُ، والتاء للوحدة، أي: بنسمة واحدة، من تَنَسَّمَ: تَنَفَّسَ، وتَنَسَّمَ النَسِيْم: تَشَمْمَهُ، كذا في القاموس. وقوله (**واستعرض الآفاق**): أي: أطلب عرض الآفاق عليّ لأحيط علماً بما فيها، والآفاق جمع أفق، قال في المصباح: «الأُفُق بضمّتين: الناحية من الأرض ومن السماء، والجمع آفاق». وقوله (**نحوي**): أي جهتي. وأصله: القصد، نَحَوْتُ نَحْوَ الشيء، من باب قتل: قَصَدْتُ. فالنحو: القصد، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «النَحْوُ: القَصْد، والطريق، يُقال: نَحَوْتُ نَحْوَكَ، أي: قَصْدَكَ»، وقال في القاموس: «النَحْوُ الطريق والجهة، وجمعه: أَنْحَاءٌ ونُحُوٌّ، والقصد يكون اسماً وظرفاً». وقوله (**بخطرة**): متعلّق باستعرض. والخطرة: فعل مرّة من خَطَرَ بباله وعليه، يَخْطِرُ خُطُوراً: ذكره بعد نسيان، كذا في القاموس. وقال في المصباح : الخاطر ما يَخْطِرِ بالقلب من تدبير أمر، يُقال: خَطَرَ ببالي وعلى بالي خَطْرَاً وخُطُوراً، من باب ضرب وقعد». وقوله (**وأخترق**) من: خرقته، من باب ضرب: إذا قطعته. وقد استُعمل في قطع المسافة، فقيل: خَرَقْتُ الأرضَ: إذا جبتها، كذا في المصباح. وقوله (**السبع الطباق**): أي الطِّباق السبع، وهي السموات السبع. وقوله (**بخَطْوَة**) : بفتح الخاء المعجمة متعلِّق بأخترق، قال في المصباح: «خَطَوْتُ أَخْطُو خَطْوَاً: مَشَيْتُ. الواحدة: خَطْوَة، مثل ضَرَب وَضَرْبَة. والخُطْوَةُ بالضمّ: ما بين الرجلين. وجُمع المفتوح خَطَوَات، على لفظه، مثل شَهْوَة وَشَهَوَات. وجمع المضموم: خُطًا وَخُطُوات، مثل: غُرْفَة وغُرَفَات في وجوهها». ويشير بهذا إلى معراج النبي صلّى الله عليه وسلّم بجسمه، وإنْ كان في زمانه يسير بحث رجع وفراشه على سخونته الأولى. قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي

قدّس الله سرّه في الباب الرابع عشر وثلاثمئة من كتابه الفتوحات المكيّة: «اعلم أنّ معارج الأولياء بالهمم، وتشاركهم الأنبياء في هذا المعراج، من كونهم أولياء، لا من كونهم أنبياء؛ فيعرج الوليّ بهمّته، وبصيرته على براق عقله، ورفرف صدقه، معراجاً معنويّاً، يناله فيه ما يعطيه خاصّ الهمم من مراتب الولاية والتشريف»... إلى آخر ما بسطه من الكلام في هذا المقام، ولله درّ الإمام المحقِّق العارف شهاب الدّين عمر بن محمّد السهروردي قدَّس الله سرّه، فإنّه قال في كتابه كشف الفضائح اليونانيّة ورشف النصائح الإيمانيّة: «سرت أنوار الوحي المنزل في عوالم قلوب الأصحاب والأتباع، وخلقهم عن الارتهان بالعادات والطباع، وأُفْعِمَتْ[1] لهم سجال اليقين، وصار كلّ منهم غرساً من غروس الدين، حيث قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه تعالى عنه في صبيحة ليلة المعراج: «والذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما رأيتَ شيئاً بعين رأسك إلّا رأيته بعين قلبي». قال الشيخ شرف الدين السهروردي المذكور:" فليت شعري، عرج برسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقالبه/ [٢٥٣/أ] في طباقات السموات، واتّسعت عرصة قلبه وانشرح، حتّى أدرجت فيه السموات". ومذهب أهل الحقّ من أهل السنة والجماعة أنّه عرج بقالبه المتّصف بصفة قلبه لغلبة روحانيّته على جسمانيّته، ويلائم هذا المحل قول القائل:

ثقلت زجاجات أتتنا فُرَّغاً حتّى إذا ملئت بصفو الراح
خفَّت فكادت أن تطير بما حوت وكذا الجسوم تخفّ بالأرواح

وقال قدّس الله سرّه:

راح الروح وسرى في دمائه وأبشاره
فنهض طائر همته من أوكار أفكاره
وأزعجه فرط حنوِّه واستهتاره

---

(١) أُفعِمَتْ / مُلِئَتْ.

فنضا جلباب الغين والدين حتّى توطّن حريم قاب قوسين، فكما أنّ لرسول الله صلّى الله عليه وسلم عروج بقالبه فلأتباعه ببركة متابعته عروجٌ قلبيٌ روحانيٌّ. أليس يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «سلوني عن طرق السماء؛ فإنّي أعرف بها من طرق الأرض». [ما] قال ذلك إلّا بما علم أنّ قلبه صار سماءنا، والطرق التي أشار إليها أندري ما هي؟!. التوبة النصوح، والزهد في الدنيا، وصدق التوكّل، وصفو الرضا، وخالص التسليم، وموافقة في الأقدار، وحراسة القلوب عن الأكدار. هي طرق السماء، لا يزال الإنسان يسلكها بقدم الصدق، حتّى يصير قلبه سماءً محفوظاً من خطف الشياطين، محفوفاً بأنوار اليقين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾.

٥٩٤- وَأَشْبَاحُ مَنْ لَمْ تَبْقَ فِيهِمْ بَقِيَّةٌ لِجَمْعِيَ كَالْأَرْوَاحِ خَفَّتْ فَخَفَّتِ[1]

٥٩٥- فَمَنْ قَالَ أَوْ مَنْ طَالَ أَوْ صَالَ إِنَّمَا يَمُتُّ بِإِمْدَادِي لَهُ بِرَقِيْقَةِ

٥٩٦- وَمَا سَارَ فَوْقَ المَاءِ أَوْ طَارَ فِي أَوِ اقْتَحَمَ النِّيْرَانَ إِلَّا بِهِمَّتِي

٥٩٧- وَعَنِّيَ مَنْ أَمْدَدْتُهُ بِرَقِيْقَةٍ تَصَرَّفَ عَنْ مَجْمُوْعِهِ فِي دَقِيْقَةِ

٥٩٨- وَفِي سَاعَةٍ أَوْ دُوْنَ ذِلِكَ مَنْ تَلَا بِمَجْمُوْعِهِ جَمْعِي تَلَا أَلْفَ خَتْمَةِ

٥٩٩- وَمِنِّيَ لَوْ قَامَتْ بِمَيْتٍ لَطِيْفَةٌ لَرُدَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَأُعِيْدَتِ

(وأشباح): جمع شَبَح بالتحريك، قال في المصباح: «الشَّبَح الشخص، والجمع: أَشْبَاح، مثل سَبَب وأسباب». وقوله (من لم تبق فيهم بقيّة): وهم العارفون الفانون في تجلّي الوجود الحقّ. الذين فنيت رسومهم، واضمحلّت آثارهم بالكلّيّة. وقوله (بجمعي): أي بسبب وصولهم إلى مقام جمعي، أي: الجمع إليّ من حيث رجوعي إلى حقيقة من فنيت فيه رسومي واضمحلّت آثاري بالكليّة. وقوله

---

(١) في (ق): خُفَّت فَخَفَّتِ.

(كالأرواح): خبر المبتدأ الذي هو أشباح. يعني: أشباحهم بمنزلة الأرواح الصادرة عن أمر الله تعالى الذي هو كلمح بالبصر، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [٤٥/ القمر/ ٥٠]. وقوله (خفت): بالخاء المعجمة، أي: تلك الأشباح، وذهبت ثقالة أجسامها العنصريّة، واندرجت ظلمتها في نورانيّة الروح الأمري، ورجّحت الكثافة لطافة، وعادت الزجاجة الإنسانيّة شفافة كما قيل:

رقّ الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر

فكأنّما خمر ولا قدح وكأنّما قدح ولا خمر

وقال الآخر:

عطس الصبح في الدجى فاسقِنيها هي في كأسها أَمِ الكأس فيها؟

/ [٢٥٣/ ب] وقوله (فحفّتِ): بالحاء المهملة وكسر التاء للقافية، أي: أطافت بالعوالم كلّها، قال في المصباح: «حَفَّ القومُ بالبيت: أطافوا به، فهم حَافُّونَ». وقال في الصحاح: «حَفُّوا حوله يَحُفُّونَ حَفّاً أي: أطافوا به واستداروا». قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٧٥] وقوله (فمن قال): أي تكلّم من أهل المعرفة بما تكلّم به من الحقائق الإلهيّة، والمعارف الربانيّة، أو من قال بمعنى غلب، قال في القاموس: «القَيْلُ: المَلِك أو من ملوك حِمْيَر يقول ما شاء فَيَنْفُذُ، والجمع أَقْيال. واقتال عليهم: احْتكَم». فيكون معنى ذلك ما أشار إليه الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه بقوله من معشراته:

لله درّ رجال ما لهم دول وهم يقيمون ما في الدهر من دول

لهم عَنَتْ أوجه الأملاك خاضعة وما لهم أرب في عِلّة العلل

إلى آخر الأبيات. وقوله (أو من طال): أي علا وارتفع في مقامات القرب، قال في المصباح: طَالَ الشيءُ طُوْلاً بالضمّ: امتدّ طرفاه، وطالت النخلة: ارتفعت،

وطَال عليَّ القومُ يَطُول طَوْلاً، من باب قال: إذا أَفضل؛ فهو طائل». يعني: من فُضِّل وارتفع على غيره بالكمال والعرفان. وقوله (**أوصال**): يقال صَال عليه: اسْتَطَال. وأَصله: صَالَ الفَحْل يَصُول صَوْلاً: وَثَب. قال أبو زيد: إذا وَثَبَ البَعِيرُ على الإبل يقاتلها، قيل استأسد البعيرُ، وصَال صَوْلَاً وصِيالاً، الصَّوْلَة: المرّة، والصِّيَالة كذلك، ذكره في المصباح. يعني: من توجّه بصدق أحواله، فانفعلت له الآثار الكونيّة، وتصرّف في عوالم الإمكان. وقوله (**إنّما يَمُتُّ**): بتشديد التاء المثنّاة الفوقيّة، من المَتّ، وهو المَدُّ والنَزْعُ على غَيْر بَكَرَة، والوسيلة، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «المَتُّ: التوسُّل بِقَرَابَة، تقول: فلان يَمُتُّ إليك بِقَرَابَة، والمَوَاتُّ: الوسائل». وقوله (**بإمدادي له**): متعلّق بيَمُتّ. الباء للسببيّة. وقوله (**برقيقة**): متعلّق بإمدادي. والرقيقة هي الروح المنفوخ عن أمر الله تعالى في الهياكل الإنسانيّة، وغيرها من الروح الكلّ، وهو الروح الأعظم، كقرص الشمس، تنبعث عنه جميع الأرواح، كالأشعّة، وهي الرقائق المدّبرة للأجسام، بحكم طبائعها، كما قلنا في مواليا:

الطـائر الـسرّ في أوج الرقيقـة وكـر ضع حبّذا القلب لو وأنـصب فخاخ
واسـتنزلوا عـل ينـزل بـالرداح البكـر عليك يوماً فتنجو من قيود الفكر

وقوله (**وما سار**): أي مشى، وتقديره أحد من أولياء الله تعالى. وقوله (**أو طار في الهوى**): أي بين السماء والأرض. وقوله (**أو اقتحم**): أي دخل، قال في الصحاح: «اقْتَحَمَ النهرَ: دخله، وقَحَّمَ الفَرَسُ فَارِسَهُ تَقَحِيُماً على وجهه: إذا رماه. وأَقْحَمَ فَرَسَه النهرَ فَانْقَحَم [دخله]». وقوله (**النيران**): جمع نار، وهم الذين يدخلون النار بصدق أحوالهم فلا تحرقهم، كتلميذ ابن سليمان الدّاراني قدّس سرّه، وغيره من المتقدّمين والمتأخّرين. وقوله (**إلّا بهمّتي**): أي بصدق التوجّه إليّ، وكمال الإيقان بي، وفناء الطبيعة النفسانيّة والغيبة عن الوساوس الوهميّة، والأفكار الرديّة بالكلّيّة؛ فإنّ الروح الأمري يمدّ من كان بهذه المنزلة، ويحميه من

الأذيّة؛ لأنّ التأثيرات كلّها به في العوالم الإمكانيّة. وقوله (**وعنّي**): الجار والمجرور متعلّق بـ تصرّف، قُدم عليه للحصر. وقوله (**مَنْ**): أي الذي، مبتدأ. وقوله (**أمددته**): متعلّق صلته، أي: وصلته بإمداد لي، وقويته بقوّتي، قال في الصحاح: «مَدَدْتُ الشيءَ فامْتَدَّ، والمائدة: الزيادة المتّصلة. وقوله(**برقيقة**): متعلّق بأمددت، وهي الروحانيّة الأمرية الممتدّة/ [٢٥٤/ أ] من الروح الأعظم وقوله (**تَصَرَّفَ**): أي صار مُتَصَرِّفاً: بالقبض، والبسط، والمنع، والعطاء، والتقديم، والتأخير، والزيادة، والنقصان، بعوالم الإمكان. وقوله (**عن مَجْمُوعِهِ**): الضمير إلى مَنْ، أي: تصرَّف صادراً عن مجموعة من أعضائه، وقواه الظاهرة والباطنة. وقوله (**في دقيقة**): قال في القاموس: «هي في المصطلح النجوميّ جزء من ثلاثين جزءاً من الدرجة. وقوله (**في ساعة**): هي جزء من أجزاء الجَديدَين، والوقت الحاضر. وجمعها ساعاتٌ وساعٌ، كذا في القاموس. وقوله (**أو دون ذلك**): أي أقلّ من ساعة. وقوله (من تلا): أي وجد الإنسان الذي تلا، أي: تبع، قال في الصحاح: «تَلَوْتُ الرجلَ أَتْلُوهُ تُلُوّاً: إذا تبعته. يقال ما زلت أَتْلُوهُ حتى أَتْلَيْتُهُ: أي تَقَدَّمْتُهُ، وصار خلفي». وقوله (**بمجموعه**): أي بظاهره وباطنه عن صدق يقين. وقوله (**جَمْعِي**) مفعول تلا. أي: تبعني في مقام جمعي على الحقّ تعالى بكلّيته، ولم تبقَ فيه بقيّة للأغيار. وقوله (**تلا**): أي قرأ. يقال: تَلَوتُ القرآن: إذا قَرَأْتُه». وقوله (**ألف ختمة**): هي فعل مرّة من قولك ختمت القرآنَ: إذا بلغت آخره. ويكون ذلك من غلبة الروحانيّة على الجسمانيّة. والروح من أمر الله، وأمر الله كلمح بالبصر. والقائم بالسريع سريع، كما نُقل أنّ عيسى المغربي من أولياء الله تعالى قدّس الله روحه، كان ورده في كلّ يوم سبعين ألف ختمة، وسمع منه أنّه ختم عند طوافه في الملتزم، وهو مقدار ثلاث أو أربع خطوات من المكان. وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير للسيوطيّ، قال القسطلانيّ أخبرني شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف أنّه كان يقرأ خمسة عشر ختمة في اليوم والليلة. وفي الإرشاد أنّ النجم

الأصبهاني رأى رجلاً من اليمن ختم في شوط أو أسبوع، وهذا لا يتسهّل إلّا بفيض ربّانيّ، ومدد رحمانيّ. وأخبرني بعض الثقات أنّ شيخنا العارف عبد الوهاب الشعراني ختم بين المغرب والعشاء ختمتين. ثمّ رأيته ذكر في كتاب الأخلاق ما نصّه: «ومنها عمل أحدهم على تحصيل مقام غلبة الروحانيّة على الجسمانيّة، حتّى يصير يقرأ في اليوم والليلة كذا كذا ختماً. ويقرأ مع من غلبت روحانيّته على جسمانيّته، فلا يتخلّف عنه. ويحتاج صاحب هذا المقام إلى ورع شديد، وطاعة كثيرة، ليحصل له تلطيف الكثائف، فلا يقدر يستعجل في القراءة مع ذكر؛ بل يصير كأنّه يسحب صخراً على الأرض خلف طائر. فمن فهم هذا عرف سرّ أمره تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم بترتيل القرآن؛ فإنّ روحانيّته تغلب جسمانيّته. فإذا قرأ لا يلحقه أحد لانطواء الألفاظ في نطق الأرواح». وأخبرنا الشيخ علي المرصفي أنّه قرأ في أيام سلوكه في كلّ يوم وليلة ثلاثمئة وخمسين ألف ختم، كلّ درجة ألف ختم. وكان على المقام شيخنا القاضي زكريّا فكان إذا قرأنا معه لا نلحقه، وكذا الشيخ نور الدين الشوني لغلبة روحانيّتهما على جسمانيتهما. وقوله **(ومنِّي)** على طريقة التجريد البياني. والجار والمجرور متعلّق بقامت، قدّم عليه للحصر. وقوله **(لو قامت)**: أي ثبت. وقوله **(بمَيْتٍ)** متعلّق بقامت. والمَيْتُ بسكون الياء التحتية: الذي فارق الحياة، قال في القاموس: «المَيْت مخفّفة الذي مات، والمَيِّت والمَائِت الذي لم يَمُت بعد. ويقال ميِّت ضدّ حَيّ، والجمع أموات. ومَوْتَى ومَيِّتون ومَيْتُون، وهي مَيْتَة ، ومَيِّتَه». وقوله **(لَطِيفَةٌ)**: فاعل قامت، وهي إفاضة من إفاضات روحه الأمري المدبّر لهيكله. وقوله **(لَرُدَّت)**: بالبناء للمفعول، أي: لردّ الله تعالى. وقوله **(إليه)**: أي إلى ذلك الميت. وقوله **(نفسه)**: نائب فاعل لردّت. وقوله **(وأُعيدتِ)**/ [٢٥٤/ ب] بالبناء للمفعول أيضاً، وكسر التاء للقافية، أي: أعاد الله تعالى إليه نفسه التي ماتت، وذلك بتوجّه أمره سبحانه، فإنّ أولي الأمر من العلماء بالله العارفين، إنّما يعملون

بأمره، لغلبة الروحانيّة على جسمانيّتهم كما قال تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [٢١/الأنبياء/ ٢٧] فإذا عملوا بأمره كان توجههم بأمره، ومشيئتهم على طبق مشيئته، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٧٦/الإنسان/ ٣٠] فلو شاء سبحانه لشاؤوا، ولتوجّهت بأمره تعالى لطيفة من فيوضات أرواحهم الفائضة عن أمره تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/الإسراء] على ميت من الأموات، فتقوم به تلك اللطيفة، ويحيا بها، ويعود كما كان حياً من المقام العيسوي، فإنّ عيسى عليه السلام كان روحاً منه تعالى. يعني: كانت روحانيّته غالبة على جسمانيّته، والعلاقة الجسمانيّة ضعيفة فيه، قال تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [٤/النساء/ ١٧٢] لأنه تولّد في مريم عليها السلام عن نفخ جبريل الروح الأمين من غير أبٍ جسمانيّ إنسانيّ. فكان إذا شاء أحيا ميتاً شاء قبله ربُّه ذلك، فتوجّه منه لطيفة روحانيّة عن أمره تعالى على ذلك الميت فيحيا بها، ويعود كما كان، والله على كلّ شيء قدير. وللورثة نصيب من مشارب النبيّين، عليهم الصلاة والسلام.

٦٠٠- هِيَ النَّفْسُ إنْ أَلْقَتْ هَوَاهَا تَضَاعَفَتْ قُوَاهَا وَأَعْطَتْ فِعْلَهَا كُلَّ ذَرَّةِ

(هي): ضمير القصّة، نظير ضمير الشأن، فإنّ ضمير الشأن مذكّر، كقول الناظم قدّس الله تعالى سرّه:

هو الحبّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختاره مضنى به وله عقل

وضمير القصّة مؤنّث، وكقول الشاعر:

هي الصبابة من باد ومن سكني طوى لها البين أحشايَ على شجن[1]

(والنفس): أصلها اللطيفة الروحانيّة المتوّجة من أمر الله تعالى على تدبير الجسد، لكن غلب عليها طبع الجسد فاشتغلت بما يناسبه، وانهمكت في شهواته، وما يحفظ عليه أحواله الظاهرة والباطنة، فصارت نفساً بعد أنْ كانت روحاً أمريّاً

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه».

شريفاً. ومسكنها في القلب، ومحلّ نفاذ أمرها في الدماغ. وقوله (**إن ألقت**): أي تركت، قال في الصحاح: «أَلْقَيْتُهُ: أي طَرَحْتُهُ. وتقول: أَلْقِ مِنْ يدك، وأَلْقِ به من يدك». وقوله (**هواها**): أي ما تهواه وتحبّه وتميل إليه، قال في الصحاح: «هَوِيَ بالكسر يَهْوَى، أي: أحبّ». وإضافة الهوى إليها إشارة إلى قصدها له، وتعمّدها فيه ذلك يشغلها عن التفرّغ لمعرفتها، ومعرفتها مستلزمة لمعرفة ربّها، كما ورد: من عرف نفسه فقد عرف ربّه. وقوله (**تضاعفت**): أي تعدّدت، وكثرت، وقويت. من الضِّعف بالكسر، قال في القاموس: «ضَعْفُ الشيء، بالكسر: مثلُه، وضِعفاه: مثلاه. أو الضِّعف: المثل، إلى ما زاد. ويقال: لك ضِعْفُهُ، يريد مِثليه، وثلاثة أَمثاله؛ لأنّه زيادة غير محصورة. وقول الله تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٣٠] أي: ثلاثةَ أَعْذِبَةٍ. ومجاز يضاعف،[أي]: يُجْعَل إلى الشيء شيئانِ حتى يصير ثلاثة». وقوله (**قُواها**): فاعل تضاعفت. و(**القُوى**): جمع قوّة، قال في الصحاح: «القُوَّةُ خلاف الضَّعف. والقُوَّةُ: الحَبْل، وجمعها: قُوَى». والمراد بقوَى النفسّ: قوى حواسها الخمس، وقوة الطاقةُ من العقل، والقوى الباطنة التي في أعضاء الباطن؛ وذلك لاتّصالها بقوّة الروح الكلّيّ الأمريّ القائم على جميع العوالم بقوّة الأمر الإلهيّ، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٥] وهو جبريل الروح الأمين عليه السلام الذي يمدّه الحقّ تعالى بتجلّي اسمه القويّ، والكلّ راجع إليه/ [٢٥٥/ أ] سبحانه قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] ويقال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم. وقوله (**وأعطت**): معطوف على تضاعفت قواها. وفاعله ضمير مؤنّث عائد إلى النفس. وأعطى ينصب مفعولين: الأوّل قوله فعلها، أي: فعل النفس في كلّ ما تريده بإرادة ربّها، وتشاؤه بمشيئته تعالى من جميع الأفعال الإنسانيّة. والمفعول الثاني قوله (**كلّ ذرّة**): أي من جميع ذرّات العوالم، قال في القاموس: «الذرّ صغار النَّمل، ومائة منها زنة حبّة شعير. الواحدة ذرّة » فإذا أَعْطَتْ فعلها لكلّ ذرّة، أي: مقدار ذرّة من مقادير ذرّات

العوالم فعلت كلّ ذرّة من ذلك ما تفعله تلك النفس من الأفعال العجيبة، والأعمال الغريبة بتصريف الحقّ تعالى لها في كلّ ذلك.

٦٠١- فَنَاهِيكَ جَمْعَاً لَا بِفَرْقِ مِسَاحَتَيْ مَكَانٍ مَقِيْسٍ أَوْ زَمَانٍ مُوَقَّتِ

[**فناهيك**] الفاء للتفريع على ما قبله، و(**ناهيك**): اسم فاعل بكاف الخطاب للمذكر، يقال: هذا رجل ناهيك من رجل، ونَهْيُكَ من رجل. وتأويله: أنّه بِجِدِّهِ وغَنائه يَنْهَاكَ عن تَطَلُّبِ غيره، قال الشاعر:

هو الشيخ الذي حدّثت عنه نهاك الشيخ مكرمة وفخراً

وهذه امرأة نَاهِيَتُكَ من امرأة، وتذكَّر وتؤنّث، وتُثنَّى وتجمع؛ لأنّه اسم فاعل. وإذا قلت نَهْيُك من رجل، كما تقول: حَسْبُك من رجل، لم تثَنَّ، ولم تجمع؛ لأنّه مصدر. وتقول في المعرفة: هذا عبد الله ناهيك من رجل، فتنصب ناهيك على الحال، كذا في الصحاح. وقوله (**جَمْعاً**): تمييز منصوب؛ يعني: حَسْبُكَ، بمعنى: كافيك، بحيث ينهاك عن تطلّبِ غيره زيادة عليه من جهة مقام الجَمْع الذي لا يخرج عنه شيء مطلقاً، وهو شهود وحدة الحقّ تعالى في عين كثرة الخلق، فيقوم فيه الوجود الحقّ بنفسه، وكلّ ما عداه فانٍ، مضمحلٌّ، معدوم، مقدّر به، مفروض، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

يا آخر الكلّ فيك الكلّ مندرج وقولي الكلّ كاف أن تكون فَطِنْ

وقوله (**لا بِفَرْقٍ**): أي لا بسبب فرق، على خلاف الجمع، لأنّ فيه شهود الكثرة، ومعاينة الأغيار بتراكم الحجب والأكدارعلى عيون البصائر والأبصار. ثمّ ذلك الفرق مضاف إلى قوله (**مساحتَيْ**): تثنية مساحة، وهي ذرع الأرض بالذراع لمعرفة مقدارها، قال في الصحاح: «مَسَحَ الأرض مِسَاحَةً، أي: ذَرَعَهَا». فالمساحة هنا مقدار المسافة، وهي مثنّاة مضافة إلى قوله (**مكانٍ**): ولهذا حذفت منها نون التثنية، فإنّ أصله مساحتين. والمكان هو الموضع الذي يتمكّن فيه الجسم. وقوله

(**مَقِيسٍ**): بصيغة اسم المفعول، وصفان لمكان، من: قاسه بغيره، وعلى غيره: يَقيسه قياساً، واقتباسه قدره على مثاله، والمِقدار: مِقياس، كذا في القاموس. وقوله (**أو زمان**): معطوف على مكان. والمساحة في الزمان أيضاً، وهي مقدار مسافته من طوله وقصره. وقوله (**مُوَقَّتِ**): بتشديد القاف صيغة اسم المفعول: وصف لزمان من الوقت، وهو المقدار من الدهر، وأكثر ما يُستعمَل في الماضي، كالمِيْقَات، وتحديد الأوقات، كالتوقيت، كما في القاموس. يعني: إنّ الجمع على الحقّ تعالى هو الأمر المعتبر الذي حصلت به المعجزات للأنبياء والمرسلين عليهم السلام. والكرامات لورثتهم من الأولياء المقرّبين، قدّس الله أسرارهم، كما سيذكره، لا بالفرق الذي يُدخِل صاحبه في مضيق الزمان والمكان، ويتقيّد بهما في عالم الإمكان؛ فإنّ ذلك قيد ينافي الإطلاق. والخارج عنهما يَنْشَطُ كأنّما حُلّ من وثاق، ولا يكون ذلك إلّا بتحقيق العرفان، والكشف عن الوجود الحقّ بالمشاهدة والعيان وبالله المستعان/ [١٥٥/ ب].

٦٠٢- بِذَاكَ عَلَا الطُّوْفَانَ نُوْحٌ وَقَدْ نَجَا بِـهِ مَـنْ نَجَـا مِـنْ قَوْمِـهِ فِي الـسَفِيْنَةِ

٦٠٣- وَغاضَ لَهُ مَا فَاضَ عَنْهُ اسْتِجَادَةً وَجَـدَّ إِلى الجُـودِي بِهَـا وَاسْـتَقَرَّتِ

(**بذاك**): أي بالجمع المذكور. يعني: بسببه؛ إذ ليس فيه سوى الحقّ تعالى، فالاسم الحفيظ يلزمه، لأنّ كلّ ما سواه تعالى ذكر له بعلمه، وبقدرته، وبإرادته، وبكلامه القديم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩]. وقوله (**عَلَا**): أي ارتفع. وقوله (**الطوفان**): مفعول عَلَا، وهو بالضمّ: المطر الغالب، والماء الغالب يغشى كلّ شيء، والسيل المغرق، ومن كلّ شيء ما كان كثيراً مطيفاً بالجماعة، وبذلك سميّ الطائف، وهو بلاد ثقيف في واد أَوّل قُراها لُقَيْم، وآخرها الوَهْط، سُمِّيَتْ لأنّها طافت على الماء في الطوفان، أو لأنّ جبريل طاف بها على البيت، أو لأنّها كانت بالشام، فنقلها الله تعالى إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه السلام، ذكره في القاموس. وقوله (**نوح**): فاعل علا، وهو نبيّ الله

المرسل إلى قومه. أوّل أولي العزم، عليهم الصلاة والسلام. وقوله (**وقد نجا**): الواو للحال، أي: والحال أنّه قد نجا من الغرق بذلك الطوفان. وقوله (**به**): أي بسبب الجمع الذي نوح عليه السلام مشتمل عليه. (**مَنْ نجا**): فاعل نجا الأوّل. وقوله (**مِن قومه**): بيان لِمَنْ الأولى، وهم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [١١/ هود/ ٤٠]. وقوله (**في السفينة**): متعلّق بنجا، واللام للعهد الذهنيّ. وقوله (**وغاض**) يقال: غاضَ الماء، يَغِيضُ غَيْضاً، أي: نَضَبَ، وانْغَاضَ مثله، وغِيضَ الماء، أي: فُعِلَ به ذلك، وغَاضَهُ الله يتعدّى ولا يتعدّى، وأَغاضه الله أيضاً، كذا في الصحاح. وقوله (**له**): أي لنوح عليه السلام. يعني: لأجله، أو للجمع، أي: جمع نوح عليه السلام ، يعني: لاحترام مقام جمعه بالحقّ تعالى الذي هو سرّ كلّ أمر خارق للعادة: معجزة النبيّ، أو كرامة لوليّ. وقوله (**ما**): أي الماء الذي فاض، يُقال: فاض الماء، يَفِيض فَيْضاً وفَيْضُوضَةً، أي: كَثُرَ حتّى سال على ضفة الوادي». وقوله (**عنه**): أي عن نوح عليه السلام، أو عن جمعه بالله. وقوله (**اسْتِجَادَةً**): منصوب على التمييز، أي: من جهة طلبه عليه السلام الجود الإلهيّ، أي: الكرم الفياض؛ فإنّ الطوفان إنّما حصل باستدعاء نوح عليه السلام، وطلبه إظهار الحجّة على قومه بإهلاكهم ليتبيَّن ما جاء به من الحقّ للباقين معه وهم القليل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [١١/هود/ ٤٠]. ومعنى (**الاستجادة**): يرجع إلى معنى الاستجابة، أي: إجابة دعائة، حيث قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [٧١/ نوح/٢٦] إلى آخره. وقوله (**وَجَدَّ**): معطوف على غاض. يعني: اجتهد وكابد مشقّة السفينة، وقوله (**إلى الجودي**): أي إلى أنْ وصل نوح عليه السلام إلى جبل الجودي، قال في القاموس: «الجودي: جبل بالجزيرة، استوت عليه سفينة نوح عليه السلام». وقوله (**بها**): أي بالسفينة. وقوله (**واستقرّتِ**): أي السفينة على جبل الجودي، وكُسرت التاء للقافية. قال في القاموس: (قرّ): بالمكان يَقِرّبالكسر والفتح: ثَبَتَ، وسَكَنَ كاسْتَقَرَّ».

٦٠٤- وَسَارَ وَمَتْنُ الرِّيحِ تَحْتَ بِسَاطِهِ سُلَيْمَانُ بِالجَيْشَيْنِ فَوْقَ البَسِيْطَةِ
٦٠٥- وَقَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ أُحْضِرَ مِنْ سَبَا لَهُ عَرْشُ بِلْقِيْسٍ بِغَيْرِ مَشَقَّةِ

(وسار): أي مشى. وقوله **(ومتن)**: الواو للحال، والمتن: الظَّهْر على طريق الاستعارة المكنيّة بتشبيه الريح بالدّابة، وإثبات المتن لها تخييل للاستعارة. وقوله **(الريح)**: مضاف إليه. وقوله **(تحت بساطه)**: ترشيح للاستعارة. والضمير لسليمان عليه السلام. وهو متقدّم رتبة، وإنّ تأخر لفظاً؛ لأنّه فاعل سار. وقوله **(سليمان)**: هو نبيّ الله بن/[٢٥٦/ أ] داوود عليه السلام مرفوع على أنّه فاعل سار. وقوله **(بالجيشين)**: متعلّق بسار، وهما تثنية جيش، وهو الجند، أو السائرون لحرب، أوغيرها، كذا في القاموس. وأراد بالجيشين: جيش الأُنس، جيش الجن، لأنّ ملكه كان شاكلاً لهما ولغيرهما. و**(فوق البسيطة)**: وهي المستوية من الأرض، والأرض الواسعة. وقوله **(وقبل ارتداد)**: أي رجوع. وقوله **(الطَّرْف)**: بفتح، العين، لا يُجمع، لأنّه في الأصل مصدر، أو اسم جامع للبصر، لا يُثّنى ولا يُجمع، كذا في القاموس. وقوله **(أُحْضِرَ)**: بضمّ الهمزة مبني للمفعول، يقال: حَضَرَ كنَصَرَ وعَلِمَ، حُضُوْراً وحضارة : ضدّ غاب. وأَحْضَرَ الشيءَ وأَحْضَرَه إيّاه، كذا في القاموس. وقوله **(من سَبَا)**: بلدة بلقيس في أقصى اليمن. وقوله **(له)**: أي لسليمان عليه السلام. وقوله **(عرش)**: نائب فاعل أُحضر، وهو سرير الملك. وقوله **(بِلْقِيس)**: بالكسر مَلِكَة سَبأ، كما في القاموس. **(بغير مشقّة)**: متعلِّق بأُحْضر. المَشَقَّة من شَقَّ عليه الأمرشَقّاً ومَشَقَّةً: صَعُبَ، كذا في القاموس. وذلك كان من سليمان عليه السلام، أو من وزيره آصف بن برخيا ابن خالته، وكان يحفظ الاسم الأعظم، وهو الاشتمال على مقام الجمع المذكور، وذهب إلى الأوّل الفخر الرازي في تفسير: قال الذي عنده علم من الكتاب، هو سليمان عليه السلام، وقد قال للعفريت: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ لمّا قال له العفريت ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [٣٧/النمل/ ٣٩]. وقال غيره: إنّ القائل آصف ببركة سليمان عليه السلام، فهي كرامة لآصف، وهي معجزة لسليمان عليه السلام.

٦٠٦- وَأَخْمَدَ إبْرَاهِيْمُ نَارَ عَدُوِّهِ وَمِنْ نُوْرِهِ عَادَتْ لَهُ رَوْضَ جَنَّةِ
٦٠٧- وَلَمَّا دَعَا الأَطْيَارَ مِنْ كُلِّ شَاهِقٍ وَقَدْ ذُبِحَتْ جَاءَتْهُ غَيْرَ عَصِيَّةِ

(**وأخمد**): من خَمَدَتِ النَارُ تَخْمُدُ خُمُوْداً: سَكَنَ لَهَبُهَا، ولَمْ يَطْفَأ جَمْرُهَا، وهَمَدَتْ: إذا طَفِئَ جَمْرُهَا. وَأخْمَدْتُهَا أنا. كذا في الصحاح. وقوله (**إبراهيم**): هو فاعل أخمد، وهو نبيّ الله، وخليل الله، عليه الصلاة والسلام. وقوله (**نار**): مفعول أخْمَدَ. وقوله (**عدوّه**): أي عدوّ إبراهيم عليه السلام، وهو النُمْرُود، بضمّ النون، من الجبابرة، كذا في القاموس. وقوله (**ومن نوره**): أي نور إبراهيم عليه السلام، وهو حالة جمعه بالحقّ تعالى المذكور، والجار والمجرور متعلّق بعادت، وقدّم المتعلّق للحصر، أي: لا من غير ذلك، وهو قول نبيِّنا عليه الصلاة والسلام في دعائه، كما ورد في الحديث «اللهمّ اجعل في سمعي نوراً وفي بصري نوراً» إلى أن قال: «واجعله لي نوراً واجعله لي نوراً»(1). وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٢٢]. وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٢٢] وهذا كلّه إشارة إلى مقام الجمع الربّانيّ المذكورهھنا. وقوله (**عادت**): أي النار المذكورة. يعني: رجعت عن طبعها الأصليّ، وهو الإحراق بغلبة نوره عليها واستحالتها إلى ضدّها. وقوله (**له**): أي لإبراهيم عليه السلام. وقوله (**روض جنّةٍ**): قال في القاموس: «الروض جمع روضة، وهي: مُسْتَنْقَعِ الماء لاسْتِرَاضِةِ الماءِ فيها». والمراد هنا: البستان المشتمل على الماء والثمار والأزهار، وما ألطف الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في الإشارة إلى ذلك:

---

(١) أخرجه المتّقيّ الهنديّ في كنز العمال، باب: ذكر الركوع والسجود، كما أخرجه العراقيّ في تخريج أحايث الإحياء، ١٠٨٩، وقال متّفق عليه. لكن الأرجح أنه ليس في صحيحي البخاري ومسلم، إذ رواه البخاري في الأدب المفرد: ٦٩٥، والترمذي في كتاب الدعوات: ٣٤١٥ وقال: هذا حديث غريب، كما رواه أبو داود في كتاب الصلاة: ١٣٥٣، والنسائي في كتاب الافتتاح: ٢/ ٢١٨.

بـــأبي ثُـــمَّ بي غـــزال ربيـــب يرتعـــي بـــين أضـــلعي في أمـــان
مـــا عليـــه مـــن نارهـــا فهـــو نـــور وكـــذا النـــور محمـــد النـــيران

وقوله (ولمّا دعا): أي نادى إبراهيم عليه السلام. وقوله (الأطيار): جمع طير وهي الأربعة/ [٢٥٦/ ب] التي قال الله تعالى له: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: أمهلهن واضممهن، وهي: الطاووس، والديك، والغراب، والحمامة. وبعضهم ذكر النسر بدل الحمامة ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ أي: قل لهن تعالين بإذن الله، أي: بأمره الذي أنت قائم به، وكلّ شيء قائم به أيضاً عندك في مقام الجمع المذكور﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٠] ساعيات مسرعات طيراناً أومشياً. روي أنّه أُمر بأن يذبحها، وينتف، ريشها، ويقطّعها، فيمسك رؤوسها، ويخلط سائر أجزائها، ويوزعها على الجبال، ثمّ يناديهن، ففعل ذلك، فجعل كلّ جزء يطير إلى الآخر، حتّى صارت جثثاً، ثمّ أقبلن، فانضممن إلى رؤوسهن. ذكره البيضاوي. وقوله (من كلّ شاهق): أي جبل عالٍ. قال في القاموس: «الشاهق: المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها». وقوله (وقد): الواو للحال. وقوله (ذُبِحَتْ) بالبناء للمفعول، أي: ذبحها هو، وخلط أجزاءها وفرّقها. جاءته جواب لمّا. وقوله (غير): حال منها. وقوله (عصيّة): أي عاصية عليه، بل هي مطيعة له في محبّتها إليه، وما كان ذلك له إلّا بسبب الجمع المذكور.

٦٠٨- وَمِنْ يَدِهِ مُوْسَى عَصَاهُ تَلَقَّفَتْ مِنَ السِّحْرِ أَهْوَالاً عَلَى النَّفْسِ شَقَّتِ
٦٠٩- وَمِنْ حَجَرٍ أَجْرَى عُيُوْناً بِضَرْبَةٍ بِهَا دِيَماً سَقَّتْ وَلِلْبَحْرِ شَقَّتِ

(ومن يده): أي يد موسى عليه السلام، والضمير راجع إلى متأخّر لفظاً، متقدّم رتبة، لأنّ الجار والمجرور متعلّق بتلقفت، وهو خبر المبتدأ الذي هو عصاه، والجملة خبر المبتدأ الذي هو موسى. والتقدير موسى عصاه تلقفت، أي: تلقّفت عصاه من يده. وقوله (موسى): هو ابن عمران، نبيّ الله ورسوله عليه الصلاة والسلام. وقوله (عصاه): مبتدأ ثانٍ. قال في الصحاح: «العصا مؤنّثة يقال: عَصَا

وعَصَوَان، والجمع عُصَيّ وعِصِيّ؛ يعني: بالضمّ وبالكسر». وقوله (**تلقفت**) يقال: لَقِفَه كسَمِعَه لَقْفاً ولَقَفَاناً مُحرَّكة تَنَاوَلهُ بسرعة. والتَلْقِيف: بَلْعُ الطعام كالتَلَقُّف، كذا في القاموس. وقوله (**من السِّحْر**): متعلّق بـ تلقّفتْ قال في القاموس: «السِّحْر كلّ ما لطف مأخذه ودقّ، والفعل كمنع. والمعنى: هنا ما تُخَيِّلُهُ السحرةُ في أعين الناس من الخيالات الباطلة. وقوله (**أهوالاً**): جمع هَوْل، قال في الصحاح: «هَالَه الشيءُ يَهُولُهُ هَوْلاً، أي: أفزعه، ومكان مَهِيل، أي: مَخُوف. وكذلك مكان مَهَال. وهُلْتُهُ فَاهْتَالَ، أي: أَفزعتهُ ففزِع». والمراد ما أَلْقَتْهُ السحرة من حبالهم وعصيّهم. وقوله (**على النفس**): أي نفس موسى عليه السلام . وقوله (**شَقَّتِ**): أي أَتعبت. يعني: تلك الأهوال. وكسر التاء للقافية. وذلك من قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٦٧-٦٨] وقوله (**ومن حَجَر**): متعلّق بأجرى. وقوله (**أجرى**):أي موسى عليه السلام. وقوله (**عيونا**): مفعول أَجرى، وهي جمع عَيْن، وهي الينابيع من الماء الاثني عشر بعدد الأسباط الذين كانوا معه. وقوله (**بضربة**) متعلّق بأجرى. وقوله (**بها**): أي بعصاه؛ يعني: كان يضرب بعصاه الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط عين يشربون منها، وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٠] وقوله (**دِيَماً**): مفعول شَقّتِ، وهي جمع دِيْمَة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، أَقَلُّهُ ثلث الليل، أو ثلث النهار، وأكثر ما بلغ من العدّة، والجمع دِيَم، كذا في الصحاح. وقوله (**شَقّتِ**): أي تلك الضربة كأنّها شقّت السحاب فجرى المطر. والشَّقُّ هو تفجّر ذلك الحجر بالاثني عشر عيناً من قبيل رأيت أسداً يرمي عن قوسه. وجملة شقّت من الفعل والفاعل والمفعول صفة ضربة. وقوله (**للبحر**): متعلّق بشقّت الثاني/ [٢٥٧/ أ] وهو بحر القُلْزُم[1] الذي قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ

---

(١) القلزم: اسم للبحر الأحمر.

﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٦٠] الآية. وقوله (شَقَّتِ): أي فلقت البحر، وكسر التاء للقافية.

٦١٠- وَيُوسُفُ إذْ أَلْقَى البَشِيْرُ قَمِيْصَهُ عَلَى وَجْهِ يَعْقُوْبٍ عَلَيْهِ بِأَوْبَةِ

٦١١- رَآهُ بِعَيْنٍ قَبْلَ مَقْدَمِهِ بَكَى عَلَيْهِ بِهَا شَوْقَاً إِلَيْهِ فَكُفَّتِ

(**ويوسف**): النبيّ، ابن يعقوب النبيّ، ابن اسحاق النبيّ، ابن إبراهيم الخليل، عليهم الصلاة والسلام. وقوله (**إذْ**): ظرف لما مضى من الزمان، تعليليّة. وقوله (**ألقى**): أي طرح. وقوله (**البشير**): فاعل ألقى. والبِشارة بالكسر والضمّ، يقال: بَشَرْتُهُ بمولود، فأَبْشَرَ إبْشَاراً، أي: سَرَّهُ. والبِشارة المطلقة لا تكون إلّا بالخير؛ وإنّما تكون بالشر إذا كانت مقيّدة به كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣/ آل عمران/ ٢١] وتَبَاشَر القوم، أي: بَشَّربعضهم بعضاً، كذا في الصحاح. والبشير هو يهوذا، أحد إخوة يوسف، عليهم السلام، قال البيضاوي: «البشير يهوذا، روي أنّه قال: كما أَحزنته بحمل قميصه الملطّخ إليه فأفرحه بحمل هذا إليه، فأقول قميصه. أي: قميص بوسف عليه السلام». وقوله (على وجه يعقوبٍ) بالجر والتنوين لضرورة النظم. وهو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وقوله (**إليه**): أي يعقوب عليه السلام، متعلِّق بـ أوبة، أي: بأوبة إليه. وقوله (**بأوبة**): متعلّق بالبشير. والأوبة: الرجوع، مصدر آب، أي: رَجَعَ، قال في الصحاح: «آب، أي: رَجَعَ، يَؤُوبُ أَوْباً وَأَوْبَةً وَإِيَاباً». والمعنى جاء البشير برجوع يوسف إلى أبيه يعقوب عليهما السلام. وقوله (**رآه**): أي يعقوب رأى ابنه يوسف عليهما السلام، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ﴾ [١٢/ يوسف/ ٩٦] أي: قميص يوسف على (**وجهه**): أي وجه يعقوب، فارتدّ بصيراً. وقوله (**بعين**): متعلِّق برآه. وقوله (**قبل مقدمه**): يوسف عليه السلام. والمَقْدَم: مَصْدَر قَدِمَ من سفره قُدُوماً ومَقْدَماً بفتح الدّال المهملة، يقال: ورَدْتُ مَقْدَمَ الحاج، تجعله ظرفاً، وهو مصدر، أي:

وقت مقدم الحاج، كذا في الصحاح. وقوله (بكى): أي يعقوب عليه السلام. وقوله (عليه): أي على ابنه يوسف عليه السلام. وقوله (بها): أي بتلك العين. وقوله (شوقاً): أي من جهة الشوق، وهو نِزَاعُ النفس، وحركة الهوى. والجمع أَشواق. وقد شاقَنِي حُبُّها: هاجني، كَشَوَّقَنِي، كما في القاموس. وقوله (إليه): أي إلى يوسف عليه السلام. وقوله (كفَّت): بفتح الكاف وبضمّها. قال في القاموس: «كُفَّ بَصَرُه بالفتح والضمّ: عَمِيَ». والضمير للعين. وكسر التاء للقافية. والمعنى: رآه بالعين التي بكى عليه شوقاً إليه حتّى عميت بغشاوةٍ اعترتها، فعادت مبصرة كما كانت. ورآه بها ببركة الجمع بالحقّ الذي سبق بيانه.

٦١٢- وَفِي آلِ إِسْرَائِيلَ مَائِدَةٌ مِنَ السْـ ـسَمَاءِ لِعِيْسَى أُنْزِلَتْ ثُمَّ مُدَّتِ

٦١٣- وَمِنْ أَكْمهٍ أَبْرَا وَمِنْ وَضَحٍ عَدَا شَفَى وَأَعَادَ الطِّيْنَ طَيْرَاً بِنَفْخَةِ

(وفي آل): قال في القاموس: «الآلُ أهْلُ الرجل وأتباعه وأوْلياه. ولا يُستعمل إلّا فيما فيه شَرَفٌ غَالِباً، فلا يُقال: آل الإسكافِ، كما يقال: أهْلُه، وأصله:.أهل، أُبْدِلَتْ الهاء همزةً، فصارت أال، فتوالت همزتان فأُبْدِلَت الثانية ألفاً. وتصغيره أُوَيْل وأُهَيْل». وقوله(إسرائيل): قال في الصحاح: «إسرائيل اسم، يقال: هو مضاف إلى إيل، قال الأخفش: هو يهمز ولا يهمز. قال: ويقال في لغة: إسرائين بالنون، كما قالوا: جبرائين وإسماعين. وقال في القاموس: «إيل بالكسر، اسم الله تعالى. وقال في جبر وجبرائيل، أي: عبد الله». والمراد بإسرائيل هنا يعقوب عليه السلام، وبنو إسرائيل الذي بعث فيهم أوّلاً/ [٢٥٧/ب] موسى وآخراً عيسى عليهما السلام. وقوله (مائدة) المائدة: الطعام، والخِوانُ عليه الطعام، كالمَيْدَة فيهما، كما في القاموس. وقوله (من السماء): إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [٥/ المائدة/ ١١٢] الآية. والجار والمجرور صفة مائدة. وقوله (لعيسى): هو ابن مريم عليهما السلام. وقوله (أنزلت): بالبناء للمفعول، أي: المائدة. وقوله (ثمّ مُدَّتِ):

بالبناء للمفعول أيضاً. وكسر التاء للقافية. ومُدّت أي: بسطت، قال في القاموس: «المدّ البَسْطُ». وقوله (**من أكْمَه**): من بيانيّة، والأكْمَه هو الذي يولد أعمى. وقد كَمِهَ كَمَهاً، كذا في الصحاح. وقوله (**أبْرَا**): أصله بالهمز، مِن بَرَأَ المريض يَبْرَأُ بُرْءاً بالضمّ، وبَرُؤَ، كَكَرُمَ وفَرِحَ، [بَرْءاً وبُرْءاً] وبُرُوْءاً: نَقِهَ، وأبْرَأهُ الله، كما في القاموس. وقوله (**ومن وَضَح**) بالضادّ المعجمة، والحاء المهملة محرّكة: البَرَص. ولو قال من بَرِصٍ كان أوضح وأوفق للقرآن، قال في الصحاح: «الوَضَحُ البَياض، يُقال بالفرس: وَضَحُ إذا كانت به شِيَةٌ. وقد يُكَنَّى به عن البَرَص». ومنه قيل لجذيمة الأبرش الوضّاح». وقوله (**عدا**): أي تجاوز الحدّ، يُقال: عَدَا عليه عَدْواً وعُدُوّاً وعَدَاء، وهو تجاوز الحدّ والظلم، كما ورد في الصحاح. والجملة: صفة وضح. وقوله (**شفا**): قال في الصحاح: «شفاه الله من مرضه شفاء ممدود». فاعل شفا ضمير عائد إلى عيسى عليه السلام. وقوله (**وأعاد**): أي أرجع. وقوله (**الطين**): الذي سوَّاه، أي: على صورة الخفاش، ما يقال: وناسب خلقته عليه السلام، فإنّ المرأة القريبة الوضع إذا مسحت فرجها بمرارته ولدت في ساعتها، كما ذكره في القاموس. كما ولد عيسى بنفخ جبريل عليهما السلام من ساعته. وقوله (**طيراً**): مفعول ثانٍ لأعاد. وقوله (**بنفخة**): متعلِّق بأعاد، وكان ذلك بإذن الله تعالى كما صرّح به في القرآن، وإذنه تعالى أمره، وهو الجمع المذكور.

٦١٤- وَسِرُّ انْفِعَـالَاتِ الظَّـوَاهِرِ بَاطِنَـاً عَنِ الإِذْنِ مَـا أَلْقَـتْ بِأُذْنِـكَ صِيْغَتِي

(**وسرّ**): هو الأمر الخفيّ، وهو مبتدأ. وقوله (**انفعالات**): جمع انفعال، وهي قبول تأثيرالمؤثّر. وقوله (**الظواهر**): جمع ظاهر، وهو الشيء الظاهر في الوجود، بحيث يدرك بإحدى الحواس، كظهورالطوفان استجابة لدعوة نوح عليه السلام، ونجاته مع مَنْ كان معه في السفينة. وحمل الريح بساط سليمان عليه السلام، والإتيان بعرش بلقيس من سبأ إلى بيت المقدس قبل ارتداد الطرف، وإخماد إبراهيم عليه السلام نار النمرود، غاية للأطيار بعد ذبحها وتفريقها في الجبال

حتّى أتته مسرعة، وانقلاب المصاحبة بإلقاء موسى عليه السلام، وتلقّفها لسحر السحرة. وعود البصر ليعقوب بإلقاء قميص يوسف عليهما السلام على وجهه. ونزول المائدة من السماء لعيسى عليه السلام. وإبرائه للأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله تعالى. فهذه كلّها وما أشبهها انفعالات الظواهر. وقوله (**باطناً**): أي انفعالاً جاءها من قبل باطنها، لا بسحر، ولا تخييلاً؛ لأنّ السحر أو التخييل يجيء إلى الشيء من خارجه، أي: من الخارج عن ذاته. وقوله (**عن الإذن**): أي إذن الربّ تعالى، قال في المصباح: «ويكون الأمر إذناً، وكذا الإرادة نحو بإذن الله، وهو الجمع على الله، الذي شرحناه فيما تقدّم. وقوله (**ما ألقت**): خبر المبتدأ، أي: الذي ألقته، أي: وضعته وطرحته. وقوله (**بأُذنك**): أي في أُذنك، يا أيها المريد الصادق. وقوله (صيغتي): أي عبارتي وكلماتي التي ذكرتها لك في ضمن الأبيات المذكورة، كما بيَّنَّاه.

٦١٥- وَجَـاءَ بِـأَسْرَارِ الجَمِيـعِ مُفِيـضُهَا عَلَيْنَـا لَهُـمْ خَـتْمًاً عَـلَى حِـيْنِ فَـتْرَةِ

(**وجاء بأسرار الجميع**): أي جميع تلك الآثار الظاهرة، والانفعالات الباهرة. وقوله (**مُفيضها**)/ [٢٥٨/ أ] فاعل جاء، وهو نبيُّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**علينا**): معاشر العارفين المحقِّقين، وقال بأسرارهم، ولم يقل بآثار، إشارة إلى أنّه عليه السلام نبّه على الحِكَم التي انطوت في تلك الأمور الخارقة للعادة، الصادرة عن الأنبياء الماضين عليهم السلام في ضمن إشارات الكتاب المنزل عليه، وهو القرآن العظيم الذي يسرّه الله تعالى بلسانه العربي المبين، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [٢٦/ الشعراء/ ١٩٣-١٩٥] على أنّ المجرور متعلّق بتكون، لا بنزل. فيكون اللسان العربيّ المبين معجزة منه صلّى الله عليه وسلّم، والمنزل عليه هو المعاني فقط، كما قالوا ذلك في أحد القولين عند العلماء. فهو صلّى الله عليه وسلّم مفيض أسرار

تلك الآثار على أتباعه من المقرّبين الأبرار بالتعبير عن كلام الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [٩٧/ مريم/ ٩٧] الآية. أي: جعلنا القرآن ميسوراً بعبارة لسانك، وإشارات أحاديثه صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (لهم): أي للأنبياء الماضين عليهم السلام. وقوله (ختماً): حال من مفيضها، أي: خاتماً لهم، فلا نبيّ بعده، ولا رسول بعده. وقوله (على حين فترة): متعلّق بجاء، أي: في زمان فترة الرسل، قال في المصباح: «فَتَرَ عن العمل فُتُوراً، من باب قَعَدَ: انكسر عن حِدَّتِهِ، ولَانَ بعد شِدَّتِهِ. ومنه فَتَرَ الحَدُّ: إذا انكسر، فَتْرَة وفُتُوراً، وطَرْفٌ فاتر ليس بحديد". وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [٥/ المائدة/ ١٩] أي: على انقطاع بعثهم، ودروس أعلام دينهم.

٥١٦- وَمَا مِنْهُمُو إلَّا وَقَدْ كَانَ دَاعِيَاً بِهِ قَوْمَهُ لِلْحَقِّ عَنْ تَبَعِيَّةِ

(**وما مِنْهُمُ**): بضمّ الميم لاستقامة الوزن، والضمير للأنبياء عليهم السلام، أي: وما من نبيٍّ منهم. وقوله (**إلّا وقد كان**): أي ذلك النبيّ. وقوله (**داعياً**): أي آمراً وناهياً بإذن ربِّه الحقّ. وقوله (**به**): أي بذلك المفيض علينا، وهو محمّد صلّى الله عليه وسلّم. يعني: بسببه، لأنّه مرسل إليهم ليدعو أممهم بالنيابة عنه صلّى الله عليه وسلّم ـ أو بمباشرة نوره ـ المخلوقين منه فكأنه هو الدّاعي بالظهور في صورهم من قبيل قول البوصيريّ قدّس الله تعالى سرّه في همزيّة المديح النبويّ:

إنّما مثلوا صفاتك النّا س كما مثل النجوم الماء

يعني: مثلوا صفاتك بذواتهم، فظهروا مثلك للناس، كما ورد في حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضي الله عنه، قال: «يا رسول الله، أخبرني عن أوّل شيء خلقه الله قبل الأشياء. قال: يا جابر، إنّ الله خلق قبل الأشياء نورنبيِّك من نوره»[1] الحديث الطويل. ذكره ابن حجر في شرح الهمزيّة. وفيه: لمّا خلق الله نور نبيِّه

---

(١) انظر: ص٣٨٧ و ص١٠٣٨.

صلّى الله عليه وسلّم أمره أن ينظر إلى نور الأنبياء عليهم السلام، فغشي من نوره ما أنطقهم الله به. وقالوا: ربّنا من غشينا نوره؟!. فقال: هذا نور محمّد بن عبد الله، إنْ آمنتم به جعلتكم أنبياء. قالوا: آمنا به وبنبوّته. فقال الله تعالى أشهدُ عليكم. قالوا: نعم. فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٨١] في هذه الآية، كما قال التقيّ السبكي: من التنويه بقدره العلي صلّى الله عليه وسلّم ما لا يخفى. وفيها مع ذلك أنّه على تقدير مجيئه يكون مرسلاً إليهم، وإلى أممهم. فتكون رسالته عامّة لجميع الخلق؛ فهو نبيّ الأنبياء صلّى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين. ولذلك كانوا كلّهم يوم القيامة تحت لوائه عليه السلام». وقال ابن حجر أيضاً رحمه الله تعالى في محل آخر من كتابه المذكور: «قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي: وأممهم/ [٢٥٧/ ب] وحذف استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الأتباع ﴿لَمَآ﴾ مفتوحة توطئة للقسم الذي تضمّه أخذ الميثاق ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ سدّ مسد جوابه وجواب ما الشرطيّة، ومكسورة، أي: لأجل ما أتاكم ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي: وهو محمّد صلّى الله عليه وسلّم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [٣/ آل عمران/ ٨١] الآية. وقد اختلف المفسّرون فيها، والذي قاله علي وابن عباس رضي الله عنهم، وتبعهما الحسن، وطاووس، وقتادة: أَخَذَ على كلّ نبيّ بعثه من لدن آدم إلى محمّد صلّى الله عليه وسلّم لئن بُعث محمّد عليه السلام وهو حيّ ليؤمِنَنَّ به ولينصرنه. ويلزم من هذا أنّ الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنّهم إذا أدركوا محمّداً صلّى الله عليه وسلّم آمنوا به، ونصروه. ولا ينافيه العلم بأنّ الأنبياء عليهم السلام لا يدركون حياته صلّى الله عليه وسلّم، ولا الحكم في آخر الآية بالضيق على من تولى عن ذلك؛ لأنّ التعليق في ذلك لا يستلزم الوقوع، ألا ترى إلى قوله تعالى:

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٥] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [٦٩/ الحاقة/ ٤٤]. والمقصود: إنّه لو فُرِض أنّه بعث وهو حي لزمهم ذلك، كما أنّ القصد من هاتين الآيتين التقدير أيضاً. ومن ثمّ قال الإمام التقي السبكي: دلّت الآية على أنّهم لو أدركوا زمنه صلّى الله عليه وسلّم كان مرسلاً إليهم، فتكون نبوّته ورسالته عامّة لجميع الخلق والأنبياء وأممهم، من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، وحينئذ يدخلون في "وأرسلت للناس كافّة"[١]. وحكمت أخذ هذا الميثاق على الأنبياء عليهم السلام: أعلامهم وأممهم بأنّه المتقدّم. وأنّه صلّى الله عليه وسلّم نبيّهم ورسولهم. وقد ظهر ذلك في الدنيا، بكونه أمّهم ليلة الأسراء. ويظهر في الآخرة بأنّهم كلّهم تحت لوائه صلّى الله عليه وسلّم، بل في آخر الزمان بكون عيسى عليه السلام ينزل حاكماً بشريعة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، دون شريعة نفسه. وقوله **(قومه)**: أي قوم ذلك النبي. وقوله **(للحق)**: متعلّق بـ داعياً، وهو خلاف الباطل، وهو شريعة ذلك النبيّ التي توافق أمته، وتكون على طبق الحكمة في زمنه. وقوله **(عن تبعيّة)**: يعني لا عن استقلال؛ بل بطريق النيابة عنه صلّى الله عليه وسلم، كما أشرنا إلى ذلك في بعض قصائدنا بقولنا:

كلّ النبيّين والرسل الكرام أتوا نيابة عنه في تبليغ دعواه
فهو الرسول إلى كلّ الخلائق في كلّ الدهور ونابت عنه أفواه

٦١٧- فَعَالِمُنَا مِنْهُمْ نَبِيٌّ وَمَنْ دَعَا إِلى الحَقِّ مِنَّا قَامَ بِالرُّسْلِيَّةِ
٦١٨- وَعَارِفُنَا فِي وَقْتِنَا الأَحْمَدِيُّ مِنْ أُولِي العَزْمِ مِنْهُمْ آخِذٌ بِالْعَزِيْمَةِ

(فعالِمُنا): الفاء للتفريع على ما قبله. وعالمنا: أي العالم منّا. يعني: صاحب العلم الإلهيّ المأخوذ عن الله تعالى بطريق الفيض والإلهام، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

(١) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، باب: عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة،١٢، بلفظ: إنّ الله عزّ وجلّ بعثني رحمة للناس كافّة...

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢]. وقوله (**منهم**): أي من الانبياء عليهم السلام. وقوله (**نبيّ**): أي كنبيّ منهم لمشاركتهم لهم في علومهم؛ لأنّهم ورثتهم في العلم، قال صلّى عليه: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث درهماً ولا ديناراً ولكن نورّث العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظٍّ أوفى»[1]. فإنّه كما أنّ علوم الأنبياء وهبيّة غير مكتسبة، فعلوم الأولياء كذلك وهبيّة، غير مكتسبة، ولهذا أطلق على الأولياء في الفتوحات المكيّة للشيخ الأكبر قدّس الله سرّه أنّهم أنبياء الأؤلياء باعتبار أنّ النبأ هو الخبر؛ فإنّهم أنبياء بالمعنى اللغوي، لانتقال علوم الأنبياء إليهم بالإرث عنهم، فإنّ مال المؤرِّث / [٢٥٩/ أ] إذا انتقل إلى الوارث مقامه فيه ومُلكه، كما كان المؤرِّث مالكه، ولنا برسالة مستقلّة في قول العارف المصريّ من الأروام بأنّ الحسن والحسين نبيّان. وقد أوضحنا ذلك على وجه التحقيق في البيان على حسب ما سئلنا عنه وبالله المستعان.

وقوله (**ومن دعا إلى الحقّ**): أي نشر العلوم الإلهيّة والشرعيّة. ودعا الناس إلى التقوى والعمل الصالح. وقوله (**منّا**): أي معاشر الأولياء. وقوله (**قام بالرسليّة**): أي بصفتها؛ فهو رسول الرسول، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «فليبلِّغ الشاهد الغائب»[2]. وقوله لمعاذ بن جبل لمّا أرسله إلى اليمن: «اللهمّ وفّق رسول رسولك»[3].

---

(١) أخرج البخاريّ في صحيحه، كتاب: العلم باب: العلم قبل القول والعمل،١٠، بلفظ: وأنّ العلماء هم ورثة الأنبياء، ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر. وأمّا قوله : «إنّا معشر الأنبياء لا نورث» فقطعة من حديث ذكره الحافظ في الفتح، ٦٢٣٢، قال عمر: أتعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ما تركناه صدقة. ولأحمد إنّا لا نورث ما تركناه صدقة. وقد أخرج الترمذيّ في سننه، ٢٨٩٨، وأبو داوود في صحيحه، ٣٦٤٣، وابن ماجه في سننه، ٢٢٨، الحديث: إنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، إنّما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الحجّ، باب: الخطبة أيام منى، ١٧٣٩.

(٣) ورد اللفظ على لسان معاذ رضي الله عنه كما في سنن النسائي، ٣٩٩٨.

و(**الرسليّة**): بمعنى الرسالة، وهي السفارة بين الله تعالى وبين الخلق. وقوله (وعارفنا): مبتدأ، أي: العارف منّا، وهو صاحب الكشف والبصيرة، المحقّق في علم الشريعة والطريقة والحقيقة. وقوله (**في وقتنا**): أي في الوقت الذي يكون فيه إلى آخر الزمان، وقوله (**الأحمديُّ**): خبر المبتدأ، أي: هو الأحمديُّ، بتشديد الياء مرفوعة، نسبة إلى أحمد، نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنّه وارثه في علومه، دون نبوّته ورسالته؛ فإنّهما لا يورّثان كما تقرر في موضعه. وقوله (**من أولي**): أي أصحاب العزم، أي: القطع في الأمور والقوّة فيها وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلى الله عليه وسلّم. وقوله (**منهم**): أي من الأنبياء عليهم السلام. وقوله (**أخذ بالعزيمة**): خبر بعد خبر لعارفنا. والعزيمة: مصدر عَزَمْتُ على كذا عَزْماً وعُزْماً بالضمّ، وعَزِيْمَةً وعَزِيَماً: إذا أردت فعله، وقطعت عليه، كذا في الصحاح.

٦١٩- وَمَا كَانَ مِنْهُمْ مُعْجِزاً صَارَ بَعْدَهُ ... كَرَامَـةَ صِـدِّيْقٍ لَـهُ أَوْ خَلِيْفَـةِ

و(**ما كان منهم**): أي كلّ أمر كان من الأنبياء عليهم السلام في أزمنة أممهم الماضين. وقوله (**مُعْجِزاً**): بصيغة اسم الفاعل، أي: خارقاً للعادة، مقروناً بالتحدّي. وقوله (**صار بعده**): أي بعد ذلك النبيّ الذي أظهر الله تعالى تلك المعجزة على يديه. وقوله (**كرامةَ**): بالنصب خبر صار. والكرامة اسم من الإكرام. قال في الصحاح: «التكريم والإكرام، بمعنىً، والاسم منه الكرامة». وهي هنا ما يكرم الله تعالى به الوليَّ من الأمر الخارق للعادة؛ فإنه يصلح أن يكون مثل معجزة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. والفارق بينهما التحدّي، وهو دعوى النبوّة. والمشهور أنّ كرامات كلّ وليٍّ مثل معجزة النبيّ الذي هو وارثه، وكرامات أولياء هذه الأمّة معجزات لنبيِّنا، صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنّها حصلت بسبب متابعتهم له صلى الله عليه وسلّم، واقتدائهم به في أعماله وأحواله. وقوله (**صِدِّيق**): بتشديد الدّال، كسكِّيت: الكثير الصدق، كذا في القاموس. وقال في

الصحاح: «والصَدِيق مثال الفَسيق :الدائم التصديق، ويكون الذي يُصَدِّقُ قولَه بالعمل. وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير قال:«النبوّة انكشاف الغطاء. والصديقيّة: استواء سريرة القلب بعلانيّة الأركان، والشهادة : احتساب المرء بنفسه على الله تعالى». وقوله (له): أي لذلك النبيّ الذي هو وارث علومه. وقوله (أو خليفة): أي عنه في مقامه. قال في الصحاح: «الخليفة السلطان الأعظم، والجمع خلائف وخلفاء. يقال خلف فلان فلاناً إذا كان خليفته، يقال: خَلَفَه في قومه خِلافة، وخَلَفْتُهُ أيضاً: إذا جئتُ بعده. وقال الراغب: «الخلافة النيابة عن الغير لغيبة المنوب عنه، أو موته، أو عجزه، أو تشريف المستخلف. وعلى الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض.

٦٢٠- بِعِتْرَتِه اسْتَغْنَتْ عَنِ الرُسْلِ الوَرَى وَأَصحَابِهِ والتَّابِعِيْنَ الأَئِمَّةِ/ [٢٥٩/ ب]

٦٢١-كَرَاماتُهُمْ مِنْ بَعْضِ مَا خَصَّهُمْ بِهِ بِمَا خَصَّهُمْ مِنْ إِرْثِ كُلِّ فَضِيْلَةِ

(بعترته): بالتاء المثنّاة الفوقيّة، عِتْرَة الرجل نَسْلُهُ، ورَهْطُهُ، وعشيرته الأدنون ممن مضى، كذا في القاموس. وقوله (استغنتْ): أي صارت لها كفاية وغنى. وقوله (من الرسل): أي الأنبياء والمرسلين إليهم من الله تعالى؛ لأنّهم ورثتهم وخلفاؤهم من بعدهم؛ لسيرهم على سيرتهم، واقتدائهم بهم. وقوله (الورى): فاعل استغنت. قال في الصحاح: «الوَرَى الخَلْق، يقال: ما أدري أيُّ الورى هو، أي: الخلق». وقوله (وأصحابه): جمع صَاحِب، من صَحِبَهُ، كسَمِعَهُ، صَحَابَة، وتكسر. وصَحِبَهُ: عاشَرَهُ، وهم أصْحَابٌ وأصَاحِيْب وصُحْبَان وصِحَاب وصِحَابَة وصَحَابَة وصَحْب، كذا في القاموس. والصَّحابي: منسوب إلى صَحابة، مصدر لصُحْبَة، وهي صُحْبَةُ النَبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهو: كلّ من لقي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مؤمناً به، ومات على الإيمان. وقوله (والتابعين): جمع تابع، وهو مَنْ لقي الصحابي مؤمن بما آمن به من الحقّ كالأئمّة المجتهدين، وكثير من المحدثين. وهم على طَبَقَات

في فضائلهم. وقوله (**الأئمّة**): وصف للتابعين، جمع إمام، وهو المقتدى به في العلم وغيره. وقوله (**كراماتهم**): أي المذكورين من العِترة والأصحاب والتابعين لهم، جمع كرامة، وهي: ما كرمهم الله تعالى به من الأمور الخارقة للعادة. وقوله (**من بعد ما خصّهم به**): دون غيرهم، و(مِن): تبعيضيّة، لأنّه عليه السلام خصَّهم بأمور كثيرة في بواطنهم وظواهرهم بإمداد الله تعالى. وقوله (**بها**): أي بسبب الأمر الذي. وقوله (**خصّهم**): صلة الوصول، أي: ميّزهم به على غيرهم. وقوله (**من أرث**): أي ميراث. وقوله (**كلّ فضيلة**): وهي الدرجة الرفيعة في الفضل، كذا في القاموس. وهو بيان لما يعني بطريق الإرث عنه، صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّهم ورثته في كلّ فضيلة اتّصفوا بها رضي الله عنهم أجمعين. لأنّه كانوا يقتدون به صلّى الله عليه وسلّم، ويتّبعون سنّته ظاهراً وباطناً، فأورثهم الله تعالى في مقابلة معجزاته كراماتهم، كما أورثهم في مقابلة علومه علومهم الحقيقيّة والشرعيّة، وفي مقابلة أحواله أحوالهم المرضية، وفي حديث الجامع الصغير للسيوطي. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من بلغه عن الله فضيلة، فلم يصدق بها لم ينلها» [1] وقال شارحه المناويّ: أي لم يعطِه الله تعالى إيّاها، وإنْ أعطيها حُرِم من ذوق ما أنكره، ولهذا قال الصوفيّة: كلّ من أنكر شيئاً على القوم بغير دليل عوقب بحرمان ما أنكره، فلا يعطيه الله له أبداً. و(**الفضيلة**): ما يفضل به الشيء على غيره، يقال لفلان فضيلة، أي: خَصْلة حميدة، وفي حديث الديلميّ عن جابر رضي الله عنه، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « من بلغه عن الله عزّ وجلّ شيء فيه فضيلة، فأخذ بها، إيماناً رجاء ثوابه أعطاه الله ذلك، وإنْ لم يكن كذلك»[2].

---

(١) انظر تخريجه ص٤٧٧.

(٢) ذكره السيوطيّ في الجامع، باب: حرف الميم، ٢١٦٦٥، كما أخرجه الخطيب في تاريخه، ٨/ ٢٩٥، والديلميّ في الفردوس، ٣/ ٥٥٩.

٦٢٢- فَمِنْ نُصْرَةِ الدِّيْنِ الحَنِيْفِيِّ بَعْدَهُ قِتَالُ أَبِي بَكْرٍ لِآلِ حَنِيْفَةِ

(فمن): الفاء للتفريع على ما قبله، بيان له، ومِنْ للتبعيض، أي: من جملة خوارق العادة بعد موت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما وقع لصاحبه أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه، وهو نصرة الحق والدين بقتال المرتدّين من بني حنيفة. وقوله (**الدين**): أي دين الإسلام، وهو دين محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**الحنيفيّ**): وصف للدين. قال في القاموس: الحَنَفُ محرّكة: الاستقامة، والحَنِيف كأمير: الصحيح المَيل إلى الإسلام، الثابت عليه، وكلّ من حج، وكان على دين إبراهيم عليه السلام». وقال في الصحاح: «والحنيف: المسلم، وقد سمي المستقيم بذلك، كما سُمِّيَ الغراب أعورَ؛ يعني: لأنّ الحَنَف/[٢٦٠/أ] وفي الأصل الاعوجاج في الرِجل، وهو أنْ تقبل إحدى إبهامَيْ رجله على الأخرى. والرجل أَحْنَف، ومنه سمّي الأحنف بن قيس، واسمه صخر. وقال ابن الأعرابي: هو الذي يمشي على ظهر قدمه من شقّها الذي يلي خنصرها، فسمّيت الاستقامة حنفاً لذلك؛ فالياء في الحنيفيّ مشدّدة، هي ياء النسبة إلى الحنيف، وهو الدين المستقيم. وقوله (**بعده**): أي بعد موت النبيّ صلَّى الله عليه وسلّم. وقوله (**قتال**): مبتدأ. وخبره ما تقدّم، وهو الجار والمجرور من نصرة. وقتال: مضاف إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه في زمان خلافته عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**لِآل**): الآل أهل الرجل، وأتباعه، وأولياؤه. ولا يستعمل إلّا فيما فيه شَرُفَ غالباً؛ فلا يقال: آل الإسكاف، كما يقال: أهله، كما في القاموس. وقوله (**حنيفة**): على وزن سفينة، لقب أُثَالِ بنِ لُجَيْم، أبي حَيٍّ، منهم: خَوْلَة بنت جعفر الحَنِيْفِيَّة، أم محمّد بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ذكره في القاموس. والمراد بآل حنيفة بنو حنيفة، قوم من العرب في بلاد اليمن، أسلموا، ثمّ أغراهم على الردّة الغَرور ابن النعمان واسمه المنذر، وإنّما سُمِّي الغَرور لأنّه غرَّ قومه في تلك الردّة، أوغروره. واستعانوا على حربهم فقُتل هنالك. وزعم وثيمة بن موسى أنّه أسلم

بعد ارتداده، كذا في الروض الأنف للسهلي. وروى البخاريّ بسنده عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: لمّا توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكان أبوبكر، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أُمرت أنْ أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله، فمن قالها فقد عصم منِّي ماله ونفسه إلّا بحقّه، وحسابه على الله تعالى فقال: والله لأقاتلنَّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإنّ الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَناقاً كانوا يؤدّونها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لقاتلتهم على منعها. قال عمر فوالله ما هو إلّا أن قد شرح الله صدر أبي بكر، فعرفت أنّه الحق»[1] وفي رواية للنسائي «فوالله ما هو إلّا أنْ رأيت أنّ الله تعالى قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنّه الحقّ»[2] فهذه المقاتلة من أبي بكر رضي الله عنه، ونصرة دين الإسلام دليل على أنّه مؤيد من عالم الملكوت والغيب. ولولا ذلك لاختل ركن من أركان الإسلام، وانحلّ سلكه عن النظام. وقد شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشرح الصدور، وأنّ ما ذهب إليه هو الحقّ، وكفى بذلك كرامة جليلة، ومنّة جزيلة.

٦٢٣- وَسَارِيَةٌ أَلْجَاهُ لِلْجَبَلِ النِّدَا ءُ مِنْ عُمَرٍ والدَّارُ غَيْرُ قَرِيْبَةِ

(وسارية): بالسين المهملة، فالألف فالراء فالياء المثنّاة التحتيّة فالهاء: اسم للأسطوانة، وللسحابة التي تأتي ليلاً. والمراد هنا اسم الصحابي الجليل رضي الله عنه، وهو سارية بن زنيم بن عبد الله الكنانيّ، وهو الذي ناداه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا سارية الجبلَ الجبلَ. قال الراوي: فجاء البشير بالفتح بعد شهر، فذكر بعد شهر أنّه سمع في ذلك اليوم في تلك الساعة حين جاوز الجبل صوتاً يشبه

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ، ٧٢٨٤، والعَناق: المولودة الجديدة للغنم والماعز.

(٢) أخرجه النسائي في سننه، ٣٠٩١.

صوت عمر رضي الله عنه: يا سارية الجبلَ الجبلَ. قال: فعدلنا إليه، ففتح الله علينا. ذكره في مختصر أسد الغابة في أسماء الصحابة[1]. وسارية هذا كان في بلاد نهاوند، يغزوها في زمان خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فناداه عمر وهو على منبر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يخطب يوم الجمعة في المدينة المنوّرة. وسارية يومئذٍ في بلاد نهاوند ـ قال في القاموس: «نهاوند مثلّثة النون، والفتح والكسر عند الصاغاني، والضمّ عن اللباب: بلاد من بلاد الجبل جنوبي همدان، أصله نوح آوند ، لأنّه بناها، وأصله إينهاوند ـ فأسمع الله تعالى سارية/ [٢٦٠/ب] صوت عمر، رضي الله عنهما، يقول: يا سارية الجبلَ الجبلَ، والله يُسمع من يشاء فامتثل سارية قول عمر رضي الله عنهما فصعد الجبل مع جماعة الصحابة الذين كانوا معه في تلك الغُزاة فانتصروا، وحصل الفتح، وهي من كرامات عمر رضي الله عنه، وكان هذا في حياة سارية رضي الله عنه. ولمّا مات في مصر دُفن أيضاً في قلعة الجبل، فكأنّه امتثل نداء عمر رضي الله عنهما بعد وفاته أيضاً، فهو سارية الجبل حكمة إلهيّة، ونفحة ربّانيّة يمسك الله تعالى ببركة روحانيّته المشرقة على تراب جسمانيّته قلعة الجبل ومن فيها من الوزراء وأعوانهم، والعساكر المصريين مع إسرافهم على أنفسهم، كما أمسك من قبلهم الملوك الأُوَل المختلفة وأعوانهم؛ فهو سارية الجبل، أي: عضادته التي يمسك الله تعالى بها الجبل، وجميع من دفن فيه. ويرفعه بها، ويحفظه بها، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين. وقد أشرنا إلى ذلك بعد زيارته أيام كنا في مصر المحروسة سنة خمس بعد المائة والألف بهذه الأبيات:

قد حلّ سارية في قلعة الجبل ... من مصر حتّى بسرٍّ لاح من جبل

كأنّما عمر الخطاب حين له ... من المدينة نادى ساعة الوجل

وذاك في ناهوند كان ممتثلاً ... حين الحياة وبعد الموت والأجل

---

(١) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ١ / ٤٠٨.

وقد استوفينا ذلك في كتاب رحلتنا الكبرى. وقوله (**أَلْجاهُ**): بالجيم والألف المبدلة من الهمزة، وأصله ألْجأه، قال في المصباح: «لَجَأَ إلى الحِصْن وغيره، لَجَأً، مهموز، من بابَيْ نَفَع وتَعِب، والتَجَأَ إليه: اعتصمَ بهِ، فالحِصْن مَلْجَأٌ، بفتح الميم والجيم. وأَلْجَأْتُهُ إليه ولَجَّأْتُهُ بالهمز والتضعيف اضطررته وأكرهته». وقال في القاموس: «أَلْجَأَه: اضطرّه». وفي الصحاح: «أَلْجَأْتُهُ إلى الشيء: اضطررته إليه». وقوله (**للجبل**): متعلِّق بألجاه، وهو جبل بنهاوند. وقوله (**النداء**): فاعل ألجاه، قال في الصحاح: «النداء الصوت، وقد يُضمّ مثلُ الدُّعاء والرُّغاء. وناداه مُناداةً ونِداءً، أي: صاح به». وقوله (**من عُمَرٍ**): بالتنوين لضرورة الوزن. والجار والمجرور متعلِّق بواجب الحذف في محلّ نصب حال من النداء. وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقوله (**والدار**): أي التي كان فيها سارية المذكور، قال في القاموس: «الدار، والبلد، والقبيلة» يعني: بلد نهاوند أو قبيلة الصحابة الذين كانوا مع سارية رضي الله عنهم. وقوله (**غير قريبة**): يعني بل هي بعيدة عن مدينة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم التي كان فيها يومئذ عمر رضي الله عنه.

٦٢٤- وَلَمْ يَشْتَغِلْ عُثْمَانُ عَنْ وِرْدِهِ وَقَدْ أَدَارَ عَلَيْهِ القَوْمُ كَأْسَ المَنِيَّةِ

(**ولم يشتغل عثمان**): هو ابن عفّان بن أبي العاص الأمويّ، رضي الله عنه، ثالث خلفاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**عن وِرْدِه**): بكسر الواو، متعلّق بيشتغل. و(الوِرْدُ): الوظيفة من قراءة ونحو ذلك. والجمع أوراد، مثل حِمْل وأحْمَال. وذلك وِرْدُهُ من قراءة القرآن العظيم. وقوله (**وقد**): الواو للحال. وقوله (**أدار عليه القوم**): أي جماعة الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين؛ فإنّهم كلّهم مجتهدون في الدين، يتبّعون الكتاب والسنة، ولا يخرجون عنهما بشهادة النبيّ صلى الله عليه وسلّم بقوله: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[1]. ولا يُقتدَى

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير، باب: أدب القضاء، ٢٠٩٨. وهو حديث ضعيف.

إلّا بالإمام المجتهد، إذْ المقتدي بغيره لا يُقتدى به، وفي قوله (**بأيهم اقتديتهم**): إشارة إلى اختلافهم على مذاهب، فمنهم المصيب، ومنهم المخطئ، وهم مثابون على كلّ حال بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»[1]. وقوله (**اهتديتم**): إشارة إلى أنّ الجميع على هدى/ [٢٦١/ أ] فقاتلهم ومقتولهم في الجنّة كما ورد ذلك في الآثار. وقوله (**كأس المنيّة**): أي الموت. وفيه تشبيه المنيّة بالخمر، استعارة بالكناية. وذكر الكأس وهو وعاء الخمر تخييل. وذكر الإدارة ترشيح للاستعارة المكنيّة. وقال في مختصر أسد الغابة: «بويع الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخلافة يوم السبت، غرّة المحرم، سنة أربع وعشرين من الهجرة، بعد دفن عمربن الخطاب رضي الله عنه بثلاثة أيام. وقتل رضي الله عنه بالمدينة يوم الجمعة لثماني عشرة، أو سبع عشرة خلت من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين من الهجرة. وقال القاسم بن أميّة بن أبي الصلت في ذلك:

لعمري لبئس الذبح ضحيّتم به ... خلاف رسول الله يوم الأضاحيا

وقال حسان رضي الله عنه:

من سرّه الموت صرفاً لا مزاجَ له ... فليأتِ مأدبة في دار عثمانا

ضحّوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا

صبراً فدىً لكمُ أمي وما ولدت ... قد ينفع الصبر في المكروه أحياناً

لتسمعنّ وشيكاً في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثماناً

ومنها:

يا ليت شعري وليت الطير يخبرني ... ما كان بين علي وابن عفّانا

---

(١) أخرجه المتّقيّ الهنديّ في كنز العمّال، ١٤٥٩٧، عن أبي هريرة، بلفظ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد».

قال أيضاً:

إنْ تمس دار بني عفان موحشة باب صريع وباب مخرق خرب

فقد يصادف باغي الخير حاجته فيها ويأوي إليها الجود والحسب

ولا شكّ أنّ هذه الحالة التي وقعت لعثمان رضي الله تعالى عنه من أكبر الكرامات الجليلة.

٦٢٥- وَأَوْضَحَ بِالتَّأْوِيلِ مَا كَانَ مُشْكِلاً عَلِيٌّ بِعِلْمٍ نَالَهُ بِالْوَصِيَّةِ

(وأوضح بالتأويل): وهو إرجاع معنى بعض النصوص إلى معنى البعض. قال في المصباح: «أوّلت الشيء صببت بعضه على بعض حتّى آل وطاب». وعلى هذا فمعنى التأويل ردّ بعض النصوص إلى بعض حتّى يتّفقا في معنى، كما يتفق الشيئان المختلطان في الصورة، ويصيران كشيء واحد. وقوله (ما كان مشكلاً): أشكل الأمر : التبس. والمشكل الملتبس، كأنّه دخل بين إشكاله، أي: صوره المختلفة فالتبس. وذلك هو المتشابه في كتاب الله تعالى، وسنّة نبيِّه صلّى الله عليه وسلم. وذلك ما ورد في صحيح البخاريّ بسنده عن أبي جحيفة قال: «قلت لعليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم كتاب؟. قال: لا، إلّا كتاب الله ، أو فهم أُعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟. قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يُقتل مسلم بكافر»[1]. وفي رواية للبخاريّ في الجهاد عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي: عندكم شيء من الوحي إلّا مافي كتاب الله؟. قال: لا، والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهم يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة بنحو ما ذكر»[2]. وفي رواية الترمذيّ، قال حدّثنا أبو جحيفة، قال: «قلت لعليّ: يا أمير المؤمنين، هل عندكم سوداء في بيضاء

(١) أخرجه البخاريّ، في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم،١١١.

(٢) أخرجه البخاريّ، في صحيحه، كتاب: الجهاد باب: لا يُقتل المسلم بالكافر، ٤٧٦١.

ليس في كتاب الله؟. قال: لا، والذي فلق الحبّ، وبرأ النسمة، ما علمته إلّا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في الصحيفة»(١) وفي رواية النسائيّ عن الشعبيّ، قال: «سمعت أبا جحيفة يقول: سألنا علياً رضي الله عنه، فقلنا له: هل عندكم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيء سوى القرآن؟. فقال : لا، والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة إلّا أنْ يعطي الله عزّ وجلّ عبداً فهماً في كتابه، أو ما في هذه الصحيفة(٢). وفي رواية ابن ماجه عن أبي جحيفة قال: «قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من العلم ليس عند الناس؟. قال: لا، والله ما عندنا إلّا ما عند الناس، إلّا أنْ يرزق الله رجلاً فهماً في القرآن، وما في هذه الصحيفة»(٣). ولا شكّ أنّ إيضاح ما أشكل/[٢٦١/ب] من أسرار الكتاب والسنّة من أعظم الكرامات للعبد إذا أُعطي ذلك. وقوله (**عَلِيٌّ**): فاعل أوضح، وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقوله (**بعلم**): أي بسبب علم. وتنكيره للتعظيم، وهو علم الله الذي يقذفه في قلب العبد، كما أخرج الديلميّ في مسند الفردوس، عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «علم الباطن سرّ من أسرار الله تعالى، وحِكَم من حِكَم الله عزّ وجلّ، يقذفه في قلوب من يشاء من عباده»(٤). وقوله (**ناله**): أي عليّ رضي الله عنه. والجملة صفة لعلم. وقوله (**بالوصيّة**): هي التقدّم إلى الغير بما يعمل به، مقترناً بوعظ، من قوله: أرض واصية: متّصلة النبات. ويقال: أَوصاه، ووصَّاه، ذكره الراغب. وقال في المصباح:

---

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب الديات، باب: ما جاء لا يقتل مسلم بكافر، ١٤٧٤.

(٢) أخرجه النسائي في سننه، كتاب القسامة، باب: سقوط القود من المسلمللكافر، ٤٧٦١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الديات، باب: لا يقتل مسلم بكافر، ٢٧٦٠.

(٤) أخرجه المتّقيّ الهنديّ في كنز العمّال، الباب الأوّل في الترغيب فيه، ٢٨٨٢٠، قال الكتّانيّ في تنزيه الشريعة: كما ذكره ابن الجوزيّ في الواهيات، ١٠٥، انظر تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق ١/ ٢٨٠.

«ولفظ الوصية مشترك بين التذكّر والاستعطاف وبين الأمر. فيتعيّن حمله على الأمر. وقام مقامه كلّ لفظ فيه معنى الأمر، وتواصى القوم: أوصى بعضُهم بعضاً». والألف واللام في الوصيّة للجنس: أي جنس الوصيّة التي أوصاه بها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أو للعهد. وهي وصيّة الله تعالى بالتقوى، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [٤/ النساء/ ١٣١].

٦٢٦- وَسَائِرُهُمْ مِثْلُ النُّجُوْمِ مَنِ اقْتَدَى بِـأَيِّهِمِ مِنْـهُ اهْتَـدَى بِالنَّـصِيْحَةِ

(**وسائرهم**): أي بقية الصحابة رضي الله عنهم.[قال في المصباح:] «قال الأزهري: اتفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء باقيه، قليلاً كان أو كثيراً. وقال الصَّغَّاني: سائر الناس باقيهم، وليس في معناه جميعهم، كما زعم من قَصُرَ في اللغة باعُهُ وجعله بمعنى الجميع مِنْ لَحْنِ العوام. ولا يجوز أنْ يكون مشتقّاً من سُورِ البلد لاختلاف المادّتين». وقوله (**مثل النجوم**): يعني مَنْ ذكر من الصحابة، وهم الخلفاء الأربعة، وبقيتهم أيضاً مثل نجوم السماء، أي: كواكبها المضيئة لأهل الأرض في الظلمات، قال صلّى لله عليه وسلّم: «أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم أهتديتم»[1] ذكره أيضاً في مسند الفردوس، وأسنده عن ابن عبّاس رضي الله عنهما. وتشبيههم بالنجوم من جهة النور، والإضاءة، والارتفاع، والانتفاع بهم في الهداية في البرّ والبحر. واختلاف السير لا يطعن في هدايتهم، فاتّفاقهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة، وكذا من بعدهم من المجتهدين رضي الله عنهم أجمعين. وقوله (**من اقتدى**) يقال: اقتدى به، أي: فعل مثل فعله تأسياً به، كذا في المصباح. وقوله (**بأيّهِمِ**): بكسر الميم لضرورة الوزن، أي: بأيِّ إمام منهم إنْ وصل إليه مذهبه بالتواتر، وتفصّلت شروطه، وتبيّنت أحكامه. وقوله (منه): متعلّق بالنصيحة، قال

---

(١) انظر تخريجه ص١١٤٢.

في المصباح: نَصَحتُ لزيدٍ أَنْصَحُ لَهُ نُصْحاً ونَصِيحَة، هذه اللغة الفصيحة. وفي لغة يتعدّى بنفسه، فيقال: نصحته».

وقوله (اهتدى): جواب الشرط، أي: وصل إلى طريق الحقّ، والصراط المستقيم. وقوله (بالنصيحة): متعلّق باهتدى، فإنّه يهتدي بالنصيحة ممن اقتدى به من أئمّة الهدى إذا عمل بها على وجه الصواب، وإلى الله المرجع والمآب.

٦٢٧- وِلِلْأَوْلِيَاءِ الْمُؤْمِنِيْنَ بِهِ وَلَمْ يَرَوْهُ اجْتِبَا قُرْبٍ لِقُرْبِ الأُخُوَّةِ

٦٢٨- وَقُرْبُهُمُ مَعْنَىً لَهُ كَاشْتِيَاقِهِ لَهُمْ صُوْرَةٌ فَاعْجَبْ لِحَضْرَةِ غَيْبَةِ

(وللأولياء): جمع وليّ، فعيل بمعنى مفعول، في حقّ المطيع، فتقول: المؤمن وليّ الله، أي: يتولّى الله أموره، كذا في المصباح. والجار والمجرور خبر مقدّم. وقوله (المؤمنين): صفة للأولياء. وقوله (به): أي بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والمفهوم من الكلام في هذا المقام. وقوله (ولم يروه): الواو للحال. والجملة حال من المؤمنين. يعني: آمنوا به صلّى الله عليه وسلّم، ولم يدركوا زمانه، ولا رأوه. وقوله (اجتبا) بالقصر لضرورة الوزن، وأصله المدّ، أي: اصطفاء واختصاص. يقال: اجتباه، أي: اصطفاه. وقوله (قرب): أي دَنَوْا منه صلّى الله عليه وسلّم، الدُنُوّ المعنويّ من حيث بواطنهم، فاجتباء القرب اختصاص مزيّة عنده صلّى الله عليه وسلّم، ليست لغيرهم، كما ورد في حديثه /[٢٦٢/ أ] صلّى الله عليه وسلّم عند السيوطيّ في جامعه الصغير، قال عليه الصلاة والسلام: «طوبى لمن رآني وآمن بي مرّة، وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرّا ت»[1] قال المناويّ في شرحه: وذلك لأنّ الله مدحهم بإيمانهم بالغيب، وكان إيمان الصدر الأوّل غيباً وشهوداً؛ فإنّهم آمنوا بالله وباليوم الآخر غيباً. وآمنوا بالنبيّ شهوداً لّما أنّهم رأوا الآيات، وشاهدوا

---

(١) أخرجه السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب: حرف الطاء، ١٣٩٦٥.

المعجزات. وآخر هذه الأمّة آمنوا غيباً بما آمن به أوّلها شهوداً؛ فلذا أثنى عليهم النبيّ صلّى الله وسلم. وأخذ ابن عبد البرّ من هذا الحديث ونحوه أنّه يوجد في مَنْ يأتي بعد الصحابة مّن هو أفضل من بعض الصحابة، وأيده بعضهم بخبر ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «أتدرون أي الخلق أفضل إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال وحُقّ لهم؛ بل غيرهم. قالوا: الأنبياء. قال وحُقّ لهم؛ بل غيرهم. ثمّ قال: أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال، يؤمنون بي ولم يروني؛ فهم أفضل الخلق إيماناً»[1].انتهى. ولا يعارضه أحاديث فضل الصحابة رضي الله عنهم، من وجه رؤيته صلّى الله عليه وسلّم، والجهاد معه؛ فإنّ فضل مَنْ لم يرَه من جهة الإيمان بالغيب. وأيضاً فإنّ هذه الفضيلة من جهة كلّ شخص منهما على حِدَتِهِ، وإلّا فإنّ حديث: «من دلّ على خير فله أجره وأجر من عمل به»[2] صريح بأن أجر العامل بالخير في صحيفة مَن دلّ عليه؛ فالمتقدّم أفضل على كلّ حال، فإنّ فضيلة المتأخّر مندرجة في فضيلة المتقدّم زيادة على فضيلته، فلا يفضله غيره كما أشار إلى ذلك الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في بعض كتبه. وقوله (لقرب الأخوّة): علّة لاجتباء القرب الذي اختُصّ به مَن آمن ولم يره صلّى الله عليه وسلّم. و(الأُخوّة): بتشديد

---

(١) ذكره ابن الهيتميّ في الصواعق المحرقة، على أهل الرفض والضلال والزندقة ٢ / ٦١١، وقال: صححه الحاكم، وحسّن غيره خبر: يا رسول الله ، هل أحد خير منّا؟. أسلمنا معك، وجاهدنا معك؟. قال: «قوم يكونون بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني».

(٢) لم نعثر عليه بهذا اللفظ في مصادرنا؛ وإنّما يؤيّده ما أخرجه أحمد في مسنده، باب: من حديث جرير بن عبد الله عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ١٩٢٢٣، بلفظ: «من سنّ سنّة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . ومن سنّ سنّة سيئة عمل بها من بعده كان عليها وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً». قال الشيخ شعيب أرناؤوط معلّقاً على الحديث: صحيح وهذا إسناده حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات ، رجال الشيخين. كما يؤيّده حديث أحمد في المسند، باب: بريدة الأسلميّ رضي الله عنه، ٣٠٧٧، بلفظ: «الدّال على الخير كفاعله». قال الشيخ شعيب أرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

الواو، بمعنى الإخوان؛ فإنّهم إخوانه صلّى الله عليه وسلّم بصريح الحديث الذي أخرجه الإمام مالك في الموطّأ بإسناده عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خرج إلى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت لو أنيّ رأيت إخواننا. فقالوا يا رسول الله، ألسنا بإخوانك ؟!قال: بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، وأنا فرطهم على الحوض. فقالوا يا رسول الله، كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك. فقال: أرأيت لو كان لرجل خيل غير محجّلة في خيل دُهم بُهم ألا يعرف خيله؟!. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنّهم يأتون يوم القيامة غراً محجلِّين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض. فليذادنَّ رجال على حوضي كما يُذاد البعير الضالّ، أنادي بهم: ألاهلمَّ، ألا هلمّ. فيقال : إنّهم قد بدّلوا بعدك. فأقول فسحقاً فسحقاً فسحقاً»[1]. وقوله (**وقُرْبُهُمْ**): بضمّ الميم للوزن. وقوله (**معنىً**): أي هو أمر معنوي ثابت لهم باعتبار إيمانهم به صلّى الله عليه وسلّم، وبما جاء به من الحقّ ولم يروه، ولا أدركوا زمانه. ومحبّتهم له الخالصة من قلوبهم. وقوله (**له**): متعلّق بقربهم، أي: للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ ذلك قرب باطنيّ قلبيّ لولا وجود المناسبة بينهم وبينه صلّى الله عليه وسلّم لمّا تيقّنت قلوبهم بصدق ما جاء به من الحقّ. وقوله (**كاشتياقه**): الشوق نزاع النفس، وحركة الهوى. والجمع أشواق. وقد شاقني حبّها: هاجني، كشوّقني، واشتاقه، واشتاق إليه: بمعنى، كذا في القاموس. وقوله(**لهم**): أي إليهم. وقوله (**صورة**): فإنّهم لم يُخلقوا بعد، ولم يرهم صلّى الله عليه وسلّم، فكيف يكون اشتياق لغير موجود؟!. وجوابه: إنّه لو كشف له عنهم صلّى الله عليه وسلّم فهو ينظر إليهم وإنْ لم يكونوا موجودين

(١) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب الطهارة، باب: جامع الوضوء، ٥٩، ولكن بلفظ (فلا يذادنّ). أمّا لفظ (فليذادنّ) فعند أحمد في المسند، والبيهقيّ في السنن، وأبي عوانة في المسند، وابن حبّان في الصحيح، والبغوي في شرح السنّة. كذلك عند أحمد في المسند (ألا ليذادنّ) في رواية أخرى.

في زمانه، كما ورد في خبر الطبرانيّ الذي ذكره ابن حجر الهيتميّ في شرح الهمزيّة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إن الله قد رفع لي الدنيا، فأنا أنظر إليها، وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة. كأنّما أنظر إلى كفّي هذه»[1]. وفي الحديث الصحيح «فعلمت علم الأوّلين والآخرين»[2] فيكون على هذا كون اشتياقه صلّى/ [٢٦٢/ ب] عليه وسلّم إليهم صورة إنّ ذلك في الحقيقة اشتياق إلى تجلّيات ربّه الحقّ في صورهم المقدّرة بعلمه وإرادته تعالى؛ أنّه تعالى كما قال عنه موسى، عليه السلام: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [٢٠/ طه/ ٥٢] وليس من شرط الكشف اتّصاف المكشوف عنه بالوجود؛ بل يكفي فيه التقدير المحقّق والثبوت. وقوله (فاعجب لحضرة غيبة): أي لحضور الأمر من المغيّب، وهو اجتماع النقيضين: حضرة الشيء وغيبته معاً، كما قيل:

ومن العجائب أنني أشتاقكم أبداً وأنتم في بعادكُمُ معي

بل اشتياقه صلّى الله عليه وسلّم لهم، إنّما هو اشتياق لصور تجلّي النور المحمّدي الذي هو حقيقته صلّى الله عليه وسلّم، فاشتياقه لهم إنّما هو مجرّد صورة كونه لهم، وهو لحقيقته الظاهرة في صورهم، لأنّ جميع المخلوقات خلقت من نوره صلّى الله عليه وسلّم، المخلوق من نور الله، كما وردت به الأحاديث النبويّة، وإلى ذلك يشير الناظم قدّس الله سرّه بتكلّمه على لسان الحقيقة المحمّديّة؛ لأنّه مخلوق من نورها حيث يقول:

---

(١) أخرجه الهيثميّ في مجمع الزوائد، ٨/ ٢٨٧، عن عمر رضي الله عنه، وقال: رواه الطبرانيّ، ورجاله وثقوا على ضعف كثير في سعيد بن سنان الرهاويّ. كما أخرجه المتّقيّ الهنديّ في كنز العمال، كتاب الفضائل، باب: الفصل الثالث في فضائل متفرّقة، ٣١٩٧١، عن ابن عمر.

(٢) قطعة من حديث طويل، أخرجه الطبرانيّ في الدعاء، باب: رأيت ربّي عزّ وجلّ في أحسن صورة فقال. ١٣٢٠. بلفظ: فوضع يده بين كتفي، فوجدت بردها بين ثدييّ، فعلمت ما في السماء والأرض. وللحديث أطراف أخرى وطرق كثيرة.

٦٢٩- وَأَهْلُ تَلَقَّى الرُّوْحَ بِاسْمِي دَعَوْا إلى سَبِيلِي وَحَجُّوا المُلْحِدِينَ بِحُجَّتِي

(وأَهلُ تلقَّى الروح): أي استقبالها وقبولها بظهور حكم استيلائها على بشريّته، وتغلّبها على بشريِّته، قال في الصحاح: «تَلَقَّاه، أي: استقله، وقوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [١٤/ النور/ ١٥] أي: يأخذ بعضٌ من بعض. وقال في القاموس: «الروح: ما به حياة الأنفس، ويُؤَنَّث، والقرآن، والوحي، وجبريل، وعيسى، عليهما السلام، والنَّفْخُ، وأمر النبوّة، وحكم الله تعالى، وأمره، ومَلَكٌ وجْهُهُ كوجه الإنسان وجسده كالملائكة». والمراد هنا الوحي العام، فيدخل فيه الأنبياء، وغيرهم من الورثة والصدّيقين. قال تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٥] الآية. والمعاني كلّها متقاربة في التحقيق عند أهله. وقوله (باسمي): أي بالحقيقة التي يصحّ فيها إطلاق اسمي عليهم إذا تحقّقوا بها كما أنا متحقّق بها؛ ولهذا كان كلامه قدّس الله سرّه بلسانها، ويصحّ أنْ يكون باسمي الذي أنا متحقّق به، وهو الاسم الهادي من أسماء الله تعالى. والجار والمجرور متعلّق بـ دَعَوْا، قدّم عليه للحصر. وقوله (دَعَوْا إلى سبيلي): أي مُرُوا الناس أنْ يدخلوا في طريقي المستقيم وصراطي القويم. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [١٢/ يوسف/ ١٠٨] يعني: وكذلك من اتبعني، سواء تقدّم أو تأخّر؛ فإنْ الأنبياء عليهم السلام كلّهم دعوا أممهم بالنيابة عنه صلّى الله عليه وسلّم، كما قدمنّاه مفصّلاً. وقوله (وحَجُّوا): أي ألزموا الحجة. وقوله (الملحدين): جمع ملحد بصيغة اسم الفاعل، من أَلْحَدَ في دين الله، أي: حاد عنه، وعدل. ولَحَدَ لغة فيه. وأَلْحَدَ الرجلُ، أي: ظلم في الحرم، وأصله من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ [٢٢/الحج/ ٢٥] أي: إلحاد بظلم. والباء فيه زائدة، كذا في الصحاح. والإلحاد: هو العُدُول عن ظواهر الكتاب والسنّة إلى معانٍ يمنعون معها ظواهر الكتاب والسنّة، ويقولون: ليس إلّا

البواطن هي المرادة. وقوله (**بحجّتي**): متعلّق بحجّوا. قال في الصحاح: «الحُجَّة: البرهان. تقول: حَاجَّه فَحَجَّه، أي: غلبه بالحجّة».

٦٣٠- وَكُلُّهُمُ عَنْ سَبْقِ مَعْنَايَ دَائِرٌ بِدَائِرَتِي أَوْ وَارِدٌ مِنْ شَرِيعَتِي

(**وكلّهم**): أي أهل تلقّي الروح، وهم الأنبياء والورثة من كبار الأولياء. وقوله (**عن سَبْقِ مَعْنايَ**): أي تقدّم حقيقتي على حقائقهم كلّهم، وهو نوره صلّى الله عليه وسلّم الذي هو أوّل مخلوق خلقه الله تعالى من نوره، كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه الذي أخرجه عبد الرزّاق في مسنده. وقوله (**دائرٌ بدائرتي**): أي داخل بدائرتي لكونه نقطة منها. ودائرته صلّى الله عليه وسلّم لا تزال دائرة ينعطف مبتداها على/[٢٦٣/ أ] منتهاها قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [٢١/الأنبياء/ ١٠٤] ذلك دائماً؛ فإنّ عالم الخلق قائم بعالم الأمر، وعالم الأمر كلمح بالبصر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [٣٠/الروم/ ٢٥]؛ فالخلق والأمر كلمح بالبصر، وهي الدائرة المحمّديّة الجامعة، والدرّة البيضاء اللامعة، قال القائل:

عَلَى الدُرَّةِ البَيْضَاءِ كَانَ اجْتِمَاعُنَا وَمِنْ قَبْلِ خَلْقِ الخَلْقِ وَالعَرْشِ كُنَّا

وقوله (**أَو وَارِدٌ من شَرِيعتي**): الورود الإشراف على الماء وغيره، دخله أو لم يدخله، كالتورُّد والاستيراد، وهو وارد، و**الشريعة**: ما شَرَعَ الله تعالى لعباده. والظاهر المستقيم من المذاهب كالشِّرْعَة بالكسر فيهما. ومورد الشارب كالمَشْرَعَة. وتضمّ: رؤاها. والشِّرع بالكسر، كذا في القاموس.

٦٣١- وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ آدَمَ صُورَةً فَلِي فِيْهِ مَعْنَىً شَاهِدٌ بِأُبُوَّتِي

(**وإنِّي**): كلام على لسان الحقيقة المحمّديّة. وقوله (**وإنْ كنت ابن آدم صورة**): أي أبي آدم عليه السلام، من حيث ولادته لصورتي. وقوله (**فلي فيه**): أي في آدم

عليه السلام. وقوله (معنى شاهد): ذلك المعنى (بأبوّتي له): أي بكوني أباه، وهو المعنى الروحانيّ؛ فإنّه عليه السلام أبو الأرواح كلّها، أرواح النبيّين وغيرهم. كما أنّ آدم عليه السلام أبو الأجساد؛ فإنّه عليه السلام حقيقة الروح الأعظم الذي هو أوّل مخلوق خلقه الله تعالى، ونفخ منه جسد آدم عليه السلام، وفي سائر أجساد الأنبياء والمرسلين، عليهم الصلاة والسلام. فتلك النفخة هي روح آدم، ومنها جميع نفخات أرواح الأنبياء والمرسلين بعده، عليهم السلام؛ بل أرواح جميع العالمين كذلك، فروحه صلى الله عليه وسلّم، ومعناه أصل جميع لجميع أرواح النبيّين والمرسلين ومعانيهم عليهم السلام؛ فلهذا كان صلّى الله عليه وسلّم أبا الأرواح، ومنشأ المعاني. ولهذ قال (فلي فيه معنى شاهدٌ بأبوّتي) له وكذلك لغيره من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومثلهم الورثة من الأولياء الكرام والخلفاء العظام، قال تعالى في آدم عليه السلام: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [١٥/الحجر/٢٩] وهذا الروح هو الروح المحمّدي، والسرّ الأحمديّ. والسجود في الحقيقة لروح محمّد صلّى الله عليه وسلّم، المنفوخ منه في آدم عليه السلام، المشار إليه بقوله صلّى الله عليه وسلّم «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»[1] أي: لم يُخلق بعد، وفي رواية «ولا آدم ولا ماء ولا طين».

٦٣٢- وَنَفْسِي عَنْ حَجْرِ التَحَلِّي بِرُشْدِهَا تَخَلَّتْ وَفِي حِجْرِ التَجَلِّي تَرَبَّتِ

(ونفسي عن حَجْرِ): أي منع، قال في القاموس: «الحَجْر، مثلّثة: المَنع، كالحُجْران، بالضمّ و الكسر». وقوله (التحلّي): بالحاء المهملة، أي: التزين به، يقال: حَلَّيْتُها تَحْلِيَةً، ومنه سيفٌ مُحَلًّى، وتَحَلَّى بالحلي، أي تزيَّن، كذا في الصحاح. وقوله (برُشْدها): متعلّق بالتحلّي. والرُّشْد بضمّ الراء وسكون الشين المعجمة وبالدال المهملة: الهداية، قال في القاموس: «رَشَدَ كنَصرَ وفَرِحَ: رُشْداً ورَشَاداً:

(١) انظر تخريجه ص٩٦٩.

اهْتَدَى». وضمير رشدها للنفس؛ لأنّها ظاهرة بأسماء الله تعالى وصفاته، فهي متزيّنة متجلّية بتلك الأسماء الإلهيّة، والصفات المقدّسة العليّة.

وقوله (تخلّت): بالخاء المعجمة، من التخلّي، وهو الترك والفراغ عن الشيء. يعني: إنّ نفسي تركت التباعد والامتناع عن التحلّي والتزيّن بزينة الأسماء والصفات الإلهيّة كما يفعل الجاهل بالله، المحروم بجهله، وقلّة أدبه مع الله تعالى، وبزعم التنزيه والتقديس للحضرة الإلهيّة أنْ يكون ظاهراً بمظاهر أسمائها وصفاتها، فيدَّعى الاستقلال بالأسماء والصفات بها ما يشاء دون ربّه الحقّ، ويظنّ أنّه في الحاصل، وهو في الفائت. قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [٧/ الأعراف/ ٨٠] أي: يميلون عن الحقّ فيها إلى الباطل، فيزعمون في أنفسهم أنّ ما هم فيه من الأسماء والصفات أنّها لهم، / [٢٦٣/ ب] لا له تعالى، وأنّهم يتصرّفون بها، هو تعالى المتصرّف بها دونهم، وهم لا يشعرون، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٦] وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [٦٧/ الملك/ ٢٦] وقال تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [٦٧/ الإنسان/ ٣٠] وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] يعني لا غيره. وقال تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٢١] وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [١٠/ يونس/ ٢١] إلى غير ذلك. فهذه صفة العلم، واسم العليم. وصفة القدرة، واسم القادر. وصفة المشيئة واسم الشائي. وصفة الحياة، واسم الحيّ. كلّ ذلك لله تعالى وحده.

وقوله (وفي حِجْر): أي حضن، قال في الصحاح: «حَجْر الإنسان وحِجْرُه بالفتح والكسر. والجمع الحُجُور». وقوله (التجلّي): بالجيم، أي: الانكشاف والظهور.

وقوله (تربّتِ): أي نشأت فيهم، قال الشاعر(ثلاثة أملاك ربوا في حجورنا)

وربَّيْتُهُ تَربِيةً، وتَرَبَّيْتُهُ، أي: غذوته. هذا لكلّ ما ينمو، كالولد، والزرع، ونحوه[1].
وضمير تربتِ راجع للنفس. يعني: إنّ النفس تربت في حضن التجلِّي الإلهيّ على الاستعارة؛ لأنّه تعالى ربّ العالمين، فهو الذي يربِّي كلّ شيء، حتّى يوصله إلى كماله المعلوم عنده تعالى في عمله القديم. و(حجر التجلّي): كناية عن ظهور حضرات الأسماء الإلهيّة والصفات العليّة للعبد من نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام/ ١٤] وتدبير أموره بها، ظاهراً وباطناً خصوصاً، والكلام على لسان الحقيقة المحمّديّة، وليس بمخصوص بها كما علمت. و(تربّتِ) بكسر التاء للقافية.

٦٣٣- وَفِي المَهْدِ حِزْبِي الأَنْبِيَاءُ وَفِي عَنَا صِرِي لَوْحِيَ المَحْفُوْظُ وَالفَتْحُ سُوْرَتِي

(وفي المهد) هو الموضع الذي يهيأ للصبي، ويوطأ له، كذا في القاموس. وهذا الكلام على لسان الحقيقة المحمّديّة؛ لأنّه صلّى الله عليه وسلّم من حين كان في المهد نبيّ، بل من قبل خلق آدم عليه السلام، كما قدّمناه. وقوله (حزبي): أي أتباعي وأنصاري، قال في القاموس: «الحِزْب بالكسر: الطائفة، وجماعة الناس. والأحْزَاب جمعه. وجند الرجل، وأصحابه الذين على رأيه وحازبوا وتحزّبوا صاروا أحزاباً». وقوله (الأنبياء): عليهم السلام، وهم جمع نبيّ. يعني: إنهم كلّهم أحزاب نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم من حين كان في المهد؛ لأنّه عليه السلام نبيّ الأنبياء، ورسول المرسلين عليهم السلام. وهو نبيّ وآدم بين الماء والطين. وقال عليه السلام: «نحن الآخرون السابقون»[2] وإنّما تأخر ظهور نبوّته في عالم الدنيا إلى بلوغ سِنِّه أربعين سنة. فنبوّته صلّى الله عليه وسلّم ثابته له من قبله، وإنّما تأخر ظهورها في الدنيا لحكم ما يعلمه الله تعالى. وقوله (وفي عناصري): جمع عُنصُر، بضمّ وبفتح للصاد المهملة :الأصل والحسب، كذا في القاموس. يعني: في

(١) انظر الصحاح للجوهري، مادّة ربا.
(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: البول في الماء الدائم، ٢٣٨، وله أطراف كثيرة وطرقه كثيرة.

أصولي، وأحسابي، وأنسابي، وأجدادي الأقدمين. وقوله (لوحي): أي نشأتي وخلقتي؛ فإنّها مرقومة فيها جميع أحوالي الظاهرة والباطنة؛ فهي لوحي المحفوظ من كلّ تغيير وتبديل، وكلّ عيب وتبيين، لأنّ تلك المادّة طاهرة مطهّرة، كما قال حسان رضي الله عنه في مدحه صلّى الله عليه وسلّم:

خلقتَ مبرأً من كلّ عيب كأنّك قد خلقت كما تشاء

وقوله (**والفتح**): أي البيان، والكشف الواضح. وقوله (**سورتي**): وهي سورة الفتح من سور القرآن العظيم، النازلة في فتح مكّة، والاستيلاء على بيت الله الحرام. وذلك مقام التجلّي الذاتيّ من الجناب الأقدس، قال في همزيّة المديح النبويّ:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء

ولنا أبيات إلهيّة تعرب عن هذه القضيّة:

هم تجلّيه وانكشاف سناه عنده يدخلون منه جنانه/ [٢٦٤/أ]

أسلموا يوم فتح مكّة إذ كسروا من نفوسهم صلبانه

وعلى حضرة النبيّ نزلنا منه حتّى بنا تلا قرآنه

حضرة النور وهي من حضرة النور ونحن النور الذي قد أبانه

إنني ظاهر به وخفيّ وفؤادي محقّق هيمانه

كنتُ قرآنه بإجمال جمعٍ وبتفصيل فرقه فرقانه

ولهذا شهدت جميعاً وفرقاً ذاته والصفات منه ديانه

٦٣٥- وَقَبْلَ فِصَالِي دُوْنَ تَكْلِيفِ ظاهِرِي خَتَمْتُ بِشَرْعِي الْمُوْضِحِي كُلَّ شِرْعَةِ

(**وقبل فصالي**): أي فطامي، قال في القاموس: «الفَصْل: فَطْمُ المولود كالافتصال، والاسم: الفِصَال ككِتَاب». وهذا كلام على لسان الحقيقة المحمّديّة. يعني: في عالم إرضاعه، صلّى الله عليه وسلّم قبل فطامه. وقوله (دون): للتقصير عن الغاية، كما

في الصحاح. يعني: قبل. وقوله (**تكليف ظاهري**): يعني تكليف الله تعالى لظاهري بالأوامر والنواهي، وهو وقت البلوغ. وقوله (**ختمت بشرعي**): أي كنت نبيّاً خاتماً بشريعتي. وقوله (**الموضحي**): مفعول ختمت، وأصله الموضحين، صفة للنبيّين، فحذفت النون للإضافة إلى قوله (**كلّ شرعة**): يعني ختمت النبيّين المرسلين وغيرهم، أي: كنت ختماً للنبوّة والرسالة. ووصف النبيّين بالموضِّحين لكلّ شرعة، أي: شريعة؛ فإنّ كلّ نبيّ منهم، ورسول إلى أمّته، موضّح شريعته لأمّته. ومحمّد صلى الله عليه وسلّم خاتم لهم، وشريعته ناسخة لشرائعهم، وخاتمة لها. فنبوّته مقررة ثابتة قبل ظهوره صلّى الله عليه وسلّم بها في عالم الدنيا. وكذلك ختمه للنبيّين وللمرسلين عليهم السلام محقّق، مقرر ثابت في ابتداء أمره عليه السلام قبل أنْ يتوجّه التكليف على ظاهره صلّى الله عليه وسلّم. وإلى هذه الإشارة بقوله عليه السلام: «كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد»[1] ذكره الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث مسند الفردوس للديلمي.

٦٣٦- فَهُـمْ وَالأُلَى قَـالُوا بِقَـولِهِمِ عَلَى   صِراطِـيَ لَمْ يَعْـدُوا مَـوَاطِئَ مَـشِيْئَتِي

(**فَهُمْ**): أي الأنبياء المشار إليهم بالموضحي كلّ شرعة. وقوله (**والأُلى**): جمع الذي. بمعنى: أتباعهم الذين. وقوله (**قالوا بقولهم**): بكسر الميم للوزن، أي: بقول الأنبياء عليهم السلام بأنّ كانوا متّبعين لهم في شرائعهم. وقوله (**على صراطي**): أي طريقي المستقيم؛ لأنّ الأنبياء عليهم السلام كلّهم أُمروا بشريعة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، إنْ أدركوا زمانه يكونوا من أتباعه، وعلى ملّته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٨١] فلو اتفقوا أنّ نبيّاً من الأنبياء

---

(١) انظر تخريجه ص٩٦٩.

أدرك زمانه صلى الله عليه وسلّم لوجب عليه اتّباعه، واتباع شريعته، قال صلّى الله عليه وسلّم: «لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلّا اتباعي»[1] وكذلك أممهم. فشريعته صلّى الله عليه وسلّم هي جميع الشرائع، ولكن اختلفت أحكام الشرائع الماضية لاختلاف الأمم. ولهذا نسخ بعضها بعضاً، ونسخت كلّها بشريعته عليه السلام. ولهذا لا تُنسخ شريعته بغيرها إلى يوم القيامة، كما قرر ذلك مفصّلاً في المواهب اللدنيّة. وقوله (لم يعدوا): أي يتجاوزوا، قال في الصحاح: «عَدَاه يَعْدُوه: أي جاوزه». يعني: الأنبياء، ومن قالوا بقولهم من أممهم. وقوله (مَواطِئ): جمع مَوطِئ، وهو موضع القدم، كما في القاموس. وقوله (مشيئتي): أي سيري في طريق الوحي والنبوّة. والمعنى: يقتدون بي، ويتّبعون ظاهراً وباطناً.

٦٣٧- فَيُمْنُ الدُّعَاةِ السَّابِقِينَ إلَيَّ فِي يَمِيْنِي وَيُسْرُ اللَّاحِقِينَ بِيُسْرَتِي

(**فَيُمْن**)[2]: الفاء للتفريع على ما قبله. وقوله (**يُمْن**): أي بركة وزيادة، قوّة روحانيّة، ونمو في درجات/ [٢٦٤/ ب] الكمال. وقوله (**الدعاة**) بالإضافة، جمع داعٍ، وهو الذي يطلب الخلق إلى معرفة ربّهم وإلى عبادته وتوحيده. وقوله (**السابقين**): أي المتقدّمين في الزمان، وفي المراتب العالية على من دونهم، وهم الأنبياء والمرسلون، عليهم الصلاة والسلام، وهو معنى قوله (**إليّ**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى الحقيقة المحمّديّة؛ لأنّ الكلام بلسانها، والناظم قدّس الله سرّه موسوم بترجمانها. وقوله (**في يميني**): أي في يدي اليمين، وهي يد القوّة الإلهيّة، فإنْ نشأة الأنبياء عليهم السلام مُستمَدّة من حقيقته صلّى الله عليه وسلّم، فيده العليا

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، باب: أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى، ١٧٣، عن جابر، بلفظ« لتهوكنّ كما تهوّكت اليهود والنصارى، لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة، لو كان موسى حياً ما وسعه إلّا اتباعي». كما أخرجه المتّقيّ الهنديّ في الكنز ،١٠١٠. وتهوّك: اضطرب وتحيّر وتهوّر.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة إلى هذا المحلّ على شيخنا المؤلّف قُدّس سرّه.

على كلّ يد، وهو السابق في الخلق، واللاحق في الظهور، وهو النورعلى النور. وقوله (ويسر): أي سهولة الأمور وتيسيرها من غير شدّة ولا نفور. وقوله (**اللاحقين**): جمع لاحق، وهو من يلحق غيره، أي: يتبعه في طريقه، وهم الأولياء قدّس الله أسرارهم، أولياء هذه الأمّة، وغيرها من الأمم الماضين. وقوله (**بيُسرتي**): أي بيدي اليسرى، وهي يد اللطف والإحسان، والرأفة والحنان، وهو اللائق بحقائق الأولياء، قدّس الله سرّهم، لضعف قوابلهم بالنسبة إلى قوّة قابليّة الأنبياء عليهم السلام، فيكون إمداد الحقيقة المحمّديّة على قدر استعداد القوابل الإنسانيّة.

٦٣٨- وَلَا تَحْسَبَنَّ الأَمْـرَ عَنِّـيَ خَارِجَـاً فَـمَا سَـارَ[1] إِلّا دَاخِـلٌ فِي عُبُودَتِـي

(**وَلَا تَحْسَبَنَّ**): يا أيهَا السَّالِكُ في طَرِيقِ معرفة الله تعالى. وقوله (**الأمر**): مفعول تحسبَنَّ، المفعول الأوّل، أي: أمر الله تعالى، الذي قام به كلّ شيء، فالألف واللام للعهد. وقوله (**عنِّي**): أي عن حقيقتي المحمّديّة الممدّة لكلّ حقيقة كونيّة. وقوله (**خارجاً**): مفعول ثانٍ لتحسبنّ، أي: خارجاً عن حقيقتي، بحيث ينفصل عنها، وتنفصل عنه في زعمها، وإنّما هي قائمة به، من غير مغايرة له، بخلاف غيرها من جميع الحقائق القائمة به؛ فإنّها مغايرة له؛ لأنّها قائمة به بواسطة حقيقتي؛ فحقيقتي أقرب الحقائق كلّها إلى الأمر الإلهيّ؛ لأنّي أوّل مخلوق ظهرعن الأمر الإلهيّ. وقوله (**فما سار**): أي في طريق معرفة الله تعالى. وقوله (**إلّا داخل**): أي سائر، داخل من السائرين في جميع الأمم. وقوله (**في عبودتي**): متعلّق بداخل. والعبودة فوق العبادة والعبوديّة، وهي ثلاثة مقامات العبادة: وهي فعل ما يرضي الربّ؛ فالفعل من العبد، والرضا من الربّ، والعبوديّة: الرضا بفعل الربّ؛ فالفعل من العبد، والرضا من العبد، عكس الاوّل. والعبودة: الفعل من الربّ، والرضا من الربّ. والعبد شبح منحوت؛ لكنّه منحوت لتحقّقه بالفناء والبقاء معاً؛ فالداخل في هذا المقام داخل في الحقيقة المحمّديّة بحالة كليّة.

---

(١) في (ق): ساد.

٦٣٩- وَلَوْلَايَ لَمْ يُوْجَدْ وُجُوْدٌ وَلَمْ يَكُنْ شَهُوْدٌ وَلَمْ تُعْهَدْ عُهُوْدٌ بِذِمَّةِ

(ولولاي): أي لولا أنّني موجود بظهور وجود الحقّ تعالى، كلام على لسان الحقيقة المحمّديّة التي ورد أنّ نورها مخلوق من نور الله تعالى؛ فهي مادّة الأكوان، وهيولى جميع الأعيان. وقوله (لم يوجد وجود): أي: وجود حادث لشيء من الأشياء مطلقاً. والمراد بالوجود الحادث: ظهور تجلّي الوجود القديم على صورة كلّ تقدير عديم. وقوله (ولم يكن شهود): أي معاينة لذلك التجلّي الإلهيّ من أحد أصلاً، لأنّ ذلك لا يكون إلّا بالإمداد المحمّدي في المقام الأحمدي كما قيل:

وأنت باب الله أي امرئ أتاه من غيرك لا يدخل

وقوله (ولم تُعْهَد): بالبناء للمفعول. وقوله (عُهودٌ): نائب الفاعل، جمع عهد، وهو الميثاق، وأصله العهد الذي أخذه الربّ تعالى على جميع ذريّة آدم عليه السلام لّما مسح على ظهره فأخرجهم كالذرّ، وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] ثمّ بعد ذلك عهود المشايخ والسلاطين بعد عهود الأنبياء والمرسلين لأممهم، تذكيراً منهم لذلك العهد الربّاني في المقام الصمدانيّ./ [٢٦٥/ أ] وقوله (بذمّة) متعلّق بتعهّد. والذمّة تفسر بالعهد وبالأمان، وبالضمان أيضاً، والجمع ذِمَم، مثل سِدرة وسِدَر، كذا في المصباح.

٦٤٠- فَلَا حَيَّ إِلَّا عَنْ حَيَاتِي حَيَاتُهُ وَطَوْعُ مُرَادِي كُلُّ نَفْسٍ مُرِيْدَةِ

٦٤١- وَلَا قَائِلٌ إِلَّا بِلَفْظِي مُحَدِّثٌ وَلا نَاظِرٌ إِلَّا بِنَاظِرِ مُقْلَتِي

٦٤٢- وَلَا مُنْصِتٌ إِلَّا بِسَمْعِيَ سَامِعٌ وَلَا بَاطِشٌ إِلَّا بِأَزْلِي وَشِدَّتِي

٦٤٣- وَلَا نَاطِقٌ غَيْرِي وَلَا نَاظِرٌ وَلَا سَمِيْعٌ سِوَايَ مِنْ جَمِيْعِ الخَلِيْقَةِ

(فلا حَيَّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: ذا حياة، والعالم كلّه ذو حياة عند العارفين بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٠] وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾

[١٧/الإسراء/ ٤٤]. والتسبيح لا يكون إلّا من حيّ عالم بمن يسبّحه. وفي الحديث: «يشهد للمؤذّن مدّ صوته من رطب ويابس»[1] ولا يشهد إلّا الحيّ العالم بمن يشهد له. وقوله (**إلّا عن حياتي**): حياته، أي: حياة ذلك الحيّ متفرّعة عن حياتي، التي هي من حياة الله تعالى؛ وهو كلام على لسان الحقيقة المحمّديّة التي هي مادّة لخلق حياة العوالم كلّها. وقوله (**وطوع مرادي كلّ نفس مُريدة**): أي ذات إرادة لأمر من الأمور على حسب ما يجري به المقدور قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨] فالنفوس البشريّة كلّها، وغيرها منبعثة من حقيقته الروحيّة العظمى، صلّى الله عليه وسلّم. وقال له تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [٩/ التوبة/ ٧٣] أي: كن غليظاً عليهم في نفوسهم المستمدّة من حقيقتك. وقوله (**ولا قائل**): أي متكلّم من الناس وغيرهم مطلقاً. وقوله (**إلّا بلفظي**): أي باللّفظ الذي أَمدّه به من حقيقتي. وقوله (**مُحَدِّثٌ**): بتشديد الدال المهملة مكسورة من الحديث، وهو كلّ ما يُتحدَّث به ويُنقَل، كذا في المصباح. وقوله (**ولا ناظري**): أي من جميع الخلائق. وقوله (**إلّا بناظر مقلتي**): أي شحمة عيني المخلوقة من حقيقتي، ومستمدّة من مادّتي. وقوله (**ولا منصت**): اسم فاعل، من أنْصَتَ إنْصَاتاً: استمع. ويتعدّى بالحرف، فيقال: أَنْصَتَ الرجلُ للقارئ، وقد يحذف الحرف فينصب المفعول، فيقال: أَنْصَتَ الرجلُ القارئَ ضُمِّنَ معنى سمعه. ونَصَتَ له يَنْصِتُ، من باب ضرب، لغة، أي: سَكَتَ مُسْتَمِعاً، وهذا يتعدّى بالهمزة، فيُقال: أَنْصَتَهُ، أي: أَسْكَتَهُ، كما في المصباح. وقوله (**إلّا بسمعي سامع**): لصدور حقيقته عن الحقيقة المحمّديّة، فهي متّحدة بها كاتّحاد الأواني

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: مسند عبد الله بن عمر، ٦٣٤٥، بلفظ: «يغفر الله للمؤذّن مدّ صوته، ويشهد له كلّ رطب ويابس سمع صوته».

بالطين المجعولة منه. فمن عرف نفسه المغايرة للمادّة التي انفتحت حقيقته فيها وصل إلى الحقيقة المحمّديّة، فاتّحد بها على التحقيق عند أهل هذا الطريق. وربّما تجسد في هيكل بشري فيشهد صاحبه الكشف، ويتحدّث معه، كما رأينا من هذه حاله من الأولياء والعلماء الصادقين في مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم وغيرها، فكان يخبرني عنه صلّى الله عليه وسلّم بأخبار عجيبة، وأنا مؤمن بذلك، مصدِّق به. وللإمام السيوطيّ رسالة سمّاها (**إنارة الحَلَك في إمكان رؤية النبيّ والمَلَك**) وفي **المواهب اللدنيّة للقسطلّاني** ما هو الصريح في رؤيته صلّى الله عليه وسلّم يقظة، والتحدّث معه. وقال الشيخ أبو العبّاس المرسي تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذليّ قدّس الله سرّهما: «لو حجب عني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين» فكان إسلامه قدّس سرّه وإيمانه به صلّى الله عليه وسلّم معاينة وشهوداً. وقوله (**ولا باطش**): من البَطْش، وهو الأخذ بعنف، وبَطَشَتْ اليد: إذا عَمِلَتْ؛ فهي باطشة، كذا في المصباح. وقوله (**إلّا بأزلي**): الأزل بفتح الهمزة وسكون الزاي: الشدّة، كذا في القاموس. وقوله (**وشِدَّتي**): بعده عطف تفسير عليه. وقوله (**ولا ناطق**): أي متكلّم بأيِّ/ [٢٦٥/ ب] كلام كان، وأيِّ لغة كانت. وقوله (**غيري**): أي مغاير لي؛ إذ لا مغايرة في نفس الأمر إلّا بالتقادير العدميّة في المادّة الهيولانيّة كصور الأمواج والفواقع في الماء لها الاتّحاد الحقيقي بالماء، والمغايرة الوهميّة بالصور والأشكال العدميّة. وقوله (**ولا ناظر**): يعني من الناس وغيرهم. وقوله (**ولا سميع**): أي ذو سمع. وقوله (**سواي**): أي غيري. وقوله (**من جميع الخليقة**): أي النّاس والخلق، كذا في القاموس. وهو بيان للسوى.

٦٤٤- وَفِي عَالَمِ التَّرْكِيبِ فِي كُلِّ صُورَةٍ ظَهَرْتُ بِمِعْنًى عَنْهُ بِالحُسْنِ زِيْنَتِ

(**وفي عالم التركيب**): وهو عالم الأجسام المركّبة من الطبائع والعناصر. وقوله (**في كلّ صورة ظهرتُ**): أي تبيَّنتُ، فيراني كلُّ راءٍ من الناس، يعرفني من يعرفني

ويجهلني من يجهلني، وينكرني من ينكرني. وقوله (بمعنىً): متعلّق بظهرتُ. وقوله (عنه): أي عن ذلك المعنى. وقوله (بالحسن): متعلِّق بـ زِيْنَتِ. وقوله (زِيْنَتِ): بكسر الزاي، فعل ماض مبني للمفعول، مثل قيلت وبيعت. وكسرت التاء للقافية. ونائب فاعل زينت: ضمير يعود إلى كلّ صورة. يعني: ظهرت في كلّ صورة بمعنىً. وتلك الصورة زِيْنَت بالحُسن صادر عن ذلك المعنى، وهو السرّ الربّانيّ والنور الرحمانيّ.

٦٤٥- وَفِي كُلِّ مَعْنَىً لَمْ تُبِنْهُ مَظَاهِرِي تَصَوَّرْتُ لَا فِي هَيْئَةٍ هَيْكَلِيَّةِ

(وفي كلّ معنى): هو ما يُقصد باللفظ، قال في المصباح: «قال أبو حاتم: تقول العامّة: لأيِّ معنىً فعلتَ، والعرب لا تعرف المَعْنَى، ولا تكاد تتكلّم به، نعم قال بعض العرب: ما مَعْنِيُّ هذا؟ بكسر النون وتشديد الياء. وقال أبو زيد: هذا في معناة ذاك، وفي معناه سواء، أي: في مماثلة ومشابهة دلالة، ومضموناً، ومفهوماً. وقال الفارابي أيضاً: ومعنى الشيء، ومَعْناتُهُ واحدٌ، ومعناه، وفحواه، ومقتضاه، ومضمونه كلّه: هو ما يَدلُّ عليه اللفظ. وفي التهذيب عن ثعلب: المَعْنَى، والتفسير، والتأويل واحد. وقد استعمل الناس قولهم: هذا معنى كلامه وشبهه، ويريدون: هذا مضمونه ودلالته. وهو مطابق لقول أبي زيدوالفارابي. وأجمع النحاة وأهل اللّغة على عبارة تداولوها، وهي قولهم: هذا بمعنى هذا، وهذا وهذا في المعنى واحد، وفي المعنى سواء، وهذا في معنى هذا، أي: مماثل له، أو مشابهه». وقوله (لم تُبِنْه): أي تكشف عنه وتوضّحه، وصف لمعنىً. وقوله (مظاهري): فاعل تُبِنه، جمع مظهر: موضع الظهور، من ظهر الشيء يَظْهَرُ ظُهُوراً: بَرَزَ بعد الخفاء، وهي المحسوسات بالحواس الخمس، وكلّ معنى هو المعاني المعقولة المدركة بالعقل. وقوله (تَصَوَّرْتُ): أي في صور المعاني العقليّة لكلّ ذي عقل. وقوله (لا في هيئة): هي هيئة الحال الظاهرة، يقال: هاءَ يَهُوءُ ويَهِيءُ هَيْئَةً حسنة: إذا صار إليها، كذا في المصباح. وقوله (هَيْكَلِيَّةِ): نعت لهيئة منسوبة إلى هَيْكَل. وأصله البناء المشرف، والفَرَسُ الطويل

الضخم، كذا في الصحاح. والمراد به هنا مطلق الجسم، أي: هيئة جسمانيّة.

٦٤٦- وَفِي مَا تَرَاهُ الرُّوحُ كَشْفَ فَرَاسَةٍ خَفِيتُ عَنِ المَعْنَى المُعَنَّى بِدِقَّةِ

(وفي ما): أي العالم الذي هو باطن كلّ شيء. وقوله (تراه الروح): فإنّ الروح ترى ملكوت كلّ شيء، كما أنّ الحواس الخمس ترى ملك كلّ شيء، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٦٧/ الملك/ ١] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٣] والمعنى: في عالم الملكوت المكنّى عنه بما تراه الروح؛ لأنّ رؤيته مخصوصة بالأرواح. وقوله (كَشْفَ فِراسَةٍ): أي بحيث لا يحصل لها إلّا بطريق كشف الفراسة دون الفكر والتأمّل، قال في المصباح: «فَرَسْتُ بالعين أَفْرِسُ، من باب ضرب فِراسَةً، بالكسر والفتح، وَتَفَرَّسْتُ/ [٢٦٦/ أ] الخيرَ تعرّفته بالظنّ الصائب، ومنه: «اتّقوا فراسة المؤمن»[1]. وقوله (خفيت): أي لم أظهر للعقل، ولا للحسّ؛ فإنّ العقل مخصوص بكشف المعاني، والحسّ مخصوص بكشف المحسوسات. وقوله (عن المَعْنَى): متعلّق بخفيتُ. وقوله (المُعَنَّى): بتشديد النون بصيغة اسم المفعول، وصف للمَعْنَى. يقال: عَنَانِي كذا يَعْنِيْنِي عَرَضَ لي وَشَغَلَنِي؛ فأنا مَعْنِيٌّ به، والأصل مفعول كما في المصباح. وقوله (بدقّة): متعلّق بالمعنّى المشدّدة، يقال: دقّ الأمر دقّةً إذا غمض وخفي معناه، فلا يكاد يفهمه إلّا الأذكياء، كذا في المصباح.

٦٤٧- وَفِي رَحَمُوتِ البَسْطِ كُلِّيَ رَغْبَةٌ بِهَا انْبَسَطَتْ آمَالُ أَهْلِ بَسِيْطَتِي

٦٤٨- وَفِي رَهَبُوتِ القَبْضِ كُلِّيَ هَيْبَةٌ فَفِيمَا أَجَلْتَ العَيْنَ مِنِّي أَجَلَّتِ

(وفي رحموت): هو مصدر بمعنى الرحمة للمبالغة. وقوله (البَسْط): بالإضافة، وهو السَّعَة، خلاف القبض. وقوله (كُلِّي): أي ظاهري وباطني. وقوله (رَغْبَةٌ)

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه،كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجر، ٣٤١٩، عن أبي سعيد الخدريّ.

بفتح الراء، والهاء لتأنيث المصدر، والجمع: رَغَبَات، مثل سَجْدَة وسَجَدَات، كما في المصباح، أي: مرغوب في قربي، والاتّصال بي. وقوله (بها): أي بتلك الرغبة. وقوله (انبسطتْ): أي توسعتْ وفرحت وانسرت. وقوله (آمال): جمع أمل، من أمَلْتُهُ أَمَلاً، من باب طَلَبَ: تَرَقَّبْتُهُ، وأكثر ما يُستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله، كذا في المصباح. وقوله (أهل بسيطتي): أي أرضي، وهم المُنتشون من أخلاقه الجميلة، وأوصافه الجليلة من كُمَّل الأولياء، وأفاضل الأصفياء. وقوله (وفي رهبوت): هو مصدر أيضاً بمعنى الرَّهْبَة، للمبالغة قال في المصباح: «رَهِبَ رَهَباً من باب تَعِبَ: خاف. والاسم: الرَهْبَة». وقوله (القَبْضُ): خلاف البَسْطِ. وقوله (كلِّي هَيْبَةٌ): مصدر هَابَه يَهَابَهُ، من باب تَعِبَ هَيْبَة: حَذِرَهُ، قال ابن فارس: الهَيْبَةُ الإجلال؛ فالفاعل هَائِب، والمفعول مَهيوب[1] ومَهيب أيضاً، كذا في المصباح. وقوله (ففيما): أي في الأمر الذي. وقوله (أَجَلْتَ): بفتح التاء للمخاطب، أو بضمِّها للمتكلّم، من جَالَ في البلاد: طَاف غير مستقرّ فيها؛ فهو جوَّال، وأَجَلْتُهُ بالألف: جَعَلْته يَجُول، كما في المصباح. وقوله (العينَ): وهي الباصرة، مفعول أجلتَ. وقوله (منِّي): أي من ظاهري أو باطني. وقوله (أَجَلَّتِ): بتشديد اللام وكسر التاء للقافية، من الإجلال، وهوالإعظام، أَجَلَّتِ، أي: أَعْظَمَت العين ما رأته منِّي.

٦٤٩- وَفِي الجَمْعِ بِالوَصْفَيْنِ كُلِّيَ قُرْبَةٌ فَحَيَّ عَلَى قُرْبَى خِلالِي الجَمِيلَةِ

(وفي الجمع): أي مقام الجمع. وقوله (بالوصفين): أي وصف البسط، ووصف القبض. وقوله(كُلِّي): أي ظاهري وباطني. وقوله (قربةٌ): أي منزلة عالية، قال في المصباح: «القُرْبُ في المكان، والقُرْبَةُ في المَنْزِلَة، والقُرْبَى والقَرَابَة في الرَحِم. وقيل لمَا يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى: قُرْبَة، بسكون الراء والضمّ للاتباع.

---

(١) أثبتنا مهيوب كما ذكر الشيخ عبد الغني النابلسيّ مع أنّه في نسختي المصباح ـ الرسالة والإلكترونيّة ـ هَيُوْب.

والجَمْع قُرَب وقُرُبَات، مثل غُرَف وغُرُفَات في وُجُوهِهَا». وقوله (فحيّ): قال في المصباح: «حَيَّ على الصلاة ونحوها: [دعاءٌ] قال ابن قتيبة: معناه هَلُمَّ إليها. ويُقال: حَيَّ على الغدَاء، وحَيَّ إلى الغداء، أي: أقبل، قالوا: ولم يُشتَق منه فِعْل. وقوله (**على قُرْبَى**): مقصور، مصدر قَرُبَ الشيءُ مِنَّا قُرْباً وقَرَابَة وقُرْبَة وقُرْبى، كذا في المصباح. وقوله (**خلالي**): الخِلال جمع خَلّة، بالفتح، وهي الخَصْلَة، والجمع خِلال بالكسر، كما في المصباح. وقوله (**الجميلة**): وصف للخِلال، وفي ذلك البحث على التخلّق بالأخلاق المحمّديّة، والاتّصاف بالخِصَال الأحمديّة.

٦٥٠- وَفِي مُنْتَهَى فِي لَمْ أَزَلْ بِيَ وَاجِداً   جَلَالَ شُهُودِي عَنْ كَمَالِ سَجِيَّتِي

٦٥١- وَفِي حَيْثُ لَا فِي لَمْ أَزَلْ فِيَّ شَاهِداً   جَمَالَ وُجُودِي لَا بِنَاظِرِ مُقْلَتِي

(**وفي منتهى**): في أي نهاية ما تطلق عليه كلمة (في): من الظرفيّة المكانيّة والزمانيّة/ [٢٦٦/ ب] وقوله (**لم أزل بي**): أي بنفسي في جميع النفوس الفاضلة. وقوله (**واجِداً**): من الوجدان، وهو الإدراك الذوقيّ. وقوله (**جلال**): مفعول واجداً. وقوله (**شهودي**): أي معاينتي، وكشفي. وقوله (**عن كمال سجيّتي**): أي صادراً ذلك عن سجيّتي الكاملة. السجيّة بالسين المهملة والجيم: الغَرِيْزَة. والجمع سَجَايَا، مثل: عَطِيَّة وعَطَايَا، كذا في المصباح. وقوله (**وفي حيث لا في**): أي عدم ما يطلق عليه كلمة (في) وهوما تنتفي عنه الظرفيّة المكانيّة والزمانيّة، وهو عالم الروح المجرّد الكلّي الخارج عن المكان والزمان؛ لأنّ المكان هو الجسم الذي يستقرّ عليه الشيء. ومنه الحيز، وهو الفراغ الموهوم الذي يملؤه الجسم وتنفذ فيه أبعاده الثلاث: الطول والعرض والعمق. فإذا استقرّ على جمع آخر فهو مكانه. والزمان مدّة حركة الفلك، أو متجدّد يقترن به متجدّد آخر، وحيث الروح الأعظم المجرّد الكلّي لا جسم له، فلا حيّز له، ولا جسم آخر يستقر عليه، فلا مكان له، ولا فلك معه، فلا حركة تقارنه، ولا متجدّد آخر يقترن به، فلا زمان له. وقوله (**لم أزل فيّ**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: في نفسي المجرّدة الكليّة، وهي

الحقيقة المحمّديّة المتعالية عن المكان والزمان. وقوله (**شاهداً**): أي معايناً. وقوله (**جمال وجودي**): أي الجمال المنسوب إلى حقيقة الوجود الذي أنا قائم به، ومنصبغ بشعشاع نوره. وقوله (**لا بناظر مقلتي**): أي عيني. يعني: ليس معاينة الوجود الحقّ بالعين الباصرة في الدنيا لغير العين المحمّديّة ليلة المعراج، وعين وارثها تلك الليلة، وإنّما ذلك بملاحظات البصيرة النافذة في عالم الملكوت لعامّة أهل الله، كلّ ليلة على التنزيه التامّ، والتحقيق العام.

٦٥٢- فَإِنْ كُنْتَ مِنِّي فَانْحُ جَمْعِيَ وَامْحُ فَرْ   قَ صَدْعِي وَلَا تَجْنَحْ لِجُنْحِ الطبِيعَةِ

(**فإنْ كنت**): يا أيّها السالك. وقوله (**مِنّي**): أي من أهل طريقتي. وقوله (**فانحُ**): فعل أمر، من نحا ينحو، قال في الصحاح: «النحو القصد والطريق، يقال نَحَوتُ نَحْوَك، أي: قصدت قصدك». وقوله (**جمعي**): أي مقام جمعي على الله، وهو شهود الوجود الحقّ بفناء كلّ ما سواه فيه. وقوله (**وامح**): فعل أمر من مَحَا يَمْحو، قال في الصحاح: «مَحَا لَوْحَهُ يَمْحُوهُ مَحْواً ويَمْحِيْهِ مَحْياً ويَمْحَاهُ أيضاً». والمحو الإزالة. وقوله (**فَرْق**): هو خلاف الجمع، وهو شهود الخلق موجوداً مع الوجود الحقّ. وقوله (**صدعي**): أي انكساري؛ فإنَّ صَدْعَ الإناء انكساره، قال في المصباح: «صَدَعْتُهُ صَدْعَاً، من باب نفع، شَقَقْتُه فانصدع، وصَدَعَت القومَ صَدْعَاً فتصدَّعُوا: فرَّقْتُهُم فَتَفَرَّقُوا. وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩٤] قيل: مأخوذ من هذا، أي شقّ جماعاتهم بالتوحيد. وقيل: افرُق بذلك بين الحقّ والباطل، وقيل أظْهِرْ ذلك، وصدعت بالحقّ: تكلّمت به جِهاراً». والمعنى: أزل عنك افتراق كثرتي وتعدّدي، وتباين أجزاء تركيبي. وقوله (**ولا تجنح**): أي لا تمل، من جَنَحَ إلى الشيء يَجْنَح بفتحتين، وجَنَحَ جُنُوحَاً من باب قَعَدَ لغة: مَالَ. وقوله (**لُجنْحِ**): جُنْح الليل بِضَمِّ الجيم وكسرها: ظلامه واختلاطه، كذا في المصباح. وقوله (**الطبيعة**): هي مزاج الإنسان المركب من الأخلاط، كما في

المصباح. فإنّ مزاج الإنسان المركب من أجزاء البدن ليل مظلم، لا يظهر فيه نورمن الأنوار الروحانيّة. وفيه تختفي الأسرار الربّانيّة، والآثار العرفانيّة.

٦٥٣- وَدُونَكَهَا آيَاتِ إِلْهَامِ حِكْمَةٍ   لأَوْهَامِ حَدْسِ الحِسِّ عَنْكَ مُزِيلَةِ

(**ودونكها**): دونك إغراء بالشيء، يعني: الزمه، ولا تفارقه، والضمير لدلائل الحكمة الإلهيّة المفسَّرة بقوله (**آيات**): جمع آية، وهي العلامة على الحقّ. وقوله (**إلهامِ حكمة**): الإلهام ما يُلقى في الروع، يقال: ألهمه الله ، واستلهمت الله الصبر، كذا في الصحاح. والحِكْمة بكسر الحاء المهملة. وسكون الكاف: العلم المتقن، قال في المصباح: «الحكمة وِزان قَصَبَة للدابّة/ [٢٦٧/ أ] سميّت بذلك لأنّها تُذلِّلُها لراكبها حتّى تمنعَها الجماح ونحوه. ومنه اشتقاق الحكمة لأنّها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال». وقال في الصحاح: «الحِكْمَةُ من العلم، والحكيم العالِم وصاحب الحكمة. والحكيم المتقِن للأمور» يشير إلى ما يذكره من العلم الربّاني، والمعارف الإلهيّة؛ فإنّها إلهام، وفيض على قلبه من الحكم والأسرار. وقوله (**لأوهام**): جمع وَهْم قال في الصحاح: «وَهِمْتُ في الحساب أَوْهَمُ وَهْماً: إذا غَلِطْتُ فيه وسَهَوْتُ. ووَهَمْتُ في الشيء، بالفتح، أَهِمُ وَهْماً: إذا ذَهَبَ وَهْمُكَ إليه، وأنت تريد غيره. وتَوَهَّمْتُ: أي ظننت. وأَوْهَمْتُ غيري إيهاماً. وقال في المصباح: «وَهَمْتُ إلى الشيء وَهْماً، من باب وَعَدَ: سَبَقَ القلبُ إليه مع إرادة غيره. ووَهَمْتُ وَهْماً: وقع في خَلَدَي. والجمع أوْهَام، وشيءٌ مَوْهُوم، وتَوَهَّمْتُ أي: ظننت". والجار والمجرور متعلّق بمزيلة آخر البيت. وقوله (**حَدْسِ**): يقال: حَدَسَ حَدَساً من باب ضرب: إذا ظَنَّ ظَنّاً مؤكداً. وَحَدَسَ في الأرض ذهب على غير هداية، كذا في المصباح. وقوله (**الحِسّ**): يقال أَحَسَّ الرجلُ الشيءَ إحْساساً: علم به، يتعدّى بنفسه مع الألف، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ [٣/آل عمران/ ٥٢] وربّما زِيدَتْ الباء، فقيل: أَحَسَّ به، على معنى: شَعَرَ به. وحَسَسْتُ به من باب قَتَلَ: لغة فيه، والمصدر الحِسّ، بالكسر، يتعدّى بالباء على معنى: شَعَرْتُ

أيضاً. وقوله (عنكَ): متعلِّق بـ مُزِيْلَةٍ، والخطاب للسالك في طريق الله تعالى. وقوله (مُزِيْلَةٍ): وصف لحكمة. والمعنى: إلهام حكمة مزيلة عنك لأوهام حدس الحسّ، فإذا زالت تلك الأوهام انكشف لك وجه الوجود الحقّ بزوال الأستار العدميّة المقدّرة المفروضة، قال تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [١٠٠/ العاديات/ ٤] أي: أثارت عاديات الأسماء والصفات بالكلام القديم من حضرة الاسم العليم غبار الآثار الكونيّة على الوجه الحقّ. ومن ذلك قولنا في مطلع أبيات لنا:

لـو تجـلّى عـن ناظريـك الغبـار ... لرأيـت الكـؤوس كيـف تـدار

ولبانـت نـار لـديك كـما بـا ... نـت لموسـى مـن جانـب الآثـار

لكـن القلـب منـك في غفـلات ... وعـلى وجهـك الكثيـف خمـار

ويقينـاً أنّ التكـاثر ألهـا ... وعـزّت بوهمـك الأغيـار

٦٥٤- وَمِنْ قَائِلٍ بِالنَسْخِ وَالمَسْخُ وَاقِعٌ ... بِـهِ ابْـرَأ وَكُـنْ عَـمَّا يَـرَاهُ بِعُزْلَـةِ

٦٥٥- وَدَعْهُ وَدَعْوَى الفَسْخِ وَالرَّسْخُ لَا تُقْ ... بِـهِ أَبَـدَاً لـو صَـحَّ فِيْ كُـلِّ دَوْرَةِ

أشار إلى بطلان مذهب التناسخ في الأرواح. وهو مذهب باطل لا دليل عليه؛ وإنّما هو مستند إلى توهّمات خياليّة، وإخبارات من الجنّ والشياطين المستولين على بعض النفوس الحيوانيّة والإنسانيّة. والتناسخ أربعة مذاهب: **الأوّل**: القائلون بالنسخ، وهم المشار إليهم بقوله (**ومن قائل بالنسخ**): وهو القول بأنّ الروح الإنسانيّ لا يزال متعلّقاً بالبدن الإنسانيّ. فإذا انقطع تعلّقه من بدن تعلّق في الحال ببدون أُخر في الرَّحِم. ولا يخلو عن التعلّق بالبدن. وأصل اشتقاقه من نَسَخَهُ، كمنعه: أَزاله، وغَيَّرَهُ، وأَبْطَلَهُ. وأَقام شيئاً مقامه. وـ الشيء: مسخه، والكتاب كتبه عن معارضة كانت، كانتسخه واستنسخه، والمنقول منه النُّسْخَة بالضمّ، كذا في القاموس. **وقائل هذا القول ما شمّ رائحة رياض القدس، ولا عرف مقام الروح المطلق الأمري**، حيث حبس عليه الافتقار إلى جسم كثيف ترابي، ونفي عنه

الاستقلال، **وهو من أضلّ الضلال. والثاني**: القول **بالمسخ**. وهو: أنْ ينتقل الروح الإنسانيّ إلى بدن حيوان من سائر الحيوانات بحسب ما يرسخ فيه من صفاتها. وأشار إليه بقوله **(والمسخ واقع به)**: أي بالقائل هذه المقالة،/ [٢٦٧/ ب] فإنّ الله تعالى مسخ إنسانيّته إلى حيوانيّته لإخلاده إلى الأرض، كما وقع لبلعام بن باعوراء في بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٦] الآية. وقوله **(ابْرَأْ)**: فعل أمر، يقال بَرأَ من الأمر يَبْرَأُ بَرْأً وبَرَاءَةً وأَبْرَاكَ منه وبَرَّأك. وأنت بَرِيء، كذا في القاموس. وقوله **(وكن عمّا)**: أي عن القول والرأي الذي يراه هذا القائل بعزلة، قال في المصباح: «فلان عن الحقّ بمَعْزِل، أي: مجانب له». وقوله **(ودعه)**: أي اتركه. يعني: القائل بالمذهب الباطل، وهو قوله **(ودعوى الفسخ)**: إشارة إلى **القول الثالث**، وهم القائلون بالفسخ، وهو: أنْ تنتقل الروح فتتعلّق بجسم نباتي لانحطاطه عن درجة الحيوانات. وقوله **(والرسخُ)**: وهو **القول الرابع**، وهم: القائلون بأنّ الروح تنتقل من بدن إنسانيّ إلى جسم حيوانيّ، ومن جسم حيوانيّ إلى جسم نباتيّ، ومن نباتيّ إلى معدنيّ وجماديّ. وهذا غاية انحطاطه. وقوله **(لائق به)**: أي بقائله ومعتقده من أهل الباطل. وقوله **(أبداً)**: دائماً لعمى قلبه، وانطماس بصيرته. وقوله **(لو صحّ)**: يعني هذا القول. وقوله **(في كلّ دورة)**: يعني فإذا انحطّ إلى الدخول في الجسم الجماديّ يترقّى بعد ذلك بالتدريج، فينفصل من الجسم الجماديّ إلى النباتيّ، ثمّ إلى الحيوانيّ، ثمّ إلى الإنسانيّ. وكلّما تمّ دورة ابتدأ بدورة أخرى. وهذه المذاهب الأربعة كلّها باطلة، وهميّة لا حقيقة لها. والقائل بها لا يعرف مقام الروح الإنسانيّ، وإطلاقه عن بقيّة الأرواح الحيوانيّة والنباتيّة والمعدنيّة والجماديّة؛ فإنّ كلّ جنس من هذه الأجناس تحتها أنواع وجزئيات مفصّلة في حضرة الروح الكلّ

الأعظم، ولكلّ روح جزيء منها صورة بدن مخصوص مدبّرة له في الاتّصال ومشرفة عليه في الانفصال. والصور الخياليّة البرزخيّة تطابق الصور الحسيّة الجسمانيّة فتخلّفها في النوم، وبعد الموت. وحضرة الروح الأعظم من أمر الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء / ٨٤]. وأمر الله تعالى عظيم، لا يضل عن شيء، ولا ينسى شيئاً، ولا يفوته شيء. وهو أعظم من ذلك وأشرف وأكمل، خصوصاً وقد قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [١٥/ الحجر/ ٢٩] وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [٧٨/ النبأ/ ٣٨] وهي الأرواح الجزئيّة، قائمة على أجسامها، صفوفاً صفوفاً: إنسان، وحيوان، ونبات، ومعدن، وجماد. لكلّ واحد روح مخصوص، قائم على جسم مخصوص، كما قال تعالى: ﴿يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [٤٠/ غافر/ ٥١] وفي الحديث: «يشهد للمؤذن مدّ صوته من رطب ويابس»[1] ولا يشهد إلّا من عاين بجسمه الذي عاين به، والله بكلّ شيء عليم. ويُحتج على أصحاب هذه المذاهب الأربعة بالطوفان الحاصل في زمان نوح عليه السلام إنْ اعترفوا به؛ فإنّ خبره متواتر عند أهل الأرض، لم تنكره طائفة من الطوائف أصلاً، مؤمنوهم، وكافروهم، وحكماؤهم. وخبره شائع عند العلماء، والجهّال، والمهتمّين، والضانّين. وقد عمّ فيه الماء وجه الأرض، وطمّ الجبال والتلال والقلال. وكانت أمواجه تضرب بالسحاب. وهلك فيه جميع الناس، والحيوانات، والطيور، والوحوش، والنمل. والنباتات كلّها فسدت فيه، واختلّت المعادن، والجمادات. ولم ينجُ منه إلّا أصحاب سفينة نوح عليه السلام مع كلّ ما حملته فيها. فيا ليت شعري، تلك الأرواح الإنسانيّة التي خرجت من أبدانها، والأرواح الحيوانيّة والنباتيّة والجماديّة إلى أين ذهبت؟. فإنْ قالوا وقفت، ولم تدخل في أبدان أُخر بطلت مذاهبهم. وإنْ قالوا:/ [٢٦٨/ أ] دخلت في غيرها،

---

(١) انظر تخريجه ص١١٦١.

فأين أبدان غيرها لتدخل فيها. وإنْ قالوا: تأخرّت، ثمّ بعد ذهاب الطوفان دخلت في أبدان أُخر فقد بطلت مذاهبهم أيضاً؛ فإنّه لم يوجد بعد الطوفان إلّا أفراد من ذلك، حتى مضت السنون والأعصار، وكثرت المخلوقات. وإنْ أنكروا الطوفان فقد عاندوا أهل الأرض وأكذبوهم. وذلك باطل بالإجماع ؛ فمذاهبهم باطلة، وأقوالهم عاطلة.

٦٥٦- وَضَرْبِي لَكَ الأمْثَالَ مِنِّيَ مِنَّةٌ عَلَيْـكَ بِـشَأنِي مَـرَّةً بَعْـدَ مَـرَّةِ

٦٥٧- تَأَمَّلْ مَقَامَاتِ السَّرُوجِي وَاعْتَبِرْ بِتَلْوِيْنِـهِ تَحْمَـدْ قَبُـولَ مَـشُورَتِي

٦٥٨- وَتدْرِ الْتِبَاسَ النَّفْسِ بِالحِسِّ بَاطِنَاً بِمَظْهَرِهَـا فِي كُـلِّ شَـكْلٍ وَصُـوْرَةِ

٦٥٩- وَفِي قَوْلِهِ إنْ مَانَ فَالحَقُّ ضَارِبٌ بِـهِ مَـثَلاً وَالـنَّفْسُ غَـيْرُ مُجِـدَّةِ

(**ضربي لك الأمثال**): أي وصفي ذلك لك وتبيينه، قال في المصباح: «ضرب الله مثلاً: وصَفَهُ وبَيّنَهُ». وقوله (**لك**): أي للسالك في طريق الله تعالى. وقوله (**الأمثال**): جمع مَثَل بالتحريك، وهو الشبه، والجمع أمثال، والصفة، ومنه ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، كذا في القاموس. وقوله (**منّي منّة عليك**): قال في المصباح: «مَنّ عليه بالعِتق وغيره وبه مَنّاً، من باب قتل، وامْتَنَّ عليه به أيضاً: أنعم عليه به. والاسم: المِنَّة. والجمع مِنَن، مثل سِدْرَة وسِدَر». وقوله (**بشأني**): متعلّق بضربي. أي: إنّما ضربت لك الأمثال بحالي وأمري الذي أنا عليه، ومتحقِّق به، وقوله (**مرّة بعد مرّة**): أي بالتدرّج؛ فإنْ ذلك ما حصل لي دفعة واحدة، وإنّما حصل درجة بعد درجة. وقوله (**تأمّل**): فعل أمر من التأمل. قال في في الصحاح: «تَأَمَّلْت الشيء نظرت إليه مستبيناً له». وقال في المصباح: «تأمَّلْت الشيءَ: إذا تدبَّرْته، وهو إعادتك النظرَ فيه مرّة بعد أخرى حتّى تعرفه».

وقوله (**مَقامات**): جمع مَقامة، وهي بالفتح المجلس، والجماعة من الناس، كذا في الصحاح. وقوله (**السَّرُوجِي**): هو أبو زيد السَّروجِي، منسوب إلى سَرُوج،

موضع قرب حَرَّان. وأشار بذلك إلى كتاب المقامات التي صنّفها الحريري، وجعلها محكيّة عن أبي زيد السروجي، وأنزله في كلّ منزل وألبسه حلة كلّ مقام. وقوله (**واعتبر بتلوينه**): أي ظهوره في الألوان المتنوّعة، وهو واحد لا تزيد عليه إلّا الملابس بالتي يخلعها ويلبسها. وكلّ مَلبس له حكم، فيظهر به ما دام لابساً لذلك الملبس. وقوله (**تَحْمَدْ**): فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر، وهو قوله (**تأمّل واعتبر**). والمعنى: تصير حامداً. وقوله (**قبل مشورتي**): مفعول تحمد. وقال في المصباح: «شاورته في كذا، واستشرته: راجعته لأرى رأيه فيه، فأشار عليّ بكذا أراني ما عنده فيه من المصلحة، فكانت إشارته حسنة. والاسم: المشورة. وفيه لغتان: سكون الشين وفتح الواو. والثاني ضمّ الشين وسكون الواو، وِزان معونة. يقال: هي من شار الدابّة: إذا عرضه في المشوار. ويقال من شرت العسل. شبَّهَ حُسْن النصيحة بشرب العسل. وقوله (**وتدري**): أي تعلم. وقوله (**التباس النفس**): أي نفسك عليك من حيث لا تشعر بها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/الأنعام/٩] وهو التباس نفوسهم عليهم، وهو الوجود الحقّ يلبس عليهم صورهم الباطنة والظاهرة؛ لأنّها شؤونه ومراتب ظهوره. وقوله (**بالحسّ**): متعلّق بالتباس. وقوله (**باطناً**): أي من حيث ما يحسُّون به من أحوال نفوسهم الباطنية كعلم ما يعلمون، وجهل ما يجهلون. والقدرة على ما يقدرون. والعجز عمّا لا يقدرون، والإرادة لما يريدون، والقهر فيما لا يريدون، وهكذا في كلّ حال هم به متلبّسون. وقوله (**بمطهرها**): أي النفس. متعلّق بالتباس. وذلك بظهورها، كما قال في (**كلّ شكل من الأشكال وصورة**): من الصور تتقلّب في ذلك أسرع من طرفة العين. وقوله (**وفي قوله**): يعني قول صاحب/[٢٦٨/ب] مقامات السَّروجي. وقوله (**إن مان**): أي كذب، حيث حكي عن رجل سمّاه أبا زيد السروجي حكايات مختلفة مخترعة الأساليب، وأظهره في صور غريبة، وأشكال عجيبة. وكلّ ذلك أمور لم

تكن. وقوله (**فالحقّ ضارب به**): يعني إنّما مراده بذلك ضرب مثل للحقّ في ظهوره بالصور والأشكال الغريبة العجيبة، من حيث حضرة أفعاله تعالى، فإنّه فعّال لما يريد على مقتضى أسمائه وصفاته، فيتجلّى بأسمائه الخالق البارئ المصوّر، فيخلق ويصوّر أنواع المخلوقات والصور المختلفة. ويظهر بها في مقتضيات أحكامها من حيث أنّه الفاعل. ومع ذلك هو على ما هو عليه من حيث حضرة ذاته العليّة، وصفاته وأسمائه السنيّة، لا يتغيّر ولا يتبدّل، ويغير مخلوقاته ويبدّلها، ويغير صورة ويبدّلها؛ لأنها أفعاله، فيقلّبها، ويتقلّب فيها. وهي مراتب له، واعتبارات، وتقارير، وتصاوير، من غير حلول فيها؛ لعدم وجودها في نفسها بالنسبة إليه؛ وإنّما وجودها إضافة إليه، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] وقال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩].
وقوله (**والنفس غير مُجدَّة**): يعني لا جِدَّ لها، وإنّما لها الهَزْل في جميع أمورها، فلو جَدَّت صارت قلباً، وظهر الحقّ متجلّياً بها، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

قلوب متى منه خلت فنفوس   لأحرف وسواس اللعين طروس
وإنْ ملئت منه ومن نور ذاته   فتلك بدور أشرقت وشموس

٦٦٠- فَكُنْ فَطِناً وَانظُرْ بِحِسِّكَ مُنْصِفاً   لِنَفْسِكَ فِي أَفْعَالِكَ الأَثَرِيَّةِ

(**فكن**): يا أيُّها السالك فطناً، أي: ذا فطنة، يقال: رجل فَطِن بخصومته: عالم بوجودها، حاذق، كذا في المصباح. وقوله (**وانظر بحسّك**): أي بقوّة حواسّك كلّها، لا ببصرك وحده. يعني: في نفسك لتعرف من أنت، قال العارف القشّاشي المدني قدّس الله سرّه (مواليا):

إنْ لم تراني فحقِّق أنني رائيك   واعلم بأنّك لا شيء غير وجهي فيك
يا من تسمّى باسم النور في التحليك   حقّق وجودك لكي تدري المحرّك فيك

وقوله (**منصفاً**): أي معترفاً بالإنصاف. وقوله (**لنفسك**): أي عند نفسك.

وقوله (**في أفعالك**): جمع فعل، وهو ما يظهر عنك في باطنك وظاهرك من الحركات والسكنات في الخير والشرّ. وقوله (**الأثريّة**): أي المنسوبة إلى الأثر، أي: كونها أثراً عنك. يعني: نفسك تدّعي تأثيرها، وأنّها آثار صادرة عنها، فإذا أنصفت في تأمّلك وجدت نفسك صورة تجلّي ربّك عليك، ومظهر انكشافه لك، وجميع الآثار الصارة من نفسك آثار قدرته وإرادته. والغيرة في نفسك مجرّد وهم منك، وجهل بنفسك. فإذا عرفت فالزم الأدب، واحترز من العطب.

٦٦١- وَشَاهِدْ إِذَا اسْتَجْلَيْتَ نَفْسَكَ مَا تَرَى   بِغَيْرِ مِرَاءٍ فِي المَرَائِي الصَّقِيْلَةِ

٦٦٢- أَغَيْرُكَ فِيْهَا لَاحَ أَمْ أَنْتَ نَاظِرٌ   إِلَيْكَ بِهَا عِنْدَ انْعِكَاسِ الأَشِعَّةِ

(**وشاهدْ**): أي تحقّقْ وتيقّنْ. وقوله (**إذا استجليتَ نفسك**): أي كشفت عنها، وتحقّقت بها أنّها تجلّي ربّك عليك بالتصوير والتمثيل. وقوله (**ما ترى**): أي الذي تراه، مفعول شاهد. وقوله (**بغير مِراء**): بكسر الميم، أي: جدال، قال في المصباح: «ماريَته أُمَارِيه مُمَارَاةً، ومِراءً: جادلته». وقوله (**في المَرائِي**): جمع مِرآة، قال في الصحاح: والمِرآة بكسر الميم: التي تنظر فيها، وثلاث: مِراء، والكثير: مَرَايا. وقوله (**الصقيلة**): وصف للمَرائي. وقوله (**أغيرك**): الهمزة للاستفهام الإنكاري. وقوله (**فيها**): أي في تلك المَرائي المتعدِّدة التي كشفت عن نفسك فيها، وهي مختلفة بالتربيع، والتثليث، والتسديس، والطول، والعرض، والكبر، والصغر. فإن نفسك الواحدة تظهر في كلّ مرآة على صورة غير الصورة التي تظهر/[٢٦٩/أ] بها المرآة الأخرى. ونفسك واحدة ما تعددت؛ وإنّما مَرايا الأسماء والصفات المختلفة الكثيرة المتعدّدة هي المقتضية لظهور نفسك الواحدة على خلاف ما هي عليه من التعدّد، واختلاف الصور والهيئات، فاعتبر بذلك في ظهور الحقّ تعالى في مرايا أسمائه وصفاته على مقتضياتها، وهي واحدة على ما هي عليه أزلاً وأبداً، لا تعدّدت ولا تغيّرت، وهي هي. وقوله (**لاح**): أي ذلك الغير، وحاشا أنْ يكون ثمّة شيء أصلاً. وقوله (**أم أنت ناظر**): أي متوجّه بوجهك.

وقوله (**إليك**): متعلّق بناظر، أي: نفسك متوجّهة بالنظر إلى نفسها. وقوله (**بها**): أي في تلك المرائي كلّها في وقت واحد. وقوله (**عند انعكاس الأشعة**): جمع شعاع، أي: رجوع شعاع بصرك إلى وجهك، لوقوع بصرك على صقالة تلك المرايا؛ فالذي تراه هو وجهك بلا شكّ ولا ريب، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. ثم قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ ـ في كلّ الوجوه الظاهرة ـ ثمّ قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٣٨/ القصص/ ٨٨] أي: إلى حقيقته كلّكم راجعون. وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] الآية.

٦٦٣- وَأَصْغِ لِرَجْعِ الصَّوْتِ عَنْدَ انْقِطَاعِهِ إِلَيْكَ بِأَكْنَافِ القُصُوْرِ المَشِيْدَةِ

٦٦٤- أَهَلْ كَانَ مَنْ نَاجَاكَ ثَمَّ سِوَاكَ أَمْ سَمِعْتَ خِطَاباً عَنْ صَدَاكَ المُصَوِّتِ[1]

(**وأصغِ**): بقطع الهمزة، فعل أمر من صَغَيْت إلى كذا أَصْغَى، بفتحتين: مِلْتُ، كما في المصباح. وقوله (**لرجع**): اللام بمعنى إلى. وقوله (**الصوت عند انقطاعه إليك**): وهو الصدّ، الصوّت راجع إلى المصوّت عند انقطاعه بالانصدام على جبل أو بناء مرتفع. وهو قوله (**بأكناف**): جمع كَنَف. قال في المصباح: الكَنَفُ بفتحتين: الجانب، والجمع: أَكْناف، مثل: سَبَب وأسْبَاب». وقوله (**القصور**): جمع قصر، وهو البناء الرفيع، قال في المصباح: «قصر المَلِك معروف، والجمع: قصور، مثل: فَلْس وفُلُوس. وقال في القاموس: «القصر المنزل، أو كلّ بيت من حَجَر". وقوله (**المَشِيدة**): من الشِّيْد بالكسر: الجصّ. وشِدْتُ البيتَ أَشِيْدُهُ، من باب باع: بَنَيْتُهُ بالشِّيْد فهو مَشِيْد. وشَيَّدْتُهُ تَشْييداً: طَوَّلْتُه، ورَفَعْتُه، كذا في المصباح. وقوله (**أَهَلْ**) الهمزة وهل للاستفهام التقريري. وقوله (**كان**): أي في حال رفع صوتك في ذلك. وقوله (**مَنْ ناجاك**): أي خاطبك. وقوله (**ثَمَّ**): بفتح الثاء المثلّثة، أي: هناك.

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ سماعاً ومقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وعنّا به. وكتبه الفقير إبراهيم الدكدكجي لطف الله به».

وقوله (**سواك**): أي غيرك. وقوله (**أم سمعت خطاباً**): وهو عين صوتك رجع إليك. وقوله (**عن صداك المُصوِّتِ**): بتشديد الواو مكسورة، اسم فاعل. وصف لصداك، وكذالك نفسك وما تّصفت به من صفاتك، وأحوالك الظاهرة والباطنة صادرة ذلك كلّه عن أمر ربّك بتكوينه لك بقوله سبحانه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٢/ البقرة /١١٧] والعوالم كلّها كذالك، وهو قوله سبحانه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٣] وهو مقام الجمع، ليس فيه إلّا فاعل حقيقي، وأفعال إذ ما ثَم من يسأله. وأمّا قوله (**بعده**): ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٣] فهو مقام الفرق؛ فإنّ الأفعال الإلهيّة منقسمة من جملة انقسامها إلى فاعل ومفعول، وإنسان وحيوان، إلى غير ذلك مما لا يحصى من الأقسام.

٦٦٥- وَقُلْ لِيَ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ عُلُوْمَهُ   وَقَدْ رَكَدَتْ مِنْكَ الحَوَاسُ بِغَفْوَةِ

٦٦٦- وَمَا كُنْتَ تَدْرِي قَبْلَ نَوْمِكَ مَا جَرَى   بِأَمْسِكَ أَوْ مَا سَوْفَ يَجْرِي بِغُدْوَةِ

٦٦٧- فَأَصْبَحْتَ ذَا عِلْمٍ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى   وَأَسْرَارِ مَنْ يَأْتِي مُدِلّاً بِخِبْرَةِ

(**قل لي**): يا أيّها السالك. وقوله (**من ألقى إليك علومه**): في خيالك، هل هو غير الحقّ تعالى المستولي على ظاهرك وباطنك، في يقظتك ونومك؛ بل هو الله الذي له التصرّف فيك على كلّ حال من أحوالك، شعرت أم لم تشعر. وقوله (**وقد**): الواو للحال، والجملة حال من الكاف في إليك. وقوله (**ركدت**) يقال: رَكَدَ الماءُ رُكُوداً، من باب قَعَدَ: سَكَنَ. وأَرْكَدْتُهُ: أَسْكَنْتُهُ، ورَكَدَتْ/ [٢٦٩/ ب] السفينةُ: وَقَفَتْ فلا تجري، كذا في المصباح. وقوله (**منك**): يا أيّها السالك. وقوله (**الحواس**): حواس الإنسان مشاعره الخمس: السمع، والبصر، والشمّ، والذوق، واللمس. الواحدة: حاسّة، مثل: دابّة ودواب، كما في المصباح. وقوله (**بغفوة**): أي بنومة، يقال: أَغْفَيْتُ إغْفَاءً فأنا مُغْفٍ إذا: نِمْتُ نَوْمَةً خفيفة، قال ابن السكّيت وغيره: ولا يُقال: غَفَوْتُ. وقال الأزهري: كلام العرب: أَغْفَيْتُ، وقلّما يقال: غَفَوتُ، كذا في المصباح. وقوله:

(**وما كنت تدري**): أي تعلم. وقوله (**قبل نومك**): يعني الذي نمته. وقوله (**ما جرى**): يعني في اليقظة. وقوله (**بأمسك**): وهو اليوم الذي قبل يومك الذي أنت فيه، ولو بأيام قليلة، أو كثيرة، قال في المصباح: «أَمْسِ: اسم عَلَمٍ على اليوم الذي قبل اليوم يومك. ويُستعمل فيما قبله مجازاً».

وقوله (**أو ما سوف يجري بغُدوة**): بضمّ الغين المعجمة، وهي: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس. ثمّ كثر حتّى استُعمل في الذهاب والانطلاق، أي: وقت كان. والمعنى: إنّ الذي تعْلَمُه في نومك من المنامات الصادقة المُنبِّئَة عن الأخبار الماضية، والأخبار المستقبلة ما كنت تدري بشيء منها. وهل غير الحقّ تعالى ألقى إليك علمه بها؛ بل هو الله وحده. وقوله (**فأصبحت**): يعني عند قيامك من النوم في وقت الصباح. وقوله (**ذا علم**): يعني عالماً. وقوله (**بأخبار من مضى**): مما لا علم لك به في يقظتك. وقوله (**وأسرار من يأتي**): بما لا تعلمه مما سيقع في الدنيا من أحوالك، أو أحوال غيرك من الناس. وقوله (**مدلّا**): بصيغة اسم الفاعل، من أَدَلَّ بكذا بالدال المهملة، قال في القاموس: «أدلَّ عليه: انبسط، كتدلّل، وأوثق بمحبّته فأفرط عليه وعلى أقرانه: أخذهم من فوق». وقوله (**بخُبْرَةِ**): بضمّ الخاء المعجمة وسكون الباء الموحّدة، يعني: مفتخراً على أقرانك بعلم ذلك، ومعرفته دونهم.

٦٦٨- أَتَحْسَبُ مَنْ جَارَاكَ فِي سِنَةِ الكَرى ... سِوَاكَ بِأَنْوَاعِ العُلُومِ الجَلِيْلَةِ

٦٦٩- وَمَا هِيَ إِلَّا النَفْسُ عِنْدَ اشْتِغَالِهَا ... بِعَالَمِهَا عَنْ مَظْهَرِ البَشرِيَّةِ

٦٧٠- تَجَلَّتْ لَهَا بِالغَيْبِ فِي شَكْلِ عَالِمٍ ... هَدَاهَا إِلَى فَهْمِ المَعَانِي الغَرِيْبَةِ

٦٧١- وَقَدْ طُبِعَتْ فِيْهَا العُلُوْمُ وَأُعْلِمَتْ ... بِأَسْمَائِهَا قِدْماً بِوَحْيِ الأُبُوَّةِ

٦٧٢- وَبِالْعِلْمِ مِنْ فَرْقِ السِوَى مَا تَنَعَّمَتْ ... وَلَكِنْ بِمَا أَمْلَتْ عَلَيْهَا تَمَلَّتِ

(**أتحسب**): الهمزة للاستفهام. و(**تحسب**): أي تظن يا أيّها السالك. وقوله (**من جاراك**): جاراه مُجَاراة: جَرَى معه، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «جاراه في

الحديث، وتجاوروا فيه». وقوله (**في سِنَة**): بكسر السين المهملة، أي: غفلة. وقوله (**الكرى**): أي النعاس. يقال منه: كَرِيَ الرجلُ ،بالكسر، يَكْرَى كَرَىً، فَهوَ كَرٍ، وامرأة كَرِيَة، على فَعِلَة، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «الكرى، أي: مثال العصا: النعاس» انتهى. والمراد هنا النوم، وإنْ قال الأزهري كما في المصباح: «حقيقة النعاس الوَسَن من غير نوم». وقال في المصباح: «الوَسَن: النعاس» انتهى. فإنّ كثيراً ما يطلقون الكرى والوَسَن على النوم نفسه، فلعله مجاز لغوي لأنّهما سببه. وقوله (**سواك**): أي غيرك فاعل جارك. وقوله (**بأنواع العلوم الجليلة**): وصف للعلوم؛ فإنّ المنام وحي المؤمن. وهو من أجزاء الوحي، كما ورد في الأحادث الصحيحة؛ فإنّ الذي يجاريك فيما يلقي إليك من العلوم المناميّة، والأسرار الخياليّة إنّما هو نفسك التي هي صورة تجلِّي ربّك الحقّ عليك في منامك. وكذلك الحال في يقظتك كما أشار إليه بقوله (وما هي): أي الحقيقة التي يجاريك شخصها المتصوِّر بصورة نفسك في عالم إنسانيّتك تصوّراً فعلياً لا ذاتيّا، ولا وصفياً، فإنّ تلك الحقيقة المطلقة تفعل كلّ قيد طبيعي، أوخيالي، أوحسي. إلى غير ذلك. وتظهر بأي صورة شاءت، ولا تخرج عن/ [٢٧٠/ أ] إطلاقها الحقيقي، كما هو معروف عند المحقِّقين من أهل الله تعالى. وقوله (**إلّا النفس**): أي نفسك التي تعبِّرعنها بقولك: أنا. وقوله (**عند اشتغالها**): أي النفس. وقوله (**بعالَمِها**): بفتح اللام، أي: بعالم كونها في ذاتها. وقوله (**عن مظهر**): أي موضع ظهور متعلِّق باشتغالها. وقوله (**البشريّة**): من البَشَرَة، ظاهر الجلد، والجمع: البَشَر، مثل قَصَبَة وقَصَب. ثمّ أُطلق على الإنسان، واحده وجمعه. كذا في المصباح؛ فالبشريّة هنا: مقتضى ظاهر الإنسان، من أحوال بدنه وطبعه؛ فإنّ النفس إذا اشتغلت بذاتها، وقطعت نظرها عن أحوال بدنها تجرّدت عن علائق الطبع، وأحوال البشريّة. وغلب عليها حال أصلها، وهو الروح الأمري النفخي الربّانيّ، فعند ذلك يأتي قوله (**تجلّت**): أي انكشفت. والفاعل ضمير النفس باعتبار حقيقتها الروحيّة

الأمريّة. وقوله (**لها**): أي لنفسها باعتبار صورتها الطبيعيّة الإنسانيّة. وقوله (**في شكل عالم**): أي ذي علم كامل في تحقيق كلّ معلوم. وقوله (**هداها**): أي هدى ذلك العالم تلك النفس، بمعنى: أَرشدها ودلّها. والجملة صفة عالِمٍ. وقوله (**إلى فهم المعاني الغريبة**): من معاني الكتاب، والسنّة النبويّة، وأسرار الآيات، ورموز الإشارات بطريق الذوق والحِسِّ، مما لا يهتدي إليه العقل بالفكر والخيال. وقوله (**وقد**): الواو للحال، والجملة في محل نصب على الحال من فاعل تجلّت. وقوله (**طُبِعَتْ**): بالبناء للمفعول، أي: طَبَعَ الله تعالى. وقوله (**فيها**): أي في النفس. وقوله (**العلومُ**): نائب الفاعل، أي: جعلها مطبوعة على إدراك العلوم، وجعل فيها استعداد وقابليّة لقبول العلّم والتفهّم. وقوله (**وأُعلمت**): بالبناء للمفعول، معطوف على طُبعت. والمراد: نفس آدم عليه السلام أبي البشر؛ فإنّ نفسه مطبوعة على قبول العلوم كنفوس ذرِّيته، ولكنّه خُصّ من دونهم بتعليمه تعالى، كما قال (**بأسمائها**): أي أسماء المعلومات المدلول عليها بذكر العلوم كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [٢/ البقرة/ ٣١] الآية. وقوله (**قدماً**): أي في ابتداء هذا النشوء الإنسانيّ. وقوله (**بوحي الأبوّة**): متعلّق بأعلمته، أي: الوحي الذي أوحي إلى أبيها آدم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [٢/ البقرة/ ٣١] الآية. كما ذكرنا فإنّ ما كان في الأب يسري في ذرِّيته، بحكم الكمال الإنسانيّ. وقوله (**وبالعلم**): أي وبسبب العلم الأسمائي المذكور. والجار والمجرور متعلِّق بتنعّمت. وقوله (**من فرق السوى**): أي من جهة الفرق الذي هو وجود السوى، أي: الغير. وقوله (**ما تنعمّت**): أي تنعّمها. يعني: النفس؛ فإنّ العلم بأسماء الموجودات من جهة مقام الفرق، الذي هو مقام الأغيار يحصل بذلك تنعّم النفس، وتتأتى لذائذها وشهواتها. وقوله (**ولكن بها أملت**): من الإملاء، قال في المصباح: «أَمْلَلْت الكتابَ على الكاتب امْلالاً: أَلْقَيْتُهُ عليه. وأَمْلَيْتُهُ عليه إملاء. والأولى: لغة الحجاز وبني أسد. والثانيّة: بني تميم وقيس. وجاء الكتاب العزيز

بها: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢] ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٥]» وفاعل أملت ضمير عائد إلى الحقيقة الإلهيّة الغيبيّة المفهومة من المقام. وقوله (**عليها**): أي على النفس. وقوله (**تَمَلَّتِ**): بكسر التاء للقافية، والضمير للنفس، قال في الصحاح: «مَلَّاكَ الله حبيبك، أي: متَّعَك به، وأَعاشَك معه طويلاً. وتَمَلَّيْتُ عمري: استمتعت منه. ويقال لمن لبس الجديد: أَبْلَيتَ جديداً، وتَمَلَّيت حَبِيْباً، أي: عشتَ معه ملَاوَةً من دهرك، وتَمَتَّعْتَ به. وأقمتُ عنده مَلَاوَةً من الدهر، أي: حيناً وبرهة». يعني: إنّ النفس بما تعطيها حقيقتها الغيبيّة المتجلِّية بها من العلوم والإدراكات تمتعت واشتغلت بلذائذها، وشهواتها العاجلة./ [٢٧٠/ ب].

٦٧٣- وَلَوْ أَنَّهَا قَبْلَ المَنَامِ تَجَرَّدَتْ لَشَاهَدْتَهَا مِثْلِي بِعَيْنٍ صَحِيْحَةِ

٦٧٤- وَتَجْرِيدُهَا العَادِيُّ أَثْبَتَ أَوَّلاً تَجَرُّدَهَا الثَّانِي المَعَادِي فَأَثْبِتِ

(**ولو أنّها**): أي النفس. وقوله (**قبل المنام**): أي في حال يقظتها. وقوله (**تَجَرَّدَتْ**): أي تخلّت وتركت أشغالها الحسيّة، كما تتخلّى وتترك ذلك بمنامها فلا تشتغل حواسّها بشيء من المدركات المحسوسة والمعقولة. وفرغت محلّها للوجه الروحانيّ منها. وقوله (**لشاهَدْتَها**): أي الحقيقة الغيبيّة المتجلِّيّة بالنفس، والخطاب بفتح التاء للسالك. وقوله (**مثلي**): أي في أنّ نفسي متجرّدة في حال اليقظة، فأنا أشاهد حقيقة نفسي المتجرِّدة، حيث تلك الحقيقة الغيبيّة متجلِّية عليّ بنفسي. وقوله (**بعين**): متعلّق بشاهدتها. وقوله (**صحيحة**): وصف لعين، وهي العين البصريّة النافذة في عالم الغيب، وتتبعها العين الباصرة؛ فإنّها إذا صحّت عين القلب صحت عين الجسد. وإذا ضعفت ومرضت عين القلب مرضتْ عين الجسد، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [٢٢/ الحج/ ٤٦] وقال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٠] حتّى صار ذلك المرض في أبصارهم. وقوله (**وتجريدها**): أي النفس. وقوله

(**العادي**): وصف للتجريد، وهو تخلّيها وتركها لشهواتها ولذائذها الدنيويّة. وكان ذلك عادياً، منسوباً إلى العادة؛ لأنّه ترك العادات التي اعتادت عليها، وألفت الاشتغال بها، والانهماك فيها. وقوله (**أثبت**): أي ذلك التجريد. وقوله (**أوّلاً**): أي في ابتداء الدخول في مقام التجريد الكامل. وقوله (**تَجَرُّدَهَا**): مفعول أَثبت، أي: تجرّد النفس ثانياً. وقوله (**الثاني**): وصف لتجرّدها. وقوله (**المَعَادِي**): وصف للتجرّد أيضاً. والمعادي: المنسوب إلى المَعَاد، وهو الآخرة. وذلك هو التجرّد عن الجنّة ونعيمها، والنجاة من النار وجحيمها، وجميع اللذائذ والشهوات الأُخرويّة الموعود بها في الأخبار الصادقة. وبتجرّد النفس عن هذين التجريدين: التجرّد الدنيويّ، والتجرّد الأُخروي، تكمل قوى النفس في إدراك الحقائق الإلهيّة، والتجلّيات الربّانيّة. وقوله (**فَأَثْبِتِ**): بكسر التاء للقافية، فعل أمر من الثبوت، أي: فاثبتْ يا أيّها السالك على هذين التجرّدين، ولا تخرجْ عن شيء منهما، وكلّ من ثبت نبت، فإنّ الثبوت هو الاستقامة في الدين، قال تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ [١١/ هود/ ١١٢] الآية. وقالوا: الاستقامة خير من ألف كرامة، فإنّ استقامة الوليّ على مقام التجريد، وثبوته على ذلك من أعلى المقامات، وأفضل الكرامات.

٦٧٥- وَلَا تَكُ مِمَّنْ طَيَّشَتْهُ دُرُوسُهُ ... بِحَيْثُ اسْتَقَلَّتْ عَقْلَهُ فاسْتَفَزَّتِ

٦٧٦- فَثَمَّ وَرَاءَ العَقْلِ عِلْمٌ يَدِقُّ عَنْ ... مَدَارِكِ غَايَاتِ العُقُوْلِ السَلِيْمَةِ

٦٧٧- تَلَقَّيْتُهُ مِنِّي وِعَنِّي أَخَذْتُهُ ... وَنَفْسِيَ كَانَتْ مِنْ عَطَائِي مُمِدَّتِي

(**ولا تك**): أصلها تكن، فحذفت النون تخفيفاً، والخطاب للسالك في طريق الله تعالى. وقوله (**ممن**): أي من جنس الإنسان الذي، أو من جنس شخص. وقوله (**طَيَّشَتْهُ**): بتشديد الياء التحتيّة، جملة وقعت صلة للموصول، أو صفة للنكرة. وطَيَّشْتُه من الطيش، وهو: الخفّة، مصدر طاش، من باب باع، كذا في المصباح. وقوله (**دُرُوسُهُ**): فاعل طيشته، جمع دَرْس، من دَرَسْتُ العلمَ دَرْسَاً من باب قتل،

ودِراسَة: قرأته. كما في المصباح. وقوله (**بحيث استقلّت**): أي دروسه وقراءته، قال في القاموس: «استقلّ الشيء: عدّه قليلاً». وقوله (**عقله**): مفعول استقلّت، بمعنى: عدت عقله قليلاً، أي: جعلته عقلاً قليلاً، بحيث لا يدرك المعارف الإلهيّة والحقائق الربّانيّة. ولا يعرف التجلّيات الرحمانيّة لاشتغاله/[٢٧١/أ] بتعلّم قواعد دروسه، وتفهّم فوائد أوراقه وطروسه. وقوله (**فاستفزّتِ**): بكسر التاء للقافية، قال في القاموس: «استفزّه: استخفّه، وأخرجه من داره، وأزعجه، وأفززته: أفزعته». والمعنى: استخفّت دروسه في العلوم الرسميّة بعقله، وأخرجته عن مقام إنسانيّته الكاملة، المضاهية للحضرة الغيبيّة المقابلة. وقال القاشاني قدّس الله سرّه في ابتداء خطبته اصطلاحات الصوفيّة: الحمد لله الذي نجانا من مباحث العلوم الرسميّة بالمنّ والإفضال، فجعل ترك ذلك نجاة، ولأنّ العلوم الرسميّة علوم ترسم صور مسائلها في الخيال فتضبطها العقول، وتحفظها القوّة الحافظة، وتجول على إدراكها الأفكار بخلاف العلوم الذوقيّة الوجدانيّة التي تجدها القلوب بقوّة روحانيّتها كتجلّيات الباري تعالى في صور الأكوان من قبيل الأفعال الإلهيّة؛ فإنّه تعالى له أنْ يفعل ما شاء، كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [١١/ هود/ ١٠٧] والمتجلّي في الصور، المنكشف بها، يصوِّرها باسمه المصوِّر، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [٣/ آل/ عمران/ ٦]. فإذا صوّرنا كذلك ظهر عندنا بصور ما يصوِّر، فتقبل ظهوره بذلك القلوب والأرواح، إذ لا سواه في الوجود تبارك وتعالى؛ فالصور كلّها له لتجلّيه وانكشافه بها عند القلوب والأرواح. وأمّا العقول والأفكار من حيث قوتها فلا تدرك إلّا الصورالرسميّة، فتعتقد مغايرتها له، ولا تعتبر المصوّر لها مع اعتقاد العقول أنّ الصور لا تكون بلا مصوِّر لها أصلاً قطعاً؛ ولهذا كانت العقول تنزّه الباري تعالى وحظّها من المعرفة الإلهيّة، التنزّه فقط، والتشبيه إنّما جاء من قبل الشرائع على ألسنة الرسل، ومعاني الكتب المنزلة عليهم، فتدخل العقول في ذلك، وتُرجع الكلّ في التنزيه فقط، وهو

نصف المعرفة الإلهيّة، والمعرفة الكاملة بالتنزّه والتشبيه معاً؛ فإنّ المُنَزَّهَ عن الصور كلِّها تجلّى بالصور كلِّها أيضاً، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [٦/الأنعام/٣] الآية. مع قوله: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [١٠/يونس/١٠١] أي: لا يصدّقون بالنصف الآخر من المعرفة الإلهيّة، وهي والتشبيه بالتجلّي، والانكشاف في الصور كلّها. وحكى تعالى عن لقمان عليه السلام أنّه قال لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ [٣١/لقمان/١٦] أي: يظهر بها، ويتجلّى، ينكشف من حيث اسمه الجامع لجميع أسمائه، وهو الاسم الله، وذلك لأنّها كلّها أفعاله، فهو الذي يأتي بأفعاله ومنفعلاته؛ فيظهر متجلّياً بها من غير أنْ يتغيّر في ذاته وصفاته، وهي شؤونه التي قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [٥٥/الرحمن/٢٩] وإلى علم التجليّات هذا الذي يُعرف بالذوق والوجدان أشار بقوله (**فثَمَّ**): بفتح الثاء المثلّثة. يعني: هناك إشارة البعيد لبعده عن الصقل من حيث انفراده عن الشرع؛ ولذا قال (**وراء العقل**): أي من فوق طور العقل. قال الشيخ أرسلان الدمشقي قدّس الله سرّه في رسالته: «الناس تائهون عن الحقِّ بالعقل». وقوله (**علم**): أي إدراك وتحقيق. وقوله (**يدقّ**): أي ذلك العلم. والجملة صفة لعلم. ونكّره للتعظيم، لأنّه علم الحضور لا علم الغيبة. وصاحبه متحقِّق لا صاحب ظنّ عقليّ، وتصديق خيالي، قال في المصباح: «دَقَّ الأمرَ دِقَّةً: إذا غَمُضَ وخَفِيَ معناه، فلا يكاد يفهمه إلّا الأذكياء». كذا في المصباح. وقوله (**عن مدارك**): جمع مُدْرَك، قال في المصباح : «المُدرَك بضمّ الميم: مصدر، أو اسم زمان ومكان، تقول: أَدْرَكْتُهُ مُدْرَكاً، أي: إدراكاً، وهذا مُدْرَكُه، أي: موضع إدْراكِه. ومَدَارِكُ الشرع: مواضِع طلب الأحكام، وهي حيث يُستدَلُّ بالنصوص والاجتهاد من مَدارِك الشرع، والفقهاء يقولون في الواحد مَدْرَك/ [٢٧١/ب] بفتح الميم، وليس لتخريجه وجه، قد نَصَّ الأئمّة على طَرْدِ الباب، فيُقال: مُفْعَل،

بضمّ الميم، من أفْعَلَ، واستُثنِيَت كلمات مسموعة خرجت عن القياس. قالوا: المأوى من آويت. ولم يُسْمَع فيه الضمّ. وقالوا: المَصْبَح والمَمْسَى: لمَوْضِع الإصباح والإمساء، ولوقته، والمَخْدَع: من أَخْدَعْتُ الشيءَ، وأَجْزَأت عنك مُجزَأً فلانٍ، بالضمّ في هذه على القياس، وبالفتح شذوذاً. ولم يذكروا المَدْرَك مما خرج عن القياس؛ فالوجه: الأخذ بالأصول القياسيّة حتّى يصحّ سماعه. وقد قالوا: الخارج عن القياس لا يقاس عليه، لأنّه غير مُؤصَّل في بابه». وقوله (**غايات**): جمع غاية، وهي المدى. وقوله (**العقول**): جمع عقل. وقوله (**السليمة**): وصف للعقول، أي: الصحيحة الإدراك؛ فإنّه غاية إدراك العقل تنزيه الحقّ تعالى لاغير، كما ذكرنا. وذلك نصف المعرفة، كما أنّ النصف الآخر تكمّل به المعرفة، وهو التشبيه وإنْ لم يخل تنزيه عن تشبيه، ولا تشبيه عن تنزيه، وهما متلازمان، ولا بدّ منهما في كمال المعرفة الإلهيّة على وجه العموم في كلّ شيء، كما قال تعالى بوجه الحصر: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣] فلا أوّل إلّا هو، ولا آخر إلّا هو، ولا ظاهر إلّا هو، ولا باطن إلّا هو. وقوله (**تلقّيته**): أي أخذت ذلك العلم المذكور. وقوله (**منّي**): أي من حيث أنّي تجلٍ من تجلّيات ربّي عليّ. قوله (**وعنّي**): أي من الحيثيّة المذكورة. وقوله (**أخذنه**): أي أدركته، وعرفته، وتحقّقت به. وقوله (**ونفسيَ**): أي من الحيثيّة المذكورة. وقوله (**كانت من عطائي**): أي وجودي وكرمي من الحيثيّة المذكورة. وقوله (**مُمِدَّتي**) قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾ [١٧/الإسراء/ ٢٠] وهو الإمداد الذي يصل إليهم منهم فهو متجلٍ بهم عليهم، فإمداده لهم لاينقطع عنهم في الدنيا والآخرة إلى الأبد.

٦٧٨- وَلَا تَكُ بِاللَّاهِي عَنِ اللَّهْوِ جُمْلَةً فَهَزْلُ المَلَاهِي جِدُّ نَفْسٍ مُجِدَّةِ

(**ولا تكُ**): أي تكن، بحذف النون تخفيفاً. وقوله (**باللّاهي**): من اللّهو، وهو معروف، يقول أهل نجد: لَهَوْتُ عنه أَلْهُو لُهِيّاً، والأصل فُعُول من باب قَعَدَ. وأهل العالية يقول: لَهِيْتُ عنه أَلْهَى، من باب تعِب، ومعناه: السلوان والتَّرْك، كذا في

المصباح. وقوله (**عن اللَّهو**): أصل اللّهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة. وأَلْهاني الشيءُ بالألف: شغلني. ذكره في المصباح. وقال في الصحاح: «لَهَوْتُ بالشيء أَلْهُو لَهْوَاً: إذا لعبت به، وتَلَهَّيْتُ به مثلُه». والمعنى: ولا تكن يا أيّها السالك معرضاً عن الأمور التي فيها ترويح النفس بما لا تقتضيه الحكمة، وهو ما لا فائدة فيه ظاهرة من الملاعب. وقوله (**جُمْلَةً**): أي إعراضاً بالكليّة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «الهوا والعبوا فإنّي أكره أن أرى في دينكم غلظة»[1] أي: جموداً على حال واحد لقصور النظر عن جميع التجلّيات الربّانيّة بالأحوال الإنسانيّة. وقوله (**فهزل**): هو ضدّ الجدّ. وقوله (**الملاهي**): جمع ملهاة، وهي آلة اللهو واللعب، كالدّف والمزمار ونحو ذلك. والمراد سماع نغمات هذه الآلات المطربة. وقوله (**جِدُّ**): بكسر الجيم، وهو ضدّ الهَزْل، كذا في القاموس. وقوله (نفس مجدّة): متّصف بالجدّ ضدّ الهزل في أمورها كلّها، وهي نفس السالك في طريق الله تعالى؛ فإنّه لا يلعب في حال من أحواله وإنْ كان ذلك الحال لعباً عند الغافل المعرض عن السلوك. ولهذا يختلف الحكم الشرعيّ بالنسبة إلى السالك والغافل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٩] وقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ أمرئ ما نوى»[2] ففي نيّة السالك شهود العبر والأمثال، وفي نيّة الغافل طرب النفس ووسواس الخيال، وما من طريق من طرق الصوفيّة/ [٢٧٢/ أ] إلّا وفيه سماع مخصوص، ورد عن مشايخهم أرباب الكمال،

---

(١) ذكره السيوطيّ في جمع الجوامع، باب: حرف الهمزة، ٤٥٧. وأخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، ٦٥٤٢. وقال هذا منقطع، وإنْ صحَّ فإنّه يرجع إلى اللّهو المباح. كما أخرجه الديلميّ في الفردوس، ٣٥٧.

(٢) انظر تخريجه ص٥٠٠.

وكان الشيخ محمّد البكري[1] قدّس الله سرّه يقول:

هـــاتوا لنـــا الآلات تنـــتج لنـــا حـــالات

ومن كلامه قدّس سرّه:

حـدِّثْ عـن الـوترِ أيهـا الـوترُ مَـنْ فاتـه الخُـبْرُ سَرّه الخَـبَرُ

ولكن غلب الجهل بالله على النفوس، وشهدوا صور التجلّيات الإلهيّة أغياراً، وانطمست البصائر عن العبر والأمثال، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٤٣] ومع هذا فلا تخلو الأوقات من أهل المعرفة من عامّة الناس وخاصّتهم، بل من العامّة أكثر لقلّة غرورهم بأنفسهم، ولهذا قلنا من أبيات:

ومـشتْ عـوام في طريقـك فاهتـدت بـه وانثنـت فغـوت عليـك خـواص

٦٧٩- وَإِيَّاكَ وَالإِعْرَاضَ عَنْ كُلِّ صُورَةٍ مُمَوَّهَـةٍ أَوْ حَالَـةٍ مُـسْتَحِيلَةِ

٦٨٠- فَطَيْفُ خَيَالِ الظِلِّ يُهْدِي إِلَيْكَ فِي كَرَى اللَّهْـوِ مـا عَنْـهُ الـسَتَائِرُ شُـفَّتِ

٦٨١- تَرَى صُورَ الأَشْيَاءِ تُجْلَى عَلَيْكَ مِنْ وَرَاءِ حِجَـابِ اللَّبْسِ فِي كُـلِّ خِلْعَـةِ

(وإيّاك) يا أيّها السالك. وقوله (والإعراضَ): بالنصب، أي: احذر الإعراض. وقوله (عن كلّ صورة): متعلّق بالإعراض. وقوله (مموّهة): أي مزخرفة من

---

(١) هو محمّد البكريّ، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصدّق رضي الله عنه، لقّب بأبيض الوجه، صاحب المعارف الإلهيّة والحقائق الربّانيّة، له ديوان مشهور. قال المناويّ في الطبقة العاشرة فيمن مات في التسعمئة: محمّد الصديق البكريّ، شيخ الإسلام، علم الحرمين ومصر والشام. أخذ علوم الشرع والتصوّف عن أبيه شيخ الإسلام أبي الحسن. وتفقّه على الشهاب عميرة البرلسي. كان فصيح اللسان، له دروس في التفسير وصحيح البخاريّ والتصوّف، يعلو مجلسه الوقار والسكينة؛ فلا لغو، ولا لغط، ولا غيبة؛ وإنّما الفوائد العلميّة فقط. أعقب أربعة أبناء، وهم: أبو المواهب وأبو السرور وتاج العارفين وزين العابدين جدّ صديق النابلسي ومضيفه في رحلته. انظر الحقيقة والمجاز في رحلة الشام والحجاز ص١٩٤ و١٩٥. وقد سبقت ترجمته في ص٥٠٠.

قولك مَوَّهْتُ الشيء: طَلَيْتُهُ بماء الذهب والفضة. وقول مُمَوَّه: أي مزخرف، أو ممزوج من الحقّ والباطل، كذا في المصباح. وقوله **(أو حالة مستحيلة)**: أي باطلة، لا حقيقة لها، كصور الشعبذة، والدكّ، وما تفعله أهل السيميا من الخيالات والأحوال الباطلة، فإنّ ذلك كلّه عِبَر وأمثال مضروبة لك، بخلق الله تعالى على أيدي الناس؛ لتعلم أن الأكوان أجمعها نظير ذلك فلا يغرّك شيء منها، كان لك أو لغيرك. وتعلم أنّ الحقّ حقٌّ واحد يغير الجميع ولا يتغير، هو في نفسه عمّا هو عليه أزلاً وأبداً. وقوله **(فطيف)**: الفاء للتفريع على ما قبله. والطَّيْفُ: من طاف الخيال طَيفاً، من باب باع: أَلَمَّ وأتى. والطَائِف ما أَطَافَ بالإنسان من الجِنّ والإنس والخيال، كذا في المصباح. وقوله **(خيال الظلّ)**: أي الخيال الذي هو الظلّ. وأصله ظلّ الشجرة الذي يكون بالغداة، وغير الشجرة أيضاً، والفَيء بالعَشِي، ذكره في المصباح عن ثعلب. والمُراد بطيف خيال الظلّ هما خيالات الصور التي تتخذها بعض الناس بوضع ستر من القماش الرقيق في داخله ضوء شمعة أو سراج، ثمّ تعرض تلك الصور بين الضوء والستر بإنسان يجلس خلف الستر يحرِّكها مما يسميه الناس خيال الإزار. وفيه يقول القائل:

رأيت خيال الستر أكبر عبرة ... لمن هو في علم الحقيقة راقي

شخوص وأشباح تمر وتنقضي ... وتفني جميعاً والمحرِّك باقي

وقوله **(يهدي إليك)**: أي يوصل لديك. وقوله **(في كرى)**: أي نوم مضاف إلى قوله **(اللّهو)**: أي الغفلة؛ فإنّها كالنوم من حيث أنّ صاحبها لا يحسُّ بما لديه من المعاني والعِبَر والأمثال المضروبة لاشتغاله بهوى نفسه، وحظوظها العاجلة. وقوله **(ما)**: أي الذي، مفعول يهدي. وقوله **(عنه الستائر)**: جمع ستارة، وهي ما يُستَّر به، أي: يُحْجَب. وقوله **(شَفَتِ)** بكسر التاء للقافية، يقال: شَفَّ عنه، أي: أبصر ما وراءه، قال في المصباح: «ثوبٌ شَفِيْفٌ»، أي: رقيق. وشَفَّ يَشِفُ، من باب ضرب، شُفُوفَاَ، فهو شِفٌّ بالكسر، والفتح لغة. وهو الذي يستشف ما وراءه،

أي: يُبصر». والذي شفّت عنه الستائر هو الصور الخياليّة التي من خلف ذلك الستر والضوء، كاشف لك عن ذلك من وراء الستر. وقوله (ترى): يا أيّها السالك. (صور): أي الأشياء المحسوسة والمعقولة من جميع العوالم نظير صور/ [٢٧٢/ ب] الستر المذكورة. وقوله (تُجْلَى): بالبناء للمفعول. وقوله (عليك): أي تُكشف لك فتدركها بحواسك الخمس: السمع، والبصر، والذوق، واللمس إذا كانت تلك الصور محسوسات، وتدركها بقوّة عقلك إذا كانت معقولات. وقوله (من وراء حجاب اللّبس): أي الالتباس. قال في المصباح: «لَبَسْتُ الأمرَ لَبْساً، من باب ضرب: خَلَطْتُهُ، والْتَبَسَ الأمرُ: أَشْكَل». وحِجاب اللَّبْس: هو توهّمك الغيريّة في كلّ ما ترى من تلك الصور؛ فإنّ الوهم غالب فيك على الفهم لعدم ملاحظتك وحدة الفاعل الحقيقيّ الذي هو حاضر من وراء ذلك الحجاب الوهمي. وقوله (في كلّ خِلْعَةٍ): متعلّق بتُجلَى. و(الخِلْعَة): ما يعطيه الإنسان غيره من الثياب مِنْحَةً. والجمع خِلَع، مثل: سِدْرَة وسِدَر، كذا في المصباح. والذي يجلو ذلك عليك هو الحقّ تعالى وحده لا شريك له، وأنت غافل عنه، مشغول باختلاف تلك الخِلَع، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

هذه الأثواب والخلع ... تُكتسى طوراً وتختلع

٦٨٢- تَجَمَّعَتِ الأَضْدَادُ فِيْهَا لِحِكْمَةٍ ... فَأَشْكَالُها تَبْدُو عَلَى كُلِّ هَيْئَةِ

٦٨٣- صَوَامِتُ تُبْدِي النُّطْقَ وَهْيَ سَوَاكِنٌ ... تُحَرِّكُ تُهْدِي النُّوْرَ غَيْرَ ضَوِيَّةِ

٦٨٤- وَتَضْحَكُ إِعْجَاباً كَأَجْذَلِ فَارِحٍ ... وَتَبْكِي انْتِحَاباً مِثْلَ ثَكْلَى حَزِيْنَةِ

٦٨٥- وَتَنْدُبُ إِنْ أَنَّتْ عَلَى سَلْبِ نِعْمَةٍ ... وَتَطْرَبُ إِنْ غَنَّتْ عَلَى طِيْبِ نَغْمَةِ

(تجمّعت): بتشديد الميم، أي: اجتمعت. وقوله (الأضداد): جمع ضِدّ، قال في المصباح: «الضِدُّ: النَظِيْرُ والكُفْءُ، والجمع: أَضْداد. وقال أبو عمر: والضِدُّ مِثْلُ الشيء، والضِدّ خِلافُه. وضَادَّه مُضَادَاة: إذا بَايَنَه مُخالفة. والمُتَضَادَّان: اللذان لا

يجتمعان، كالليل والنهار». يعني: وقد اجتمع الضدّان اللذان لا يجتمعان. وقوله (**فيها**): أي هذه الحقيقة الإلهيّة الواحدة من جهة ظهورها بكلّ واحد من الضِدَّيْنِ، وتجلّيها بذلك، ولم تتغيّر هي في نفسها عن تنزّهها عنهما. وقوله (**الحكمة**): أي سرّ خفيّ، وهي بيان تنزّه تلك الحقيقة عن خصوص كلّ واحد من الضِدَّيْنِ، فإنّه إنْ تجلّى بظلمة الليل، وقبل الظهور والانكشاف بها، علم أنّه تجلّى بتلك الظلمة، من حيث إبداؤها وإظهارها، لا من حيث خصوص كونها ظلمة باعتبار أنّه أيضاً في ذلك الحين في قطر آخر من الأرض، تجلّى بضوء النهار، وقبل الظهور والانكشاف به، فعلم أنّه تجلّى بذلك الضوء، من حيث إبداؤه أيضاً وإظهاره، لا من حيث خصوص كونه ضوءاً، وهكذا في جميع الأضداد الظاهرة في الأكوان؛ ولهذا لما قيل لأبي سعيد الخرّاز[1] قدّس الله سرّه: بماذا عرفتَ الله؟. فقال: عرفته بجمعه بين الأضداد. وقوله (**فأشكالها**): أي الأضداد، جمع شَكْل، وهو المِثْل، يقال: هذا شَكْلُ هذا، والجمع: شُكُول، مثل فَلْس وفُلُوس، وقد يُجْمَع على أَشْكَال، ويقال: إنّ الشَكْلَ: الذي يُشَاكِل غيرَه في طبعه، أو وصفه من انحائه، وهو يُشاكِلُهُ، أي: يُشابهه، كذا في المصباح. وقوله (**تبدو**): أي تظهر في عالم الكون. وقوله (**على كلّ هيئة**): أي هيئات مختلفة. قال في المصباح: «الهَيْئَةُ: الحالةُ الظاهرة». ثمّ إنّه فصل تلك الهيئات بقوله (**صوامت**): جمع صامت، من صَمَت صَمْتاً، من باب قتل: سَكَتَ. وصُمُوتَاً وصُمَاتاً فهو صامِت، كما في المصباح. يعني: إنّ تلك الأشكال المختلفة صوامت في نفسها. ثمّ قال (**تبدي النطق**): أي تظهر التكلّم. يعني: يظهر الكلام منها بإنطاق غيرها لها، وهو الحقّ تعالى، من قوله سبحانه: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ

---

(١) أحمد بن عيسى، أبو سعيد الخرّاز، البغداديّ، العارف، شيخ الصوفيّة. أخذ عن ذي النون. قيل هو أوّل من تكلّم في علم الفناء والبقاء، له عجائب وكرامات ظاهرة. وهو من أحسن الناس كلاماً عدا الجنيد. توفي ٢٨٦هـ. انظر الوافي بالوفيّات للصفديّ ٢ / ٤٧٢.

ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ [٤١/ فصلت/ ٢١]. وقوله (وهي): أي تلك الأشكال المذكورة. وقوله/ [٢٧٣/ أ] (سواكن): جمع ساكن، من سَكَنَ المتحرك سُكُوناً: ذهبت حركته، ويتعدّى بالتضعيف، فيقال سَكَّنْته، كذا في المصباح. بعني: هي من نفسها سواكن، لا حركة لها. وقوله (تحرّك): أي تتحرّك، فحذفت إحدى التائين تخفيفاً، كما قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [٩٧/ القدر/ ٤] أي: تتنزّل. والمعنى: إنّها تتحرك بتحريك المحرّك لها. وهو الحقّ تعالى المستولي عليها بقدرته وإرادته على طبق علمه القديم. وقوله (تهدي): أي توصل إلى أبصار الخلق. وقوله (النورَ): بالنصب، مفعول تُهدي. وقوله (غير): حال من ضمير تُهدي. وقوله (ضَوِيَّةٍ): أي ليست بذات ضوء في نفسها، وإنّما الحقّ تعالى يخلق لها الضوء شيئاً فشيئاً. وقوله (وتضحك): أي يظهر منها الضحك. وقوله (إعجاباً): أي على وجه التعجّب، وهي في نفسها لا ضحك لها، ولا إعجاب منها؛ وإنّما يخلق الله تعالى لها فتظهر به. وقوله (كَأَجْذَل): أفعل تفضيل، من الجَذَل بالتحريك: الفَرَح. وقد جَذِل بالكسر، يَجْذَل فهو جَذْلَان وأَجْذَلَهُ غيرُهُ، أي: أَفْرَحَهُ، كذا في الصحاح. وقوله (فارح): قال في القاموس: «الفَرَحُ محرّكة: السُّرورُ والبَطَر. فَرِحَ فهو فَرِحٌ، وفَرُوْحٌ ومَفْرُوحٌ وفَارِحٌ». وقوله (وتبكي): أي تلك الأشكال المذكورة، ولا فعل لها من نفسها، وإنّما يظهر ذلك منها بخلق الله تعالى لها ذلك. وقوله (انتحاباً): أي على وجه الانتحاب، قال في المصباح: «انْتَحَبَ انْتِحَاباً ونَحَبَ نَحْباً، من باب ضَرَب: بكى، والاسم النحِيب». وقوله (مثل ثَكلى): بالعنصر، من ثَكَلَت المرأةُ ولدَها ثَكَلاً، من باب تعب: فَقَدَتْه، والاسم: الثُكْل، وِزان قُفْل، فهي ثَاكِل. وقد يقال: ثاكِلَة وثَكْلَى، والجمع ثَوَاكِل وثَكَالَى، كذا في المصباح. وقوله (حزينة): وصف لثكلى من الحزن، وهو خلاف السرور. وقوله (وتَنْدُبُ): من نَدَبَتِ المرأةُ المَيتَ نَدْباً، من باب قتل، وهي نادبة، والجمع نَوَادِب، لأنّه كالدعاء، فإنّها تعدّد

محاسنه كأنّه يسمعها، كذا في المصباح. وقوله (**إنْ أَنّتْ**): بتشديد النون، من الأَنِين، يقال: أَنَّ الرجلُ يَئِنّ بالكسر أَنِيْناً وأُناناً بالضمّ: صَوّتَ، كما في المصباح. وقوله (**على سلب**): متعلّق بأَنَّتْ، يقال: سَلَبْتُهُ ثَوبَهُ سَلْبَاً: من باب قتل: أَخذت الثوب منه، كذا في المصباح. وقوله(**نِعْمَةٍ**) بكسر النون، هي ما ينعم الله تعالى به على عبده، وبفتح النون: اسم من التنعّم والتمتع، وهو النعيم. وقوله (**وتطرب**): من الطَرَب، يقال: طَرِبَ طَرَباً فهو طَرِب، من باب تَعِب: وهو خِفَّة تصيبه لشدَّة حزن أو سرور. والعامّة تخصّه بالسرور ، كذا في المصباح. وقوله (**إنْ غَنَّتْ**): بتشديد النون من الغِناء، مثل كتاب: الصوت. وقياسه الضمّ، لأنّه صوت. وغنّى بالتشديد: ترنّم بالغناء، كما في المصباح. وقوله (**على طِيب**): متعلّق بتطرب. يقال طاب الشيء يَطيب: إذا كان لذيذاً. وقوله (**نَغمة**): بفتح النون حُسْن الصوت. ومعنى ذلك كلّه: إنّ تلك الأشكال المذكورة لا فعل لها من نفسها، وإنّما جميع ما هو ظاهر عليها بخلق الله تعالى لها ذلك، كما أن ذواتها بخلقه تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٧/ الصافّات/ ٩٦].

٦٨٦- تَرَى الطَّيْرَ فِي الأَغْصَانِ يُطْرِبُ سَجْعُهَا بِتَغْرِيْدِ أَلْحَانٍ لَدَيْكَ شَجِيَّةِ

٦٨٧- وَتَعْجَبُ مِنْ أَصْوَاتِهَا بِلُغَاتِهَا وَقَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ أَلْسُنٍ عَجَمِيَّةِ

(**ترى**): يا أيّها السالك. وقوله (**الطير**): جمع طائر، قال في المصباح: «جمع الطائر طَيْر، مثل: صاحبٍ وصَحْب، وراكبٍ ورَكْب. وجَمْع الطَيْر: طُيُور وأَطْيار. وقال أبوعُبيدة وقُطْرُب: ويقع الطير على الواحد والجمع. وقال ابن الأنباري: الطير جماعته، وتأنيثها أكثر من التذكير، ولا يقال للواحد طَير، بل طائر. وقلّما يقال للأنثى / [٢٧٣/ ب] طائرة». وقوله (**في الأغصان**): متعلّق بواجب الحذف، حال من الطير. وقوله (**يُطْرِبُ سَجْعُها**): سَجَعَت الحمامةُ، من باب نَفَعَ: هَدَرَتْ وصَوَّتَت، كذا في المصباح. وقوله (بتغريد): وقال في المصباح: «غَرِدَ غَرَداً، من

باب تَعِب: إذا طَرَّبَ في صوته وغنائه كالطائر، وغَرَّد تَغْرِيداً مثله». وقوله (**ألحان**): جمع لَحْن، قال في الصحاح: «اللَحْنُ: واحد الألْحان واللُحُون، ومنه الحديث: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب»[1] وقد لَحَنَ في قراءته إذا طَرَّب بها وغَرَّد. وهو أَلْحَنُ الناس: إذا كان أَحْسَنُهُم قراءة، أو غِناء». وقوله (**لديك**): أي بالقرب منك يا أيّها السالك. وقوله (**شجيّة**): بالشين المعجمة والجيم، أي: محزنة مشوقة إلى الأحبّة. قال في الصحاح: «الشَجْو الهَمُ والحزن، يقال: شَجَاهُ يَشْجُوهُ شَجْوَاً: إذا أَحْزَنَهُ. وقوله (**وتعجب**): يعني أنت يا أيّها السالك، يقال: عَجِبْت من الشيءِ عَجَباً، من باب تَعِب، وتَعَجَّبْتُ واسْتَعْجَبْتُ، وهو شيءٌ عجيب، أي: يُعْجَبُ منه. وقال بعض النحاة: التَعَجُّبُ: انفعال النفس لزيادة وصف في المُتعجَّب منه، نحو: ما أَشْجَعَهُ. وقوله (**من أصواتها**): متعلّق بـ تعجب. وقوله (**بلغاتها**): متعلّق بأصواتها، لأنّها جمع صوت، فالصوت مصدر، قال في الصحاح: «صَاتَ الشيء يَصُوتُ صَوْتَاً، وكذلك صَوَّتَ الإنسان تَصْوِيتاً» وإنّما جمع الصَوتَ، وهو مصدر لإرادة أنواعه. وقوله (**وقد أعربت**): الواو للحال، من ضمير جمع المؤنّث. وقال في الصحاح: «أَعرَب بحجته، أي: أَفصح بها». وقوله (**عن أَلْسُنٍ**): جمع لسان، وهو اللغة، مؤنّث، وقد يُذكّر باعتبار أنّه لفظ ، فيقال: لسانه فصيحة وفصيح، أي لُغَته فصيحة، أو نُطقه فصيح، كذا في المصباح. وقوله (**عُجميّة**): وصف لألسن بياء النسبة إلى العُجمة في اللسان، بضمّ العين: لُكْنَة وعدم فصاحة، كذا في المصباح.

٦٨٨- وَفِي البَرِّ تَسْرِي العِيسُ تَخْتَرِقُ الفَلَا   وَفِي البَحْرِ تَجْرِي الفُلْكُ فِي وَسْطِ لُجَّةِ

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان باب: اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، ٢٥٤١، وتتمّته: «وإيّاكم ولحون أهل الفسق، وأهل الكتابين؛ فإنّه سيجيء من بعدي قوم يُرَجِّعُونَ بالقرآن ترجيع الغِناء والرهبانيّة والنَّوح، لا يجاوز حناجرهم. مفتونة قلوبهم، وقلوب من يعجبهم شأنهم».

(وفي البَرِّ): بفتح الباء الموحّدة. وقوله (تَسْرِي): من سَرَيْتُ الليلَ وسَرَيْتُ به سَرْيَاً. والاسم السِّرَاية: إذا قطعته بالسير، وأَسْرَيْتُ بالألف لغة حجازيّة، كذا في المصباح. وقوله (العِيْسُ): وهي إبل بِيض، في بياضها ظُلمة خَفِيَّة. الواحدة: عَيْسَاء، كما في المصباح. وقوله (تخترق الفلا): جمع فلاة، وهي: الأرض لا ماء فيها، وزن حصاة وحصاً، وجمع الجمع: أفلاء، مثل: سَبَب وأسْبَاب، كذا في المصباح. وقوله (في البحر تجري الفلك): [الفُلْكُ] وِزان قُفْل: السفينة، يكون واحداً فيذكر، وجمعاً فيؤنّث، كما في المصباح. وقوله (في وسْطِ): بسكون السين المهملة، بمعنى: بين، نحو: جلست وَسْط القوم، أي: بينهم، كذا في المصباح. وقوله (لُجَّةِ): قال في المصباح: «لُجَّةُ الماء بالضمّ: معظمه، واللجُّ ـ بحذف الهاء ـ لغة فيه».

٦٨٩- وَتَنْظُـرُ لِلْجَيْـشَيْنِ فِي الـبَرِّ مَـرَّةً ... وَفِي البَحْـرِ أُخْـرَى فِي جُمُـوعٍ كَثِـيْرَةِ

٦٩٠- لِبَاسُـهُمُ نَسْجُ الحَدِيْدِ لِبَأسِـهِمْ ... وَهُـمْ فِي حِمى حَـدَّيْ ظُبَـىً وَأَسِـنَّةِ

٦٩١- فَأَجْنَادُ جَيْشِ البَرِّ مَا بَيْنَ فَارِسٍ ... عَـلَى فَـرَسٍ أَوْ رَاجِـلٍ رَبِّ رُجْلَـةِ

٦٩٢- وَأَكْنَادُ جَيْشِ البَحْرِ مَا بَيْنَ رَاكِبٍ ... مَطَا مَرْكَبٍ أَوْ صَاعِدٍ مِثْلَ صَعْدَةِ

٦٩٣- فَمِنْ ضَارِبٍ بِالبِيْضِ فَتْكَاً وَطَاعِنٍ ... بِـسُمْرِ القَنَـا العَـسَّالَةِ الـسَمْهَرِيَّةِ

٦٩٤- وَمِنْ مُغْرِقٍ فِي النَارِ رَشْقَاً بَأَسْهُمٍ ... وَمِـنْ مُحْـرِقٍ في المَـاءِ زَرْقَـاً بِـشُعْلَةِ

٦٩٥- تَـرى ذِا مُغِـيْرَاً بَـاذِلَاً نَفْـسَهُ وَذَا ... يُـوَلِّي كَـسِيرَاً تَحْـتَ ذُلِّ الهَزِيْمَـةِ

(وتنظر): يا أيّها السالك. وقوله (للجيشين): تثنية جيش، وهو الجند أو السائرون لحرب أو غيرها، كذا في القاموس. وقوله (في البرِّ مرّة وفي البحر أخرى): أي مرّة أخرى بأن/ [٢٧٣/ أ] كان في البرِّ جيش، وفي البحرجيش. وقوله (في جموع): أي جماعات من العساكر. وقوله (كثيرة): وصف لجموع. وقوله (لباسهم): أي لباس تلك الجموع الكثيرة. يعني: ملبوسهم. وقوله (نسج

الحديد): أي المنسوج من الحديد، وهي الدّروع الزرديّة. وقوله (**لبأسهم**): لأجل بأسهم، أي: شدّتهم في الحرب. قال في المصباح: «بَؤُسَ: مثلُ قَرُب، بأساً: شَجُعَ، فهو بَئِيس، على فَعيل، وهو ذو بأس، أي: شدّة». وقوله (**وهم**): أي تلك الجموع. وقوله (**في حمى**): قال في المصباح: «أَحْمَيْتُهُ: جَعَلْتُهُ حِمَىً، لا يُقْرَب، ولا يُجْتَرَأُ عليه». وقوله (**حدَّيْ**): تثنية حدّ. وقوله (**ظُبَا**): بضمّ الظاء المعجمة، جمع ظُبَة بالتخفيف، وهو حدّ السيف. وقال في الصحاح: «ظُبَة السهم والسيف: طرفه». وقوله (**وأسنّة**): جمع سنان، وهي أسنّة الرماح. ثمّ قال (**فأجناد**): بفاء التفريع لتفضيل ذلك. و(**الأجناد**): جمع جند. وقوله (**جيش البرّ**): يعني المذكورين. وقوله (**ما بين فارس**): هو الراكب على الحافر، فرساً كان أو بغلاً أو حماراً، قاله ابن السكِّيت، يقال:" مَرّ بنا فارس على بغل، وفارس على حمار. قال في التهذيب: فارسٌ على الدابّة بَيِّنُ الفروسيّة. وقال أبو زيد: لا أقول لصاحب البغل والحمار: فارس، ولكن أقول: بَغَّال وحَمَّار". وقوله (**على فرس**): بيان لفارس، والفرس يقع على الذكر والأُنثى، فيقال: هو الفرس، وهي الفرس. الكلّ في المصباح. وقوله (**أو راجل**): الراجل خلاف الفارس، وجمع الراجل: رَجْل، مثل صاحب وصَحْب، ورَجَّالَة ورُجَّال أيضاً، كذا في المصباح. وقوله (**رَب**): أي صاحب. وقوله (**رُجْلَة**): بالضمّ، اسم من قولك رَجِلَ رَجَلاً، من باب تعب: قَوِيَ على المشي، وهو ذو رُجْلَة أي قوّة على المشي، كما في المصباح. وقوله (**وأكناد**): بالنون جمع كندة، وهو الشجاع بلغة الفرنج وذكره الشارح القيصري، قدّس سرّه. ولعلّه من الكُنُود بالضمّ: كفران النعمة، وبالفتح: الكَفُور كالكَنَّاد، والكافر واللوّام لربّه تعالى، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «كَنَدَهُ، أي: قَطَعَه». ولعلّ المراد بهم جيش الكفار؛ فإنّ الغالب أنّهم يكونون في البحر، فإنّ الفرنج يقاتلون المسلمين في مراكب البحر؛ ولهذا قال (**جيش البحر**). وقوله (**ما بين راكب مطا**): قال في الصحاح: «المَطَا مقصور: الظهر. وقوله (**مركب**): أي

سفينة، وجمعه: مراكب. وقوله **(أو صاعد)**: من صَعِدَ في السُلَّم والدرجة يَصْعَدُ، من باب تَعِب، صُعُوداً: ارتقى. وقوله **(مثل صَعْدَةٍ)**: قال في القاموس: «الصَعْدَة: القَناة المُسْتَوِيَة، تنبت كذلك». شبّه بها عمود المركب الذي يرتقى عليه الملّاح، تقديره: أو صاعد عموداً مثل صَعْدَة. ثمّ قال **(فمن ضارب)**: بيان لأحوال الجيشين المذكورين. وقوله **(بالبِيض)**: جمع أبيض، وهو السيف. وقوله **(فتكاً)**: تمييز لنسبة الضرب بذلك، قال في المصباح: «فتَكْتُ به فَتْكاً، من بابي ضرب وقتل. وبعضهم يقول: فَتْكاً، مثلث الفاء: بطشتُ به، أو قتلته على غفلة. وأفْتَكْتُ، بالألف:لغة». وقوله **(وطاعن)**: من طعنته بالرمح طعناً، من باب قتل. وقوله **(بسُمْرٍ)**: جمع أَسْمَر، وهو الرمح. وقوله **(القنا)**: جمع قناة، وهي الرمح، ويُجمع على قنوات، كذا في الصحاح. وقوله (العَسَّالَة): قال في الصحاح: «عَسَلَ الرمح عَسَلاَنَاً: اهتزّ، واضطرب. والرمح عَسَّال». وقوله (السَّمْهَرِيَّةِ): جمع سَمْهَرِيّ، وهو الرمح الصُلْب، والمنسوب إلى سَمْهَر زوج رُدَينة، وكانا مُثَقِّفَيْنِ للرماح، كذا في القاموس. وقوله **(ومن مُغْرِق)**: بصيغة/ [٢٧٤/ ب] اسم الفاعل، أو اسم المفعول. وقوله (زَرْقَاً): بفتح الزاي المعجمة وسكون الراء المهملة وبالقاف، قال في المصباح: «زَرَقَه بالرمح زَرْقَاً، من باب قتل: طعنه». وقال في القاموس: «المِزْرَاق: رمح قصير. وزَرَقَهُ به: رماه». وقوله **(بشعلة)**: متعلِّق بـ زَرْقاً، والشُعْلَة: من النار واحدة الشُعَل. وقوله **(ترى)**: يعني يا أيّها السالك. وقوله (ذا): أي هذا من كلّ من الجيشين، وقوله **(مُغِيْراً)**: اسم فاعل من أغار، قال في المصباح: «أغَارَ القوم إغارة: أسرعوا في السير، وأغار على العدو: هجم عليهم، وأوقع بهم. وقوله **(باذلاً نفسه)**: بَذَلَهُ بَذْلاً، من باب قتل: سَمَحَ به وأعطاه، وبَذَلَه: أَباحَه عن طيب نفس، كذا في المصباح. وقوله **(وذا)**: أي هذا الآخر من كلّ من الجيشين. وقوله **(يُوَلِّي)**: أي يعرض. قال في المصباح: «وَلَّيْتُ عنه أعرضتُ وتَرَكْتُهُ، وتَوَلَّى: أَعْرَض». وقوله (كَسِيراً): أي مكسوراً حال من

فاعل يُوَلِّي. وقوله (**تحت ذلّ الهزيمة**): أي حال كونه متّصفاً بذلِّ الهزيمة، قال في المصباح: «هَزَمْتُ الجيش هَزْماً، من باب ضرب: كَسَرْتُه، والاسم الهَزيمة.

٦٩٦- وَتَشْهَدُ نَصْبَ المَنْجَنِيْقِ وَرَمْيَهَا[1] لِـهَدْمِ الـصَيَاصِي وَالحُـصُونِ المَنِيْعَـةِ

(**وتشهد**): يا أيّها السالك. وقوله (**نصب المنجنيق**): بالنصب، مفعول تشهد، قال في القاموس: «المَنجنيق، ويُكْسَر: ألة تُرمَى بها الحجارة كالمنجنوق، مُعَرَّبة». وقوله (**ورمْيَهَا**): بالنصب، عطف على نصبَ، والتأنيث باعتبار الآلة، وفي نسخة: (ورميه) باعتبار اللفظ. وقوله (**لهدم الصَيَاصي**): أي القلاع، وهي جمع صِيصِيَة: بناء يُحصن به. وقوله (**والحُصُون**): جمع حِصْن، وهو المكان لا يُقدر عليه لارتفاعه، كذا في المصباح. وقوله (**المنيعة**): وصف للحصون، أو للصياصي، وللحصون معاً.

٦٩٧- وَتَلْحَظُ أَشْبَاحَاً تَرَاءَى بِأَنْفُسٍ مُجَـــرَّدَةٍ فِي أَرْضِـــهَا مُـــسْتَجِنَّةِ

٦٩٨- تُبَايِنُ أُنْسَ الإنْسِ صُـوْرَةُ لَبْسِهَا لِوَحْـشَتِهَا وَالجِـنُّ غَـيْرُ أَنِيْـسَةِ

(**وتلحظ**): يا أيّها السالك، أي: ترى. وقوله (**أشباحاً**): جمع شَبَح، وهو الشخص، مثل: سَبَب وأسْبَاب، كما في المصباح. وقوله (**تراءى**): أي تتراءى بحذف إحدى التائين. يعني: تظهر بحيث يراها الرائي. وقوله (**بأَنْفُسٍ**): جمع نفس، متعلّق بـ(**تراءى**)، وقوله (**مجرّدة**): وصف لأنفس. يعني: تجرّدت عن كثافة الأجسام، لغلبة اللطافة عليها؛ فإنّها خلقت من مارج من نار، والمارج: هواء ممزوج بنار، وهو المسمّى بنار السَمُوم. قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [٥٥/الرحمن/ ١٥] وقال تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [١٥/الحجر / ٢٧] وقوله (**في أرضها**): أي أرض تلك النفوس. يعني: عالمها الذي هي فيه. وقوله

---

(١) في (ق) الشطرة الأولى:وتَشهد رميَ المنجنيق ونصبه

(**مُسْتَجِنَّةٍ**): وصف لأنفس، في الصحاح: «اسْتَجَنَّ بِجُنَّةٍ: أي اسْتَتَرَ بِسُتْرَة، والجُنَّة بالضمّ: ما استَتَرْتَ به». وقوله (**تُبَايِنُ**): أي تفارق، وتخالف، وتباعد. وقوله (**أُنسَ**): بضمّ الهمزة، من أَنِسْتُ به إنْسَاً، من باب علم. وفي لغة: من باب ضرب. والأُنس بالضمّ: اسم منه، واسْتَأنَسْتُ به، وتآنست به: إذا سكن القلب إليه ولم ينفر منه. وقوله (**الإنس**): بكسر الهمزة خلاف الجنّ. وقوله (**صورة**): فاعل تباين. وقوله (**لَبْسِهَا**): أي ما تلتبس به من الصورة التي تريد الظهور بها، فإنّ الجنّ يتشكّلون في الصور المختلفة. وقوله (**لوحشتها**): متعلّق بـ تُباين، والوحشة بين الناس هي الانقطاع، وبعد القلوب عن المودّات. ويقال: **إذا أقبل الليل استأنس كلّ وحشي، واستوحش كلّ أُنسي**. وأَوْحَشَ المكان وتَوَحَّشَ: خَلَا من الإنس، كذا في المصباح. وقوله (**والجنّ**): هم خلاف الإنس، الواحد: جِنِّي، يقال سميّت بذلك لأنّها تتقى، ولا ترى كما في الصحاح. وقوله (**غير أنيسَة**): أي غير مؤنسة لكمال/ [٢٧٥/ ب] وحشتها.

٦٩٩- وَتَطْرَحُ فِي النَّهْرِ الشِّبَاكَ فَتُخْرِجُ السْـ ــسِمَاكَ يَدُ الصَّيَّادِ مِنْهَا بِسُرْعَةِ

٧٠٠- وَيَحْتَالُ بِالأَشْرَاكِ نَاصِبُهَا عَلَى وُقُوعِ خِمَاصِ الطَّيْرِ فِيهَا بِحَبَّةِ

(**وتطرح**): أي تلقي وترمي، قال في المصباح: «طَرَحْتُهُ طَرْحاً، من باب نَفَعَ: رَمَيْتُ به، وطَرَحْتُ الرداء على عاتقي: ألقيته عليه، كذا في المصباح. وقوله (**في النهر**): أي نهر الماء الجاري. وقوله (**الشِباك**): مفعول تطرح. (**والشِباك**): جمع شَبَكَة الصائد. ويجمع على **شَبَك** و**شَبَكات**، كذا في المصباح. وقوله (**فتخرج السماك**): جمع سَمَكَة، قال في الصحاح: «السَّمَك من خلق الماء. الواحدة سَمَكَة، وجمع السَمَك سِمَاك وسُمُوك». وقوله (**يد**) فاعل تطرح، وتخرج على التنازع. وقوله (**الصياد**): مضاف إليه. وقوله (**منها**): أي من الشباك. وقوله (**بسرعة**): متعلّق بتخرج أو بتطرح. وقوله (**ويحتال**): الاحتيال، وهو الحِذْقُ وجُودة النظر،

والقدرة على التصرّف، كذا في القاموس. وقوله **(بالأشراك)**: بفتح الهمزة: جمع شَرَك، محركة: حبائل الصَيد وما يُنْصَب للطير، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «الشَرَك للصائد معروف، والجمع أشراك، مثل سبب وأسباب. وقوله **(ناصبها)**: فاعل يحتال، أي: ناصب الأشراك، وهو الصائد. وقوله **(على وقوع خماص)**: بكسر الخاء المعجمة، أي: جياع. جمع خَمِيص، قال في المصباح: «خَمُصَ الشخصُ فهو خَمِيص: إذا جاع، مثل قَرُبَ قُرْباً فهو قريب». وقوله **(الطير)**: هو جمع طائر، مثل صَحْب وصَاحِب، ورَكْب وراكب، ذكره في المصباح. وقوله **(فيها)**: أي في الأَشْرَاكِ، وقوله **(بحبّة)**: أي بسبب حبّة، متعلّق بوقوع، قال في المصباح: «الحَبُّ اسم الجنس للحِنْطَة، وغيرها مما يكون في السُّنبُل والأَكْمام، والجمع: حُبُوب، مثل: فَلْس وفُلُوس، الواحدة: حَبَّة، وتُجْمَع: حَبَّاتٍ على لفظها، وعلى حِباب، مثل: كَلْبَة وكِلَاب.

٧٠١- وَيَكْسِرُ سُفْنَ اليَمِّ ضَارِي دَوَابِهِ وَتَظْفَرُ آسَادُ الشَرَى بِالفَرِيْسَةِ

٧٠٢- وَيَصْطَادُ بَعْضُ الطَيْرِ بَعْضَاً مِنْ الفَضَا وَيَقنِصُ بَعْضُ الوَحْشِ بَعْضَاً بِقَفْرَةِ

(ويكسر سُفْنَ): بسكون الفاء تخفيفاً. وأصله بضمّ الفاء، جمع سَفِيْن، قال في المصباح: «السَفِينَة معروفة، والجمع: سَفِين بحذف الهاء، وسَفَائِن. ويجمع السَفِين على سُفُن، بضمّتين، ومنهم من يقول: السَفِين لغة في الواحدة. وهي فَعِيلَة بمعنى فاعلة، لأنّها تَسْفِنُ الماءَ، أي: تقشره». وقوله **(اليَمِّ)**: أي البحر. وقوله **(ضاري)**: من ضَرِيَ بالشيء ضَرَىً، من باب تعب، وضَرَاوةً: اعتاده واجترأ عليه، وضَرِيَ به: لَزِمَهُ وأُولِعَ به، كما يَضْرَى السَّبُعُ بالصيد، كذا في المصباح. وقوله **(دوابه)**: أي اليمُّ، جمع دابّة، قال في المصباح: «كلّ حيوان في الأرض دابّة، وتطلق الدابّة على الذكر والأنثى والجمع دواب». وقوله **(وتظفر)**: يقال ظَفِرَ ظَفَراً، من باب تعِب، وأصله الفَوز والفَلاح، وظَفِرْتُ بالضَالَّة: إذا وجدتها، كذا في المصباح. وقوله **(آساد)**: جمع أَسَد، قال في القاموس: «الأَسَدُ مُحرّكة معروف، وجمعه: آسَاد وأُسُود

وأُسْد وأُسُد وأُسْدان ومَأسَدَة». وقوله (**الشرى**): بالشين المعجمة والراء: اسم طريق في سَلْمَى، كثير الأسد، كذا في الصحاح[1]. وسَلَمَى: أحد جَبَلَيْ طي. وقوله (**بالفريسة**): متعلِّق بـ(تظفر). وفريسة الأسد: التي يكسرها، فَعِيلَة بمعنى مفعولة، كذا في المصباح. وقوله (**ويصطاد بعض الطير**): بعضُ فاعل يصطاد، والطير مضاف إليه. وقوله (**بعضاً**) مفعول يصطاد. وقوله (**من الفضا**): وهو بالمدّ، وقصره لضرورة الوزن: المكان الواسع. وفَضَا المكان فُضُوّاً من باب قعد: إذا اتّسع، فهو فَضَاء، كذا في المصباح. وقوله (**ويَقْنِصُ**): قَنَصَهُ يَقْنِصُهُ: صَادَهُ، فهو قَانِص وقَنِيْص وقَنَّاص. واقْتَنَصَهُ: اصْطَاده، كذا في القاموس. (**بعضُ الوحشِ**) وهو حيوان البَرِّ كالوَحِيش، والجمع: وُحُوش وَوُحْشَان، الواحِد وَحْشِيّ، كذا في القاموس/ [٢٧٥/ ب] وقوله (**بعضاً**): مفعول يَقنص. وقوله (**بِقَفْرَةِ**): قال في القاموس: «القَفْرُ والقَفْرَةُ: الخَلَاء من الأرض، وقال في المصباح: القَفْرُ: المفازة، لا ماء فيها ولا نبات».

٧٠٣- وَتَلْمَحُ مِنْهَا مَا تَخَطَّيْتُ ذِكْرَهُ وَلَمْ أَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى خَيْرِ مُلْحَةِ

٧٠٤- وَفِي الزَمَنِ الفَرْدِ اعْتَبِرْ تَلْقَ كَلَّ مَا بَدَا لَكَ لَا فِي مُدَّةٍ مُسْتَطِيْلَةِ

(**وتلمح**): لَمَحتُ إلى الشيء لَمْحاً، من باب نَفَع: نظرتُ إليه باختلاس البصر، ولَمَحْتُه بالبصر: صَوَّبْتُهُ إليه، ولَمَحَ البَصَرُ: امتَدَ إلى الشيء، كذا في المصباح. وقوله (**منها**): أي من هذه الأشياء المذكورة من حد قوله (**ترى صور الأشياء**)[2] إلى هنا. وقوله (**ما تخطَّيتُ**): أي تجاوزت. وقوله (**ذكره**): مفعول تخطّيتُ، أي: بقيّة أحوال الأشياء المذكورة، وأمثالها مما هو كائن في عالم الدنيا من المحسوسات. وقوله (**ولم أعتمد**): أي أقصد، يقال: عَمَدْتُ إليه: قَصَدتُ، وتَعَمَّدتُهُ قصدتُ

---

(١) لم أعثر عليها في الصحاح؛ وإنّما في لسان العرب مادّة شري.

(٢) أي كلّ ما ورد من الأشياء ابتداء من البيت ٢٨١ إلى هذا الموضع.

إليه، واعْتَمَدْتُ على الشيء: اتَّكَأْتُ، واعْتَمَدْتُ على الكلام: وثِقْتُ وتَمسّكتُ، مستعارٌ من الأوّل، كذا في المصباح. وقوله (إلّا على خير مُلْحة): من مَلُح الشيءُ بالضمّ مَلَاحَةً بَهُجَ وحَسُنَ مَنْظَرُه، فهو مَلِيح، والأنثى مليحة، كما في المصباح. وقال في القاموس: «المُلْحَةُ بالضم: المَهَابَة والبركة، وواحدة المُلح من الأحاديث». وقوله (وفي الزمن الفرد): يعني الذي لم ينقسم لانفراده عن تركبه مع زمان آخر، وهو اللمحة بالبصر. وقوله (اعتبرْ): الاعتبار يكون بمعنى الاختيار والامتحان، مثل: اعتبرت الدراهم، فوجدتها ألفاً، كذا في المصباح. وقوله (تلقَ): مجزوم بحذف الألف في جواب الأمر، وهو اعتبرْ. يعني: اختبرْ وامتحن جميع ما ذكر في الوقت الواحد، فإنّك تجد كلّ ما (بدا): أي ظهر لك من تلك الأسياء الكثيرة كائنة في ذلك الوقت الواحد، ولم يشتغل صانعها ببعضها عن البعض، لم يشغله شأن عن شأن. وقوله (لا في مدّة مستطيلة): يعني كلّ ذلك على الترتيب فيها والتعاقب، فإنّ الصانع القديم لا يعجزه شيء، ولا يشغله شيء عن شيء. ولولا أن الأشياء في علمه مرتبّة على هذا الترتيب الذي هي عليه لوُجدت كلّها دفعة واحدة، ولكن الحكمة السابقة اقتضت فيها هذا الترتيب الذي هي فيه، والله عليم حكيم.

٧٠٥- وَكُلُّ الذِي شَاهَدْتُهُ فِعْلُ وَاحِدٍ   بِمُفْـرَدِه لَكِـنْ بِحُجْـبِ الأَكِنَّـةِ

٧٠٦- إِذَا مَا أَزَالَ السِّتْرَ لَمْ تَرَ غَيْرَهُ   وَلَـمْ يَبْـقَ بِالأَشْـكَالِ إِشْـكَالُ رِيْبَـةِ

٧٠٧- وَحَقَّقَتَ عِنْدَ الكَشْفِ أَنَّ بِنُورِهِ اهْـ   ـتَدَيْتَ إِلَى أَفْعَالِـهِ فِي الدُّجَنَّـةِ

(وكلّ الذي شاهدتُهُ): من جميع الأشياء المذكورة، وأمثالها كائنة في الوقت الواحد. وقوله (فِعْلُ واحدٍ بمفرده): يعني لا شريك له، ولا معين له، ولا مساعد له بطبع، ولا سببيّة، ولا غير ذلك أصلاً، وهو الوجود الحقّ تعالى، المنزّه عن الشريك، والوزير، والمعين، والمُسَيِّر؛ لأنّه على كلّ شيء قدير. وفيه إشارة إلى أن

شهود مقام الأفعال الإلهيّة، هي اعتبار ما تراه يا أيّها المريد، وتجده من الأفعال الكونيّة، سواء كانت منسوبة عندك إلى فاعلها، أو غير منسوبة؛ فإنّ النسبة من جملتها، لأنّها أمر كائن بتكوين الصانع الحكيم. وقوله (**لكن بحُجْبِ**): جمع حجاب. وقوله (**الأَكِنَّةِ**): قال في المصباح: «كَنَنْتُهُ أَكُنُّهُ، من باب قتل: سَتَرْتُه في كِنِّهِ، بالكسر: وهو السُتْرَة. وأكْنَنْتُه، بالألف: أخفيتُه. والكِنَان: الغِطاء وزناً ومعنى. والجمع: أَكِنَّة، مثل: أغْطِيَة». وحُجْب الأكِنَّة هي الأغطية التي هي حجب كناية عن صور العوالم المحسوسة والمعقولة؛ فإنّها صادرة عن المصوِّر الحقّ تعالى وتقدّس، من حيث تجلِّيه بأسمائه الخالق البارئ المصوِّر له الأسماء/ [٢٧٦/ أ] الحسنى؛ فهي كلِّها على وجوده الحقّ المطلق عن كلّ قيد بالإطلاق الحقيقيّ بمنزلة الأغطية له، وهي منه، وبمنزلة الحجب لجلاله وجماله، وكلّها بالنسبة إليه تعالى مضمحلّة فانية بحكم قوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧]. وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[١]، فوجوده سبحانه منزّه عنها، وعن التغطية بها، والاحتجاب فيها، وإنّما هي أغطية له، وحجب لجلاله وجماله بالنسبة إليها؛ فإنّها كلّها باطل بحكم قوله سبحانه: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١] وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٨] يعني: إذا أثبتم شيئاً من ذلك مع الحقّ تعالى، ووصفتموه به، حيث لا وجود له معه تعالى وتقدّس، وبحكم قوله صلّى الله عليه وسلّم: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، والباطل لا وجود له، وإن ظهرموجوداً عند نفسه بوجود ليس هو له في

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.
(٢) انظر تخريجه ص٦٧١.

حقيقة الأمر. ثمّ قال (**إذا ما أزال الستر**): فما زائدة؛ يعني: إذا زال الستر، أي: كشف الحجاب عن عين السالك وقلبه بأنْ أمدَّه بقوّة روحانيّة من فيضه الأقدس. والسِّتر: هو الغطاء والحجاب المذكور. وقوله (**لم ترَ**): أي لم تجد، يا أيّها السالك. وقوله (**غيره**): أي عن غير الحقّ تعالى، ويظهر لك فناء كلّ شيء، حتّى فناؤك أنت أيضاً. واضمحلالك مع كلّ شيء في نور وجوده الحقّ، (**ولم يبقَ بالأشكال**): بفتح الهمزة، أي: بسبب الأشكال جمع شَكْل، قال في المصباح: «الشَّكْل: المِثْل، يقال: هذا شَكْل هذا، والجمع: شُكُول، مثل: فَلْس وفُلُوس، وقد يجمع على أَشْكال، ويقال إنّ الشكل: الذي يُشاكِل غيرَه في طبعه، أو وصفه من أنحائه، وهو يُشاكله أي: يشابهه». وقوله (**إشْكَال**): بكسر الهمزة من أَشْكَلَ الأمرُ بالألف: التبس. وقوله (**ريبة**): قال في المصباح: «رَابَنِي الشيء يُرِيبُنِي إذا جعلك شاكّاً، والاسم الرِّيبَة، والجمع: رِيَب، مثل: سِدرَة وسِدَر». وقوله (**وحقّقت**): يا أيّها السالك. وقوله (**عند الكشف**): أي كشف غطائك عن وجه الحقّ المبين، ورفع حجابك عنه بتقوية بصيرتك، وفتح بصرك بإمداده الروحانيّ في المقام الأحسانيّ. وقوله (**أنَّ**): بفتح الهمزة لأنّها مع مدخولها في موضع نصب على المفعوليّة لحقّقت. وقوله (**بنوره**): أي نور الوجود الحقّ سبحانه، الذي هو قيّوم لك، ولكلّ شيء، كما ورد في الحديث: «المؤمن ينظر بوجود والله وينطق بتوفيق الله»[1]. وقوله (**اهتديت**): أي وصلت وتيقّنت بالمعرفة التامّة. وقوله (**إلى أفعاله**): أي شهود أفعاله تعالى، لا أنّ ذلك كان بقوّة علمك، وشدّة فهمك لتحقّقك به سبحانه، وأنّ الموجود هو وحده

---

(١) قال العجلونيّ في الكشف: وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الديلميّ: وزاد بعضهم «وينطق بتوفيق الله»، قلت: ولم أقف على الزيادة. وقال في الأصل: ورواه الطبرانيّ وأبو نعيم والعسكريّ عن ثوبان رفعه بلفظ: «احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنّه ينظر بنور الله وينظر بتوفيق الله»، رواه العسكريّ عن أبي الدرداء موقوفاً بلفظ: «اتّقوا فراسة العلماء؛ فإنهم ينظرون بنور الله، إنّه شيء يقذفه الله في قلوبهم على ألسنتهم». ورواه الديلميّ عن أبي الدرداء، انظر كشف الخفاء ١/ ٤٢.

وحده لا أنت، ولا غيرك. وقوله (**في الدُّجُنَّةِ**): قال في الصحاح: «الدُّجُنَّة من الغَيم: المُطَبِّق تطبيقاً، الريَّان المظلم الذي ليس فيه مطر، يقال: يوم دَجْنٍ ، ويَومُ دُجُنَّة بالتشديد، وكذلك الليلة على الوجهين بالوصف والإضافة. يعني: في حالة تراكم غيم الحوادث، وانطباق ظلماتها على قلوب الغافلين، وأبصارهم فتعلّم اعتناء الحقّ تعالى بك.

٧٠٨- كَذَا كُنْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنِيَ مُسْبِلاً حِجَابَ الْتِبَاسِ النفس فِي نُوْرِ ظُلْمَتِي

٧٠٩- لِأَظْهَرَ بِالتَّدْرِيجِ لِلْحِسِّ مُؤْنِسَاً لَهَا فِي ابْتِدَاعِي دُفْعَةً بَعْدَ دُفْعَةِ[1]

(**كذا**): أي مِثلَ ذا الاحتجاب، والاكْتِنان المتقدّم ذكره بالمفهوم من قوله (**لكن بحجب الأكنّة**). وقوله (**كنت**): أي وجدت كذلك في الزمان الماضي، ثمّ بيّن ذلك الحال الذي/[٢٧٦/ب] كان عليه بقوله (**ما بيني وبيني**): أي بيني من حيث نفسي المدّعية الغيريّة، وبيني من حيث نفسي الحقيقيّة القائمة على نفسي الأولى الوهميّة بما كسبت، كما قال سبحانه: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [٣/آل عمران/ ٣٩] يعني: من خير أو شرّ. وقوله (**مُسْبِلاً**): بصيغة اسم الفاعل، حال من التاء في كنتُ إنْ كانت (**كان**) تامّة، وخبرها إنْ كانت ناقصة. وأَسبَلَ الستر: أرخاه. وقوله (**حجاب التباس النفس**): أي تلبّسها على بصيرتي بغَيْرِيَّتها. وقوله (**في نور ظلمتي**): أي وجود عدمي؛ فإنّ النور الحقيقيّ هو الوجود الحقّ، والظلمة الحقيقيّة هي العدم الصرف، ونور ظلمته هو الذي التبست به، فلو انمحت ظلمته كما هي ممحوَّة في نفس الأمر ظهر له أنّه هو النور الحقيقيّ لا غير، وقوله (**لأظهر**): معنى من حالة الالتباس. وقوله (**بالتدريج**): أي شيئاً فشيئاً، قال في المصباح: «دَرَّجْتُهُ إلى الأمر تَدْرِيجاً فَتَدَرَّجَ، واسْتَدْرَجْتُهُ: أَخذته قليلاً قليلاً». وقوله (**للحسّ**): أي بحيث يصير محسوساً عندي. وقوله (**مُؤْنِساً**): بصيغة اسم الفاعل:

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلةً على مؤلِّفه رضي الله عنه.

حال من فاعل أظهر، وهو الضمير المستتر فيه، من آنسته: إذا أزلت عنه الوحشة. وقوله (**لها**): للنفس الأولى الوهميّة. وقوله (**ابتداعي**): يقال: ابْتَدَعْتُ الشيءَ إذا اسْتَخْرَجْتُهُ وأحْدَثْتُهُ. ومنه قيل للحالة المُحْدَثَة: بِدْعَة، ذكره في المصباح. أي: في مخالفة العادة، فإنّ ذلك عند النفس بمنزلة الابتداع. وقوله (**دُفعة بعد دُفعة**): بيان للتدريج المذكور.

٧١٠- قَرَنْتُ بِجِدِّي لَهْوَ ذَاكَ مُقَرِّباً لِفَهْمِكَ غَايَاتِ المَرَامِي البَعِيْدَةِ

٧١١- وَيَجْمَعُنَا فِي المَظْهَرَيْنِ تَشَابُهٌ وَلَيْسَتْ بِحَالِي حَالُهُ بِشَبِيْهَةِ

(**قَرنتُ**): أي جمعت. وقوله (**بجدِّي**): جَدَّ في كلامه جَدّاً، من باب ضرب: خلاف هَزَلَ، كذا في المصباح. أي: بالجِدِّ الذي أنا فيه وقوله (**لهو ذاك**): أي الغافل المحجوب، المشار إليه بقوله في البيتين قبله (**كذا كنت ما بيني وبيني... إلى آخره**)؛ فإنّه قائم في لهو وغرور، ومتقلّب في خداع وشرور. ولكن أخبر الناظم أنّه قرن الجِدَّ الذي هو فيه، وساوى بينه وبين اللهو الذي في ذلك الغافل المغرور، وحكم بتساويهما من جهة أنّهما حالتان صادرتان عن فاعل واحد بهما تجلّيه، وفيهما تدلّيه، وعنهما تعاليه، وإليهما تدانيه. وقوله (**مُقَرِّباً**) بصيغة اسم الفاعل حال من فاعل قرنتُ، وهو تاء المتكلِّم. وقوله (**لفهمك**): متعلّق بمقرِّباً، والخطاب للسالك. وقوله (**غايات**): مفعول مقرِّباً. وهي جمع غاية، والغاية منتهى الشيء. وقوله (**المرامي**): جمع مرمى. وهو موضع الرمي، أي: الرمي بالتوجّه القلبيّ، وهو المقصد؛ يعني: المقاصد التي يقصدها الكاملون من الرجال في معرفة الله تعالى، ومعاني تجلّياته. وقوله (**البعيدة**): أي عن الأفهام، بحيث لا تخطر في العقول القاصرة والأوهام. وهذا التقريب حصل من الناظم قدّس الله سرّه بضرب الأمثال، والتصريح بمعاني تجلّيات ذي الجلال، و تجلّي الذات المقدّسة بالصفات والأسماء والأفعال. وقوله (**ويجمعنا**): أي أنا وذلك الغافل المغرور، المشار إليه بالمعنى المذكور. وقوله (**في المظهرين**): أي مظهري الذي هو أنا، ومظهره الذي

هو ذلك الغافل المذكور، والمظهر: ما به الظهور، أي: آلة الظهور؛ فإنّ الأثر بمنزلة الآلة لظهور المؤثر، فالآثار مظاهر المؤثّر، أي: بها ظهوره لدلالتها عليه، وإشارتها إليه. إنّ آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار، قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [٣٠/ الروم/ ٥٠]. وقوله **(تشابه)**: أي مشابهة بيني وبينه في المظهريّة للوجود الحقّ تعالى. وقوله **(وليست بحاله)**: أي حال ذلك الغافل المذكور. وقوله **(بشبيهة)**: خبرليس/ [٢٧٧/ أ] يعني: حاله لا تشابه حالي من جهة الحكم الإلهيّ والصنع الربّانيّ، والجعل الصمدانيّ، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [٦٨/ القلم/ ٣٥- ٣٦]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [٣٨/ ص/ ٢٨] .والحكمة بالفرق بين الفريقين في هذا الكلام القديم هي: التصريح بالجعل في فريق السعداء بقوله ﴿أَفَنَجْعَلُ﴾ لأنّ جعله تعالى إيّاهم كذلك ظاهر عندهم، وعدم التصريح بالجعل في الفريق الآخر لعدم ظهور ذلك عندهم؛ فالجعل فيهم مطوي عنهم، فلا يشهدونه، وذلك سبب تأخّرهم عن الفريق الأول.

٧١٢- وَأَشْكَالُهُ كَانَتْ مَظَاهِرَ فِعْلِهِ بِسِتْرٍ تَلَاشَتْ إِذْ تَجَلَّى وَوَلَّتِ

٧١٣- وَكَانَتْ لَه بِالفِعْلِ نَفْسِي شَبِيْهَةً وَحِسِّيَ كَالإِشْكَالِ[1] وِاللَبْسُ سُتْرَتِي

(وأشكاله): أي أشكال ذلك الواحد الحقّ، الذي هو فاعل بمفرده لكلّ الذي شاهدته كما سبق في البيت المتقدّم. والأشكال: بفتح الهمزة، جمع شكل، وهي آثاره الصادرة عنه تعالى، من حيث تجلّيه بأسمائه وصفاته. وقوله **(كانت مظاهر فعله)**: جمع مظهر لظهور أفعاله تعالى بها. وقوله **(بِسِتْر)**: أي بتغطية عن مَن يشاء تعالى. وذلك الستْر هو عين الأشكال المذكورة. وقوله **(تلاشت)**: أي اضمحلّت

(١) في (ق): أشكاله.

وفنيت تلك الأشكال المذكورة. وقوله (**إذْ**): أي حين. وقوله (**تجلَّى**): أي انكشف عزّ وجلّ للعقل والحسّ. وقوله (**وولَّتِ**): بكسر التاء للقافيّة، أي: زالت بالكليّة تلك الأشكال المذكورة؛ فإنّ الحقّ إذا ظهر زهق الباطل، وهو كلّ ما سوى الحقّ، إنْ الباطل كان زهوقاً في نفسه، ظهر الحقّ أو لم يظهر. وقوله (**وكانت له**): أي للحقّ تعالى بالفعل، أي: بسبب نسبة الفعل، والاتّصاف بالصفات، والتسمّي بالأسماء. ولم يذكر الفعل لأنّه هنا في بيان مقام الأفعال، ولانّه بالأفعال تظهر الصفات والأسماء، وتتفصّل معانيها، فكأنّ الفعل جامع لها. وقوله (**نفسي**): اسم كان. وقوله (**شبيهة**): خبر كان، فإنّه كما تنسب الأفعال كلّها إلى الحقّ تعالى حقيقة عقلاً وشرعاً تنسب أفعال الإنسان إلى الإنسان حقيقة أيضاً عقلاً وشرعاً، وإنْ كان الله تعالى خالق كلّ شيء، وهو الخالق للإنسان ولأفعاله أيضاً؛ فإنّه تعالى ما خلق أفعال الإنسان إلّا للإنسان؛ فهي منسوبة إلى ما هي له، لا إلى غيرما هي له، حتّى تكون نسبتها مجازيّة. وباعتبار هذه المشابهة ورد في الحديث: «إنّ الله خلق آدم على صورته»[1] وقد استخلف تعالى آدم في الأرض بنصّ القرآن. وكذلك غيرآدم من بَنِيه؛ بل كلّ بَنِي آدم، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور/٣٤/ ٥٥] والخليفة شبيه بالمُستخلِف له في الأمر والنهي، وتصاريف الأفعال. وقوله (**وحِسِّي**): أي قوّتي التي أحسّ بها في إدراك المحسوسات. وقوله (**كالإشكال**): بكسر الهمزة، مصدر أشكل الأمر: التبس. يعني: تلتبس عليّ أموري بسبب إحساسي بها فاشهد مغايرتي لخالقي واستقلالي في نفسي. وقوله (**واللبس**): أي الالتباس العقلي التابع للالتباس الحسيّ. وقوله (**سترتي**): أي هو حجابي الذي أنا محتجب به عند نفسي وعند غيري أيضاً، فلا تظهر حقيقتي لي إلا إذا زال حسِّي، وتعطّل إدراك عقلي للمحسوسات والمعقولات، من حيث هي محسوسات

---

(١) انظر تخريجه في ص٧٥٩.

ومعقولات وأغيار للمتجلّي الحقّ بها عند الحسّ والعقل، قال القائل:

البَحر بحر على ما كان في قدم إنّ الحوادث أمواج وأنهار

لا تحجبنّك أشكال تشاكلها عمّن تشكّل فيها فهي أستار/[٢٧٧/ب]

٧١٤- فَلَمَّا رَفَعْتُ السِّتْرَ عَنِّي كَرَفْعِهِ بِحَيْثُ بَدَتْ لِي النَّفْسُ مِنْ غَيْرِ حُجْبَةِ

٧١٥- وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ الشُّهُوْدِ فَأَشْرَقَ الوُجُوْدُ وَحَلَّتْ بِي عُقُوْدُ أَخِيَّةِ

٧١٦- قَتَلْتُ غُلَامَ النَّفْسِ بَيْنَ إِقَامَةِ الـ ـجِدَارِ لِأَحْكَامِي وَخَرْقِ سَفِيْنَتِي

(**فلمّا**): الفاء للتفريع على ما قبله. وقوله (**رفع السِتر عنّي**): وهو ستر اللَبس في قوله (**واللَبس سُترتي**) في البيت السابق. وقوله (**كرفعة**): أي مثل رفع الحقّ تعالى السِتر عنه؛ بحيث يظهر سبحانه وتعالى لنفسه فلا، يعرفه سواه، ولا يظهر إلّاإيّاه. وقوله (**بحيث بدت**): أي ظهرت. وقوله (**لي**) متعلّق ببدت. وقوله (**النفس**): أي نفسي، فاعل بدت. وقوله (**من غير حجبة**): أي احتجاب عنّي، وهو معرفته بنفسه، المستلزم لمعرفته بربّه، كما ورد: من عرف نفسه فقد عرف ربّه. وقوله (**وقد**): الواو للحال، وجملة قوله (**قد طلعت شمس الشهود**): في محل نصب على أنّها حال من النفس، أي: حال كون نفسي طالعة شمس شهودها، أي: معاينتها للظاهر بها، المتجلّي بها، وهو الحقّ تعالى. وقوله (**فأشرق الوجود**): أي وجود الكائنات كلّها بذلك النور الحقّ الواحد الأحد، فلا أرى شيئاً محسوساً، ولا يخطر في عقلي شيء معقول إلّا وأرى ذلك النور مشرقاً به. وقوله (**وحلّت**): بضمّ الحاء المهملة، وتشديد اللام من الحل ضدّ العقد. وقوله (**بي**): أي بقوّة نفسي التي ظهرت حقيقتها. وقوله (**عقود**): جمع عقد، وهو ما تعقد من الأمور والأحوال، واختلط بحيث لم يكن متميّزاً عندي. وقوله (**أخيّة**): بالخاء المعجمة وتشديد الياء التحتيّة، وأصلها المدّ على الألف، وإنّما خُففت للوزن، قال في المصباح: «الآخِيَّة بالمدّ والتثقيل: عُرْوَة تُربط إلى وَتِدٍ مدقوق وتشدّ فيها الدابة، وأصلها: فاعولة،

والجمع: الآواخِيّ بالتشديد [للتشديد]، وبالتخفيف للتخفيف. وقال في الصحاح: «والأخيّة أيضاً: الحُرْمَة والذِّمَّة، تقول لفلان أواخٍ وأسباب ترعى». وهذه العقود المذكورة إمّا لربط نفسه بمنزلة الدابّة، أو لحرمتها عنده. فإذا انحلت انطلقت نفسه من قيود أوهامها، وسرحت عن بيوت أفهامها. وقوله (**قتلت**): جواب لما. وقوله (**غلام النفس**): أي نفسي التي هي بمنزلة الغلام الصغير الذي لا تمييز عنده. وقوله (**بين إقامة الجدار**): جدار الأسباب الشرعيّة الموضوعة بالوضع الإلهيّ. أو جدار العبوديّة الفارق بين العبد والربّ؛ فالربّ لا عبوديّة له، والعبد لا ربوبيّة له. وقوله (**لأحكامي**): أي لأجل الأحكام اللازمة علي المتوجّهة إلي. وقوله (**وخرق وسفينتي**): أي سفينة دعواي الاسقلال بنفسي، والانفراد بأحوالي، وأعمالي، وأقوالي. مع أني سائر في بحر الأسماء الإلهيّة بالقدرة والإرادة الربّانيّة، ولنا في هذا القبيل مواليا:

غلام نفسك بنفسك فاقتلوا يا شمس　　　واطمس وجودك بأنوار التجلّي طمس

وإنْ خرقت سفينة بحر أمر وهمس　　　أقم جدار الشريعة والصلاة الخمس

٧١٧- وَعُدْتُ بِإِمْدَادِي عَلَى كُلِّ عَالَمٍ　　　عَلَى حَسَبِ الأَفْعَالِ فِي كُلِّ مُدَّةِ

(**وعدت**): أي رجعت كما كنت. وقوله (**بامدادي**): أي بالإمداد الذي كنت عليه من حيث حقيقتي الوجوديّة التي أنا موجود بها في ظاهري وباطني. وأنا لا شيء بالنسبة إليها؛ فما ثَمَّ في الوجود غيرها، فهي تمدني، وتمدّ كلّ ما هو سواي من الأشياء، كما قالت بلسان النزول في الحروف والأصوات: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ﴾/ [٢٧٨/ أ] عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [١٧/الإسراء/ ٢٠] وقوله (**على كلّ عالَم**): بفتح اللام، أي: جنس من أجناس المخلوقات، قال في المصباح: «العالَم بفتح اللام: الخَلْق، وقيل: يختصّ بمن يعقل، وجمعه بالواو والنون». وقال في الصحاح: «العالَم: الخَلْق، والجمع: العَوَالِم. والعَالَمُون أصناف

الخلق». وقوله (**على حسب الأفعال**): أي أفعال الله تعالى الجارية في خلقه على ما هي عليه في نفسها. وقوله في كلّ مدّة من المدد الماضية، وفي الحال وفي الاستقبال.

٧١٨- وَلَولَا احْتِجَابِي بِالصفَاتِ لَأُحْرِقَتْ   مَظَـاهِرُ ذَاتِي مِـنْ سَـنَا سُـبُحِيَّتِي

(**ولولا احتجابي**): أي استتار وجودي الحقيقيّ الذي ذكرناه في البيت قبله عن بصائر الخلق وعن أبصارهم. وقوله (**بالصفات**): جمع صفة، أي: صفات الوجود الحقّ المذكور التي هي صفات الذات، وهي الصفات السبعة المعنويّة: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وصفات الأفعال التي لايبلغها الإحصاء كالتخليق، والترزيق، والإحياء، والإماتة، والإعزاز، والإذلال، والإعطاء، والمنع، والضرّ، والنفع إلى غير ذلك؛ فإنّ هذه الصفات تقتضي آثاراً تكون لها، وما ثَمَّ غير الوجود الحقّ، فتعلّقت تلك الصفات لإظهار آثارها بما كشف عنه العلم القديم من الممكنات العدميّة، القابلة للاتّصاف بالوجود على حسب ما هي مرتّبة عليه في إمكانها المتّصفة به لذاتها، فقبلت ذلك الاتّصاف بالوجود، فيما لا يزال؛ فظهرت موجودة، فسترت الوجود الحقّ، فاحتجب بها عن البصائر والأبصار. ثمّ قال لأُحرقت بالبناء للمفعول. وقوله (**مظاهرُ**): جمع، وهو ما به الظهور، ضدّ الخفاء. وذلك هو أصناف العوالم المذكورة. وقوله (**ذاتي**): أي ذات الوجود الحقّ المذكور. وقوله (**من سنا**): أي ضياء، قال في المصباح: «السَّنَا بالقصر: الضوء. والسناء بالمدّ : الرفعة». ويمكن أنْ يكون هنا ممدود، أقصر للوزن. ومعناه الرفعة. وقوله (**سُبُحِيَّتِي**): بتشديد الياء التحتيّة مأخوذ من سبحات الوجه، وأصله من التسبيح، وهو التنزيه والتقديس، وسبحان الله، تَنْزِيهًا لله عن الصاحبة والولد، مَعْرِفَة، ونصبه على المصدر أي: أُبَرِّئُ اللهَ عن السُوْءِ بَرَاءَةً. أو معناه: السرعة إليه، والخِفَّة في طاعته. وسبّح تسبيحاً قال: سبحان الله وسُبُّوحٌ قدّوس. ويفتحان: من صفاته تعالى، لأنّه يُسَبَّح ويُقَدَّس. والسُّبُحَات بضمّتين: موضع السجود. وسُبُحَاتُ وَجْهِ الله: أنواره، كذا في القاموس. وقال في الصحاح:

«وقولهم: سُبُحَاتُ وَجْهِ رَبِّنا بضمّ السين والباء، أي: جلالته». وأصل ما في النظم قوله صلّى الله عليه وسلَّم: «إنّ لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سُبُحُات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[1]، وحجب النور هي الروحانيّة، وحجب الظلمة هي الجسمانيّة.

٧١٩- وَأَلْسِنَةُ الأَكْـوَانِ إِنْ كُنْـتَ وَاعِيَـاً شُـهُوْدٌ بِتَوْحِيْـدِي بِحَـالٍ فَـصِيْحَةِ

(وألسنة): جمع لسان، وأصله آلة النطق، وقد يطلق على اللغة. وقوله (**الأكوان**): جمع كون، بمعنى: المكوِّنات، والكلّ ناطق بحكم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصلت/ ٢١] وكلّ ذلك تسبيح وتقديس قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٤٤] وقوله (**إنْ كنت واعياً**): جملة معترضة بين المبتدأ والخبر. قال تعالى:﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [٦٩/ الحاقّة/ ١٢]. وقوله (**شهود**): خبر وقوله وألسنة، و(**الشهود**): جمع شاهد. يقال: شهدتُ الشيء: اطلعت عليه، وعاينته. وشهد بكذا شهادة، إنّما تعدى بالباء؛ لأنّه بمعنى أخبر به، ولهذا قال ابن فارس: الشهادة: الإخبار بما قد شوهد/ [٢٧٨/ ب] كما في المصباح. وقوله (**بتوحيدي**): أي بتوحيد حقيقتي الوجوديّة المذكورة، أي: التصريح بوحدانيَّتها، وأنّها واحدة لا شريك لها، ولا موجود غيرها إلّا بوجودها. وقوله (**بحال فصيحة**): أي مُصرِّحة بذلك، قال القائل:

وفي كـلّ شيء لـه آيـة تـدلّ علـى أنّـه واحـد

وفي البيت إشارة إلى أنّ تلك الشهادة بلسان الحال من كلّ شيء من الأكوان، لا بطريق النطق والبيان، وهو عند قوم من أهل العرفان. وقد ورد: «يشهد للمؤذِّن مدّ صوته من رطب ويابس»[2]. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾

---

(١) أخرجه المتّقيّ الهنديّ في كنز العمال، باب: الإكمال من العظمة، ٢٩٨٤٦، بلفظ: «إنّ دون الله عزّ وجل سبعين ألف حجاب من نوروظلمة. وما تسمع نفس شيئاً من حسن تلك الحجب إلّا زهقت».

(٢) انظر تخريجه ص١١٦١.

[٤٠/ غافر/ ٥١] وقال تعالى: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصّلت / ٢٠-٢١] فدلّ على أنّ هذه الشهادة بالنطق.

٧٢٠- وَجَاءَ حَدِيْثٌ بِاتِّحَادِيَ ثَابِتٌ رِوَايَتُهُ فِي النَّقْلِ غَيْرِ ضَعِيْفَةِ

٧٢١- يُشِيْرُ بِحُبِّ الحَقِّ بَعْدَ تَقَرُّبٍ إِلَيْهِ بِنَفْلٍ أَوْ أَدَاءِ فَرِيْضَةِ

٧٢٢- وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِ الإِشَارَةِ ظَاهِرٌ بِكُنْتُ لَهُ سَمْعاً كَنُوْرِ الظَّهِيرَةِ

(وجاء): أي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقوله **(حديث)**: أي خبر، وارد، صحيح. أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق عن محمّد بن عثمان، حدّثنا خالد بن مَخْلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمير، عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبد بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصربه، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. ولئن سألني لأعطينّه. ولئن استعاذني لأُعيذنّه. وما ترددت في شيء أنا فاعل تردّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»[١] هذا هو الحديث بطوله. وقوله **(باتّحادي)**: أي مع حقيقتي الوجوديّة التي أنا موجود بها بعد فناء المغايرة الرسميّة الوهميّة العدميّة. وقوله **(ثابت)**: وصف لحديث، أي: هو خبر صحيح الإسناد. وقوله **(روايته)**: أي عن المشايخ الراوين له. وقوله **(في النقل)**: أي في نقله عن بعضهم بعضاً إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقوله **(غير ضعيفة)**: خبر روايته. وقوله **(يشير)**: أي ذلك الحديث. وقوله **(بحبّ)**: أي محبّة. وقوله **(الحقّ)**: أي الله تعالى للعبد. وقوله **(بعد تقرّب)**: أي قصد القربة من ذلك

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

العبد. وقوله (**إليه**): أي إلى الحقّ تعالى، لا بقصد الجزاء منه تعالى بالجنّة، أو بعدم إدخال النار، والنجاة في الدنيا، أو في يوم القيامة. وقوله (**بنفل**): متعلّق بتقرّب. والنفل: هو الزيادة على الفرض من أنواع العبادات والطاعات. وقوله (**أو أداء**): أي تأدية فريضة، أي: مفروضة على العبد المكلّف. وقوله (**وموضع تنبيه الإشارة**): أي المحلّ الذي هو تنبيه الإشارة في قوله الحديث المذكور. وقوله (**ظاهر**): أي لا يخفى. وقوله (**بِكُنْتُ**): أي بلفظ كنت في الحديث المذكور. وقوله (**له**): أي لذلك العبد المتقرِّب. وقوله (**سمعاً**): أي يسمع بالحقّ تعالى، لا بما يسمِّيه سمعه. وقوله (كنور): أي مثل نور، متعلّق بظاهر. وقوله (**الظهيرة**): أي الهاجرة. وذلك حين تزول الشمس، كذا في المصباح. فإنّ الحقّ تعالى إذا كان سَمْعَ العبد، وبصره، ويده، ورجله، كما ورد في هذا الحديث الصحيح المذكور كان العبد يسمع به، ويبصربه، ويبطش به، ويمشي به، على معنى أنّ السمع والبصر والبطش والمشيَ صادر من الحقّ تعالى، لا من العبد؛ لأنّه فعله تعالى؛ وإنّما هو منسوب/ [٢٧٩/ أ] إلى العبد ظاهراً نسبة شرعيّة؛ فالاتّحاد بالفاعليّة لازم على كلّ حال، وإليه تعالى المرجع والمآل.

٧٢٣- تَسَبَّبْتُ فِي التَّوْحِيدِ حِتَّى وَجَدْتُهُ ... وَوَاسِطَةُ الأَسْبَابِ إِحْدَى أَدِلَّتِي

٧٢٤- وَوَحَّدْتُ فِي الأَسْبَابِ حَتَّى فَقَدْتُهَا ... وَرَابِطَةُ التَّوْحِيدِ أَجْدَى وَسِيلَةِ

٧٢٥- وَجَرَّدْتُ نَفْسِي عَنْهُمَا فَتَوَحَّدَتْ ... وَلَمْ تَكُ يَوْمَاً قَطُّ غَيْرَ وَحِيدَةِ

(**تسببت**): أي تعاطيت السبب، قال في المصباح: «السَبَب: الحَبْل، وهو ما يُتوصَّل به إلى الاستعلاء. ثمّ استعمل لكلّ شيء يُتوصَل به إلى أمر من الأمور، فقيل: هذا سبب هذا، وهذا مُسَبَّبٌ عن هذا». وقوله (**في التوحيد**): متعلّق بتسببت، أي: توحيد الحقّ تعالى، التوحيد الحقيقيّ الذي لا يبقى معه غيره تعالى. وقوله (**حتّى وجدته**): أي كشفت عنه ذوقاً ووجداناً، لا فهماً واستبياناً، ودليلاً

وبرهاناً؛ فإنّ الوجدان كناية عن التحقّق بفناء النفس وما يتبعها من الجسم، والروح، والعقل، فيجد كلّ ذلك. بل كلّ العوالم العلويّة والسفلية فانية، عدميّة، غير متّصفة بالوجود أصلاً، لا في ابتدائها، ولا في انتهائها. ويجد الوجود الحقّ الحقيقيّ الحقّ قائماً بنفسه على ما هوعليه أزلاً وأبداً. وقد فنيَ فيه الكمَّ كلّه والكيف كلّه، والأماكن كلّها، والأزمنة كلّها، والأفعال كلّها، والانفعالات كلّها، والحركات كلّها، والسكنات كلّها، ولا يعلم ما هو إلّا هو. وقوله (**وواسطة الأسباب**): جمع سبب، وهو ما ذكرنا. أي: توسّطها بيننا وبين وجدان التوحيد المذكور، حيث جعلناها وسيلة إلى حصوله حتّى حصل لنا. وقوله (**إحدى أدلّتي**): أي واحدة من الأدلّة التي استدلينا بها على تحصيل ذلك التوحيد المذكور، ووجدان الحقّ تعالى عند الأسباب. لأنّه المؤثر بالأسباب في مسبَّباتها؛ فالمسبَّبات آثاره تعالى، لا آثار الأسباب كما أشرنا إلى ذلك بقولنا من أبيات:

لا النـــار تحـــرق إلّا عنـــد محتجـــب أعمى ولا تقطع الجرم السكاكين

وإنّـــما هـــي أســـباب مرتَّبـــة عنـدي لفاعلهـا المختـار تعيين

وقوله (**ووحدت في الأسباب**): أي وجدت ذلك الوجود الحقّ الواحد ظاهراً في الأسباب أيضاً. وقوله (**حتّى فقدتها**): أي فقدت الأسباب، أي: فلم أجدها لفنائها في وجوده الحقيقيّ المذكور. وقوله (**رابطة التوحيد**): أي ما ربط عليه القلب من معنى التوحيد الحقيقيّ. وقوله (**أجدى وسيلة**): بالجيم، أي: أنفع وسيلة أتوسّل بها، قال في المصباح: «وَسَلْتُ إلى الله بالعمل أَسِلُ، من باب وعد: رَغِبْتُ وتقرّبت. ومنه اشتقاق الوَسيلة، وهي ما يُتَقَرَّب به إلى الشيء. والجمع: وَسائل. وتَوَسَّل إلى ربّه بوَسِيلَة: تقرّب إليه بعمل». والمعنى: إنّ ما ربط عليه القلب، وعقد من عقيدة التوحيد الحقيقيّ المذكور كان وسيلة نافعة لي، أبلغ نفع في الوصول إلى حقيقة الهويّة الإلهيّة، والتحقّق بآثارها ومظاهرها الكونيّة. ثمّ قال (**وجرّدت نفسي**): أي خلصتها وأفردتها وحدها. وقوله (**عنها**): أي عن أسباب

التوحيد الحقيقيّ المذكور، وعن المسبّب الذي هو ذلك التوحيد المذكور، لأنّي وجدت الأسباب والمسبّبات كلّها آثار الوجود الحقّ الحقيقيّ. وكلّ ما سواه فانياً،عدماً، مُقدّراً بتقديره تعالى. فعند ذلك جرّدت نفسي عن ذلك كلّه. ثمّ قال (**فتوحّدت**): أي نفسي بنفسها، لا بتوحيد موحِّد منّي، ولا من غيري. وهذا هو المعنى الذي أشار إليه الشيخ العارف الكامل أبو عبد الله الأنصاريّ الهرويّ، قدّس الله سرّه في آخر كتابه «منازل السائرين» من الأبيات الثلاثة، وهي قوله:

ما وَحَّد الوَاحِدَ من واحِدٍ إذ كُلُّ من وَحَّدَهُ جاحد/ [٢٧٩/ ب]

توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد

توحيده إيّاه توحيده ونعت من ينعتُهُ واحد

وقوله (**ولم تك**): أصله تكن، فحُذفت النون تخفيفاً، أي: نفسي التي أشار إليها هنا. وقوله (**يوماً**): أي في وقت من الأوقات. وقوله (**قطُّ**): يقال: ما فعلته قطُّ، أي: في الزمان الماضي، بضمّ الطاء المهملة مشدّدة، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «ما رأيته قطُّ، ويُضمّ ويخفّفان. وقطٍّ مشدّدة مجرورة بمعنى الدهر، مخصوص بالماضي، أي: في ما مضى من الزمان، أو في ما انقطع من عمري». وهنا دخلت على الماضي في المعنى؛ لأنّها لم دخلت على المضارع فقلبت معناه ماضياً. فمعنى لم تكن ما كانت. وقوله (**غير وحيدة**): أي هي واحدة في الأزل وفي الأبد على ما هي عليه.

٧٢٦- وَغُصْتُ بِحَارَ الجَمْعِ بَلْ خُضْتُهَا عَلَى انْـ ـفِرادِيَ فَاسْتَخْرَجْتُ كُلَّ يَتِيمَةِ

٧٢٧- لَأَسْمَعَ أَفْعَالِي بِسَمْعِ بَصِيْرَةٍ وَأَشْهَدَ أَقْوَالِي بِعَيْنٍ سَمِيْعَةِ

(**وغُصّت**): يقال غاصَ على الشيء غَوْصاً من باب قال: هَجَم عليه، فهوغائِصٌ، وغَوّاص أيضاً مبالغة. وغاص في الماء لاستخراج مافيه. ومنه قيل: غاصَ على المَعاني، كأنّه بلغ أقصاها حتّى استخرج ما بَعُدَ منها، كذا في المصباح. وقوله (**بحار**): مفعول غصّت، وهي جمع بحر. وقوله (**الجمع**): أي الاجتماع على

الحقّ تعالى في قيامه على كلّ شيء، وقيّوميّته لكلّ شيء، ولا شيء إلّا هو عليه أزلاً وأبداً. وهذا الجمع خلاف الفرق، وهو رؤية الأشياء كلّها قائمة بالحقّ تعالى على الغيب من شهوده، والإعراض عن حقيقة وجوده. ولا بدّ من ملاحظتها معاً في مرتبة الكمال الجامع بين الجلال والجمال. وقوله (**بل خضتها**): أي بحارالجمع، يقال: خاض الرجل الماء يخوضه خوضاً مشى فيه، وخاض في الأمر: دخل فيه، وخاض في الباطل كذلك. وقوله (**على انفرادي**): أي بقيوميّة وجودي الحقيقيّ الواحد الأحد الذي لا وجود غيره. وقوله (**فاستخرجت كلّ يتيمة**): أي كلّ درّة يتيمة منفردة بالكبر والإضاءة واللمعان دون ما عداها من الدرر. قال في المصباح: «درّة يتيمة أي: لا نظير لها ، ومن هنا أطلق اليتيم على كلّ مفرد يَعِزّ نظيرُهُ». وكنّى بكلّ يتيمة عن كل حكمة يلهمه الله تعالى إيّاها من معارف العلوم الإلهيّة وحقائقها. وقوله (**لأسمع أفعالي**): أي جميع ما أفعله في الأكوان من حيث الحقيقة الوجوديّة المذكورة. وفيه إشارة إلى أنّ السمع الإلهيّ عام التعلّق بكلّ موجود بالوجود الحقيقيّ المذكور. وقوله (**بسمع بصيرة**): أي بالسمع المخصوص بالبصيرة، وهي عين القلب؛ فعين القلب تسمع، وتبصر، وتعقل، وتدرك جميع الإدراكات. وقوله (**وأشهد أقوالي**): جمع قول، وذلك جميع الاقوال الكونيّة، سواء كانت أقوال الألسنة، أوأقوال النفوس، أو أقوال الأحوال. وقوله (**بعين**): متعلّق بأشهد. وقوله (**سميعة**): وصف لعين، وهي القلب المذكور من الحيثيّة المذكورة:

٧٢٨- فَـإِنْ نَـاحَ فِي الأَيْـكِ الهَـزَارُ وَغَـرَّدَتْ   جَوَابـاً لَـهُ الأُطْيَـارُ فِي كُـلِّ دَوْحَـةِ

٧٢٩- وَأَطْـرَبَ بِالمِزْمَـارِ مُـصْلِحُهُ عَـلَى   مَنَاسَـبَةِ الأَوْتَـارِ مِـنْ يَـدِ قَيْنَـةِ

٧٣٠- وَغَنَّتْ مِنَ الأَشْعَارِ مَا رَقَّ فَارْتَقَتْ   لِـسِدْرَتِهَا الأَسْرَارُ فِي كُـلِّ شِـذْرَةِ

٧٣١- تَنَزَّهَـتْ فِي آثَـارِ صُـنْعِي مُنَزَّهَـاً   عَـنِ الـشِّرْكِ بِالأَغْيَـارِ جَمْعِي وَأُلْفَتِي

(**فإنْ ناح**): أي سجع، قال في القاموس: «نَوْحُ الحمامة: سَجْعُهَا. وقوله (**في الأيك**): هو الشجر/[٢٨٠/ أ] الملتف الكثير، والغيضة تنبت السِّدْر والأراك، أو

الجماعة من كلّ الشجر، حتّى من النخل. الواحدة أَيْكَة، كذا في القاموس. وقوله (**الهَزار**): وزن كلام، والجمع هَزارات، قال الجوهري في باب العين: «العَنْدَليب هو الهَزار». كما في المصباح. وقوله (**وغَرَّدَتْ**): يقال غَرَّدَ بالتشديد تَغْريداً: إذا طَرَّبَ في صوته، وغنّى به، ذكره في المصباح. وقوله (**جواباً**): تمييز. وقوله (**له**): أي للهزار، أي: من جهة المجاوبة. وقوله (**الأطيار**): جمع طير، فاعل غرّدت. وقوله (**في كلّ دوحة**): وهي الشجرة العظيمة، أي شجرةٍ كانت، والجمع: دَوْح، مثل: تمْرة وتمْر، كما في المصباح. وقوله (**وأطرب**): يقال: طَرِبَ طَرَباً فهو طَرِب، من باب: تَعِب، وذلك خِفَّة تصيبه لشدّة حزن أو سرور، والعامَّة تخصّه بالسرور. وطَرَّبَ في صوته بالتضعيف: رَجَّعَه ومدّه، كذا في المصباح. وأَطْرَبَ مثل: طرّب المشدد. وقوله (**بالمزمار**): وهو ما يُزَمَّر به، يقال: وزَمَرَ يَزْمُرُ ويَزْمِرُ زَمْراً وزَمِيْرَاً، وزَمّرَ تَزْمِيْرَاً غنّى في القصب، كذا في القاموس .وقوله (**مصلحه**): فاعل أطرب. والضمير للمزمار. أي: مصلح المزمار، هو الزَّمَّار، أي: يسويِّه ويعدله للزمر به. وقوله (**على مناسبة الأوتار**): جمع وتر، وأصله للقوس، مثل سبب وأسباب. والمراد هنا أوتار الطنبور والعود ونحو ذلك من آلات الطرب. يعني: على حسب نغماتها. وقوله (**من يد قَينة**): أي مغنيّة، قال في المصباح: «القَيْنَة الأمَة البيضاء، هكذا قيّده ابن السكّيت مَغَنِّيَة كانت أو غير مَغَنِّيَة. وقيل تختصّ بالمغنية». وقوله (**وغنّت**): أي القَينة. وقوله (**من الأشعار**): جمع شِعْر بالكسر، قال: في المصباح: الشعر العربيّ، هو النظم الموزون وحده ما تركّب تركّباً متعاضداً، وكان مقفى، موزوناً، مقصوداً به ذلك. فما خلا من هذه القيود، أو من بعضها فلا يسمّى شعراً، ولا قائله شاعراً؛ ولهذا ما ورد في الكتاب أو السنَّة موزوناً، فليس بشعر، لعدم القصد أو التقفية. وكذلك ما يجري على ألسنة بعض الناس من غير قصد. وقوله (**ما**): أي شعراً، أو الشعر الذي. وقوله (**رقّ**): يقال رَقَّ الشيء يَرِقُّ، من باب ضرب: خلاف غَلُظَ، كذا في المصباح. وقوله (**فارتَقَتْ**): أي صَعِدَتْ

وارتفعت. وقوله (**لِسِدرتها الأسرارُ**) بالرفع: فاعل ارتقت، وضمير سدرتها للأسرار المتأخر لفظاً، المتقدِّم رتبة. والسِّدرة شجرة النَّبْق». والمراد هنا نهاية العالم الكوني من سدرة المنتهى. قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ١٤-١٦] الآية. قال في تفسير المدارك للنسفيّ: الجمهور على أنّ السَّدْرَة شجرة نَبْق في السماء السابعة عن يمين العرش. والمنتهى موضع الانتهاء، أو الانتهاء كأنّها في منتهى الجنّة وآخرها. وقيل لم يجاوزها أحد، وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها. وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء. والأسرار: جمع سرّ، وهو ما خفي عن العقول من المعاني الإلهيّة التي تحصل بطريق الفيض. وقوله (**في كلّ شِذْرَةٍ**): متعلِّق بارتقت. وكنّى بالشذرة عن القطعة من الشعر الرقيق، وأصلها كما قال في القاموس: «الشَّذْرُ قِطَعٌ مِنَ الذَّهَبِ تُلْقَطُ من معدنه بلا إذابة. أو خَرَز يُفَصَّلُ به النَّظْمُ. أو هو اللُّؤْلُؤ الصغار، الواحدة بَهَاءٍ». وقوله (**تنزّهتُ**): من النزهة، قال في المصباح: «قال ابن السكِّيت في: فصل ما تضعه العامّة في غير موضعه: خرجنا نتنزَّهُ إذا خرجوا إلى البساتين، وإنّما التَنزُّه: التباعد عن المياه والأرياف. ومنه: فلان يَتنزَّه عن الأقذار، أي: يباعد نفسه عنها. وقال ابن قتيبة: «ذهب بعض أهل العلم في قول الناس: خرجوا يتنزّهون إلى البساتين أنّه غلط. وهو عندي/ [٢٨٠/ ب] ليس بغلط لأن البساتين في كلّ بلد إنّما تكون خارج البلد، فإذا أراد أحد أنْ أن يأتيَها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت. ثمّ كَثُرَ هذا حتّى استُعملت النُّزْهة في الخُضَرِ والجِنان». هذا لفظه. وقال ابن القوطيّة، والأزهري وجماعة: نزِّهَ المكان، من باب تعِب، ونَزُهَ بالضمّ نَزَاهَةً، فهو نَزِيه. قال بعضهم: معناه: أنّه ذو ألوانٍ حِسانٍ. وقال الزمخشري: أرض نَزِهَةٌ، وذات نُزْهَة، وخرجوا يَتَنَزَّهُون: يطلبون الأماكن النَّزِهَة، وهي النُّزْهة والنُّزَه، مثل: غُرْفة وغُرَف». وقوله (**في آثار**): جمع أثر. وقوله (**صنعي**): أي فعلي من حيث حقيقتي الوجوديّة التي أنا بها موجود، كما قدّمناه.

وقوله (**مُنَزِّهَا**): أي مُبَاعِداً، حال من التاء في تنزّهتُ. وقوله (**عن الشرك**): أي المشاركة. وقوله (**بالأغيار**)جمع غير. وقوله (**جمعي**): مفعول منزّهاً. والجمع: خلاف الفرق، وهو الأمر الجامع الذي لا سواه من كلّ شيء، إذْ كلّ شيء فانٍ مضمحلٌّ، معدوم بعدمه الأصليّ. وقوله (**وأُلْفتي**): بضمّ الهمزة وسكون اللام وبالفاء: من أَلِفْتُهُ إلْفاً، من باب علِم: أَنِسْت به وأحبَبْتُه. والاسم: الأُلْفَة، اسم من الائتلاف: وهو الالتئام والاجتماع. وتآلف القوم: بمعنى اجتمعوا وتحابّوا. وأَلَّفْت بينهم تَأْلِيفاً، كما في المصباح. و(**أُلْفَتي**): ما أَلِفَه من معاني الجمع والتوحيد الحقيقيّ. والمعنى: إنّه إذا سمع شيئاً من المطربات وأصوات الآلات شهد آثار صنعة القديم، وأسرار صبغة العليم، وعاين الأفعال الإلهيّة في بدائع الشؤون، قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [١٥/ الحجر/ ١٩]؛ فالملاهي وآلات اللهو عند الغافل المغرور، وهي المشاهد وآلات الذكر عند صاحب المعرفة والحضور، كما قال العارف ابن غانم المقدسي، قدّس الله سرّه:

ما استماعي من ضاربات المثاني   بل سماعي من واردات المعاني

وللشيخ الكامل محمّد البكري قدّس سرّه :

حدّثْ عن الوَتْرِ أيها الوَتر   من فاته الخُبْر سره الخَبَرُ[1]
يا وتراً حرّكته غانية   لا وأبي ليس ذاك يا وتر

٧٣٢- فَبِي مَجْلِسُ الأَذْكَارِ سَمْعُ مَطَالِعٍ   وَلِي حَانَةُ الخَمَّارِ عَيْنُ طَلِيعَةِ

(**فبي**): الفاء للتفريع على ما قبله، وبي الجار والمجرور متعلّق بـ سَمْع، قُدّم للحصر والاهتمام، أي: بسببي. وقوله (**الأذكار**): أي المجلس الذي يذكر فيه الله تعالى بأنواع الذكر. وقوله (**سَمْعُ مَطالِعٍ**): بالإضافة، أي: سمع إنسان مطالع للمعاني الإلهيّة في كلّ ما يسمع من أنواع ذكر الله تعالى؛ يعني: إنّ بسبب تجلّي

(١) وينسب هذا الشعر للشيخ عبد الغني النابلسي.

وجودي الحقيقيّ الذي أنا به موجود كلّ مجلس ذكر محلّ سمع العارف المطالع لأسرار العرفان، وحقائق الإيقان، وكون المجلس نفس السامع مبالغة في حصول السمع فيه لكلّ عارف محقّق، وهو السمع بالله تعالى، من الله تعالى، قال تعالى في أهل السماع: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [٣٩/ الزمر/ ١٨] وأحسن القول اعتبار جانب الحقّ تعالى فيه، أي: قول كان في أيِّ لغة كانت، من أيِّ قائل كان. وقال تعالى في غير أهل السماع من الغافلين عن الحقّ تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٠٠] أي: لا يسمعون من الحقّ تعالى؛ وإنّما يسمعون من غيره تعالى، وهو الباطل لأن غير الحقّ تعالى باطل، كما قال سبحانه في أهل السماع: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١]. وفي صحيح مسلم/ [٢٨١/ أ] بالسند إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[1]. وقوله (ولي): أي ولأجلي، متعلّق بمحذوف صفة لعين، أي: عين طليعة كائنة لأجل قيّوميتي عليها من جهة وجودي الحقيقيّ الذي أنا وهي، وكلّ شيء موجودون به. وقوله (**حانة الخمّار**): بالإضافة مبتدأ. والحانة: البيت الذي يباع فيه الخمر، والجمع حانات، كذا في المصباح. وقوله (**عين طليعة**): بالإضافة خبر المبتدأ. والعين الباصرة، والطليعة: القوم يُبعثون أمام الجيش، يتعرّفون طِلْع العدو، بالكسر، أي: خبره. والجمع: طلائع، كذا في المصباح. يعني: إنّ حانة الخمار وكذلك كلّ مجلس فسق وضلال وفساد محل عين المراقبة والنظر بالغضب الإلهيّ؛ لاحتمال التوبة والغفران، واحتمال توجّه العقاب والخسران. وكون الحانة عين الطليعة مبالغة أيضاً في كمال توجّه النظر العرفانيّ والاعتبار الربّانيّ.

٧٣٣- وَمَا عَقَدَ الزُّنَّارَ حُكْماً سِوَى يَدِي وَإِنْ حُلَّ بِالإِقْرَارِ بِي فَهْيَ حَلَّتِ

(**وما عَقَد**): أي ربط. وقوله (**الزُّنّار**): بضمّ الزاي وتشديد النون، قال في

(١) انظر تخريجه ص٦٧١.

المصباح: «الزُّنّار للنصارى، وِزان تُفَّاح، والجمع: زنانير. وتَزَنَّر النصرانيّ: شدَّ الزُنّار على وسطه، وزَنَّرته بالتثقيل ألبسته الزنّار». وهو كناية عن بقاء النصرانيّ، وكذلك اليهود، وبقيّة أهل الذمّة على دين الكفر. وقبولهم إعطاء الجزية على الرقاب والخراج على الأراضي بعقد الذمّة عليهم ومعاهدتهم على الامتياز عن المسلمين بعقد الزنّار، وهو خيط يُربط من فوق ثيابهم، كما فعله السلف بهم، ونحو ذلك مما يتميَّزون به عن المسلمين. وقوله (**حُكْماً**): أي من جهة الحكم الشرعيّ. وقوله (**سوى يدي**): يعيني: إنّ يدهم التي عقدوا بها الزنّار هي في الحقيقة يدي لأنّي خلقتها وصرفتها في ذلك الفعل حكماً مِنّي بالذلّ والإهانة عليهم في الدنيا، والعذاب في الآخرة، لأنّهم أفعالي ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٣]. وقوله (**وإنْ حُلّ**): بضم الحاء المهملة وتشديد اللام، من الحَلّ، ضدّ العقد. أي: حَلّ الزنار. أو بفتح الحاء مبنيّاً للمعلوم، أي: حَلّه من عقده، وهو الذمّيّ. وقوله (**بالإقرار**): أي بسبب إقرار ذلك الكافر. وقوله (**بي**): يعني إقراره بوحدانيّة الله تعالى، وأنّه لا شريك له، ولا ولد له، ولا صاحبة له. كناية عن دخوله في دين الإسلام، والإنعام عليه بالسعادة في الدنيا والآخرة. وقوله (**فهي**): أي يدي المذكورة. وقوله (**حَلَّتِ**): بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام وكسر التاء للقافية، يعني: ما حَلَّت زنّارَ الكفر عن الكافر غير يدي التي عقدته أوّلاً. والمعنى: إنّ جميع الكفار، وأفعالهم إنّما ذلك كلّه أفعالي في الحقيقة أخرجتها من عدمها الأصلي التي كانت فيه ممكنة، مفصّلة، مرتّبة على ما هي عليه، مكشوف عنها بالعلم القديم، مراده على طبق ما هي عليه بالإرادة القديمة، مقدور عليها بالقدرة القديمة، ظاهرة بالكلام القديم، الذي ليس بحروف ولا أصوات. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٠] فما تكلّم تعالى فأظهر كلماته الطيّبة وغير الطيّبة؛ وهي الآثار، إلّا بما أراد سبحانه، وما أراد

تعالى من ذلك إلّا ما علم، وما علم إلّا ما الأشياء عليه في أنفسها. وهي معدومة بالعدم الأصليّ؛ فالعلم تابع للمعلوم. والمعلومات هي الأعيان الثابتة في العدم، وعالم الإمكان الذاتيّ كما حقّقناه في كتابنا «التحرير الحاوي على تفسير البيضاوي». قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٤٩] يعني: على جميع المخلوقات. وقوله (بعده): ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ علّق الحكم على أقرب الأسباب، وهو الإرادة؛ لأنّ قبلها سبب الكشف العلميّ، وقبله/ [٢٨١/ ب] سبب أنّهم مهتدون أجمعون. ولو حرف امتناع لامتناع. يعني: لو كنتم مهتدين أجمعين، لعلّكم مهتدين أجمعين، لأرادكم مهتدين أجمعين، لهداكم أجمعين. والمشيئة هي الإرادة.

٧٣٤- وَإِنْ نَارَ بِالتَّنْزِيلِ مِحْرَابُ مَسْجِدٍ فَمَا بَارَ بِالإِنْجِيلِ هَيْكَلُ بِيْعَتِي

٧٣٥- وَأَسْفَارُ تَوْرَاةِ الكَلِيمِ لِقَوْمِهِ يُنَاجِي بِهَا الأَحْبَارُ في كُلِّ لَيْلَةِ

(**وإنْ نار**): أي أنار وأشرق، قال في المصباح: أَنَارَ الصُّبح إنارة: أضاء، ونَار الشيءُ يَنُور نِيَاراً بالكسر: أضاء أيضاً، فهو نَيِّر، وهذا يتعدّى بالهمزة والتضعيف». وقوله (**بالتنزيل**): أي بتلاوة آيات القرآن العظيم. وقوله (**محرابُ مسجدٍ**): فاعل نار. وقوله (**فما بار**): بالباء الموحّدة بعدها ألف وراء، قال في المصباح: «بَارَ الشيءُ يَبُورُ بالضمّ: هلك. وبَارَ الشيءُ بَوَاراً بالفتح: كَسَدَ، على الاستعارة؛ لأنّه إذا تُرِك صار غير مُنْتَفَع به، فأشبه الهالك من هذا الوجه». وقوله (**بالإنجيل**): أي بسبب تلاوة الإنجيل فيه، وهو كتاب عيسى ابن مريم عليه السلام، الذي جاء به من عند الله تعالى بتنزيل جبريل الأمين عليه السلام. وهو الآن منسوخ بالقرآن العظيم. وقد غيَّر القسّيسون والرهبان. وزادوا فيه ونقصوا؛ فلا يجوز الآن قراءته، كما نصّ عليه العلماء. وقوله (**هيكل**): هو بيت للنصارى، وهو بيت عبادتهم. وقوله (**بِيعة**): بكسر الباء الموحّدة، قال في المصباح: «البِيعَة بالكسر للنصارَى، والجمع: بِيَع، مثل: سِدْرَة وسِدَر». والمعنى: وإنْ أشرق محراب المساجد

بقراءة آيات القرآن العظيم لإشراق قلوب المسلمين بأنوار الإيمان فما كَسَدَ، ولا أظلم بيت عبادة النصارى بقراءة كلمات الإنجيل المحرّف المنسوخ في بِيَعِهم وكنائسهم لظلمات قلوبهم بالكفر والضلال؛ فإنّ ذلك كلّه حكم شرعيّ أنزله ذو الإكرام والجلال. وكلّ ذلك فعله من جملة الأفعال. والحكم حكمة بلا جحود ولا جدال، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤١] فكما أنارت المساجد بآيات التنزيل أظلمت الهياكل والبِيَع بظلمات الكفر والتضليل، ولا تأثير لكلّ ما سواه تعالى في شيء من ذلك؛ وإنّما الكلّ أفعاله، وأحكامه، وعقده، وإبرامه، وحلاله، وحرامه. فكما يجب الاعتناء والتعظيم لهؤلاء بسبب جعلهم على الحقّ من جهة الجاعل يجب الاعتناء بهؤلاء أيضاً من جهة الجاعل؛ لأنّه واحد، لا شريك له. وقوله **(وأسفار)**: بالفتح، جمع: سفر بالكسر، وهو الكتاب الكبير، أو جزء من أجزاء التوراة، كما في القاموس. وقوله **(توراة الكليم)**: أي موسى بن عمران عليه السلام. وتوراته: كتابه المنزل عليه بتنزيل جبريل الأمين عليه السلام. وهو الآن منسوخ بالقرآن العظيم، حَرَّفَتْه اليهود وبدلته، وزادوا فيه، ونقصوا منه؛ فلا يجوز قراءته، كما نصّ عليه العلماء؛ فإنّ قوله **(وأسفار)**: معطوف على قوله **(هيكل بِيعة)**: يعني ما بار أيضاً أسفار توراة موسى عليه السلام وإنْ كان منسوخاً، مغيّراً، مبدّلاً، محرّفاً عن مواضعه. وقوله **(لقومه)**: أي قوم موسى عليه السلام. والجار والمجرور صفة أسفار. وقوله **(يناجي)**: جملة في محل نصب حال من أسفار، يقال: نَاجَيْتُه: سارَرْتُه، والاسم: النَجْوى، وتناجى القوم: ناجَى بعضُهم بعضَاً، كذا في المصباح. وقوله **(بها)**: أي بتلك الأسفار؛ يعني: بقراءتها ومدارستها. وقوله **(الأحبار)**: فاعل يناجي، جمع حِبر، بكسر الحاء المهملة وسكون الباء الموحّدة، وهو العالِم، والجمع أحبار مثل حِمْل وأَحْمَال، والحَبْر بالفتح لغة فيه، وجمعه: حُبُور مثل: فَلْس وفُلُوس. واقتصر بعضهم **[ثعلب]** على الفتح، وبعضهم أنكر الكسر، كذا في المصباح. وقوله **(في كلّ ليلة)**: متعلّق بـ(يناجي).

يعني: إنّ ذلك كلّه أفعال الله تعالى، فهي غير مذمومة من حيث أنّها أفعاله، وذلك مشهد أهل العرفان، وإنْ كانت من حيث/ [٢٨١/ أ] أنّها أفعال الكافرين وأحوالهم مذمومة، وهي كفر وضلال بحكم الشرع المحمّديّ، والطريق الأحمديّ.

٧٣٦- وَإنْ خَرَّ لِلْأَحْجَارِ فِي البُدِّ عَاكِفٌ فَلَا وَجْهَ[1] لِلْإِنْكَارِ بِالعَصَبِيَّةِ

٧٣٧- فَقَدْ عَبَدَ الدِّيْنَارَ مَعْنَىً مُنَزَّهٌ عَنْ العَارِ بِالإِشْرَاكِ لِلْوَثَنِيَّةِ[2]

(**وإنْ خرّ**): سقط ساجداً، قال في المصباح: «خَرَّ الشيءُ يَخِرُّ، من باب ضرب: سَقَطَ». وقوله (**للأحجار**): أي المنحوته أصناماً تُعبد من دون الله تعالى. وقوله (**في البُدِّ**) بضمّ الباء الموحدة وتشديد الدال المهملة: بيت الصنم، كذا في القاموس. وقوله (**عاكف**): فاعل خرّ، أي: مواظب على عبادة الصنم، يقال:عَكَفَ عليه عُكُوفَاً: أَقْبَل عليه مُواظِباً، وعَكَفَ القومُ حوله: استداروا، كما في القاموس. وقوله (**فلا وجه**): أي لا جهة، ولا مأخذ، قال في المصباح: «لهذا القول وَجْهٌ، أي: مَأْخَذٌ وجِهَة أُخِذَ منها». وفي نسخة (**فلا تعدُ**): بضمّ الدال المهملة من عَدَا عليه يَعْدُو: ظَلَم وجَاوَزَ الحَدَّ وهو عَادٍ، والجمع عَادُون، كذا في المصباح. وقوله (**للإنكار**): أي جحود ذلك. وقوله (**بالعصبيّة**): أي بسبب التعصّب النفسانيّ، والتقبيح العقليّ الإنسانيّ؛ فإنّ تقبيح ذلك الكفر إنّما هو بمجرّد الشرع الإلهيّ، والحكم الربّانيّ، لا مدخل للعقول فيه؛ فإنكاره بالعصبيّة خروج عن حكم الشريعة المحمّديّة، وهو عدوان على الله تعالى فيما وضعه من الشرائع؛ فإنّ ذلك مجرد حكم إلهيّ. وقوله (**فقد عَبَدَ الدينار معنىً**): أي عبادة في المعنى دون الظاهر؛ لأنّ العبادة معناها التذلّل للمعبود بالانقياد إليه، والخضوع بين يديه، قال في المصباح: «عَبَدْتُ الله أَعْبُدُهُ عِبَادَةً، وهي: الانقياد والخضوع، ثمّ استُعمِل في مَنْ

---

(١) في (ق): تعد.

(٢) في (ق): بالوثنيّة.

اتّخذ إلهاً غير الله وتَقَرَّبَ إليه، فقيل: عابدُ الوَثَن، والشمس، وغير ذلك». وقوله (منزّه): أي إنسان مسلم منزّه، أي: مباعد مقدِّس لله تعالى. وقوله (عن العار): وهو كلّ شيء يَلزَم منه عيب أو سُبَّة. وعَيَّرْتُهُ كذا، وعَيَّرْتُهُ به: قَبَّحْتُهُ عليه، ونَسَبْتُهُ إليه، يتعدّى بنفسه وبالباء على المختار، وبالباء قليلاً فيقال: عَيَّرْتُهُ به، كذا في المصباح. وقوله (بالإشراك): أي الشركة مع الله تعالى في العبادة. وقوله (للوثنيّة): أي النسبة إلى الوثن بالتحريك، قال في المصباح: «هو الصنم، سواء كان من خشب، أو حجر، أو غيره». والمعنى: كيف تنكر عبادة الأصنام بالغرض النفسانيّ، والتعصّب بالتقبيح العقليّ وأنت ترى المسلم المنزّه لربّه عن الشرك في عبادته، يعبد الدرهم والدينار؛ فيذلّ نفسه لذلك غاية الذلّ. وينقاد لذلك ويخضع له. ويتقرّب إلى تحصيل الدرهم والدينار بأقصى ما في وسعه من التقرّبات، وقد سمّى النبيّ صلّى الله عليه وسلم ذلك المعنى عبادة فقال عليه السلام: «تعس عبد الدِّرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك لا انتقش»[١] وهذا أبلغ دعاء عليه من قبيح فعله.

٧٣٨- وَقَدْ بَلَغَ الإنْذَارُ عَنِّيَ مَنْ يَعِي وَقَامَتْ بِيَ الأعْذَارُ فِي كُلِّ فِرْقَةِ

٧٣٩- وَمَا زَاغَتِ الأبْصَارُ مِنْ كُلِّ مِلَّةٍ وَمَا رَاغَتِ الأفْكَارُ مِنْ[٢] كُلِّ نِحْلَةِ

٧٤٠- وَمَا اخْتَارَ[٣] مَنْ لِلشَّمْسِ عَنْ غِرَّةٍ صَبَا وَإشْرَاقُهَا مِنْ نُورِ إسْفَارِ غُرَّتِي[٤]

(وقد بلغ): أي وصل. والواو للحال. وقوله (الإنذار): أبلغته إيّاه، يتعدّى إلى مفعولين، وأكثر ما يُستعمل في التخويف، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ ﴾

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) في (ق): في.

(٣) في (ق): حار.

(٤) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنّة مثواه ومقرّه. آمين».

[٤٠/غافر/ ٣٩] أي: خوفهم عذابه. وقوله (عنّي)/ [٢٨٢/ ب] متعلّق ببلغ. يعني: من حيث حقيقتي الوجوديّة التي أنا بها أنا، كما مرّ. وقوله (من يعي): مفعول بلغ، يُقال: وَعَيْتَ الحديثَ وَعْياً، من باب وَعَدَ: حَفِظْتُه وتَدَبَّرْتُه، كذا في المصباح. وقوله (وقامت بي الأعذار): جمع عُذْر، يقال: عَذَرْتُه في ما صَنَع عَذْراً، من باب ضرب: رفعتُ عنه اللَّوم فهو معذور، أي: غير مَلُوم، والاسم: العُذْر، وتُضَمّ الذال للاتباع، وتُسَكَّن. والجمع: أعذار، كذا في المصباح. وقوله (في كلّ فرقة): بكسر الفاء. قال في المصباح: «الفِرْقَة بالكسر: الطائفة من الناس، وغيرهم. والجمع: فِرَق مثل سِدْرَة وسِدَر». ومعنى البيت: إنّ الإنذار والتخويف منّي للكفار بغضب الله تعالى وعقابه وصل إلى كلّ من يعي كلامي ويفهمه، متابعة لحكم الله تعالى قياماً بشريعته المحمّديّة وسيرته الأحمديّة، وأيضاً قامت بي أعذار كلّ فرقة من فرق الكفر والضلال، لأنّهم كما أخبر تعالى عنهم بقوله لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً. وقال تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٤]. أعذار الجميع قائمة في جميع أحوالهم وأفعالهم شرعاً، كما أخبر تعالى من جهة أنّهم مخلوقون أرواحاً، وعقولاً، ونفوساً، وأجساماً، باطناً، وظاهراً، أحوالاً، وإدراكاً، وأفعالاً، واعتقاداً. والمخلوق لا يقدرعلى شيء أصلاً. ومع ذلك كلّه فهم غير معذورين، وهم ملومون، معاقبون، معذبون، مغضوب عليهم شرعاً أيضاً من جهة حكم الله تعالى العدل، وأمره الفصل؛ لأنّ لهم قدرة غير مؤثّرة في شيء، وإرادة كذلك، وعلماً، وإدراكاً. فهم على أكمل صورة، وأحسن تقويم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٩٥/ التين/ ٤] فهم قائلون للتكليف بالأوامر والنواهي الشرعيّة، لأنّ صورتهم صورة الفاعل المؤثّرة بقدرته كيف ما يشاء ويريد؛ ولهذا قال لهم تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٤٠] وذلك لأنّهم لا يعملون إلّا ما يشاؤون، ولا يشاؤون إلّا ما يشاء الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٣٠] وما يشاء الله سبحانه إلّا ما علم منهم أزلاً

أنّهم فاعلون، لأنّ العلم تابع للمعلوم، كما قدّمناه. فقد علم منهم تعالى أنّهم فاعلون ما هم فاعلوه، فشاء لهم ذلك وأراده، وهو قادر عليه، فخلقه على طبق ذلك، وهو تعالى الملك العادل الذي لا يظلم الناس شيئاً، ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون. وقوله **(فما زاغت الأبصار)**: جمع بصر، قال في المصباح: «البَصَر النور الذي تدرك به الجارحة المُبْصَرَات. والجمع: أبصار، مثل: سِبَب وأسْبَاب، ويقال: زاغت الشمس تَزيغ زَيغاً: مالت. وزاغ الشيء كذلك». وقال في القاموس: «الزَّيْغُ: الشَّكُ، والجَوْرُ عن الحقّ. وقوم زَاغَة: زائغون». يعني: ومع ذلك ما زاغت، ولا مالت جميع الأبصار. وقوله **(من كلّ ملّة)**: أي دين من الأديان؛ لأنّ مقصود الكلّ وجه الله تعالى. ووجهه أينما يولِّي كلّ أحد، كما قال سبحانه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقال أيضاً: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٨٢/ القصص/ ٨٨] وقال أيضاً: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] والهالك الفاني لا وجود له في الحقيقة، وإنْ ظهر بتجلّي وجود الله تعالى عليه؛ فكلّ بصر وكلّ بصيرة لم تزغ ولم تمل عن وجه الله تعالى أصلاً، وإنْ زاغت ومالت إلى ما سواه سبحانه شرعاً فيما وضعه في علمها وكلفها به على حسب ما علمها به، كما ذكرنا. وقوله **(ولا راغت)**: بالراء المهملة، يقال: راغ الرجلُ والثعلب رَوْغَاً ورَوَغَاناً: مالَ وحادَ عن الشيء، كذا في القاموس. وقوله **(الأفكار)**: جمع/ [٢٨٣/ أ] فكر. فاعل. وقوله **(في كلّ نِحْلَة)**: بكسر النون وسكون الحاء المهملة، وهي الدعوى، كذا في القاموس. والمراد: الطائفة من الناس الذين يدّعون اعتقاداً خاصّاً ينتحلونه. والمعنى: إنّ أفكارهم ما زاغت ولا مالت عن وجه الله تعالى أصلاً. وإنْ راغت ومالت شرعاً بحكم ما وضع تعالى في عقولهم ونفوسهم مما أضلّهم به عن الحقّ. وقوله **(وما اختارمن للشمس)**: متعلّق بصَبَا. وقوله (عن غرّة): بالكسر، أي: غفلة وغرور. وقوله **(صبا)**: أي مال إلى دين الصابئة، قال في المصباح: «صَبَأَ من دينٍ إلى دين، يَصْبَأُ، مهموز بفتحتين: خرج؛ فهو صابئ. ثمّ جُعِل هذا اللقب عَلَماً على طائفة من الكفّار، يقال: إنّها

تعبُد الكواكب في الباطن، وتنتسب إلى النصرانيّة في الظاهر، وهم الصابئة، والصابئون. ويَدَّعون أنّهم على دين صابئ بن شيث بن آدم. ويجوز التخفيف بحذف الهمزة فيقال: الصابون، وقرأ به نافع. وقوله (**وإشراقها**): أي الشمس، والواو للحال من فاعل صبا على معنى نقض النفي بإلّا في المعنى. وتقديره: وما اختار من صَبَا للشمس فعبدها عن حصول غرّة منه، وغفلة عن الحقّ، وغرور بها، إلّا والحال: إنّ إشراق الشمس مستفاد من نور انكشاف التجلّي الإلهيّ، وهو قوله (**من نور إسفار**): بكسر الهمزة، يقال: سَفَرَت الشمسُ سَفْراً، من باب ضرب: طَلَعَتْ. ويقال: أَسْفَرَ الصبحُ إسفاراً: أضاء، وأَسْفَرَ الوجه من ذلك إذْ علاه جمال، كذا في المصباح. وقوله (**غُـرّتي**): بضمّ الغين المعجمة، قال في القاموس: الغُرّةُ من الرجل: وجهه، وكلّ ما بَدَا لك من ضَوْء، أو صُبْح فقد بدت غُرَّتُهُ. يعني: إنّ من عَبَد الشمسَ وكان من الصابئة بسبب غفلته وغروره إنّما فعل ذلك لأنّ إشراق الشمس إنّما هو من ظهور نور الحقّ تعالى، وتجلّي وجهه الكريم، قال سبحانه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] فعُبّاد الشمس إنّما عبدوا في الحقيقة ربهم تعالى الذي خلقهم. ولكنهم خالفوا أمره فسجدوا في الظاهر لما نهوا أنْ يسجدوا له، قال تعالى: ﴿ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٣٧] وإنْ كانوا في نفس الأمر إنّما سجدوا له تعالى بحكم قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٥] فالمؤمنون به يسجدون له طوعاً لامتثال أمره تعالى، والكافرون به يسجدون له كرهاً لمخالفة أمره سبحانه. واعلم بأنّ الناظم قدّس الله سرّه إنّما اعتذر عن عبادة الكافرين، وعن كفرهم وضلالهم، وبيّن حقائق أحوالهم، وكشف عن عبادتهم، وحكم بأنّها بحسب قصدهم لله تعالى، فإنّ عُبّاد الأصنام قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾. حتّى يكون حكمنا بكفر الكافرين، وضلال الضالّين مجرّد إيمان منّا، ونصدّق بأحكام ربّنا عليهم بمقتضى الشرائع الإلهيّة، متابعة لله تعالى في ما حكم وألزم. واقتداء بالنبيّ

صلّى الله عليه وسلّم فيما بلغ عن الله تعالى وأنذر. ولا يكون حكمنا بشيء من ذلك بتقبيح عقولنا، وحكم طبيعتنا وأغراض أنفسنا، فنتخلّص من أحكام النفوس والعقول، ووساوس الظنون، وتساويل القياسات الوهميّة. فنحكم في كلّ ما حكمنا بقبحه بمجرّد حكم ربّنا، ومقتضى شريعة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، حاكين ذلك لا متحكّمين؛ لأنّ التحسين والتقبيح عند أهل السنّة والجماعة شرعيّان لا عقليّان، كما تقرّر في كتب الأصول، وإلّا فإنّ الكلّ في حقيقة الأمر حسن، وجميع الأفعال والأحوال من جميع / [٢٨٣/ ب] المخلوقات أمور حسنة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] وفي الحديث: قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيء»[1] ثم إنّه تعالى قبّح ما شأنه ذلك بحكم النهي بلا غرض ولا سبب ولا علّة، كما حسّن ما شأنه من ذلك بحكم الأمر والإباحة، ولا غرض له حامل على ذلك، ولا علّة، ولا سبب؛ فالكمال أن يكون الأمر عندنا كذلك نحكم بما حكم به ربّنا، ولا نعلل شيئاً بشيء أصلاً، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤١] فتنبيه الناظم قدّس الله سرّه على ذلك كلّه من جملة الإرشاد والهداية في سلوك طريق الله تعالى نصحاً للسالكين، وإيضاحاً لسبيل المتّقين.

٧٤١- وَإِنْ عَبَدَ النَّارَ المَجُوسُ وَمَا انْطَفَتْ ... كَمَا جَاءَ فِي الأَخْبَارِ فِي أَلْفِ حِجَّةِ

٧٤٢- فَمَا قَصَدُوا غَيْرِي وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُمْ ... سِوَايَ وَإِنْ لَمْ يُظْهِرُوا عَقْدَ نِيَّةِ

٧٤٣- رَأَوْا ضَوْءَ نُورِي مَرَّةً فَتَوَهَّمُو ... هُ نَاراً فَضَلُّوا فِي الهُدَى بِالأَشِعَّةِ

(**وإنْ عبد النارَ المجوس**): فاعل عبد، والنار مفعوله، والمجوس أمّة من الناس، وهي كلمة فارسيّة وتَمَجَّسَ صار من المجوس. وقوله (**وما انْطَفَتْ**): أي النار؛

(١) انظر تخريجه ص٥٥٦.

لأنّهم يوقدونها بالأحطاب ليلاً ونهاراً. وقوله (**كما جاء في الأخبار**): جمع خبر، يعني ذكر في كتب التواريخ. وقوله (**في ألف حِجّة**): بكسر الحاء المهملة، وهي السَّنة، والجمع: حِجَج، مثل: سِدْرَة وسِدَر، كذا في المصباح. يعني: مضى على النار ألف سنة وهي موقدة، ولم تنطفئ والمجوس يعبدونها، فما قصدوا بعبادتها غير عبادة الحقّ تعالى، وإنْ كان قصدهم عبادة النار، وذلك قوله (**فما قصدوا غيري**): أي عبادة غيري. وقوله (**وإنْ كان قصدهم**): أي المجوس. وقوله (**سواي**): أي عبادة سواي. وقوله (**سواي**): بمعنى غيري، وهي النار؛ فإنّها صورة ظاهرة من تجلّي اسمه تعالى المصوِّر، فقد عبدوا الحقّ تعالى المحتجب عنهم بصورة النار التي صورها تعالى. وقوله (**وإنْ لم يُظهروا**): أي المجوس، بضمّ الياء التحتيّة، من أظهر المتعدِّي. وقوله (**عقد نيّة**): معقودة على إرادة الحقّ تعالى، وهذا بيان حالهم في نفس الأمر، حتّى لا يكون منك يا أيّها السالك التقبيح العقليّ في أفعال الكفّار بمقتضى الطبيعة، فتحكم بقبح كفرهم وضلالهم بحكم الله تعالى الذي لا سبب له ولا علّة إيماناً منك وتصديقاً، لا تعصّباً نفسانيّاً، وتقبيحاً إدراكيّاً، فيكمل الإيمان، ويتمّ منك التحقيق والإيقان، وتكون عبداً ربّانيّاً، لا مولىً نفسانيّاً، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [٣/آل عمران/ ٧٩] الآية، ثمّ أيد ما ذكره من الاعتذار عن هؤلاء الكفار ليقوى عند المؤمن نفي التقبيح العقليّ، ويثبت عنده الحكم الإلهيّ المنزّه عن التعليل، وعن السبب بقوله (**رأوا**): أي المجوس. وقوله (**ضوء نوري**): أي أضاء بنورك الحقيقيّ، ووجودي الحقّ. وقوله (**مرّة**): أي رؤيتهم الأولى التي رأوا بها النار. وقوله (**فتوهّموه**): أي توهّموا ذلك النور الحقيقيّ الذي رأوه. وقوله (**ناراً**): مفعول ثانٍ لتوهّموا، والمفعول الأوّل هو الضمير الراجع إلى النور، يعني: توهّموا ذلك النورناراً؛ لأنّ النار صورة صوّرها النور الحقّ الحقيقيّ من تجلّي اسمه المصوِّر، فاحتجب بها عنهم فعبدوها، وهي فانية في حقيقة نوره الحقّ، فوقعت عبادتهم لنوره الحقّ الحقيقيّ، وهم لا يشعرون. وقوله (**فضلّوا**): أي المجوس.

وقوله (في الهدى): أي في حال هدايتهم بالتوجّه إليه تعالى، وإصابتهم نوره الحقّ الحقيقيّ. وقوله (بالأشعة): جمع شعاع، أي: حصل ضلالهم بسبب الأشعة التي يرونها تظهر من الشمس، فتقع على الأرض، فتنمو بها الزروع، والثمار، والنباتات، والحيوانات. ويصلح عليها أمر الدنيا، ومعايش الناس؛ فظنّوا أنّها الإله الذي يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد فكفروا وضلّوا ضلالاً بعيداً من حيث هم. وفي نفس الأمر هم في هداية لا يشعرون بها، فحكم الله تعالى عليهم/ [٢٨٤/ أ] بما هم عليه حكماً مجرّداً عن العلّة والغرض، والله بما تعملون بصير.

٧٤٤- وَلَولَا حِجَابُ الكَوْنِ قُلْتُ وَإِنَّمَا قِيَامِي بِأَحْكَامِ المَظَاهِرِ مُسْكِتِي

(**ولولا**): حرف امتناع لوجود، امتنع الثاني لوجود الأوّل. وقوله (**حجاب الكون**): أي الحجاب الذي هو جميع المكونات، فإنّ الجميع صور مختلفة؛ إما صور مرئيّة، أو صور مسموعة، أو صور مشمومة، أو صور مذوقة، أو صور ملموسة، أو صور معقولة، أو صور موهومة. وكلّها من تجلّي اسمه تعالى المصوِّر، وهي: الحجب التي بها احتجب الحقّ تعالى عن الحواس الخمس، وعن العقل، والوهم، والخيال، والفكر. وقوله (**قلت**): أي صرحت بقولي: هو الله الذي لا إله إلّا هو، ما ثَمّ سواه، ولا موجود غيره. ولكن حجاب المكوِّنات يمنعني من قولي ذلك حتى يحترق بظهور نور تجلِّيه، ويفنى ويزول بانكشاف أسرار تدلّيه. وقوله (**وإنّما قيامي**): أي خدمتي وتقييدي. وقوله (**بأحكام**): جمع حكم، وهي الأحكام الشرعيّة الإلهيّة المضافة إلى قوله (**المظاهر**): جمع مَظهر، وهو ما به الظهور الإلهيّ، وهي الصور الكونيّة التي ظهر الحقّ تعالى للحسّ وللعقل، وكلّ صورة منها لها حكم خاص في الشرع عند علماء المذاهب الاجتهادية الفقهيّة. وقوله (**مُسكِتِي**): بصيغة اسم الفاعل، من أسكته: إذا منعه من الكلام، قال في المصباح: «سَكَتَ سُكُوتَاً وَسَكْتَاً: صَمَتَ ، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أَسْكَتَهُ وسَكَّتَهُ». والمعنى: إنّ حجاب الكائنات على وجه الحقّ تعالى في نظر الغافل المحجوب، هو

الذي يمنع العارف المحقق من التصريح بما يجده من شهود الحق تعالى في: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان»[1]. وتلك الحجب هي المظاهر الإلهيّة، فهي حجب عند الغافل، وهي مظاهر عند العارف، وقد وردت لها أحكام مختلفة في الشريعة المحمّديّة على حسب اختلافها، والقيام بتلك الأحكام فرض لازم على كلّ مكلّف عاقل بالغ. فإذا قام المكلّف بتلك الأحكام منعه ذلك من التصريح بحقيقة الأمر ما لم يغلب على عقله أمر الحقيقة، ويعجز عن ضبط حاله في شهود الحقّ الحقيقيّ تعالى وتقدّس، فيفنى العالم كلّه في نظره حتّى تفنى نفسه؛ فلا يشعر بشيء إلّا بالحقّ تعالى فيصير حينئذ مغلوباً على عقله، فيسقط عنه التكليف الشرعيّ ما دام في هذه الحالة، فإذا صحا وزالت عنه هذه الحالة، وشعر بنفسه وبغيره من الأكوان عاد إلى حكم تكليفه الشرعيّ، وإنْ شهد العوالم مظاهر إلهيّة، فإنّه مكلّف أيضاً، ومخاطب بالأحكام الشرعيّة، ولهذا قال هنا الناظم قدّس الله سرّه (**وإنّما قيامي بأحكام المظاهر مسكتي**) وإنْ سُمِّيَت هذه الحالة برؤية الحقّ تعالى في المظاهر كما سيأتي في القصيدة الجيميّة في كلام الناظم قدّس سرّه إنْ شاء الله تعالى في قوله:

تــراه إنْ غــاب عنّــي كــلّ جارحــة ... في كـلّ معنـى لطيـف رائـق بهـج[2]

إلى آخر الأبيات.

٧٤٥- فَلَا عَبَثٌ وَالخَلْقُ لَمْ يُخْلَقُوا سُدَىً ... وَإِنْ لَمْ تَكُـنْ أَفْعَـالُهُمْ بِالسَّدِيدَةِ

٧٤٦- عَلَى سِمَةِ الأَسْمَاءِ تَجْرِي أُمُورُهُمْ ... وَحِكْمَةُ وَصْفِ الذَاتِ لِلْحُكْمِ أَجْرَتِ

٧٤٧- يُصَرِّفُهُمْ فِي القَبْضَتَيْنِ وَلَا وَلَا ... فَقَبْـضَةُ تَنْعِـيمٍ وَقَبْـضَةُ شِـقْوَةِ

(**فلا**): الفاء للتفريع على ما قبله من الكلام في هذا المقام. وقوله (**عَبَثٌ**):

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

(٢) البيت (٢٩) من قصيدة ما بين معترك الأحداق والمهج.

بالتحريك، عَبَثَ عَبَثاً من باب تعب: لَعِب وعَمِلَ مالا فائدة فيه، فهو عابث، كذا في المصباح /[٢٨٤/ ب]. يعني: ليس في فعل الله تعالى عبث، والكلّ أفعاله تعالى في الحقيقة، وإنْ كانت في ظاهر الشريعة لغيره تعالى أفعالاً يدَّعيها المدّعي المخلوق في أحسن تقويم بسبب ردّه إلى أسفل سافلين، وهو حكم الطبيعة فإن كانت حسنة يثاب عليها بثواب مخلوق من جنسها، وهو نعيم الجنّة. وإنْ كانت سيئة يعاقب عليها بعقاب مخلوق من جنسها، وهوعذاب النار. وليس في شيء من ذلك عبث في نفس الأمر وإنْ كان عبثاً بالنسبة إلى فاعله المدّعي فعله، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ ـ ثمّ أشار تعالى إلى مقام الاتّحاد الحقيقيّ بقوله بعده ـ ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢٣/ الأنبياء/ ١١٥] يعني في ذواتكم وأفعالكم، فيغلب الحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وكلّ ما سوى الحقّ تعالى باطل بحكم تصديقه صلّى الله عله وسلّم لكلمة الشاعر: «ألا كلّ ما سوى الله باطل»[1] كما أخرجه في صحيح مسلم. وقوله (والخلق): أي المخلوقات كلّها. وقوله (لم يخلقوا سُدى): بضمّ السين المهملة، أي: مهملاً، قال في الصحاح: «السُّدَى بالضمّ المهمل، يقال: إبلٍ سُدىً أي: مهملة. وبعضهم يقول: سَدَى، بالفتح. وأَسْدَيْتُهَا: أي أهملتها. يعني: لم يخلقوا مهملين؛ وإنّما خُلقوا معتنى بهم معتبرين بالاعتناء الإلهيّ، والاعتبار الربّانيّ. قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [٧٥/ القيامة/ ٣٦]. وقوله (وإنْ لم تكن أفعالهم): أي أفعال الخلق كلّهم، وقوله (بالسديدة): المهملة من قولهم: اسْتَدَّ الأمر، على افتعل: انْتَظَمَ واسْتَقَامَ، كذا في المصباح. يعني: وإن لم تكن أفعالهم كلّهم منتظمة على وفق الشريعة المحمّديّة مستقيمة على طبق الطريقة الأحمديّة؛ وإنّما افعال بعضهم كذلك، وأفعال بعضهم مخالفة لما هنالك. وهذا كلّه باعتبار نسبة الأفعال إليهم. ولهذا أضيفت إلى ضمير

---

(١) انظر تخريجه ص٤٧١.

الجمع في كلام الناظم قدّس الله سرّه. وأمّا إذا أضيفت إلى الخالق الباري المصوِّر الذي قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] فالكلّ حسن حينئذ، ولا قبيح في شيء من ذلك، قال القائل:

ويقبح من سواك الفعل عندي   فتفعله فيحسن منك ذاكا

وقوله (على سمة): قال في المصباح: «وَسَمْتُ الشيءَ وَسْماً، من باب وَعَدَ، والاسم: السِمَة، وهي العلامة. وجمعها: سِمَات، مثل: عِدَة وعِدَات». وقوله (الأسماء): جمع اسم، وهو ما دلّ على مسمّاه، وهي الأسماء الإلهيّة المؤثّرة في المخلوقات، فكلّ اسم منها له نوع من الخلق يظهرعنه مثل الاسم الهادي، والاسم المضلّ، والمعزّ، والمذلّ، والقابض، والباسط، والمعطي، والمانع، والمحيي، والمميت، إلى غيره من الأسماء الربّانيّة. وقوله (تجري أمورهم): أي أمور الخلق كلّهم؛ فإنّ جميع المخلوقات علامات على الأسماء الإلهيّة، ومظاهرها لها، لأنّها آثارها، فهي كاشفة لها، فإن الضلال إذا ظهرعلى أحد في أمر من الأمور كان أثراً عن اسمه تعالى المضلّ، وكذلك الهداية إذا ظهرت على أحد إلى أمر من الأمور كانت أثراً عن اسمه تعالى الهادي. وكذلك العزّ إذا ظهر في شيء مطلقاً كان أثراً عن اسمه تعالى المعزّ، وكذلك الذلّ، وبقية الأسماء كلّها على هذا؛ فالآثار الظاهر على كلّ أحد، وكلّ شيء مطلقاً علامات على ظهور الأسماء، وتجلّي الحقّ تعالى بها؛ فأمور الخلق كلّهم تجري على علامات الأسماء الإلهيّة، وكلّ أسمائه تعالى حُسنى بحكم قوله سبحانه: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨] وكذلك علامات الأسماء من حيث كونها علامات الأسماء حسنى أيضاً، وإنّما يظهر القبح في بعضها من جهة نسبتها إلى النفوس بالحكم الشرعيّ والأمر الفرعيّ. وقوله (وحكمة): وصف الذات، أي: الذات الإلهيّة فإنّ الله تعالى حكيم، وجميع أفعاله جارية على مقتضى الحكمة/ [٢٨٥/ أ] وهي اتقان الفعل؛ فالحكمة التي اتّصفت بها ذاته تعالى هي التي أجرت الأحكام الشرعيّة على جميع مخلوقاته، وهو قوله

(**للحكم**) أي: الأمر والنهيّ، والتحسين والتقبيح، والقبول والردّ. وقوله (**أجرت**): بكسر التاء للقافية. وأصله من قولهم: جَرَى الفرس وغيره جَرْيَاً وجَرَيَانَاً فهو جارٍ، وأَجْرَيْتُهُ أنا بالألف. وجَرَى الماءُ: سالَ، خلاف وقف. وجَرَيْتُ إلى كذا جَرْيَاً وجِرَاءً: قَصَدتُ وأسرعت. وقولهم جرى الخلاف في كذا يجوز حمله على هذا المعنى؛ فإنّ الوصول والتعلّق بذلك المَحَلِّ قَصْدٌ على المجاز، كذا في المصباح. ومعنى قوله (**أمورهم**): أي أمور الخلق جمع أمر، وهو الحالة، يقال: أمره مستقيم، كذا في المصباح. وقوله (**يُصَرِّفُهُم**): بالتشديد، أي: الله تعالى يصرِّف الخلق كلّهم، يعني: يتصرّف في أحوالهم كلّها؛ في بواطنهم، وفي ظواهرهم بطريق الاستيلاء عليهم والإحاطة بهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [٧/ الإسراء/ ١٠]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤]. وقوله (**في القَبضتين**): تثنية قَبضة، بالفتح أو الضمّ، يقال: قَبَضَ الله الرزق قَبْضَاً، من باب ضَرَبَ خلاف بَسَطَهُ. وقد طابق بينهما تعالى بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] وقَبَضتُ الشيء قَبْضاً: أخذته، وهو في قَبضته، أي: في مِلْكه. وقَبَضْتُ قَبْضَةً من تَمْر، بفتح القاف. والضمّ لغة، وقَبَض عليه بيده: ضَمَّ عليه أصابعه، كذا في المصباح. وأشار بالقبضتين إلى الحديث الذي وصف فيه ذاته تعالى بذلك. وهو مذكور في نوادر الأصول للحكيم الترمذيّ بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فضرب بيمينه على اليمين، فأخرج ذريّة بيضاء كالفضّة، ومن اليسرى سوداء كالحممة. ثمّ قال: هؤلاء في الجنّة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»[1] ومعنى القبضتين المذكورتين الإشارة إلى استيلاء أسمائه تعالى الحسنى على

(١) انظر الحكيم الترمذيّ، ٤/ ٢٠٢، كما أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الرحمن بن قتادة، ٨١٢٧، بلفظ: «إنّ الله عزّ وجلّ، خلق آدم ثمّ أخذ من ظهره، وقال هؤلاء إلى الجنّة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا بالي، فقال قائل: يا رسول الله، فعلى ماذا نعمل؟. قال: على مواقع القدر».

جميع الآثار استيلاء أزليّاً أبديّاً، وأسماؤه تعالى على قسمين: أسماء جمال الإلهيّ، وهي قبضة اليمنى. وأسماء جلال الإلهيّ، وهي قبضة اليسار، وهما اليدان. وبهما القبضتان: قبضة الجنة، وقبضة النار. قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [٤٢/الشورى/٧] وهذا حكم الأسماء الإلهيّة، وهي مرتبطة بالآثار ارتباط مؤثّر بآثاره، والذات الإلهيّة غنيّة عن العالمين بحكم قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. والأسماء هي الصفات باعتبار عدم تميّزها عن الذات، فإذا تميّزت فهي الأسماء، ولا تتميّز إلّا بإظهار الآثار؛ فآثارها تميّزها عن الذات، وعن بعضها بعضاً، وهي التي تظهر أحكامها. وقوله (ولا ولا): إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث المذكور، ولا أبالي في القبضة الأولى، قبضة الجنّة. وقوله (ولا أبالي): في القبضة الثانيّة قبضة النار، وقد بيّن حال القبضتين بقوله (فقبضة تنعيم): وهي قبضة السعادة، وهم أهل اليمين، وأصحاب الميمنة. وقوله (وقبضة شقوة): وهم أهل اليسار، وقبضة الشمال، وأصحاب المشأمة، وتفصيل أحوال أهل القبضتين أحياء وأمواتاً في سورة الواقعة، وأحوالهم الآن مفصّلة، لكنّها مستورة بأحوال الدنيا، فإذا زال حكم الدنيا ظهرت على ما هي عليه، فإنّ سورة الواقعة هي صورة الواقعة، ولهذا قال تعالى في أوّلها: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [٥٦/الواقعة/١] . ثمّ شرحها تعالى. ثم قال: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [٥٦/الواقعة/٧-١٢] وهم الأولياء العارفون بربّهم وبأنفسهم، المتحقّقون بالفناء وبالبقاء، ليسوا من أصحاب الميمنة، ولا من أصحاب المشأمة؛ لأنّ الأمر الإلهيّ لم يلتبس عليهم فهم به يعملون. لا بل هو العامل بهم فلا يُسأل عمّا/ [٢٨٥/ب] يفعل بهم، وهم يسألون. فإذا رجع الضمير إليهم وقع السؤال عليهم.

٧٤٨- أَلَا هَكَذَا فَلْتُعْرَفِ النَّفْسُ أَوْ فَلَا وَيُتْلَى بِهَا الفُرْقَانُ[١] كُلَّ صَبِيحَةِ
٧٤٩- وَعِرْفَانُهَا مِنْ نَفْسِهَا وَهِيَ التِي عَلَى الحِسِّ مَا أَمَّلْتُ مِنِّي أَمْلَتِ

(**ألا**): حرف استفتاح وتنبيه على أمر عظيم، وهو قوله (**هكذا**): أي على هذا الوصف الذي ذكرناه. وقوله (**فلتُعرَف**): بالبناء للمفعول. وقوله (**النفس**): أي النفس الإنسانيّة الناطقة. يعني: ينبغي للسالك الطالب لمعرفة الله تعالى أنْ يعرف نفسه الناطقة على حدّ ما ذكرنا ليعرف بها ربّه، كما ورد: من عرف نفسه فقد عرف ربّه؛ فإنّ العارف إذا عرف نفسه الإنسانيّة الناطقة أنّها جوهركلّي، مجرّد، قائم بذاته، موصوف بالصفات الإلهيّة، منعوت بالنعوت الربّانيّة، باعتبار استيلاء الحقّ تعالى عليه وإحاطته به ظاهر في صور جميع الموجودات، علويِّها وسفليِّها، بطريق النفخ منه في كلّ صورة على مقتضى طبيعة كلّ صورة، فمن عرفه من نفسه ظهر له ربّه الذي هو ذلك الاسم الإلهيّ الخاصّ، المتجلِّي عليه من جملة أسماء الله تعالى. ومن هنا قالوا: إنّ كلّ اسم مسمّى بجميع الأسماء، ومنعوت بجميع النعوت، على معنى خاصّ من تحت حيطة ذلك الاسم. وقوله (**أو فلا**): أي فلا يعرف. وهو نهي عن معرفة النفس على طريقة الفلاسفة المتعلِّقة بمعرفة العلّة والمعلول، ومعرفة العقول العشرة، والعقل الفعّال منها. ومعرفة الهيولى والصورة، أو على طريقة الطبائعيين، أو غيرهم من أهل الغفلة والجهالة. وقوله (**ويُتلَى**): بالبناء للمفعول، أي: يقرأ. وقوله (**بها**): أي فيها، أي: في تلك النفس الناطقة المذكورة بطريق التدبّر والتفكر في معانيه وأسراره. والتأمل والتفهّم لإشارات مباينة وأنواره. وقوله (**الفرقان**): أي: الذي فرّق به الحقّ تعالى بين المقبول والمردود من الخير والشر، والنفع والضرّ، وأظهر الشرائع والأحكام. وبيّن الحلال والحرام؛ وهو القرآن المنزل على نبيّ الله المرسل، الذي فُصِّلت آياته، وتبينت حقائقه

---

(١) في (ق): العرفان.

وإشاراته. وقوله **(كلّ صبيحة)**: قال في المصباح: «صبيحة اليوم: أوّله». فإنّ وقت الصباح أصفى للذهن، وأقرب لإقبال قلوب المؤمنين على عبادة الله تعالى قبل انتشار النهار، واشتغال النفوس بمعايشها، ومكابدة أشغالها الدنيويّة. وقوله **(وعرفانها)**: أي النفس المذكورة بنفسها، إنّما يكون كما قال من نفسها، لا بطريق التعلّم والتعليم من الغير. وإنّما المشايخ الكاملون يشيرون إلى المريد بكيفيّة إقباله على نفسه، وتحصيل استعدادها لفيض التجلّي الربّانيّ بإخلاص العبادات، والمدوامة على الطاعات. ومهما امتثل المريد الصادق أوامر شيخه الكامل الناصح، وانقاد إليه في كلّ ما يشير به عليه أفلح، ونجح، وسعد، واصطلح. والاعتماد كلّه على الله تعالى، والاستمداد منه، والاهتداء به، والأخذ عنه؛ فإنّه الملهم، الفتاح، المالك للعقول والأرواح. وقوله **(وهي)**: أي النفوس المذكورة. وقوله **(التي على الحسّ)**: أي الإدراك للمحسوسات. والجار والمجرور متعلّق بـ(أَمْلَتِ) آخر البيت. وقوله **(ما أَمَّلَت)**: بتشديد الميم، أي: الذي أَمَّلْتُهُ وترجَّيْتُه أن يحصل لي وأفوز به من العلوم الإلهيّة والحقائق الربّانيّة. وقوله **(منّي)**: أي من نفسي أن تصل إليه وتظفر به، والتقدير: إنّ نفسي الإنسانيّة الناطقة هي التي أملت على حِسِّي ما كنت أؤمّله منها أن ينكشف لها/ [٢٨٦/ أ] وتدركه من معرفتها بذاتها، ومعرفتها بربِّها الحقّ تعالى. وقوله **(أَمْلَتِ)**: بكسر التاء للقافية، أي: ألقت عليّ، قال في المصباح: «أَمْلَلْتُ إمْلالاً: أَلْقَيْتُهُ عليه، وأَمْلَيْتُهُ عليه إملاء. والأولى: لغة الحجاز وبني أسد. والثانية: لغة بني تميم وقيس. وجاء الكتاب العزيز بهما. قال تعالى: ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢] وقال أيضاً: ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٥] وفي كلام الناظم هنا إشارة إلى أنّ المريد السالك ينبغي أنْ يكون علمه من نفسه بطريق الفيض الإلهيّ؛ فإنّ جميع ما ذكر في هذا النظم كان فيضاً ربّانياً، وكشفاً إلهامياً. ولم يدرج فيه ذوق أحد غير إحسان الواحد الأحد.

٧٥٠- وَلَوْ أَنَّنِي وَحَّدْتُ أَلْحَدْتُ وَانْسَلَخْـ ـتُ مِنْ آيِ جَمْعِي مُشْرِكاً بِيَ صَنْعَتِي

(ولو أنني وحّدت): بتشديد الحاء المهملة، من التوحيد، وهو: الإيمان بالله تعالى وحده، كذا في القاموس. يعني: لو كان توحيدي لله تعالى بغير الله تعالى كتوحيد الغافل الجاهل بنفسه وبربّه. وقوله (ألحدت): من الإلحاد، وهو: العدول عن الحقّ إلى الباطل، قال في المصباح: «لَحَدَ الرجلُ في الدين لَحْدَاً، وأَلْحَدَ إلْحَاداً: طَعَنَ. قال بعض الأئمّة: والملحدون في زماننا هم الباطنيّة الذين يدَّعون أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، وأنّه يخالف الظاهر، وأنّهم يعلمون الباطن، فأحالوا بذلك الشريعة؛ لأنّهم تأوّلوا بما يخالف العربيّة التي نزل بها القرآن. وقال أبوعبيدة: «أَلْحَدَ إلحَاداً: جادل وماری». انتهى كلامه. ولعمري، إنّ هؤلاء قوم جاهلون يخالفون بين الشريعة والحقيقة. ويعتقدون أنّ الشريعة غير الحقيقة، ويدَّعون أنّهم متمسِّكون بالحقيقة لأنّهم عرفوا ربّهم. وهم بذلك من أكفر الكافرين، وأضلّ الضالّين. والحقيقة هي نفس الشريعة، والشريعة هي نفس الحقيقة. والإيمان بذلك واجب على كلّ مكلَّف؛ فإنّ فقهاء الشريعة لو عملوا بها على الإخلاص والصدق ظاهراً وباطناً، عملاً واعتقاداً كانوا في عين الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [٩٨/ البيّنة/ ٥] ولكنّ الفقهاء لمّا أتقنوا الظواهر وتساهلوا في إصلاح البواطن قنعوا بأنّ الشريعة في حقّ الغير لها الحكم على ظواهر الأحوال، فظنّوا أنّها كذلك في حقّ أنفسهم. وإنّما كان لها الظاهر في حقّ الغير فقط تحسيناً للظنّ بأهل الملّة لئلا يتجسسوا من بعضهم على البعض، لتبقى الألفة والمودّة بين المسلمين. ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [٥/ المائدة/ ١٠٥].

والحاصل: إنّ الشريعة المحمّديّة التي كلّف الله تعالى بها عباده هيّ إصلاح القلوب والنفوس أوّلاً بالاعتقاد الخالي من الكفر، والشرك، والشكّ، والتردّد،

بكلّ ما وجب الإيمان به. وثانياً بتحرِّي حُسنَ الأخلاق والتبرِّي من الأخلاق السيئة، وإصلاح الظواهر عن المعاصي والمخالفات، مع القيام بالفروض والواجبات والسنن والمستحبّات، حتّى يصير العبد مقبولاً عند ربّه؛ فيدوم على هذا الدين المحمّديّ إلى أنّ يحبّه ربّه. فإذا أحبّه فتح عليه قلبه فتوح العرفان، وأمدّه بمدد الكرم والإحسان، فكشف له عن نفس الأمر، وأراه الحقّ حقاً، والباطل باطلاً، كما ورد في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»[1] الحديث. فيصل العبد إلى مقام لا يبقى فيه منه شيء، ويكون الحقّ تعالى هو الذي يتصرّف في ظاهر هذه الصورة الإنسانيّة/ [٢٨٦/ ب] وفي باطنها كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] فعند ذلك يقوم تعالى عن هذ العبد الذاهب فيه تعالى بجميع ما كلّفه به ظاهراً وباطناً على أتمّ الوجوه، ويسمّى هذا مقام الاتّحاد الحقيقيّ، وليس هذا باتّحاد في نفس الأمر، وإنّما كان تعالى أولاً جاعلاً في عقل هذا العبد، وفي نفسه دعوى أنّه غيره، فلمّا هداه إليه زالت الدعوى، وانكشف الأمر على ما هو عليه، قال صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما هو عليه كان»[2] وقوله (**وانسلخت**): يقال سَلَختُ الشَاةَ سَلْخاً، من بابَيْ قَتَل ونَفَع. قالوا: ولا يُقال في البعير سَلَختُ جِلْدَه؛ وإنّما يقال: كَشَطْتُهُ ونَجَوتُهُ وَأَنْجَيْتُه، كذا في المصباح. ومعنى انسلخت: انفصلت، وتباعدت. وقوله (**من آي**): بمدّ الألف، جمع آية، وهي العلامة. وقوله (**جمعي**): وهو ضدّ الفرق. ومعناه: الجمع على الحقّ تعالى بالفناء في وجوده سبحانه، بحيث يكون هو لا سواه معه؛ فإنّ هذا الجمع له آيات وعلامات يجدها العارف في نفسه من نفسه، فإذا وجد الله تعالى بتوحيد الدليل والبرهان العقليّ الذي هو توحيد العوام؛ فقد عدل

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) انظر تخريجه ص٤٦١.

عن الحقّ إلى الباطل في مذهب أهل التحقيق، أصحاب الذوق والوجدان؛ لأنّ توحيدهم وجدان الحقّ تعالى ذوقاً وكشفاً، ولا شيء معه أصلاً؛ فتوحيدهم توحيده تعالى في نفسه، على ما هو عليه أزلاً وأبداً. فمن أثبت نفسه معه تعالى، وأثبت لها توحيداً فقد انفصل عن آيات الجمع، وعلاماته الظاهرة له، ذوقاً ووجداناً في نفسه، وفي غيره من الأكوان، فأشبه إنساناً في دار وجد فيها إنساناً آخر، فقال له: ما في الدار غيرك أصلاً، وهو غافل عن نفسه معرض عن ملاحظتها. فإنّ ذلك الإنسان يقول له: كذبت في توحيدي، وفي قولك لي: ما في الدار غيرك أصلاً!. وكيف تقول لي ما في الدار غيرك وأنت معي في الدار؟!. ولا يصحّ توحيدي عندك إلّا إذا ظهر منك قولي لنفسي ذلك، بحيث أكون أنا الموجود وحدي في الدار. وقولك صادر منّي لي، لا منك لي. وهذا هو التوحيد الحقيقيّ الذي جاءت به الشريعة المحمّديّة على الحقيقة. وكلّ من صدرت منه العبارات في التوحيد محمول في حقيقة الشريعة على ذلك، وبذلك يعامل الله تعالى خلقه يوم القيامة، ويحكم عليهم بمقتضى ذلك. وأمّا في الدنيا، وفي ظهور أحكام الشريعة المحمّديّة فيها؛ فإنّه يقبل دعوى التوحيد من كلّ من أتى بذلك، ويحكم عليه به قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [١٢/يوسف/١٠٦] أي مشركون به نفوسهم في دعواهم الوجود معه، والاستقلال بالأفعال، فحكم الله تعالى اليوم في هذه الحياة الدنيا بظواهر أحكام الشريعة المحمّديّة، فكلّ من اتّصف بالأحكام الظاهرة من عبارات الاعتقاد الحقّ، وأعمال العبادات الصحيحة، فهو مسلم مؤمن في الدنيا، ولا يجوز لأحد الطعن في دينه، ولا في اعتقاده، ولا في عمله، وهو محمول على الصدق في ذلك كلّه على الوجوه التي كلّفه الله تعالى بها، مما يعلمه تعالى منه، ويحكم به عليه، فيجازيه به يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [٢١/الأنبياء/ ١١٢] وهو تعالى يعلم الحقّ من كلّ أحد فيحكم به في يوم القيامة، وأما في هذه الحياة الدنيا فلا نعلم نحن إلّا الظواهر فنحكم بها نحن أنّها الحقّ الذي

يحكم به تعالى في يوم القيامة، ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: «أُمِرت أنْ أحكم بالظاهر، والله يتولّى السرائر»[1] جمع سريرة وهي ما يُسرّ العبد، أي: يخفيه في نفسه مما لا يطَّلع عليه أحد إلّا الله تعالى ولهذا/ [٢٨٧/ أ] قال تعالى عن أهل النار: ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ [٣٨/ ص/ ٦٢] الآية. وقد نبّه تعالى عباده بقوله: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [٥٩/ الحشر/ ١٨] وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٣٥]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «ربّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة»[2] والكتاب والسنّة طافحان بما ذكرناه. وأيضاً فإنّ الشريعة التي لا حقيقة لها باطلة، كما أنّ الحقيقة التي لا شريعة لها عاطلة. والباطل والعاطل محض الغرور. وصاحب ذلك كأنّه لابس ثوبي زور، فيا ويح المتفقّهة المتمسّكين بظواهر الشريعة المحمّديّة وتاركين حقيقتها. ويا خسارة المتصوِّفة المتمسكين بحقيقة الشريعة المحمّدية، وتاركين ظواهرها. ألم يسمع الفريقان قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [٦/ التوبة/ ٣٣]. وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [٩/ البقرة/ ٣٣] مكلّف بإصلاح الظاهر والباطن. وكذلك السُّنّة، وإجماع الأمّة؛ فإنّ التكليف كما هو على الأعضاء الظاهرة هو على العضو الباطن أيضاً، وهو القلب

---

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة ١/ ٥١: «وجزم العراقيّ أنّه لا أصل له، كذا أنكره المزّي وغيره. نعم في صحيح البخاريّ عن عمر: «إنّا نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم»، وفي الصحيح من حديث أبي سعيد رفعه: «إنّي لم أومر أنْ أنقب عن قلوب الناس». وفي المتّفق عليه من حديث أم سلمة: «إنّكم تختصمون إليّ، فلعلّ بعضكم انْ يكون ألحنَ بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حقّ أخيه شيئاً فلا يأخذ منه شيئاً».

(٢) قطعة من حديث، رواه البخاريّ في صحيحه، كتاب: التهجّد، باب: تحريض النبّي على صلاة الليل، ١١٢٦. وللحديث أطراف أخرى، وطرق كثيرة.

بالإجماع؛ فالكفر بالقلب كفر. وكذلك الرياء به حرام إلّا ما عُفي عنه مما هو في القلوب من الخطرات والفترات. وقوله (**مشركاً**) حال من التاء في قوله (**انسلختُ**): أو من الياء في (جمعي). وقوله (بي): أي بحقيقة وجودي الذي هو الحقّ تعالى. وقوله (صنعتي): أي مصنوعاتي من حيث حقيقتي الوجوديّة القيّوميّة على صورتي العدميّة، وهو تصريح بما عليه الأمر في نفسه بين الغافلين عند المعرضين بجانبهم عن الشريعة المحمّديّة الحقيقيّة التي لا يشوبها شرك أصلاً، في الظاهر ولا في الباطن. فلا ينكر ذلك، ويستشكله من غير أن يفهمه على ما هو عليه إلّا المتمسِّكون بظواهر الشريعة الذين لا حقيقة لشريعتهم، القانعون بقشور الأحكام الشرعيّة المحمّديّة، الرامون للبوبها، المضيّعون لأسرارها وحكمها، المغرورون بالرسوم دون الحقائق، المنهمكون بكثائف الأعمال الشرعيّة دون الرقائق. وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه قريب مما أشار إليه الناظم قوله:

ظهرت إلى ذاتي بذاتي فلم أجد ... سواي فقال الكلّ: أنت ولا تدري

فإنْ أشركت نفسي فلم تك غيرها ... وإنْ وحّدت كانت على مركب وعر

إذا قلت بالتوحيد فاعلم طريقه ... فما ثمّ توحيد سوى واحد الكثر

ولابد أن تمتاز فالوتر حاصل ... وحاصل هذا الأمر في القول بالفكر

لقد حارت الحيرات في كلّ حائر ... ولكنّ في الإيجاد لا بدّ من بزر

٧٥١- وَلَسْتُ مَلُوْمَاً أَنْ أَبُثَّ مَوَاهِبِي ... وَأَمْنَحَ أَتْبَاعِي جَزِيلَ عَطِيَّتِي

٧٥٢- وَلِي مِنْ مُفِيضِ الجَمْعِ عِنْدَ سَلَامِهِ ... عَلَيَّ بِأَوْ أَدْنَى إِشَارَةَ نِسْبَتِي

٧٥٣- وَمِنْ نُوْرِهِ مَشْكَاةُ ذَاتِيَ أَشْرَقَتْ ... عَلَيَّ فَنَارَتْ بِي عِشَائِي كَضَحْوَتِي[1]

(**ولست ملوماً**): يعني لا لوم عليَّ فيما ذكرته من بيان حقيقة الشريعة المحمّديّة،

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ سماعاً ومقابلة على مؤلفّه قدّس الله سرّه. وكتبه الفقير ابراهيم الدكدكجي غفر الله له».

وأسرار الطريقة الأحمديّة، وأنوار التجلّيات المصطفويّة به. وذلك قوله (أنْ أبث): يقال: بَثَّ الرجلُ الحديث: أَذاعَهُ ونَشَرَه. وقال ابن فارس: بثّ السرَّ وأَبَثَّهُ بالألف مثله، كذا في المصباح. وقوله (مواهبي): جمع موهبة، وهي العطيّة، كما قال في القاموس. يعني: أذكر ما أفاض الله تعالى عليّ من العطايا، وأتحدَّث بها عند أهل ملّتي، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [٩٣/ الضحى/ ١١] فإنّها من أجلِّ النعم وأعظمها. وقوله (وأمنح): أي أعطي، يقال: منحه كمنعه وضربه:/ [٢٨٧/ ب] أعطاه. والاسم: المِنحة بالكسر، كذا في القاموس. وقوله (أتباعي): جمع تبع. قال في المصباح: «تَبِعَ زيدٌ عَمْراً تَبَعاً من باب تعب: مَشى خلفه، أو مَرَّ به، فمضي معه، والمُصلّي تَبَعٌ لإمامه، والناس تبع له: يكون واحداً وجمعاً، ويجوز جمعه على أتباع مثل سبب وأسباب». وأراد بأتباعه تلامذته، ومن يقول بقوله، ويرى برأيه من أهل السلوك والإرادة في طريق الله تعالى إلى يوم القيامة. وقوله (جزيل): وهو الكثير من الشيء، كما قال في القاموس. وهو منصوب على أنّه مفعول ثانٍ لأمنح، والمفعول الأوّل أتباعي. وقوله (عطيّتي): أي ما أعطاني إيّاه الحقّ تعالى من العلوم النافعة، والحقائق الإلهيّة الرافعة. وقوله (ولي): الواو للحال، والجملة حال من التاء في لست. وقوله (من مُفيض الجَمْع): أي منزلة ومرسلة وهو محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي يستمدّ الأولياء كلّهم من مشكاة أنواره، ويغترفون من بحار أسراره، كما قال البوصيري قدّس الله سرّه في بردة المديح:

وكلّهم من رسول الله ملتمس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
وواقفون لديه عند حدّهم ... من نقطة العلم أو شكلة القلم

وقوله (عند سلامه عليّ): وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم ليلة المعراج: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنّ الناظم قدّس الله سرّه دخل في جملة عباد الله الصالحين. وقوله (بأو أدنى): أي في مقام القرب المحمّدي الذي حصل له صلّى الله عليه وسلّم ليلة المعراج بحكم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ

﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٨] فإنّ مقام أو أدنى مقام هو مقام الجمع المحمّديّ، وقد حصل للناظم قدّس الله سرّه من فيضه عليه بطريق الميراث للمقام؛ فإنّ الأولياء العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين. وقوله(**إشارة**): مبتدأ مؤخّر. وقوله (**لي**): في أول البيت خبر مقدّم. وقوله (**نسبتي**): أي انتسابي إليه في المقام بالرحم الروحانيّ، لأنّه صلّى الله عليه وسلّم أبوالأرواح، كما أنّ آدم أبو الأجسام. وقوله (**ومن نوره**): أي نور مفيض الجمع صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**مشكاة ذاتي**): قال الفرّاء: المشكاة: الكَوَّة التي ليست بنافذة كما في المصباح. كناية عن باطنه المشتمل على قلبه النورانيّ وسرّه الروحانيّ. وقوله (**أشرقت**): أي أضاءت بذلك النور المحمّديّ. وقوله (**عليَّ**): أي مسؤوليّة عليّ، كلِّي باطناً وظاهراً. وقوله (**فنارت**): يقال نَارَ الشيء يَنُور نِيَاراً بالكسر: أضاء، وأنار: أضاء، كذا في المصباح. وقوله (**بي**): في ذاتي. قوله (**عِشائي**): فاعل نارت. و(**العِشاء**): بكسر العين المهملة، قال في المصباح: «العِشاء بالكسر والمدِّ: أول ظلام الليل، وهو من صلاة المغرب إلى العتمة. وقوله (**كضحوتي**): أي مثل ضحوتي في الإنارة والإشراق بالنور المحمّدي. قال في المصباح: (**الضَّحَاء**): بالفتح والمدّ: امتداد النهار، وهو مذكر، كأنّه اسم للوقت، والضَّحْوَة مثله، والجمع: ضُحَى، مثل قَرْيَة وقُرَى.

٧٥٤- فَأُشْهِدْتُني كَوْنِي هَنَاكَ فَكُنْتُهُ   وَشَاهَدْتُهُ إِيَّايَ وَالنُّورُ بَهْجَتِي

(**فأُشهدتُني**): معناه أشهدت نفسي من حيث حقيقتي الوجوديّة المُمدّة للأكوان أجمعها، ونفسي من جملة الأكوان المستمدّة من تلك الحقيقة. وأشهد ينصب مفعولين، الأوّل: ياء المتكلّم. والثاني: قوله (**كوني**): أي ظهور وجودي. وقوله (**هناك**): إشارة إلى المكان البعيد حسيّاً كان أو معنويّاً، إيماءً إلى مقام الجمع المحمّديّ/ [٢٨٨/ أ] وقوله (**فكنتُه**): مفيض الجمع الذي هو صاحب ذلك المقام، لأنّ كلّ نشأة كونيّة مخلوقة من الحقيقة المحمّديّة بزيادة صورته. كاشتقاق الأفعال وبقية المشتقّات من المصدر بتغير صورته وبقاء معناه. وقوله (**وشاهدته**): أي

شاهدت مفيض الجمع المذكور. وقوله (**إياي**): مفعول ثانٍ لشاهدته، والمفعول الأوّل الضمير، وهو معنى قوله (**فكنته**) بيان له. وقوله (**والنور**): أي الذي هو نوره المخلوق منه كلّ شيء. وقوله (**بهجتي**): أي الذي ابتهج به قال في المصباح: «البَهْجَة الحُسْن، وبَهُجَ بالضمّ؛ فهو بَهيج، وابْتَهَج بالشيء: إذا فرح به». يعني: إنّ ما أنا ظاهر به من حُسن الحال، ومحاسن الجمال، ومعاني الكمال في الباطن والظاهر. هو ذلك النور الفيّاض من النور الأصليّ بمنزلة البارق والإيماض.

٧٥٥- فَبِي قُدِّسَ الوَادِي وَفِيهِ خَلَعْتُ خَلْـ ـعَ نَعْلِي عَلَى النَّادِي وَجُدْتُ بِخِلْعَتِي

٧٥٦- وَآنَسْتُ أَنْوَارِي فَكُنْتُ لَهَا هُدَى وَنَاهِيكَ مِنْ نَفْسٍ عَلَيْهَا مُضِيئَةِ

٧٥٧- وَأَسَّسْتُ أَطْوَارِي فَنَاجَيْتُنِي بِهَا وَقَضَّيْتُ أَوْطَارِي وَذَاتِي كَلِيمَتِي

٧٥٨ - فَبَدْرِيَ لَمْ يَأْفُلْ وَشَمْسِيَ لَمْ تَغِبْ وَبِي تَهْتَدِي كُلُّ الدَّرَارِي المُنِيرَةِ

٧٥٩- وَأَنْجُمُ أَفْلَاكِي جَرَتْ عَنْ تَصَرُّفِي بِمِلْكِي وَأَمْلَاكِي لِمُلْكِيَ خَرَّتِ

(**فبي**): الفاء للتفريع. وقوله (بي): أي بسببي من حيث نشأتي النوريّة. وقوله (**قُدِّسَ**): بالبناء للمفعول، أي: طَهُر من دنس الأغيار. وقوله (**الوادي**): واسمه طوى. كناية عن وادي الأسماء والصفات المنطوي في الحقيقة الذاتيّة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [٢٠/ طه/ ٩-١٤] الآية. وقوله (**وفيه**): أي في ذلك الوادي. وقوله (**خلعت خلع نعلي**): أي جعلت خَلْع نعلي خِلْعَةً. والخِلْعَة: ما يعطيه الإنسانُ غيرَه من الثياب مِنْحَةً. والجمع: خِلَع، مثل: سِدْرَة وسِدَر، كذا في المصباح. وخَلَعَ النعلَ نَزَعَه من الرجل. والنَّعْل معروف، وهو ما يُلْبَسُ في الرِّجْل، كناية عن الدنيا وما فيها من الشهوات، والآخرة وما

فيها من اللذات، أي: خلعت ذلك خِلْعَةً مِنِّي. وقوله (**على النادي**): أي على المجلس. كناية عن أهله، وهم أولياء الله المقرّبون. والنادي حضرة الحقّ تعالى، وهي الوراثة الموسويّة. وقوله (**وجُدْت**): أي سمحت لهم. وقوله (**بخِلْعَتِي**): أي بما ألبسني إيّاه الحقّ تعالى بحسب المشرب الخاص، لأنّي ترقيت عنه إلى المشرب العام المحمّدي الجامع لجميع مشارب النبيِّين، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات:

والبس نعالك إن من لم يلبس نعاليه في وهاد
ما خلع النعل غير موسى بشرطها عند بطن وادي

وقوله (**وآنست أنواري**): يقال آنست الشيء بالمدّ: علمته، وآنسته: أبصرته، كذا في المصباح. وكنّى بقوله (**أنواري**) عن أسمائه وصفاته الظاهرة منه له. وقوله (**فكنت لها**): أي إليها. وقوله (**هدىً**): أي هداية. يعني: اهتديت بها إليها على وجه المبالغة. وقوله (**وناهيك**): قال في المصباح: «ناهيك بزيد فارساً: كلمة تعجب واستعطاف. قال ابن فارس: هي كما يقال: حسبك. وتأويلها: أنّه غاية تنهاك عن طلب غيره/ [٢٨٨/ ب]. وقوله (**من نفس**): يعني نفسه، بمعنى ذاته. وقوله (**عليها**): أي على أنواري. وقوله(**مضيئة**): وصف لنفس، أي: مشرقة عليها فهي بمنزلة الأشعّة المنبعثة عنها. وقوله (**وأسَّسْت أطواري**): جمع طَوْر، بالفتح، وهو الحال والهيئة. والجمع: أطْوار، مثل: ثَوب وأثْواب. وتَعَدَّى طَوْرَه، أي: حاله التي تليق به، كذا في المصباح. يعني: أسست أحوالي، وهيئاتي، وأخلاقي، وعاداتي على التقوى الإلهيّة، والديانة الشرعيّة. وقوله (**فناجيتني**): أي ناجيت نفسي. وقوله (**بها**): أي بأطواري المذكورة؛ يعني بسببها. وقوله (**وقضّيت**): بتشديد الضاد المعجمة. وقوله (**أوطاري**): جمع وَطَر، قال في المصباح: الوَطَر الحاجة، والجمع: أوطار، مثل: سَبَب وأسْباب، ولا يُبنى منه فعل. وقضيت وَطَرِي: إذا نِلْت بُغْيَتك وحاجتك. وقوله (**وذاتي**): أي حقيقتي التي أنا بها موجود لا الذات الوهميّة، التي أشير إليها بقولي: أنا. وقوله (**كليمتي**): أي مُكَلِّمتي، بصيغة اسم الفاعل، بمعنى:

التي تكلّمني. وقوله (**فبدري**): كناية عن جملته التي ظاهر فيها نور الوجود الحقيقيّ كما يظهر نور الشمس في البدر الذي في السماء؛ فإنّ نور الشمس ما انتقل من الشمس ولا انفصل عنها؛ وإنّما ظهر في صفاء جرم البدر من غير حلول فيه، فكان البدر بمنزلة المرآة الصافية التي يظهر فيها ما يقابلها من الأنوار من غير حلول ولا انتقال. وجعله بدراً لا قمر ولا هلالاً لأنّه غير محتجب عن مقابلة الشمس بالنفس. وقوله (**لم يأفُل**): أي يغب بحيلولة النفس بينه وبين شمس الوجود الحقّ. وقوله (**وشمس**): أي التي أنا موجود بظهور نور وجودها على جملتي. وقوله (**لم تغب**): أي لم تحتجب عنّي إلى الأبد. وقوله (**وبي**): أي من حيث أنّي مظهر لنور شمس الوجود الحقّ الحقيقيّ. وقوله (**تهتدي**): أي من الحيرة والضلالة. وقوله (**كلّ الدراري**): أي الكواكب. يقال: كوكب دريّ: مضيء. ويثلّث، كذا في القاموس. وقوله (**المُنيرة**): وصف للدراري. وقوله (**أو نجم أفلاكي**): كناية عن السالكين في طرائقي ومقاماتي من المريدين الصادقين، والعارفين الواصلين فإنّ كلّ واحد منهم كأنّه نجم يسبح في فلك المقام لإرشاد أهل الإيمان والإسلام، قال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ١٦]. وقوله (**جرت**): أي تنقلت في مقاماتها وأحوالها. وقوله (**عن تصرّفي**): أي أمري لها ونهيي وقبضي فيها وبسطي. وقوله (**بمِلْكي**): بكسر الميم، متعلّق بتصرّفي فيما أملكه منهم؛ فإنّ حقيقتي تملكهم الملك الحقيقيّ، فتتصرّف فيهم كيف شاءت بأمر حقّ على وجه حقّ. وقوله (**وأمْلَاكي**): جمع مَلَك، بفتح اللام، أي: ملائكتي من حيث حقيقتي الباقية الماحقة لنشأتي الفانيّة، كما تقدّم. وقوله (**لمُلْكِي**): بضمّ الميم، أي: لمملكتي وعِزّي وسلطاني. قال في الصحاح: «وهو المُلْك والعِزّ. والاسم المُلْك، والموضع مَمْلَكَة. وقوله (**خَرَّتِ**): بتشديد الراء المهملة وكسر التاء للقافية، أي: سقطت الأملاك سجّداً خاضعة ذليلة لمُلْكِي وسلطاني.

٧٦٠- وَفِي عَالَمِ التَّذْكَارِ لِلنَّفْسِ عِلْمُهَا الـ ـــمُقَدَّمُ تَــسْتَهْدِيْهِ مِنِّــيَ فِتْيَتِــي

(**وفي عالَم**): بفتح اللام. وقوله (**التذكار**): أي التذكر، أي: خلاف النسيان.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٣٧] وقوله (للنفس): متعلّق بالتذكار، أي: تذكّر النفس عهد: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/الأعراف/ ١٧٢]. وقوله (علمها المقدّم): أي الذي علمته في ذلك العالم بخطاب الحقّ تعالى لها، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [٧/ العلق/ ١٧٢] وقوله (تستهديه به): أي تطلب الهداية به، وترغب فيها. وقوله (منِّي): أي لا من أنفسها / [٢٨٩/ أ] لعلمها بتصرّفي في نفوسها، وفيها، وهي لا تطلب ذلك الأمر، فتصدر بمطلوبها عنِّي. وقوله (فِتْيَتي): فاعل تستهدي، جمع فتى، قال في المصباح: «الفتى العبد. وجمعه للقلَّة فِتْيَة. وفي الكثرة فِتْيان، والأَمَة: فَتاة، وجمعها: فَتَيَات. والأصل فيه أنْ يقال للشابِّ الحَدَث: فتى، ثمّ استُعير للعبد وإنْ كان شيخاً مجازاً باسم ما كان عليه. والمراد هنا المريدون والسالكون على يديه.

٧٦١- فَحَيَّ عَلَى جَمْعِي القَدِيمِ الذي بِهِ وَجِدْتُ كُهُولَ الحَيِّ أطْفَالَ صِبْيَةِ

(فحيّ): اسم فعل، قال في المصباح: «حَيَّ على الصلاة ونحوها، قال ابن قتيبة: معناه هلمَّ إليها. ويقال: حيَّ على الغداء، وحيَّ إلى الغداء، أي: أقبل، قالوا: ولم يشتق منه فعل». وقوله (على جمعي):أي مقام جمعي، أي: مقام جمعي على الحقّ الذي فيه أفنى، ويبقى الحقّ تعالى وحده، لا سواه بانكشاف وجوده الحقّ لي. وقوله (القديم): صفة لجمعي، فإنّ هذا الجمع قديم لا أوّل له، لأنّ فيه رجوع كلّ شيء إلى ما كان عليه في علم الله تعالى من أصله العدميّ. وقوله (الذي به): وصف لجمعي أيضاً؛ يعني: بسببه، وباعتبار أنّي ذائق له. والجار والمجرور متعلّق بوجدت، قدّم للحصر. وقوله (وَجَدتُ): من الوجدان، وهو مصادمة الشيء ومنازلته عن تحقّق به. وقوله (كهول): جمع كهل، وهو من جاوز الثلاثين، ووخطه الشيب. وقيل: من بلغ الأربعين. وعن ثعلب في قوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ [٣/ آل عمران/ ٤٦] قال ينزل عيسى عليه السلام إلى الأرض كهلاً ابن ثلاثين سنة. والجمع: كهول. وقوله (الحيّ): وهو القبيلة من العرب، والجمع أحياء. وقوله

(**أطفال**): مفعول ثانٍ لوجدت، والمفعول الأوّل كهول. و(**الأطفال**): جمع طفل، وهو: الولد الصغير من الإنسان والدوابّ، قال ابن الأنباري: ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنّث والجمع. قال تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣١]. ويجوز المطابقة في التثنية والجمع والتأنيث فيقال: طِفْلة وأطفال وطِفْلات، كذا في المصباح. وقوله (**صِبية**): جمع صَبي، وهو الصغير، وجمعه: صبية بالكسر وصِبيان، كما في المصباح. يعني: وجدت بسبب اتّصافي بمقام الجمع القديم الذي ذكرناه المشايخ الكبار من النّاس بمنزلة الأطفال الصغار، لاستيلاء الغفلة على قلوبهم وجهلهم بأنفسهم وبربّهم الذي هو معهم أينما كانوا بحكم قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤].

٧٦٢- وَمِنْ فَضْلِ مَا أَسْأَرْتُ شِرْبُ مُعَاصِرِي وَمَنْ كَانَ قَبْلِي فَالفَضَائِلُ فَضْلَتِي

(**ومن فضل**): أي بقيّة. وقوله (**مأ أسأرتْ**): سَئِرَ الشيءُ سُؤْرَاً، من باب شرب: بقي، فهو سائر. قال الأزهري: واتفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء: باقيه، قليلاً كان أو كثيراً، كما في المصباح. يعني: من بعض ما فضل من سؤري، أي: بقيّة شرابي الإلهيّ الذي شربته، وهو كلام مترجم عن مادته الأصليّة، وحقيقته المحمّديّة. وقوله (**شِرب**): بكسر الشين المعجمة، وهو النصيب من الماء، كذا في المصباح. (**مُعاصري**): بضمّ الميم: اسم فاعل، أي: من هو في عصري وزماني من الأولياء العارفين. وقوله (**ومن كان قبلي**): ما أهلّ الولاية الكاملة، والمرتبة الفاضلة؛ فالحقيقة المحمّديّة الجامعة للكمالات كلّها ممدّة للأوّلين والآخرين من الأولياء والأنبياء والمرسلين، ولا فضيلة إلّا وهي مستمدّة منها، وصادرة عنها؛ ولهذا قال (**فالفضائل**): جمع فضيلة، قال في المصباح: «الفضيلة والفضل: الخير، وهو خلاف النقيصة والنقص./ [٢٨٩/ ب] وقوله (**فضيلتي**): أي بقيّتي التي أبقيتها لغيري.

أَرَجُ النَّسِيمِ

[الكامل]

وقال أيضاً قدّس الله سرّه:

١ - أَرَجُ النَّسِيمِ سَرَى مِنَ الزَّوْرَاءِ   سَحَراً فَأَحْيَا مَيِّتَ الأَحْيَاءِ

(أَرَجُ): بالتحريك، قال في الصحاح: «الأَرَجُ والأَرِيج: تَوَهُّجُ ريح الطِيْب، تقول: أَرِجَ الطِيْبُ، بالكسر يَأْرَجُ أَرَجاً وأَرِيْجاً: إذا فاح. وقوله (النسيم): هو نفس الريح والنسْمة، بالسكون مثله، وهو كناية عن انتشار ما تحمله الروح الأمري، المنبعث عن توجّه أمر الله تعالى من علوم المعارف الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة. وقوله (سَرَى): أي سار في ظلمة ليل الكون الجسمانيّ، يقال: سَرَيْتُ الليلَ، وسَرَيتُ بِهِ سَرْيَاً. والاسم السِّرَايَة: إذا قطعته بالسَيْر. وأَسْرَيْتُ بالألف: لغة حجازية. قال أبو زيد: ويكون السُّرَى أوّل الليل وأوسطه وآخره، كما في المصباح. وقوله (من الزوراء): وهي بغداد لأنّ أبوابها الداخلة جعلت مزوَّرة عن الخارجة، وموضع بالمدينة قرب المسجد. والمراد هنا الأوّل؛ لأنّ بغداد كانت منزل القطب؛ فهي إشارات إليه، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في شرح ترجمان الأشواق عند قوله:

القصر ذو الشرفات من بغداد   لا القصر والشرفات من سنداد

يقول: «الحضرة المعلَّمة من حضرة القطب هو المطلوب لأصحاب الهمم في المقامات أنْ ينالوها، لأنّها حضرة التصرّف، والاستخلاف، والتحكّم، ظاهراً وباطناً...» إلى آخر كلامه. و(سنداد) كما قال في الصحاح: اسم نهر، ومنه قول أسود بن يعفر:

أهل الخورنق والسدير وبارق   والقصر ذو الشرفات من سنداد

أو المراد الثاني، كناية عن الحضرة المحمّديّة الجامعة للكمالات كلّها ظاهراً وباطناً. وقوله (**سَحَراً**): السَحَر بفتحتين: قبيل الصبح، وبضمّتين لغة. والجمع: أسحار، كما في المصباح. كناية عن أوائل الفتح الربّانيّ على السالكين، وتخليصهم من ظلمة النفس والغفلة بالغيريّة الوهميّة. وقوله (**فأحيا**): يعني بالحياة الأبديّة الإلهيّة. وقوله (**ميِّت**): بتشديد الياء التحتيّة، من قولهم: مات الإنسان يَمُوت مَوْتاً، ومَات يُمات، من باب خاف لغة، ومِتُّ بالكسر، أَمُوتُ لغة ثالثة، وهي من باب تداخل اللغتين، فهو مَيِّت بالتثقيل والتخفيف، وقد جمعها الشاعر فقال:

ليس من مات فاستراح بِمَيْتٍ إنّما المَيْتُ مَيِّت الأَحياءِ

وقال بعضهم: ويقال في الحيّ: مَيِّت، بالتثقيل لا غير، وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٠] أي سيموتون، كذا في المصباح. وقوله (**الأحياء**): جمع حيّ، من الحياة، فهو خلاف الميت. وجمعه: أحياء، أو حيّ، أي: قبيلة من قبائل العرب، والجمع: أحياء أيضاً. كناية عن منزل من منازل القرب. والمعنى: فأحيا ذلك الأرج المذكور من مات بظهور الحياة الحقيقيّة الربّانيّة بسبب ظهورها له، أو من مات بالوصول إلى مقام الجمع، وفارق الفرق؛ فإن مقام الجمع منزل من منازل القرب. ومن ذلك قول ابن غانم المقدسي قدّس الله سرّه[1]:

اقتلوني يا سقاتي إنّ قتلي حياتي
فحياتي في مماتي ومماتي في حياتي
أنا عند محو ذاتي من أجلّ المكرمات
وبقائي بصفاتي من قبيح السيّئات

فإنّه يخاطب مشايخه الذين يسقونه سمّ المعرفة الربّانيّة، والتحقيق بالتجلّيات الإلهيّة ليموت عن الحياة الوهميّة، ويحيا بالحياة الحقيقيّة الرحمانيّة.

---

(١) لعلّ هذه الأبيات للحلاج.

٢-أَهْـدَى لَنَـا أَرْوَاحَ نَجْـدٍ عَرْفُـهُ فَالْـجَوُّ مِنْـهُ مُعَنْـبَرُ الأَرْجَـاءِ

(أهدى): من الهديّة، قال في المصباح: أَهْدَيتُ للرجل كذا، بالألف: بعثت به إليه إكراماً، / [٢٩٠/ أ] فهو هديَّة بالتثقيل لا غير، والجمع: الهدايا». وقوله (لنا): أي معاشر المحبِّين الإلهيّين. وقوله (أرواح): جمع ريح، قال في المصباح: «الريح: الهواء المسخّر بين السماء والأرض، وأصلها الواو بدليل تصغيرها على رُوَيْحَة؛ ولكن قلبت ياءً لانكسار ما قبلها. والجمع: أَرْواح ورِياح. وبعضهم يقول: أرياح، بالياء على لفظ الواحد. والريح أربع: الشَمَال، ويأتي من ناحية الشام، وهي حارّة في الصيف بارح[1]. والجنوب تقابلها، وهي الريح اليمانيّة. والثالثة الصَبَا، وتأتي من مَطلع الشمس، وهو القَبول أيضاً. والرابعة: الدَبور، وتأتي من ناحية المغرب. والريح مؤنّثة على الأكثر، فيُقال: هي الريح. وقد يُذكر على معنى الهواء، فيقال: هو الريح، وهبّ الريح. نقله أبو زيد، وقال ابن الأنباري: الريح مؤنّثة لا علامة فيها، وكذلك سائر أسمائها إلّا الإعصار؛ فإنّه مذكّر». والأرواح هنا كناية عن الأرواح: جمع روح، وهي المنفوخة في الجسد الإنسانيّ عن الروح الأعظم القائم بأمر الله تعالى، قال تعالى: «﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي ﴾ [١٧/الإسراء/ ٨٥] وأضاف الأرواح إلى نجد، وهي بلاد معروفة من جزيرة العرب، وأوّلها من ناحية الحجاز ذات عِرق، وآخرها سواد العراق، فهي بين الحجاز والعراق؛ ولهذا قيل: ليست من الحجاز. وفي التهذيب: كلّ ما وراء الخندق الذي خندقه كسرى على سواد العراق، فهو نجد إلى أنْ تميل إلى الحَرَّة؛ فإذا مِلت إليها فأنت في الحجاز، كذا في المصباح. وأعلى نجد وهو المتّصل بالبحرين، يسمّى نجد الحجاز، وأسفلها يسمّى نجد العراق. وبعضهم يجعل المدينة من نجد، كذا وجدته بخط الشهاب الفيّومي، أحمد بن محمّد الهمداني المعروف بخطيب

---

(١) بارح: حاملة للتراب.

الدهشة[1]، مصنِّف كتاب: المصباح في اللغة. كنّى الناظم قدّس الله سرّه بنجد عن الحضرة الإلهيّة الأمريّة؛ فإنّ الأرواح منفوخة من أمر الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/٢٩]. وقوله (عَرْفُهُ): أي عَرْف ذلك الأَرَج المذكور في البيت قبله. و(العَرْف): بالفتح، قال في الصحاح: «هو الريح، بمعنى الرائحة، طيبة كانت أو منتة. يقال: ما أطيب عَرْفَهُ. والمعنى: إنّ شدّة رائحة الطيب الروحانيّ المنبعث عن روح الله الأمري أهدى لنا أخبار التجلّيات الربّانيّة، وأسرار التدلّيات الإلهيّة الرحمانيّة، كما قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

أسكرتِ بان الحمى يا نسمة السحر ... فهل أتيت عن الأحباب بالخبر

نعم مررت بذاك الحيّ فاكتسبت ... ذيول بردك ريّا نشره العطر

يا روح روحي بروحي للحمى وقفي ... به فديتك بين البان والسمر

ففي بيوت الحمى سمراء قد حجبت ... بالسمر عنّا وبالهنديّة البتر

وقوله (فالجوّ): الفاء للتفريع على ما قبله، والجو: ما بين السماء والأرض. والجو أيضاً: ما اتّسع من الأودية، والجمع الجِوَاء مثل: سَهْم وسِهَام، كذا في المصباح. وقوله (منه): أي من ذلك العرف. وقوله (مُعَنْبَرُ الأَرْجاء): المعنبر الذي يعطي رائحة العنبر، يقال: مكان معنبر، أي: توجد فيه رائحة العنبر، كأنّه بَخَرَ به. والعنبر: ضرب من الطيب. وقال في القاموس: «العنبر: من الطيب، رَوْث دابّة بحريّة، أو نبع عين في البحر، ويؤنّث». وقوله (الأرجاء): بفتح الهمزة، ممدود، جمع رجاء، قال في المصباح: «الرَّجَا مقصور: الناحية من البئر وغيرها، والجمع:

---

(١) هو شهاب الدين أبو العبّاس، أحمد بن محمّد بن علي الفيّومي، ويعرف بابن ظهير. نسبه السخاوي إلى همدان إحدى القبائل العربيّة، نشأ بالفيّوم وجمع في علوم العربيّة على أبي حيّان النحويّ الأندلسيّ ثمّ ارتحل إلى حماة، فعيّنه الملك إسماعيل الأيوبيّ خطيباً لجامع الدهشه الذي بناه. من أهم كتبه المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. قال ابن حجر في الدرر الكامنة: كأنّه عاش إلى ما بعد سنة ٧٧٠هـ. انظر الدرر الكامنة ١ / ١٠٥ .

أَرْجاء مثل: سبب وأسباب». والمعنى: إنّ نواحي الدنيا، أو نواحي قلوب الأولياء العارفين مبتهجة متزيِّنة بما يلقى إليها من جهة العوالم الروحانيّة، والعجائب الملكوتيّة، والأسرار الغيبيّة من الحضرة الإلهيّة

٣- وَرَوَى أَحَادِيْثَ الأَحِبَّةِ مُسْنِدَاً عَنْ إِذْخِرٍ بِأَذَاخِرٍ وَسِحَاءِ

/[٢٩٠/ب] (**وروى**): أي نقل إلينا ذلك العَرف الطيِّب. وقوله (**أحاديث**): جمع حديث، وهي الأخبار، قال في المصباح: «الحَديث: ما يُتَحدَّث به ويُنقل». و(**الأحبّة**): الذين يحبّهم، كناية عن حضرات الأسماء الإلهيّة الظاهرة في صور الهياكل الإنسانيّة، أي: رَوَى ذلك عن حضرة الذات الربّانيّة. وقوله (**مُسنِداً**): بكسر النون على صيغة اسم الفاعل، حال من فاعل روى. وقال في المصباح: «أسْنَدتُ الحديثَ إلى قائله: رفعتُه إليه بذكر ناقله». وقوله (**عن إذخِرٍ**): وهو بكسر الهمزة والخاء المعجمة: نبات معروف ذكيّ الريح، وإذا جفَّ ابْيَضَّ، كما في المصباح. وقوله (**بأذاخرٍ**): بالفتح، موضع قرب مكّة، كذا في القاموس. وقوله (**وسِحَاء**): بكسر السينٍ المهملة، ممدود، معطوف على إذخر، قال في الصحاح: «السِّحَاء نبْتٌ تأكل منه النَحْل فيطيب عسلهاعليه. ويقال: ضَبٌّ سَاحٍ: يرعى السِّحاء. وكنّى باذخرٍ عن حضرة الصفات الجماليّة، وبالسِّحاء عن حضرة الصفات الجلاليّة، وكنّى بأذاخر عن حضرة الذات الإلهيّة الجامعة للجمال والجلال؛ فهي ظاهرة بينهما بحفرة الكمال.

٤- فَسَكِرْتُ مِنْ رَيَّا حَوَاشِي بُرْدِهِ وَسَرَتْ حُمَيَّا البُرْءِ فِي أَدْوَائِي

(**فسكرت**): الفاء للتفريع والتعقيب على ما قبله، يقال: سَكِرَ سَكَراً، من باب تعِب، وكسر السين في المصدر لغة، فهو سَكْرَان، وامرأة سَكْرَى، والجمع: سُكَارَى، بضمّ السين، وفتحها لغة، وفي لغة بني أسد يقال في المرأة: سَكْرانة، والسُّكر: اسم منه. وأَسْكَرَهُ الشرابُ: أزال عقله، كذا في المصباح. وقوله (**من ريّا**): بفتح الراء وبتشديد الياء التحتيّة، قال في المصباح: «رَوِيَ من الماء يَرْوَى رَيّاً،

فهو رَيّان، والمرأة رَيّا، وِزَان: غَضْبَان وغضبى». وقوله (حواشي): جمع حاشية. قال في المصباح: «حاشية الثوب: جانبه، والجمع: الحَوَاشِي». وكون الحواشي رَيّا، أي: ممتلئة من الطيب. وقوله (بُرْدِه): أي بُرد ذلك العَرف المذكور. والبُرْد بالضمّ، جمعه: بُرُود وأَبْراد، وهو ثوب فيه خطوط. وقوله (وسرت): يقال: سرى إذا سار ليلاً، قال في المصباح: «وقد استعملتِ العربُ سَرَى في المعاني تشبيهاً لها بالأجسام مجازاً واتساعاً. وقال الفارابي: سَرَى فيه السمّ والخمر ونحوهما. ويقال: سَرَى عِرْقُ السُوء في الإنسان». وقوله (حُميّا): فاعل سرت، وهو من أسماء الخمر. وقوله (البُرْء): بضمّ الباء الموحّدة، بَرَأَ من المرض يَبْرَأُ من بابي نَفَع وتَعِب، وبَرُأ بُرْأً، من باب: قَرُبَ، لغة، كذا في المصباح. وجعل البُرْء من السقام حُميّا للذّته. وقوله (في أدوائي): متعلّق بسرت، قال في المصباح: «الداءُ: المرض، وهو مصدر من دَاءَ الرجلُ والعُضوُ يَدَاء، من باب تعِب، والجمع: الأدواء، مثل: باب وأبواب.

٥- يَا رَاكِبَ الوَجْنَاءِ بُلِّغْتَ المُنَى ... عُجْ بِالحِمَى إنْ جُزْتَ بِالجَرْعَاءِ

٦- مُتَيَمِّمًا تَلَعَاتِ وَادِي ضَارِجٍ ... مُتَيَامِنًا عَنْ قَاعَةِ الوَعْسَاءِ

(يا راكب الوَجناء): قال في الصحاح: «الوَجِين: العارض من الأرض، ينقاد ويرتفع قليلاً، وهو غليظ، ومنه الوَجْنَاء، وهي الناقة الشديدة، شُبِّهَتْ به في صلابتها. وقال قوم: هيّ العظيمة الوَجْنَتَين». كنّى بها عن النفس المطمئنّة؛ فإنّها شديدة القوّة لاطمئنانها على أمر الله تعالى القائمة به، وهي نفس السالك الصادق في سلوكه؛ فإنّه راكبها، وهي مطمئنّة معه مطاوعة له. وقوله (بُلِّغتَ): بضم الباء الموحّدة وتشديد اللام مكسورة، أي: بلغك الله تعالى. وقوله (المُنى): جمع مُنْيَة، وهي المقصود، قال في المصباح: «تمنيّت كذا، قيل: مأخوذ من المَنَا، وهو القَدَر؛ لأنّ صاحبه يُقَدِّر حصوله، والاسم: المُنْيَة والأُمْنِيَة. وجمع الأولى مُنَىً، مثل: غُرْفَة وغُرَف. وجمع الثانية الأماني». وهو جملة معترضة بالدعاء كقول بالمتنبِّي/ [٢٩١/ أ]:

إذا خَلَتْ منك حِمصٌ لا خلت أبداً ... فلا سقاها من الوسمِيِّ باكِرُه

فإنّ قوله (**لا خلت أبداً**): جملة معترضة بالدعاء للممدوح. وقوله (**عُجْ**): فعل أمر، من عَاجَ عَوْجَاً ومَعَاجَاً: أقام. لازم، متعدّ. ووقف، ورجع. وعطف رأس البعير بالزمام، كذا في القاموس. وقوله (**بالحمى**): من أحميته بالألف: جعلته حِمَىً لا يُقرب ولا يُجترأ عليه كما في المصباح. والحِمَى: كناية عن الحضرة الإلهيّة. يعني: أقم في مراقبتها. وقوله (**إن جزت**): جاز المكان يَجُوزُه جَوْزَاً وجَوَازَاً: سار فيه، كذا في المصباح. وقوله (**بالجرعاء**): قال في القاموس: «الجَرْعَةُ، وتحرّك: الرَّمْلَةَ الطيِّبةُ المَنْبِت، لا وُعُوثَةَ فيها. أو الأرض ذات الحُزُونَة، تُشاكِلُ الرمْل، أو الدِّعْصُ لا يُنْبِتُ، أو الكَثيب جانب منه رَمْلٌ، وجانبٌ حجارة، كالأَجْرَع والجَرْعَاء في الكلّ. وكنّى بذلك عن مقام المجاهدات النفسانيّة والمكابدات الإنسانيّة في طريق الله تعالى. وقوله (**مُتيَمِماً**): حال من فاعل عجّ، أي: قاصداً، قال في المصباح: «يَمَّمْتُهُ: قَصَدْتُهُ، وتَيَمَّمْتُهُ: تَقَصَّدْتُهُ». وقوله (**تَلَعَاتٍ**): جمع تَلْعَة، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي. والجمع تِلاع، مثل كلبة وكلاب. والتَّلْعَة أيضاً: ما انهبط من الأرض، فهي من الأضداد، كذا في المصباح، وقال في القاموس: «التلعة: ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها، ضدّ. ومسيل الماء، وما اتسع من فوهة الوادي، والقِطعة المرتفعة من الأرض. والجمع: تَلَعَات وتِلَاع». وهي كناية عمّا يجده السالك من الأحوال التي ترتفع به مرّة، وتنخفض به أخرى. وقوله (**وادي ضارج**): وهو اسم موضع، قال امرئ القيس:

تيمَّمتُ العَينَ التي عند ضارجٍ يفيء عليها الظِلُّ عِرْمضها طامي[1]

وهو كناية عن القلب الإنسانيّ الذي تعتريه الأحوال. وقوله (**متيامناً**): حال بعد حال من فاعل (**عج**): أي آخذاً جهة اليمين، والنفس هي في جهة اليمين، كما أنّ القلب في جهة اليسار. وقوله (**عن قاعة الوعساء**): قال في القاموس: «قاعة الدار ساحتها». و(**الوعساء**): رابية من رمل، ليِّنة، تنبت أنواع البقول، وموضع

(١) العرمض: من شجر العضاه، أو صغار السدر والأراك.

بين الثعلبيّة والخزيميّة. وقال في الصحاح: «قاعة الدار: ساحتها، [القيعة] مثل القاع. والقاع: المستوى من الأرض». و(الوَعْسَاء): الأرض الليّنة ذات الرمل، وكنّى بها عن النفس الحيوانيّة ذات الشهوات الكثيفة الجسمانيّة.

٧- وَإذَا وَصَلْتَ أُثَيْلَ سَلْعٍ فَالنَّقَا ... فَالرَّقْمَتَيْنِ فَلَعْلَعٍ فَشَظَاءِ

٨- وَكَذَا عَنْ العَلَمَيْنِ مِنْ[1] شَرْقِيِّهِ ... مِلْ عَادِلاً لِلْحِلَّةِ الفَيْحَاءِ

(وإذا وصلتَ): الخطاب لراكب الوَجناء. وقوله (أُثيلَ): بالنصب، مفعول وصلتَ، قال في الصحاح: «وصلتَ الشيءَ وَصْلاً، وَوَصَل إليه وُصُولاً، أي: بلغ». والأُثيل تصغير الأَثل، وهو شجر، وهو نوع من الطرفاء، الواحدة: أَثْلَة، والجمع أَثَلات». وقوله (سَلْع): بالإضافة، وهو اسم جبل بالمدينة، وأُثيل سَلْع: كناية عن مقام من المقامات المحمّديّة الناشئة من الكشف عن الحقيقة النوريّة. وقوله (فالنقاء): الفاء للعطف مع الترتيب والتعقيب. و(النقا): الكثيب من الرمل. كناية عن مقام محمّدي تتبيّن الأحوال فيه لصاحبه، لأنّ الرمل غير ملتصق الأجزاء. وقوله (فالرَّقْمَتَيْنِ): تثنية رَقْمَة، قال في الصحاح: «جانب الوادي، وقد يقال: الروضة، قال زهير:

ودار لها بالرقمتين كأنّها ... مراجع وشم في نواشر معصم

وذلك كناية عن مقام محمّدي متداخل مع مقام آخر تتبيّن فيه الأحوال كالوشم المتبيّن، أو الوشي في الثوب. وقوله (فلَعْلَع): قال في القاموس: «اللَّعْلَعُ: السراب، واسم /[٢٩١/ ب] جبل، واسم موضع، واسم ماء بالبادية، وشجر حجازي». وذلك كناية عن مقام محمّديّ جامع. وقوله (فَشَظَاءِ): بالشين والظاء المعجمتين: اسم جبل مقام آخر محمّدي جامع. وقوله (فكذا): أي مثل ذا المذكور، وهو التنقّل في المقامات والمنازل المحمّديّة التي بعضها فوق بعض، وأكشف من بعض.

---

(١) في (ق): عن.

وقوله (**عن العَلَمَين**): تثنية عَلَم، بفتح اللام، وهو الجبل. وأشار بالعلمين إلى المأزمين، بالهمز وتركه، وهما الجبلان بين عرفة والمزدلفة. وقوله (**من شرقيه**): أي شرقي شظاء المذكور في البيت قبله. كناية عن مقام جمع الجمع المشتمل على الفرق والجمع، فإنّهما عَلَمان، بفتح اللام، عظيمان من شرقي شظاء، وشظاء القوم خلاف صميمهم، وهم الأتباع والدخلاء عليهم بالحلف، كذا في الصحاح. فإنّ هذين العلمين من جنس ما هم فيه الأتباع والدخلاء من المريدين في ابتداء سلوكهم من عدم الثبات على جمع أو فرق. وقوله (**مِلْ**): فعل أمر من المَيْل. وقوله (**عادلاً**): حال من فاعل مِلْ، يقال: عدل عنه: انصرف عنه. وعدل إليه: أقبل عليه. وقوله (**للحلّة**): أي إلى الحلّة، وهي بالكسر: القوم النازلون، وتطلق الحِلّة على البيوت مجازاً، تسمية للمَحَل باسم الحالّ، وهي مائة بيت فما فوقها، كذا في المصباح. وقوله (**الفيحاء**): أي المتسعة، قال في المصباح: «فاح الوادي: اتسع، فهو أَفْيَح، على غير قياس. وروضة فَيْحَاء: واسعة». كنّى بالحِلّة عن منازل العارفين الكاملين المحمّديين، ثمّ وصفها بالاتساع لكمال الكشف فيها عن الملك والملكوت والجبروت.

٩- وَاقْرِ السَّلامَ عُرَيْبَ ذَيَّاكَ اللِّوَى مِنْ مُغْرَمٍ دَنِفٍ كَئِيبٍ نَاءِ

١٠- صَبٍّ مَتَى قَفَلَ الحَجِيجُ تَصَاعَدَتْ زَفَرَاتُهُ بِتَنَفُّسِ الصُّعَدَاءِ

١١- كَلَمَ السُّهَادُ جُفُوْنَهُ فَتَبَادَرَتْ عَبَرَاتُهُ مَمْزُوْجَةً بِدِمَاءِ

(**واقْرِ**): بحذف الهمزة تخفيفاً، وأصله من قرأ يقرأ، قال في المصباح: «قرأت على زيد السلام أقرؤه عليه قراءة. وإذا أمرت منه قلت: اقْرَأْ عليه السلام. قال الأصمعي: وتَعْدِيَتُهُ بنفسه خطأ، فلا يقال اقْرَأْهُ السلامَ؛ لأنّه بمعنى اُتْلُ عليه. وحكى ابن القَطَّاع أنّه يتعدّى بنفسه رباعيّاً فيقال: فلان يُقْرِئُكَ السلام بمعنى». وحكاها أيضاً في الصحاح فقال: «فلان قَرَأَ عليك السلام، وأَقْرَأَكَ السلام بمعنى». وقوله (**عريب**): تصغير عرب. وقوله (**ذيّاك**): بتشديد الياء التحتيّة،

تصغير ذاك؛ إشارة إلى أهل المعارف والحقائق الّذين كنّى عنهم بالحِلّة الفيحاء في البيت قبله. وكونهم عُرَيباً مصغراً تصغير تعظيم، من أعرب الرجل: إذا كان فصيحاً، وأعربت الشيءَ وأعربتُ عنه بمعنى التبيين والإيضاح؛ لأنّهم كاملون في الكشف والبيان. وتصغير اسم الإشارة للتعظيم أيضاً. وقوله (**اللِّوى**) كإلى: ما التوى من الرمل، أو مستدقّة. وقال في الصحاح: «لِوَى الرمل، مقصور، منقطعه». وكنّى به عن المقام المحمّديّ الجامع. وقوله (**من مُغْرَمٍ**): يعني نفسه، لكمال اشتياق الجنس إلى جنسه. والمُغْرَم بصيغة اسم المفعول صفة لموصوف محذوف من أُغْرِمَ بالشيء بالبناء للمفعول: أُولِع به فهو مُغْرَم، كذا في المصباح. وقوله (**دَنِف**): صفة بعد صفة، من دَنِفَ دَنَفَاً، من باب تَعِب، فهو دَنِف: إذا لازمه المرض. وأدْنَفَه المرض، وأدَنَفَ هو، يتعدّى ولا يتعدّى، كما في المصباح وقوله (**كَئِيب**): من الكآبة، سوء الحال، والانكسار من الحزن. وقد كَئِبَ الرجلُ يَكْأَبُ كَأْبَةً وكَآبَة مثل: رَأْفَةً ورَآفَةً، وَنَشْأَةً ونَشَاءةً، فهو كئيب. وامرأة كَئِيبَة وكَأْباء أيضاً، كذا في الصحاح. وقوله (**ناء**): اسم فاعل من نَأَى نَأْياً، من باب نفع، بعد كذا في المصباح. ومعناه: البعيد عن أوطان عاداته/ [٢٩٢/ أ] وأهالي مقاصده ومراداته. وقوله (**صبٍّ**): بالجر، صفة بعد صفة، من الصبابة، وهي رِقّة الشوق وحرارته، يقال: رجل صَبٌّ: عاشق مشتاق، كذا في الصحاح. وقوله (**متى قفل**): أي رَجَعَ، قال في المصباح: «قَفَلَ من سفره قُفُولاً، من باب قعد: رَجَعَ». وقوله (**الحجيج**): جمع حاجّ، قال في المصباح: «حَجَّ حَجّاً، من باب قتل: قَصَدَ، فهو حاجٌّ، هذا أصله، ثمّ قُصِرَ استعماله في الشرع على قَصْد الكعبة للحجّ، أو العُمْرَة. ومنه يقال: «ما حَجَّ ولكنْ دَجّ. فالحجّ: القصد للنُّسُك، والدَّجُّ: القَصْد للتجارة ، وجمع الحاجِّ: حُجَّاج وحَجِيْج. وكنّى بالحجّ عن قصد الحضرة الإلهيّة، والتوجّه القلبيّ إلى التحقّق بالوجود الحقيقيّ المتجلّي بالأعيان الكونيّة بعد الإحرام، والتجرّد بالفناء الأصليّ عن نسبة الوجود للتقادير العدميّة. والحَجِيج

هم العارفون بأنفسهم وبربّهم على الكمال، ورُجُوعُهم هو عَوْدُهم إلى ما كانوا فيه من العادات والعبادات في الفرق الثاني بعد الجمع. وقوله (**تصاعدت**): أي عَلَتْ. وقوله (**زفراته**): جمع زَفْرَة ، من الزَّفِير، وهو: إدخالُ النَّفَسِ، والشَّهِيقُ: إخراجه. وقد زَفَرَ يَزْفِرُ، والاسم: الزَّفْرَة، والجمع: زَفَرَات، بالتحريك،لأنّه اسم وليس بنعت، وربّما سكنّها الشاعر للضرورة كما قال: (فتستريح النَّفْسُ من زَفْراتها) كذا في الصحاح. وقوله (**بتنفّس الصعداء**): قال في الصحاح: «الصَّعَداء: بالضمّ والمدّ تنفّس، ممدود؛ وهذا منه قدّس الله سرّه تأسّف وتحسّر على تحصيل تلك المقامات العليّة والتجلّي بهاتيك التجلّيات الربّانيّة، وذلك في ابتداء سلوكه في الطريق، وظهور بوارق التوفيق. وقوله (**كَلَمَ**): بالفتحات الثلاث، أي: جرح، قال في المصباح: «كَلَمْتُه كَلْماً، من باب قتل: جرحته، ومن ضرب لغة. ثمّ أُطلق المصدر على الجُرْح، وجُمع على كُلُوْم وكِلام، مثل بَحْر وبُحُوْر وبِحَار». وقوله (**السُّهاد**): فاعل كَلَمَ، بضمِّ السين المهملة: الأَرَق. وقد سَهِدَ الرجل بالكسر يَسْهَدُ سُهْداً». وقوله (**جفونه**): مفعول كلم، والجُفُون: جمع جَفْن، وهو غِطاء العين من أعلاها وأسفلها. والضمير يعود على الصبّ. وقوله (**فتبادرت**): أي أسرعت، من بَدَرَ إلى الشيء بُدُوْرَاً، وبَادَرَ مُبَادَرَةً وبِداراً من بابيّ قعد وقاتل: أسرع، كذا في المصباح. وقوله (**عَبَرَاتِه**): أي الصبّ، جمع عَبْرَة بالفتح، قال في الصحاح: العَبْرَة بالفتح تَحَلّب الدمعُ، تقول منه عَبِرَ الرَّجُلُ بالكسر يَعْبَرَ عَبْراً فهو عَابِرٌ. والمرأةُ عابِرٌ أيضاً. وقوله (**ممزوجة**) أي: مخلوطة، حال من عَبَرَاتُهُ. وقوله (**بدماء**): جمع دم، متعلّق بممزوجة، وهو بيان لحاله في ابتداء سلوكه، ومجاهدته في نفسه.

١٢- يَا سَاكِنِي البَطْحَاءِ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ أُحْيَا بِهَا يَا سَاكِنِي البَطْحَاءِ

(**يا ساكني**) أصله: يا ساكنين، فحُذفت النون للإضافة إلى قوله البطحاء. الأَبْطَح كلّ مكان متّسع، والأبطح بمكّة هو المُحَصَّب، كذا في المصباح. وقال في

الصحاح: «الأَبْطَح: مَسيل واسع فيه دِقاقُ الحَصَا، والجمع: الأَباطح والبِطَاح أيضاً، على غير القياس. والبَطِيْحَة والبَطْحَاء: مثل الأَبْطَح. ومنه بَطْحَاء مكّة»، وهو المراد هنا. كنّى بالساكنين بالبطحاء عن الأولياء العارفين بربّهم، المراقبين للحضرة الإلهيّة، أهل شهود الذات من وراء الأسماء والصفات، وهم المشايخ الكاملون المحقِّقون. وقوله (**هل من عودة**): يعني إلى ذلك المقام السامي، والسرّ الناجي. وقوله (**أُحْيَا**): بضمّ الهمزة، فعل مضارع مبني للمفعول، أي: يُحيِيني الله تعالى. وقوله (**بها**): أي بتلك العودة، أو مبني للفاعل، أي: أَحْيا أنا في نفسي بها، أي: تظهر بها حياتي الحقيقيّة لي، وهي الحياة الإلهيّة؛ لأنّي أنا في نفسي ميت من جهة نفسي، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٠]/ [٢٩٢/ ب] وقوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٢١] وقال تعالى عن نفسه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] أي لا سواه حيّ؛ فإنّ تعريف المسند والمسند إليه يفيد الحصر. وقوله (**يا ساكني البطحاء**): ردّ العجز على الصدر، وهو تكرار لطيف من أنواع البديع، والتشوّق إلى الكاملين من أهل المعرفة الإلهيّة تشوّقٌ إلى الظاهر بهم، المتجلّي عليهم، المنكشف بهم لهم على الكمال والتحقيق التّام؛ فلا يظنَّ أحد أنّه ميل إلى الأغيار، ولا تشوّق إلى شيء من الأعيان والآثار، كما قلنا في قصييدة لنا:

ليس طيب الحياة غير وفاتك	والسوى فاتن النفوس وفاتك
يا محبّاً أحبّ ثوب حبيب	أعطِ نفس الحبيب بعض التفاتك
وتحقّق بمن تحبّ تجده	أنت والجهل للأحبّة هاتك
صور من مصوِّر كثياب	لبستها عليك نفس فتاتك

١٣- إنْ يَنْقَضِي صَبْرِي فَلَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَجْدِي القَدِيمُ بِكُمْ وَلَا بُرَحَائِي

(**إنْ ينقضي**): أي ينفد، ومقتضى إنْ الشرطيّة حذف الياء. وقد أُشبعت الكسرة لضرورة الوزن، فتولّدت الياء. قال في الصحاح: «انقضى الشيء وتَقَضّى بمعنى».

وقوله (صبري): فاعل انقضى. وقوله (فليس بمنقضٍ): أي بنافد، خبر ليس مقدّم. وقوله (وجدي): اسم ليس مؤخر، قال في الصحاح: «وَجَدَ في الحُزْنِ وَجْداً بالفتح، وتَوَجَّدْتُ لفلان، أي: حَزِنْتُ لَه». وقوله (القديم): وصف لوجدي. وقوله (بكم): أي بسببكم. والخطاب لساكني البطحاء، على المعنى الذي ذكرناه. وقوله (ولا بُرَحائي): بالضمّ، قال في الصحاح: «بُرَحاء الحُمَّى وغيرها: شِدَّة الأذى، تقول منه: بَرَّح به الأمرُ تَبْرِيحاً، أي: جَهَدَهُ، وضَرَبَه ضَرْباً مُبَرِّحاً، وتَبَاريح الشوق تَوَهُّجُهُ. وهذا الأمر أَبْرَحُ من هذا، أي: أشدّ». والمعنى: إنّ حزنه من شدّة محبّته الإلهيّة القديمة التي هي محبّة الحقّ تعالى لنفسه التي ظهرت أولاً في عالم الذر عند خطاب الحقّ تعالى بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [٧/الأعراف/ ٧٢] فقبلتها قلوب الذرّ متعلِّقة بالمظاهر الكونيّة على الكشف، أوعلى الغفلة، ثمّ ظهرت في عالم الدنيا كذلك، وعليه قولنا من قصيدة لنا:

ما درى الناس أنّ كلّ جمال ... فهو في الخلق لمحة من جماله

وكذا الحبّ كلّه قطرة من ... حبّه نفسه بدا في خياله

صور كلّنا محبّاً ومحبوباً ... وهذا مرادنا بوصاله

١٤- ولَئِنْ جَفَا الوَسْمِيُّ مِاحِلَ تُرْبِكُم ... فَمَدَامِعِي تُرْبِي عَلَى الأَنْوَاءِ

(ولئن): اللام موطّئة للقسم المحذوف، تقديره: والله لئن. وقوله (جفا): يقال جَفَوْت الرجل أَجْفُوهُ: أَعْرَضْتُ عنه، أو طَرَدْتُه، كذا في المصباح. وقوله (والوسميُّ): فاعل جَفَا، قال في الصحاح: «الوَسْمِيُّ مطر الربيع الأول؛ لأنّه يَسِمُ الأرضَ بالنبات، نُسِبَ إلى الوَسْمِ. والأرض مَوْسُومَة». وقوله (مَاحِلَ): من المَحْل، قال: في الصحاح: «المَحْلُ: الجَدْب: وهو انقطاع المطر، ويُبْسُ الأرض من الكلأ، يقال: بلدٌ ماحِلٌ، وزمان ماحل ، وأرض مَحْل، وأرض مُحُول». وقوله (تُرْبكم): التُّرب. وزان قُفْل، لغة في التراب، كما في المصباح. وقوله (فمدامعي):

جمع مَدمَع، بالفتح: موضع الدَمع، وبالكسر: آلة الدمع، قال في الصحاح: «المَدامِع: المَآقي، وهي أطراف العين، والدَمع: دَمْعُ العين، والدَمْعَةُ: القَطْرَةُ منه» والمراد هنا الدموع نفسها من إطلاق اسم المحل على الحال. وقوله (تُربي): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة من أربى بمعنى زاد. قال في المصباح: «أَرْبَى الرجل على الخمسين: زاد عليها». وقوله على/ [٢٩٣/ أ] (الأنواء): جمع نَوْء. كناية عن المطر، قال في المصباح: «نَاءَ يَنُوءُ نَوْءاً، مهموز، من باب قال: نَهَضَ. ومنه النَّوْءُ للمطر، والجمع: أنواء». وهذا القَسَم المذكور على وجه المبالغة، بطريق الادّعاء، كقوله:

والله لـــو حلـــف العـــشّاق أنّهـــم صرعـى مـن الحبّ أو مـوتى لما حنثوا

فلا مؤاخذة فيه.

١٥- وَاحَسْرَتِي ضَاعَ الزَمَانُ وَلَمْ أَفُزْ مِنْكُمْ أُهَيْلَ مَوَدَّتِي بِلِقَاء

(واحسرتي): وا حرف نداء مختصّ باب الندبة، نحو: وازيداه. وأجاز بعضهم استعماله في النداء الحقيقيّ، ذكره ابن هشام في المغني. ويقال: حَسِرْتُ على الشيء حَسَراً من باب تَعِب، والحَسْرَة: اسم منه، وهي التلَهُّف والتأسُّف، كذا في المصباح. وقوله (ضاع الزمان): ضَاع الشيءُ يَضِيعُ ضَيعَةً وضَياعاً بالفتح، فهو ضائع. في الصحاح: «ضَاع الشيءُ: هَلَكَ». يعني: انقضى الزمان، أي: مدَّة عمره. وقوله (ولم أفز): أي أظفر. فَاز يَفُوزُ فَوزاً: ظَفِرَ ونَجا. ويقال لَمَن أخذ حقّه من غريمه: فاز بما أَخَذَ، أي: سَلِمَ له، واختصّ به. كذا في المصباح. وقوله (منكم): خطاب لساكني البطحاء في البيت السابق. وقوله (أُهَيل): تصغير أهل، وهو منادى حذف منه حرف النداء، وتقديره: يا أُهيل. وقوله (مودّتي) يقال: وَدِدْتُهُ أَوَدُّهُ من باب تَعِبَ ودّاً بفتح الواو وضمِّها: أَحببته. والاسم: المودّة، كما ورد في المصباح. وقوله (بلقاء): متعلّق بأفز. والمعنى: أنّ مدّة عمره انقضت، ولم يتحقّق على وجه الكمال بالكشف التامّ عن وجه الوجود الحقّ الظاهر على كلّ شيء، فهو يَتَحَسَّر ويَتَلَهَّف ويتأسّف على ذلك في ابتداء سلوكه.

١٦- وَمَتَى يُؤَمِّلُ رَاحَةً مَنْ عُمْرُهُ يَوْمَانِ يَوْمُ قِلَىً وَيَوْمُ تَنَائِي

(ومتى): استفهام إنكاري. وقوله: (يؤمِّل): أَمَلْتُهُ أَمَلاً، من باب طَلَبَ: ترقَّبْته، وأكثر ما يُستعمل الأمل فيما يُستبعد حصوله، كذا في المصباح. وقوله (راحة): مفعول يؤمّل. والراحة: زوال المشقّة والتعب، كما في المصباح. وقوله (مَنْ): اسم موصول، أو نكرة موصوفة، فاعل يؤمِّل. وقوله (عمره): أي مدة بقائه في الدنيا. وقوله (يومان): تثنية يوم. وقوله (يوم قِلى): بكسر القاف، مقصور. قال في المصباح: «قَلَيْتُ الرجلَ أَقْلِيه، من باب رمى. قِلَى بالكسر والقصر، وقد يُمَدّ: إذا أَبْغَضْتَهُ. ومن باب تَعِب لغة». وقوله (ويوم تناءٍ): أي بُعْد، قال في المصباح: «نَأَى عن الشيء نَأْياً، من باب نفع: بَعُدَ». والمعنى: إنّ جميع عمره منقسم إلى قسمين: يوم يظهر له فيه بُغضُ المحبوب الحقّ، بعلامة صدور التقصير منه في طاعته. ويوم يظهر له تباعده عنه بظهور الغفلة له عنه في قلبه، وهذه كلّها أتعاب يقاسيها، فكيف يؤمّل مع ذلك أن يجد راحة في مجموع عمره، فضلاً عن أنْ يجد ذلك.

١٧- وَحَيَاتِكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ وَهْيَ لِي قَسَمٌ لَقَدْ كَلِفَتْ بِكُمْ أَحْشَائِي

١٨- حُبِّيكُمُ فِي النَاسِ أَضْحَى مَذْهَبِي وَهَوَاكُمُ دِينِي وَعَقْدُ وَلَائِي

(وحياتكم): الواو للقسم. وحياتكم: مُقْسَم به. وقوله (يا أهل مكّة): خطاب لأهل الله المراقبين لتجلّياته تعالى في كلّ شيء؛ فإنّ حياتهم المُقسَم بها، هي حياة ربّهم؛ لأنّهم موتى من طرف نفوسهم على كشف منهم، وشهود بصيرة. وقوله (وهي): أي حياتكم. وقوله (لي قَسَم): أي أحلف بها لعلمي بأنّها حياة ربّكم عندكم؛ فهي الحياة الحقيقيّة، ظهر عنها النطق منكم والحركة. وقوله (لقد كَلِفَتْ): جواب القسم، قال في المصباح: «كَلِفْتُ به كَلَفاً به، من باب تَعِبَ: أَحْبَبْتُهُ، وأُولِعت به». وقوله (بكم): خطاب لأهل مكّة بالمعنى الذي ذكرناه.

وقوله (**أحشائي**): فاعل كَلِفَتْ، وهي جمع حَشَا، مقصور: المِعَى. والجمع: أحشاء، مثل سَبَبَ وأسباب، كما في المصباح. كنّى بذلك عن نفسه وقلبه، فإنّ محبّته لهم كناية عن/[٢٩٣/ب] محبّته لربّه الحقّ المتجلّي بهم؛ فإنّهم عنده مظاهر ربّه تعالى على الكشف والوجدان، قال العارف الكامل نجم الدين بن إسرائيل قدّس الله سرّه:

يَا من بهم تُستأنَس المَشاهد ... قلبي لكم مُذْ غِبتم مَشاهِد

وقد آمنت في هواكم عاذلي ... والكون لي على هواكم شاهد

شرَّفتموني في هواكم والهوى ... يصبو إليه في الرجال الماجد

وغبتم توهّماً وباطني ... لكم إذا صحّ الصحيح واحد

يراكم في كلّ شيء ناظري ... كأنّما العالم عندي واحد

وقال أيضاً قدّس الله سره:

يامن أخصّهم بصفو ودادي ... معناكم في ناظري وفؤادي

أنتم معي أبداً بغير قطيعتي ... حاشكم من جفوة وبعاد

يا غاية الآمال يا من حُبُّهم ... وِرْدِي ووصفُ جمالهم أوْرَادي

كَوْني كما شيئتم فإنّ هواكم ... ديني وأشواقي إليكم زادي

وإذا حُجِبْتُم فالوجود مظاهر ... لكم ونوركم إليكم هادي

أُكَنِّي بنجد عن دياركم وعن ... ذاك الجمال بزينب وسعاد

وقوله (**حُبِّيكم**): أي حبِّي لكم. وقوله (**في الناس**): أي هو معروف فيما بين الناس. وقوله (**أضحى**): أي صار، وأصله الدخول في وقت الضحى، وهو امتداد النهار وانبساطه، ثم أريد به هنا مطلق الوقت. ويجوز أنْ يراد به هنا الوقت المخصوص على التشبيه بظهور نور لشمس، وزيادة الإشراق لنور الوجود الحقّ الظاهر على الكائنات. وقوله (**مذهبي**): أي آرائي واعتقادي الذي أدين الله تعالى

به، قال في المصباح: «ذَهَبَ في الدين مَذهَباً: رأى فيه رأياً». وقوله (**وهواكم**): الهوى مقصور، مصدر هَوِيْتُهُ، من باب تعب: إذا أحْبَبْتُهُ وعلقت به. ثمّ أُطلِق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء. ثمّ استُعمِل في ميل مذموم، فيقال: اتَّبَع هواه، وهو من أهل الأهواء» كذا في المصباح. وقوله (**ديني**): يقال دَان بالإسلام دِيناً، بالكسر: تَعَبَّد به، وتَديَّن به كذلك، كما في المصباح. وقوله (**وعَقْدِ**): أي ربط، يقال: اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به، كذا في المصباح. وقوله (**ولائي**): أصل الولاء بالفتح والمدّ: القرابة، قال في الصحاح: يُقال بينهما وَلاء: أي قرابة بالفتح». وأريد هنا مطلق العهد والوصلة الربّانيّة. والمعنى: إنّ المحبّة صارت ديناً له، ومذهباً يدين بها ويتعبّد، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات:

أدين بدين الحبّ أنى توجّهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

ولابن إسرائيل قدّس سرّه من أبيات:

أن حِلت عن عهدي وعن ميثاقي لأفكّ من أسر الغرام وثاقي

أو خنت إيمان الهوى فبرئت من دين الغرام وسنّة العشّاق

١٩- يَا لَائِمِي فِي حُبِّ مَنْ مِنْ أَجْلِهِ قَدْ جَدَّ بِي وَجْدِي وَعَزَّ عَزَائِي

٢٠- هَلَّا نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ لَمْ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ

٢١- لَوْ تَدْرِ فِيمَ عَذَلْتَنِي لَعَذَرْتَنِي خَفِّضْ عَلَيْكَ وَخَلِّنِي وَبَلَائِي

(**يا لائمي**): يا حرف نداء، واللائم الذي يلوم، أي: يعاتب على المحبّة والهوى، ويعذل المحبِّين. وقوله: في حُبِّ بالضمّ، أي: محبّة. وقوله (**مَن**): بفتح الميم: اسم موصول بمعنى الذي/ [٢٩٤/ أ] أو نكرة موصوفة بالجملة بعدها على معنى محبوب، ثمّ وصفه بقوله (**مِن**): بكسر الميم، حرف جر، وقوله (**أجله**): مجرور بمِن، والضمير يعود إلى (مَنْ): وهو الموصول، أو النكرة الموصوفة. وقوله (**قد**

جَدَّ): من الجِدِّ في الأمر، وهو الاجتهاد، مصدر: جَدَّ يَجُدُّ يَجِدُّ، من بابي: ضرب وقتل. والاسم: الجِدُّ بالكسر. ومنه يقال: فلان مُحْسِنٌ جِدّاً، أي: نهايةٌ ومبالغة، وجَدَّ في كلامه جَدّاً، من باب ضرب، خلاف هَزَل، كذا في المصباح. وقوله (بي):أي ملابساً لنفسي ولقلبي. وقوله (وَجْدِي): أي حزني وشوقي: قال في الصحاح: «وَجَدَ في الحُزْنِ وَجْداً، بالفتح. وقوله (وعَزَّ): أي قَلَّ، قال في الصحاح: «عَزَّ الشيءُ يَعِزُّ عِزّاً وعَزَازَةً: إذا قلّ، لا يكاد يوجد، فهو عزيز. وقوله (عزائي): بمعنى صبري، يقال: عَزِيَ يَعْزَى، من باب تعب: صَبَرَ على ما نابه، والعَزَاء مثل سلام، اسم منه، كذا في المصباح. وقوله (هَلَّا): قال في الصحاح: «هل حرف استفهام، فإذا جعلته اسماً شدّدته، تقول: هل لك في ثريدة، هل لك في كذا وكذا، والتأويل: هل لك فيه حاجة، فحذفت الحاجة لمّا عرف المعنى». وقال الأشموني في شرح ألفيّة ابن مالك في أدوات التحضيض: «هلّا بتشديد اللام مركّبة من هل ولا، والفرق بين العرض والتحضيض، أنّ العرض طلب بلين، والتحضيض طلب بحثّ». وقال في المصباح: «حضَّه على الأمر حضّاً، من باب قتل: حمل عليه، والتحضيض منه، لكنّه شدّد مبالغةً، قال النُحَاة: ودخوله على المستقبل حثّ على الفعل، وطلب له، وعلى الماضي توبيخ على ترك الفعل نحو: هلّا تنزل عندنا، وهلّا نزلتُ، وحروف التحضيض: هَلّا وألّا بالتشديد ـ قال ابن بابشاد وبالتخفيض ـ ولولا، ولوما. وقوله (نَهاك): الخطاب للّائم، نَهَيْتُه عن الشيء أنْهَاهُ نَهْيَاً فانْتَهى عنه، ونَهَوْتُه نَهْوَاً، لغة. وقوله (نُهاك): بَضمّ النون، جمع نُهْيَة، قال في المصباح: «النُّهْيَة: العقل، لأنّها تنهى عن القبيح، والجمع نُهَى، مثل: مُدْيَة ومُدَى». وقوله (عن لوم امرئ): أي عن ملامة رجل. وقوله (لم يُلفَ): بضمّ الياء، مبني للمفعول، من ألفَيْتُه يُصَلِّي، بالألف: وجدته على تلك الحالة، كما في المصباح. ونائب الفاعل: ضمير يعود إلى امرئ، والجملة: صفة امرئ. وقوله (غيرَ): بالنصب مفعول ثانٍ لقوله يُلْفَ، والمفعول الأوّل الضمير المرفوع نائب

الفاعل، تقول: ألفيت زيداً مصلِّياً. وقوله (مُنَعَّمٍ): بتشديد العين المهملة وبالجرّ على الإضافة إليه. قال في المصباح: «نَعَّمَه الله تنعيماً: جعله ذا رفاهية». وقوله (بشقاء): متعلِّق بمنعَّم، فإنّ المحبّة تقتضي ذلك لجريانها على حكم رضاء المحبوب، فإذا حكم على المحبّ بالشقاء تنعّم به المحبّ، كما قال بعض الشعراء:

وما في الأرض أشقى من محبٍّ وإنْ وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكياً في كلّ حال مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي إنْ نأوا شوقاً إليهم ويبكي إنْ دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التنائي وتسخن عينيه عند التلاقي

وقوله (لو تدرِ): بحذف الياء من تدري في لغة مَنْ يجزم بلو. قال ابن هشام في المغني: «لغلبة دخول لو على الماضي لم تجزم، ولو أريد بها معنى إنْ الشرطيّة. وزعم بعضهم أنّ الجزم بها مطَّرِد على لغة، وأجازه جماعة في الشعر، منهم ابن الشجريّ، كقوله:

لو يشأْ طار به ذو مَيعَة لاحقُ الآطالِ نهدٌ ذو خُصَلِ

والمَيعة بفتح: النشاط، وأوّل جَرْي الفرس، وقال الآخر:

تامَتْ فؤادَكَ لَوْ يَحْزُنْكَ مَا صَنَعَتْ إحدى نساءُ بني ذُهْلِ بنِ شيبانا

/[٢٩٤/ ب] وقوله (تدري): فعل مضارع، من دَرَيْتُ الشيءَ دَرْيَاً، من باب رَمَى، ودِرْيَة ودِرَايةً: عَلِمْتُه، كذا في المصباح. وقوله (فِيْمَ): أصله (في ما)، أي: في أي شيء، وهي ما الاستفهاميّة، دخل عليها حرف الجر فحذفت ألفها كقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [٧٨/ النبأ/ ١] وقوله: ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [٢٧/ النمل/ ٣٥] قال ابن هشام في المغني: «ويجب حذف ألف ما الاستفهاميّة إذا جُرَّتْ، وإبقاء الفتحة دليلاً عليها نحو: فيمَ، وإلامَ، وعلامَ. وقال الشاعر:

وتلك ولات السوء قد طال مكثهم فحتّامَ حتّامَ العناء المطوّل

وربّما تبعت الفتحة الألف في الحذف، وهو مخصوص بالشعر كقوله:

يا أبا الأسود لِمْ خلّفتني ... لهموم طارقات

وذكروا علّة حذف الألف: الفرق بين الاستفهام والخبر، فلهذا حذفت في نحو قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ [٧٩/ النازعات/ ٤٣] ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [٢٧/ النمل/ ٣٥] ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [٦١/ الصف/ ٢] وثبت في نحو قوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ [٢٧/ النور/ ١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [٢/ البقرة/ ٤] وكما لا تحذف الألف في الخبر لا تثبت في الاستفهام. وأمّا قراءة عِكرمة وعيسى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [٧٨/ النبأ/ ١] فنادر. وأمّا قول حسان:

على ما قام يشتمني لئيم ... كخنزير تمرّغ في دمان

فضرورة. والدّمان كالرماد وِزاناً ومعنى. ويروى في رماء. وقوله (**عذلتني**): أي لمتني. قال في الصحاح: «العَذْلُ: المَلامَة. وقد عَذَلْتُهُ. والاسم العَذَل بالتحريك. وقوله (لَعَذَرْتَني): أي رفعت عنّي الملامة. قال في المصباح: «عَذَرْتُهُ فيما صَنَعَ عَذْراً، من باب ضرب: رفعت عنه اللوم، فهو معذور»، أي «غير مَلوم. والاسم: العُذْر، وتضمّ الذال المعجمة للاتّباع، وتسكّن. والجمع: أَعْذار». والمعنى: لو أنّك تدري يا أيّها اللائم في أيّ شيء لمتني، وبسبب أيّ أمرٍ عظيم عذلتني، وقصدت منّي ترك ذلك الأمر لعذرتني في عدم إطاعتك، وبقائي على ما أنا فيه من المحبّة؛ فإنّ محبّة الحقّ تعالى الظاهر لي بتجلّيه في المظاهر أمر عظيم هو كمال في حقّي، ونجاة لي في الدارين، ودخول تحت قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [٥/ مائدة/ ٥٤] الآية. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [٩/ التوبة/ ٢٤] وقوله

(خفِّض): بتشديد الفاء: فعل أمر، قال في الصحاح: «خَفَض الصوتَ: غَضَّهُ، يقال: خَفِّضْ عليك القول، وخَفِّضْ عليك الأمر، أي: هَوِّنْ». وقوله (عليك): الخطاب للائم. وقوله (وخلِّني): بتشديد اللام، أي: اتركني، قال في الصحاح: «أخلّ الرجل بمركزه، أي: تركه. وقال في المقصور: خاليت الرجل: تاركته. وتخلَّيت: تفرغت، وتخلّيت عنه وخلَّيت عنه وخلَّيت سبيله فهو مُخَلًّى عنه». وقوله (وبلائي): أي مع بلائي مصاحباً له، قال ابن هشام في المغني: «واو المفعول معه ينتصب ما بعدها، نحو: سرت والنيل، وليس النصب بها، خلافاً للجرجانيّ.

٢٢- فَلِنَـازِلِي سَرْحِ المُرَبَّـعِ فَالـشَّبِيْـ ـكَةِ فَالثَّنِيَّـةِ مِـنْ شِـعَابِ كَـدَاءِ

٢٣- وَلِحَاضِرِي البَيْتِ الحَرَامِ وَعَامِرِي تِلْـكَ الخِيَـامِ وِزَائِـرِي الحَـثْمَاءِ

٢٤- وَلِفِتْيَـةِ الحَـرَمِ المَرِيـعِ وَجِـيرَةِ الـ ـحَيِّ المَنِيـعِ تَلَفُّتِـي وَعَنَـائِي

(فلنازلي): الفاء للتفريع على ما قبله. وقوله (لنازلي): جار ومجرور. خبر مقدّم لقوله (تلفتي وعنائي): وأصل نازلي: نازلين، فحذفت النون للإضافة إلى قوله (سَرْحِ): بالسين/ [٢٩٥/ أ] المهملة والراء والحاء المهملة: شجر عظام طوال، الواحدة سَرْحَة، يقال هي الآء على وزن العاع[1]، قال الشاعر:

إلى الله إلّا أنّ سرحـــة مالـــك عــلى كـلّ أفنـان العـضاة تـروق

كذا في الصحاح. وقوله (المُرَبّع): بتشديد الباء الموحّدة مفتوحة: اسم موضع في بلاد الحجاز. وقوله (فالشَبِيكَة): الفاء للعطف مع الترتيب والتعقيب، وشبيكة كجهينة، وادٍ قرب العَرْجَاء، وموضع بين مكّة والزهراء وبئر هناك، وماء لبني سلول، كذا في القاموس. وقوله (فالثّنيّة): بالتصغير طريق العقبة، ومنه قولهم فلان طلّاع الثنايا: إذا كان سامياً لمعالي الأمور، كما يقال أنجد، كذا في الصحاح.

---

(١) الآء: مثل العاع ضرب من الشجر، الواحدة: آءة، مثل عاعة. انظر «جمهرة اللغة» لابن دريد، مادة: الوأى.

وقوله من (**شعاب**): جمع شِعْب، بالكسر: وهو الطريق. وقيل الطريق في الجبل، والجمع: شِعَاب، كما في المصباح. وقوله (**كَدَاء**): بالفتح والمدّ: الثنية العُليا بأعلى مكّة عند المقبرة، ولا ينصرف للعلميّة والتأنيث. وتسمّى تلك الناحية المُعَلَّى، كما في المصباح. وهذه الأماكن كناية عن منازل إلاهيّة، يتجلّى بها الحقّ تعالى لأهل المعرفة والتحقيق، وذوي الكشف والوجدان من خير فريق. وقوله (**وحاضري**): أصله حاضرين، فحذفت النون للإضافة إلى قوله: البيت الحرام، وهو الكعبة المشرفة، وكنّى بالحاضرين في بيت الله الحرام عن أصحاب الحضور مع الله تعالى، أقطاب المقامات، أهل الشهود والعرفان؛ فإنّهم مظاهر كاملة لتجلّي حضرة الرحمن. وقوله (**وعامري**): أصله عامرين أيضاً، فحذفت النون للإضافة إلى قوله (**تلك الخيام**): إشارة إلى المسافرين إلى حضرة الحقّ تعالى من المريدين السالكين في طريق الله تعالى الذين هم تحت خيام النفوس السعيدة، التي هي في كلّ وقت جديدة، وفي ظلّ الله الذي لا ظلّ إلّا ظلّه، ولا نوال إلّا وابله وطلّه. وقوله (**وزائري**): أصله أيضاً زائرين، والنون محذوف للإضافة إلى قوله (**الحَثْماء**): وهي بالحاء المهملة والثاء المثلّثة والميم ممدودة: اسم الأكمة الحمراء، ولعلّها يقال لها الحَثْمَة أيضاً، قال في الصحاح: «الحَثْمَةُ: الأكمة الحمراء». وقال في المصباح: «الأَكَمَة بالحركات: تَلّ، وقيل: شُرفَة كالرابية، ووهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد، وربّما غلظ، وربّما لم يغلظ، والجمع أَكَمٌ وأَكَمات، مثل: قصبة وقصبات». ولعلّه يشير بذلك إلى الصخيرات التي في عرفات، ويكنّى بزائريها عن أهل الموقف بعرفة، كناية عن الواقفين على سر الوجود الحقّ الساري بلا سريان في جميع الأعيان الكونيّة: ملكها، وملكوتها، وجبرؤتها. وقوله (**ولِفِتْيَةٍ**): جمع فَتَى، وهو العبد. وجمعه في القِلّة: فِتية، وفي الكثرة فِتيان. والأصل فيه أنْ يقال للشابّ الحَدَث فتى، ثمّ استُعير للعبد وإنْ كان شيخاً، مجازاً باسم ما كان عليه، كذا في المصباح. يكنّي بذلك عن المريدين المبتدئين في سلوك طريق الله تعالى.

وقوله (الحَرَم): بالتحريك. قال في المصباح: «حَرَم مكّة والمدينة معروف. وقال في الصحاح: «ومكّة حرم الله. والحَرَمان: مكّة والمدينة». وقال الراغب: «في مفرداته: والحَرَم سُمي بذلك لتحريم الله تعالى فيه كثيراً مما ليس بمحرّم في غيره من المواضع». وكنّى بالحرم عن حضرة التكليف الشرعيّ الذي تلك الفتية فيه لصدق عبوديّتهم وخلوص سرائرهم، وكمال خدمتهم لأحكام ربّهم. وقوله (المَرِيع): وصف للحَرم، بفتح وكسر الراء: بمعنى المُخْصِب، قال في المصباح: «مَرُعَ الوادي، بالضمّ، مَرَاعَةً:/ [٢٩٥/ ب] أخصب بكثرة الكلأ، فهو مَرِيع» كنّى بذلك عن زيادة الإمداد الإلهيّ في ذلك الحرم، ونتائج الخير، والجزاء الوافي. وقوله (وجيرة): جمع جار، وهو المجاور، والحليف، والناصر. والجمع: جِيْرَان وجِيْرَة وأجْوَار، كذا في القاموس. وقوله (الحيّ): وهو القبيلة من العرب، والجمع أحياء، كذا في المصباح. وكنّى بجِيرة الحَيّ عن المحبِّين المعتقدين في أولياء الله الصالحين بأعيانهم من عامّة الناس؛ فإنّ «المرء مع من أحبّ»[1] كما قال صلّى الله عليه وسلّم. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [٤/ النساء/ ٦٩-٧٠] وأوّل الإطاعة لله والرسول: الإيمان والتصديق بالمطيعين لله والرسول، واعتقاد الخير فيهم، وهم أولياء الله تعالى الكاملون، ومحبّتهم واحترامهم. وقوله (المَنيع): وصف للحيّ، يقال: مَنُعَ الحِصْنَ مَنَاعَة ـ وِزَان ضَخُمَ ضَخَامَة ـ فهو منيع، كما في المصباح. وكون الحيّ منيعاً أي: محصوناً بحصن الله تعالى، كما ورد في الحديث القديث القدسي: «لا إله إلّا حصني، فمن دخل حصني أمِنَ مِنْ عذابي»[2]. هم أهل لا إله

---

(١) انظر تخريجه ص٥٦٣.

(٢) ذكره الهيثمي في الصواعق المحرقة، عن الحاكم في تاريخ نيسابور، باب: الثالث في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت، عن عليّ بن أبي طالب قال: حدّثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله، =

إلاّ الله على الحقيقة، وطريقتهم التي أقامهم الله تعالى فيها أقوم طريقة. وقوله (تَلَفُّتِي): هو المبتدأ المؤخّر لقوله (فلنازلي سرح المربّع): كما قدّمنا. وتقديم الخبر مؤذن بالحصر؛ لأنّه الحبّ في الله وما عداه البغض في الله، وهو كمال الإيمان، ومحض العرفان (والتلّفت): صرف الوجه يمنة ويسرة، نحو الشيء، قال في الصحاح: «التفت التفاتاً، والتلفت أكثر منه». وقوله (وعنائي): أي تعبي في الاعتناء بمن ذكر، والاشتغال بهم، ومشاهدة الحقّ تعالى بتجلّياته بظواهرهم وبواطنهم، قال العارف الكامل الشيخ نجم الدين بن إسرائيل قدّس سرّه:

عندي قبول لنسيم القبول ... أظنّه من حيّ ليلى رسول
شتّت شمل الهمّ لمّا سرى ... كأنّما طاف بكأس الشمول
معطّر الأذيال في طيّه ... نشر به نشر لميت الخمول
وبالغضا حيث تصول العدا ... بيت لليلى ما إليه وصول
ممنع الأكناف حفّت به ... جرد المذاكي والقنا والنصول
وجيرة جاروا ولم يعدلوا ... وما لقلبي عن هواهم عدول
سهدي ودمعي والأسى والجوى ... والوجد والشوق وفرط النحول

وقال أيضاً قدّس الله سرّه:

وافي النسم مضماً ريّاكم ... فأذابني شوقاً إلى رؤياكم
عبقاً يتيه على العبير وإنّما ... عبقت غلائله بنشر ثراكم
وآتى وفيه من بشائر وصلكم ... معنى ومعناه شذى ريّاكم
يا جيرة الجرعا دعوة مغرم ... يشتاق معناه إلى معناكم

=

قال «حدّثني جبريل قال: سمعت ربّ العزّة يقول: لا إله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي».

علّمتم روحي الحنين إليكم ورميتموها عامداً بجفاكم

ومنعتم منّي طروق خيالكم فحرمت حتّى في المنام أراكم

أولستم العرب الممنَّع جارها فإلامَ لا يرعى نزيل حماكم

إلى آخر الأبيات والإشارات العفائف الأبيَّات.

٢٥- وَهُمُ هُمُ صَدُّوْا دَنَوْا وَدُّوا جَفَوْا غَدَرُوْا وَفَوْا هَجَرُوا رَثَوْا لِضَنَائِي

(وهُمُ): بضمّتين، ضمير راجع إلى المذكورين في الأبيات قبله. وقوله (هُمُ): بضمّتين أيضاً/ [٢٩٦/ أ] خبر عن (هم) الأوّل. والمعنى: إنّ الأحبّة الأولِّين في الأزل هم الأحبّة الآخرون الباقون إلى الأبد، لم يتغيّر أمرهم، ولا تبدّل حالهم، كقول الشاعر (أنا أبو النجم وشعري شعري) أي: الذي كنت تعهده من شعري سابقاً هو الآن بعينه؛ فإنّ الشرط في الموضوع ومحموله أنْ يتّحدا، باعتبار ما صدقا عليه، وأنْ يختلفا باعتبار المفهوم، كقولك زيد قائم، وهاهنا الأمر كذلك. يعني: إنّ هؤلاء المذكورين الذين عهدتهم سابقاً هم الآن على ما هم عليه لم يتغيّروا، ولا تبدّلوا وإنْ صدر عنهم أحوال وأفعال تغيّرت وتبدّلت على محبّتهم، ولم تغيره ولم تبدّله. وقوله (صدّوا): أي أعرضوا، قال في المصباح: «صَدَدْت عنه صدّاً وصدوداً: أعرضت. على معنى أنّهم وإنْ أعرضوا عنّي فإنّي لا أتغيّر عن محبّتهم. وقوله (دنوا): أي قربوا، يقال: دنا منه، ودنا إليه، يَدنو دُنُوّاً: قرب، فهو دانٍ، كما في المصباح. أي: دنوا منّي وإليّ، وأبدلوا إعراضهم بالقرب؛ فإنّني محبّ لهم على كلّ حال. وقوله (ودّوا): من الودّ، بمعنى: محبّة الشيء، وتمنّي كونه، ذكره الراغب. وقال في الصحاح: «وددت الرجل أودّه ودّاً: إذا أحببته. على معنى أنّهم وإنْ أحبّوني وتمنّوا كوني عنده. وقوله (جفوا): يقال: جفوت الرجل أجفوه: أعرضت عنه، أو طردته، وهو مأخوذ من جُفَاء السيل، وهو ما نفاه السيل. وقد يكون مع بغض، كذا في المصباح. على أنّ معناه: وإنْ أعرضوا عنّي وطردوني من

قربهم. وقوله (**غدروا**): بالغين المعجمة والدال المهملة: من الغدر، يقال: غَدَرَ به غَدْرَاً: من باب ضرب: نقض عهده، كما في المصباح. على أنّ معنى أنّهم وإنْ نقضوا العهد الذي بيني وبينهم في طريق محبّتهم. وقوله (**وَفوا**): يقال: وفيت بالعهد والوعد: أفي به وَفاء، والفاعل وَفِيٌّ، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «الوفاء ضدّ الغدر، يقال: وفَى بعهده وأَوفى بمعنى». على معنى: إنّهم لم يغدروا، ووفوا له بعهد محبّته وميثاق قربه. وقوله (**هجروا**) يقال: هَجَرته هجراً، من باب قتل: تركته ورفضته، فهو مهجور. وهَجَرت الإنسان قطعته، والاسم: الهِجْران، كما في المصباح. على معنى: إنّهم تركوني وقاطعوني ورفضوا جانبي. وقوله (**رثوا**): رثيت له: ترحّمت ورققت له، كذا في المصباح. وقوله (**لضنائي**): يقال: ضَنِيَ ضَنَىً، من باب تعب: مَرِضَ مَرَضَاً ملازماً حتّى أشرف على الموت؛ فهو ضنٍ، بالنقص. والضَّنَاء بالفتح والمد: اسم منه، وأَضناه المرض بالألف فهو مُضْنَىً، كما في المصباح». بمعنى: وإنْ ترحّموا لسقامي وأمراضي الملازمة لي ورقّوا لها، وشفقوا على أحوالي، فإنّي لا أنفك عن محبّتهم على أي حال عاملوني به، ووجدته منهم، كما قال ابن إسرائيل قدّس سرّه:

أسُكّان قلبي إنْ تَنَاؤُوا وإنْ حلّوا ... ومُلّاك وُدّي واصلوني أو ملّوا
تساوى لديَّ القرب والبعد فيكم ... كما تساوى عنديَ الهجر والوصل
فإنْ شئتم صُدُّوا وإنْ شئتم صِلوا ... فإنّ سواكم في فؤادي لا يحلو
هواكم هوان عند غيري وعزّة ... لديَّ ومحض الجور من حكمكم عدل
بحقّ جفوني في الهوى بك أسفكوا ... دما هدرا ما أنْ يراد له عقل
أأخشى إذا استشهدت فيكم صبابة ... ببدر ومثلي ليس يخفى له فضل
وأكره أنّ الحي أرخصني لكم ... ولي قلب صبّ في ولائكم يغلو
دعوني منّي وافعلو ما بدا لكم ... فإنّي لِمَا أهّلتموني له أهل

سهادي بكم أحلى لديّ من الكرى وأصعب ما ألقاه في حبّكم سهل

وقال أيضاً من أبيات له قدّس سرّه:/ [٢٩٦/ ب]

سلوتُ بحبّ علوة عن وجودي فكان وجودها سبباً لفقدي

وحلّ عقال عقلي في هواها فصار بها ضلالي عين رشدي

فلست مفرقاً ما بين وصل وهجران وتقريب وبعد

وقال أيضاً من أبيات أخرى له قدّس الله سرّه:

منكم إليكم مهربي ومآلي وبكم عليكم في الهوى إدلالي

يا من لذذت بذلّتي في حبّهم وأخو الهوى من لذّ بالإذلال

لا تحسبوني خائفاً من هجركم أو راجياً منكم دوام وصال

هيهات لي وحياتكم بهواكم شغل عن الإعراض والإقبال

٢٦- وَهُمُ عِيَاذِي حَيْثُ لَمْ تُغْنِ الرُّقَى وَهُمُ مَلَاذِي إنْ عَدَتْ أَعْدَائِي

(**وهُمُ**)[1] بضمّتين، أي: الذين تقدّم ذكرهم. وقوله (**عِياذي**): بكسر العين المهملة، يقال: اسْتَعَذتُ بالله وعُذْتُ به مَعَاذاً وعِياذاً، أي: اعتصمت، و كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «وعُذْتُ بفلان، واستَعَذْتُ به، أي: لجأت إليه، وهوعياذي، أي: ملجئي». وقوله (**حيث**): هي ظرف مكان، وتضاف إلى جملة، وهي مبنيّة على الضمّ، وبنو تميم ينصبون إذا كانت في موضع نصب، نحو: قمْ حيثَ يقوم زيد، كذا في المصباح. وقوله (**لم تُغْنِ**): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وسكون الغين المعجمة وكسر النون، والياء محذوفة للجازم، وهو (لم)، وأصله تُغْنِي، من

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة وسماعاً على نسخة المؤلّف حفظه الله تعالى وكتبه الفقير إبراهيم بن محمّد الدكدكجي». يلاحظ هنا أنّ الناسخ أول مرة يذكر اسمه مع اسم أبيه، كما هي المرّة الأولى التي يصرّح فيها بقوله: «نسخة المؤلّف».

أغنى، قال في المصباح: «أَغْنَيْتُ عنك، بالألف، مَغْنَىً فلان ومَغْنَاتَه: إذا أَجْزَأْتَ عنه وقمت مقامه، وحكى الأزهريّ: ما أَغْنَى فلانٌ شيئاً، بالغين والعين، أي: لم ينفع في مُهمّ ولم يكفِ مؤونةً». وقوله (**الرُقى**): جمع رقية، قال في المصباح: «رَقَيْتُهُ أَرْقِيهِ رَقْيَاً، من باب رَمَى، رَقْياً: عَوَّذْته بالله، والاسم: الرُّقْيَا، على فُعْلى، والمَرَّة: رُقْيَة، والجمع: رُقَىً، في مثل: مُدْيَة ومُدَىً». يعني: إنّ حقائق هؤلاء المذكورين حيث بهم تجلّى على الحقّ تعالى. عياذي وحفظي واعتصامي من جميع المؤذيات في الدنيا والآخرة، حيث لا تنفع الرُّقَى والتعويذات، ولا تغني عنّي شيئاً. وقوله (**وهُمُ**): بضمّتين أيضاً، يعني: هؤلاء المذكورين. وقوله (**ملاذي**): أي حِصني، من اللَّوْذ بالشيء: الاستتار والاحتضان به، كذا في القاموس. وقوله (**إنْ عَدَتْ**): من العَداء بالفتح والمدّ: تجاوز الحد والظُّلم، يقال:عَدَا عليه عَدْواً وعُدُوّاً، كذا في الصحاح. وقوله (**أعدائي**): جمع عدو، ضدّ الصديق. يعني: إنّ هؤلاء المذكورين من حيث حقائقهم القائمة على نفوسهم بما كسبت حصني وملجئي عند الشدائد، وهجوم المصائب، وغلبة الأعداء. وفيه إشارة إلى أنّ الالتجاء بالصالحين والاستعاذة بهم في كلّ أمر لهم من حيث أنّهم مظاهر وتجلّيات للحقّ تعالى، وهم من حيث هم في بصائر العارفين عدم لا وجود لهم، أحياء وأمواتاً؛ فلا يراد الالتجاء إليهم من هذه الحيثيّة العدميّة، وكلامنا مع مَن يفهم الكلام، ويعرف مقاصد أهل هذا المقام. وأمّا الغافلون من أهل الرسوم فإنّهم يشركونهم مع الله تعالى في الوجود مع جملة العالم، ولا يعرفون الفرق بين الخالق والمخلوق، والحقّ عندهم غائب، والخلق هو الحاضر، بعكس ما عليه أهل المعرفة من الأولياء المحقّقين.

٢٧- وَهُمُ بِقَلْبِي إنْ تَنَاءَتْ دَارُهُمْ عَنِّي وَسُخْطِي فِي الهَوَى وَرِضَائِي

(**وهُمُ**): بضمّتين أيضاً، أي: هؤلاء المذكورين. وقوله (**بقلبي**): أي حاضرون فيه لا يغيبون عنه، من حيث حقائقهم الراجعة إلى حقيقة واحدة متجلّية بأسمائها الحسنى وصفاتها/ [٢٩٧/ أ] العليا. وقوله (**إن تناءت**): أي بعدت عن ملاحظتي

ومشاهدتي. وقوله (دَارُهُم): أي صورهم الروحانيّة والجسمانيّة التي هي مظاهر تلك الحقيقة الواحدة المذكورة. وقوله (عنِّي): متعلِّق بتناءت، أي: عن إدراكي لها، وهذا شرط في المعرفة الإلهيّة عند أهل التحقيق في الحقّ تعالى، كما قلنا في أبيات لنا:

إنّ الفناء طهارة الإنسان	لصلاة معرفة البعيد الداني
فصلاة معرفة الإله بغير ما	طهر الفناء عديمة الأركان
والكفر فيها ظاهر بكلامه	وبفعله وإزالة الإيمان
إنّ الفناء طهارة مفروضة	لصلاة معرفة الإنسان
وهو الفناء المحض بالتطهير عن	خبث الجسوم كثائف الحيوان
وعن النفوس لطائف الكون التي	حدثت فقل حدث من الحدثان
وطهارة الأخباث والأحداث لا	تجزي بغيرالماء ذي السيلان
والماء ماء الغيب ينزل من سما	غيب الإله على فؤاد عاني
لا بدّ ذاك يكون ماء مطلقاً	عمّا يخالطه من الأكوان
حتّى به حدث يزول وإن يكن	ماء تراه مقيّداً بمعاني
فهو المقيّد وهو ليس برافع	حدثاً كما قالته أهل الشأن
لكنّهم في رفعه خبثاً لهم	قولان والرفع اقتضاء بياني
الماء ذاك المطلق الصرف الذي	هو بالوجود يراد في القرآن
تحقيق كلّ حقيقة بالحقّ إذ	هو لا سواه وكلّ شيء فاني

وقوله (وسُخْطِي): بضمّ السين المهملة وسكون الخاء المعجمة، قال في المصباح: «سَخِطَ سَخَطَاً، من باب تَعِبَ، والسُخْط بالضمّ: اسم منه، وهو الغضب». وقوله (في الهوى): أي في المحبّة الإلهيّة. يعني: وهم أيضاً غضبي الذي أغضبه لفناء ما

منّي من جمع الأمور، وفناء الغضب في حقيقة الوجود الذي هو ظاهر به كبقيّة الأكوان وقوله (**ورضائي**): معطوف على سُخطي، أي: وهم رضائي أيضاً.

٢٨- وَعَلَى مَحَلِّي بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمِ بِالأَخْشَبَيْنِ أَطُوفُ حَوْلَ حِمَائِي

(**وعلى مَحَلِّي**): متعلّق بأطوف، ومحلّه: حاله ومقامه في درجات القرب الإلهيّ. وقوله (**بين ظهرانيهم**): بفتح الظاء المعجمة وفتح النون وسكون الياء التحتيّة وكسر الميم، قال في المصباح: «هو نازل بين ظهرانَيْهم بفتح النون، قال ابن فارس: ولا تكسر، وقال جماعة: الألف والنون زائدتان للتأكيد، وبين ظَهْرَيْهِم، وبين أَظْهُرِهم كلّها بمعنى بينهم. وفائدة إدخاله في الكلام أنّ إقامته بينهم على سبيل الاستظهار بهم، والاستناد إليهم. وكأنَّ المعنى: إنّ ظَهْراً منهم قدّامه بينهم، وظَهْرَاً وراءه، فكأنّه مَكنوف من جانبيه، هذا أصله. ثمّ كَثُر حتّى استُعمل في الإقامة بين القوم وإنْ كان غير مكنوف بهم». وضمير الجمع للمذكورين قبل ذلك. وقوله (**بالأَخْشَبَيْنِ**): تثنية الأخشب بالخاء والشين المعجمتين، والباء الموحّدة، قال في القاموس: «الأخشبان: جبلا مكّة، أبو قبيس والأحمر». يعني: المسمّى الآن جبل النور، يكنّى بذلك عن مقام الجمع والفرق. وقوله (**أطوف حول حِمائي**): والحمى مقصور، ومدّه لأجل الوزن والقافية، وهو لغة قليلة، قال في الصحاح: «حَمَيْتُهُ حِمَاية، أي: دفعت عنه وهذا شيء حِمَىً، على فِعَل، أي: محظور لا يُقرب. وأَحْمَيْت المكان جعلته/ [٢٩٧/ ب] حِمَى، وفي الحديث: «لا حِمَى إلّا حِمَى لله ورسوله»[١] يشير بالحمى إلى حمى الكعبة المشرّفة، وهو الحرم المحرّم الذي من دخله كان آمناً، كناية عن قلبه المعمور بمعرفة ربّه تعالى صاحب الحضور التامّ؛ فإنّ كلّ من وقع في خاطره من الناس أمن من كلّ سوء؛ لأنّه حرم آمن،

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب المساقاة، باب: لا حمى إلّا لله ورسوله، ٢٣٧٠، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما.

وقلبه بيت الله؛ ولهذا أضاف الحمى إلى ياء المتكلِّم. وطوافه فيه بالأخشبين كناية عن جمعه بين مقام الجمع والفرق. وذلك كلّه محلّه بين أصحابه من العارفين الكاملين، أهل التحقق بالحقّ.

٢٩- وَعَلَى اعْتِنَاقِي لِلرِّفَاقِ مُسَلِّمَاً عِنْدَ اسْتِلَامِ الرُكْنِ بِالإِيمَاءِ

(**وعلى اعْتِنَاقِي**): متعلّق بأطوف في البيت قبله، قال في المصباح: «عَانَقْتُ عِنَاقَاً واعْتَنَقْتُ وتَعَانَقنا، وهو الضمّ والالتزام بوضع الأيدي على العنق». وقوله (**للرِّفاق**): جمع رفيق قال في المصباح: «الرفيق: الذي يرافقك، قال الخليل: ولا يذهب اسم الرفيق بالتفرّق. والرِّفْقَة: الجماعة ترافقهم في سفرك، فإذا تفرّقتم زال اسم الرِّفقة، وهو بضمّ الراء في لغة بني تميم، والجمع: رِفاق، مثل: بُرْمَة وبِرَام، وبكسرها في لغة قيس».

ومعنى اعتناقه لرفاقه وأصحابه القادمين من السفر الإلهيّ، أو عليه ممّن يفارق نفسه إلى ربّه في سفره الأوّل، ومن ربّه إلى ربّه على وجه التحقّق به في سفره الثاني، ومن ربّه إلى نفسه في سفره الثالث، ليعرف نفسه حقّ المعرفة، ومن نفسه إلى نفسه، متحقّقاً بنفسه وبربّه، وهو السفر الرابع؛ فتتداخل الروحانيّات بهذا الاعتناق المذكور، ويجتمع الكلّ في الروح الأمري في عالم الجبروت، بعد العبور عن عالم الملك والملكوت، وطوافه على هذا الاعتناق تردُّده فيه المرّة بعد المرّة. وقوله (**مسلِّماً**): بتشديد اللام مكسورة: حال من ياء المتكلِّم في اعتناقي، يقال: سَلَّمَ عليه إذا حيّاه بالتحيّة، يعني: حال كوني مسلِّماً على رفاقي بالاعتناق معهم وبمخالطتهم. وقوله (**عند استلام**): يقال استلم الحجر: لمسه، إمّا بالقبلة أو باليد، ولا يهمز؛ لأنّه مأخوذ من السلام، وهو الحجّ، كما تقول: استنوق الجمل، وبعضهم يهمزه، كذا في الصحاح. وقوله (**الركن**): ركْن الشيء: جانبه، والجمع: أركان، يشير إلى ركن الكعبة. أمّا ركن الحجر الأسود، أو الركن اليماني، وهو

كناية عن ركن العلم بالله الذي بنيت عليه كعبة القلب الإنسانيّ الكامل الإيمان والمعرفة. والأركان الثلاثة الباقية: ركن الحياة، وركن الإرادة القلبيّة، وركن القدرة. والحجر الأسود: وهو النفس الإنسانيّة في ركن الباب، وهوركن العلم. وقوله (**بالإيماء**): متعلّق باستلام، يقال: أَوْمَأْتُ إليه إيماءً: أَشرتُ إليه بحاجب، أو يد، أوغير ذلك، كذا في المصباح. والمعنى: عند توجّهي بالإشارة إلى العلم الإلهيّ الذي في قلبي بحصول الحضور، وغيبة المحسوس والمعقول.

٣٠- وَعَلَى مُقَامِي بِالمَقَامِ أَقَامَ فِي جِسْمِي السَّقَامَ وَلاتَ حِيْنَ شِفَاءِ

(**وعلى مُقامِي**): متعلّق بأقام، أي: أقام السقام في جسمي تحسّراً على مقامي بالمقام. و(**مُقامِي**): بضمّ الميم: اسم الموضع الذي يقيم فيه. وقوله (**بالمقام**): بفتح الميم أي: مقام إبراهيم عليه السلام بالقرب من الكعبة المشرّفة، كناية عن وراثة المقام الإبراهيميّ الخليليّ في ولايته، فإنّ إقامته في ذلك المقام اقتضى له الاضمحلال بالكليّة عن دعوى وجوده، لهذا قال (**أقام**): أي سكن ولم يرتحل. وقوله (**في جسمي السقام**): فاعل أقام، وهو بفتح السين المهملة، قال في المصباح: «سَقِمَ سَقَماً، من باب تعب، وسَقُمَ سُقْماً من باب قَرُبَ، فهو سِقِيم. والسَقَام بالفتح: اسم منه، كنّى به عن النُّحُول الشديد، والفناء والاضمحلال بالكليّة، بحيث لم يبقَ منه في المحبّة بقيّة، فإنّ مقام الخَلَّة الإبراهيميّة تَخَلَّلَ وجود المحبوب في أجزاء المحبّ العدميّة التي هي صورته التقديريّة من/[٢٩٨/أ] غير حلول، ولا اتّحاد، ولا ثنويّة، ولا إيجاد؛ وإنّما هو ظهور وجودي، ومقام شهودي من قبيل: «كنت سمعه الذي يسمع به»[1] لا سمعه الذي لا يسمع به، وهو أُذنه الجارحة، وقوّتها العرضيّة، وكذلك بصره الذي يبصر به، كما ورد في الحديث. وقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [١١/هود/٨٦] حيث لم يبقَ منه غيرها؛ فإنّ ذلك خيرها. وقوله (**ولات حين**

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

شفاء): اختلف في (ولات) على أقوال، والجمهور على أنّها كلمتان، لا النافية، والتاء لتأنيث اللفظة، كما في ثمّة وربَّتَ؛ وإنّما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين، وتعمل عمل ليس، وهو قول الجمهور. ولا يذكر بعدها إلّا أحد المعمولين. والغالب أنْ يكون المحذوف هو المرفوع. واختلف في معمولها، فنصّ الفرّاء أنّها لا تعمل إلّا في لفظ الحين، وهو ظاهر قول سيبويه. وذهب الفارسيّ وجماعة إلى أنّها تعمل في الحين وفيما رادفه. قال الزمخشريّ: زيدت التاء على لا، وخُصّت على الأحيان. وتمامه مفصّل في مغني ابن هشام. وقوله (شِفاء) يقال: شَفَى الله المريض يَشْفِيه، من باب رمى، شِفَاءً: عافاه، كذا في المصباح. يعني: ليس الحين الذي حصل فيه ذلك السقام حين شفاء منه، فهو الداء الذي لا دواء له، لأنّه كشف عن حقيقة الأمر؛ فإنّ الفناء والاضمحلال بالكليّة أمر ذاتي للممكن، وليس لممكن مشاركة مع الحقّ تعالى في صحة وجود أصلاً.

٣١- وَتَذَكُّرِي أَجْيَادَ وِرْدِي فِي الضُّحَى وَتَــهَجُّدِي فِي اللَّيْلَــةِ اللَّــيْلَاءِ

(وتَذَكُّرِي): معطوف على قوله (السقام): أي أقام أيضاً تذكّري، ولم يبرح عنّي. والتذكُّر ضدّ النسيان: يقال: ذَكَّرْته ما كان بالتشديد فتذكّر. وقوله (أجياد): مفعول تذكّري. قال في الصحاح: «أجياد جبل بمكّة. سُمِّي بذلك لموضع خيل تُبّع. وسمِّي قُعَيقُعَان لموضع سلاحه». وقوله (وِردي): أي حيث كان ذلك الجبل وردي بكسر الواو وهو الوظيفة، من قراءة ونحو ذلك. والجمع: أوراد، مثل حمل وأحمال، كذا في الصحاح. ويجوز أنْ يكون وِردي بدلاً من أجياد، أي: تذكّري وردي. وقوله (في الضحى): جمع ضَحْوَة، وهي امتداد النهار، مثل: قَرْيَة وقُرَى، كما في المصباح. والمعنى في وقت الضحى كان له في ذلك الجبل أوراد صلوات وأذكار أيام سلوكه ومجاهدته في طريق الله تعالى، فتذكَرَ ذلك، وحنّ إليه. وقوله (وتَهَجُّدِي): أي صلاتي بالليل بعد إلقاء الهجود، وهو النوم، قال في الصحاح: «هَجَدَ وتَهَجَّدَ، أي: نام ليلاً، وهَجَدَ وتَهَجَّدَ، أي: سَهِر، وهو من الأضداد. ومنه

قيل لصلاة الليل: التَهَجُّد. وقوله (في اللَّيلَة اللَّيْلَاء): أي شديدة الظلمة، قال في المصباح: «لَيْلٌ أَلْيَل: شديد الظلمة، ولَيْلَةٌ لَيْلَاء، وليل لَائِل مثل قولك شعر شاعر في التأكيد. ومثل هذا التذكر وقع في كلام الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه حيث قال من أبيات:

يـــذكّرني حـــال الـــشبيبة والـــشرخ حـديث لنا بين الحَديثَة والكَرْخ

وهو من أبيات ترجمان الأشواق له. وقال في شرحه: يقول بعد الوصول إلى مقام إتيان الذكر المحدث بالتنزيل الإلهيّ: يذكّرني حالة السلوك في مقام احتراق الحجب المغيّبة على التي ترفعها الأعمال بما تعطيه من الحقائق والهمم من غير رؤية منِّي؛ فيردّني إلى العمل على مقام الحجاب من الحالة التي أنا عليها اليوم من العمل على الكشف بإسقاط رؤية الرؤية فكيف غيرها.

٣٢- عَمْرِي وَلَو قُلِبَتْ بِطَاحُ مَسِيْلِهِ قُلُبَـــاً لِقَلْبِـــي الـــرُّيُّ بِالحَـــصْبَاءِ

(**عَمْري**): بفتح العين المهملة مبتدأ خبره محذوف، تقديره قَسَمي. وقال الراغب: العَمْر والعُمُر، يعني بالفتح والضمّ واحد، لكن خصَّ القَسَم بالعَمْر بالفتح دون العُمُر بالضمّ نحو: لعَمْرُك/ [٢٩٨/ ب] ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١٥/الحجر/٧٢] وعَمْرَكَ الله، أي: سألت الله عَمْرَك. وخُصّ ههنا لفظ عَمْر لمّا قصد له قصد القسم. وقوله (**ولو قُلِبَتْ**): بالبناء للمفعول، يقال: قَلَبْتُهُ قَلْباً، من باب ضرب: حَوَّلته عن وجهه. وكلام مقلوب: مصروف عن وجهه. وقَلَبْتُ الرداء: حَوَّلتُه، وجعلت أعلاه أسفله، كذا في المصباح. وقوله (**بِطَاح**): جمع أَبْطَح، نائب الفاعل. قال في الصحاح: «الأَبْطَح مَسِيل واسع فيه دقاق الحصى. والجمع الأَبَاطِح والبِطَاح أيضاً على غير القياس. قال الأصمعي: «يقال: بِطَاح بُطَّح، كما يقال: أَعوام عُوَّم، حكاه أبو عُبيدة. والبَطِيحَة والبَطْحَاء مثل الأَبْطَح. ومنه بَطْحَاء مكّة. وتَبَطَّح السيل، أي: اتسع في البَطْحاء. وقوله (**مَسِيْلِهِ**): أي مَسيل أَجياد في البيت قبله. والمَسيل مَجْرى السيل. والسَّيل في الأصل من سَال الماء يَسِيل

سَيْلاً من باب باع. ومَسِيلاً وسَيَلاناً: إذا جرى، ثمّ غلب السيل في المُجْتَمِع من المطر الجاري في الأودية، كذا في المصباح. وقوله (قُلُباً): بضم القاف وضمّ اللام: جمع قَلِيب، قال في المصباح: «القَلِيب: البئر، وهو مُذكَّر». قال الأزهري: «القَلِيب عند العرب: البئر العاديّة القديمة، مطويّة كانت أو غير مطويّة. والجمع: قُلُب، مثل بَرِيد وبُرُد». قال في الصحاح: «القَلِيب هو البئر العاديّة القديمة. وجمع القلّة أقْلِبَة، والكثرة قُلُب، قال الشاعر:

وما سال وادٍ من تهامة طيِّب بها قُلُبٌ عاديَّة وكرار

وقوله (لقلبي): متعلِّق بقُلِبَتْ، أي: لأجل قلبي ما فقد قلبي الريّ. وقوله (ريّ): بكسر الراء وتشديد الياء: فعل ماض مبني للمفعول، ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود على قلبي، قال في الصحاح: يقال رَوِيت من الماء بالكسر أرْوِي رِيّاً ورَيّاً ورِوَىً أيضاً، وارتويت كلّه بمعنى. وقوله (بالحصباء): متعلِّق برِيّ، أي: حصل لي الريّ، وهو زوال العطش بالحصباء التي في ذلك المسيل، لأنّ عطشه ليس عطشاً طبيعيّاً يزول عنه، فيرتوي بشرب الماء، وإنّما عطشه عطش شوق وحبّ وعشق، فيزول برؤية الحصباء وأثر ذلك المسيل.

٣٣- أَسْعِدْ أُخَيَّ وَغَنِّنِي بِحَدِيثِ مَنْ حَلَّ الأَبَاطِحَ إنْ رَعَيْتَ إخَائِي

٣٤- وَأَعِدْهُ عِنْدَ مَسَامِعِي فَالرُّوحُ إنْ بَعُدَ المَدَى تَرْتَاحُ لِلأَنْبَاءِ

(أسعدْ): فعل أمر من الإسعاد، وهو الإعانة. والمساعدة: المعاونة، كذا في الصحاح. أي: أسعدني. بمعنى: أعِنِّي، وساعدْني. وقوله (أُخَيَّ): بضمّ الهمزة وفتح الخاء المعجمة وتشديد الياء، مصغّر أَخَي، حُذف منه حرف النداء، وتقديره يا أخي. وفي الحديث: «المرء مرآة أخيه»[1]. يعني: يرى صورة ما هو فيه في أخيه؛

---

(١) ذكره العسكريّ في الأمثال بهذا اللفظ، ٢٤٢٢، عن أبي هريرة. كما أخرج البخاريّ في الأدب المفرد، باب: المسلم مرآة أخيه، ١٠٦، عن أبي هريرة بلفظ: «المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيباً أصلحه».

فالإنسان العارف يرى صورته في مرآة الوجود الحقّ، يرى نفسه في مرآة الإنسان الممكن، وصاحب توحيد الوجود لا يرى الشركة في الوجود أصلاً، وإنّما يرى الوجود المطلق في مقابلة العدم الصرف المطلق، ويرى الممكنات مقتضيات أسماء الوجود، وصفاته تظهر بالوجود، ويظهر الوجود بها؛ فهي مظهره، وهو مظهرها.
وقوله (**وغنّني**): معطوف على أَسْعِدْ، وهو فعل أمر، من الغِناء، مثل كتاب الصوت. (**وغنّى**): بالتشديد إذا ترنّم بالغناء، كذا في المصباح. وقوله (**بحديث**) متعلّق بغنّني. والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير، ويجمع على أحاديث على غير قياس، قال الفرَّاء: «نُرى أنَّ واحد الأحاديث أُحْدوثة، ثمّ جعلوه جمعاً للحديث، كذا في الصحاح. وقوله (مَن): بفتح الميم، أي: الذي، أو محبوب. وقوله (**حَلَّ**): أي سَكَنَ: صلة الموصول، والعائد/ [٢٩٩/ أ] الضمير المستتر، أو صفة للنكرة. وقوله (**الأباطح**): جمع الأبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى. كنّى بمن حلّ الأباطح عن الروح الذي هو من أمر الله المنفوخ منه في الأجسام الإنسانيّة الكاملة العرفان؛ فإنْ مَن مع سمع حديث ربّه سمع أمراً عن أمر موزوناً، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [١٥/ الحجر/ ١٩]؛ فإنّ كلّ شيء صادر عنه بأمر الله تعالى، فإذا غنّاه بحديثه استغنى بالله عمّا سواه، ولا يجد سواه فلا يستغني أصلاً؛ فهو الفقير الدائم الفقر إليه تعالى، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٥]. وقوله (**إنْ رعيت**): خطاب لقوله: أُخيّ، قال الراغب: «الرَّعْيُ في الأصل حفظ الحيوان، إمّا بغذائه الحافظ لحياته، أو بذبّ العدوّ عنه، يقال: رَعَيْتُهُ، أي: حفظته. قال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [٥٧/ الحديد/ ١٥] أي: ما حافظوا عليها حقّ المحافظة». وقوله (**إخائي**): الإخاء مصدر آخاه مؤاخاة وإخاء. والعامّة تقول: واخاه، كذا في الصحاح. وقوله (**وأعِدْهُ**): معطوف على غنّني، أي: أعِدْ الحديث المذكور؛ بمعنى كرره. وقوله (**عند مسامعي**): جمع مِسْمع، بكسر الميم،

قال في الصحاح: «السامعة الأُذن، وكذلك المِسْمع بالكسر». وقال في المصباح: «المِسمع بكسر الأوّل، والجمع: أسماع ومَسامع». يعني: كرر ذلك الحديث بحيث أسمعه، ويمكن أن يكون الحديث بمعنى الحادث، فَعِيل بمعنى فاعل، كرحيم بمعنى راحم، وعليم بمعنى عالم. والغَناء بالحادث من قبيل ما نزل في بعض صحف النبيِّين عليهم السلام: «لقد غنيت لكم فلم ترقصوا» أي: وازنت لكم الأمور فلم تجروا على موازنتي، ولم تتبعوها. ومن ذلك قال الشيخ عبد الهادي السودي اليمني قدّس سرّه من أبيات له:

لقد غنّى الحبيب لكلّ حِبٍّ فأين الراقصون على الغناء

أيشدو من تحبّ وأنت لاه وترضى بالقساوة والعناء

فيبقى قوله (وأعِدْه): أي الحديث. (عند مسامعي): أي أسمعني حركة الأمر الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر. ثمّ قال (فالروح): أي المنفوخ في الجسد الإنسانيّ، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وقوله (إنْ بعد المدى): أي الغاية. قال في المصباح: «المدى بفتحتين: الغاية، وبلغ مدى البصر، أي: منتهاه وغايته. وقوله (ترتاح): أي تنشط قال في الصحاح: «الارتياح: النشاط». وقوله (للأنباء): جمع نَبأ، وهو الخبر. يعني: إنّ الأرواح إذا سمعت أحاديث الأحبّة وأخبارهم انبسطت، ونشطت، وطلبت تكرار تلك الأخبار لانتعاشها بها، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

أسكرت بان الحِمى يا نسمة السَحَر فهل أتيتِ عن الأحباب بالخبر

نعم مررت بذك الحيّ فاكتسبت ذيول بردك ريّا نشره العطر

يا روح روحي بروحي للحيّ وقفي به فديتك بين البان والسمر

وقال الآخر:

بالله حدّث يا نسيم الصبا من أين هذا النفس الطيِّب

وللشيخ نجم الدين ابن إسرائيل قدّس الله سرّه:

لا تلمه إذا صبا إنْ سرتْ منهم الصبا   خطرت وهي نعمة بشذا تلكم الريّان
ذات نشر معنبرة عن جوى الشوق أعربا   خبّأت لي بشائر الوصل من دمي الخيام

/ [٢٩٩/ ب] وما ألطف قوله أيضاً قدّس سرّه:

هبّت شمال فماس الآتل والبان   حتّى أرتنا القدود الهيق أغصان
مسكيّة خطرت وهنا قد مزجت   لها بماء دموع الطلّ أردان
يا صرّة الطيب ما عطرت أرحلنا   إلّا وعندك أخبار الألى بانوا

٣٥- وإذا أَذىً أَلَـمِ أَلَـمَّ بِمُهْجَتِي   فَشَذَا أُعَيْشَابِ الحِجَازِ دَوَائِي

(**وإذا**): ظرف لما يستقبل من الزمان، وفيها معنى الشرط، نحو: إذا جئتني أكرمتك، كذا في المصباح. وقوله (**أذىً**): بفتح الهمزة، مصدرأَذِيَ الرجلُ أَذَىً، من باب تعب: وصل إليه المكروه. والأذيَّة: اسم منه، كما في المصباح. وقوله (**ألمٍ**): بالجرّ، مضاف إليه. والألم: الوجع. وقد ألِمَ يَألَمَ ألَماً. وقوله (**ألَمّ**): بتشديد الميم، قال في المصباح: «أَلَمَّ بالذنب: فَعَلَهُ، وأَلَمَّ الرجل بالقوم إلمَّاماً: أتاهم فنزل بهم». وقوله (**بمهجتي**): متعلّق بألمّ، أي نزل بها. وقوله (**فشذا**): الشَذَا حدّة ذكاء الرائحة، كذا في الصحاح. وقوله (**أُعيشاب**): تصغير أعشاب، جمع عُشْب بالضمّ، وهو الكلأ الرطب، كذا في القاموس. وقوله (**الحجاز**): هي بلاد، سمّيت بذلك لأنّها حجزت بين نجد والغور، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «ويقال سمّي الحجاز حجازاً، لأنّه فصل بين نجد والسراة. وقيل بين الغَور والشام. وقيل: لأنّه احْتُجِز بالجبال. وقوله (**دَوائي**): الدواء ما يُتداوى به. ممدودٌ، وداله مفتوحة. والجمع أدوية، كما في المصباح. والمعنى: إذا أصابني الأذى، ونزل بي الألم الشديد فرائحة العشب من بلاد الحجاز دوائي، وفي استنشاق ذلك شفائي، يُكنّي ببلاد الحجاز عن حضرة الأسماء الإلهيّة، وأعشابها ما ينبت فيها من الأشخاص الإنسانيّة

الكاملة. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [٧١/نوح/١٧] ورائحة ذلك العشب: ما يظهرعنه من المعارف الإلهيّة والعلوم الربّانيّة؛ فإنّ الاطّلاع على ذلك مُزيل لكلّ ألم وجيع، وهمّ فظيع، وداء منيع.

٣٦- أَأُذَادُ عَنْ عَذْبِ الوُرُودِ بِأَرْضِهِ   وَأُحَادُ عَنْهُ وَفِي نَقَاهُ بَقَائِي

٣٧- وَرُبُوْعُهُ أَرَبِى أَجَلْ وَرَبِيْعُهُ   طَرَبِي وَصَارِفُ أَزْمَةِ اللَّأْوَاءِ

٣٨- وَجِبَالُهُ لِيَ مَرْبَعٌ وَرِمَالُهُ   لِيَ مَرْتَعٌ وَظِلَالُهُ أَفْيَائِي

٣٩- وَتُرَابُهُ نَدِّي الذَّكِيُّ وَمَاؤُهُ   وِرْدِي الرَّوِيُّ وَفِي ثَرَاهُ ثَرَائِي

٤٠- وَشِعَابُهُ لِيَ جَنَّةٌ وَقِبَابُهُ   لِيَ جُنَّةٌ وَعَلَى الصَّفَاءِ صَفَائِي

(أأُذاد): الهمزة الأولى للإستفهام. وأُذاد بضمّ الهمزة الثانيّة، فعل مضارع مبني للمفعول، أي: أُطْرَد، قال في الصحاح: «الذياد الطّرد، تقول: ذدته عن كذا، وذُدْتُ الإبلَ: سُقتها وطردتها». وقوله (عن عَذْب): عَذُبَ الماءُ، بالضمّ، عُذوبةً: سَاغ مشْرَبُهُ؛ فهوعَذْب، كذا في المصباح. وقوله (الورود): وَرَدَ البعير وغيره الماءَ ورُوداً: بَلَغَه ووافاه، وقد يحصل دخول فيه وقد لا يحصل، كما في المصباح. والتقدير عن ماء عذب الورود. وقوله (بأرضه): أي بأرض الحجاز المذكور في البيت قبله، وكنّى بعذب الورود عن ماء زمزم الأسرار الإلهيّة، والعلوم الربّانيّة التي يفتح بها على بيت القلب الصادق، وحرم العقل الموافق. وقوله (وأُحَادُ): بضمّ الهمزة، فعل مضارع مبني للمفعول، معطوف على أُذاد، يقال: حاد عن الشيء يَحِيد حَيْدَةً وحُيُوداً: تَنَحَّى وبَعُد. ويتعدّى بالحرف والهمزة، فيقال: حِدْتُ به وأَحَدْتُهُ، مثل ذهب وذهبت به وأذهبته، كذا في المصباح. والناظم استعمله متعدّياً بالهمزة؛ من أحاده، رباعيّاً، لا من حاد ثلاثياً؛ لأنّه لازم. وقوله (عنه): أي عن/[٣٠٠/ أ] الحجاز. وقوله (وفي نقاه): الواو للحال، ونقاه خبر مقدّم خبر لقوله (بقائي). والضمير يعود إلى الحجاز. والجملة حال من نائب فاعل أُحاد، وهو ضمير

المتكلِّم. و(**النقا**): بالنون والقاف، الكثيب من الرمل.

وقوله (**بقائي**): بالباء الموحّدة والقاف [المعجمة]، بقي الشيء من باب تعب، بقاء وباقية: دام وثبت، كذا في المصباح. وكنّى بالنقاء المضاف إلى ضمير الحجازعن المقام المحمّدي الجامع؛ فإنّ العلوم والأسرار فيه متبيِّنة غير ملتبسة ولا متداخلة، فأشبهت الكثيب من الرمل، ولم يجعله تلاً من تراب لذلك، فإنّ قيامه بذلك المقام ودوامه وثباته عليه. ثمّ قال (**وربوعه**): أي الحجاز، جمع رَبْع، قال في المصباح: «الرَبْع محلّة القوم ومنزلهم، وقد أُطلق على القوم مجازاً، والجمع رِباع، مثل: سَهْم وسِهام، وأرباع وأَرْبُع ورُبُوع مثل: فُلوس». قال في الصحاح: «الرَبْع الدار بعينها، حيث كانت». وقوله (**أَرَبِي**): الأَرَب بفتحتين: الحاجة، والجمع المآرب، كما في المصباح. كنّى بربوع الحجازعن أهل المراقبة والمشاهدة؛ لدوام معاينتهم بيت ربِّهم في عباداتهم وعاداتهم. يعني: هم مقصوده ومراده لدوام ترقيه بصحبتهم ولقائهم.

وقوله (**أجل**): بالجيم وسكون اللام، قال في الصحاح: «قولهم أجل إنّما هو جواب، مثل: نعم، قال الأخفش: إلّا أنّه أحسن من نعم في التصديق، ونعم أحسن منه في الاستفهام، فإذا قال: أنت سوف تذهب. قلت:أجل. وكان أحسن من نعم. وإذا قال: أتذهب. قلت: نعم. وكان أحسن من أجل». وقوله (**وربيعُهُ**): أي ربيع الحجاز. قال في المصباح: «وأمّا ربيع الزمان فاثنان، الأوّل: الذي تأتي فيه الكمأة والنور. والثاني: الذي تدرك فيه الثمار، وقال في الصحاح: «وأمّا ربيع الأزمنة فربيعان، الربيع الأول: وهو الفصل الذي تأتي فيه الكمأة والنور، وهو ربيع الكلأ. والربيع الثاني: هو الفصل الذي تدرك فيه الثمار. وفي الناس من يسمّيه الربيع الأوّل». وسمعت أبا الغوث يقول: العرب تجعل السنة ستة أزمنة: شهران: منها الربيع الأوّل، وشهران: صيف، وشهران: قيظ، وشهران: ربيع الثاني، وشهران: خريف، وشهران: شتاء. وكنّى الناظم قدّس سرّه بربيع الحجاز هنا عن

التجلِّيات الإلهيّة، والتدلِّيات الربّانيّة من المشرب المحمّديّ، والمشهد الأحمدي.

وقوله (**طَرَبي**): طَرِبَ طَرَباً فهو طَرِب، من باب تعِب. وطَرُوب مبالغة، وهي خِفَّة تصيبه لشدّة حزن أو سرور. والعامَّة تخصّه بالسرور، كذا في المصباح. وقوله (**وصارِف**): معطوف على طربي. والصارف: اسم فاعل من الصرف، وهو الدفع والمنع، يقال: صرفت الرجل عنِّي فانصرف. وقوله (**أَزْمَة**): بفتح الهمزة وسكون الزاي: الشدّة والقحط، كما في الصحاح. وقوله (**اللَّأواء**): بتشديد اللام مفتوحة، وسكون الهمزة، وفتح الواو بعدها ألف وهمزة، هي الشدّة. وفي الحديث: «مَنْ كان له ثلاث بنات فصبر على لَأوائهنّ كنّ له حجاباً من النار»[1]، كذا في الصحاح. والمعنى: إنّ الربيع المذكور طَرَب وسرور له، ومزيل عنه شدّة كلّ شدّة من جوع، أو قحط، أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [٢٢/الحج/٣٨] وأتى بالاسم الجامع، وهو الله للإشارة إلى أنّ جميع أنواع التجلِّيات الإلهيّة في جميع الحالات تقتضي الحفظ والعناية للعبد إذا شهدها في نفسه وفي غيره، وتدفع عنه كلّ سوء في الدنيا والآخرة. وقوله (**وجباله**): أي الحجاز، جمع جبل. وقوله (**لي مَرْبَع**): وِزان جعفر، منزل القوم في الربيع، كما في المصباح. وكنّى بجبال الحجاز عن مقامات القرب الإلهيّ التي يرسخ فيها العبد، فلا يزول عنها. وقوله (**ورماله**)/ [٣٠٠/ ب] أي: الحجاز، كناية عن العلوم الربّانيّة. وقوله (**لي مرتع**) وزان جعفر: موضع الرتوع، والجمع المراتع، يقال: رَتَعَتِ الماشية رَتْعَاً، من باب نفع، ورُتُوعاً: رَعَتْ كيف شاءت، كذا في المصباح. وهو استفادة الأحوال الشريفة من تلك العلوم الربّانيّة. وقوله (**وظلاله**): أي الحجاز، جمع ظلّ، قال في

---

(١) أخرجه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، بهذا اللفظ ٤/ ٤١٧، كما أخرج الحاكم في المستدرك، باب: البرّ والصلة، ٧٣٤٦، عن أبي هريرة، بلفظ: «من كنّ له ثلاث بنات فصبر على لأوائهنّ وضرّائهنّ أدخله الله الجنّة برحمته إيّاهنّ، فقال رجل: وابنتان يا رسول الله؟. قال: وإنْ ابنتان. قال رجل: يا رسول الله، وواحدة. قال وواحدة». قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. علّق الذهبي: صحيح.

المصباح: «قال ابن قتيبة: يذهب الناس إلى الظلّ والفيء بمعنى واحد، وليس كذلك؛ بل الظلّ يكون غُدْوَة وعَشِيَّةً، والفيء لا يكون إلا بعد الزوال، فلا يقال لما قبل الزوال فيء؛ وإنّما سُمِّي بعد الزوال فيئاً، لأنّه ظِلٌّ فاء عن جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفيء: الرجوع، وقال ابن السكّيت: الظِلّ من الطلوع إلى الزوال، والفيء من الزوال إلى الغروب. قال ثعلب: الظلّ للشجرة وغيرها بالغداة. والفيء بالعشيّ. قال: وقال رؤبة بن العجاج: كلّ ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو ظلّ وفيء، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظلّ. ومن هنا قيل: الشمس تنسخ الظلّ، والفيء ينسخ الشمس. وجمع الظلّ ظِلال وظُلل، وزان رطب؛ ولهذا فرّق الناظم بين الظلال والأفياء؛ فأخبر عن الظلال أنّها أفياءه حيث قال (**أفيائي**): جمع فيء، يقال: فاء الرجل يَفيء فَيئاً، من باب باع: رجع. وفي التنزيل: ﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [٤٩/ الحجرات/ ٩] أي: حتّى ترجع إلى الحقّ. وفاء الظلّ يَفيء فيئاً: رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق. والجمع فُيُوء وأفياء مثل بَيت وبُيُوت وأبيات، كذا في المصباح. يكّنى بالظلال عن الأحوال التي تغلب على القلب من شدّة ظهور الحقّ له في تجلّيه عليه، ويكنّى بالأفياء عن رجوع تلك الأحوال إليه المرّة بعد المرّة حتّى تصير مقامات له ثابتة فيه بحيث يملكها، وقد كانت تملكه.

وقوله (**وترابه**): أي تراب الحجاز، يعني العلوم الكونية المستفادة من الحضرة الأسمائيّة الإلهيّة. وجعلها تراباً لأنّها ملتبسة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [٦/ الأنعام/ ٨٢] الآية؛ فإنّ الظلم نسبة الشيء إلى غير ما هو له على أنّه له كالنسب الكونيّة، فإنّها ظلم ألبس بها صاحبها إيمانه. وقوله (**نَدِّي**): بتشديد الدال المهملة، قال في المصباح: النَدّ بالفتح: عُوْدٌ يُتبَخَّر به، وقال في الصحاح: «والنَدُّ من الطيب ليس بعربي، وأضاف النَدّ إلى نفسه لأنّه هو الذي يشتم من تلك العلوم الكونيّة روائح الحقّ تعالى دون غيره. وقوله (**الذكيّ**): وصف لنَدّي، يقال: ندٌّ ذكيّ، أي: شديد الرائحة؛ فإنّ العلوم الكونيّة والمعلومات العينيّة عند

غيره أغيار، وعنده تجلّيات إلهيّة في صور التقادير العدميّة كما أشرنا إلى ذلك بقولنا من أبيات لنا:

هــو البحــر عنـــه لا يـــزول كلامنـــا   فعـن موجـه طـوراً وطـوراً عـن المـاء

وقوله (وماؤه): أي ماء الحجاز، كناية عن صفة الحياة الإلهيّة السارية بلا سريان في كلّ شيء محسوس أو معقول، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٠] أي: من جهة كونه موصوفاً بالحياة جُعل من الماء، وهذا السريان ليس بسريان، بل هو إحاطة من قوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤]. ولأنّ السريان لا يكون إلّا بين شيئين، كلّ واحد منهما له وجود مستقل، وأمّا أنّ أحدهما وجود حقيقيّ، والآخر عدم صرف مقدّر فسريان الوجود في العدم عبارة عن إحاطته به، وتقديره له على مقتضى ما يريد، وللشيخ عبد الهادي السودي قدّس الله سرّه من أبيات له:

لـــو تجلّـــت عـــنهم ظلـــم   وانمحـــوا عـــن عـــالم الـــصور
شـــاهدوا معنـــاك منبـــسطاً   ســـارياً في ســـائر الفطـــر
ودروا أنّ الحجـــــاب هـــــم   عن جمال المنظر النظر/[٣٠١/ أ]
وقـــضى يعقـــوب حاجتـــه   وانتهـــى زيـــد إلى الـــوطر

وقوله (وِرْدي): بكسر الواو، والورد: الاسم من وَرَدَ الماءَ يَرِده وُرُوداً: بلغه ووافاه. وقوله (الرَّوِيُّ): بتشديد الياء التحتيّة، وصف لِوِرْدي، أي: الذي يروي الصدا، ويزيل العطش على المدى، كما ورد في ماء الحوض النبويّ: «إنّ مَنْ شرب منه لا يظمأ بعدها أبداً»[1] وهو المشرب المحمّديّ، والوِرد الأحمديّ، والريّ السرمديّ. وقوله (وفي ثراه): أي الحجاز. والثرى: بالثاء المثلّثة، وِزان الحصى: نَدَى الأرض. وأثرت الأرض بالألف: كثر ثراؤها، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «الثرى التراب

(١) أخرجه الطبرانيّ في مسند الشاميّين، باب: ما انتهى إلينا من مسند صفوان بن عمرو، ٩٢٨.

النديّ، وأرض ثرياء: ذات ندى، ويقال: التقى الثَريان، وذلك أنْ يجيء المطر فيرسخ في الأرض حتّى يلتقي هو وندى الأرض. وأمّا قول طفيل:

يُـذَدْن ذِيـاد الخامـسات وقـد بـدا ثَـرى المـاء مـن أعطافهـا المُتحلِّـب

فإنّه يريد العَرَق، قال الأصمعي: «العرب تقول: شهرٌ ثَرى، وشهرٌ ترى، وشهرٌ مرعى، أي: تمطر أوّلاً، ثمّ يطلع النبات فتراه، ثمّ يطول فترعاه النعم. وقوله **(ثرائي)**: أي غَنائي، قال في المصباح: «الثَرْوَة: كثرة المال، وأثرى إثراء: استغنى. والاسم منه الثَرَاء، بالفتح والمدّ». والمعنى: في ثرى الحجاز استغناء عن كلّ شيء، أي: في نداه الذي ينزل على أرضه، كناية عن مدد الإلهام الذي ينزل من سماء الغيب على النفوس بالبشريّة، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٨] فالفجور والتقوى بالنسبة إلى النفوس، وهو بالنسبة إلى الحقّ تعالى كلّه إلهام، كالماء ينزل من السماء طاهراً طهوراً؛ فإذا وقع في الإناء النجس صار نجساً. وفي الإناء الطاهر صار طاهراً طهوراً. وفي الإناء الكدر يصير كدراً، ونحو ذلك. قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [٨/ الأنفال/ ١١].

وقوله **(وشِعابُهُ)**: أي: شعاب الحجاز، جمع شِعب بالكسر، وهو الطريق، وقيل: الطريق في الجبل، والجمع شعاب، كما في المصباح. وقوله **(لي جنّة)**: بفتح الجيم، وهي الحديقة ذات الشجر، وقيل: ذات النخيل. والجمع جنّات على لفظها، وجِنان أيضاً، كما في المصباح. كنّى بشعاب الحجاز عن الطريق الموصلة إلى معرفة الحقّ تعالى من الصبر، والشكر، والزهد، والورع، والقناعة، والتوكّل، والتقوى، إلى غير ذلك. وأخبر بأنّها عنده جنّة يتنعَّم بها.

وقوله **(وقبابه)**: أي الحجاز، جمع قُبَّة، من البنيان معروف. وتطلق على البيت المدوَّر، وهو معروف عند التركمان والأكراد. والجمع: قِباب، مثل: بُرْمَة وبِرَام، كذا في المصباح. وقوله **(لي جُنّة)**: بضمّ الجيم، وهي ما استترت به من سلاح

وغيره، كما في المصباح. فكنّى بالقباب عن صور التجلّيات الإلهيّة الإنسانيّة المعتكفة في حرم المشاهدة الربّانيّة. وكونه يستتر بها، أي: يتوقّى بحفظها له من مهالك الدنيا والآخرة بحكم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [٢٢/الحج/٣٨] أي: صدّقوا بمظاهر التجلّيات المذكورة. والاسم الجامع يقتضي مشارب مختلفة لتلك المظاهر، والإنكار لمظهر واحد إنكار لجميع المظاهر، فلا مدافعة منه تعالى، قال القائل:

مشاربنا شتّى وحسنك واحد ... وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

والمنكر على واحد منهم التبس عليه حاله بمقتضى اسم إلهيّ يصدق عليه قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾ [٢/ البقرة/ ٣٨] الآية.

وقوله (وعلى صفاه): أي الحجاز. والصفا مقصور: الحجارة، ويقال الحجارة الملس، الواحدة صَفَاة، مثل حَصًا وحَصَاة، ومنه: الصفا لموضع بمكّة، كذا في المصباح، وهو المشار إليه هنا، كناية عن قلب القطب الجامع/[٣٠١/ ب][1] والسرّ النوراني اللامع. وقوله (صفائي): أي خلوصي من أكدار الأغيار، وغبار الآثار، يقال: صَفَا صُفُوّاً ، من باب قعد، وصَفَاء: إذا خَلَصَ من الكَدَرِ؛ فهو صافٍ، كما في المصباح، وقد أشرنا إلى ذلك بقولنا:

صفا ماء الحقيقة فهو صافي ... من الكدر الذي هو فيه خافي

وما الكدر الذي هو فيه إلّا ... تقادير له منه وافي

تسمّت بالحوادث وهي فيه ... قديمات وما هي بالمنافي

سراب ظَنَّهُ الظمآن ماء ... فلمّ جاءه للارتشاف

---

(١) النقل هنا من الصفحة [٣٠٢/ ب] وليس من الصفحة [٣٠١/ ب] فقد دوّن في [٣٠١/ ب] الأبيات الثلاثة ٣و٤ و٥مع شروحاتها من قصيدة «أوَمِيضَ برقٍ» التالية لهذه القصيدة، وذلك بدءأ من أوّل سطر في الصفحة المذكورة. وكان حقّه أن يبدأ بالبيت ٤١ من هذه القصيدة «أرج النسيم» وما يليه ليتمّم الأبيات العشرة المتبقية منها.

هنالـــك لم يجـــد شـــيئاً ولكـــن   بـــه وجـــد الإلـــه الحـــقّ كـــافي

إلى آخر الأبيات.

٤١- حَيَّا الحَيَا تِلْكَ المَنَازِلَ وَالرُّبَا   وَسَــقَى الــوَلِيُّ مَــوَاطِنَ الــلَّأْلَاءِ

(حَيَّا): بتشديد الياء التحتيّة: من التحيَّة، يقال: حَيَّاهُ تَحِيَّةً. وأصله الدعاء بالحياة، ومنه: التحيّات لله، أي: البقاء الدائم. وقيل: المُلْك، ذكره في المصباح، وقال في الصحاح: «التحيّة المُلْك، ويقال: حَيَّاك الله، أي: مَلَّكَك. وقوله **(الحَيَا)**: أي الخِصب. قال في الصحاح: أحْيَا القوم، أي: صاروا في الحَيَا، وهو الخِصب، وقد أتيت الأرض فأحْيَيْتُها، أي: وجدتها خِصْبة». وقوله **(تلك المنازل)**: إشارة إلى منازل الحجاز المذكورة في الابيات قبله، كناية عن المنازل التي ينزلها السالك في طريق الله تعالى.

وقوله : **(والرُّبَا)**: بضمّ الراء وفتح الباء الموحّدة، جمع رَبْوَة، قال في المصباح: «الربوة المكان المرتفع، بضم الراء في الأكثر، والفتح لغة، بني تيم، والكسر لغة. سُمِّيت رَبْوة لأنّها رَبَتْ: فَعَلَتْ، والجمع رُبا، مثل: مُدْيَة ومُدَى، والرابية مثله، والجمع: الروابي. كنّى بذلك عن الأحوال العالية التي تعتري السالك في الطريق فيعلو فيها، ثمّ تتحوّل، فينزل إلى نفسه. وقوله **(وسَقَى الوليُّ)**: بتشديد الياء التحتيّة، قال في الصحاح: «الوَلِيّ: المطر بعد الوَسْمِيّ، سُمِيَ ولِيّاً؛ لأنّه يَلِي الوَسميّ، كنّى به عن العلوم الوهبيّة الإلهيّة. وقوله **(مَوَاطِنَ)**: جمع مَوْطِن. وقوله **(اللَّأْلَاء)**: بتشديد اللام وسكون الهمزة الأولى، وفتح اللام الثانية بعدها ألف وهمزة، قال في القاموس: «اللَّأْلَاء الفرح التام، وتلألأ البرق: لمع». وكنّى بمواطن اللّألاء عن مقامات أهل القرب الإلهيّ وأحوال قلوبهم.

٤٢- وَسَقَى المَشَاعِرَ وَالمُحَصَّبَ مِنْ مِنَى   سَــحَّاً وَجَــادَ مَوَاقِــفَ الأَنْــضَاءِ

(وسقى المشاعر): جمع مَشْعَر، قال في المصباح: «المَشاعِر: مواضع المناسك، والمَشْعَر الحَرَام جبل بآخر مُزْدَلِفَة، واسمه قُزَح، وميمه مفتوحة على المشهور،

وبعضهم يكسرها على التشبيه باسم الآلة. كنى بالمشاعرعن المواضع التي يشعر فيها العارف بربّه كالطاعات والعبادات. وقوله (**والمُحَصَّب**): بصيغة اسم المفعول، قال في المصباح: «الحَصْبَاء بالمدّ: صغار الحصى، وحَصَبْتُهُ حَصْباً من باب ضرب: رميتُه بالحَصْبَاء، وحَصَبْتُ المَسْجِد وغيره: بَسَطتُهُ بالحصباء، وحَصَّبْتُه بالتشديد، مبالغة، فهو مُحَصَّب: اسم مفعول. ومنه المُحَصَّب موضع بأعلى مكّة على طريق مِنّى، ويُسمّى البطحاء. والمحصّب أيضاً مرمى الجمار بمِنى» كنّى بالمُحَصَّب عن مقام الجمع الذي تُرمى فيه جمار الأغيار لظهور الواحد القهار. وقوله (مِنْ مِنَى): بيان للمحصّب. ومِنِىً موضع عن مكّة فرسخ، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «مِنَى مقصور موضع بمكّة، وهو مذكّر، يصرف». كنّى بذلك عن مُناه، جمع مُنْيَة، أي: ما يتمنّاه من مقاصده وأغراضه. وقوله (**سَحّاً**): بالسين والحاء المهملتين، مصدر، صفة لمصدر محذوف، تقديره: وسقى تلك الأماكن المذكورة الوليُّ في البيت قبله وهو/ [٣٠٣/ أ] المطرسقياً (**سحّاً**): قال في المصباح: «سَحَّ الماء سَحّاً، من باب قتل: سال من فوق إلى أسفل، ويقال: السَحُّ: هو الصَبُّ الكثير». وقوله (وجاد): أي الوليّ في البيت قبله، من جَاد يَجُودُ، من باب قال، جُوْداً بالضمّ: تَكَرَّم. أو من جادت السماء جَوْداً، بالفتح: أَمْطَرَت، كما في المصباح. وقوله (مَواقِفَ): مفعول جاد، وهي جمع موقف: اسم لموضع الوقوف. وقوله (**الأَنْضاء**): أي الجِمال المَهْزولة قال في المصباح: «جَمَل نِضْوٌ، أي: مَهْزول، والجمع: أَنْضَاء، مثل: حِمْل وأَحْمَال». يعني: إنّ هذه الأماكن المذكورة مواضع وقوف المكلّفين من العارفين، أهل المجاهدة في السلوك في طريق الله تعالى؛ فإنّ الجَمَل مُكلّف بحِمْل الأثقال؛ ولمّا وقفوا على أنّ كلّ شيء بعلم الله تعالى الأزليّ، وتقديره الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل توقّفوا، فبطلت حركاتهم عن السير، وصار الحكم فيهم للحقّ تعالى لا لهم، فكانت لهم إشارات المواضع المذكورة مواقف، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

توقّف فإنّ العلم ذاك الذي يَجْري لـتعلم أنّ الكـم منّـا ولا تـدري
ومـا قلـت إلّا مـا تحقّقـت بـه كـذا قـرر الله المهيمن في صـدري

٤٣- وَرَعَى الإلَهُ بِهَا أُصَيْحَابِي الأُلَى سَـامَرْتُهُمْ بِمَجَـامِعِ الأَهْـوَاءِ
٤٤- وَرَعَى لَيَالِي الخَيْفِ مَا كَانَتْ سِوَى حُلْـمٍ مَـضَى مَـعَ يَقْظَـةِ الإغْفَـاءِ

(**ورعى الإله**): أي حفظ الله تعالى. وقوله (**بها**): أي بالمواقف المذكورة. وقوله (**أُصيحابي**): تصغير أصحابي للتعظيم، وهم جمع صاحب. يشيرإلى أهل زمانه من العارفين المحقِّقين. وقوله (**الأُلى**): أي الذين. وقوله (**سامرتهم**): من المسامرة، قال في الصحاح: السَمَر: المُسامَرَة، وهو: الحديث بالليل، وقد سَمَر فهو سامِر. يعني: كنت أتكلّم معهم في أحاديث الأكوان المشيرة إلى الظلمات الأعيان. وقوله (**بِمَجَامِعِ**): جمع مجْمَع، قال في المصباح: «المَجْمَع بفتح الأوّل، وأمّا الثالث: فيُفتَح ويُكسَر، مثل: المَطلَع والمَطلِع، يُطلَق على الجَمْع، وعلى موضع الاجتماع. وجمعه: مجَامِع». وقوله (**الأهواء**): جمع هوى. قال في المصباح: «الهَوَى مقصور، مصدر: هَوِيْتُه، من باب تعب: إذا أحببته، وعَلِقْت به، ثمّ أُطْلِق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، ثمّ استُعمل في ميل مذموم، فيقال: اتَّبَع هَوَاه، وهو من أهل الأهْوَاء». والجار والمجرور متعلِّق بسامرتهم. أي: كانت مسامرتي معهم بأهواء النفوس المجتمعة، وذلك في أيام السلوك والمجاهدات النفسانيّة. وقوله (**وَرَعَى**): أي حفظ الإله تعالى أيضاً.

وقوله (**ليالي**): جمع ليلة. وقوله (**الخَيْف**): هو ما انحدر عن غِلَظِ الجبل وارتفع عن مسيل الماء. ومنه سُمِّيَ مسجد الخَيْف بمِنىً، كذا في الصحاح. يشير إلى ليالي وادي منى في أيام الحجّ، كناية عن أوقات السلوك في طريق الله تعالى. وقوله (**ما كانت**): أي تلك الليالي. وقوله (**سوى حُلْم**): بضمّ الحاء المهملة وسكون اللام، قال في المصباح: «حَلَمَ يَحْلُمُ، من باب قتل: حُلُماً بضمّتين، وإسكان الثاني تخفيفٌ:

رأى في منامه رؤيا». وقوله (مضى): أي ذلك الحُلْم. يعني: كأنّها رؤيا منام مضت وانقضت. وقوله مع يقظة بسكون القاف لضرورة الوزن، أو هي لغة قليلة، قال في المصباح: «يَقِظَ يَقَظاً، من باب تعِب، ويَقَظَة بفتح القاف، ويَقَاظَة خلاف نام، وكذلك إذا انتبه للأمور». وقوله (الإغْفَاءِ): مصدر أَغْفَيْتُ إغْفَاءً، فأنا مُغْفٍ: إذا نِمْتُ نَوْمَةً خفيفة، كذا في المصباح. يعني: مع استصحاب يقظة الغافلين عن معرفة ربّهم؛ فإنّ يقظتهم إغفاء ونوم، كما ورد: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»[1]. وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٣] أي: مستوعباً للأوقات كلّها. والخطاب للغافلين عنه تعالى / [٣٠٣/ ب] فإنّهم نائمون في كلّ أوقاتهم حتّى يموتوا فيستيقظوا حينئذٍ.

٤٥- وَاهَـاً عَـلَى ذَاكَ الزَمَـانِ وَمَـا حَـوَى طِيْـبُ المَكَـانِ بِغَفْلَـةِ[2] الرُّقَبَـاءِ

٤٦- أيـامَ أَرْتَـعُ فِي مَيَـادِينِ المُنَـى جَـذِلاً وأَرْفُـلُ فِي ذُيُـوْلِ حِبَـاء

(واهاً): بالنصب والتنوين، كلمة توجّع وتحسّر وتلهّف. وقوله (على ذاك الزمان): يشير إلى زمان السلوك والمجاهدات النفسانيّة. وقوله (وما): أي الذي، معطوف على الزمان. وقوله (حَوَى): أي حَوَاه. بمعنى: جمعه من أنواع المسرّات واللذات. وقوله (طِيْبُ): فاعل حوى. والطِيب: هو العطر، أو اللَّذَّة، وأضيف إلى قوله (المكان): وهو ما يتمكّن فيه الشيء، إمّا من مَكُنَ فلان عند السلطان مَكَانَةً، وِزان ضَخُمَ ضَخَامَةً: عَظُمَ عنده، وارتفع فهو مَكِيْن. ومَكَّنْتُهُ من الشيء تَمْكِيناً: جعلتُ له عليه سلطاناً وقُدْرَة فتَمَكَّنَ منه، واسْتَمْكَن منه: قَدَرَعليه. وإمّا مِن أَمْكَنَنِي الأمرُ: سَهُلَ وتَيَسَّر، ذكره في المصباح. فالمكان كناية عن المكانة، وهي: الرفعة والمنزلة. بمعنى المقام الجمعي الإلهيّ. أو كناية عمّا سَهُلَ وتَيَسَّر، وهو الحال

(١) انظر تخريجه ص٩٩.

(٢) في (ق): لغفلة.

يعتري السالك في طريق معرفة الله تعالى. وطيبه بمعنى عطره الفائح، بحيث يستنشقه غير المزكوم فيجده. أو بمعنى لذّته التي يدركها صاحبه الذائق له. وقوله (**بغفلة الرقباء**): جمع رقيب، تقول: رَقَبْت الشيءَ أَرْقُبُهُ رُقُوبَاً ورِقْبَةً ورِقْبَانَاً بالكسر فيهما: إذا رصدته، كذا في الصحاح. ومقام الفناء عن الأغيار في تجلّي الواحد القهار يعدم الرقباء والعواذل في حضرة الأسرار، فضلاً عن غفلتهم واحتجاجهم بسَدْلِ الأستار، قال العارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ من أبيات له:

ومل طرباً واشرب وطب ثمّ غب فما   نعيمك إلّا سكرة في الهوى نُعِم
ومهما بقي للصحو فيك بقيّة   يجد نحوك اللّاحي سبيلاً إلى الظلم

وقوله (**أيام**): منصوب على الظرفيّة. وقوله (**أرتع**) يقال: رَتَعَتِ الماشية رَتْعَاً، من باب نفع، ورُتُوعاً: رَعَتْ كيف شاءت، كذا في المصباح. وقوله (**في ميادين**): جمع ميدان، قال في المصباح: «مَاد مَيْداً، من باب باع، ومَيَدَاناً بفتح الياء: تحرّك، والمَيْدَان من ذلك لتحرّك جوانبه عند السباق، والجمع مَيادِين ، مثل: شيطان وشياطين». وقوله (**المُنَى**): جمع مُنيَة، أي: المأمول والمقصود. يعني: يحصل لي كلّ ما أتمنّى من لذائذ الأمور. وقوله (**جَذِلاً**): بكسر الذال المعجمة بعد الجيم، صفة مشبّهة، من الجَذَل بالتحريك، وهو الفرح، وقد جَذِل بالكسر يَجْذَلُ فهو جَذْلان، كذا في الصحاح. وهو حال من فاعل أَرْتَعُ. وقوله (**وأَرْفُلُ**): معطوف على أرتع، يقال: رَفَلَ في ثيابه يَرْفُلُ: إذا أطالها وجرّها متبختراً؛ فهو رافل كما في الصحاح. وقوله (**في ذيول**): جمع ذيل. وقوله (**حِباءِ**): بكسر الحاء المهملة، قال في المصباح: «حَبَوْتُ الرجلَ حِبَاءً بالكسر والمدّ: أعطيته الشيء بغير عِوَض». والمعنى في تلك الأيام الماضية أيام السلوك في طريق المعرفة الإلهيّة، والمجاهدة النفسانيّة كنت مطلق العنان في فضاء الملك والملكوت، زائداً الفرح بلقاء الحيّ الذي لا يموت، والتبختر في حلل المواهب الربّانيّة، والعطايا الرحمانيّة.

٤٧- مَا أَعْجَبَ الأيامَ تُوجِبُ لِلفَتَى   مِنَحاً وَتَمْحَنُهُ بِسَلْبِ عَطَاءِ

(ما أعجب): ما تعجبيّة. و(الأيام): مفعول أعجب. وقوله (توجب): أي تُلزم وتثبت، من وَجَبَ البيعُ والحقّ، يَجِبُ وُجُوباً: لَزِمَ وثَبَت، كما في المصباح. وقوله (للفتى): أي الشاب الحَدَث. وقوله (مِنَحاً): مفعول توجب، جمع مِنحة بكسر الميم، قال في المصباح: «المِنْحَةُ بالكسر: الشاة، أو الناقة، يعطيها صاحبُها رجلاً يشرب لبنَها ثمّ يردّها إذا انقطع اللبن، هذا أصله/ [٣٠٤/ أ] ثمّ كثر استُعماله حتّى أُطلق على كلّ عطاء». وقوله (وتَمْحَنُهُ): يقال مَحَنْتُهُ مَحْناً، من باب نفع: اختبرْتُهُ، وامتَحَنْتُهُ كذلك. والاسم: المِحْنَة»، كما في المصباح. وضمير تمحنه للفتى. وقوله (بسَلْبِ): متعلّق بتمحنه. وقوله (عطاء): مضاف إليه، والمعنى: إنّ الأيام تعطي، وتمنع، وتمنح، وتمحن. وهي كناية عن الدهر، والوارد في الحديث: «لا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر»[1] وأتى بالاسم الجامع، وهو الله ؛ لأنّ الدهر فيه أنواع العجائب من الأشخاص والأحوال والأعمال، إلى غير ذلك مما لا يعدّ ولا يحصى، وكلّ ذلك مظاهر أسمائه تعالى الحُسنى، وآثار صفاته العليا.

٤٨- يَا هَلْ لِمَاضِي عَيْشِنَا مِنْ أَوْبَةٍ   يَوْمَاً وَأَسْمَحَ بَعْدَهُ بِبَقَائِي

٤٩- هَيْهَاتَ خَابَ السَّعْيُ وانْفَصَمَتْ عُرَى   حَبْلِ المُنَى وانْحَلَّ عَقْدُ رَجَائِي

٥٠- وَكَفَى غَرَامَاً أَنْ أَبِيْتَ مُتَيَّمَاً   شَوْقِي أَمَامِي وَالقَضَاءِ وَرَائِي

(ياهل): يا حرف نداء، والمنادى محذوف، تقديره: ياقوم هل. وهل حرف استفهام. وقوله (لماضي) عيشنا، أي: عيشنا الماضي، يقال: عاش عَيْشاً من باب سار: صار ذا حياة، كذا في المصباح. وقوله (من أَوْبَة): آب: رجع يؤوب أَوْباً وأَوْبَةً وإياباً، كما في الصحاح. والأُوْبَةُ: الرجوع. وقوله (يوماً): أي في يوم من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الألفاظ من الأدب، باب: النهي عن سبّ الدهر، ٦٠٠٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الأيام. (**وأَسْمَحَ**): من السَّماح، وهو الجُود، وسَمَحَ به، أي: جاد به، كما في الصحاح. وقوله (**بعده**): أي بعد ماضي عيشنا إذا آب ورجع إلينا رجعة واحدة. وقوله (**بِبَقَائِي**): أي بدوامي حيّاً موجوداً في الدنيا، وهذا حنين منه، وتشوّق إلى أيام السلوك في طريق معرفة الله تعالى وأوقات المكابدة والمجاهدة في حال كونه مريداً، طالباً للحقّ تعالى مع الصدق في الطلب، والتدرّج في مقامات القرب؛ فإنّ لذلك لذّة عظيمة من لذائذ الجنّة الأُخرويّة. فإذا وصل إلى الحقّ تعالى وتحقق بوجوده تعالى القديم الذي هو قائم به، معدوم فيه، وتحقّق بعدمه فيه، وفنائه به ذهبت عنه دعاوى نفسه، وزالت اثنيْنيّتِه بالكلّيّة، ولم يبقَ منه بقيّة، وكان الوجود الحقّ تعالى واحداً أحداً على ما عليه كان، ولم يزل ولا يزال ليس معه غيره أصلاً؛ فإذا وصل تقديره العِدميّ بتوجّه اسمه تعالى الحقّ إلى هذا المقام، وتحقّق فيه بالحقّ يقع في قبضة الحقّ فلا يمكنه العود إلى حالته الأولى التي كان فيها في أوقات سلوكه ومجاهدته؛ لأنّه كان فيها قائماً بنفسه، له الدعاوى الخفيّة عنه بحوله وقوته. وتحقّق بأنّ ما كان في خياله من الحقّ تعالى عدم مقدّر بتقدير الحقّ تعالى، وصار الحقّ تعالى عنده غيباً محضاً، فرجع كما خرج من بطن أمّه، لا يعلم شيئاً من الأشياء، فضلاً عن الحقّ تعالى، فحَنَّ إلى حالته الأولى، ولا يمكنه الرجوع إليها بعد المعرف الذوقيّة، وكان أمر الله تعالى، وكمال إخلاصه في الطاعات لذيذا عنده مرغوباً له، وحال الفناء لا لذّة فيه، إذْ لانفس فيه تلتذّ أو تتألّم، كما قال العارف عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

أرى رسمها عندي يعوِّض عن رسمي	فما بالهم في الحيّ يدعونني باسمي
وهل بعد ضوء الشمس يبدو لك الوجاء	وهل عندها يبقى على الأفق من نجم
إذا ما دعا الداعي بعلوة فاستجب	ولكن إذا أفتتك عنك على علم
ولا تبق إن أبقتك إلّا بها لها	فأنت إذا حقّقت من عالم الوهم

ولنا من هذا القبيل، وهو في ديواننا/ [٣٠٤/ ب]:

نحن قوم متنا به وفنينا بتجلّي وجوده الحقّ فينا
وحشرنا إليه عمّن سواه ودخلنا جنّاته خالدينا
قمرٌ لا نضام فيه اجتلاء بيّنته ذواتنا تبيينا
وإذا أظلم الكيان عليه أطلعته الغيوب حينا فحينا

وقوله (**هيهاتَ**): كلمة تُستعمل لتبعيد الشيء، ذكره الراغب. وقال في الصحاح: «هيهات كلمة تبعيد، والتاء مفتوحة، مثل: كيفَ. وناس يكسرونها على كلّ حال بمنزلة نون التثنية. وقوله (**خاب السعي**) يقال: خَابَ يَخِيبُ خَيْبَةً: لم يَظْفَر بما طلب، كذا في المصباح. يعني: إنّه لم يظفر بما سعى في تحصيله من عَوْد ماضي عَيْشِهِ، وكمال لذّته بإخلاصه في سلوك طريق ربّه، وسروره بطاعته وعبادته، من حيث قيامه بنفسه؛ فإنّه لم يمكنه العَوْد إلى تلك الحالة بعد تحقّقه بالعرفان، وحصوله في قبضة الوجود الحقّ، وأنّ كلّ من عليها فان. وقوله (**وانفصمت**): فَصَمْتُهُ فَصْماً، من باب ضرب: كسرته من غير إبانة فانفصم. وفي التنزيل: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٦] كما في المصباح. وقوله (**عُرَى**): بضم العين المهملة وفتح الراء المهملة، جمع عُرْوَة، قال في المصباح: «عُرْوَة القميص معروفة، وعُرْوَة الكُوز: أُذُنُه، والجمع: عُرَىً، مثل: مُدْيَة ومُدَى. وقوله عليه الصلاة والسلام: «وذلك أوثق عرى الإيمان»[1] على التشبيه بالعروة التي يستمسك بها ويستوثق. وقوله (**حبل المنى**): الحبل العهد، والأمان، والتواصل، كما في المصباح. والمنى: جمع مُنْيَة، وهي ما يتمنّاه. يعني: إنّ عهد تواصله ومقصوده انقطع، وزال اتّصاله، فلم يمكنه تحصيل ما كان فيه سابقاً من

---

(١) أخرجه السيوطيّ في الجامع الصغير، باب: إنّ المشددة مع الهمزة، ٢٦٢٧، بلفظ: إنّ أوثق عرى الإسلام أن تحبّ في الله وتبغض في الله.

الأحوال. وقوله **(وانحل عَقْد رجائي)**: بفتح العين المهملة، هو خلاف الحلّ، شبَّه الرجاء والأمل بالعقد الذي هو خلاف الحلّ، وأخبر أنّه انفصمت عراه، أي: انقطعت وثائقه، وانفصلت علائقه. وقوله **(وكفى غراماً)**: منصوب على التميز لنسبة الكفاية إلى ما سيذكره من قوله **(أن أبيتَ مُتيَّماً)**: بتشديد الياء التحتيّة: حال من فاعل أبيت، وهو ضمير المتكلِّم. والغرام هو الشرّ الدائم والعذاب. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٦٥] قال أبو عبيدة: أي هلاكاً ولزاماً. قال: ومنه رجل مُغرَم بالحُبّ. والغرام: الوَلوع، وقد أُغرِم بالشيء، أي: أُولع به، كذا في الصحاح. و**(المُتيَّم)**: بصيغة اسم المفعول من قولهم تيَّمَهُ الحبّ، أي: عبّده وذلّله فهو مُتيم ذكره في الصحاج. وقوله **(شوقي أمامي)**: بفتح الهمزة، أي: قبالة وجهي، أيان توجّهت فإنّي لا أجد غير ذلك الشوق في قلبي إلى ما مضى لي مع الحقّ تعالى في حالة ثنويتي، حين كنت قائماً له بما أوجب عليّ، كما قررنا فيما سبق. وقوله **(والقضاء)**: أي حكم الله تعالى الأزليّ الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل، بحيث لو تغيّر المقضي به وتبدّل كان ذلك على طِبْق ما في القضاء، فلا تغيَّر في القضاء على كلّ حال. وقوله **(ورائي)**: أي خلف ظهري، فلا أشعر به، أو قُدّامي، فأنا لا أفارقه. قال في الصحاح: «وراء بمعنى خلف. وقد يكون بمعنى قدّام. وهي من الأضداد». وقال في المصباح: «وراء: كلمة مؤنّثة، تكون خلفاً، وتكون قدّاماً، وفي التنزيل: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [١٨/ الكهف/ ٧٩] أي: أمامهم. والمعنى: إنّ قضاء الله تعالى وحكمه السابق الأزليّ ورائي، أي: خلفي؛ فهو غيب عنّي أو قدامي، فهو شهادة عندي، ولا يتمّ إلّا ما تضمّنه الأحوال، واقتضاه في سابق العلم من الحلّ والترحال.

أَوَمِيضَ بَرْقٍ

[الكامل]

وقال قدّس الله سرّه أيضاً[1]:

١- أَوَمِيضَ بَرْقٍ بالأُبَيْرِقِ لَاحَا أَمْ فِي رُبَا نَجْدٍ أَرَى مِصْبَاحَاً / [٣٠٥/ أ]

٢- أَمْ تِلْكَ لَيْلَى العَامِرِيَّةُ أَسْفَرَتْ لَيْلاً فَصَيَّرَتِ المَسَاءَ صَبَاحَاً

(أوميض): الهمزة للاستفهام، والوَمِيْض: مصدر وَمَضَ البرقُ يَمِضُ وَمْضاً وَوَمِيْضاً ووَمَضَانَاً، أي: لَمَعَ لَمْعَاً خفيفاً، ولم يعترض في نواحي الغيم، كذا في الصحاح. وقوله (بَرْقٍ): هو واحد بُرُوق: السحاب. وقوله (بالأُبَيْرِق): تصغير الأَبْرَق، وهو غِلَظٌ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة، كذا في الصحاح. وفي القاموس: «الغَلْظُ: الأرض الخشنة». وقوله (لاحاً): الألف للإطلاق، ولاح معناه ظهر. كنّى بالبرق عن ظهور الوجود الحقّ؛ لأنّه نور. وكنّى بالأُبيرق بتصغير التعظيم عن عالم الأجسام المؤلّفة من الطبائع والعناصر المختلفة. وكنّى بالوميض عن الروح الأمري المنفوخ في الأجسام الإنسانيّة الكاملة؛ فإنّها تشعر بحالها، وإنّ الروح من عالم الأمر كلمح بالبصر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] ويُكَنُّون بالبرق عن ظهور الوجود الحقّ على الكائنات العلويّة والسفليّة فيسمى ذلك الظهور إيجاداً، ويسمّى أمراً إلهيّا، ويعبّر عنه بـ(كن فيكون) وجميع الكائنات في أنفسها بالنظر إليها معدومات فانيّة، لا وجود لها أصلاً، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦]

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه».

وقال تعالى: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٨]. وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [٢٤/ سبأ/ ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٣] والحقّ هو الله تعالى بلا شكّ، لأنّه من أسمائه الحسنى. والباطل: اسم لكلّ ما سواه، كما قال صلّى الله عليه وسلّم في حديث مسلم: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[1] والباطل خلاف الحقّ؛ فالحقّ هو الوجود، والباطل هو العدم، ولا يصحّ أنّ يكون الباطل موجوداً؛ لأنّه يشترك حينئذ مع الحقّ الذي هو خلافه في الوجود، فيكون الوجود قدراً مشتركاً، والوجود يأبى الشركة، وهي مستحيلة عليه، ولهذا ترى الوجود الظاهرعلى الكائنات في الحسّ، والعقل، والمحسوس، والمعقول، وجوداً واحداً لا تفاوت فيه بالنظر إلى الأشياء كلّها، وليس شيء موجوداً زائداً على وجود شيء آخر، ولا شيء آخرموجود وجوداً أنقص من وجود غيره، وإنّما التفاوت في الأشياء المحسوسات والمعقولات بالنظر إلى ما بينها من الاختلافات التي لا تدخل تحت الحصر، فلو اتّصفت الأشياء بالوجود لتفاوت الوجود بالنظر إليها كما تفاوتت بقيّة أوصافها من المقادير، والهيئات، والصور، والكيفيّات، والكميّات، والأجناس، والأنواع، والأشخاص، والأماكن، والأزمان إلى غير ذلك؛ فيكون كلّ شيء وجوده لا يشابه وجود الشيء الآخر، وهكذا من حيث هو وجود لا من حيث ظهور الماهيّة به فإنّ الاختلاف بين الأشياء إنّما يأتي من حيث ظهور الماهيّات بالوجود الواحد، لا من حيث الوجود الواحد؛ فإنّه لا اختلاف فيه، ولا تفاوت له بين الأشياء، قال العارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ قُدّس سرّه:

وجود وحسبي أن اقول وجود ... له كرم منه عليه فيه وجود

(١) انظر تخريجه في ص٤٠٣ و ص٦٧١.

تنزّه عن نعت الكمال لأنّه لمعنى اعتبار النقص فيه يقود
ولكنّه فيه الكمال وضدّه له منه والمجموع فيه صمود

ولنا في هذا المعنى مما هو في ديواننا:

وجود وأشياء ما لهنّ وجود فتبدو به منه له وتعود/ [٣٠٥/ ب]
ملابس نور في هياكل ظلمة لهنّ اعتراف بالهدى وجحود
على طبق ما في العلم والعلم واحد قديم بأشيا ما لهنّ نفود

إلى آخر الأبيات، وعلى الإشارة بالبرق إلى تجلّي الوجود الحقّ قول الشيخ الأكبر قُدّس سرّه:

رأى البرق شرقيّا فحنّ إلى الشرق ولو لاح غربيّا لحنّ إلى الغرب
فإنّ غرامي بالبريق ولمعه وليس غرامي بالأماكن والترب

وقال الشيخ العارف عبد الهادي السودي اليمني قدّس سرّه:

أيا بارقاً بالغور ومضك متلفي على أنني راض فيا برق رفرف

إلى آخر الأبيات. ولنا من هذا القبيل قولنا من أبيات:

رويدك أيها البرق اللموع فإنّ غروب ضوئك لي طلوع
ترفرف لمحة وتغيب أخرى فتعشقك الأماكن والربوع
ألا هل أنت بهجة وجه سلمى بدت فتحير القلب الولوع
أم ابتسمت عشية ودّعتنا فجاد بكوننا الثغر المنوع

وقوله (أم): هي أم المنقطعة، لأنّ المتّصلة ما قبلها وما بعدها لا يستغني أحدهما عن الآخر. ومعنى أم المنقطعة أنّها لا يفارقها الإضراب، وهي بمعنى بل. وقوله (في ربا): بضمّ الراء المهملة وفتح الباء الموحّدة: جمع ربوة، وهي المكان المرتفع. وقوله (نَجْدِ): هو اسم لما ارتفع من الأرض. والجمع نُجُود، مثل فَلْس وفُلُوس.

وبالواحد سُمي بلاد معروفة من جزيرة العرب، أوّلها من ناحية الحجاز ذات عرق، وآخرها سواد العراق، فهي بين الحجاز والعراق، ولهذا قيل ليست من بلاد الحجاز وفي التهذيب: «كلّ ما وراء الخندق الذي خندقه كسرى على سواد العراق فهو نجد، إلى أنْ تميل إلى الحرّة. فإذا ملت إليها فأنت في الحجاز، كذا في المصباح.

وقوله (**أرى مصباحا**): قال في الصحاح: «المصباح: السراج، وقد استصبحت به: إذا سرّجته». وقال البيضاوي في قوله الله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥]: سراج ضخم ثاقب. وقيل: المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل، والمصباح: الفتيلة المشتعلة. يكنّى بالرُّبا عن الأرواح المنفوخة عن أمر الله تعالى. وبنجد عن الجسم الطبيعي المطهّر عن الأخلاق الذميمة لعلو شأنه باتّصافه بمحاسن الأخلاق. وبالمصباح عن أمر الله تعالى المتوجّه على عالم الأرواح؛ فهي مشرقة به، وهي أوّل موجود بتجلّي وجوده عليه. ثمّ يتوجّه أمر الله تعالى على عالم الأجسام من عالم الأرواح، فتشرق الأرض الجسمانيّة بعد إشراق السماء الروحانيّة بنور مصباح الأمر الإلهيّ الذي هو كناية عن وجود الحقّ الذي ظهر به كلّ شيء من العدم إلى الوجود حتّى قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] أي: وجودهما الذي به ظهرتا من عدمهما إلى وجودهما، ثمّ ضرب الله تعالى المثل لنوره بالمشكاة والمصباح والزجاجة. وقال تعالى حكاية عن ظهور ذلك يوم القيامة: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩]. وقوله (**أم تلك**): أي بل تلك الظاهرة، وكلّ ما سواها باطن. أشار إليها بإشارة البعد لكمال تنزيهها عن مشابهة شيء من العوالم، ثمّ كنّى عنها بقوله (**ليلى العامريّة**): اسم محبوبة من محبوبات العرب، تنسب إلى بني عامر، كما قال الشيخ الأكبر قدّس سرّه من أبيات له.

لنا أسوة في بشرى وهند وأختها وقيس وليلى ثمّ مي غيلان

ثمّ قال قُدِّس سرّه في شرحه: «ذكر المحبِّين في عالم الكون المهيمن بعشق/ [٣٠٦/ أ] المُخَدَّرات في الصون من الأعراب المتيِّمين يقول: «يقول الحبّ من

حيث هو حبّ لنا ولهم حقيقة واحدة؛ غير أنّ المحبوب مختلف، فهم تعشّقوا بكون، وأنا تعشقت بعين، والشروط واللّوازم والأسباب واحده؛ فلنا أسوة بهم، فإنّ الله تعالى ما هيّم هؤلاء وابتلاهم بحبّ أمثالهم إلّا ليقيم بهم الحجج على من ادّعى محبّته ولم يَهِم في حبّه هيمان هؤلاء حين ذهب الحبّ بعقولهم، وأفناهم عنهم، لمشاهدات شواهد محبوبهم في خيالهم. فأحرى من يزعم أنّه يحبّ من هو سمعه وبصره، ومن يتقرّب إليه أكثر من تقرّبه ضعفاً». وقوله (**أسفرت**): أي كشفت وجهها، قال في المصباح: «سَفَرَتِ المرأةُ سُفُوراً: كشفت وجهها فهي سافر، بغير هاء». قال في الصحاح: «أي أضاء وأَسْفَرَ وَجْهُهُ حُسْنَاً، أي: أشْرَق، والانسفار: الانحسار، يقال: انسفر مقدّم رأسه من الشعر». وقوله (**ليلاً**): أي في عالم الليل. كناية عن ظلمة الأكوان. وقوله (**فصيَّرت**): بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (**المساء**): قال في المصباح: «المساء خلاف الصباح. وقال ابن القوطيّة: المساء ما بين الظهر إلى المغرب». وقوله (**صباحاً**): بالألف مفعول ثانٍ ليصير، والمفعول الأوّل: المساء. وقال في المصباح: «الصُّبْح: الفجر، والصَّباح مثله، وهو أوّل النهار، والصباح أيضاً: خلاف المساء، قال ابن الجواليقي: «الصباح عند العرب من نصف الليل الآخر إلى الزوال، ثمّ المساء إلى آخر نصف الليل الأوَّل، هكذا رُوي عن ثعلب». والمعنى هنا: إنّ هذه المحبوبة لمّا كشفت عن وجهها، أي: توجّهت بأمرها القديم ـ على ما في علمها، وهو الذكر الحكيم ـ ظهرت ظلال المعلومات بنوره، فكان الظاهر هو العوالم باعتبار الصور والأشكال والحدود والمقادير. وكان ذلك الظاهر هو النور، وهو الوجود الحقّ، وجميع العوالم على ما عليه كان من عدمها الأصلي، كما ورد في الحديث: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان»[1] ؛ فالعوالم ظهرت وما ظهرت، والحقّ تعالى ظهر وما ظهر، وليس هذا الكلام متناقضاً؛ لأنّ الظهور باعتبار، ونفي الظهور باعتبار آخر، فإذا نظرت

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

إلى الوجود الذي ظهرت به العوالم ونزّهته عن العوالم، وسبّحته عنها، وهوعين تسبيح كلّ شيء ظهر لك، وانكشف الأمر على ما هو عليه أنّ الوجود الحقّ تعالى وحده ليس معه غيره أصلاً. وجميع العوالم مجرّدة عن الوجود؛ لأنّ الوجود هو الحقّ تعالى؛ فلا يمكن أنْ يكون صفة للمعدومات، وينكشف لك فناؤك، وفناء كلّ شيء. وإذا نظرت إلى الوجود متّصفاً بالصور، والأشكال، والحدود والمقادير ألبس عليك الأمر. وكيف يتّصف الوجود بالمعدومات، بل الوجود على ما هو عليه، والمعدومات على ما هي عليه أزلاً وأبداً، لا يكون غير ذلك. ولنا أبيات في معنى ما ذكرنا، وهي قولنا:

وجودي وجود الكائنات وإنّما ... وجود جميع الكائنات وجودي

ولكنّهم غيري وإنّي غيرهم ... فحقّق كلامي واعتبر بشهودي

وجود قديم واحد عنه فائض ... سواه من الأشياء فيضة جود

ولم ينقسم حاشاه بل هو مطلق ... أراد بأنْ يبدو لنا بقيود

فلاح بما في نفسه هو لم يزل ... يصوِّر من بيض هناك وسود

وليس لأنواع التصاوير كلّها ... وجوده سواه في شقا وسعود

إلى آخر الأبيات. ومعنى قوله (**فصيرت المساء صباحاً**): أي أرجعت الظلمة العدميّة بظهور وجهها وانكشافه نوراً وجوديّاً؛ فالوجود لها، والصور العدميّة للأكوان / [٣٠٦/ ب][1].

---

(١) هناك إنقطاع في المعنى بين [٣٠٦/ أ] وبين [٣٠٦/ ب] وقد نقلتُ الأبيات ٣ و٤ و٥ وشرحها إلى هنا حيث مكانها الصحيح أدناه في قصيدة «أوميض برق» بعد أن كانت ضمن قصيدة «أرج النسيم» في الصفحة [٣٠١/ أ] خطأً وقد نقلت الأبيات ٤١ - ٥٠ من قصيدة «أرج النسيم» التي كانت هنا إلى موضعها الأصلي بعد البيت ٤٠من القصيدة نفسها في الصفحة [٣٠١/ب وما تلاها]. لذلك هناك خلل في ترقيم صفحات المخطوط فبعد الوصول إلى [٣٠٦/ أ] عدنا إلى [٣٠١/ ب] ثم [٣٠٢/ أ] وهكذا التالي فالتالي. فيرجى الانتباه.

٣- يَا رَاكِبَ الوَجْنَاءِ وُقِّيْتَ الرَّدَى   إنْ جُبْتَ[1] حَزْنَاً أَوْ طَوَيْتَ بِطَاحَا

٤- وَسَلَكْتَ نَعْمَانَ الأَرَاكِ فَعُجْ إلى   وَادٍ هُنَاكَ عَهِدْتُهُ فَيَّاحَا

(يا راكب الوَجْناء): قال في الصحاح: «الوَجِين: العَارض في الأرض، ينقاد، ويرتفع قليلاً، وهو غليظ، ومنه: الوَجْنَاء، وهي: الناقة الشديدة، شُبِّهت به في صلابتها. وقال قوم: هي العظيمة الوَجْنَتَيْنِ». كنّى بالوَجْنَتِين عن النفس الشديدة في سلوك الطريق إلى معرفة الله تعالى، وراكبها هو المريد السالك، الغالب على نفسه، القاهر لها بالرياضة الشرعيّة، والمجاهدة المرضيّة. وقوله (وُقِّيْت): بضمّ الواو وتشديد القاف مكسورة الياء التحتيّة وفتح التاء، خطاباً لراكب الوجناء، وهو فعل ماض مبني للمفعول، أي: وقاك الله تعالى، ومن وقاه الله السوء حفظه. وقوله (الردى): مفعول ثانٍ لوقِّيت. والمفعول الأوّل نائب الفاعل، وهو ضمير المخاطب، وهي جملة معترضة بالدعاء. وقوله (إنْ جُبْتَ): بضمّ الجيم وسكون الباء الموحّدة وفتح التاء، خطاباً لراكب الوجناء، يقال: جَاب الأرض يَجُوبُها جَوْبَاً: قَطَعَها، كذا في المصباح. وقوله (حَزْنَاً): مفعول جُبتَ، والحَزْن ما غَلُظ من الأرض وهو خلاف السهل، كما في المصباح. وكنّى بالحَزْن عن مقام مخالفة النفس الذي هو أصعب ما يكون على السالك في بطريق معرفة الله تعالى. وقوله (أو طَوَيْتَ بِطَاحاً): بفتح تاء الخطاب، من الطيّ خلاف النشر، يقال: طويت الشيء، وهو في الأرض على التشبيه لقطع المسافة. و(البطاح): جمع الأبطح، وهو مسيل واسع، فيه دقاق الحصى، كذا في الصحاح. كنّى بطي البطاح عن قطع مقامات السلوك: كالصبر، والشكر، والتقوى، والورع، والزهد؛ فإنّ السالك ما دام قائماً بأحد هذه المقامات فهو في السلوك لم يصل إلى معرفة الله تعالى الذوقيّة الحقيقيّة. وقوله (وسلكتَ): بفتح تاء الخطاب، يقال: سَلَكْتُ الطريقَ سُلُوكَاً، من باب قعد: ذهبت فيه، كذا في المصباح. وقوله (نَعْمَانَ الأراك): قال في الصحاح: «نَعْمَان

---

(١) في (ق): جُزْتَ.

بالفتح واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات، قال الشاعر:

تضوع مسكاً بطن نَعْمان إن مشت ... به زينب في نسوة عطرات

ويقال له نعمان الأراك، قال الشاعر:

أما والراقصاتِ بذات عرق ... ومن صلّى بنعمان الأراك

كنّى بذلك عن الدخول في التجلِّيات الإلهيّة، والخروج عن الأغيار الكونيّة، قال تعالى: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٠]. وفي ذلك يقول تعالى بطريق الإشارة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٤٨] أي: لا لأنفسهم لذهاب كثرتها بالواحد، وظهور قهرها لها. وقوله (**فَعُجْ**) بضمّ العين المهملة وسكون الجيم: فعل أمر من عُجْتُ البعير أعُوجُه عَوْجَاً ومَعَاجاً: إذا عَطَفت رأسه بالزمام، وانْعَاج عليه، أي: انعطف، كذا في الصحاح. وقوله (**إلى وادي هناك**): أي في تلك النواحي والجهات، وهو الوادي المذكور، المسمّى بنَعْمان الأَراك، كما ذكرنا. وقوله (**عهدته**): أي عهدت ذلك الوادي، أي: عرفته، يقالِ: عَهِدْتُهُ بمالٍ، عَرَّفْتُهُ به، والأمر كما عَهِدت، أي: كما عرفت، كذافي المصباح. وقوله (**فيّاحا**): بالفاء وتشديد الياء التحتيّة مفتوحة، يقال: فَاح الوادي: اتسع، فهو أَفْيَح، على غير قياس. وروضة فَيْحَاء واسعة، كما في المصباح. وقال في الصحاح: «بحر أفْيَح: بيِّن الفَيْحِ، أي: واسع، وفَيَّاح أيضاً بالتشديد، قال الأصمعي: إنّه لجواد فَيَّاح وفَيَّاض بمعنى. يشير إلى أن وادي التجلّيات الأسمائيّة واسع جداً / [٣٠٢/ أ] بحيث لا نهاية لما فيه من المظاهر الإلهيّة والآثار الربانيّة، ويفيض بالعلوم الإلهاميّة.

٥- فَبِأيْمَنِ العَلَمَيْنِ مِنْ(١) شَرْقِيِّهِ ... عَرِّجْ وأُمَّ أَرِينَهُ الفَوَّاحَا

(**فبأيمن العَلَمَين**): تقديره فَعَرِّج بأيمن العَلَمَيْنِ، معطوف على قوله في البيت

(١) في (ق): عن.

قبله: فعُجْ، فعرِّجْ، للترتيب والتعقيب بلا مهلة. وقوله (أَيْمَنِ العلمين): أي العَلَم الأيمن. والعَلَم بفتح اللام: الجبل، وتثنية علمان. والجبل: المنجبل من العناصر والطبائع. والعَلَم من العِلْم، وهو الإدراك، ومن العَلامَة، وأيمن العلمين: النفس التي هي في الجانب اليمين من الإنسان، والعَلَم الآخر: القلب الذي هو جانب اليسار منه. وقوله (من شرقِيِّه): أي شرقي ذلك الوادي الذي هو نَعمان الأراك، كما مرّ في البيت قبله؛ فإنّ في شرقي ذلك الوادي ـ الذي هو كناية عن التجلّيات الأسمائيّة- هذين العَلَمَيْنِ من جملة صور تلك التجلّيات وإشراق نور الروح الأمري المنفوخ في القلب، ظاهر في النفس الإنسانيّة. وقوله (عرّج): بتشديد الراء، فعل أمر من التعريج، وهو الإقامة على الشيء، يقال: عَرَّج فلان على المنزل: إذا حبس مطيّته عليه وأقام. يعني بذلك: احبس مطيّتك ـ يا أيّها السالك ـ واجعل توجّهك إلى أيمن العلمين المذكورين. وقوله (وأُمَّ): بضمّ الهمزة وتشديد الميم، فعل أمر، بمعنى: اقصد. قال في المصباح: «أَمَّهُ أَمّاً، من باب قتل: قَصَدَهُ». وقوله (أَرِينَه): أي أرين ذلك الوادي. والأَرِين بفتح الهمزة، وكسر الراء وسكون الياء التحتيّة: مصدر أَرِنَ، كفَرِحَ أَرَناً وأَرِيْناً وإِراناً بالكسر: نَشِط، أو كوِزان أمير، اسم موضع، كذا في القاموس. أي: اقصد في النشاط الذي يحصل في ذلك الوادي لكلّ من دخله، وهو الوادي المقدّس المشار إليه بقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [٢٠/ طه/١٢] لأنّ مَن كان فيه ينطوي عنده الكائنات كلّها طيّاً، فيزول ولا يبقى إلّا الوجود الحقّ تعالى وحده، وأشار إليه الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه بقوله من أبياته:

عـرّج ففـي أيمـن الـوادي خيـامُهُمُ　　لله درّك مــا تحويـــه يـــا وادي
جمعـت قـواهم نفـسي وهـم نفـسي　　وهـم سـواد سـويد أخلـب أكبـادي

كذلك إذا كان الأَرِين اسم موضع في ذلك الوادي كما ينسب إليه القُبَّة، فيقال: قُبَّة أَرِين، وهي في وسط المعمور من الدنيا. إشارة إلى مقام الاعتدال الذي

هو الكمال الجامع للجلال والجمال. وقوله (**الفَوَّاحَا**): بالفاء وتشديد الواو، ومبالغة، وبالألف للإطلاق، قال في المصباح: «فَاح المسك يَفُوح فَوْحَاً ويَفِيح فَيْحَاً أيضاً: إذا انتشرت ريحه. قالوا: ولا يقال: فاح إلّا في الريح الطيِّبة خاصّة، ولا يقال في الخبيثة والمنتنة: فاح ؛ بل يقال: هبّت ريحها، وقال في القاموس: «ولا يقال في الكريهة أو عامٌّ. وفيّاح بَيِّنُ الفَيحِ واسع. والفَيْحُ والفُيُوح: خِصْب الربيع في سعة البلاد». وعلى هذا يكون معنى قوله **فوّاحاً** أي: واسعاً بيِّن خِصب الربيع فيناسب الأَرِين، بمعنى الموضع. والمكان المعروف.

٦- وَإِذَا وَصَـلْتَ إِلِى ثَنِيَّـاتِ اللِّـوَى　　　فَانْـشُدْ فُـؤَاداً بِـالأُبَيْطِحِ طَـاحَ
٧- وَأَقْـرِ الـسَلاَمَ أُهَيْلَـهُ عَنِّـي وَقُـلْ　　　غَادَرْتُــهُ لِــجَنَابِكُمْ مُلْتَاحَــا[1]

(**وإذا وَصَلْتَ**): خطابه لراكب الوَجناء. وقوله (**إلى ثَنِيَّاتِ**): جمع ثَنِيَّة، بتشديد الياء التحتيّة، وهي العقبة، أو طريقها، أو الجبل، أو الطريق فيه وإليه. وقوله (**اللِّوى**): وِزان إلى ما التوى من الرمل، أو مستدقّه، كذا في القاموس. كنّى بثنيّات اللِّوى عن حضرات الأسماء/ [٣٠٢/ ب] الإلهيّة، والصفات الربّانيّة، **ووصوله** كناية عن محو تعينه في حضرة الوجود الظاهر، وتجلّي السرّ الباهر، والأمر القاهر. وقوله (**فانشد**): أي اطلب، يقال: نَشَدتُ الضَّالَّة نَشْدَاً من باب قتل: طَلَبْتُها، وكذا إذا عَرَّفْتَها، كما في المصباح. وقوله (**فؤاداً**): أي قلباً، مفعول انشد. وقوله (**بالأُبيطح**): تصغير الأبطح للتعظيم، والجار والمجرور متعلّق بطاحا، والأَبْطَح: كلّ مكان متّسع، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: الأبطح مسيل واسع فيه دقاق الحصا. وهو هنا كناية عن المقام الذاتي الجامع لجميع الأسماء والصفات. وقوله (**طاحا**): بألف الإطلاق، قال في الصحاح: طَاح يَطُوح ويَطِيح: هَلَكَ وسقط، وكذلك إذا تاه في الأرض». ويناسب الثاني إنشاد الضالَّة، كأنّما قلبه ضلّ

(١) ورد البيت في (ق): وأقري السلام عريبه عنّي وقل　غادرتُه بجنابكم مُلتاحـا

عنه هناك، فأمر بإنشاده. وقوله (وأقْرِ): فعل أمر من أَقْرَأَ، قال في المصباح: «قرأت على زيد السلام أَقرؤه، وإذا أَمَرْتَ منه قلت: اقْرَأْ عليه السلام، قال الأصمعي: وتعديتُه بنفسه خطأ، فلا يقال: اقْرِأْهُ السلام؛ لأنّه بمعنى: اتْل عليه. وحكى ابن القَطَّاع، أنّه يتعدّى بنفسه رباعيّاً فيقال: فلان يُقْرِئُكَ السلام. وحكاهما أيضاً في الصحاح. وقوله (السلام): مفعول أقْرِ. وقوله (أُهَيْلَهُ): مفعول ثانٍ لقوله (أقْرِ): وهو تصغير أهله للتعظيم، والضمير للأُبيطح، وهم كناية عن الأولياء الذاتيين المحقِّقين. وقوله (عنِّي): متعلِّق بأقر. وقوله (وقل) معطوف على أقرِ. وقوله (غادرته): أي تركته، قال في الصحاح: «المغادرة: الترك». والضمير يعود للفؤاد في البيت قبله. وقوله (لجنابكم): متعلِّق بقوله (ملتاحاً): وهذا الخطاب للمحبوب من حيث تعدِّد ظهوراته، وتنوِّعها؛ فهو الكثير الواحد، كما قلنا في أبيات لنا من ديواننا:

هـــذا الكثـــير الواحــــد	فـــافرح بـــه يـــا واجـــد
فجميعنـــــاً منـــــه لـــــه	طـــول الزمـــان محامـــد
فاعجـــب لأمـــر زائـــد	منـــه ومـــا هـــو زائـــد
خلـــق تكثـــر عـــدّهم	فتناســـــلوا وتوالـــــدوا
وتفرّقـــوا فرقـــاً وهـــم	محــــــسودهم والحاســــد
وجمـــيعهم صـــور لـــه	عـــادَتْ بهـــنّ عوائـــد
وهـــم الـــشؤن لذاتـــه	فطـــوارف وتوالـــد

و(الجَناب): بالفتح القناء، وما قرّب من محلّة القوم، يقال: أَخصب جناب القوم، وفلان خَصِيب الجَناب، وجَديب الجَناب، كذا في الصحاح. وقوله (مُلْتاحاً): من لاحه السفر: غيّره، ولاح لَوْحَاً ولُوَاحَاً: عطش، والتاح مثله، كذا في الصحاح. وقال في القاموس: لاحَهُ العطش أو السفر: غيّره، كلَوَّحَه، والمُلْتَاح:

المتغيِّر. والمعنى: إنّه مُتغيِّر بزيادة السقم، ومكابدة الغرام والوجد.

٨- يَا سَاكِنِي نَجْدٍ أَمَا مِنْ رَحْمَةٍ لِأَسِيرِ إِلْفٍ لَا يُرِيدُ سَرَاحَا

٩- هَلَّا بَعَثْتُمْ لِلْمَشُوقِ تَحِيَّةً فِي طَيِّ صَافِنَةِ[1] الرِّيَاحِ رَوَاحَا

١٠- يَحْيَا بِهَا مَنْ كَانَ يَحْسَبُ هَجْرَكُمْ[2] مَزْحاً وَيَعْتَقِدُ المُزَاحَ مُزَاحَا

(يا ساكني): أصلها يا ساكنينَ، فحُذفت النون للإضافة إلى قوله (نجدٍ): وذلك كناية عن أصحاب المقام العالي في التحقّق بمعرفة الحقّ تعالى؛ فإنّهم مظاهر إلهيّة، ومجالٍ رحمانيّة، إذا وجدهم المريد؛ فهو الواصل إلى كلّ مايريد، وهيهات أنْ يجدهم وهم تحت قباب العادات، وخيام المثليّة في أنواع المباحات. وقوله (أمَا): بالفتح والتخفيف: حرف استفتاح بمنزلة ألا، كما في مغني ابن هشام. وقوله (من رحمة): أي رقّة وتعطّف. وقوله (لأسيرٍ): أي مأسور. وقوله (إلفٍ): بكسر الهمزة وسكون اللام. قال في المصباح: «أَلِفْتُهُ إِلْفَاً، من باب علم: أَنِستُ به، وأحببته». وأسير الإلف أي: الألفة، هو المأسور: الذي أَلِفَ واستأنس بمن أسره. وقوله (لا يريد /[٣١١/ أ] سَراحاً): بالفتح، اسم من سرّحت فلاناً إلى موضع كذا: إذا أرسلته. وتسريح المرأة: تطليقها. والاسم: السَّرَاح، مثل التبليغ والبلاغ، وفي المثل: السَراح من النجاح، أي: إذا لم تقدرعلى قضاء حاجة للرجل فآيسته، فإنّ ذلك عنده بمنزلة الإسعاف. وهذا على خلاف عادة الأسير؛ فإنّه يتمنّى الفكاك من الأسر. والسراح منه. وهذا الأسير لا يريد الفكاك ولا السراح؛ بل يريد أنْ يبقى في أسر المحبّة، وقيّد العشق والشوق. وقوله (هلّا): بتشديد اللام للتحضيض مركّبة من هل ولا، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «وأمّا هلّا بالتشديد فأصلها: لا، بُنيت مع هل؛ فصار فيها معنى التحضيض. وقوله (بعثتم): خطاب لساكني نجد. وقوله (لِلْمَشُوقِ): يعني نفسه. وقوله (تَحِيَّةً):

---

(١) في (ق):صافية.

(٢) في (ق): هجره.

مفعول بعثتم. والتحيّة: السلام، وقد يقال: إنّ التحيّة: المُلْك، قال في الصحاح: «التحيّة الملك، قال زهير بن حباب الكلبيّ:

ولكلّ ما نال الفتى قد نلته إلّا التحيّة

وقال عمر بن معدي كرب:

أسير به إلى النعمان حتّى أنيخ على تحيّته بجند

أي: على ملكه. يقال: حيّاك الله، أي: ملكك. والتحيات لله، قال يعقوب: أي: الملك لله؛ فالمعنى هنا على هذا يا ليتكم، يا أيّها الأحبّة لو أرسلتم لي ملكاً على رعايا المحبّة؛ فأتصرف بها في القلوب، وأجول بها في ميادين الغيوب. وقوله **(في طيّ)**: مصدر طَوَى يَطْوِي طَيّاً، وهو خلاف النشر. وقوله**(صافنة)**: بالصاد المهملة بعدها ألف وفاء ونون، من أوصاف الخيل، قال في المصباح: «الصافن من الخيل: القائم على ثلاث. وصَفَنَ يَصْفِنُ من باب ضرب، صُفُونَاً». وقال في القاموس: «صَفَنَ الفرسُ يَصْفِن صُفُوناً: قام على ثلاث قوائم وطَرَفِ حافر الرابعة». وقوله **(الرياح)**: جمع ريح. ويكون هذا من قبيل تشبيه الرياح بالخيل في سرعة سيرها. من عكس التشبيه. وللصفي الحلّي من المعنى قوله:

وعادية إلى الغارات ضبحاً تريك لقدح حافرها التهابا
إذا ما سابقتها الريح فرّت وألقت في يد الريح الترابا

ومعنى كون التحيّة في طيّ الصافنة من الرياح إنّها تحملها مستورة خفيّة عن الأعين. وفي نسخة في طيّ صافية الرياح، بالياء التحتيّة بدل النون، من الصفا، خلاف الكدر. يكنّي بصافنة الرياح، أو صافية الرياح عن الروح المنفوخة عن أمر الله تعالى، يقول: هلّا بعثتم معها حيث نفخت فيه عن أمركم تحيّة له وسلاماً وأماناً من المكر به. من قبيل الإرث اليحيويّ في قوله تعالى:﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [١٩/ مريم/ ١٥] وقول الروح العيسويّ: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [١٩/ مريم/ ٣٣] من قبيل قوله صلّى الله عليه

وسلّم بعد سلامه من الصلاة جامعاً بين التشبيه والتنزيه: «اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام»[1].

وقوله (**رواحاً**): أي في وقت الرواح. قال في المصباح: «رَاح يَرُوح رَوْحَاً: يكون بمعنى الغُدُوِّ، وبمعنى الرجوع». وقد طابق بينهما. وقوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [٢٤/ سبأ/ ١٢] أي: ذهابها ورجوعها. وقد يتوهّم بعض الناس أنّ الرواح لا يكون إلّا في آخر النهار. وليس كذلك، بل الرواح والغدوّ عند العرب يُستعملان في المسير أيَّ وقت كان، من ليلٍ أو نهار، قاله الأزهري وغيره: وعليه قوله صلّى الله عليه وسلَّم: «مَن راح إلى الجمعة في أوّل النهار/ [٣٠٦/ ب][2] فله كذا»[3]. أي: من ذهب. ثمّ قال الأزهري: وأمّا راحت الإبل فلا يكون إلّا بالعشيّ إذا أراحها راعيها على أهلها. يقال: سرحت بالغداة إلى الرعي، وراحت بالعشيّ على أهلها، أي: رجعت من المرعى إليهم. وقال ابن فارس: «الرواح رواح العشيّ، وهو من الزوال إلى الليل. وقوله (**يحيا بها**): رجوع عن طلب ذلك، أي: بتلك التحيّة التي تبعثونها إليه، أي: يصير حيّاً حياة حقيقيّة. وقوله (**مَن**): أي الذي، فاعل يحيا. وقوله (**كان يَحْسَب**): أي يظن. وقوله (**هجركم**): أي إعراضكم عنه وترككم له. وقوله (**مُزاحاً**): مصدر مَزَحَ يَمْزَح، قال في الصحاح: «المَزْحُ: الدعابة، وقد مَزَحَ يَمْزَحُ»والمعنى: إنّ تلك التحيّة إنّما يحيا بها، أي: يصير ملكاً أو ذا حياة، كما قدّمناه هو الإنسان الذي يظن هجركم له وإعراضكم عنه دعابة منكم وملاعبة معه. وقوله (**ويعتقد**) معطوف على يحسب، أي: يقطع ويجزم. وقوله (**المُزاح**): بضمّ الميم، وهو الاسم من المَزْح، بمعنى الدعابة. قال في

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٧.

(٢) عاد الناسخ إبراهيم الدكدكجي إلى البيت العاشر ولكن في الصفحة [٣٠٦/ ب] بعد أن كان قسم منها في الصفحة [٣١١/ ب].

(٣) أخرجه مالك في الموطأ برواية محمّد بن الحسن، باب: الاغتسال يوم الجمعة، ٦٤، بلفظ: «من راح إلى الجمعة فليغتسل».

الصحاح: «والاسم: المُزاح بالضمّ. وقوله (مُزاحاً): بضمّ الميم أيضاً: اسم مفعول من أَزَحتُ الشيء: أبعدته وأذهبته، قال في الصحاح: زاح الشيء يَزيح زَيحًا: أي بعد وذهب، وأزاحه غيره. يعني: يظن أن هجركم مداعبة له، ويقطع ويجزم بأنّ المداعبة بعيدة منكم، ذاهبة زائلة، وهذا شأن الغافل المحجوب إذا جاءته تحيّة منكم، أي: وصل إليه الكشف المكريّ، والإمداد الاستدراجيّ، يظنّ أن هجركم له مداعبة، لأنّكم تحبّونه فتداعبونه، ويعتقد مع ذلك أن المداعبة والممازحة بعيدة عنكم لا تليق بجنابكم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٦] وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [٢٢/ المؤمنون/ ١١٥] وتقدير معنى البيت: وأمّا نحن فإنّا لا نحيا بتلك التحيّة، وإنّما نموت بها؛ فيظهر الحيّ بها، أنتم لا سواكم؛ من يحيا بها يعتقد الثنويّة والشركة معكم في الوجود وفي الحياة، وهو الغافل المغرور.

١١- يَا عَاذِلَ المُشْتَاقِ جَهْلاً بِالذِي يَلْقَى مَلِيّاً[1] لَا بَلَغْتَ نَجَاحَاً

١٢- أَتْعَبْتَ نَفْسَكَ فِي نَصِيْحَةِ مَنْ يَرَى أَنْ لَا يَرَى الإقْبَالَ والإفْلَاحَاً

(**يا عاذل**): أي لائم. وقوله (**المُشتاق**): يعني نفسه لاشتياقه إلى أحبَّته. وقوله (**جهلاً**): تمييز لصدور العذل، أي: اللَّوم من العاذل، أي: يا من عَذْلُه ولومه من جهة الجهل بأحوال هذا المشتاق فكأنها انبهمت نسبة العذل للمشتاق ففسرت بأنّ ذلك من الجهل بحاله، وذلك قوله بالذي متعلِّق بـ(**جهلاً**) وقوله (**يلقى**): أي يجد ويصادف، قال في المصباح: «كلّ شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه». والمعنى بالذي يجده هذا المشتاق من الأشجان والمتاعب، ودواعي المحبّة والجواذب، وهو الجاهل بالله، وبما له في قلوب العارفين به تعالى من الجلال، وكمال التوحيد، وتوحيد الكمال؛ فيظن نقصاً في الأحوال، ويحسب نقضاً في عهود الأعمال والأقوال، فيلوم ويلحى، ويكثر صياحاً ونبحاً. وقوله (مَلِيًا): بفتح الميم وكسر

(١) في (ق): بليلى.

اللام وتشديد الياء التحتيّة مفتوحة، قال في المصباح: «أمليَتُ له الأمر: أخّرت. وفي التنزيل: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْـمًا﴾ [٣/ آل عمران/ ١٧٨] وأمليَتُ للبعير في القيد: أرخيت له ووسّعتُ وفي التنزيل: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [١٩/ مريم/ ٤٦] قيل مدّة، وقيل زماناً طويلاً، وقال في الصحاح: «المَلَى: الهوى من الدهر، قال عزّ وجلّ: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي: طويلاً. ومضى مَلِيٌّ من النهار: ساعة طويلة». وهو خطاب للعاذل أنْ يهجره مَلِيّاً يتركه فلا يلومه زماناً طويلاً. وقوله **(لا بَلَغْتَ)**: خطاب للعاذل، أي: لا وَصَلْتَ ولا حَصَّلْتَ/ [٣٠٧/ أ] وقوله **(نجاحاً)**: مفعول بلغت، أي: لا وصلت إلى نجاح، ولا حصّلته، جملة دعائيّة، قال في المصباح: «أَنْجَحْتُ الحاجة إنْجَاحَاً، وأَنْجَحَ الرجلُ أيضاً: إذا قُضيتْ حاجته. والاسم: النَّجَاح بالفتح. وقوله **(أتعبت نفسك)**: خطاب للعاذل، أي: ألقيت نفسك في التعب والمشقّة. وقوله **(في نصيحة)**: تسمية اللوم نصيحة تهكم بالعاذل، ومخاطبة له على رأيه؛ لأنّه يعتقد أنه ناصح في لومه له على العشق والمحبّة. وقوله **(من يرى)**: أي يعتقد. وقوله **(أن لا يرى)**: أي لا يبصر؛ فالرؤية الأولى قلبيّة، والثانية بصريّة. وقوله **(الإقْبَال)**: مفعول لا يرى، أي: لا يبصر الإقبال، أي: إقبال الدنيا وأهلها عليه، واهتمامهم به، ورفعة شأنه عندهم. وقوله **(والإفلاحا)**: معطوف على الإقبال مصدر أفلح، أفعل من الفلاح، وهو الفوز. أفلح الرجل: فاز وظفر، كما في المصباح. وعدم رؤيته الإقبال والإفلاح لاشتغاله بما هو أعلى من ذلك من شهود تجلّيات ربّه في باطنه، وفي ظاهره بحيث لم يبق عنده ما يغاير ربّه من كلّ شيء.

١٣- أَقْصِرْ عَذِمْتُكَ وَاطَّرِحْ مَنْ أَثْخَنَتْ   أَحْشَاءَهُ النُّجُلُ العُيُوْنُ جِرَاحَاً

١٤- كُنْتَ الصَّدِيْقَ قُبَيْلَ نُصْحِكَ مُغْرَمَاً   أَرَأَيْتَ صَبَّاً يَأْلَفُ النُّصَّاحَا

١٥- إنْ رُمْتَ إصْلَاحِي فَإِنِّي لَمْ أُرِدْ   لِفَسَادِ قَلْبِي فِي الهَوَى إصِلَاحَاً

(أَقْصِرْ): فعل أمر، يخاطب به العاذل، من أَقصَرْتُ عن الشيء بالألف: أَمْسَكْتُ مع القدرة عليه، كذا في المصباح. والمعنى: أمسك عن لومك لي، واترك

تعنيفك لي على المحبّة. وقوله (**عَدِمْتُكَ**): جملة دعائيّة معترضة بين الجملتين المتعاطفتين بالدعاء على العاذل أنَّ الله تعالى يعدمه إيّاه. وقوله (**واطّرِحْ**): بتشديد الطاء المهملة، وزنه افتعل، وأصله اطترح، فأدغمت الطاء في التاء، قال في الصحاح: «طَرَحْتُ الشيء وبالشيء طَرْحاً: إذا رميته، واطَّرَحَه، أي: أبعده، وهو افتعله. والطَرْح بالتحريك: المكان البعيد». وقوله (**مَن**): أي الذي، أو عاشقاً مفعول اطّرح. وقوله (**أَثْخَنَتْ**): بالثاء المثلّثة والخاء المعجمة، قال في المصباح: «أثْخَنَ في الأرض اثخاناً: سار إلى العدوّ وأوسعهم قتلاً، وأَثْخَنْتُهُ: أَوهَنْتُهُ بالجراحة، وأضعفته». وقوله (**أحشاءه**): مفعول أثخنت، جمع حَشَا، والحَشَا مقصور: المعى، والجمع: أحشاء، مثل سبب وأسباب». والضمير يعود إلى مَنْ. وقوله (**النُّجُلُ**) بضمّ النون، فاعل أثخنت، جمع نجلاء: صفة للعيون. قال في المصباح: «النَجَل بفتحتين: سَعَة العين وحُسْنُها، وهو مصدر، من باب تعب، وعين نجلاء مثل حمراء». وقوله (**العيون**): بدل من النُّجُلُ، أو عطف بيان عليه، جمع عين، وهي الباصرة. وقوله (**جراحاً**): تمييز مبين نسبة الإثخان إلى العيون النجل. يكنِّي بذلك عن عيون الوجود الحقّ الظاهر في كلّ شيء، ولا شيء سواها، قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [٥٤/ القمر/ ١٤] فكلّ عين له، وما زاد على الوجود الحقّ هالك فانٍ. وقوله (**كنتَ**): خطاب للعاذل. وقوله (**الصديق**): خبر كان، والتاء اسمها، أي: المصادق لي، وهو بَيِّنُ الصداقة، واشتقاقها من الصِّدْق في الودّ والنصح، كذا في المصباح. وقوله (**قُبَيْل**): تصغير قَبْل، للتقليل. وقوله (**نُصْحِكَ مُغْرَماً**): مفعول المصدر. والمُغْرَم: من أُغْرِم بالشيء، بالبناء للمفعول، أُولع به، فهو مُغرَم، كذا في المصباح. يعني: يا أيّها العاذل، كنت صديقاً لي قبل أنْ تلومني على المحبّة. وتزعم أنّ ذلك اللّوم نصح منك لي، والآن صداقة بيني وبينك. وقوله (**أرأيت**): الهمزة للاستفهام الإنكاري. وقوله (**صَبّاً**): من الصَّبابة، هي رقّة الشوق وحرارته، يقال: رجل صَبٌّ عاشق مشتاق، كذا في الصحاح.

وقوله (يَأْلَفُ): من أَلِفْتُهُ إِلْفَاً، من باب عَلِمَ: أَنِسْتُ به وأحببته، / [٣٠٧/ ب] والاسم الأُلْفَة، بالضمّ. والأُلْفة أيضاً اسم من الائتلاف، وهو الالتئام والاجتماع، كما في المصباح. وقوله (النُّصّاحا): جمع ناصح، يقال: نَصَحتُ لزيدٍ أَنْصَحُ له نُصْحَاً ونَصِيْحَةً، وهو الإخلاص والصدق في المَشورة والعمل». يعني: إنّ العاشق المشتاق لا يألف من ينصحه في المحبّة، ولا يتآنس به، فضلاً عن أنْ يصادق. قال العارف الكامل نجم الدين بن إسرائيل قدّس الله سرّه:

ملام العاشقين من الضلال فما للآئمين إذاً وما لي
وأين من الملامة عقل صبٍّ غداً بهوى الأحبّة في عقال
وهل تجدي الملامة في مليح يميل بعطفه سكر الدلال
حشا أذنيه من يهوى حديثاً فليس يصيخ بعدُ إلى مقال

وقوله (إِنْ رُمْتَ): أي قصدت، خطاب للعاذل. وقوله (إصلاحي): أي جعل أموري موافقة لما هو الصلاح في حقِّي. وقوله (فإنِّي لم أُرِدْ): أي تحقيقاً أنّي لا أريد، وقوله (لفساد قلبي): هو خلاف الصلاح. وقوله (في الهوى): أي في المحبّة والعشق. وقوله (إصلاحاً): مفعول أريد. يعني: إنّ ترك المحبّة والعشق الذي تراه إصلاحاً في حقِّي، أنا لا أرى ذلك إصلاحاً. ولوكان ذلك إصلاحاً فإنِّي لا أريد أن ينصلح فساد قلبي بالنسبة إليك، لأنّ الصلاح في رأي الغافلين قيامهم بأنفسهم في طاعة ربّهم بحولهم وقوّتهم، ودعوى وجودهم، مشاركين لربّهم في الوجود وإنّ كان عندهم أنّ وجودهم حادث، ووجود ربّهم قديم؛ فالاشتراك في دعوى الوجود شرك خفي، وهذا الصلاح الذي عند الغافلين عين الفساد عند العارفين، والصلاح عند العارفين الذي هو قيامهم بربّهم في طاعة ربِّهم وعبادته، لا حول ولا قوّة إلّا بربِّهم؛ بل لا وجود لهم إلّا بوجود ربّهم ذوقاً وكشفاً، لا فهماً فقط وتخيلاً، وهذا الصلاح الذي عند العارفين عين الفساد عند الغافلين المحجوبين من علماء الرسوم وغيرهم الذين اعتادوا على أخذ العلم بالفهم

والتعقّل لا بالكشف والتحقّق، ولهذا يلومونهم وينكرون عليهم حسن أحوالهم وأعمالهم، قال العارف نجم الدين بن إسرائيل قدِّس سرّه:

حيَّرت في حبّكم أفكار عذّالي فلا اطّلاع لهم يوماً على حالي
فقائل هو صبٌّ مغرم دنف وقائل هو عندي فارغ سالِ
أعرضت عنكم وكلِّي مقبل كلف فقد تناسب إعراضي وإقبالي
وغبت عنكم وأنتم حاضرون معي فليس قلبي منكم طرفه خالي

١٦- مَاذَا يُرِيدُ العَاذِلُوْنَ بِعَذْلِ مَنْ لَبِسَ الخَلَاعَةَ وَاسْتَرَاحَ وَرَاحَا

(ما): اسم استفهام في محل رفع بالإبتداء، وذا اسم موصول بمعنى الذي، خبر المبتدأ. وقوله **(يريد العاذلون)**: جمع عاذل، وهو اللائم على المحبّة والعشق. والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره يريده. وقوله **(بعذل)**: متعلِّق بـ يريد، قال في المصباح: «عَذَلْتُهُ عَذْلاً من بابي ضرب وقتل: لُمتُهُ». وقوله **(من لَبِسِ الخلاعة)**: أي لازمها ملازمة اللباس، وهي عدم المبالاة بما يصدر منه قال في الصحاح: «غلام خَلِيع: بَيِّنُ الخَلَاعة بالفتح، وهو الذي قد خَلَعَهُ أهله؛ فإنّ جَنَى لم يُطْلَبُوا بجنايته». وقوله **(واستراح)**: من الراحة، وهي زوال المشقّة والتعب، وأرحت الأجير إراحة أذهبت عنه ما يجد من تعبه فاستراح، كذا في المصباح. وقال/ [٣٠٨/ أ] قال في الصحاح: «أراحه الله واستراح، وأراح الرجل: رجعت إليه نفسه بعد الإعياء، وأراح: تنفّس». وقوله **(وَرَاحا)**: بألف الإطلاق، أي: ذهب في أيِّ وقت كان. وقال في الصحاح: الرواح نقيض الصباح، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل. وقد يكون مصدر قولك: راح يَروح رَواحاً، وهو نقيض قولك: غَدا يَغدو غُدُوّاً: تقول سَرَحَت الماشية بالغداة، وراحت بالعشيّ، أي: رجعت». وقدّمنا أنْ لا فرق بين غدا وراح، وما ألطف أبيات العارف ابن إسرائيل قدّس سرّه:

يا عاذلي لست بالمصغي إلى عذل | سمعي وطرفي وقلبي عنك في شغل
أين الملامة من صبّ تطارحه | وعد الحبيب إشارات من المقل
سكران من نشوات الأنس ما مزجت | له كؤوس الهوى بالصدّ والملل
ولا يشوق وميض البرق لوعته | ولا يطيل وقوف الركب في الطلل
ولا يحنّ للمع النار يضرمها | لحيّ ليلى ذوات الأعين النجل
يمسي وشمس الضحى وهناً تنا دمه | والبدر من وجهها الوضّاح في خجل
حوراء زوَّر غصن البان قامتها | وموَّه الريم ما فيها من الكحل
يا جملة الحسن يا روح الحياة ويا | معنى الوجود ويا حتف الفتى البطل
إذا المحبّون ذمّوا جور معتدل | فلست أشكر إلّا عدل ذي ميل

١٧- يَا أَهْلَ وِدِّي هَلْ لِرَاجِي وَصْلِكُمْ | طَمَعٌ فَيَنْعَمَ بَالُهُ اسْتِرْوَاحَا
١٨- مُذْ غِبْتُمُ عَنْ نَاظِرِي لِيَ أَنَّةٌ | مَلَأَتْ نَوَاحِي أَرْضِ مِصْرَ نُوَاحَا
١٩- وَإِذَا ذَكَرْتُكُمُ أَمِيلُ كَأَنَّنِي | مِنْ طِيبِ ذِكْرِكُمُ شَرِبْتُ الرَّاحَا
٢٠- وَإِذَا دُعِيتُ إِلَى تَنَاسِي عَهْدِكُمْ | أَلْفَيْتُ أَحْشَائِي بِذَاكَ شِحَاحَا[1]

(يا أهل ودِّي): قال في المصباح: «وَدِدْتُهُ أَوَدُّهُ، من باب تعب، وَدّاً بفتح الواو وضمّها: أحببته». يخاطب المظاهر الإلهيّة التي يتجلّى بها الحقّ تعالى من إنسان وغيره. وقوله (هل): حرف استفهام. وقوله (لراجي وَصْلَكُمْ): أي لمن يَتَرَجَّى الوصول إلى التحقّق بمن أنتم مظاهره، فيتّصل به. وقوله (طَمَعٌ): مصدر قولك طَمِعَ في الشيء طَمَعاً وطَمَاعاً وطَمَاعِيَةً مُخَفَف، وأكثر ما يُستعمَل فيما يَقْرُب حصوله، وقد يُستعمَل بمعنى الأمل، ومن كلامهم: طَمِعَ في غير مَطْمَع: إذا أَمَّلَ

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلفّه رضي الله عنه وأرضاه وأطال لنا بقاءه».

ما يبعد حصوله، لأنّه قد يقع كلّ واحد موقع الآخر لتقارب المعنى، كذا في المصباح. وقوله (**فَيَنْعَمَ**): بفتح الياء التحتيّة وسكون النون وفتح العين المهملة، قال في المصباح: «النَّعْمَة، بالفتح اسم من التَّنَعُّم والتَّمَتُّع وهو النَّعِيم، ونَعِمَ عَيْشُهُ يَنْعَمُ، من باب تعب اتَّسَعَ وَلَان». وقوله (**بَالُهُ**): البَال: القلب، وخَطَرَ ببالي، أي: بقلبي، وهو رَخِيُّ البَال، أي: واسع الحال كما في المصباح. وقوله (**اسْتِرْوَاحاً**): تمييز لنسبة التنعيم إلى باله، أي: خاطره، كأنّه قال: فيتنعّم بالي بمجرّد وجود الراحة من ألم المحبّة، والشوق. **والاسْتِرْوَاح**: مصدر اسْتَرْوَح: وجدَ الراحة، كاسْتَرَاح، كذا في القاموس. وقوله (**مُذ**): ظرف زمان مبني على السكون، مضاف إلى الجملة التي بعده. وقوله (**غِبْتُمُ**): بضمّ الميم لاستقامة الوزن، والخطاب لأهل ودّه. وقوله (**عن ناظري**): متعلّق بغبتم، قال في المصباح: «الناظر: السَّوَاد الأَصْغَر من العين الذي يُبصِر به الإنسان» وغيبتهم عن ناظره كناية عن غلبة الغفلة عليه، بحيث يرى المظاهر أغياراً لهم وأجانب عنهم، وإلّا فلا تتصوّرغيبة الحقّ أصلاً، لا عن الظاهر، ولا عن الباطن، قال العارف نجم/ [٣٠٨/ ب] الدين بن إسرائيل قدّس الله سرّه:

يا من برؤياه يتمّ السرور ... ومن له في كلّ شيء ظهور

أنت الذي تشتاق أرواحنا ... إليه في حالة النوى والحضور

دام تجلّيك فلا غيرة ... وغيرة والعاشق عين الغرور

تُجنَى وتُجلى لعيون الورى ... فوجهك الوضّاح نار ونور

وقوله (**لي أَنَّةٌ**): بفتح الهمزة وتشديد النون، من: أَنَّ الرجلُ يَئِنُّ، بالكسر، أَنِيناً وأُناناً بالضمّ: صوّت، كذا في المصباح، والأَنَّةُ فعل مرّة من الأَنين، وتنكيرها للتعظيم. وقوله (**مَلَأَتْ**): أي تلك الأَنّة. وقوله (**نَوَاحِي**): جمع ناحية، وهي الجانب والجهة، قال في المصباح: «الناحية الجانب. فاعلة بمعنى مفعولة، لأنّك نَحَوْتَهَا، أي: قصدتها. وقوله (**أرض مصر**): هي المدينة المعروفة، ممنوعة من الصرف للعلميّة، والتأنيث المعنويّ، وهي بلاد الناظم قدّس الله سرّه. وقوله

(**نُوَاحَاً**): تمييز لنسبة الامتلاء إلى مصر، والمعنى: إنّ تلك الأنّة العظيمة أوجبت كمال الحزن لجميع أهل الجهات المصريّة، فأكثروا النُّواح عليه، قال في المصباح: «ناحَتِ المرأةُ على المَيْتِ نَوْحَاً، من باب قال، والاسم: النُّواح، وِزان غُراب. وربّما قيل: نِيَاح، بالكسر، والنياحة بالكسر: اسم منه». وقال في القاموس: ناح الرجلُ: بَكَى واسْتَبْكَى غيرَه. وقوله (**وإذا ذَكَرْتُكُمُ**): بضمّ الميم لاستقامة الوزن، والخطاب لأهل ودِّه، أي: تذكرتكم بقلبي، أو ذكرتكم بلساني. وقوله (**أميل**): أي اضطرب سُكْراً وطَرَباً بلذيذ الذكر، قال في المصباح: «مال الحائط: زال عن استوائه». وقوله (**كأنني من طيب ذكركمُ**): بضمّ الميم أيضاً للوزن. وقوله (**شربت الراحا**): بألف الإطلاق، وهو الخمر. ولابن إسرائيل قدّس الله سرّه من أبيات:

لي مـن غرامـي دائـماً سـكر وبي ... من لاعج الشوق الشديد خمار[1]

أُمـسي وذكـركم كـؤوس مـدامتي ... وأخـو الغـرام كؤوسـه التـذكار

وإذا نظـرت فلـيس أنظـر غـيركم ... وإلـيكم تنقـاد بي الأفكـار

وقلنا في هذا المحلّ بديهة:

بخمـر ذكـر الحبيـب سـكري ... وفـرط حمـدي لـه وشـكري

وكـلّ وقـت أميـل وجـداً ... وفيَّ سرٌّ الغـرام يـسري

مَـن يـشتري العبـد فيـه عيـب ... سـليب عقـل بخمـر ذكـر

لا يقبـل العبـد غـير مـولى ... ربّـاه بـاللطف فهـو يـدري

مـولاه يـدري بـه فـردّوا ... عليـه فـالغير لـيس يـشري

وقوله (**وإذا دُعِيْتُ**): بضمّ الدال المهملة: فعل مبني للمفعول، مضموم التاء للمتكلِّم، أي: دعاني العاذل اللائم. وقوله (**إلى تناسي**): من نسيت الشيء أنساه نسياناً: مشترك بين معنيين، أحدهما ترك الشيء على ذهول وغفلة، وذلك خلاف الذكر له. والثاني الترك على تعمّد، وعليه: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [٢/ البقرة

---

(١) الشطر الأول تنقصه كلمة فأضفنا (دائماً) ليستقيم الوزن.

/٢٧٣] أي: لا تقصدوا الترك والإهمال، كذا في المصباح. وقوله (عَهْدِكُمْ): الخطاب لأهل ودِّه. وقوله (أَلْفَيْتُ): أي وجدت، قال في المصباح: «أَلْفَيْتُهُ يصلى، بالألف/ [٣٠٩/ أ] وجدته على تلك الحالة. وقوله (أحشائي): جمع حشا، وهو ما انضمّت عليه الضلوع، كذا في الصحاح. وقوله (بذاك): أي بتناسي عهدكم. وقوله (شِحَاحَاً) جمع شَحيح، قال في الصحاح: «الشُّحّ: البُخْل مع حِرْص، ورجل شَحيح، وقوم شِحاح وأَشِحَّة». يعني: لم يسمح قلبي بتناسي العهد، وهو عهد الربوبيّة المأخوذ على كلّ نسمة آدميّة؛ فإنّ تذكّره سريان سرّ العرفان، ونسيانه سلوك في سبيل الخيبة والحرمان.

٢١- سَقْيَاً لِأيامٍ مَضَتْ مَعَ جِيرَةٍ كَانَتْ لَيَالِينَا بِهِمْ أَفْرَاحَا

٢٢- حَيْثُ الحِمَى وَطَنِي وَسُكَّانُهُ سَكَنِي وَوِرْدِي المَاءَ فِيْهِ مُبَاحَا

٢٣- وَأُهَيْلُهُ أَرَبِي وَظِلُّ نَخِيلِهِ طَرَبِي وَرمْلَةُ وَادِيْهِ مَرَاحَاً

٢٤- وَاهَاً عَلَى ذَاكَ الزَمَانِ وَطِيْبِهِ أيامَ كُنْتُ مِنَ اللَغُوْبِ مُرَاحا

(سَقْيَاً): مصدر منصوب بفعل محذوف، تقديره سَقَى الله سَقْياً. وعادة العرب أنّهم يدعون بالسُّقْيَا دائماً لمن يحبّونه من الناس وغيرهم، حتّى للأزمان والأوقات؛ لأنّ أعزّ أموالهم الإبل والمواشي، وهي تحتاج إلى الماء والكلأ النابت به، خصوصاً وبلادهم حارّة قليلة الماء غالباً، فيطلقون الدعاء بالسقيا في كلّ ما يريدون من الأشياء. وقوله (لأيَّامٍ): جمع يوم، يريد أيامه في مكّة المشرّفة زمان سياحته. ويُكَنِّي أيام الله تعالى لموسى عليه السلام، «وذكِّرهم بأيام الله» [١٤/ إبراهيم/ ٥] المشار بها إلى أيام الأمر الإلهيّ الذي قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] فكلّ قبض ليلٌ، وكلّ بسطٍ نهارٌ. والله يقبض ويبسط. وقوله (مَضَتْ): مضيُّها بالنسبة إليه حيث تعينت نفسه عنده بإدراكه للحياة الدنيا. وقوله (مع جيرة): جمع جار. قال في المصباح: «الجار والمجاور في السكن. وحكى

ثعلب عن ابن الأعرابي، الجار: الذي يجاورك بيتَ بيتَ، والجارُ: الخَفير، والجار الذي يجير غيره، أي: يؤمّنه مما يخاف، والجار: الناصر، كذا في المصباح. يكنّي بمعيِّته للجيرة عن ثبوته بالقول الثابت في حضرة الكلام الثابت في حضرة الكلام والعلم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] وهي إمّا كينونة علم، أو كينونة كلام، ولا ثالث لهما. وكلّ منهما جامعة للأسماء والصفات، والوجود واحد ثابت بهما للممكن؛ فالممكن لا ينفك عن الوجود أصلاً فيُنقل من الوجود العلميّ إلى الوجود القوليّ، ومن الموجود القوليّ إلى الوجود العلميّ أزلاً وأبداً، ولا انتقال في نفس الأمر؛ بل تعدّد وجود باعتبار غيب واعتبار شهادة، واعتبار بطون، واعتبار ظهور. وقوله (**كانت ليالينا**): جمع ليلة، كناية عن النشأة الإنسانيّة الممكنة باعتبارها في نفسها؛ فإنّها مظلمة بالظلمة العدميّة. فإذا طلع عليها نهار الوجود الحقّ، وأبصره السالك زالت الليلة، وذكر الليالي ولم يذكر الأيّام لثبوته في الظلمة العدميّة، لا في النور الوجوديّ. وقوله (**بهم**): أي بتلك الجيرة. وقوله (**أفراحاً**): جمع فرح، على جهة المبالغة بأنّ الليالي نفس الأفراح. وقوله (**حيثُ الحِمَى**): من حَمَيْتُ المكان من الناس حَمْياً، من باب رمى، وحِمْيَة بالكسر: مَنَعْتُه عنهم، والحِماية: اسم منه، وأحْمَيْتُه بالألف: جعلته حِمِىً، لا يُقرَب، ولا يُجْتَرَأُ عليه». يكنِّي بالحِمَى عن الحضرة الجامعة للأسماء والصفات، كما قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

منعتها الصفات والأسماء أنْ ترى دون برقع أسماء

وقوله (**وَطَنِي**): أي معلوم فيه مقول به أزلاً وأبداً، وأمّا المنزل الدنيويّ فإنّه منزل سَفَر لا وَطَن، كذلك منزل البرزخ، ومنازل القيامة حتّى يتحقّق حكم قوله /[٩: ٣/ ب] تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٤٢] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٤٢-٤٣] الآية. وقوله (**وسُكّانُه**): جمع ساكن. وقوله (**الغَضَى**): بالغين المعجمة، والضاد المعجمة: شجر، وخشبه من أصلب الخشب، ولهذا يكون

في فحمه صلابة، كذا في المصباح. كنّى بسكّان الغضى عن المعلومات الإلهيّة النازلة إلى حضرة الكلام والقول. وقوله (سَكَني): بالتحريك، أي: أسكنُ إليهم، وأعتمد عليهم في أموري كلّها من حيث أنّهم تجلّيات الحضرة الذاتيّة، قال في القاموس: «السَّكَن بالتحريك ما يُسْكَنُ إليه». وقوله (وَوِرْدِيَ الماءَ): بكسر الواو، والوِرْد خلاف الصَّدْر، ووَرَدَ زيد الماء فهو وارد، كذا في المصباح، ووِردي مبتدأ، والماءَ مفعول وردي. وقوله (فيه): خبر المبتدأ، والضمير يعود إلى الحمى. يعني: لا أرد على الماء إلّا في الحمى، كناية عن العلم؛ فلا أستند فيه إلّا إليه. وقوله (مُباحاً): حال من الماء، أي: غير محظور، ولا ممنوع عنّي. وقوله (وأُهَيْلُهُ): أي أُهَيْل الحِمَى تصغير أهل، كناية عن التجلّيات الإلهيّة، والمظاهر الربّانيّة. وقوله (أَرَبِي): بالتحريك، أي: مقصودي ومرادي. وقوله (وظلّ نخيله): أي نخيل الحمى، كنّى بالظلّ عن الآثار الكونيّة، وبالنخيل عن الحقائق العلميّة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] أي: ظلّ تلك الحقائق. وقوله (طَرَبِي): يقال طَرِبَ طَرَباً، من باب تعب، وهو خفّة تصيبه لشدّة حزن، أو سرور، والعامّة تخصّه بالسرور، كذا في المصباح. يعني: إنّ آلآثارالكونيّة ألحان مطربة، لأنّها متحرّكة بالحركة الأمريّة على الوزن، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [١٥/ الحجر/ ١٩]. ومن قصيدة لنا قولنا:

هو ظاهر في كلّ شيء دائماً ... أبداً إليه كلّ شيء ساجد[1]
عود العلا ضربت به يده على ... طبل الملا فالعالمون قصائد

ولنا أيضاً من قصيدة أخرى:

حقّ تجلّي في غما ... ئم باطل غيب العماء
فاختصّ قوماً بالضلال ... وعمّنا بالاهتداء
والكشف جاء بعسكر ... والكون خفّاق اللواء

---

(١) أضفنا كلمة (دائماً) ليستقيم الوزن.

والطبـــل أجـــسام المـــلا والزمـــر أرواح القـــضاء

وبموكـــب الأمـــلاك حـــفّ الغيـــب ســـلطان الوفـــاء

هـــذا فكيـــف عقولنـــا لا تـــضمحلّ مـــن الهنـــاء

وقوله (ورَمْلَةُ وَادِيَيْهِ): أفرد الرملة، وثنّى الواديين، نحو قطعت رأس الكبشين قال الدماميني في شرح التسهيل: رأس الكبشين بإفراد الرأس، يُختار على رأسي الكبشين بصيغة المثنّى، ولفظ الجمع، نحو: رؤوس الكبشين، يُختار على لفظ الإفراد؛ فعلم أنّها على هذا النمط عند المصنّف- يعني: ابن مالك- الجمع، ثمّ الإفراد، ثمّ التثنية. إلى آخر كلامه مع ذكر الخلاف للبصريّين وللكوفيّين، وتوجيه ذلك. (والرَّمْلَةُ): واحدة الرمال، قال في القاموس: «الرَّمْل معروف، واحده رَمْلَة». وقال في الصحاح: «الرمل: واحد الرمال، والرملة أخصّ منه، ورَمْلَةُ: مدينة بالشام». كنّى بالرملة عن علوم الوهب الإلهيّ، وكنّى بالواديينِ عن الشريعة والحقيقة؛ فإنّ كلّ واحدة منهما وادي سلوك، وفيه علوم وهبيّة إلهيّة تخصّه. وقوله (مراحاً): أصله مراحان، بصيغة التثنية، خبر المبتدأ الذي هو رملة لأنّها على معنى الثنية كما تقول: رأس الكبشين مقطوعان، حتّى قال الدماميني عن قول صاحب التسهيل:« ومطابقة ما لهذا الجمع لمعناه أو لفظه جائز. قال: وفي الحقيقة ليس هذا الحكم خاصّاً بهذه المسألة؛ بل كلّ شيء له لفظ ومعنى مختلفان، يجوز رعاية لفظه ورعاية معناه. ثمّ حذفت النون من قوله (مراحان) على وجه الترخيم لغير المنادى؛ فإنّه يجوز للضرورة». قال ابن المصنِّف في شرح الألفيّة: «قد يضطرب الشاعر فيرخّم ما ليس منادى، لكن بشرط كونه صالحاً لأنْ ينادى، فمن ذلك قول امرئ القيس:/ [٣١٠/ أ]

لـنعم الفتـى يعـشو إلى ضـوء نـاره طريـف بـن مـال ليلـة الجـوع والخـصرِ

أراد ابن مالك، فحذف الكاف، وترك ما بقي، كأنّه اسم برأسه، وهذا الوجه

مجمع على جوازه للضرورة. وقوله (مراحان): تثنية مراح، صالح لأنْ ينادى فتقول: يا مراحان، مثل ما تقول: يا رجلان، والضرورة الشعرية ظاهرة هنا، وقال ابن المصنِّف في شرح الألفيّة: ولا يرخَّم للضرورة المعرّف بالألف واللام لعدم صلاحيّته للنداء، ومنه ههنا خُطِّئ مَنْ جعل مِن ترخيم الضرورة قول الراجز (**قواطناً مكّة من ورق الحما**)على أنّ أصله الحمام. وقوله (**مُراحان**): تثنية مُراح، بضمّ الميم، من أراحت الإبل بالألف، أو بفتح الميم من أراحت، قال في المصباح: «المُراح بضمّ الميم، حيث تأوي الماشية بالليل، والمُناخ، والمَأوى مثله، وفتح الميم بهذا المعنى خطأ، لأنّه اسم مكان، واسم المكان والزمان والمصدر من أَفْعَلَ بالألف مُفْعَلُ، بضمّ الميم على صيغة المفعول. وأمّا المَراح بالفتح: فاسم الموضع من راحت، بغير ألف، واسم المكان من الثلاثي بالفتح. والمَراح بالفتح أيضاً: الموضع الذي يروح القوم منه أو يرجعون إليه». فإنْ اعتبر تحمّل أثقال التكاليف في أهل الواديين جعل ذلك مُراحينِ، من أراحت الإبل أو راحت، بالضمّ، أو الفتح. وإن جعلهما أهل تشريف بالأحكام لا تكليف من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [١٧/الإسراء/ ٧٠] أي: في الشريعة والحقيقة. وبنو آدم من غلبت عليهم الإنسانيّة على الحيوانيّة، فُتحت الميم، وكان الموضع الذي يروح القوم منه أو يرجعون إليه. وقوله (**واهاً**): بالفتح والتنوين، قال في القاموس: «واهاً، ويترك تنوينه: كلمة تعجب من طِيب شيء، وكلمة تلهّف». وقال في الصحاح: «إذا تعجّبت من طيب الشيء قلت: واهاً له ما أطيبه. قال أبو النجم: «واهاً لريّا ثمّ واهاً». وقوله (**على ذلك الزمان**): أي الأيّام التي مضت، كما ذكرنا فيما سبق. وقوله (**وطيبه**): أي طيب ذلك الزمان. وقوله (**أيّامَ**): بالنصب، وتقدير أمدح، أو على الظرفيّة: الطيِّبَة. وقوله (**كنتُ من اللّغوب**): بالغينَ المعجمة، وهو التعب والإعياء، تقول منه: لَغَبَ يَلْغُبُ لُغُوباً، ولَغِبَ بالكسر يَلْغَبُ لغوباً، لغة ضعيفة فيه. كذا في الصحاح. وقوله (**مُرَاحاً**): بضمّ الميم، اسم مفعول من أراحه: جعله في الراحة من

التعب، قال في الصحاح: «أراحه الله فاستراح، وراح الرجل: رجعت إليه نفسه بعد الإعياء». والمعنى: أيّام الله التي أنا فيها بلا وجود، ومقامي تشريف الحقّ لي بجريان أحكامه فكنت فيها من أتعاب التكاليف مستريحاً؛ فإنّ الفاعل إذا كان هو الحقّ تعالى كان ذلك تعريفاً لا تكليفاً، وإذا زاد انكشاف الأمر الإلهيّ صار ذلك تشريفاً لا تكليفاً، ولا تعريفاً، كما أشرنا إلى ذلك بقولنا بأبيات في ديواننا:

عبادة الغافلين تكليف وعلمهم بالإله تكييف

كما عبُوديّة الذين على صراطه سالكون تعريف

وعارفو ربّهم عبودتهم بربّهم رفعة وتشريف

٢٥- قَسَماً بِمَكَّةَ[1] وَالمَقَامِ وَمَنْ أَتَى الـ ـبَيْتَ الحَرَامَ مُلَبِّياً سَيَّاحَاً

٢٦- ما رَنَّحَتْ رِيْحُ الصَّبَا شِيْحَ الرُّبَا إِلَّا وَأَهْدَتْ مِنْكُمُ أَرْوَاحَاً

(قسماً): أي أقْسِم قَسَماً، قال في القاموس: القَسَم محرّكة: اليمين بالله»، ولعلّ التخصيص بالله اعتباراً للأصل فيه. وقال في المصباح: «القَسَم، بفتحتين: اسم من أَقْسَمَ بالله إقْساماً: إذا حلف. وفي الصحاح: «القَسَم بالتحريك: اليمين، وكذلك المُقْسَم، وهو المصدر/[٣١١/ب][2] مثل: المُخرج». وقال الراغب: أقسم: حلف، وأصله من القَسَامَة، وهي تقسم على أولياء المقتول، ثمّ صار اسماً لكلّ حلف. وقوله **(بمكّة)**: قال في المصباح: مكّة شرّفها الله تعالى، قيل فيها: بكّة على البدل، وقيل: بالباء: البيتُ، وبالميم: ما حوله. وقيل: بالباء: بطن مكّة». وقال في القاموس: «أَهْلَكَهُ ونَقَصَهُ، ومنه مكّة للبلد الحرام؛ لأنّها تُنقصُ الذنوب أو تفنيها، أو تهلك من ظلم فيها». وكنّى بمكّة عن الحضرة الإلهيّة التي تفنى فيها جميع

---

(١) في (ق): بزمزم.

(٢) نلاحظ أننا انتقلنا إلى [٣١١/ب]، وكان حقّنا أنْ ننتقل إلى [٣١٠/ب] ولكن هكذا وردت تتمّة الصفحة في المخطوط.

الأعيان الكونيّة. وقوله (**والمقام**): أي مقام إبراهيم عليه السلام، كناية عن مقام الإسلام الذي قال تعالى في شأنِ إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣١] إلى آخر الآية. وهو الإسلام الحقيقيّ الذي لا حركة فيه لكونه باطناً وظاهراً، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٣] في الظاهر والباطن؛ فإنّ المتحرك بنفسه لنفسه، لا له تعالى. وقوله (**ومن أتى**) أي: جاء.

وقوله (**البيت الحرام**) وهو الكعبة المشرّفة. كناية عمّن يتوجّه إلى حضرة الذات الغيبيّة الظاهرة بآثار الأركان الأربعة الأسمائيّة: ركن الاسم **الحيّ**، وركن الاسم **العليم**، وركن الاسم **المريد**، وركن الاسم **القادر**. وقوله (**ملبياً**): حال من فاعل أتى، وهو الضمير المستتر العائد إلى مَنْ، قال في المصباح: لبّى الرجلُ تَلْبِيَةً: إذا قال لبيك، ولبّى بالحج كذلك، قال ابن السكّيت: وقالت العرب لَبَّأْتُ بالحج، بالهمز، وليس أصلُهُ الهمزَ؛ بل الياء، وقال الفرّاء: وربّما خرجت بهم فصاحتهم حتّى همزوا ما ليس بمهموز، فقالوا: لَبَّأْتُ بالحجّ ورثَأْتُ المَيْتَ، ونحو ذلك. كما يتركون الهمز إلى غيره فصاحة وبلاغة». وكنّى بالتلبية هنا عن سرعة الانجذاب إلى الحضرة الربّانيّة كانجذاب الحديد الصافي إلى المغناطيس الخالص؛ فإنّ الأرواح إذا تخلّصت من أكدار الطبيعة، وصفت وجدت هذا الانجذاب، فكان تلبية بالحال لا بالقال.

وقوله (**سيّاحاً**): بتشديد الياء التحتيّة، مبالغة في السياحة، وهو حال أيضاً من فاعل أتى، قال في المصباح: «سَاح في الأرض يَسِيحُ سَيْحَاً». وفي الصحاح: «سَاحَ في الأرض يَسيحُ سِيَاحَةً وسُيُوْحَاً وسَيْحَا وسَيَحَانَاً، أي: ذهب، وفي الحديث: «لا سياحة في الإسلام»[1]. وكنّى بذلك عن الذي يَسيح في الأراضي الإمكانيّة بهمّته النورانيّة، فيستجلي قوابل ظهور الحضرة الذاتيّة. وقوله (**ما رَنَّحَتْ**): بتشديد النون، أي: أمالت. قال في الصحاح: «وترنّح: تمايل من السُكْر وغيره». وقوله

---

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة، مادّة ساح. والحديث في كنز العمال للتقي الهندي، روي عن طاووس مرسلاً.

(**ريحُ الصَّبَا**): فاعل رنّحت، وريح الصَبَا تأتي من مطلع الشمس، وهي القَبُول أيضاً، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «الصَّبَا: ريح مَهَبها من مطلع الثُّريا إلى بنات نَعْش». وقال في الصحاح: «الصَبَا: ريح مَهَبُّها المستوي أنْ تهبّ من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار». وقوله (**شِيْحَ**): مفعول رنحت، وهو بالكسر، نَبْتٌ، وقد أَشاحت الأرض، كذا في القاموس. وقوله (**الرُبا**): بضمّ الراء المهملة، جمع رُبْوَة ، قال في المصباح: «الرُّبْوة: المكان المرتفع، بضمّ الراء في الأكثر، والفتح لغة بني تميم، والكسر لغة. سُميت رُبْوَة لأنّها رَبَتْ، فَعَتْ، والجمع رُبًا، مثل: مدية ومدى، والرابية مثله، والجمع: الروابِي». كنّى بريح الصبا عن الروح الأعظم الذي هو من أمر الله من مطلع شمس الأحديّة. وكنّى بشيح الربا عن الأجسام النابتة في المراتب العالية كأجسام أهل الكمال الجامعين بين تجلّي الجلال والجمال. وقوله (**إلّا وأَهْدَتْ**): أي ريح الصبا. وقوله (**منكمُ**): بضمّ الميم للوزن. والخطاب لأهل ودِّه باعتبار ما كنّى بذلك عنهم. وقوله (**أرواحاً**): مفعول **أهدت**. والأرواح: جمع رُوح، قال في المصباح: «الرُّوح للحيوان مذكر، وجمعه أرْواح. وقال ابن الأنباري وابن الأعرابي/ [٣١٢/ أ]: الرُّوح والنَّفس واحد، غير أنّ العرب تذكِّر الروح وتؤنِّث النفس». والأرواح أيضاً جمع ريح، قال في المصباح: «والريح: الهواء المسخّر بين السماء والأرض، وأصلها الواو بدليل تصغيره على رويحة، لكن قُلبت ياء لانكسار ما قبلها، والجمع: أرواح ورياح». والمعنى: إنّها تهدي أرواحاً أمريّة قدسيّة لأهل الأرواح الحيوانيّة المعتنية بالسلوك في الطرق الربّانيّة، فتتبدّل أرواحهم وأشباحهم يوم تبدّل الأرض غير الأرض، والسموات وبرزوا لله الواحد القهار، أي ظهروا له لا لأنفسهم.

هَلْ نَارُ لَيْلَى بَدَتْ لَيْلاً بِذِي سَلَمِ

[البسيط]

وقال قدّس الله سرّه:

١ - هَـلْ نَـارُ لَـيْلَى بَـدَتْ لَـيْلاً بِـذِي سَـلَمِ ... أَمْ بَـارِقٌ لَاحَ فِي الـزَّوْرَاءِ فَـالعَلَمِ

(هل): حرف استفهام. وقوله (نارُ لَيلَى): أي نار حيٍّ ليلى، وكان عادة العرب أن يوقدوا النار على الجبال ليهتدي إليها ليلاً كلُّ من يطرقهم من الضيفان فيفتخرون بكثرتهم. (وليلى): اسم محبوبة من محبوبات العرب التي يتغزّلون فيها. كنّى بذلك عن ظهور الوجود الحقّ على صور التقادير العلميّة[1] إذا توجّهت بتلك التقادير الإرادة الأزليّة. قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٩-١٤] والوجود الحقيقيّ: نار؛ لأنّه يحرق الأكوان ويفنيها، قل جاء الحقّ وزهق الباطل. ونور؛ لأنّه يكشف عنها ما هي عليه في عدمها الأصليّ. وحقّ؛ لأنّ كلّ ما سواه باطل. وقوله (بدت ليلاً): أي في ظلمة الليل، وهو عتم الأكوان، فانكشفت به ظلمة الإمكان. وقوله (بذي سَلَم): أي بموضع ذي، أي: صاحب سَلَم، بالتحريك: شجر بالبادية، الواحدة بهاء. وقال في الصحاح: «السَّلَم بالتحريك: شجر العِضَاة، الواحدة: سَلَمَة» كنّى بذلك عن القلب السالم السليم الذي ينفع صاحبه إذا أتى الله به، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [٢٦/ الشعراء/ ٧٩]. وقوله (أم بارق): أي بل بارق، قال في الصحاح:

---

[1]): هكذا وردت، ولعلّها العدميّة.

«البارق: سحاب ذو برق، وبارق قبيلة من اليمن، وبارق موضع قريب من الكوفة». والمعنى هنا على الأوّل، كناية عن القطب؛ فإنّه سحاب على شمس الأحديّة وبُرُق روحاني. وقوله (لاح): أي ظهر. وقوله (بالزوراء): قال في الصحاح: «دجلة بغداد تُسمّى الزوراء. وهنا الإشارة بالزوراء إلى بغداد، من الزَّوَر بالتحريك، وهو المَيل. وبغداد مسكن القطب، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في شرح ترجمان الأشواق عند قوله:

يـا بنـي الـزوراء هـذا قمـر عنـدكم لاح وعنـدي غربـا

يقول مخاطباً أصحاب الميل الكائنين في حضرة القطب الداخلين تحت دائرته: هذا قمر يشير إلى تجلٍّ ذاتيٍّ في هذا المقام، يقول: عندكم لاح وجود الإمام القطب. وعندي غربَ، أي: ذلك المعنى الذي ظهر لكم في الإمام، هو باطني وسرّي. فجعل نفسه من الإفراد، وكنّى بالزوراء، وهي بغداد، لكونها مسكن الإمام الظاهر صاحب الزمان في عالم الشهادة ليعرف السامع معنى ما أراد هذا القائل. وقوله (فالعَلَم): بالتحريك اسم الطويل، أوعام، ورسم الثوب، ورقمه، والراية، وما يعقد على الرمح، وسيِّد القوم، كذا في القاموس. يكنّي بالعَلَم عن الفرد الجامع الخارج عن حكم القطب، وعن دائرته فلا يكاد يعلم به، ولهذا يقال: المفرد العَلَم، وهو إذا نُودي مبني على الضمّ إلى أصله، وهو الرفع؛ فإنّ أصله مرفوع عن مشابهة المحسوس/ [٣١٢/ ب] والمعقول.

٢- أَرْوَاحَ نَعْـمَانَ هَـلَّا نَـسْمَةٌ سَـحَراً وَمَـاءَ وَجْـرَةَ هَـلَّا نَهْلَـةٌ بِفَـمِ

(أرواح): جمع روح، أو جمع ريح، وهو منادى مضاف، حذف منه حرف النداء، تقديره: يا أرواحَ، بالنصب، مضاف إلى قوله (نَعْمانَ): بفتح النون، وهو اسم جبل بين مكّة والطّائف. ونَعمان الأراك، بفتح النون، أيضاً واد بين مكّة والطائف، كما في المصباح. ولعل الجبل هو جبل ذلك الوادي. كنّى بأرواح نَعمان

عن أقطاب المنازل والمقامات، كقطب مقام التوكّل، وقطب مقام الصبر، وقطب مقام الزهد، إلى غير ذلك؛ فهو منزل ما دام مسافراً فيه، فإذا أقام فهو مقام. فإذا رسخ فهو قطب، فيه تدور عليه دوائر كلّ متعلّق به من أهل الإسلام، وإمدادهم منه. وقوله (**هلّا**): بتشديد اللام للتحضيض، والحثّ على فعل الشيء، قال في القاموس: «هلّا بالتشديد للتحضيض مركّبة من هل ولا». وقوله (**نَسْمَة**): بالنصب مفعول لفعل محذوف، تقديره هلّا بعثتم لي نَسْمَة. أو بالرفع، فاعل بفعل محذوف، تقديره: هلّا جاءتني منكم نَسْمَة، والنَّسَمَة محرَّكة نَفَس الريح إذا كان ضعيفاً كالنَّسيم والنَّيْسَم، كذا في القاموس. ولعلّ تسكينها هنا لضرورة الوزن، وقال في الصحاح: «النَّسيم: الريح الطيِّبَة، يقال منه: نَسَمَتِ الرِيحُ نَسِيماً ونَسَماناً، ونَسَمُ الريح: أوّلها حين تُقبَل بلين قبل أن تشتدّ»، وكنّى بالنسمة عن الروح الأمري الذي يكون إذا تجرّد الروح الحيوانيّ عن العلائق الطبيعيّة. وقوله (**سَحَراً**): منصوب على الظرفيّة، قال في المصباح: «السَّحَر بفتحتين: قُبَيل الصُّبْح، وبضمّتين: لغةٌ، والجمع: أَسْحَار». كنّى بذلك عن ابتداء أحوال السالكين؛ فإنّهم يكونون في أواخر ليل نشأتهم الطبيعيّة الليليّة قبيل صبح نشأتهم الروحانيّة. وقوله (**وماءَ**): بالنصب، تقديره: يا ماء، منادى مضاف كذلك، إلى قوله (**وَجْرَةَ**): بفتح الواو وسكون الجيم وبالراء المهملة، والهاء موضع، قال امرؤ القيس:

تَصُدّ وتُبدي عن أَسيل وتتقي   بِناظِرَةٍ من وَحشِ وَجْرَةِ مُطْفِلِ

قال الأصمعي: «وَجْرَة: بين مكّة والبصرة، وهي أربعون ميلاً ليس فيها منزل، فهي مَرَبٌّ للوحش، أي: مجمع، ومَرَبُّ الإبل: حيث لزمته، كذا في الصحاح، كنّى بماء وَجْرَة عن حضرة الأفراد أصحاب ماء العلم الإلهيّ النازل عليهم من سحائب نفوسهم في سماوات الغيبة عنها. وقوله (**هلّا**): بالتشديد. وقوله (**نَهْلَة**): بالنصب على تقدير هلّا نلت منكم نهلةً، أو بالرفع على تقدير هلّا حصلت لي

منكم نهلةٌ، واحدة النَّهَلَات، وهي فعل مرّة، قال في الصحاح: «النَّهَل الشُّرب الأوّل، وقد نَهِل بالكسر، وأنْهَلْتُه أنا؛ لأنّ الإبل تسقي في أوّل الوِرْد، فترد إلى العَطَن، ثمّ تسقي الثاني، وهي العَلَل، فَتُرَدُّ إلى المرعى». وقوله (بفم): أي كائنة بفم، أي: كائنة بفم تقليل للنَّهلة. كناية عن العلوم التي تتلقّى بالمشافهة الروحانيّة، وتوجّه المشايخ بالإذن الربّانيّ على قلوب المريدين الصادقين، بحيث لا تسعها العبارة، ولا تستوفيها الإشارة، كما قلنا في أبيات لنا من ديواننا:

كلامنا غير ما تعطي العبارات ... من المعاني لنا فيه اعتبارات
بنفسه قائم فهو المجرّد عن ... لفظ ومعنى معاً وهو الإشارات
هما كثيفان والسرّ اللطيف له ... علاقة بهما فيها التفاتات
كالروح يظهر من نفس ومن جسد ... وليس تكشفه إلّا العنايات / [٣١٣/أ]
فلا تظنّ بأنّي إنْ وصفت حِلَى ... شيء مرادي به تلك الإحالات
أو إن ذكرت نسيماً هبّ من جهة ... أو نفحة هي قصدي والمرادات
كذلك البرق والأطلال أذكرها ... في النظم ليست مرادي والحمامات
لا والذي جلّ عمّا للعقول بدا ... وللحواس به الأحياء أموات
كلام أهل طريق الله سرّ هدى ... لا دخل فيه لهم تبديه أبيات
عن المواد له التجريد مخطئة ... منك التآويل فيه والقياسات
لم يدره ذو انتقاد في تعنّته ... لنفسه زعم علم واجتهادات
فيعرب اللفظ للمعنى فيفهمه ... ولا يبيِّن له إلّا الضلالات
ومقصد القوم نور في القلوب سرى ... من القلوب وما فيه التباسات
رموز أسرار قوم تستعدّ له ... أرواح قوم لهم في الله راحات
روايح الحقّ شمّتها بصائرهم ... لهم إلى الحقّ همّات ورغبات

لهم نظمنا المعاني يلمحون بها غيب الغيوب وتخفيها العبارات

وقلنا أيضاً:

كلام أهل الله في دين الهدى نفع العباد
حقائق لها إلى شريعة الحقّ استناد
علم إشارة فلا لفظ ولا معنى يراد
سرّ خفيّ خارج من الفؤاد للفؤاد
وظاهر لذي اعتقا د باطن عن ذي انتقاد
فآمنوا به وسلـ ـلموه يا أهل العناد
فهو المجرّد اللطيف عن كثائف المواد

٣- يَا سَائِقَ الظُّعْنِ يَطْوِي البِيدَ مُعْتَسِفاً طَيَّ السِّجِلِّ بِذاتِ الشِّيحِ مِنْ إضَمِ
٤- عُجْ بِالْحِمى يَا رَعَاكَ الله مُعْتَمِداً خَمِيلَةَ الضَّالِ ذَاتَ الرَّنْدِ وَالخَزَمِ
٥- وَقِفْ بِسَلْعٍ وَسَلْ بِالجِزْعِ هَلْ مُطِرَتْ بِالرَّقْمَتَيْنِ أُثَيْلَاتٌ بِمُنْسَجِمِ

(يا سائق الظُّعْن): بضمّ الظاء المعجمة، وبسكون العين المهملة: جمع ظَعِيْنَة، أو الظَّعْن بفتح الظاء بمعنى الجماعة الظاعنين كالرَّكْب للجماعة الراكبين، والشَّرْب، والصَّحْب. قال في القاموس: «الظَّعينة: الهودج فيه امرأة أم لا، والجمع ظُعْنٌ وظُعُنٌ وظَعَائِن وأظْعان، المرأة ما دامت في الهودج. وقال في الصحاح: «ظَعَنَ، أي: سار ظَعْناً وظَعَنا بالتحريك. وقُرئ بهما قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [١٦/ النحل/ ٨٠] والظَّعينة: الهودج، كانت فيه امرأة أو لم تكن، والجمع: ظُعْن وظُعُن وظَعَائِن وأَظْعَان». قال أبو زيد: «لا يقال حُمُول ولا ظُعُن إلّا للإبل التي عليها الهوادج؛ كان فيها نساء أو لم يكن. والظعينة: المرأة ما دامت في الهودج، فإذا لم تكن فيه فليست بظعينة». كنّى بسائق الظعن عن الروح الأعظم

الأمري الذي هو أوّل مخلوق ظهر عن أمر الله الحيّ القيوم على كلّ نفس بما كسبت، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠]. وكنّى بالظعائن عن الأجسام المشتملة على نساء النفوس البشريّة، أو عن نساء النفوس البشريّة ما دامت تحت حكم أجسامها. وقوله (يطوي): من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] يعني: بروحه الأمري الذي هو أوّل مخلوق من أمره تعالى. وقال (البِيدَ): بكسر الباء الموحّدة وسكون الياء التحتيّة وبالدّال المهملة: جمع بيداء قال/ [٣١٣/ ب] في المصباح: «البَيْداء: المَفَازَة، والجمع: بِيد، بالكسر». كناية عن تجلّيه تعالى بالروح الأعظم المرسوم بالمظاهر الكونيّة، ثمّ استتاره بها عنها. وقوله (مُعْتَسِفاً): حال من فاعل يطوي، والاعتساف: السلوك على غير الطريق، قال في القاموس: «عَسَفَ عن الطريق يَعْسِفُ: مَالَ، وعَدَلَ، كاعْتَسَفَ وتَعَسَّفَ، أو خَبَطَهُ على غير هِداية، و ـ السلطانُ: ظَلَمَ، و ـ فلاناً: اسْتَخْدَمَه، كاعْتَسَفَهُ، وضَيْعَتَهُمْ: رعاها، وكفاهُمْ أَمْرَهَا، و ـ عليه، و ـ له: عَمِل له». يكنّي بذلك عن قيام الحقّ تعالى بالروح المذكور على كلّ نفس بما هو مقدّر عليها من الأعمال والأحوال والأقوال. وقوله (طي السِّجِلِ): بكسر السين المهملة والجيم، قال في المصباح: «السجِلُّ: كتابُ القاضي، والجمع: سجلّات. وسَجَّلَ القاضي، بالتشديد: قَضَى وحَكَم وأثبت حُكْمَه في السجلّ». كَنَّى بطيّ السجلّ عن إذهاب النفوس البشريّة وانمحاء آثارها شيئاً فشيئاً، والتحاقها بالسجلّ الأعظم، الروح الكلّي الأمري من قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٤] فكتابُه نفسُه التي انتقشت فيها صور أعماله، كما أشار إلى ذلك الشيخ أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي في تفسيره. وقوله (بذات الشِّيح): متعلّق بيطوي، أو بسائق. و(ذات): بمعنى صاحبة، أي: بالأرض ذات، أي: صاحبة (الشِّيح). وهو بالكسر: نَبْت، كناية عن الخلق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ

فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ [٧١/ نوح/ ١٨]. وقوله (من إضَمٍ): بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة، قال في القاموس: «إضَم كعِنَب: جبل، والوادي الذي فيه المدينة النبويّة، وعند المدينة يُسمَّى: القَناة، ومن أعلى منها عند السُّدِّ: الشظاة، ثمّ ما كان أسفل ذلك يُسمَّى إضَماً. وذو إضم ماء بين مكّة واليمامة». والجار والمجرور بيان لذات الشِّيح، كناية عن النور المحمّديّ الذي هو أوّل مخلوق، وهو المسمّى أوّلاً بالروح الأعظم، كما قدّمناه باعتبار آخر. وقد خلق الله تعالى منه كلّ شيء، كما ورد في الأحاديث النبويّة. وقوله (عُجْ): فعل أمر، خطاب لسائق الظعن، قال في الصحاح: «عُجْتُ بالمكان أعُوج، أي: أقَمتُ به، وعُجْتُ البعيرَ أعُوجه عَوْجاً ومَعَاجاً: إذا أعطفت رأسه بالزمام. وقوله (بالحِمَى): من حَمَيْتُهُ حِمَاية، أي: دفعت عنه، وهذا شيء حِمَىً، على فِعَل، أي محظور: لا يُقْرَب، وأَحْمَيْتُ المكانَ: جعلتُه حِمَىً، وفي الحديث: «لا حمى إلّا لله ورسوله»[1]، كذا في الصحاح. يكنّي بذلك عن التجلّي الروحانيّ في الصور، يقول له: تجلّ فيما تصوّره من تجلّي الاسم المصوِّر؛ فإنّ ذلك حماك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ [١١/ هود/ ٥٧]. وقوله (يا رعاك الله): المنادى محذوف، تقديره: يا سائق الظعن رعاك، أي: راقبك أو احترمك الله، أي: الاسم الجامع لجميع الأسماء، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١١٠]؛ فالروح سائق بالحقّ من تجلّي اسمه القهار، ويعوج بالحمى من تجلّي اسمه القويّ، وذي القوّة، وأنّ القوّة لله جميعاً، ثمّ قال: (له رعاك الله): أي ظهر تجلّيك لاسم الله الجامع لجميع الأسماء؛ فإنّ صاحب هذا التجلّي هو صاحب مقام الجمع، خلاف الفرق. وقوله (معتمداً): حال من الضمير في (عُج): أي قاصداً، مِنْ عَمَدْت الشيءَ أَعْمِدُهُ عَمْدَاً: قصدتُ له، أي: تعمّدت، كذا في الصحاح. وقوله (خميلة): قال في

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: بقية حديث الصعب بن جثامة، ١٧١١٩. عن ابن عبّاس،عن الصعب بن جثامة.

المصباح: «الخَمِيْلَة بالهاء الطَنْفِسَة، والجمع: خَمِيل بحذف الهاء». وقوله (**الضالِ**): هو السِّدر البرِّي، الواحدة: ضَالَة، كما في الصحاح، وقال في القاموس: الضال من السِدْر ما كان عَذْيَاً. يعني: بعلاً ينبت بماء المطر، أو السدْر البرِّي، وشجر آخر». كنّى بخميلة الضال عن الدنيا والنابت فيها/ [٣١٤/ أ] كلّ شيء من: إنسان، وحيوان، وجماد، ونبات، ونفوس، وأعمال، وأحوال إلى غير ذلك. وفيها: الخير، والشر، والنفع، والضر. والمعنى: انظر، يا أيها الروح الأمري، بأمر ربّك إلى أحوال أهلها، وعاملهم باللطف والإحسان. وقوله (ذات): أي صاحبة وصف للخميلة المكنّى بها عن الأرض المنبتة للضال. وقوله (**الرَّنْدِ**): هو شجر طيّب الرائحة، من شجر البادية. قال الأصمعي: «وربّما سمّوا العود رنداً، وأنكروا أنْ يكون الرند الآس، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «الرَّنْد وِزان فَلْس: شجر طيّب الرائحة، من شجر البادية. قال الخليل: والرند أيضاً الآس لطيبه». وكنّى بالرند عن الأعمال الصالحة التي تنبت في تراب الأجسام البشريّة. وقوله (**والخَزَم**): بالتحريك، اسم شجر كالدَوْم، كما في القاموس. وقال في المصباح: «الخَزَم شجر يُعمل من قشره حبال، الواحدة: خَزَمَة، مثل: قَصَب وقَصَبَة». وكنّى بالخزم عن الأعمال الغير صالحة التي تقيّد أهلها عن الإطلاق في عوالم الملكوت. وقوله (**وقِفْ بِسَلْعٍ**): أمر السائق أن يقف، وهو معاملته بالرفق والإحسان عن أمر ربِّه للمحمّديينَ من الأولياء المشار إليهم بقوله (**بسلع**): وهو جبل بالمدينة كما في القاموس. وقوله (**وسَلْ**) : فعل أمر من السؤال. وقوله (**بالجِزْع**): بالكسر. وقال أبو عبيدة: اللائِق به أن يكون مفتوحاً: منعطف الوادي، ووسطه، أو هو مُنْقَطَعُه، أو مُنحناه، أو لا يُسمَّى جِزْعاً حتّى تكون له سَعَة تُنْبِتُ الشجر، أو هو مكان بالوادي لا شجر فيه، ورَبَّما كان رَمْلاً، ومَحَلَّة القوم، والمُشْرِف من الأرض إلى جَنْبِه طُمَأنِينَة، كذا في القاموس. وهو كناية هنا عن اللوح المحفوظ الذي فيه أحوال العوالم كلِّها. وقوله (**هل مُطِرَتْ**): بالبناء للمفعول. وقوله (**بالرَّقْمَتَيْنِ**):

وهما روضتان بناحية الصَّمّان، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «الرَّقْمَةُ جانب الوادي». وقد يقال: الروضة، قال زهير:

ودار لهـــا بـــالرقمتين كأنّهـــا   مراجـــع وشـــم في نـــواشر معـــصم

وكنّى بالرَّقمتين عن حضرة العلم الإلهيّ، وحضرة الإرادة الربّانيّة، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٤] فإنّ المرقوم فيها لا يتبدّل؛ لأنّه قديم، والقديم لا يتغيّر. و قوله (أُثَيْلاتٌ): تصغير أَثْلات للتعظيم، جمع أَثْلَة قال في القاموس: «الأَثْلُ: شجر، واحده: أَثْلَة، والجمع: أَثْلات وأُثُول». وقال في المصباح: «الأَثْلُ شجر عظيم لا ثمر له، الواحدة أَثْلَة، وقد استُعيرت الأَثلة للعِرْض، فقيل: نحَتَ أَثْلَةُ فلان: إذا عابه وتنقّصه، وهو لا تُنْحَت أَثْلته، أي: ليس به عيب ولا نقص». وهو مرفوع على أنّه نائب فاعل. (مُطِرَتْ): كنّى بإمطار الأَثلات العظام في الرقمتين عن أعراض المحمّديين من الأولياء، وهي ما يُمدح من: أوصافهم، وأحوالهم، وأعمالهم، وأقوالهم، وما يُذم منها. فإنّ ذلك معنى عِرْض الإنسان، وكون أَعْراضهم مُطِرَت، أي: هي طاهرة بتتابع الفيض الإلهيّ في حضرة العلم والإرادة أزلاً، فإنّ ذلك غير معلوم لسوى الحقّ تعالى إلّا بطريق الفيض سبحانه من علمه وإرادته على روحه الأمري الذي هو أوّل مخلوق كما ذكرنا. والمقصود: حصول ذلك الاطّلاع الكشفي عندهم في الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [١٠/ يونس/ ٦٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [٤١/ فصلت/ ٣٠]/ [٣١٤/ ب] وقوله(بِمُنْسَجِمِ): متعلِّق بمَطِرَت، أي: بمطرٍ مُنْسَجِم. يُقال: سَجَمَ الدمعُ سُجُومًا وسِجَامًا: سال وانْسَجَمَ، وسَجَمَتِ العينُ دمعَها، وعينٌ سَجُومٌ، وأرضٌ مَسْجُومَةٌ، أي: مَمْطُورَةٌ. وانْسَجَمَتِ السماءُ: صَبَّت، مثل: أَثْجَمَت، كما في الصحاح. وأشار بقوله منسجم

إلى كون المطر كالدمع من العين، لامن عالم ا لأسماء والصفات؛ لأنّهم ذاتيّون، لكونهم محمّديّين، قدّس الله أسرارهم وضاعف أنوارهم.

٦- نَشَدْتُكَ اللهَ إِنْ جُزْتَ العَقِيقَ ضُحَىً فَاقْرِ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

٧- وَقُلْ تَرَكْتُ صَرِيعَاً فِي دِيَارِكُمُ حَيَّاً كَمَيْتٍ يُعِيرُ السُّقْمَ لِلسَّقَمِ[1]

(نَشَدْتُكَ اللهَ): وبالله أُنْشُدُكَ: ذَكَّرْتُكَ به، واستعطفتُكَ، أو سألتك به، مُقْسِماً عليك، كذا في المصباح. فالله منصوب على المفعوليّة لنشدتك، والخطاب لحضرة الروح الأعظم المذكور القائم باسم بعد اسم، من الأسماء الإلهيّة، يقول له: ذكَّرْتُكَ الله ، أي: ذكرت لك الاسم الجامع لجميع الأسماء، وأقسمت عليك به؛ فإنّك وإنْ كنت قائماً باسم بعد اسم؛ فإنّ كلّ اسم جامع لجميع الأسماء، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [١٧/الإسراء/ ١١٠] لأنّ كلّ اسم حجاب على الذات، والذات جامعة للأسماء؛ فإذا ظهرت باسم من الأسماء ظهرت بجميع الأسماء على مقتضى ذلك الاسم، قال عفيف الدّين التلمسانيّ في مطلع قصيدة له:

منعتها الصفات والأسماء أن ترى دون برقع أسماء

والأسماء لا تعطيل لها عن الآثار الإمكانيّة فهي دائمة التأثير بالآثار لا بقاء لها، فهي حادثة متغيِّرة مع الأنفاس، قال ابن إسرائيل:

كلّ شيء فيه معنى كلّ شيء فتفطن واصرف الذهن إليّ

إنّما الواحد فرد جامع صيغ الآحاد فافهم يا بنيّ

كثرة لا تتناهى عدداً قد طوتها وحدة الواحد طيّ

كنواة مثلاً قد ضمنت نخلة إنْ صادفت أرضاً وريّ

---

(١) الشطرة الثانية في (ق): «مَيْتاً كَحَيٍّ يعير السُّقم للسَّقَمِ».

أرضـــها الكـــون ولكـــن ماؤهـــا   بعـــض مـــا نزّلـــه العلـــم عـــليّ
الوجـــود الحـــقّ موجـــود لـــه   كـــلّ موجـــود مـــن الأكـــوان فـــيّ

وقوله (إنْ جزت العقيق): جَازَ المكان يَجُوزُهُ جَوْزَاً وجَوَازاً: سار فيه، كذا في المصباح. و(العقيق): الوادي الذي شَقَّه السيل قديماً، وهو في بلاد العرب عدّةُ مواضع، منها العَقِيق الأعلى عند مدينة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مما يلي الحَرَّة إلى منتهى البقيع: وهو مقابر المسلمين، ومنها العَقِيق الأسفل، وهو أسفل من ذلك، ومنها العَقيق الذي يجري ماؤه من غَوْرَيْ تِهامَة وأوسطِه بحذاء ذات عرق، قال بعضهم: ويتّصل بعقيقي المدينة، كذا في المصباح. كنّى بالعقيق عن المحمّديّين من الأولياء، وجوازه بهم كناية عن قيامه بالحقّ تعالى في تجلّيه بمظاهرهم. وقوله (ضُحى): أي في وقت الضُّحى، والضَّحَاء بالمدّ والفتح: امتداد النهار، والضَّحْوَةُ مثلُه، والجمع: ضُحَىً، مثل: قَرْيَة وقُرَى. وارتَفَعَت الضُّحَى، أي: ارتفعت الشمس، ثمّ استُعمِلَتْ الضُّحَى استعمال المُفرد، وسُمِّي بها الوقت، كذا في المصباح. وكنّى بالضحى عن كمال إشراق شمس الأحديّة على المظاهر الإمكانيّة. وقوله (فاقرِ السلام): أي أبلغ السلام، أي: الأمان من السلب والنقص . وقوله (عليهم): أي على أهل العقيق من الأولياء المحمّديّين المذكورين. وقوله (غير مُحْتَشِمِ): حال من فاعل اقرِ. قال في المصباح: «حَشِمَ حَشَماً/ [٣١٥/ أ] من باب تَعِبَ: إذا غضب، ويتعدّى بالألف فيقال: أَحْشَمته، وحَشِمَ يَحْشَم مثل: خَجِل يَخْجَل، وزناً ومعنىً، ويتعدّى بالألف فيقال: أَحْشَمْتُهُ. واحْتَشَمَ: إذا غضب، وإذا استحيا أيضاً. والحِشْمَة » بالكسر ـ اسم منه، وقال الأصمعي: الحِشْمَةُ الغضب فقط. وقال الفارابي: حَشَمْتُهُ وأَحْشَمْتُهُ بمعنى، وهو أنْ يجلس إليك فتؤذيه وتغضبه». والمعنى هنا غير مُحْتَشِم، أي: غير مُؤذٍ، ولا خجل ولا غضب. كناية عن كمال التلطّف بهم في إيصال الأمان إليهم من كلّ سوء. وقوله (وقل): خطاب للسائق المذكور أيضاً. وقوله (تَرَكْتُ): يقال تركت المنزل تَرْكاً: رحلت عنه،

وتركت الرجل: فارقته، كذا في المصباح. وقوله (صريعاً): أي مصروعاً، فعيلاً بمعنى مفعول، قال في المصباح: «الصَّرِيع من الأغصان: ما تَهَدَّل وسقط إلى الأرض، ومنه قيل للقتيل: صريع، والجمع: صرعى». وهذا كناية عن نفسه المقتولة بسيوف المجاهدة في طريق العرفان. وقوله (في دياركم): بضمّ الميم، خطاب للمشار إليهم بذكر العقيق، وهم الأولياء االمحمّديّون، وديارهم دائرتهم التي تدور عليها أحوالهم، قال في تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [٣١/ الأنبياء/ ١٠٤] أي: الآن وإنْ خفي ذلك عن العيان فإنّه ظاهر عند الكاملين من الأعيان. وقوله (حيّاً): وصف لصريعاً، أي: ذا حياة. وقوله (كَمَيْتٍ): بسكون الياء التحتيّة، أي: لا حركة له من نفسه عند نفسه؛ فهو ميت، أو كميت؛ لشهوده الحركة الأمريّة، ولنا في مطلع أبيات:

ألا ليت لوجادلي الحبّ ليت فحبّي هو الحيّ والكلّ ميت

وقوله (يُعِيرُ): من الإعارة، يقال: أَعَرتُهُ الشيءَ إعَارة وعارَة، مثل: أَطَعْتُهُ إطاعَةً وطَاعَةً، قال الليث: سُمِّيت عارية لأنّها عار على طالبها. وقال الجوهري مثله، كذافي المصباح. والجملة: صفة حيّاً. وقوله (السُّقْمَ): مفعول يُعِيرُ، وهو بضمّ السين المهملة: مصدر سَقِمَ سَقَماً، من باب قرب: طال مرضه، كما في المصباح. وقوله (لِلْسَقَمِ): بفتحتين، وهو طول المرض أيضاً، مبالغة. يعني: صار بحال يعير سُقْمَهُ للسُقْم. أو بفتح السين وكسر القاف: صفة مشبّهة، أي يعير سَقِمَهُ لكلّ سَقِيم.

٨- فَمِنْ فُؤَادِي لَهِيبٌ نَابَ عَنْ قَبَسٍ وَمِن جُفُوْنِيَ دَمْعٌ فَاضَ كَالدِّيَمِ

(فمن فؤادي): أي قلبي. وقوله (لهيبٌ): هو اتّقاد النار واشتعالها، قال في القاموس: «اللَهَبُ واللَهِيب واللُهَاب محرّكة: اشتعال النار إذا خلص من الدخان، أو لَهَبُهَا: لسانُها. ولَهِيْبُهَا: حَرُّهَا». لـمّا كان التجلّي الإلهيّ لموسى عليه السلام بالنار المشتعلة في شجرة الزيتون أثبت لها لهيباً في قلبه، من كون ذلك

المجلّي ناراً، وأعقبه بقوله (ناب): أي ذلك اللهيب، قال في القاموس: «نَابَ عنه نَوْباً ومَنَاباً: قام مقامه». وقوله (عن قبس): قال في المصباح: «قَبَسَ ناراً يَقْبِسُهَا، من باب أخذها من معظمها. والقَبَس، بفتحتين: شُعْلة من نار يقتبسها الشخص، وذلك قول موسى عليه السلام لأهله:﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [٢٠/ طه/ ١٠] إلى آخر الآية. وقوله (ومن جُفُوني): جمع جفن، قال في المصباح: «جَفْنُ العَيْن غطاؤها من أعلاها وأسفلها». والعبد جفون على العين الإلهيّة، وكسر الجفون من صفات الحسن؛ ولهذا ورد في الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»[1]. ولنا من قصيدة في هذا المعنى:

يا واحداً ما في العيا ... ن له ولا في الغيب ثاني

أنا جفنك المكسور يا ... عيني ومنك الجبر داني/[٣١٥/ ب]

ولذا يكون الحسن في ... هذا وفي حور الجنان

وقوله (دمعٌ): كناية عمّا ينزل على القلب من معاني الحقائق ولطائف الرقائق. وقوله (فاض): كثر. قال في المصباح: فاضَ السيلُ يَفيض فَيْضاً: كَثُر وسال من شفة الوادي». وقوله (كالدِّيَمِ): جمع دِيمة بالكسر، وهي المطر يدوم أيّاماً، كما في المصباح. كنّى بذلك عن كثرة الفيض الربّاني والإمداد الرحمانيّ، وما ألطف قول العفيف التلمسانيّ فيما يقرب هذه المعاني قدّس سرّه:

وقد كنت من أسما على حين فترة ... من الوجد لا أُدعى إليها ولا أسما

فلمّا غدا سقمي ثيابي ومدمعي ... شرابي فلا أضحى هناك ولا أظمى

تعرّضت للنادي فنوديت باسمها ... وساهمت بالوادي ففزت بها سهما

توهّمت قدماً أنّ ليلى تبرقعت ... وأنّ لثاماً دونها يمنع اللثما

---

(١) انظر تخريجه ص٢٩٩.

فلاحت فلا والله ما كان حجبها　　سوى أنّ طرفي كان عن حسنها أعمى
فلمّا محا إنسان عينيَ دمعها　　رأت ما رأت منها وتمّ الذي تمّا

٩- وَهَـذِهِ سُنَّةُ العُشَّاقِ مَا عَلِقُوْا　　بِشَادِنٍ فَخَلَا عُضْوٌ مِنَ الأَلَمِ

(وهذه): أي لهيب القلوب، وفيض دموع العيون. كناية عن كشف التجلّيات الإلهيّة بالقلوب، وفيض العلوم الربّانيّة من حضرات الغيوب. وقوله **(سُنَّةٌ)**: أي طريقة مسلوكة في دين المحبّة الإلهيّة. وقوله **(العشّاق)**: جمع عاشق، قال في المصباح: «عَشِقَ عِشَقَاً، من باب تعب، والاسم: العِشْقُ، بالكسر، والعِشْق: الإفراط في المحبّة، ورجل عاشق، وامرأة عاشق أيضاً». وهم العشّاق الإلهيّون أصحاب النظر الحقيقيّ كما ورد أنّ الله جميل يحبّ الجمال؛ فهو المحبّ والمحبوب، والطالب والمطلوب، قال العارف ابن إسرائيل قدّس الله سرّه من أبيات له:

وكلّ مليح في الهوى ومليحة　　صفات بدت منكم فهام بها العقل
وكلّ محبّ مات وجداً فأنتم　　ظهرتم له في مظهر عنده يحلو
وغازلتموه من وراء وجودكم　　فظنّ سواكم حيث خماره النقل
وحقّكم ما ثمّ غير وجودكم　　وكلّ وجود قد بدا فله ظلّ

وقوله **(ما عَلِقُوا)**: أي العشّاق المذكورون، قال في الصحاح: «العَلَق: الهوى، يقال نظرة من ذي عَلَق. قال الشاعر:

فإذا أردت الصبر عنكِ فعاقبي　　عَلَقٌ بقلبي من هواكِ قديم

(وقد عَلِقَهَا): بالكسر، وعَلِق حبَّها بقلبه، أي: هَوِيَهَا، وعَلِق بها عُلُوقَاً. وقوله **(بشادِن)**: بالشين المعجمة والدال المهملة والنون: ولد الظبية، وقد شَدَنَ الغزال يَشْدُن شُدُوناً: قَوِيَ وطلع قرناه، واستغنى عن أمّه، كذا في الصحاح. كنّى بالشادن عن مجلّى الحضرة الربّانيّة في القلب الإنسانيّ على قدر استعداده؛ فإنّه سريع النفرة عنه، والوحشة منه. قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له في

ترجمان الأشواق:

بــأبي ثـــمّ بي غـــزال ربيـــب   يرتعـــي بـين أضــلعي في أمــان

وقال في شرحه قدّس الله سرّه يقول:

أفـــدي هـــذا المحبـــوب المتجـــ   ـــلّي إليّ مـــا بي وبنفـــسي

يشير مما يطرأ عليه لو اتفق من حال الفناء. وكنّى عن هذا المحبوب بالغزال لوجهين، الواحد لاشتقاقه من الغَزَل، وهو التشبيب والمحبّة والنسيب. والوجه الآخر: الوحش الذي يألف القفر فكأنّه يقول هذا المعنى المطلوب/ [٣١٦/ أ] لي مولده ومقامه إنّما هو القفز الذي هو مقام التجريد، وحل التنزيه والتقديس. وقوله (**فخلا عُضو**): أي من أعضائهم، والعضو كلّ عظم وافر من الجسد قاله في مختصّر العين، وضمّ العين أشهر من كسرها. والجمع: أعضاء، كذا في المصباح. وقوله (من الألم): أَلِمَ الرجلُ أَلَمَاً، من باب تعِب، وجع. والجار والمجرور متعلّق بخلا، وهذا هو ألم المجاهدة، وتوجّع المكابدة التي يراها السالك في طريق الله تعالى لتحصيل مقام المشاهدة.

١٠- يَـا لَائِـمَاً لَامَنِـي فِي حُـبِّهِم سَـفَهَاً   كُـفَّ المَـلَامَ فَلَـوْ أنـصفت[1] لَـمْ تَلُـمِ

(**يا لائماً**): من اللَوم، قال في المصباح: «لَامَهُ لَوْمَاً، من باب قال: عَذَلَهُ؛ فهو مَلُوْمٌ على النَقص، والفاعل لائم، والجمع: لُوَّم، مثل: راكع وركَّع». كنّى باللائم عن الغافل المحجوب. وقوله (**لامني في حبّهم**): أي حبِّ المظاهر الإلهيّة، والمجالي الربّانيّة المكشوفة للعاشق في الصور الإنسانيّة. وقوله (**سفهاً**): أي لأجل السَّفه الذي له مفعول من أجله. والسَّفَهُ مصدر سَفِهَ سَفَهَاً، من باب تَعِبَ، وسَفُهَ بالضم سَفَاهَةً، فهو سَفِيه. والسَفَهُ: نقصٌ في العقل، وأصله: الخفَّة. وسَفِهَ الحقَّ جَهِلَه، كذا في المصباح. فإنّ لوم المحبِّين الإلهيّين من كمال الجهل بالحقّ، وهو زيادة

(١) في (ق): أحببتَ.

نقص في العقل. وإنّ جهل اللائم أحوال المحبّين، لأنّه منهيّ شرعاً عن التعرض لما لا يعلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [١٧/الإسراء/٣٦] وإذا انتفى العلم لم يكن إلّا الظنّ أو الجهل، وهو منهي عن متابعتهما قال تعالى:﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [٥٣/النجم/٢٨]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [٤٩/الحجرات/١٢] إلى غير ذلك من الآيات. وقوله (كُفَّ): فعل أمر بفتح الفاء، أي: اترك. وقوله (المَلام): مفعول كُفَّ. وقوله (**فلو أنصفت**): وفي نسخة (**فلو أنصفت**): أي عشقت مثلي، قال في القاموس: «أَنْصَفَ: سار نصف النهار، وأَنْصَفَ النهار: بَلَغ النِّصْفَ، وأنصف الشيء: أخذ نصفه. وأنصف فلان: أسرع. وانتصف منه: استوفى حقّه منه كاملاً حتّى صار كلّ على النَّصَف، سواء كاسْتَنْصَفَ منه. وتناصفوا: أَنْصَفَ بعضُهم بعضاً. وقوله (**لم تلم**): أي لم تلمني، قال الشاعر:

ولم تـزل قلّـة الإنـصاف قاطعـة بـين الرجـال ولـو كـانوا ذوي رحم

١١- وَحُرْمَةُ الوَصْلِ وَالوِدِّ العَتِيْقِ وَبِالـ ـعَهدِ الوَثِيـقِ وِمَـا قَـدْ كَـانَ فِي القِـدَمِ

١٢- مَاحُلْتُ عَنْهُم بِسُلْوَانٍ[1] وَلَا بَدَلٍ لَـيْسَ التَبـدُّلُ وَالـسُّلْوَانُ مِـنْ شِـيَمِي

(**وحُرمَةُ الوَصْلِ**): الواو للقسم، والحُرْمَة بالضمّ وبضمّتين، وكَهُمَزَة: ما لا يَحِلُّ انتهاكُه، والذِّمَّة، والمهابة. ومن يعظّم حرمات الله، أي: ما وَجَبَ القيام به، وحَرُمَ التفريط فيه، كذا في القاموس. والوصل: الوصول إلى لقاء المحبوب، يقال: وصل إليه وصولاً ووصالاً: بلغه، وانتهى إليه، وهو رجوع السالك بالفناء إلى حضرة العلم القديم، والإرادة والكلام الأزليّين. وقوله (**والوِدّ**): أي الحبّ بمعنى المحبّة، قال في القاموس: الوُدّ والوِداد مثلثان: الحُبُّ». وقوله (**العتيق**):

---

(١) في (ق): لسلوان.

أي القديم، وهو المحبّة الأصليّة الإلهيّة، محبّة الكائنات المشار إليها بقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] وقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً لا أُعرف فأحببت أنْ أُعرف فخلقت خلقاً تعرّفت إليهم فبي عرفوني»[1]. وقوله (**وبالعهد**): أي الموثّق. وقوله (**الوثيق**): أي المحكم، وهو عهد الربّ تعالى الذي أخذه على لأرواح في عالم الذرّ المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ / [٣١٦/ ب] ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وقوله (**وما قد كان**): أي وجد وثبت من علمه تعالى بنفسه الذي هو علمه بكلّ ما سواه. وقوله (**في القدم**): أي الأزل حيث لا زمان ولا مكان ولا أكوان. وقوله (**ما حُلْتُ**): جواب القسم، أي: ما تغيّرت عن محبّتي. وقوله (**عنهم**): أي الأحبّة السابق ذكرهم. وقوله (**بسُلوان**): يقال سَلَاه وسَلَا عنه، كدعاه ورَضِيَه، سَلْوَاً وَسُلُوّاً وسُلْوَاناً وسُلَيّاً: نَسِيَه. وقوله (**ولا بدلٍ**): معطوف على سلوان، قال في القاموس: «بَدَل الشيءِ محرّكَة، وبالكسر: الخَلَف منه، والجمع أبْدَال». وقوله (**ليس التَبَدُّل**): مصدر تَبَدَّلَهُ: اتّخَذَه منه بدلاً. وقوله في القاموس: تَبَدَّلَهُ و ـ به واستبدله و ـ به وأبدله منه وبدّله: اتخذه منه بدلاً». وقوله (**ولا السلوان**): معطوف على التبدّل. وقوله (**من شيمي**): جمع شيمة، قال في المصباح: «هي الغَريزة والطبيعة والجِبِلَّة. وهي التي خُلق الإنسان عليها، والجمع: شِيَم، مثل: سِدْرَة وسِدَر». يعني: ليس ذلك من طبيعتي؛ لأنّها مستقيمة على الفطرة التي فطر الله الناس عليها بالمجاهدة الشرعيّة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ

---

(١) ذكره العجلوني في الكشف، ٢٠١٦، بلفظ: «كنت كنزاً لا أعرف فخلقت خلقاً فعرّفتهم بي؛ فبي عرفوني»، وفي لفظ: «فتعرفت إليهم، فبي عرفوني». قال ابن تيميّة: ليس من كلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي، والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطيّ وغيرهم. وقال القاري: لكنّ معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥١/ الطور/ ٥٦]. أي: ليعرفوني، كما فسّره ابن عبّاس. انظر الكشف ٢/ ١٢٢.

﴿فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٦٩] أي: الطرق الموصلة إلينا. وإنّما عددها لتعداد طبائع الناس ومشاربهم. وأصلها: طريق واحد، وهو الاستقامة على الأمر والنهي مع الإخلاص.

١٣ - رُدُّوا الرُّقَادَ لِجَفْنِي عَلّ طَيْفَكُمُ بِمَضْجَعِي زَائِرٌ فِي غَفْلَةِ الحُلُمِ

(ردّوا): فعل أمر، خطاباً للأحبّة السابق ذكرهم. وقوله (الرُّقَاد): رَقَدَ رَقْدَاً وَرُقُوْدَاً وَرُقَادَاً: نام ليلاً كان أو نهاراً. وبعضهم يَخُصُّه بنوم اليل. والأوّل هو الحقّ، ويشهد له المطابقة في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [١٨/ الكهف/ ١٨] قال المفسّرون: «إذا رأيتهم حسبتهم أيقاظاً؛ لأنّ أعينهم مفتوحة، وهم نيام، كذا في المصباح. وهذه حالة المحبّين الإلهيّين من أصحاب كهف الإيواء والانتساب الإلهيّ، تحسبهم أيقاظاً وهم رقود؛ لأنّه تعالى ردّ عليهم رقودهم الذي كانوا فيه زمان جاهليّتهم؛ فرأوه تعالى في كلّ شيء، فأحبّوا كلّ شيء من حيث تجلّي الحقّ تعالى به عليهم بعد أن أيقظهم له، فرأوه به من حيث هو، قال ابن غانم المقدسيّ:

ومخطوبة الحسن محجوبة فلا يألفنّ السوى إلفها
إذا رام عاشقها نظرة ولم يستطع إذ علا وصفها
أعارته طرفاً رآها به فكان البصير بها طرفها

وقوله (لجفني): أي لغطاء عيني؛ فإنّ النفس البشريّة غطاء العين الحقيقيّة. وقوله (علّ): أي لعلّ، وهي كلمّة طمع وإشفاق، كذا في القاموس. وقوله (طيفكم): الطيف الخيال الذي يأتي في النوم بصورة المحبوب، قال الشاعر:

خاطبت طيف خيال زارني ومضى كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال أنست ناراً من جوانحكم يضيء منها لدى السارين قنديل
فقلت نار الهوى معنى وليس لها نور يضيء فهاذا القول مقبول
فقال نسبتنا في الأمر واحدة أنا الخيال ونار الشوق تخييل

وهذا الطيف هو ما يقع في الخيال حالة الجهل بالله من المعاني، وهو آلة المعتقدات الذي وسعه قلب عبده المؤمن، وهو المناظر العلا التي يشير إليها الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه بقوله:

ليت شعري هل دروا أيَّ قلب ملكوا /[٣١٧/ أ]

وفؤادي لوردي أيَّ شعب سلكوا

أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا

حار أرباب الهوى في الهوى وارتبكوا

وذكر في شرحه أنّهم المناظر العلا، إلى آخر كلامه قدّس الله سرّه. وارتباك أهل الهوى أنّهم متى نزهوا فاتتهم تلك المناظر العُلا؛ فهم حائرون بين التنزيه والتشبيه، وهو قوله قدّس الله سرّه:

فنزّهه وشبّهه وقم في مقعد الصدق

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٤] وهم الذين اتقّوا ربّهم بنفوسهم، فنسبوا إليها كلّ ما وجدوه فيهم، ونزّهوا ربّهم عمّا يظهر لهم فيهم، ثمّ يعودون إلى إثباته، فيشبّهونه بكلّ ما يظهر لهم فيهم، فيتّقون نفوسهم من النسبة إليها، فتزول عنهم نفوسهم تارة، وتثبت لهم نفوسهم تارة أخرى، فهم في الحيرة والارتباك، بسبب دعوى المحبّة حتّى يصلوا إلى مقام المحبوبيّة، وهي الميراث المحمّدي، والسرّ الأحمديّ، قال تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٤] وهي العلوم الإلهيّة الجارية في قلوبهم. وقال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٥] وهي انكشاف نفس الأمر لهم من غير التباس عليهم. وقال تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٥] وهو الذي يخلق بالأسباب، والقادر الذي يخلق بلا أسباب. وقوله (بمَضْجَعي): قال في المصباح: «المَضْجَع بفتح الميم والجيم: موضع الضُّجُوع، الإلقاء على الجنب». كناية عن النوم؛ فالمضجع: المكان الذي ينام فيه الإنسان. وقال في القاموس:

«المَضْجَع، كمقعد: موضع الضُّجُوع، يُقال: ضَجَع جنبه بالأرض». كناية عن محلّ طبعه وعادته. وقوله (زائر): بالرفع، خبر عَلَّ، واسمها طيفكم، بالنصب، وضمّ الميم في طيفكم لاستقامة الوزن، وإنّما جعله زائداً، ولم يجعله ساكناً لتحوّله في كلّ وقت، لأنّه معنى عرضي على علم منه بذلك. وقوله (في غفلة الحُلُم): بالضمّ وبضمّتين: الرؤيا، والجمع: أحلام، كذا في القاموس كما ورد: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[1]. والموت الاختياري كالموت الاضطراري يوجب الانتباه من نوم الغفلة، وهي الدعاوى النفسانيّة:

١٤-آهَـاً لِأيامِنَـا بِـالخِيفِ لَـوْ بَقِيَـت   عَـشْرَاً وَوَاهَـاً عَلَيْهَـا كَيْـفَ لَمْ تَـدُمِ

١٥- هَيْهَـاتِ وا أَسَـفِي لَـوْ كَـانَ يَنْفَعُنِـي   أَوْ كَانَ يُجْدِي لَهَا مَـا فَـاتَ وا نَـدَمِي

(**آهاً**): بالمدّ منصوباً منوناً: كلمة توجّع وشكاية، قال في القاموس: «آهِ، يعني بالتشديد: أهَّاً وأهَّةً: توجّع الكئيب، وفي نسخة واهاً، وهي كلمة تعجّب من طيب شيء، أو كلمة تلهّف». وقوله (**لأيامنا**): جمع يوم، وأضافها إليه ولمن معه؛ لأنّه دائم القصد والتوجّه إلى حضرة الحقّ تعالى، وإلى بيته القلب العامر بذكره سبحانه، وهو الحج المعنوي الذي هو المقصد الأعلى للعارفين المحقِّقين. والحج الظاهر عندهم إشارة إليه. وقوله (**بالخيف**): أي خِيف منى، قال في القاموس: «الخِيف: الناحية، وما انحدر عن غِلَظ الجَبَل، وارتفع عن مسيل الماء، وكلّ هبوطٍ وارتقاءٍ في سفح جبل، وغُرَّة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس، وبها سُمِّي مسجد الخيف. أو لأنّها ناحية من منى، أو لأنّها في سفح جبل. كناية هنا عن سفح جبل الجسم المُنجَبِل من الطبائع والعناصر. وقوله (**لو بقيت عشراً**): أي: عشر ليال؛ إذ لو أراد بقاء الأيام لقال عشرة، وهي ثلاثة أيام بثلاث ليال تكون في وادي منى للحاجّ، إشارة إلى ثلاث ليالي النشأة الإنسانيّة: ليلة الجسم، وليلة

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

النفس، وليلة العقل. وفي آياتها الثلاث: رمي جمار الصفات السبع: الحياة والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. جمرة العقبة العقليّة، والجمرة الوسطى النفسانيّة، وجمرة مسجد الخِيف/ [٣١٧/ ب] الجسمانيّة حتّى تزول. ودعوى الصفا ت بالكلِّيّة، وتمنِّي بقائها عشر ليال؛ ليتكرر له ذلك الرمي، فيرسخ فيه. وقوله (**وواهاً**): بالتنوين هنا قال في القاموس: «واهاً له، ويترك تنوينه، كلمة تعجّب من طيب شيء، وكلمة تلّهف عليه». وقوله (**عليها**): أي على تلك الأيام، إشارة إلى أنّها هنا كلمة تلهّف، لا تعجّب؛ لأنّه لا يقال: تلهّف عليه. وقوله (**كيف لم تدم**): قال في القاموس: «الغالب في كيف أنْ تكون استفهاماً، إمّا حقيقياً ككيف زيد، أوغيره: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨] فإنّه أُخرج مخرج التعجّب. وقال الشاعر:

كيــف ترجــون ســقاطي بعــدما جَلَّــل الــرأس مــشيب وصــلع

فإنّه أُخْرِج مَخْرَج النفي». وهي هنا للتعجّب من عدم دوامها، مع أنّ دوامها بتكرار أمثالها هو المعهود له من صنع الباري تعالى، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٠٤] أي: نحن فاعلون الآن، ولكنّهم غافلون عن فعلنا. وقوله (**هيهات**): معناها البعد. وقوله (**وا أسفي**): كلمة ندبة، والأَسَف بالتحريك أشدّ الحزن، أَسِفَ كفَرِح، كذا في القاموس. وقوله (لوكان): أي الأسف. وقوله (ينفعني): جملة في محلّ نصب خبر كان. وقوله (**أو كان**): معطوف على كان الأولى. وقوله (**يُجدي**): بالضمّ من أجدى يقال: ما أجدى فعله شيئاً، أي: ما أغنى، كذا في المصباح. وقوله (**على ما فات**): أي من تلك الأيام والليالي المذكورة، حيث كانت لذاتها مشهودة مشهورة. وقوله (**وا ندمي**): بحرف الندبة الممدود، فاعل يجدي، ويصح أنْ يكون فاعل ينفعني وفاعل يجدي على التنازع.

١٦- عَنِّي إِلَيْكُم ظِبَاءَ المُنْحَنَى كَرَمَاً   عَهِدْتُ طَرْفِيَ لَمْ يَنْظُرْ لِغَيْرِهِمِ

(عنّي): إليكم بمعنى تنحّوا وتباعدوا عنّي. وقوله (ظباء المنحنى): منادى مضاف حُذف منه حرف النداء تخفيفاً، وتقديره: يا ظباء المنحنى. والظباء: جمع ظبي، يعمُّ الذكور والإناث، مثل: سَهْم وسِهَام، والمنحنى: اسم موضع. كناية عن حضرات الأسماء والصفات من حيث أعيان الأغيار؛ فإنّها تنزُّلات الذات الأقدس وتدليّاته. وكونها ظباء لنفورها عن البقاء؛ لأنّها آثار عرضيّة لا بقاء لها إلّا بتكرار الأمثال. وقوله (كرماً): مفعول لأجله، أي: تنحّوا عنّي وتباعدوا إكراماً منكم لي. والمعنى: إذهاب المغايرة منهم للحضرة الظاهرة بهم. ولهذا قال: (عهدت طرفي): أي عيني الباصرة. وقوله (لم ينظر لغيرهم): أي لغير هؤلاء الظباء المذكورين. يعني: من حيث أنّهم تجلّيات إلهيّة، ومظاهر ربّانيّة؛ فإنّهم الأحبّة السابق ذكرهم؛ فإنّ كلّ عين إذا وقعت عليها نقطة الوهم صارت غيناً، والغين عين الحجاب.

١٧- طَوْعَاً لِقَاضٍ أَتَى فِي حُكْمِهِ عَجَبَاً   أَفْتَى بِسَفْكِ دَمِي فِي الحِلِّ وَالحَرَمِ

١٨- أَصَمَّ لَمْ يُصْغِ لِلشَّكْوَى وَأَبْكَمَ لَمْ   يَحِرْ جَوَابَاً وَعَن حَالِ المَشُوْقِ عَمِي

(طوعاً): مفعول لأجله لقوله في البيت قبله (عهدت طرفي) لم ينظر لغيرهم لأجل طاعته وقوله: (لقاض): تنكيره لتعظيمه، وهو القاضي الذي هو الهوى. بمعنى المحبّة والشوق الملازم. وقوله (أتى): أي ذلك القاضي. (في حكمه): أي على العاشقين. وقوله (عجباً): أتى، أي: أمراً عجباً، يعجب من كلّ من سمعه أو رأه. وقوله (أفتى): أي قبل حكمه عليَّ بما أفتى به، إشارة إلى أنّ ما حكم به كان/ [٣١٨/ أ] من علم منه، وأفتاه به للغير. وقوله (بسفك دمي): أي بإباحة ذلك. وقوله (في الحلّ): وهو ما خرج عن حرم مكّة المشرّفة. وقوله (والحرم): أي حرم مكّة، وهو حرم الله، وحرم رسوله، وله حدود معروفة، ومن دخله كان آمناً

حتّى لا يقتل صيده، ولا يرعى حشيشه، كما بسطه الفقهاء في عملهم. ولعمري فإنّ الهوى قاض جائر، كلّ عقل في حكم حائر، لا يعبأ بكبير، ولا يشفق على صغير، يبيح دماء الأحرار، ويهتك أستار الأخيار، قال الشاعر:

حامل الهوى تعب	يستفزّه الطرب
إنْ بكى يحقّ له	ليس ما به لعب
تضحكين لاهية	والمحبّ ينتحب
تعجبين من سقمي	صحّتي هي العجب

وقوله (أصمَّ): أي هو أصمّ. وقوله (لم يُصْغِ): بالفتح، من صَغَى إلى كذا يَصْغَى، بفتحتين: مال. قال في المصباح: صَغَيْتُ إلى كذا: أَصْغَى بفتحتين: مِلْتُ، أو بالضمّ، من أَصْغَيْتُ الإناءَ بالألف: أَمَلْتُهُ. وأَصْغَيْتُ رأسي وسمعي كذلك». وقوله (للشكوى): أي شكوى أحد له، لأنّه أَصَمّ لا سمع له؛ فلا يلتفت إلى شكاية، ولا تعمل به نكاية. وقوله (وأَبْكَمَ): بيّنُ البَكَمِ، محرّكة: الخَرَس كالبَكَامَة، أو مع عَيٍّ وبَلَهٍ، أو أن يولد لا ينطق، ولا يسمع، ولا يبصر، بَكِمٌ، كفرح؛ فهو أَبْكَم وبَكِيْم، كما في القاموس. وقوله (لم يُحِرْ جَواباً): يُحِر: بضمّ الياء التحتيّة وكسر الحاء المهملة، مضارع مجزوم بلم، أي: لم يرد، قال في القاموس: وما أَحَارَ جواباً: ما رَدَّ». فإنّ الأَبْكَمَ لا يقدر على ردّ الجواب، لأنّه ليس من أهل الخطاب». وقوله (وعن حال المَشُوقِ): أي صاحب الشوق إلى الأحباب، وما هو فيه من الأوصاف والاكتئاب. وقوله (عَمِي): صفة مشبّهة من العمى، عَمِيَ كرَضِيَ عمَي: ذهب بصره كلّه. والعَمَى أيضاً ذهاب بصر القلب». كذا في القاموس. أي: لا يبصر أحوال العشّاق، وما يكابدونه من الأشواق.

خَفِّفِ السَّيْرَ وَاتَّئِدْ يَا حَادِي

[الخفيف]

وقال الناظم قدّس الله سرّه:

١ - خَفِّـفِ الـسَّيْرِ وَاتَّئِـدْ يَـا حَـادِي   إِنَّــمَا أَنْــتَ سَــائِقٌ بِفُــؤَادِي[1]

(**خفف**): فعل أمر، خَفَّ الشيء خَفّاً من باب ضرب، وخِفَّة ضدّ ثُقُل؛ فهو خفيف، وخَفَفْتُهُ بالتثقيل: جعلته كذلك، كما في المصباح. وقوله (**السير**): كناية عن السلوك بالروحانيّة في طريق والأذواق الوجدانيّة، وهي الجذبة الإلهيّة، لأنّه لا بدّ منها في تحقيق معرفة الحضرة الربّانيّة؛ إذ لا يمكن الوصول إليه تعالى إلّا به سبحانه وتعالى لا بالنفس. وقد أمر بتخفيف السير ليكمّل التحقيق في المقامات، وتتمكّن الروحانيّة، من أنواع المنازلات؛ فإنّ الجذب الشديد يدهش البصائر، ويذهل العقول عن كمال إدراك الأسرار بالسرائر. وقوله (**واتَّئِد**): فعل أمر بمعنى ارفق، قال في القاموس: «التَّيد: الرِفْق، يقال: تَيْدَكَ يا هذا، أي: اتَّئِد. وتَيدَكَ زيداً، أي: أمهله، إمّا مصدر والكاف مجرورة، أو اسم فعل والكاف للخطاب. وقول ابن مالك: لا يكون إلّا اسم فعل». وقوله (**يا حادي**): يقال حَدَوْتُ بالإبل أَحْدُو حَدْوَاً: حَثَثْتُهَا على السَّير بالحُدَاء، مثل: غُراب، وهو الغناء لها، كذا في المصباح. كناية عن المتكلِّم الحقّ، الروح الأعظم، والنور المحمّدي المفحم،المخلوق من نوره كلّ شيء، الذي أنزل الله تعالى منه عليه الكتبَ، وأرسل الرسل يدعون إليه بإذنه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [٣/آل عمران/١٩٣] الآية. والمنادي هو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقد ورد في بعض الكتب الإلهيّة المنزلة: «لقد غنيت لكم فلم ترقصوا»، حتّى قال الشيخ عبد الهادي

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه».

السودي قدّس الله سرّه من أبيات له:

لقد غنّى الحبيب لكلّ صبّ ... فأين الراقصون على الغناء

أيشدو من تحبّ وأنت لاه ... وترضى بالقساوة والغباء/ [٣١٨/ ب]

وقوله (إنّما أنت): خطاب للحادي. وقوله (سائق): من سُقْتُ الدّابةَ أَسُوقُها سَوْقاً. والمفعول: مَسُوق على مَقُول، كذا في المصباح. وقال في القاموس: سَاق الماشِيةَ سَوْقاً وسِيَاقَةً ومَسَاقاً واسْتاقَها فهو سَائق وسَوَّاق، والسائق يكون من ورائها، كما أنّ القائد يكون من أمامها ، وجعله سائقاً، من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وليس الوراء هنا بمعنى الجهة؛ لأنّ المحيط بالشيء يكون من جميع جهاته؛ بل محيط بجهاته. وقوله (بفؤادي): متعلّق بسائق، أي: بقلبي، وهو أمره النازل بالأرواح على القلوب والأشباح.

٢- ماَ ترَى العِيسَ بَيْنَ سَوْقٍ وَشَوْقٍ ... لِرَبِيعِ الرُّبُوعِ غَرْثَى صَوَادِي

٣- لَمْ تُبَقِّ لَهَا المَهَامَهُ جِسْمَاً ... غَيْرَ جِلْدٍ عَلَى عِظَامٍ بَوَادِ

٤- وَتَحَفَّتْ أَخْفَافُهَا فَهْيَ تَمْشي ... مِنْ وَجَاهَا فِي مِثْلِ جَمْرِ الرَّمَادِ

٥- وَبَرَاهَا الوَنَى فَحَلَّ بُرَاهَا ... خَلِّهَا تَرْتَوِي ثِمَادَ[1] الوِهَادِ

٦- شَفَّهَا الوَجْدُ إنْ عَدِمْتَ رِوَاهَا ... فَاسْقِهَا الوَخْدَ مِنْ جِفَارِ المِهَادِ[2]

٧- وَاسْتَبِقْهَا وَاسْتَبْقِهَا فِهْيَ مِمَّا ... تَتَرَامَى بِهِ إلِى خَيْرِ وَادِ

(ما ترى): أصله أما ترى، فحذفت الهمزة تخفيفاً. وإمّا معناها العرض، بمنزلة ألا. والخطاب للحادي. وقوله (العيس): هي إبل بيض، في بياضها ظلمة خفيَّة. الواحدة: عَيْساء، كذا في المصباح. كناية عن نفوس السالكين التي ابْيَضَّ طرف منها بلمحات الروحانيّة. وقوله (بين سوق): مصدر ساق الدابّة يَسُوقُها سَوْقاً.

---

(١) الشطرة الثانية في (ق): خلّها ترتعي ثُمامَ الوهاد.

(٢) في (ق): الوخد مكان الوجد، والوجد مكان الوخد.

وقوله (**وشَوْقِ**): هو شِدَّة نِزاع النفس إلى الشيء، قال في المصباح: «الشوق إلى الشيء نزاع النفس إليه، وهو مصدر شَاقَنِي الشيءُ شَوْقاً، من باب قال». وقوله (**لِرَبيعِ**): الربيع فصل من فصول السنة. وقوله (**الرُّبوع**): جمع رَبْع، وهو مَحَلَّةِ القوم ومنزلهم. كناية عن مقامات العارفين ومنازلهم، ومنازلاتهم، وما يجدون فيها من الحقائق والعلوم. وقوله (**غَرْثَى**): بالغين المعجمة والثاء المثلثة، غَرِثَ، كفرح: جاع فهو غَرْثَان، مِنْ غَرْثَى، كذا في القاموس. وقوله (**صوادي**): جمع صادٍ بالصاد المهملة، من صَدِيَ صَدَىً، من باب تعب: عَطِشَ، فهو صَدٍ وصَادٍ وصَدْيَان، كما في المصباح. وقوله (**لم تُبَقِّ**): بتشديد القاف مكسورة، قال في المصباح: «بَقِيَ من الدَّيْنِ كذا: فَضَلَ، وتَأَخَّرَ، وتَبقّى مثله. والاسم البقيّة». وقال في القاموس: «بَقِيَ يَبْقَى بَقَاءً وبَقْيا: ضد فَنِيَ. وأبْقَاهُ وبَقَّاهُ وتَبَقَّاه واسْتَبْقَاه». وقوله (**لها**): أي للعيس المذكورة. وقوله (**المَهَامِهُ**): فاعل تبقّى: جمع مهمهة، قال في القاموس: «المَهْمَهُ والمَهْمَهَةُ: المفازة البعيدة، والبَلَدُ المُقْفِر، والجمع: مَهَامِه». كناية عن منازل السائرين إلى الله تعالى، فإنّهم يجِدون في طريق سيرهم أحوالاً، وتنكشف لهم أمور لا يشاركهم فيها أحد من الغافلين، فهي مقفرة من الواجدين، ولهذا ينكرها عليهم أهل الغرور بالدنيا، كما ورد في حديث علي رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلّا العلماء بالله، فإذا قالوه لا ينكره إلّا أهل الغرّة بالله»[1].

وقوله (**كهيئة المكنون**): أي ليس هو بمكنون؛ بل هو ظاهر، ولكن البصائر والأبصار مصروفة عنه، كما قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٦] يعني: يتكبّرون بالباطل، أي: بسبب الباطل من الأموال، والجاه، والمناصب الفانية، والأحوال المضمحلّة. وقوله (**جسماً**): مفعول تُبَقِّي لأنّها تسقمه وتمرضه بتراكم البلاد، وتزاحم المؤذيات. وقوله (**غير**):

(١) أخرجه الديلميّ في الفردوس، ٨٠٢، عن أبي هريرة. وقال الحافظ العراقيّ في تخريج أحاديث الإحياء: «رواه أبو عبد الله السلميّ في الأربعين له بإسناد ضعيف. انظر الجامع الصغير للسيوطيّ.

بدل من (جسماً). وقوله (جلد على عظام): جمع عظم، وهو قصبة الحيوان الذي عليه/[٣١٩/أ] اللحم، كذا في القاموس. كناية عن القوى النفسانيّة. وقوله (بوادي): جمع بادي، من بَادَ يَبِيْدُ بَيْداً وبُيُوداً: هَلَكَ، ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أَبَادَه الله، كذا في المصباح. وقوله (وتَحَفَّتْ): بتشديد الفاء وبالحاء المهملة، من حَفِيَ الرجلُ من باب تعب، حَفاء، مثل سلام: مشى بغير نعل ولا خُفّ، فهو حَافٍ. والجمع: حُفُاة، مثل: قاضٍ وقضاة. والحِفاء بالكسر والمدّ: اسم منه. وحَفِيَ من كثرة المَشْي حَتّى رقَّت قدمه حَفَىً، فهو حَفٍ، من باب تعب أيضاً، كما في المصباح.

وقوله (أخفافها): جمع خُفّ، قال في المصباح: «خُفُّ البعير جمعه: أخفاف، مثل: قفل وأقفال». وقال في القاموس: «الخُفُّ بالضمّ: مجمع فرسن البعير، وقد يكون للنعام، والخفّ لا يكون إلّا لهما. والجمع: أخفاف». وذلك كناية عن ترك النفوس التعلق بالأسباب الدنيويّة. وقوله (فهي): أي العيس المذكورة. وقوله (تمشي من وجاها): بالجيم، والضمير للعيس. والوَجَى: الحَفَا، أو أشدّ منه. وَجِيَ كرضيَ، وَجَىً،فهو وَجٍ، وهي وَجْيَاء، كذا في القاموس. يعني: سيرها في الأمور الدنيويّة والمصالح المعاشيّة ممهِّدة تركها للأسباب، وتباعدها عنها. وقوله (في مثل جمر الرماد): أي رماد النار، والجمر جمع جمرة، وهي القطعة الملتهبة من النار، وذلك لصعوبة الأمور عليها، وتعذّر حصولها من غير معاطاة أسبابها. وقوله (وَبَرَاها): أي العِيس المذكورة، من بَرَيْتُ القلمَ بَرْيَاً، من باب رَمَى، فهو مَبْرِيٌّ، وبَرَوْتُه، لغة، كذا في المصباح. وقوله (الوَنَى): بالواو والنون محرّكة: الضعف والفتور، قال في المصباح: «وَنَى في الأمر وَنَىً ووَنْيَاً، من بابَيْ تعب ووعد: ضَعُفَ وفَتَرَ، فهو وانٍ. وقوله (فحلّ): من حَلَلْتُ العُقدة حَلّاً، من باب قتل، كذا في المصباح. وقوله (بُراها): بضمَ الباء الموحّدة، جمع بُرَة، هي حَلْقَة تُجْعَل في أنف البعير، تكون من صُفْرٍ، ونحوه. والخِشَاش من خشب. والخِزامَة من شَعْر، والجمع: بُرُون على غير قياس. وأَبْرَيْتُ البعيرَ بالألف: جعلت له بُرَّة، كذا في المصباح. وحلّ البُرا كناية عن رفع القيود الطبيعيّة والشهوات النفسانيّة.

وقوله (**خلّها**): بتشديد اللام، فعل أمر بمعنى اتركها. والخطاب للحادي السابق ذكره. والضمير للعيس المذكورة. وقوله (**ترتوي**): مضارع رَوَّيْتُه فارْتَوَى من الماء وتَرَوَّى من رَوِيَ من الماء يَرْوَى رَيًّا، والاسم: الرِّيّ بالكسر فهو رَيَّان، والمرأة: رَيّا، وِزَان: غَضْبَان وغَضْبَى. وقوله (**ثِمار**): بالثاء المثلّثة، قال في القاموس: «الثَّمْد ويُحَرَّك، وكَكِتاب: الماء القليل، لا مادّة له، أو ما يبقى في الجليد، أوما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف». وقوله (**الوهاد**): جمع وَهْدَة، هي الأرض المنخفضة كالوَهْدَة، والجمع: أَوْهُد، وَوِهَاد، وَوُهْدَان، والهُوَّةُ في الأرض، كذا في القاموس. يعني: يا أيّها الحادي اترك عين النفوس تشرب وتزيل عطشها من ماء المطر الذي هو ماء الإلهام الربّانيّ الذي يقع على الأعراض الجسمانيّة المنخفضة، والهوّة الترابيّة الطبيعيّة. وفي النسخة الأخرى خلّها ترتعي ثمام الوهاد. من رَعَت الماشية تَرْعَى رَعياً؛ فهي راعية: إذا سَرَحَتْ بنفسها، كما في المصباح. وقال في القاموس: «رَعَتِ الماشيةُ تَرْعَى رَعْياً ورِعَايَة، وارْتَعَتْ وتَرَعَّتْ ورَعَاهَا وأَرْعَاهَا». وقوله (**ثُمام**): بضمّ الثاء المثلّثة. قال في القاموس: «الثُّمام واليَثْمُوم كغُراب، ويَنْبُوت: نَبْتٌ معروف، وقد يُستعمل لإزالة البياض من العين، واحدته بهاء. وبيت مَثْموم: مغطّى به، ويقال لما لا يَعْسُر تناوله: (على طرف الثمام) لأنّه لا يطول». والمعنى: اتركها يا أيّها الحادي/ [٣١٩/ ب] تستعمل ما تجده من كثائف المعاني وزخارف العَرَض الفاني؛ لأنّ المزعج من دواعي الجذبة الإلهيّة شديد، والخاطف من الاستيلاء الربّاني ما عليه من مزيد لنفوذ الأقدار السابقة، والسعادة الأزليّة اللاحقة، بحيث لا يمنع منها مانع، ومن ذا يخلص الصنعة الواقعة في يد الصانع. وقوله (**شفّها**): بتشديد الفاء، والضمير للعيس المذكورة، قال في القاموس: «شَفَّ جسمه شُفُوفاً: نَحُلَ. وشَفَّه الهَمُّ: هَزَلَه». وقوله (**الوجد**): زيادة الحبّ والحزن الشديد، قال في القاموس: «وَجَدَ بِهِ وَجْداً في الحُبّ فقط، وكذا في الحزن، لكن بكسر ماضيه». وقوله (**إنْ عَدِمْتَ رِوَاها**): إنْ بكسر الهمزة: شرطيّة، والخطاب للحادي المذكور. (**ورِواها**): بكسر الراء وفتحها، قال في القاموس:

«ماء رِواء [ورَوِيّ ورَوَاء] كَغَنِي وسماء: كثيرٌ مُرْوٍ». والمعنى: إنْ عدمت ما ترويها به من الماء، بمعنى العلم الإلهيّ لعدم استعدادها لقبوله. وقوله (**فاسقها**): فعل أمر، والضمير للعيش المذكورة. وقوله (**الوَخْد**): بالخاء المعجمة: الإسراع للبعير، أو أنْ يرمي بقوائمه كمَشْيِ النعام. أو سَعَة الخَطْوِ كالوَخْدَان والوَخِيد، وقد وَخَدَ كوَعَدَ فهو وَاخِد، ووَخَّاد ووَخُود»، كذا في القاموس. وذلك كناية عن المجاهدة في الحقّ، والمكابدة في العبادة مع الإخلاص والتقوى. وقوله (**من جِفَار**): بالجيم والفاء، جمع: جَفْر، وهو البئر لم تُطْوَ، وهو مذكّر. والجمع: منه جِفَار، مثل: سَهْم وسِهَام، كما في المصباح. وقوله (**المِهاد**): بكسر الميم: الأرض الموطّأة الممهّدة، شبيهة بالبساط ، قال في القاموس: «المِهاد ككتاب: الفراش. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾ [٧٨/ النبأ/ ٦] أي بساطاً ممكناً للسلوك. وقال في المصباح: «المَهْد معروف، وجمعه: مِهَاد، مثل: سهم وسهام. والمَهْد والمِهَاد: الفِراش». كنّى بذلك عن الطبيعة ومقتضياتها من الأخلاق البشريّة. وقوله (**واسْتَبِقْها**): بكسر الباء الموحّدة وسكون القاف: فعل أمر، خطاب للحادي المذكور. والضمير للعِيس المذكورة، قال في المصباح: «سَابَقَه مُسَابَقَةً وسِبَاقاً، وتَسَابقوا إلى كذا، واستبقوا إليه». وقال في القاموس: «اسْتَبَقَا تَسَابُقَاً، واسْتَبَق الصِراط: جاوزه وتركه». يعني: اسبق بها إلى مواطن الخير، ومواسم العبادات والطاعات. وقوله (**واسْتَبْقِهَا**): بفتح التاء المثناة الفوقيّة وسكون الباء الموحّدة وكسر القاف: فعل أمر من البقاء، ضدّ الفناء، قال في القاموس: «أَبْقَاهُ وبَقَّاهُ وتَبَقَّاهُ واسْتَبْقَاه». والمعنى: أنْ ترَفَّقْ بها، وأُلْطِفْ في مسابقتك بها إلى الخيرات، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [٢٢/ الحج/ ٧٨] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «يسِّروا ولا تعسّروا وبشِّروا ولا تنفّروا»[1]. وقوله

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كان النبيّ يتخوّلهم بالموعظة، ٦٩، كما أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، ١٢٦٦٧، بلفظ: «يسّروا ولا تعسّروا، وسكّنوا ولا تنفِروا».

(**فهي**): أي العيس المذكورة. وقوله (**ممَّا**): أي من العيس التي. وقوله (**تترامى به**): أي ترمي بنفسها في السير المفهوم من الكلام، أو الضمير للاستباق في قوله (**اسْتَبِقْهَا**): يقال ترامت الإبل بفلان إذا كانت تتسابق في رميه، وترامت في السير إذا تسابقت فيه. وقوله (**إلى خير وادي**): وهو مكّة المشرّفة حضرة الأسماء الإلهيّة، والصفات الربّانيّة المشتملة على كعبة الذات الصمدانيّة؛ لأنّها المقصود بالحجّ الروحانيّ في السير الإنسانيّ.

٨- عَمْـرَكَ الله إنْ مَـرَرْتَ بِـوَادِي يَنْبُـعٍ فَالـدَّهْنَا فَبَـدْرٍ غَـادَي

(**عَمْرَك الله**): يقال: عَمَرَهُ الله يَعْمُرُهُ، من باب قتل، وعَمَّرَهُ تَعْمِيراً، أي: أطال عُمْرَهُ. وتدخل لام القَسَم على المصدر المفتوح، فيقال: لَعَمْرُك لأفعلنّ. والمعنى: وحياتِك وبقائِك/[٣٢٠/أ] كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «أَطالَ اللهُ عُمْرَكَ وعَمْرَكَ ـ يعني بضمّ العين المهملة، وفتحها، والميم ساكنة فيهما ـ وهما وإنْ كانا مصدرين بمعنىً، إلّا أنّه استُعْمِل في القسم أحدهما، وهو المفتوح. فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء فقلت: لَعَمْرُ الله. واللام لتوكيد الابتداء. والخبر محذوف، والتقدير: لَعَمْرُ الله قَسَمي، ولَعَمْرُ الله ما أقسم به. فإنْ لم تأتِ باللام نصبته نصب المصادر فقلت: عمْرَكَ الله ما فعلت كذا، وعَمَرَكَ الله ما فعلت كذا. ومعنى لَعَمْرُ الله وعَمْرُ الله: أحلف ببقاء الله ودوامه عزّ وجلّ؛ فإذا قلت عَمْرَكَ اللهَ فكأنّك قلت بتعميرك اللهَ، أي: بإقرارك له بالبقاء، وقال عمر بن أبي ربيعة:

يا أيّها المنكح الثريّا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

يريد: سألتُ الله أنْ يطيل عُمْرَكَ، لأنّه لم يرد القسم بذلك». وهنا يحتمل في كلام الناظم إرادة القسم، فينصب لفظ الجلالة، أو إرادة الدعاء له فيرفع. والخطاب للحادي بالمعنى السابق المكنّى به عن النور المحمّديّ، والسرّ الأحمدي، والمادّة الشاملة، وهيولى الكلّ الكاملة، والروح الربّانيّ، والنفس الرحمانيّ الظاهر

ذلك في الصور الكونيّة، والأشكال الإنسانيّة؛ فإنّها الحقيقة المحمّديّة في الحضرة الفرديّة. والمنادى الإلهيّ الداعي به إليه في شأني الآمر الناهيّ. وقوله (إنْ مررت): بالتنزُّل فيما هو متنزّل به، وسمّاه مروراً لعدم بقائه فيه، لأنّه كلمح بالبصر كما يعرفه العارفون، ويتحقّق به المتحقِّقون، بطريق الذوق، والوجدان، والكشف، والعيان في جملة الأكوان. وقوله (بوادي يَنْبُعَ): على وزن يَنْصُرَ، حصن به عيون ماء ونخيل وزرع بطريق الحاجّ المصريّ، وهما ينبعان: ينبع البحر، وينبع النخل. والمشار به هنا ينبع النخل. وأمّا ينبع البحر فإنّه على ساحل البحر المالح، وليس هو على طريق الحاجّ المصريّ، وليس فيه ماء حلو، وإنّما يُجلب إليه من مسافة. وفيه حصن، وناس ساكنون بأهلهم. وله قاضٍ، وحاكم على الاستقلال من أعمال المدينة المنورّة؛ وإنّما ينبع النخل المذكورعامر بالبيوت والناس المقيمين فيه. ويطل عليه جبل يقال له: رَضْوَى بفتح الراء، وهو كناية عن حضرة الأمر الإلهيّ الذي قال به كلّ شيء، وهو المستولي على هذا الحادي المُشار إليه في كلامنا، وهو الغالب عليه، وهو وادٍ من حيث نزوله بالاستيلاء والاحتواء، والمرور به فيه كلمح بالبصر. وقوله (فالدَّهنا): بالقصر، والدال المهملة: اسم موضع لتميم بنجد. واسم دار الإمارة بالبصرة. وموضع أمام ينبع جهة الحجاز، وقال في الصحاح: «الدَّهْناءُ: موضع ببلاد تميم، يمدّ ويقصر ، وينسب إليه دهناوي». وهو كناية عن النفس الكليّة المسمّاة في لسان الشرع باللّوح المحفوظ. ومرور الحادي بها استيلاؤه عليها؛ لأنّها نفسه المنتقش فيها كلّ ما ينزل به الأمر عليها من حضرة العلم بالكلام القديم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظِۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠-٢٢].

وقوله (فبدرٍ): اسم موضع بين مكّة والمدينة على منتصف الطريق تقريباً، وعن الشعبي أنّه اسم بئر هناك، قال: وسُمِّيت بدراً لأنّ الماء كان لرجل من جهينة اسمه بدر. وقال الواقدي: «كان شيوخ غفار يقولون: بدر ماؤنا ومنزلنا، وما ملكه

أحد قبلنا، وهو من ديار غِفار، كذا في المصباح. كنّى بذلك عن الطبيعة الكلّيّة قبل أنْ تصير أربعاً: حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة؛ فإنّ ابتداء الإيهام في الجمود منها، وهي نظير البدر القابل لظهور نور الشمس فيه؛ فكلّ ما هو منتقش في النفس الكليّة ظاهر في هذه الطبيعة بوجه الإجمال/ [٣٢٠/ ب] وقوله (غادي): بالغين المعجمة: اسم فاعل من الغُدُو، نقيض الرَوَاح، وقد غَدَا يَغْدُو غُدُوّاً. وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٦] أي بالغَدَوات، فعبّر بالفعل عن الوقت كما يقال: أتيتك طلوع الشمس، أي: وقت طلوعها. والغُدْوَةُ مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس، كذا في الصحاح. وأصله غَادياً بالنصب، حال من فاعل مررت. والوقف على المنصوب بالسكون، وهو هنا بسكون الياء، لغة ربيعة، كما يقولون: رأيت زيدْ، بسكون الدال.

٩- وَسَلَكْتَ النَّقَا فَأَوْدَانَ وَدَّا ... ـنَ إِلى رَابِغِ الرَوِيّ الثِّمَادِ

١٠- وَقَطَعْتَ الحِرَارَ عَمْدَاً لِخَيْمَا ... تِ قُدَيْسدٍ مَوَاطِنِ الأَمْجَادِ

١١- وَتَدَانَيْتَ مِنْ خُلَيْصٍ فَعُسْفَا ... نَ فَمَرِّ الظَّهْرَانِ مَلْقَى البَوَادِي

١٢- وَوَرَدْتَ الجَمُومَ فَالْقَصْرَ فَالدَكْـ ... ـنَاءَ طُرّاً مَنَاهِلَ الوُرَّادِ

١٣- وَأَتَيْتَ التَنْعِيمَ فَالزَّاهِرَ الزَّا ... هِرَ نُوْرَاً إِلى ذُرَى الأَطْوَادِ

١٤- وَعَبَرْتَ الحَجُوْنَ وَاجْتَزْتَ فَاخْتَرْ ... تَ ازْدِيَاراً مَشَاهِدَ الأَوْتَادِ

١٥- وَبَلَغْتَ الخِيَامَ فَأَبْلِغْ سَلامِي ... عَنْ حِفَاظٍ عُرَيْبَ ذَاكَ النَادِي

١٦- وَتَلَطَّفْ وَاذْكُرْ لَهُم بَعْضَ مَا بِي ... مِنْ غَرَامٍ مَا أنْ لَهُ مِنْ نَفَادِ

(وسلكتَ): بالخطاب للحادي المذكور، يقال: سَلَكْتُ الطريقَ سُلُوكاً، من باب قَعَدَ: ذهبت فيه، ويتعدّى بنفسه، وبالباء أيضاً، فقال: سَلَكْتُ زيداً الطريق، وسَلَكْتُ به الطريق، وَأَسْلَكْتُ ـ بالألف في اللزوم ـ لغة نادرة، فيتعدّى بها أيضاً، كذا في المصباح. وقوله (النَّقَا): مقصور هو في الأصل، بمعنى الكثيب من الرمل،

كما في المصباح. وهنا اسم مكان مخصوص نقا من الرمل، معروف في طريق مكّة شرّفها الله تعالى. يكنّي عن العرش المحيط في لسان الشرع والمستوى الرحماني من قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [٢٠/ طه/ ٥]. فإذا وصل إليه الحادي المذكور بالمعنى المراد لم يزد عليه في التجلّي الرحمانيّ بجميع الأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١١٠] وسمّاه نَقَا من حيث بياضه ونورانيّته، وعدم لصوق أجزائه التي في ضمنه بعضها ببعض كالرمل المتباين الأجزاء، ولنقاوته، أي: نظافته من الأغيار.

وقوله (فأودان): الفاء للعطف مع الترتيب والتعقيب من غير مهلة فيما سبق وما سيأتي من المعطوفات. وأودان: جمع وَدْن، بفتح الواو وسكون الدال المهملة وبالنون. قال في الصحاح: «وَدَنْتُ الشيءَ وَدْناً وَوِدَاناً: بَلَلْتُهُ؛ فهو مَوْدُوْنٌ وَوَدِيْن، أي: منقوع». وجاء قومٌ إلى بنت الخُسّ بحجر، فقالوا: احدي لنا من هذا نعلاً. فقالت: دِنُوهُ. والوَدْنُ أيضاً: حُسْنُ القيام على العروس، يقال: أخذوا في ودانه، وَوَدِنَتِ المرأةَ وَأَوْدَنَتْ: إذا ولدت ولداً ضاوياً» أي: نحيفاً قليل الجسم والمعنى: منقوعات الأراضي بالبلل بماء الأمطار، أو أنواع القيام في حسن الزخرفة والتهيئة للقبول. وقد أضاف ذلك إلى قوله (وَدَّانَ): بفتح الواو وتشديد الدال المهملة بعدها ألف ونون، قال في القاموس: «ودَّان: قرية قرب الأَبْواء، سكنها الصَّعْب ابن جُثَامة الوَدَّانِيّ، وبلاد بأفريقيّة، منها عليّ بن إسحاق، الأديب الشاعر. وجبل طويل قرب فَيْدَ، ورستاق بنواحي سمرقند». وفَيْدُ قلعة بطريق مكّة سمّي بفَيْدِ ابن فلان. والمعنى: بأودان ودَّان ممطرات الأراضي بقرب الأبواء، على وزن أَفعال بفتح الهمزة، منزل بين مكّة والمدينة، هوعن بدر بنحو سبعة أميال، كذا في المصباح. وكنّى بأودان ودّان عن حضرة الكرسيّ الذي وسع السموات والأرض، وتدلّت منه القدمان بالخير والشر. وقوله (إلى رابغ): بالراء فالألف/ [٣٢١/ أ] فالباء الموحّدة فالغين المعجمة: واد بين الحرمين قرب البحر،

قال في القاموس: «رَبَعَ القوم في النعيم: أقاموا، وعَيْشٌ رَابِغ: ناعم، وربيع رابغ: مُخْصِب. وبلا لام: وادٍ بين الحَرَمَيْنِ قرب البحر» انتهى. وهو ممنوع من الصرف للعلميّة والتأنيث المعنوي إنْ اعتبرته علماً على البقعة المعروفة، والمنزلة المألوفة. وإنْ لم يكن علماً فهو مصروف، حُذف تنوينه لضرورة الوزن. وقوله (الرَّوِيّ) بتشديد الياء التحتيّة: صفة له مضاف إلى قوله (الثِّماد): بكسر الثاء المثلّثة، قال في القاموس: «الثَّمْد ويحرّك، وككِتاب: الماء القليل لا مادّة له، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف». فمعنى الرَّويّ الثِماد الذي ماؤه القليل يروي العطاش. يكنّي بذلك عن فلك زحل الكوكب المشهور بكيوان، قال في الصحاح: «زُحَل نجم من الخُنَّس لا ينصرف، مثل عمر؛ وهو إشارة إلى أعلى مقامات الفناء عن الوجود في مقامات السالك عند طلوع شمس الأحديّة الوجوديّة، وهو فناء النفس الإنسانيّة عن حولها وقوّتها. وقوله (وقَطَعْتَ): بتاء الخطاب للحادي المذكور، يقال: قطعت الوادي: جزته، وسلكته، ومضيت فيه. وقوله (الحِرار): بكسر الحاء المهملة وبالرائين بينهما ألف، جمع حَرَّة، قال في المصباح: «الحَرَّة بالفتح: أرض ذات حجارة سود، والجمع حِرار، مثل: كلبة وكلاب». وقال في الصحاح: «الحَرّة: أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنّها أُحرقت بالنار. والجمع: حِرار. والحرّات: وهي هنا اسم مكان قرب المدينة المنوّرة». كنّى بها عن فلك المشتري، وهو نجم من الخُنَّس. إشارة إلى مقام من مقامات الفناء في حقّ السالك، وهو فناء الأفعال والأقوال.

وقوله (عَمْداً): أي حال كونك معتمداً عَمداً، أي: قاصداً قصداً، قال في الصحاح: عَمَدْتُ الشيءَ أَعْمِدُهُ عَمْدَا: قصدت له، أي تَعَمَّدت، وهو نقيض الخطأ». وقوله (لخَيمَاتِ): متعلّق بعمداً، جمع خيمة، وهي بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر. قال ابن الأعرابي: لا تكون الخيمة عند العرب من ثياب بل من أربعة أعواد، ثمّ يسقف بالثُمام، والجمع: خَيْمات وخِيَم، وِزان: بَيْضات وقِصَع،

كذا في المصباح. وقوله (قُدَيدٍ): مضاف إليه، وهو على صيغة التصغير، منزل من منازل الحاجّ، يكنّى به عن فلك المريخ، وهو الأحمر، قال في الصحاح: «المريخ نجم من الخُنَّس في السماء الخامسة، إشارة إلى مقام من مقامات الفناء في شمس الأحديّة الوجوديّة، وهو فناء الأسماء والصفات.

وقوله (مَوَاطِنِ): جمع موطن، قال في المصباح: «الوَطَن: مكان الإنسان ومَقَرَّه. والمَوطِن: مثل الوَطن، والجمع: مواطن، مثل: مسجد ومساجد». وقوله (الأمجاد): جمع ماجد، من المجد، وهو نيل الشرف، والكرم، أو لا يكون إلّا بالآباء، أو كرم الآباء خاصّة. مَجَد: كنَصَر وكَرُم، ومَجَادة، فهو ماجد ومجيد، كذا في القاموس. وهم الأولياء المقرّبون، الفانون عن أسمائهم وصفاتهم، وعن أفعالهم وأقوالهم، وعن حولهم وقوتهم. وقوله (وتَدانَيتَ): بالخطاب للحادي المذكور، أي: تقاربت، قال في الصحاح: «تَدانَوا، أي: دنا بعضهم من بعض». وقوله (من خُليص): بالتصغير منزل معروف بين الحرمين، من خَلَصَ الشيء بالفتح يَخْلُصُ خُلُوصاً، أي: صار خالصاً. كناية عن فلك الشمس، وهو الفلك الرابع، في السماء الرابعة، قلب الأفلاك، والسموات منبع النور والإمداد في أهل القبول بالاستعداد. وقوله (فعُسفان): بفاء العطف للترتيب والتعقيب، وهو بضمّ العين المهملة: منزل من منازل الحاجّ بين الحرمين، من العَسْف، وهو الأخذ على غير الطريق، وكذلك التَعَسُّف والاعتِساف، قال في القاموس: «عُسفان، كعُثْمان: موضع على مرحلتين من مكّة». يشير بذلك إلى فلك عطارد، وهو نجم، من الخُنَّس في السماء الخامسة، يُصرف ويُمنع، كما في القاموس، وفيه الحجاب على نور الشمس الأحديّة الوجوديّة بالعكس من الخنس الثلاث العلويات: زحل والمشتري والمريخ. وفيه بقاء الحول لله/[٣٢١/ب] والقوّة. وقوله (فَمَرِّ الظَّهران): بفاء العطف، قال في المصباح: «مَرّ: وِزان فِلْس: موضع بقرب مكّة من جهة الشام، نحو مرحلة، وهو منصرف لأنّه اسم واد، ويقال له: بَطْنُ مَرّ، ومَرّ

الظهران أيضاً. ومَرَّان بصيغة المثنّى من نواحي مكّة أيضاً على طريق البصرة، نحو يومين». والظَهْر: الطريق في البرّ، والظَّهْران بلفظ التثنية: اسم واد بقرب مكّة، ونُسِب إليه قرية هناك فقيل: مَرُّ الظَهْران ذكره في المصباح أيضاً. والإشارة بذلك إلى فلك الزُّهَرَة، بضمّ الزاي وفتح الهاء والراء وبالهاء في آخره، قال في القاموس: «زهرة كتؤدة نجم معروف في السماء السادسة. وقال في المصباح: الزُهَرَة مثال رُطْبَة: نجم. وزَهَرَالشيءُ يَزْهَر بفتحتين: صَفَا لونُه وأضاء. وقد يُستعمل في اللون الأبيض خاصّة». وفيه حجاب النفس عن شمس الأحديّة الوجوديّة. وقوله (ملقى): بصيغة اسم المكان، من لَقِيَ يَلْقَى لُقِيّاً، من باب تعب. وهو صفة لمرّ الظهران، مضاف إلى قوله (البوادي): جمع بادٍ، من بَدَا إلى البادية بَدَاوَةً بالفتح والكسر: خرج إليها، فهو بَادٍ، والبَدْو مثال: فَلْس، خلاف الحَضَر، والنسبة إلى البادية: بَدَوِيٌّ، على غير قياس. والبوادي أيضاً: جمع البادية، كذا في المصباح. وفي هذا الوصف إشارة إلى أنّ النفس يلتقي فيها كلّ بادٍ من أصل العدم من الأشياء، فتجتمع فيها المعاني المختلفة. وقوله (وَوَرَدْتَ): بتا الخطاب للحادي المذكور أيضاً، من وَرَدَ زيدٌ الماء فهو وارِد، وَوَرَدَ علينا وُرُوْداً: حضر، كذا في المصباح. وقوله (الجَمُوْمَ): بفتح الجيم كصَبور: البئر الكثيرة الماء، كذا في القاموس. كنّى بذلك عن فلك القمر، قال في المصباح: قَمَرُ السماء: سُمِّي بذلك لبياضه، وقال الأزهري يسمّى القمر لليلتين، من أوّل الشهر هلالاً، وفي ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضاً هلالاً، وما بين ذلك يسمّى قمراً. وقال الفارابي وتبعه في الصحاح: «الهلال لثلاث ليال من أوّل الشهر، ثم قمر بعد ذلك، والبدر: القمر ليلة كماله، وهو مصدر في الأصل. يقال: بَدَرَ القمرُ بَدْرَاً، من باب قتل، وبَدْر: موضع بين مكّة والمدينة على منتصف الطريق تقريباً. وعن الشعبي أنّه اسم بئر هناك، قال: وسُمِّيَت بدراً لأنّ الماء كان لرجل من جهينة اسمه بدر. وقال الواقدي: كان شيوخ غفار يقولون: بدر ماؤنا ومنزلنا، وما ملكه أحد قبلنا، وهو

من ديار غفار». والإشارة بالجَموم إلى النفس الحيوانيّة المنفردة بدعوى الاستقلال في الأعمال والأقوال والأحوال. وقوله (**فالقصر**): بفاء العطف، والقصر: اسم موضع، يشير به إلى عالم العناصر الكلّيّة قبل أنْ تتميّز إلى أربعة، وهو: ابتداء انتشاء الأجسام وتركيبها، وابتداء ظهور أنواع الأعراض.

وقوله (**فالدَّكْنَاء**): اسم موضع أيضاً، من دَكِنَ الفرسُ دَكَناً، من باب تعب: إذا كان لونه إلى الغُبْرَة، وهو بين الحُمْرَة والسواد؛ فالذَّكَر: أَدْكُن، والأنثى دَكْنَاء، مثل: أحمر وحمراء، كذافي المصباح. وذلك كناية عن أوّل تمييز العناصر، وتعينها في عنصر النار الكلّيّة السارية في جملة العالم السفلي. وقوله (**طُرّاً**): أي جميعاً، تأكيد للمواضع الثلاثة المذكورة قبله، أو حال منها، من طررته طُرّاً، من باب قتل: شققته، كذا في المصباح. فكان السائر يقطع الأرض قطعاً، ويشقّها شقّا. وقوله (**مناهل**): صفة للمواضع الثلاثة: جمع منهل، بفتح الميم والهاء: المَوْرد. وهوعين ماء ترده الإبل، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «المَنهل: المَشْرَب، والموضع الذي فيه المَشْرب، والمَنزِل يكون بالمفازة». وقوله (**الوُرَّاد**): بالإضافة، جمع وارد، من وَرَدَ زيد الماء فهو وارد، إشارة إلى منازل الأولياء العارفين الكاملين. وقوله (**وأَتَيْتَ**): بتاء الخطاب للحادي المذكور، من أتى الرجل يأتي أَتْياً: جاء، والإتيان: اسم منه، وأَتَيْتُهُ يُستعمل لازماً ومتعدّياً، كذا في/ [٣٢٢/ أ] المصباح. وقوله (**التنعيم**): من نَعَّمَهُ الله تَنْعيماً: جعله ذا رفاهية، وبلفظ المصدر، وهو التنعيم، سُمِّي موضع قريب من مكّة، وهو أقرب أطراف الحِلّ إلى مكّة، ويقال: بينه وبين مكّة أربعة أميال، وقيل ثلاثة أميال، ويُعْرَف بمساجد عائشة، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «التنعيم: موضع على ثلاثة أميال أو أربعة، من مكّة أقرب أطراف الحِلّ إلى البيت، سُمّي به لأنّ على يمينه جبل نُعَيم، وعلى يساره جبل ناعم، والوادي اسمه نَعْمَان». وهو كناية هنا عن عنصر الهواء، لأنّ فيه حياة الحيوان، وتنعيم القلوب بالأنفاس، وفيه تتشكّل الحروف الحاملة لآيات معاني

القرآن. وقوله (فالزَّاهرَ): بفاء العطف، وبالزاي المعجمة، وهو مُسْتَقَى بين مكّة والتنعيم، كذا ف القاموس. وقوله (الزاهرَ): بالنصب، وصف له، من زَهَر السراج، والقمر والوجه، كمنع زُهُوراً: تلألأ، كازدهر، كما في القاماوس. يكنّي بالزاهر عن عنصر الماء، وهو ماء الحياة للأجسام إلى أجل معلوم، وبه الأجسام تقبل التشكّل بالأشكال المختلفة، وتنحلّ بسرعة، وتتولّد المواليد الجسمانيّة. وقوله (نَوراً): تمييز، أي: إزهاره وتلألؤه من جهة نوره المشتمل عليه من أمر الله. وقوله (إلى ذرا): بالذال المعجمة المضمومة، جمع ذُروة بالكسر والضمّ: من كلّ شيء أعلاه. وقوله (الأطواد): جمع طَوْد، وهو الجَبَل، أو عظيمه، والجمع أطْواد، كما في القاموس. والجار والمجرور متعلّق بمحذوف حال من فاعل أتيت. يعني مرتقياً إلى ذرا الأطواد، أي: أطواد المعاني العالية، والإشارات السامية من الحضرات المائيّة، والأسرار الآدميّة. وقوله (عَبَرْتَ): بتاء الخطاب للحادي المذكور، عَبَرت السبيلَ: بمعنى مررت. فعابرالسبيل: مارّ الطريق، كذا في المصباح. وقوله (الحَجُون): بفتح الحاء المهملة، وضمّ الجيم بعدها واو ونون، قال في المصباح: «الحَجُون وِزان رَسُول: جبل مُشْرِف بمكّة». وقال في القاموس: «الحَجُون: الكسلان، وجبل بمَعْلَاة مكّة، وموضع آخر، وكلّ غَزْوَة يظهرغيرها ثمّ يخالف إلى ذلك الموضع، أو هي البعيدة الطويلة». كنّى بها عن عنصر التراب، وهو الأرض، منها خلق الإنسان، وفيها يعود، وكذلك الجماد والنبات والحيوان. قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٥٥] وهي أسفل سافلين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [٩٥/ التين/ ٤-٦]. يعني: على مقاساتهم البلاء في أسفل سافلين التي ردّوا إليها؛ فبلاؤهم حسن، كما قال سبحانه: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] وأمّا غيرهم فبلاؤهم غير حسن، وهو شرّ كالكفر ونحوه.

وقوله (واجْتَزْتَ): بالجيم بعدها تاء مثنّاة فوقيّة وزاي معجمة، من: جَاز المكان يَجُوزه جَوْزاً وجَوَازاً: سار فيه كذا في المصباح. وهو معطوف على عبرت. وقوله (فَاخْتَرْتَ): من خَيَّرْتُهُ بين الشيئينِ: فَوَّضت إليه الاختيار فاختار أحدهما وتَخَيَّرَهُ، كذا في المصباح. وقوله (ازدياراً): تمييز، من زَارَه يَزُوره زِيارَة وزَوْراً: قصده شوقاً إليه، فهو زائر، كما في المصباح. والازديار مصدر أبلغ، من الزيارة لزيادة المبنى الدالّة على زيادة المعنى في متَّحد الصيغة. وقوله (مَشَاهِد): مفعول اخترت، أو مفعول ازدياراً، جمع مَشْهد، وهو محضر الناس، قال في القاموس: المَشْهَد والمَشْهَدَة: محضر الناس». ثمّ إنّه أضاف المشاهد إلى قوله (الأوتاد): وهم الأولياء المحقّقون، جمع وَتَد بالتحريك، أصله: ما رُزّ في الأرض والحائط من خشب، وأوتاد الأرض جبالها، ومن البلاد رؤساؤها /[٣٢٢/ب] كذا في القاموس. يعني: إنّ ذلك موضع شهودهم وحضورهم في الحضرات الإلهيّة. وقوله (وبلغت): بتاء الخطاب للحادي المذكوركالذي قبله، يقال: بَلَغ المكان بُلُوغاً: وصل إليه، كذا في القاموس. وقوله: الخِيام: جمع خَيْمَة، يُكنِّي بذلك عن عالم العقل الساري في صور الأشياء والخيال الإنسانيّ وغيره؛ فإنّه بمنزلة الخيام على ما ستر من الحقائق والأسرار. قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٥٦] أي: لم يدركهنّ، للسّعة الربّانيّة. ثمّ قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن / ٥٧] والآلاء: النعم. وهذه التنوّعات في التجليّات المختلفة من أعظم النعم، والتكذيب لازم؛ لظهور الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة؛ وذلك غاية التوحيد في مقام التفريد.

وقوله (فابلغ): فعل أمر من أَبْلَغَهُ السلام، وبَلَّغَهُ، بالألف والتشديد: أوصله، كذا في المصباح. ووصل الهمزة في أبلغ لضرورة الوزن، والقياس قطعها، نحو: أَكرمْ. وقوله (سلامي): أي تحيّتي وأماني لهم، من ترك ما وجب لهم عليّ، وهو

إيماني بهم، أي: تصديقي لهم في كلّ ما بلغني عنهم، وتسليمهم من تكذيبي. وقوله (**عن حِفاظٍ**): أي ناشئ ـ ذلك السلام ـ عن مواظبة منِّي عليه، ومحافظة على حقوقه، أو محافظة ومواظبة منك عليه، قال في المصباح: «حَفِظْتُ المالَ وغيره حِفْظَاً: إذا منعته من الضياع والتلف». وقوله: (**عُرَيْبَ**): بالنصب، مفعول ثانٍ لأبلغْ، وهو تصغير عَرَب، قال في المصباح: العَرَبُ اسم مؤنّث، ولهذا يوصف بالمؤنّث فيقال: العرب العاربة، والعرب العرباء؛ وهم خلاف العجم، وتصغيره للتحبيب هنا، أو للتعظيم. وقوله (**ذاك النادي**): أي المَجْمَع. بمعنى الاجتماع، من نَدَا القومُ نُدُوَّاً، من باب قتل: اجتمعوا. ومنه النادي؛ مجلس القوم ومُتَحُدَّثُهُم. والمعنى هنا: أهل الجمع والتوحيد من التجلِّيات الإلهيّة الكاملة، والهياكل الربّانيّة الفاضلة. وقوله (**وتَلَطَّفْ**): فعل أمر، من اللَطافة، خطاب للحادي المذكور.

وقوله (**واذكر**): من الذكر، يقال: ذَكَرتُه بلساني وبقلبي، ذكرى بالتأنيث وكسر الذال، كما في المصباح. وقوله (**لهم**): أي لعريب ذاك النادي في البيت قبله. وقوله (**بعضَ**): بالنصب مفعول واذكر. وقوله (**ما بي**): أي الذي بي مما أنا مشتمل عليه. وقوله (**من غرام**): بيان لما. والغرام: الولوع، والشرّ الدائم، والهلاك والعذاب، كذا في القاموس. وقوله (**ما أنْ له من نفاد**): ما نافية، وأنْ بفتح الهمزة وسكون النون، زائدة لتأكيد النفي. (**ومنْ**) بكسر الميم: زائدة أيضاً للتنصيص على العموم الواقع في الكثرة وهو نفاد بالدال المهملة، أي: فناء وانقطاع، يقال: نَفِدَ يَنْفَدُ من باب تعب، نَفَاداً: فَنِيَ وانقطع، كما في المصباح؛ فإنّ الحُبّ الإلهيّ لا يَنْفَدُ ولا يَنْقَطع؛ لأنّ متعلّقه قديم لا يتغيّر؛ فهولا يتغيّر لأنّه ظهور الحبّ الإلهيّ القديم. قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فإنّ يحبّونه هو عين ظهور يحبِّهم.

١٧- يَـا أَخِـلَّايَ هَـلْ يَعُـودُ التَّـدَانِي مِـنْكُمُ بِـالحِمَى بِعَـوْدِ رُقَـادِي

(**يا**): حرف نداء، موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكماً. وقد ينادى بها القريب توكيداً. وقيل: هي مشتركة بين البعيد والقريب. وقيل بينهما وبين المتوسّط. وهي

أكثر أحرف النداء استعمالاً. ولهذا لا يُقَدَّر عند الحذف سواها، نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾ [١٢/ يوسف/ ٢٩] كذا في مغني ابن هشام. و(الأَخِلَّاء): جمع خليل، قال في المصباح: «الخليل: الصديق، والجمع: أَخِلَّاء. والخَلِيْل: الفقير المحتاج». وقد نَسَبَ الأَخلاء إليه، فأضافهم إلى ياء المتكَلِّم؛ لأنّهم أصدقاؤه في سلوك طريق الله تعالى، أوفي ظهور تجلّياته تعالى بهم عليهم. أولأنّهم شاركوه في التحقُّق بالفقر الحقيقيّ إلى ربِّهم من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ / [٣٢٣/ أ] إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٥]. وقوله (هل): هي حرف لطلب التصديق الإيجابي دون التصور، ودون التصديق السلبيّ، فيمتنع: هل زيداً ضربت، وهل لم يقم زيد كما في مغني ابن هشام.

وقوله (يعود التداني): أي يرجع قرب بعضهم عن بعض، قال في الصحاح: «تَدَانَوْا، أي: دنا بعضهم من بعض». وقوله (منكُمُ): بضمّ الميم للوزن، والخطاب للأخلّاء. والتداني منهم كناية عن رجوع الكثرة إلي الوحدة بفناء ما به المغايرة. وقوله (بالحمى): أي في الحمى. كناية عن الحضرة الإلهيّة، وأشار إلى أنّ ذلك عود ورجوع إلى ما كان عليه الأمر من قبل الظهور الكونيّ في ذلك البطون العينيّ. وقوله (بِعَوْدِ): أي رجوع. وقوله (رقادي): أي نومي، يقال: رَقَدَ رَقْداً ورُقُوداً ورُقَاداً: نام، ليلاً كان أو نهاراً. وذلك كناية عن رجوعه إلى بدايته بعد نهايته، كما قالوا: «النهاية رجوع إلى البداية، وهو الكمال الحقيقيّ، أنْ يعود إلى رقاده بعد يقظته الحقيقيّة وطول سُهاده». قال العارف المحقِّق عفيف الدين التلمسانيّ:

إلى ذلك المعنى مآلي ومرجعي	وشركي الذي أدّى إلى وحدتي معي
تصرّفت في ملكي بملكي فلم أدع	مكانة إمكان ولا وضع موضع
وأسرعت إسراع المشوق إلى الحمى	بسائر أنواع الوجود المنوّع
وقامت بذاتي معنويّاتي التي	بقائي بها في حال مرئي ومسمعي

١٨- مَا أَمَرَّ الفِرَاقَ يَا جِيرَةَ الحَيـ ـيِ وَأَحْلَى التَّلَاقِ بَعْدَ انْفِرَادِ

(ما): تعجبيّة نحو: ما أحسن زيداً. والمعنى: شيء حسّن زيداً، جزم بذلك جميع البصريين إلّا الأخفش فجوّزه، وجوّز أنْ تكون معرفة موصولة. والجملة بعدها صلة لا محلّ لها، وأنْ تكون نكرة موصوفة. والجملة بعدها في موضع رفع نعتاً لها. وعليهما خبر المبتدأ، محذوف وجوباً، تقديره شيء عظيم ونحوه، كذا في مغني ابن هشام . و**(أَمَرَّ)**: فعل ماض، وفاعله مستتر يعود على ما قاله في المصباح: «أَمَرَّ الشيءُ ـ بالألف ـ فهو مُمِرٌّ. ومَرَّ يَمَرُّ من بابي تعب وضرب، لغة، فهو مُرٌّ». و**(الفراق)**: بالنصب مفعول أَمَرّ. وقوله **(يا جيرة الحيّ)**: الجِيرة جمع جار، وهو المجاور في الحيّ، أي: المنزل، وهم أمثاله النازلون في منزله من أولياء الله العارفين المحقِّقين في مقام الجمع. وقوله **(وأَحْلَى)**: معطوف على أَمَرَّ، أي: وما أحلى. يقال: أَحْلَيتُ الشيء: جعلته حُلْواً، يقال: ما أمرّ وما أحلى إذا لم يقل شيئاً، وأَحْلَيْتُه أيضاً: وجدته حُلْواً، كما في الصحاح. وقوله **(التلاقِ)**: أصله التلاقي، بالياء وبالفتحة عليها، لأنّه مفعول أحلى، ثمّ حذفت الياء للوزن، وبقيت الكسرة على القاف دليلاً عليها. وقوله **(بعد انفراد)**: أي التفرّد وحده. وكنّى بالتلاقي عن الدخول في الجمع بعد الفرق، فإنّ الفرق انفراد بنفسه[1].

١٩- كَيْفَ يَلْتَذُّ بِالحَيَاةِ مُعَنًّى بَيْنَ أَحْشَائِهِ كَوَرْيِ الزِّنَادِ

٢٠- عُمْرُهُ وَاصْطِبَارُهُ فِي انْتِقَاصٍ وَجَوَاهُ وَوَجْدُهُ فِي ازْدِيَادِ

٢١- فِي قُرَى مِصْرَ جِسْمُهُ وَالْأُصَيْحَا بُ شآمَاً وَالْقَلْبُ فِي أَجْيَادِ

(كيف): كلمة يُستفهَم بها عن حال الشيء وصفته، يقال: كَيفَ زَيْدٌ، ويريد السؤال عن صحّته وسقمه، وعسره ويسره، وغير ذلك. وتأتي للتعجّب والتوبيخ والإنكار. وقد تَتَضَمَّنُ معنى النفي، كذا في المصباح. وهي هنا للاستفهام

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة وسماعاً على مؤلِّفه حفظه الله».

الإنكاري. بمعنى: لا. وقوله (يَلْتَذُّ): من اللذَّة، نقيض الألم، لَذَّةً ولَذَاذَةً. وقال في المصباح: «والْتَذَذْتُ به وتَلَذَّذْتُ، بمعنى». وقوله (بالحياة): نقيض الموت. ووجدان الحياة لمن سوى الله تعالى مجرّد توهّم؛ فإن الحيّ على الحقيقة/ [٣٢٣/ ب] ما كانت حياته بذاته. وأمّا حياة من عداه تعالى ـ فإنّ حياة الأجسام بالأرواح، وحياة الأرواح بأمر الله تعالى، ومن كان حيّاً بغيره كالقلم بيد الكاتب ـ فإنّ الحياة في ظاهرالقلم وباطنه، وهي الحركة،وظهور رسوم الحروف عنه، والكلمات الحاملة للمعاني إنّما هي استيلاء يد الكاتب عليه ما عدا الإدراك فيه، والقصد: الاختيار، فإنّ يد الكاتب لم يقدرها الله تعالى أنْ تظهر فيه شيئاً من ذلك، فحياته بالأيدي المستولية عليه. وكذلك كلّ ما مسك باليد، ونحو ذلك. وكذلك حياة كلّ ما سوى الله تعالى إنّما هي بحياة الله تعالى؛ فالعوالم كلّهم موتى من أنفسهم، وهم أحياء بحياة ربّهم عزّ وجلّ، فكيف يتصوّر أنْ يلتذّ بالحياة الوهميّة التي هي مجرّد دعوى نفسانيّة.

وقوله (مُعَنّى): بتشديد النون، على صيغة اسم فاعل يلتذّ، قال في المصباح: «عَنَانِي كذا يَعْنِيْنِي: عَرَض لِي وشغلني؛ فأنا مَعْنِيٌّ به». والمُعَنَّى هنا هو العاشق. ولا تكون المحبّة والعشق إلّا بالدعوى النفسانيّة، والاستقلال بالشأن. والمحبّ: صاحب الوهم والغفلة المستولية عليه حتّى يفنى عن نفسه في محبوبه، فيشهد نفس الأمر بشهود محبوبه، لا بشهود نفسه، وهو علم الله الذي يعلّمه لمن شاء من عباده. وكونه يعلّمه وهو من عباده عند غيره من المخاطبين لا عنده، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٦٥] وعلى كلّ حال فالمحبّ العاشق معذّب بدعوى نفسه، كما ذكرنا؛ فلا يُتَصوّر أن يلتذّ بشيء أصلاً إلّا بلقاء محبوبه، وعند لقائه يفنى. قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه من جملة أبيات له:

يا بديع الجمال فاز محبّ بلذيذ الوصال فيك تهنّا

كيف يرجو الحياة وهْوَ مع الهجـ ـر قتيل وعند رؤياك يفنى

وقوله (**بين أحشائه**): جمع حشا، وهو ما دون الحجاب مما في البطن من كبد، وطحال، وكَرْش، وما يَتبعه. أو ما بين ضِلَعِ الخَلْفِ التي في آخر الجَنْبِ إلى الوَرْكِ. أو ظاهر البَطْنِ والحِضْنِ، كذا في القاموس. وقوله (**كَوَرْيِ**): بكاف التشبيه وفتح الواو وسكون الراء والياء التحتيّة المتحرّكة، قال في القاموس: «وَرَى الزَّنْد كوَعَى ووَلِيَ وَرْيَاً: خرجت ناره».

وقوله (**الزِناد**): جمع زَنْد، قال في المصباح: «الزَّنْد: الذي يُقْدَح به النار، وهو الأعلى، وهو مُذكّر، والسفلي: زَنْدَهُ بالهاء، والجمع: زِنَاد، مثل سَهْم وسِهام. ووري الزِناد كناية عن النار، نار المحبّة والشوق. وقوله (**عُمْرُهُ**): أي عُمْرُ ذلك المُعَنّى، أي: المحبّ. يعني: مدّة حياته في الدنيا. وقوله (**واصطباره**): من صَبَرْتُ صَبْراً، من باب ضرب: حَبَسْتُ النَفْسَ عن الجَزَع. واصطبرت مثله، كذا في المصباح. والاصطبار: مصدر اصطبرت، وهو أشدّ من صبرت. وقوله (**في انتقاص**): يقال انتَقَص: ذهب منه شيء بعد تمامه، ونَقَصْتُهُ وانتقصته يتعدّى ولا يتعدّى، كما في المصباح. أمّا كون عمره في انتقاص فهو معلوم، لأنّ كلّ ما يدخل في الزمان، فهو على الانقضاء شيئاً فشيئاً؛ وإنّما ذكره ليقرن به أصطباره عن لقاء محبوبه؛ فإنّه في انتقاص أيضاً؛ فكلّ وقت ينقص من صبره شيء. وقوله (**وَجَوَاه**): الجَوَى هَوَىً باطن والحزن، كذا في القاموس. والضمير للمعنّى. وقوله (**ووَجْدُهُ**): أي حزنه وحبّه وعشقه، قال في القاموس: «وَجَدَ بِهِ وَجْداً في الحبّ فقط، وكذا في الحُزن؛ لكن يُكسر ماضيه». والضمير للمُعَنَّى. وقوله (**في ازدياد**): مصدر ازداد، أبلغ من زاد، لأنّ زيادة المبنى في متّحد الصيغة، تدلّ على زيادة المعنى كقطع بالتخفيف وقطّع بالتشديد فإنّهما فعلان ماضيان/ [٣٢٤/ أ] بخلاف اتَّخَمَ وتَخِمَ لاختلاف الصيغة بالإفراد والجمع. وقوله (**في قرى**): جمع قرية، قال في القاموس: «القَرْيَة، وتكسر: المِصْر الجامع. والجمع قُرَى». وقوله (**مِصْرَ**): ممنوع من الصرف للعلميّة والعجمة، قال في المصباح: «مِصْرَ: مدينة معروفة، والمِصْرُ كلّ

كُورَةٍ يُقْسَمُ فيها الفيء والصدقات، قاله ابن فارس. والجمع أمصار». وإضافة القرى هنا إلى مصر كقولك: بلاد الشام، وبلاد العراق. ومصر بلد الناظم قدّس الله سرّه. ومنشؤه. وقوله (جسمه): الجسم الجسد. وفي التهذيب ما يوافقه، قال: الجسم يجمع البدن وأعضاءه، من الناس والإبل والدواب، كذا في المصباح.

وقوله (والأُصَيحاب): مصغّر الأصحاب، جمع صاحب، وهم أمثاله من الأولياء الكاملين من شيوخه وغيرهم. وقوله (شآماً): بالهمزة ممدوداً، منصوب على الظرفيّة، أي: في الشآم. والشآم: بلاد عن مشأمة القبلة. وسمِّيت كذلك لأنّ قوماً من بني كنعان تشاءموا إليها، أي: تياسروا. أو سُمِّي بشام بن نوح؛ فإنّه بالشين بالسريانيّة. أو لأنّ أرضها شامات بيض وحمر وسود. على هذا لا يهمز. وهو شاميّ وشآم وشآميّ وشآمٍ، وأشأم: أتاها وتشاءم: انتسب إليها». وقوله (والقلب): أي قلبه. (في أجياد): وهو أرض بمكّة. أو جبل بها؛ لكونه موضع تبّع، كذا في القاموس. والمعنى: إنّه متفرّق الحال، غير منتظم الأمور، وهي حال سلوكه في طريق الله تعالى في ابتداء أمره.

٢٢- إنْ تَعُـدْ وَقْفَـةٌ فُوَيْـقَ الـصُّخَيْرَا تِ رَوَاحَـاً سَـعِدْتُ بَعْـدَ بِعَـادِي

(إنْ تَعُدْ): أي ترجع. وقوله (وَقفةٌ): هي فعل مرّة، من وَقَفَ يَقِفُ وُقُوْفَاً: دام قائماً. وهي وقوف عرفات. بمعنى: الوصول إلى تمام المعرفة الإلهيّة في حجّ التوجّه إلى بيت الربّ تعالى، حضرة صفاته وأسمائه الرحمانيّة. وكونها تعود إشارة إلى أنّها كانت في حضرة العلم الإلهيّ والكلام الربّانيّ القديم؛ فالمراد: رجوع الأمر إلى ما كان عليه، كما قال الشيخ عبد الكريم الجيليّ قدّس الله سرّه من أبيات له مطلعها:

تعالوا بنا حتّى نعود كما كنّا ولا عهدنا خنتم ولا عهدكم خنّا

وقوله (فُويق): مصغّر فوق للتعظيم. وقوله (الصُخَيرات): تصغير الصَخَرَات، جمع صَخْرَة، قال في المصباح: «الصَّخْر معروف، وقد تفتح الخاء، وجمعه صُخُور. والصَّخْرَة: أخصُّ منه، ويُجمع أيضاً بالألف والتاء فيقال: صَخَرَات، مثل: سَجْدَة

وسَجَدَات». والمراد الصَخَرَات التي كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقف عندها في عرفات. إشارة إلى خواطر القلب المتصلِّب في معرفة الله تعالى على اليقين القاطع، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [٢/ البقرة/ ٧٤] وهي قلوب أرباب اليقين من أهل التمكين: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ [٢/ البقرة/ ٧٤] وهي قلوب أرباب التوسّط في طريق الوصول إلى حضرات أهل الفناء الإلهيّ، وذلك لأهل التلوين: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٧٤] وهي قلوب أهل الفناء في الله، والانمحاق من السالكين. وقوله (**رواحاً**): منصوب على الظرفيّة، أي: وقت الرواح، وهو رواح العشيّ، وهو من الزوال إلى الليل، وقت الوقوف بعرفات، وهو وقت تحوّل الظلّ من المغرب إلى المشرق بإقباله على مطلع الشمس، وامتداده في جهة المشرق، فإذا مالت شمس الوجود الأحديّ إلى جهة المغرب الروحانيّ امتدّ الظلّ الجسمانيّ إلى جهة المطلع الربّانيّ من البرج الروحانيّ.

وقوله (**سَعِدْتُ**): يقال: سَعِد فلان يَسْعَد، من باب تعب في دينٍ أو دنيا سَعْداً، كما في المصباح، من السعادة، نقيض الشقاوة. وقوله (**بعد بِعادي**): بكسر الباء الموحّدة /[٣٢٤/ ب] قال في القاموس: «بَاعَدَهُ مُبَاعَدَةَ وبِعَاداً. وبَعَّدَه: أَبْعَدَهُ. والبُعْدُ والبِعَاد: اللَعْنُ». فقابل: السَّعْدَ بالبِعَاد، بمعنى الشقاء؛ فإنّ الفرق شرك خفيّ، وهو بعاد ولعن عن القرب. والسعادة الكاملة هي الجمع على الحقّ تعالى وحده.

٢٣- يَـا رَعَـى الله يَوْمَنَـا بِالْمُـصَلَّى ... حَيْـثُ نُـدْعَى إلى سَـبِيلِ الرَّشَـادِ

٢٤- وَقِبَـابُ الرِّكَـابِ بَيْنَ العَلَمَيْـ ... ـنِ سِرَاعَـاً لِلْمَـأْزِمَيْنِ غَـوَادِي[1]

(**يا رعى الله**): يا حرف نداء، والمنادى محذوف تقديره: يا قوم رعى الله. أو يا للتنبيه، قال في القاموس: «وإذا وَلِيَ 'يا' ما ليس بمنادى، كالفعل في ألا يا اسجدوا،

---

(١) في (ق): عوادي.

وقول الشاعر: (ألا يا اسقياني قبل غارة سنجال) والحرف، نحو: يا ليتني كنت معهم، يا ربّ كاسية في الدنيا عارية في يوم القيامة. والجملة [الاسميّة] نحو:

يـا لعنــة الله والأقــوام كلّهــم والـصالحين عـلى سـمعان مـن جـار

فهي للنداء، والمنادى محذوف. أو لمجرّد التنبيه لئلّا يلزم الإجحاف بحذف الجملة كلّها، أو إنْ وَلِيَهَا دعاء، أو أمر فللنداء، وإلّا فللتنبيه». وقوله **(يومنا)**: مفعول رعى. وقوله **(بالمُصلَّى)**: بصيغة اسم المفعول: موضع الصلاة، أو الدعاء، كذا في المصباح. وهو هنا مكان بمكّة كناية عن مقام عبادة الله تعالى الذي فيه العبد قائم بنفسه. ونفسه قائمة بربّه عنده، فنفسه حجابه عن ربّه تعالى. وقوله **(حيث ندعى)**: بضمّ النون «على صيغة البناء للمفعول من: دَعَوْت زيداً: ناديتُه، وطلبت اقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة، فهو داعي الله، والنبيّ داعي الخلق إلى التوحيد» وفاعل نُدْعَى المحذوف كناية عن نبيِّنا صلّى الله عليه وسلم. وقوله **(إلى سبيل)** : أي طريق. وقوله **(الرشاد)**: وهو الصلاح، خلاف الغيّ والضلال، وهو إصابة الصواب، رَشِدَ رَشْداً من باب تَعِبَ. ورَشَدَ يَرْشُدُ من باب قَتَل، فهو راشِد، والاسم: الرَّشَاد، كما في المصباح. وقوله **(وقباب)**: جمع قبّة، أصلها من البنيان، قال في المصباح: «القُبَّة من البُنيان معروفة، وتطلق على البيت المُدَوَّر، وهو معروف عند التركمان والأكراد، يُسَمَّى الخِرْقاهة. والجمع: قِباب، مثل: بُرْمَة وبِرَام». وأشار بذلك إلى هوادج الحجيج المرتفعة فوق الجمال مستديرة في الغالب، وكنّى به عن صور الأولياء الكاملين المحمولين. بمعنى قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] وبنو آدم هنا كلّ إنسان كامل، لا حيوان غافل، وإنْ كان في صورة الإنسان فإنّه يحمل نفسه على دعواه. وقوله **(الرِّكاب)**: بالكسر، المَطِيُّ. الواحدة: راحلة، من غير لفظها، كذا في المصباح. وذلك كناية عن الأرواح الأمريّة الحاملة للصور الجسمانيّة. وقوله **(بين العَلَمَيْنِ)**: تثنية عَلَم بالتحريك، والعَلَم: الجَبَل الطَوِيل، أوعَامٌّ، والجمع: أَعْلَام، ورَسْمِ

الثَّوْب، ورَقْمُهُ، والرَّايَة، وما يُعْقَد على الرمح، كذا في القاموس. كنّى بذلك عن عِلميْ الشريعة والحقيقة. وقوله (**سِراعاً**): حال من ضمير غوادي، وهي جمع سريع. وقوله (**لِلْمَأْزِمَيْنِ**): تثنية مَأْزِم، كمَنْزِل. ويقال: المَأْزِمَانِ مَضِيق بين جَمْعٍ وعَرَفَة، وآخر بين مكّة ومِنَىً، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «المَأزِم وزان مَسْجِد: الطريق الضيّق بين الجبلين. ومنه قيل لموضع الحرب: مَأْزِم، لضيق المجال، وعسر الخلاص منه، ومنه يقال للموضع الذي بين عَرَفَة والمَشْعَر: مَأْزِمَانِ». كنّى بذلك عن الأمر والنهي الواردين في الشريعة والحقيقة. وقوله (**غوادي**): خبر قباب المبتدأ. جمع: غادي. من غَدَا غُدُوّاً، من باب قَعَدَ: ذَهَبَ غُدْوَةً، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، كما مرّ في المصباح وذلك كناية عن السير بين النور الوجودي الربّاني، والظلمة العدميّة/ [٣٢٥/ أ] النفسانيّة.

٢٥- وَسَقَى جَمْعَنَا بِجَمْعٍ مُلِثًّا وَلُوَيْلَاتِ(١) الخَيْفِ صَوْبُ عِهَادِ

٢٦- مَنْ تَمَنَّى مَالاً وحَسُنَ مَآلٍ فَمُنَائِي مِنَىً وَأَقْصَى مُرَادِي

(**وسقى جمعنا**): معاشر أهل الله تعالى من الأولياء المقرّبين، قال في المصباح: «الجَمْع: مصدر جَمَعْت الشيءَ جَمْعاً. الجَمْع أيضاً: الجماعة، تسمية بالمصدر، وجَمْعُهُ: جُمُوع وأَجْمُع، مثل فَلْس وفُلُوس وأَفْلُس. والجماعة من كلّ شي يطلق على القليل والكثير. وقوله (**بِجَمْع**): هو اسم للمزدلفة قال في المصباح: «ويقال لمزدلفة جَمْع؛ إمّا لأنّ الناس يجتمعون بها، أو لأنّ آدم اجتمع هناك بحواء». كنّى بذلك عن مقام الجمع، خلاف الفرق. وقوله (**مُلِثًّا**): بتشديد الثاء المثلّثة وكسر اللام: اسم فاعل من ألثّ بالمكان: أقام به، كما في المصباح. وهو حال من (**صَوْبُ عِهاد**) وأصله نعت له، والتقدير: صَوبُ عِهَاد مُلِثٌّ. ونعت النكرة إذا أقدم عليها أعرب حالاً منها، وأعربت النكرة على حسب العوامل كقول الشاعر:

---

(١) في (ق): لُييلات.

لـــــمـيّة موحـــشاً طلـــــل   يلــــوح كأنّـــــه خلـــــل

وقوله (ولُوَيْلَات): تصغير لَيلَات للتعظيم، جمع ليلة. وقوله (الخَيف): هو الناحية، وما انْحَدَرَ عن غِلَظِ الجَبَل، وارتفع عن مسيل الماء، وكلّ هبوط وارتقاء في سفح جبل، وغُرَّةٍ بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس، وبها سُمِّي مسجد الخَيْف. أو لأنّها ناحية من منى، أو لأنّها في سفح جبل، كذا في القاموس. كنّى بـ لُوَيْلَات الخَيْفِ عن القيام أحكام الشريعة: ظاهراً وباطناً، أمراً ونهياً عن إخلاص وتقوى. وقوله (صَوْب): فاعل سقى، قال في المصباح: «صَابَه المطرُ صَوْبَاً، من باب قال. والمطر صَوْبٌ، تسمية بالمصدر، وسحاب صَيِّب: ذو صوب». وقوله (عِهاد): بكسر العين المهملة. قال في القاموس: «العَهْد: أوَّل مَطَر الوَسْمِي، كالعِهْدَة والعِهَاد بكسرهما». كنّى بذلك عن العلوم الوهبيّة الربّانيّة التي تنزل من سماوات الغيوب على المحقّقين من أهل الله تعالى أصحاب القلوب. وقوله (من تمنَّى مالا): المال معروف، ويذكر ويؤنّث، فيقال: هو المال، وهي المال، كما في المصباح. وقال في القاموس: «ما مَلَكْته من كلّ شيء، والجمع: أموال». وقوله (وحسن مآل): أي مرجع. والمعنى: من تمنّي الدنيا والآخرة، أو إحداهما من الناس. وقوله (فمنائي): أي الذي أتمنَّاه. والتمنِّي: حديث النفس بما يكون وما لا يكون. والتمنِّي: يكون سؤالاً لله تعالى.

وقوله (مِنىً): هو موضع عن مكّة فرسخ. سُمّي مِنىً لما يُمْنَى فيه من الدماء، أي: يراق، كذا في المصباح. كناية عن الوصول إلى حضرة الحقّ تعالى بفناء كلّ ما عداه، قيل: إنّ الشيخ أبا بكر الشبلي قدّس الله سرّه سمع قارئاً يقرأ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٥٢] فصرخ صرخة، وخرّمغشياً عليه، فلمّا أفاق قيل له في ذلك، فقال: لم يقل تعالى: ومنكم من يريد الله. فعلمت أنّهم لا يريدون الله تعالى. ومن كلام رابعة العدويّة قدّس الله سرّها: «ما عبدتك رغبة في جنّتك ولا خوفاً من نارك؛ وإنّما عبدتك لوجهك

الكريم». وقال تعالى في حقّ الأنصار من أهل الصفّة رضي الله عنهم: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [٦/الأنعام/ ٥٢]. وقوله (**وأقصى مرادي**): أي أبعد مقصودي، قال في المصباح: «قَصَا المكان قُصُوّاً، من باب قعد: بَعُدَ، فهو قاصٍ، وبلاد قاصية. والمكان والمسجد الأقصى: الأبعد.

٢٧- يَا أُهَيْلَ الحِجَازِ إِنْ حَكَمَ الدَّهْـ ـــرُ بِبَيْنٍ قَضَاءَ حَتْمٍ إِرَادِي

٢٨- فَغَرَامِي الْقَدِيْمُ فِيْكُمْ غَرَامِي وَوِدَادِي كَمَا عَهِدْتُمْ وِدَادِي

٢٩- قَدْ سَكَنْتُمْ مِنَ الفُؤَادِ سُوَيْدا ءَ وَمِنْ مُقْلَتِي سَوَاءَ السَّوَادِ

/[٣٢٥/ ب] (**يا أُهَيْلَ**): تصغير أهل للتعظيم. وقوله (**الحجاز**): من حَجَزْت بين الشيئين حَجْزاً، من باب قتل: فَصَلْت، ويقال: سُمِّي الحِجَاز [حِجَازاً] لأنّه فصل بين نجد والسَرَاة، وقيل: بين الغور والشام. وقيل: لأنّه احْتُجِزَ بالجبال، كذا في المصباح. كنّى بهم عن الورثة المحمّديّة من الأولياء المقرّبين. وقوله (**إِنْ حَكَمَ الدَّهْرُ**): هو من أسماء الله تعالى؛ لقوله عليه السلام: « لا تسبّوا الدهرَ؛ فإنّ الله هو الدهر»[1]. وقوله (**بِبَيْنٍ**): متعلّق بحكم. والبين: من بانَ الحيُّ بَيْناً وبَيْنُونَة: ظَعَنُوا وبَعُدُوا. وتَبَايَنوا تَبايُناً: إذا كانوا جميعاً فافترقوا. والبَين، بالفتح: من الأضداد، يطلق على الوصل وعلى الفرقة، ومنه ذات البَين؛ للعداوة والبغضاء، كذا في المصباح. وكنّى به عن احتجاب القلب عن مشاهدة الربّ في تجلّياته في صور أهل الكمال من ذي الجلال والجمال. وقوله (**قَضَاءَ**): بالنصب، مفعول من أجله. وقوله (**حَتْمٍ**): بالإضافة، أي: قضاءً إلهيّاً مقطوعاً به. قال المصباح: «حَتَمَ عليه الأمرُ حَتْماً، من باب ضرب: أَوْجَبَه جَزْماً، وانْحَتَم الأمرُ، وتَحَتَّم: وَجَبَ وُجُوباً لا يمكن إسقاطه». وقوله (**إرادي**): أي جار على مقتضى إرادة الله تعالى في خلقه. وقوله (**فَغَرَامِي**): الغَرَام الوُلُوع، والشَّرُّ الدائم، والهلاك، والعذاب. والمُغْرَم كمُكْرَم: أسير

(١) انظر تخريجه ص١٣٠١.

الحُبّ والمُولَع بالشيء، كذا في القاموس. وقوله (القَدِيمُ): أي الذي هو معلوم لي بالعلم القديم الإلهيّ. وقوله (فيكم): خطاب لأهل الحجاز على المعنى الذي ذكرناه. يعني: في محبّتكم. وقوله (غرامي): أي هو غرامي بكم الآن لم يتغيَّر، ولم يتبدّل إلا بالقدوم، والحُدوث، والبطون، والظهور.

وقوله (وَوِدَادِي): يقال وَادَدْتُهُ مُوَادَّةً وَوِدَاداً، من باب قاتل. وتَوَدَّدَ إليه: تَحَبَّبَ. وهو وَدُود، أي: مُحِبّ، يستوي فيه الذَكَر والأنثى، كذا في المصباح. وقوله (كما عَهِدْتُمْ): يقال عَهِدْتُه بمال: عَرَّفْتُه به، والأمر كما عَهِدْتَ، أي: كما عرفت، كذا في المصباح. وقوله (وِدادِي): هو الآن عين ما عرفتموه من ودادي الأوّل، لا تغيّر فيه، ولا تبدّل. غير أنّه كان قديماً في حضرة العلم الإلهيّ القديم، وحضرة الكلام الإلهيّ القديم. فظهر بعد بطونه، وحدث بعد قدمه، والفناء من دونه. وقوله (قد سكنتم): خطابه لأُهيل الحجاز كما ذكرنا، يقال: سَكَنت الدارَ، وفي الدار سَكَناً، من باب طلب. والاسم السُكْنَى، كذا في المصباح. وقوله (من الفؤاد): أي القلب. وقوله (سويداه): بعود الضمير إلى الفؤاد. والسويداء: تصغير السوداء، وهي النقطة السوداء التي في القلب. وسُكناهم فيها تجلّيهم بها عليها. فإذا حُجبوا بها عنها فهي سوداء، وإذا ظهروا بها لها فهي نور، وهي بيضاء، وهي الدّرة البيضاء، كما قال الشيخ إبراهيم الدسوقيّ قدّس الله سرّه من أبيات له:

على الدرّة البيضاء كان اجتماعنا ومن قبل خلق الخلق والعرش قد كنّا

وقوله (ومن مقلتي): المُقْلَة وزان غُرفة: شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها، كذا في المصباح. وقوله (سواء السواد): بالنصب، مفعول سكنتم، من ساواه مُساواة: ماثَلَه وعادَلَه قدراً أوقيمة. كذا في المصباح. والسواد: سواد العين، وهو نورها الذي تبصر به، إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم «يسمع به ويبصر به» إشارة إلى أنّه ما هو سمعه الذي لا يسمع به. بمعنى القوّة السامعة والجارحة، وما هو بصره الذي لا يبصر به، بمعنى القوّة الباصرة والجارحة، بل هو وراء ذلك، والله من ورائهم محيط.

٣٠- يَا سَمِيرِي رَوِّحْ بِمَكَّةَ رَوحِي   شَادِياً إنْ رَغِبْتَ فِي إسْعَادِي

/ [٣٢٦/ أ] (**يا سَمِيرِي**): يا حرف نداء، وسميري، أي: مسامري، من السَّمَر بالتحريك، قال في الصحاح: «السَّمَر: المُسَامَرَة، وهو الحديث بالليل، وقد سَمَرَ يَسْمُرُ فهو سامِر». كنّى بذلك عن أصحابه من أهل الغفلة والحجاب، الذين يسمُر معهم ويتحادث، وهم غافلون في ليل الأكوان قبل طلوع فجرالعيان، وذهاب ظلمة الإمكان عن حوادث الأعيان. وقوله (**روِّحْ**): بتشديد الواو، مكسورة: فعل أمر، خطاباً للسمير، من أراح الله العبد: أدخله في الراحة، وأراح: تنفّس، ورجعت إليه نفسه بعد الإعياء، وصار ذا راحة، كذا في القاموس.

وقوله (**بمكّة**): أي بذكر بيت الله الحرام، وجيرانه السادة الكرام. كناية عن أهل الله العارفين به، أصحاب القلوب الهائمة في مظاهر تجلِّياته، كما ورد أنّه عند ذكر الصالحين تنزّل الرحمة. وذكر كرامات الأولياء ومحاسن أوصافهم تقوية لأحوال المريدين، وتنشيط لهممهم. وقوله (**رُوحي**): مفعول روّح. وقوله (**شادياً**): حال من فاعل روِّح، من شَدَا الإبلَ: ساقها، و ـ الشِّعْر: غنّى به، أو تَرَنَّم، وأنشد بيتاً أوبيتين بالغِناء كما في القاموس. والمعنى: مطرباً لي بذكر ذلك، ومحرِّكاً به لواعجَ أشجاني. وقوله (**إنْ رغبتَ**): من رَغَبَ فيه، كسَمِعَ رَغْباً، ويُضَمُّ، ورَغْبَةً: أرادَه ، كذا في القاموس. وقوله (**في إسعادي**): من أسعده، أعانه وأرشده إلى طريق الحق والسعادة الأبديّة.

٣١- فَذَرَاهَا سِرْبِي وَطِيْبِي ثَرَاهَا   وَسَبِيلُ المَسِيلِ وِرْدِي وَزَادِي

٣٢- كَانَ فِيْهَا أُنْسِي وَمِعْرَاجُ قُدْسِي   وَمقَامِي المَقَامُ والفَتْحُ بَادِ

(**فَذَراهَا**): الفاء للتفريع بذكر أحواله. والضمير لمكّة المشرّفة، وذراها بالذال المعجمة وإبدال الهمزة ألفاً، بتحريك الساكن قبلها بالفتح لأجل الألف، وأصله ذرْؤُهَا، من ذَرَأَ الله الخَلْقَ يَذْرَؤُهُمْ ذَرْأً: خَلَقَهُم. قال في الصحاح: ومنه الذرِّيّة، وهي نَسْلُ الثقَلَيْنِ، إلّا أنّ العرب تركت همزها. والجمع: الذَّرَارِي. وفي الحديث:

«ذَرْءَ النارِ»[1] أي: إنّهم خُلِقُوا لها. ومن قال: ذَرْوَ النار بغير همز أراد أنّهم يُذْرَوْنَ في النار». فالمعنى في ذراها خلقها، وأهلها الناشئون فيها، المتولّدون بها، وهم أهل الجذب الإلهيّ من أصل خلقتهم، السالكون بِهِمَمِهِم العليّة في طريق العرفان حتّى وصلوا إلى مقام التحقيق والإيقان. وقوله (سِرْبي): بكسر المهملة، أي: قومي وعشيرتي. قال في الصحاح: يقال: مَرَّ بِي سِرْبٌ مِنْ قَطاً وظِبَاءٍ وَوَحْشٍ ونِسَاءٍ، أي: قطيع. وتقول: مَرَّ بِي سُرْبَةٌ، بالضمّ، أي: قطعة من قطاً وخَيْلٍ وحُمُرٍ وظِبَاءٍ». وقوله (وطِيْبِي): هو ما يُتَطَيَّب به من بخور ونحوه. وقوله (ثراها): أي ترابها. والضمير لمكّة المشرّفة. يكنّي بترابها عن أجسام أهل الله من الصِدِّقين المقرّبين الذين قلوبهم بيت الربّ سبحانه، فهم على قلب رجل واحد لسريان الوحدانيّة الإلهيّة في آثار تجلّياتها ومظاهرها الكاملة في هياكلها الفاضلة، على وجه الظهور لا الحلول. وإلى ذلك أشرت بقولي في مطلع قصيدة لي:

يا شمعة هي في كلّ الفوانيس ... يخالف العقل هذا في التقاييس
وهو المحقّق عند العارفين به ... كشفاً بكشف وتلبيساً بتلبيس

وقوله (وسبيل): أي طريق. قال في القاموس: «السَبِيل والسبِيْلَة: الطَرِيْق، وما وَضحَ منه. والجمع: سُبُل، كَكُتُب». وقوله (المَسِيل): بالإضافة، قال في القاموس: «مَسِيل الماء: موضع سَيْلِه». وهو أسفل الوادي، مكان الكعبة الشريفة، بيت الله المعمور بذكره. (وسبيل مسيله): بئر زمزم عِرفانه، في جوانب قلوب أهل إيمانه من أئمّة الصفا أهل الحِفاظ والوفاء. وقوله (وِرْدِي): بكسر الواو، وهو النصيب من الماء، كذا في القاموس. يعني: به أحيا من موت جهلي، وأُرْوى من عطش شوقي وعشقي. وقوله/ [٣٢٦/ ب] (وزادي): هو طعام يُتَّخَذ للسفر. تقول: زَوَّدْتُ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في غريب الحديث، باب: الراء، ١/ ٢٥٨بلفظ: «قال عمر: لا أظنكم آل المغيرة ذَرْءَ النار».

الرجل فَتَزَوّد، كما في الصحاح. وسُمّي زاداً تفاؤلاً بالزيادة فيه، وإنْ كان هو على النقصان منه في كلّ مرحلة من السفر. كما سمّوا الفلاة مفازة تفاؤلاً بالفوز. وفيه إشارة إلى أنّه مسافر من نفسه إلى ربّه. قال عليه الصلاة والسلام: «سافروا تغنموا»[1] وفي الآية قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١٥/ الذريات/ ٥٠] أي من نفوسكم. وقوله (**كان فيها**): أي في مكّة المشرّفة، وهي حكاية حاله لـمّا فتح الله عليه، وهو في مصر في الجامع الأزهر على يد شيخه البقّال، قُدّس سرّه، وخطا خطوات به إلى مكّة المشرّفة كما سبق. ذكر ذلك في الديباجة. وقوله (**أُنْسِي**): بالضمّ، وهو ضدّ الوحشة. قال في الصحاح: «استَأْنَست بفلان وتَأَنَّسْتُ به بمعنى. والإيناس: خلاف الإيحاش، وكذلك التأنيس». والمعنى: كان استئناسي بأحوال الصادقين في مكّة القرب والوصول إلى وجدان أهل العرفان واليقين.

وقوله (**ومعراج**): أي مرقاة. قال في الصحاح: المِعْراج السُّلَّم، ومنه ليلة المِعْرَاج. والجمْع: مَعَارِج ومَعَارِيْجَ، مثل: مَفَاتِح ومفَاتِيْح، قال الأخفش: إنْ شئت جعلت الواحد مِعْرَج ومَعْرَج، مثل مِرْقاة ومَرقاة. والمعارج: المَصَاعِد». وقوله (**قُدْسِي**): بضمّ القاف وسكون الدال المهملة، أي: طُهري وتَنزُّهي عن رذائل الأخلاق، قال في الصحاح: «القُدْس الطُّهْر، اسم ومصدر، ومنه قيل لِلْجَنّة حَظِيْرَة القُدْس. ورُوح القُدُس: جبريل عليه السلام. والقُدْس بالتسكين: جَبَل عظيم بأرض نجد. والتقْدِيس: التطْهير. وتقَدَّسَ، أي: تطَهّر. والأرض المُقَدّسَة أي: المُطَهَّرَة. ويقال: إنّ القادسيّة دعا لها إبراهيم عليه السلام بالقُدْس، وأنْ تكون مَحَلَّة الحاجّ. وقُدُّوس: اسم من أسماء الله تعالى، وهو فُعُّول من القُدْسِ، وهو الطهارة. وكان سيبويه يقول: سَبُّوحٌ قَدُّوس، بفتح أوائلهما». والمعنى في ذلك هنا: إنّ صعوده في مراقي مقامات القرب إلى حضرته تعالى، وأُنْسِه به سبحانه، وحصول طهارته ونزاهته عن رذائل أخلاقه الذميمة واتّصافه بمكارم

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه، ٢٦/ ٤٥٨.

الأخلاق، كان في مكّة المشرّفة ظاهراً، وفي حضرة المشاهدة الربّانيّة، والفناء عمّا سواها من الحضرات الكونيّة باطناً، كما قال الشيخ أبو مدين الغوث قدّس الله سرّه من أبيات له:

عرفنا بها كلّ الوجود ولم نزل ... إلى أنْ بها كلّ المعارف أنكرنا

وفي مطلع هذه القصيدة قوله:

أدرها لنا صرفاً ودع مزجها عنّا ... فإنّا أُناس لا نرى المزج مذ كنّا

حضرنا فغبنا عن بدور كؤوسها ... وعدنا كأنّا لا حضرنا ولا غبنا

وقوله (مُقامي): بضمّ الميم، أي: موضع إقامتي، وهو المنزلة والرتبة التي حصلت له في مكّة المشرّفة زمن سياحته في جبالها وآكامها، كما تقدّم في شرح الديباجة.

وقوله (المَقَام): قال في القاموس: «المَقَام موضع القدمين، والمَقَامَة: المَجْلِس والقُوم، وتضمّ: الإقامة، كالمَقام والمُقام، ويكونان للموضع». وهو هنا إشارة إلى مقام إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة المشرّفة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [٢/ البقرة/ ١٢٥] كناية عن مقام الإسلام الحقيقيّ ظاهراً وباطناً، بالقلب وبالقالب، كما قال تعالى له:﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣١-١٣٣] وقوله (**والفتح**)/ [٣٢٧/ أ] أي: تنبّه البصيرة لما لا يتنبّه إليه العقل من التجلّيات الربانيّة، وتوجّهات الأسماء الإلهيّة، قال في القاموس: «الفَتْح: الماء الجاري والنصر، وافتتاح دار الحرب، وأوّل مَطَر الوَسْمِيّ، وكلّها جارية هنا على معنى الكناية عمّا ذكرنا». وقوله (**بادي**): أي ظاهر، والألف واللام في المقام، وفي الفتح للعهد الذهني.

٣٣- نَقَلَتْنِي عَنْهَا الحُظُوظُ فَجُذَّتْ   وَارِدَاتِي وَلَمْ تَدُمْ أَوْرَادِي

(**نَقَلَتْنِي**): أي حوّلتني إلى حال آخر غير الحال الذي كنت فيه. وقوله (**عنها**): أي عن مكّة المشرّفة، بيت الله الحرام، وحرمه الآمن. كناية عن دوام الشهود واستمرار الحضور، فَقَلَّ شهودي، وضعفت ملاحظة وجودي. وقوله (**الحظوظ**): بالرفع، فاعل نقلتني. وهي جمع حَظّ، قال في الصحاح: «الحَظّ النَصيب والجَدّ. وجمع القلّة: أَحُظّ، والكثير حُظُوظ وأَحَاظ على غير قياس». والمراد بالجَدّ هنا البَخْت، قال في القاموس: الجَدّ البَخْتُ والحَظّ. والمعنى: في ذلك أنّه لمّا انتقل من مكّة إلى مصر، ورجع إلى وطنه الأصلي بعد أنْ فُتح عليه في مكّة، نقلته حظوظه النفسانيّة، وطباعه وعاداته البشريّة إلى أحوال أدنى من أحواله، وهو في مكّة المشرّفة، وغلبت عليه الفئة الأوّليّة في البلاد المصريّة. وقوله (**فَجُذَّتْ**): بتشديد الذال المعجمة والبناء للمفعول، من الجَذّ، وهو القَطع المستأصل، وانْجَذَّ: انقطع كذا في القاموس. وقوله (**وارداتي**): نائب فاعل جُذَّت، والواردات جمع واردة، وهي المعاني الواردة على خاطره وقلبه من الأسرار الإلهيّة والمعارف الغيبيّة، ويقال له: الوارد أيضاً، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

ألا عم صباحاً أيّها الوارد الذي   أتانا فحيّانا من الحضرة الزلفا

وقوله (**ولم تدم**): أي لم تبقِ. وقوله (**أورادي**): جمع وِرْد بكسر الواو، وهو الجزء من القرآن، والنصيب من الماء، كذا في القاموس. والمعنى في ذلك أنّه لم تبق له ما كان يواظب عليه من الأوراد من تلاوة قرآن، أو ذكر، أو تهجّد بالليل، أو صلاة، أو صوم، أو مراقبة، أو نحو ذلك من أنواع العبادات؛ ولهذا قالوا: لا وِرْدَ لمن لا وِرْدَ له؛ فاستنزال المعاني الإلهيّة بالأوراد الربّانيّة.

٣٤- آهٍ لَوْ يَسْمَحُ الزَّمَانُ بِعَوْدٍ   فَعَسَى أَنْ تَعُودَ لِي أَعْيَادِي

(**آه**): بمدّ الهمزة وكسر الهاء، كلمة شكاية وتوجّع. وقوله (**لويسمح الزمان بِعَوْدٍ**): أي برجوع تلك الأيام الماضية، وهاتيك الأحوال السامية التي كانت له في

مكّة المشرّفة، ونسبة السماح إلى الزمان إسناد مجازي بقرينة المحلّيّة. وقوله (فعسى): بفاء التفريع، وعسى فعل مطلقاً، أو حرف مطلقاً، للترجّي في المحبوب، والإشفاق في المكروه، وللشك واليقين، كذا في القاموس. وقوله: (أعيادي): فاعل ترجع، جمع عيد بالكسر، وهو كلّ يوم فيه جَمْع، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «العِيد واحد الأعياد؛ وإنّما جُمِع بالياء، وأصله الواو، وللزومها في الواحد، ويقال للفرق بينه وبين أعواد الخشب. وقد عَيَّدُوا، أي: شهدوا العيد». كنّى عن حصول تلك الأحوال الشريفة الربّانيّة له وهو في مكّة المشرّفة بالأعياد الداخلة عليه لسرور قلبه بذلك، وقوّة عينيه بها هنالك.

٣٥- قَسَماً بِالْحَطِيمِ وَالرُّكْنِ وَالأَسْـ ـتَارِ وَالْمُـرْوَتَيْنِ مَسْعَى العِبَادِ

٣٦- وَظِلَالِ الجَنَابِ وَالْحِجْرِ وَالْمِيْزَا بِ وَالْمُسْتَجَارِ لِلْقُصَّادِ

٣٧- مَا شَمِمْتُ الْبَشَامَ إِلَّا وَأَهْدَى لِفُؤَادِي تَحِيَّةً مِنْ سُعَادِ

(قسماً): مفعول لفعل محذوف، تقديره: أُقْسِم، أي: أحلف. وقوله (بالحَطيم): هو حجر الكعبة، أو/ [٣٢٧/ ب] جداره، أو ما بين الركن وزمزم والمقام. وزاد بعضهم الحِجْر، أو من المقام إلى الباب، أو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام، حيث يَتَحَطَّم الناس للدعاء. وكانت الجاهليّة تتحالف هناك، كذا في القاموس. وهو كناية هنا عن نفس العارف؛ لأنّها مُحْتَطَمَة مِنَ الحَطْم، وهو الكسر من قلبه؛ فالقلب بيت الربّ، والنفس منه كالحَطِيم من البيت الشريف، احتطمه الجهل، من جاهليّة السالك في مقام عرفانه، وقد أشرت إلى ذلك بقولي من أبيات لي في مطلعها:

قلوب متى منه خلت فنفوس لأحرف وسواس اللعين طروس

وإنْ ملئت منه ومن نور ذاته فتلك بدور أشرقت وشموس

وقوله (والرُّكْنِ): هو بالضمّ، الجانب الأقوى، والأمر العظيم، وما تقوّى به من ملك وجُنْد وغيره، والعِز والمَنَعَة، كما في القاموس إشارة إلى الرُّكْن اليماني،

قال الشيخ الأكبر:

يمين المؤمن الركن اليماني أقبلها لاحظي بالأمان

يمين ما لها حجب تعالت عن الحجبات والحجب المثاني

آمنت بلثمها من كلّ ذنب يقرّبني إلى دار الهوان

وهو كناية عن الركن الشديد في قول لوط عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [١١/ هود/ ٨٠] وقال صلَى الله عليه وسلّم: «رحم الله أخي لوطاً؛ إنّه كان يأوي إلى ركن شديد»[1] وهو الالتجاء إلى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الأمور. وقوله (**والأستار**): جمع ستر، وهي: الحجب النورانيّة قال عليه السلام : «إنّ لله سبعين ألف حجاب من نورو ظلمة» الحديث. فالحجب النورانيّة: عالم الأرواح، والظلمانيّة: عالم الأشباح. أو النورانيَة: عالم الأسماء والصفا ت القديمة، والظلمانيّة: عالم الأفعال والآثار الحادثة.

وقوله (**والمَرْوَتَيْنِ**): يعني الصفا والمروة بطريق التغليب، قال في القاموس: «الصفا من مشاعر مكّة بلحف أبي قبيس، وابتنيت على متنه دار فيحاء». والمروة بها جبل بمكّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١٥٨] الآية. يكنّى بذلك عن الروحانيّة والجسمانيّة؛ فإنّ ذلك مما يشعر بالله سبحانه؛ لأنّه أثره المخلوق بتوجّه أسمائه وصفاته. وقوله (**مسعى**): أي موضع سعي. وقوله (**العباد**): جمع عبد، أو عابد؛ فإنّ السعي بين الصفا والمروة واجب في الحجّ الظاهر، وسعي البصيرة بين صفا الروحانيّة ومروة الجسمانيّة واجب أيضاً في القصد إليه تعالى، وهو الحج الباطن. وقوله (**وظلال**): معطوف على الحَطيم المُقْسَم به، والظلال: جمع ظلّ، قال في القاموس: «الظلّ بالكسر: نقيض الضِّحّ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه، باب: لوط بن هاران، ١٠٦٩٢، عن ابن عبّاس. انظر تاريخ دمشق٥٠/ ٢٠٤.

أوهو الفيء، أو هو بالغداة، والفَيء بالعشيّ. والجمع ظِلال وظُلُول وأَظْلَال».
قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [٣٥/ الفرقان/ ٤٥] أي: الظلّ الذي هو الكائنات بجميع أنواعها؛ فإنّها ظلال عن شواخص الإرادة الإلهيّة، فكلّ شيء يريده الله تعالى يمتدّ على طبق شاخص الإرادة الإلهيّة، فهو ظلّها الممدود، كما قال تعالى في أصحب الميمنة: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٣٠] في أصحاب المشأمة: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٤٣]. واليحموم: الدخان، كذا في القاموس. وقوله (الجناب): أي الحضرة الإراديّة الإلهيّة، فإنّ الأشياء كلّها ظلالها الظاهرة في نور الوجود الحقّ الذاتيّ القديم الأزليّ.

وقوله (والحِجْر): بالحاء المهملة والجيم والراء، هو حِجْر الكعبة، وهو ما حواه الحَطيم المدار بالبيت جانب الشمال. والحِجْر أيضاً: العقل، قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [٨٩/ الفجر/ ٥] وهو كناية هنا بالمعنى الأوّل ظاهراً عن المعنى الثاني باطناً. وقوله (والميزاب): قال في / [٣٢٨/ أ] الصحاح: «المِيْزاب: المِرْزَاب، وربّما لم يُهمز، الجمع المآزيب» كذا في الصحاح. وقال القاموس: «أَزَبَ الماءُ كضرب: جرَى، ومنه المئزاب، أو هو فارسي معرّب» هو ميزاب الكعبة المشرّفة، كناية عن لسان العارف المحقِّق، ولغته التي يعبِّر بها عمّا يجده من الأسرار الإلهيّة. وقوله (والمستجار): أي به، يقال استجار: طلب أن يُجار، وأجاره: أنقذه وأعاذه، كذا في القاموس. أشار بذلك إلى حرم مكّة المشرفة، والبيت الحرام قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [٣/ آل عمران/ ٦٧]. كناية عن مجلس العارف المحمّدي الجامع وجواره ومحلّته، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٨/ الأنفال/ ٣٢] أي من نفوسهم، ودعوى وجودهم لأنّه كما قيل:

فإنْ قلت: ما ذنبي إليك أجبتني ... وجودك ذنب لا يُقاسُ به ذنب

حتّى قيل: «إنّ الجنيد قدّس الله سرّه عبد الله ثلاثين سنّة فلم يفتح عليه، وأنّه سمع جارية تغنّي بهذا البيت، وهو مار ببعض الطرقات، فعمل عليه، فوصل إلى الله تعالى في تلك الليلة. وقوله (**لِلْقُصَّاد**): جمع قاصد، قال في القاموس: القَصْد استقامة الطريق، والاعتماد، [والأَمُّ] قَصَدهُ، وله وإليه يَقْصِدَه. وقال في الصحاح: «القَصْدُ إتيان الشيءَ، تقول: قصَدْتُه، وقَصَدت له، وقَصَدت إليه بمعنى. وقَصَدْتُ: نحوت نحوه». وقوله (**ما شَمِمْتُ**): جواب القسم. (**وما**): نافية، (**وشَمِمْت**): فعل وفاعل من الشمّ، وهو حِسُّ الأنف، شَمِمْتُه بالكسر، أَشَمُّه، بالفتح. وشَمَمْتُه أَشُمُّهُ، بالضمّ، شَمّاً وشَمِيماً، كذا في القاموس. والمراد إدراك الرائحة.

وقوله (**البَشَام**): بالباء الموحّدة والشين المعجمة والألف والميم، قال في القاموس: «البَشَام كسحاب، شجر عطر الرائحة ورقه يُسَوِّد الشعر، ويُستاك بقضبه». كنّى به هنا عن الروح الكلّي، والنور المحمّدي الممتد منه في كلّ حقيقة كونيّة بالصبغة الإلهيّة، وشمّه كناية عن إدراك رائحته، أي: الإحساس بسريانه في الحقائق الكونيّة، والآثار الحسيّة والمعنويّة.

وقوله (**إلّا**): نقض للنفي على معنى الحصر. وقوله (**وأَهْدَى**): أي أوصل. وقوله (**لفؤادي**): أي لقلبي. وقوله (**تحيّة**): مفعول أهدى، والتحيّة السلام، وحيّاه تحيّة، والبقاء، والملك. وحيّاك الله أبقاك، أو ملكك. وقوله (**من سُعادٍ**): اسم محبوبة من محبوبات العرب. كنّى بها عن الحضرة الإلهيّة، كما ورد: «اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام»[1]. وأراد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بذلك العموم، فكان يقول ذلك عليه السلام بعد سلامه من الصلاة، ونيّته بالخطاب: القوم المقتدِين به، والحفظة من الملائكة، كما هو سنّة لكلّ مصلٍّ

(١) انظر تخريجه في ص٣٧٧.

إماماً أو منفرداً أو مقتدياً، فالمنفرد ينوي خطاب الحفظة فقط، والمقتدي ينوي خطاب من عن يمينه وعن شماله من المقتدين، مع الإمام، ثمّ يقول الدعاء المذكور تقريراً لمعاني التجلِّيات الإلهيّة بالآثار الكونيّة، ومن ذلك قول العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه في مطلع أبيات:

أسكرت بانَ الحيِّ يا نسمة السحر ... فهل أتيت عن الأحباب بالخبر

نعم مررت بذاك الحيّ فاكتسبت ... ذيول بردك ريّا نشره العطر

يا روح روحي بروح الحيّ واقفة ... به فديتك بين البان والسمر

ففي بيوت الحمى سمراء قد حجبت ... بالسمر عنّاق بالهنديّة البتر[1]

* * *

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة».

هُوَ الحُبُّ[1]

[الطويل]

وقال قدّس الله سرّه، وجعل في أعالي الفردوس مقرّه:

١ - هُوَ الحُبُّ فَاسْلَمْ بِالحشا مَا الهَوَى سَهْلُ   وَمَا اخْتَارَه مُضْنَى بِهِ ولَهُ عَقْلُ

(هو): ضمير الشأن، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١١٢/ الإخلاص/ ١] وخبره ما بعده من جملة أو مفرد/ [٣٢٧/ ب] ولبعض الشعراء قوله:

هو الهجر حتّى ما يلمّ خيال   وبعض صدود الزائرين وصال

وقد يكون مؤنّثاً، فيكون ضمير القصّة، كقول الشعراء:

هي الصبابة من باد ومكتمن   طوى لها الشوق أحشائي على شجن

ومرجعه إلى شيء مُتخيّل في الذهن، إمّا الشأن، وإمّا القصّة، وما بعده تفسير. وقوله (الحُبّ): خبره بضمّ الحاء المهملة، بمعنى المحبّة. قال في القاموس: «الحُبّ الوداد، كالحِباب، والحِبّ بكسرهما، والمَحَبَّة والحُبَاب بالضمّ». يعني: المحبّة الإلهيّة منه تعالى له تعالى، قال تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٤٥] فإتيانه تعالى بهم: تجلّيه بصورهم، وظهور وجوده بهياكلهم المعهودة للحسّ والعقل؛ فإذا أتى بهم يحبّهم، فيشهدونه متجلّياً بهم، فيحبّونه بالمحبّة التي أحبّهم بها؛ فالمحبّة واحدة، والإتيان واحد، فهو قران في الجمع وفرقان في الفرق، والقِران فرقان. ويفترقان بالظهور والبطون، قال تعالى:﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣]. وقوله (فاسلم): خطاب للسالك في طريق الله تعالى، وأمره بتحصيل السلامة له من مهالك الطريق،وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) بدأ ترتيب ورود القصائدفي (ق) يختلف عن مخطوطنا؛ فالقصيدة التالية لـ "خفّف السير" عند (ق) هي "شربنا على ذكر الحبيب"، تليها قصيدة "ما بين معترك الأحداق والمهج"، ثمّ "احفظ فؤادك" ثمّ "ته دلالاً"، ثمّ "أدر ذكر من أهوى"، ثمّ "قلبي يحدثني"، ثمّ "هو الحبّ".

ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [٢/ البقرة/ ١٠٨] والسِّلْم بالكسر، خلاف الحرب، وهو الموافقة لأمر الله تعالى من غير مخالفة، وهو السلامة. وخطوات الشيطان: ما يخطو بالإنسان بالتدريج من وقفة عن التسليم إلى وقفة حتّى يوصله إلى محاربة الله تعالى بمخالفة أمره فيهلكهه. وقوله (بالحشا): أي بالقلب، لأنّه موضع نظر الربّ من عبده، كما قال عليه السلام: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»[١] فإذا أسلم العبد بقلبه من المهالك سلم في الدنيا والآخرة من كلّ ما يؤذيه مما هنالك. وفيه تنبيه للعبد أنّه يديم المراقبة لقلبه موضع نفخ الروح الأمري، فيشهد حركة النفس التي هي كلمح بالبصر، ويعرف التجلِّي الربّاني في التجديد الإنسانيّ، فلعلّه يلمح سرّا من أسرار قوله تعالى:﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] وقوله **(ما الهوى)**: أي الميل النفسانيّ، بالاشتهاء الحيوانيّ إلى هذا العَرَض الفاني. وقوله **(سهل)**: أي هيِّن لا خطر فيه؛ بل فيه الخطر العظيم، والهول الجسيم، والهوان اللازم، والذلّ الملازم، كما قال القائل:

نــون الهــوان مــن الهــوى مــسروقة ... فــصريع كــلّ هــوى صريــع هــوان

وفي الحديث: وإنّما كان كذلك لأنّ كلّ شيء هالك، ومحبّ الشيء الهالك شيء هالك، قال «حبّك الشيء يعمي ويصمّ»[٢]؛ تعالى:﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] أي: وجه الحقّ تعالى، أو وجه ذلك الشيء، وهو وجه الحقّ تعالى، قال تعالى:﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] فأين اسم المكان، وتولوا فعل الإنسان، وثَمَّ بالفتح: اسم إشارة إلى المكان، وهي كلّها الأشياء الهالكة إلّا الوجه الإلهيّ، وهو الذات الحقّ، لا غيره في الوجود، والباقي في تقديره وتصويره، والوجود ظاهر به، باطن عنه، وهو الحبّ الشريف، ولا تمثيل ولا تكييف. وقوله

---

(١) انظر تخريجه ص٣٩٦.

(٢) انظر تخريجه ص٧٠٩.

(وما اختاره): أي الهوى، بمعنى قَصَدَه وأراده. وقوله (مُضنىً): من ضَنِيَ كرَضِيَ، ضَنىً وضَنِيٍ كحَرِيّ وَحَرٍ: مَرِضَ مَرَضاً مُخامِراً، كلّما ظَنَّ بُرْؤُه نُكِسَ، وأضْناه المر ض، كذا في القاموس. فهو مُضْنَى بصيغة اسم المفعول. وقوله (به): أي بالهوى، يعني فيه. وقوله (وله): أي لذلك المضنى، والواو للحال، والجملة حال من مضنى بعد وصفه بالظرف أي: مضنى استقرّ به الهوى. وقوله (عَقْل): لأنّ العقل يحفظ صاحبه من لحوق الأذى والضرر باختياره/ [٣٢٩/ أ] فإذا أضرّ نفسه وأذاها بالهوى فلا عقل له، لغلبة الهوى عليه. واستيلائه بالتوجّه إليه.

٢- وَعِشْ خَالِياً فَالحُبُّ رَاحَتُهُ عَنَاً فَأَوَّلُهُ سُقْمٌ وَآخِرُهُ قَتْلُ

(وعِشْ): فعل أمر من العيش، وهو الحياة، وقد عاش الرجل مَعَاشاً ومَعِيشاً، وكلّ واحد منهما يصلح أنْ يكون مصدراً، وأنْ يكون اسماً، كذا في الصحاح. وقوله (خالياً): حال من فاعل عِشْ. والخالي: الفارغ من الهوى كالخَلِيِّ من خَلا المكانُ خلْواً وخَلَاءٍ وأخْلَى واسْتَخْلى: فَرَغ، وكان خَلَاء، ما فيه أحد، كذا في القاموس. (فالحبّ): أي المحبّة والعشق. وقوله (راحته): أي الراحة التي يجدها المحبّ العاشق إنْ وجد راحته، وهيهات هيهات. وقوله (عَناً): بفتح العين المهملة وتخفيف النون، هو التعب، قال في القاموس: «عَنَى عَنَاءً وتَعَنَّى: نَصِبَ. والعَنْيَةُ بالفتح: العَنَاء، قال الشاعر:

حامل الهوى تعب يستفزّه الطرب
إنْ بكى يحقّ له ليس ما به لعب
تضحكين لاهية والمحبّ ينتحب
تعجبين من سقمي صحّتي هي العجب

وقوله (فأوَّله): أي أوّل ما يبدو في قلب الإنسان. وقوله (سُقم): بضمّ السين المهملة وسكون القاف، أي: مرض، أي: يبدو السقم في جسمه، قال في القاموس: «السَقَام كسَحَاب وجَبَل وقُفْل: المرض. سَقِمَ كفَرِحَ وكَرُمَ، فهو

سَقِيم». وقوله (وآخره): أي آخر أمره ومنتهاه. وقوله (قَتْلُ) مصدر قَتَلَهُ قَتْلاً وتَقْتَالاً: أماتَه، كما في القاموس. قال الشاعر:

الحــبّ أوّل مــا يكــون لجاجــة تــأتي بــه وتــسوقه الأقــدار

حتّــى إذا اقــتحم الفتــى لجــج الهــوى جــاءت أمــور لا تطــاق كبــار

٣- ولكِـنْ لَـدَيّ المَـوْتُ فِيْـهِ صَـبَابَةً حَيَـاةٌ لِـمَنْ أَهْـوَى عَـلَيَّ بِـهِ الفَـضْلُ

(ولكن): حرف استدراك لمّا سبق قبله من المعنى، وكأنّه جواب عن سؤال مقدّر، تقديره: أنت قلت بأنّ الحبّ والعشق أمر عظيم هائل، وحذّرت منه غيرك، وأمرته أن يعيش خالياً منه، وأخبرت أنّه لا يختاره لنفسه إلّا المجنون الذي لا عقل له. وقلت: إنّ أوّله سقم، وإنّ آخره قتل. فما بالك أنت اخترته، واتّصفت به؟!. فأجاب بما ذكره. وكأنه قال: إنّ الحبّ والعشق الذي عندي، وأنا اخترته ليس كحبّ غيري وعشقه وإنْ كان الحبّ والعشق واحداً لا يختلف في نفسه؛ وإنّما اختلافه مدحاً وذمّاً من حيث مُتَعَلِّقُهُ. وقوله **(لديّ)**: بتشديد الياء التحتيّة، أي: عندي وفي نظري لنفسي، واختياري ذلك لها. وقوله **(الموت فيه)**: أي في الحبّ والعشق بالقتل منه. وقوله **(صبابة)**: تمييز، أي: من جهة الصبابة، وهي الشوق، أو رقّته، أو رقّة الهوى: صَبِبْتُ، كقَنِعْت، تَصَبُّ، فأنت صَبٌّ، وهي صَبَّة، كذا في القاموس. وقوله **(حياة)**: خبر الموت، وذلك لأنّ الميت خارج عن دعواه حولُه وقوّته؛ فإذا خرج عن دعواه ذلك ظهر له أنّ حولَه وقوته لربّه، لا له؛ فمات الموت الاختياري قبل الموت الاضطراري، قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] وهي القوّة المطلقة الحقيقيّة غير القوّة المقيّدة العرضيّة السارية في البدن الإنسانيّ في ظاهره وباطنه، وفي كلّ شيء، وإلى تلك القوّة الحقيقيّة أشار العارف عفيف الدين التلمسانيّ قدّس سرّه بقوله من أبيات:

ولولا انخرام الكلّ بالقوّة التي لإطلاقها في جمعهنّ قيود

لما عدم الموجود يوماً ولا انقضت رسوم بأنواع البِلى وحدود

ولكنّها يأبى النهاية وصفها فليس لها في الدور قسط جمود

ولو وقفت يوماً بحدٍ لنا لها به عدم هيهات وهي وجود

/ [٣٢٩/ ب] فيظهر للميت حينئذ أنّ موته حياة له؛ لانكشاف الحياة الحقيقيّة له، القديمة الأزليّة، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٢] وهو تحقّقهم في نفوسهم بعهد الربوبيّة: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٢] أي: مات الموت الاختياري. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ - الموت الاضطراري - ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٢] أي: ما اتّصفت أنفسهم بدعاوى الحول والقوّة لمن أهوى عليّ، بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (**به الفضل**): أي للذي أهواه وأحبّه الفضل عليَّ بالموت المذكور؛ لأنّه حققني به في نفسي فعرفتها؛ فعرفت ربّي، وقد ورد: «من عَرَف نفسه فقد عرف ربّه»؛ فغاية محبّة غيره وعشقه الوصول إلى صورة محبوبه، والتمتّع بتلك الصورة الفانية، الزائلة، المضمحلّة، أو إدراكه الموت الاضطراري من غير معرفة بنفسه، ولا بربّه؛ فيموت أعمى كما عاش أعمى. قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ويحشر أعمى لأنّه أتته آيات الله فنسيها، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ١٢٤-١٢٦] وآيات الله تعالى هي اختلاف الصور والألوان كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٢] بل جميع ما في الدنيا آيات الله تعالى. وأمّا حبّ الناظم وعشقه فقد أوصله إلى الموت الاختياري، ومعرفة نفسه وربّه، وحقّقه بمقامات قربه.

٤- نَصَحْتُكَ عِلْماً بِالْهَوَى وَالذِي أَرَى مُخَالفَتِي فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا يَحْلُو

(نصحتك): أي بذلت لك النصيحة فيما ذكرته لك، قال في القاموس: «نَصَحَه و ـ له: كمَنَعَه نُصْحاً ونصَاحَةً ونَصَاحِيَةً، والاسم النصيحة، ونَصَحَ: خَلَصَ». والخطاب للسالك. وقوله (علماً): أي عالماً علماً، حال من التاء في نصحتك. وقوله (بالهوى): متعلِّق بـ(علماً). والمعنى: إنّه على علم كامل بالهوى، ما هو جاهل به، لأنّه كان جاهلاً فصار عالماً، وغيره لم يكن عالماً فصار جاهلاً؛ فإنّ العلم الذوقي ليس كالعلم الخيالي. وقوله (والذي أرى): أي أعتقد، قال في القاموس: «الرأي الاعتقاد». قوله (مخالفتي): أي مخالفة قولي لك (فاسلم بالحشا... إلى آخره). وقولي (عش خالياً) يعني: الرأي عندي والاعتقاد أنْ تخالفني فيما نصحتك به من ترك الهوى؛ فإنّ الهوى سمّ ودرياق فمن أحبّ وعشق طالباً للوصول إلى الصور الفانية، فهو عليه سمّ. ومن أحب وعشق طالباً للوصول إلى المصوّر الباقي، فهو له درياق من سمّ الأغيار. والصور كلّها أعراض قائمة بالقيوم الحقّ الذي هو المصور لها سواء كانت تلك من صور بني آدم ذكوراً أو إناثاً. أو صور غير بني آدم من الحيوانات، أو النباتات، أو الجمادات، أو صور الأموال، أو العقارات، أو العلوم، أو الإدراكات، أو المعاصي، أو الطاعات؛ فإنّها كلّها محبوبات للنفوس البشريّة، فإمّا أنْ يقصد محبّها وعاشقها صوّرها، التمتّع بها، وهو الحبّ الحيوان، أو يريد مصوّرها القديم الظاهر بها، وهو الحبّ الشريف الربّانيّ كما قلنا من أبيات لنا مطلعها:

ليس طيب الحياة غيره فاتك والهوى فاتن النفوس وفاتك

يا محبّاً أحبّ ثوب حبيب أعط ذات الحبيب بعض التفاتك

ولـمّا كان الهوى يطيب ويخبث على حسب المهوي به، وهو قنطرة يمر عليها السعداء والأشقياء، نصح فيه ورجع عن نصحه يستكمله ويستوفيه، ثمّ قال (فاختر لنفسك ما يحلو): أي الأمر الذي يحلو لك، فاختره لنفسك، فإن اخترت

الهوى فاحترز/ [٣٣٠/ أ] من قبائحه، وتجنّب عن فضائحه، وإنْ أعرضت عنه فارض أنْ تكون مع الخوالف، لا تخضْ التالف.

٥- فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيداً فَمُتْ بِهِ   شَهِيداً وَإِلّا فَالْغرامُ لَهُ أَهْلُ

٦- وَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي حُبِّهِ لَمْ يعِشْ بِهِ   وَدُون اجْتِنَاءِ النحلِ مَا جَنَتِ النَّحْلُ

(**فإن شئت**): أي اخترت. وقوله (**أنْ تحيا سعيداً**): أي تكون حيّاً بالحياة الأبديّة الأزليّة حال كونك سعيداً، أي: صاحب سعادة كاملة، وفضيلة شاملة. وقوله (**فمت**): فعل أمر من الموت، خلاف الحياة. وقوله (**به**): أي فيه، بدليل ما يأتي في البيت بعده من قوله (**ومَنْ لم يمت في حبّه**). وقوله (**شهيداً**): أي مشاهداً، من الشهادة، وهي المعاينة للأمر على ما هو عليه، حال من فاعل مُتْ، والحال قيد في الكلام، أي: لا تمت إلّا وأنت شهيد مشاهد لأمر الحقّ تعالى، وهو مقام الإسلام التّامّ، وصاحبه صاحب ذوق وإحساس، لا تخيّل ووسواس، كما قال تعالى في حكاية وصيّة إبراهيم لبنيه عليهم السلام: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣٢] وقوله (**وإلّا فالغرام**): أي الحبّ والعشق. وقوله (**له**): أي للغرام (**أهل**): يخلصون فيه، ويتّقون ربّهم في معاناته ظاهراً وباطناً حتّى يتوصّلوا به إلى مطلوبهم، ويقعوا على معرفة محبوبهم، بخلاف غيرهم ممن ليس بأهل الغرام والثبات؛ فإنّهم يتوصّلون إلى إفساد ذلك الحبّ بالتمتع بالفانيات من فساد النيّات، وخبث الطويات. وقوله (**ومن لم يمت في حبّه**): أي الموت الاختياري بوجدان حوله وقوته لربّه، لا لنفسه ووجدان وجدانه، كذلك ذوقاً وإحساساً. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [٣٤/ سبأ/ ٢٣]. وقوله (**لم يعش به**): أي بسبب حبّه ذلك العيشة الحقيقيّة الباقية كما قدّمناه؛ وإنّما يعيش بغيره من قوى روحانيّته العرضيّة الفانية. وهي الحياة الدنيا التي قال تعالى فيها: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٢٠] الآية.

وقوله (ودون): يقال دون النهر جماعة، أي: قبل أن تصل إليه، كذا في القاموس. وقوله (**اجتناء**): أي أخذ العسل من النحل، قال في القاموس: الجَنى: العسل. واجتنينا ماء مطر: وردناه فشربناه. وقوله (**النحل**): وهو ذباب العسل للذكر والأنثى، واحدته بهاء، كما في القاموس. وفيه تلميح بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [١٦/ النحل/ ٦٨] إلى نفوس أهل المعرفة من الأولياء المحقِّقين أولي الذوق والوجدان واليقين الطائرين في فضاء الملكوت الأعلى: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ من الرسوخ الجسماني والثبات العرفاني ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ من العالم الروحانيّ النابت بالتجدد في مقام الأمر الربّانيّ: ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [١٦/ النحل/ ٦٨] من الأعمال الصالحة، والحركات الظاهرة والباطنة: ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ سائر المخلوقات. ﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ أي: طرقه الموصلة إليه: ﴿ ذُلُلًا ﴾ [١٦/ النحل/ ٩٦] أي: سهلة، مذلّلة، مهيّأة للسالكين إلى آخر الآية؛ فإنّ الأولياء المذكورين هم المشار إليهم بالبخل في كلام الله تعالى، وكلام الناظم يعني: من دون اجتناء واقتطاف عسل علومهم ومعارفهم الإلهيّة، والوصول إلى مقاماتهم. وقوله (**ما جنت**): من جنى الذنب عليه يجنيه جناية جرّه إليه، أي: الذي جنته وجرّته إليه من الجنايات والبلايا والمحن. وقوله (**النحل**): بلام العهد الذِّكْري، أي: النحل الأولى؛ فإنّ المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى، ووضع المظهر موضع المضمر تعظيماً لشأنهم وتفخيماً لهم. وكون النحل تجني على من أراد اجتناء عسلها، أي: تكون سبباً لوقوع السالكين في المحن الإلهيّة، والفتن الربّانيّة التي يُبتلى بها المريد في طريق الله تعالى، فإنّهم الأئمّة المرشدون، والورثة المحمّديون، كما ورد من قول ورقة بن نوفل للنبي/[٣٣٠/ ب] صلّى الله عليه وسلّم لمّا قال له: «ليتني أكون جذعاً لمّا يخرجك قومك. فقال عليه السلام: أوَ مُخرجيّ هم. فقال له: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلّا أُخرج وطُرِد وعُودي». وإنّما كان الأمر كذلك لأنّ المعرفة الإلهيّة الذوقيّة الوجدانيّة أعلى من المعرفة الخياليّة العقليّة؛ فإنّ العقل يكشف عن

صورة الشيء في الخيال والأذهان. ونور البصيرة يكشف عن حقيقة الشيء في العيان فتختلف الأصول فيختلف الوصول، والعسل أحد أنهار الجنّة الأربعة. وهي علوم الفتح الربّاني، والإلهام الصمدانيّ. وهي علوم الصالحين من الأولياء والمقربّين. كما أنّ علوم الرسوم والأفكار توجب السكر بالحياة الدنيا، وهي نهر الخمر أحد أنهار الجنّة قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩] إلى أن قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٢٠] أي: في الخمر، وهو الدنيا والآخرة وهي الميسر، أي: القمار؛ لأنّه لهوٌ يقمر فيه الناس حسنات بعضهم بعضاً، والسكارى بخمر الدنيا يوافقون الصحاة فيما هم فيه. وكيف الصحاة الشاربون من عسل العرفان يوافقون السكارى بخمر الأكوان، وبالله المستعان. وفي هذا المصراع الأخير المثل المشهور الذي ليس له نظير.

٧- تَمَسّكْ بِأَذْيَالِ الهَوَى وَاخْلَعِ الحَيَا وَخَلِّ سَبِيْلَ النَاسِكِينَ وَإِنْ جَلُّوا

٨- وَقُلْ لِقَتِيلِ الحُبِّ وَفَّيْتَ حَقَّهُ وَلِلْمُدَّعِي هَيْهَاتِ ما الكَحَلُ الكُحُلُ

(**تمسّك**): بتشديد السين المهملة: فعل أمر. وقوله (**بأذيال الهوى**): جمع ذيل، قال في القاموس: الذيل آخر كلّ شيء، ومن الإزار، والثوب: ما جُرّ. وجمعه أَذْيال وذُيُول وأَذْيُل». وقوله (**الهوى**): أي: الحبّ والعشق. يعني: إذا لم يبقَ في قدرتك إلا تحصيل آخر أطرافه فاقبض عليه، وتعلّق به، ولا يفوتك؛ فإنّ فيه نجاتك بالإخلاص فيه والتقوى، أو هلاكك بعدم ذلك. وقوله (**واخلع الحيا**): أي الاستحياء. واخلع: فعل أمر من قولك: خَلَعَ ثوبه ونعله خَلْعاً: إذا نَزَعَهما. وفيه تشبيه الحياء بالثوب، قال في القاموس: «الحياء الحشمة، حيِيَ منه حَيَاءً واسْتَحْيَا منه واسْتَحَى منه واسْتَحَاه». وإنّما أمره بخلع ثوب الاستحياء لكمال قيامه بالإخلاص والتقوى في ظاهره وباطنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ

مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦] إلى آخر الآية. وكذلك العارف المحقّق لا يستحيي من الحقّ؛ لأنّه على الحقّ في ظاهره وباطنه، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»[1] وهو من جوامع الكلِم التي أوتيها صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ الحياء من الحقّ نفاق في الدين، وعدول عن سبيل المتّقين، قال تعالى في آية الحجاب: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٥٣] وقوله (وخلِّ): بتشديد اللام مكسورة، فعل أمر، أي: اترك ودع عنك. وقوله (سبيل): أي طريق وعادة. وقوله (الناسكين): جمع ناسك، من النُّسْك، مثلّثة، وبضمّتين: العبادة، وكلُّ حقّ لله تعالى. وقد نَسَكَ، كنَصَر وكَرُم. كذا في القاموس. يعني: العابدين الزاهدين من أهل الغفلة والحجاب، المتوجّهين بعُلوُ هممهم إلى عبادة الله تعالى وطاعته، المشتغلين بذلك عنه تعالى، وعن التوجّه إلى معرفته، ومعاني تجلّياته. فتراهم منهمكين في خدمة أمره ونهيه، سبحانه، على الغيبة والحجاب عن شهوده، ولا همّة لهم في معرفة ظهوره وتجلّيه، وقربه منهم وتدلّيه، ولا يطلبون ذلك، ولا يرغبون فيه؛ وإنّما رغبتهم في طاعته وعبادته فقط، وقوله (وإنْ جلُّوا)/ [٣٣١/ أ] بتشديد اللام، أي: عظموا في عيون عوام المسلمين، ولهم الهيبة في نفوسهم، وكمال الاحترام لرؤيتهم منهم أنواع الطاعات والعبادات في الليالي والأيام، من الصلاة، والصيام، والتهجّد، والقيام مع التجنّب عن جميع الآثام؛ ولهذا ورد عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه لمّا أكثر من التجّهد والقيام حتّى تورّمت منه الأقدام أنزل الله تعالى عليه: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ١-٥].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: بقيّة حديث أبي مسعود البدريّ الأنصاري رضي الله عنه، ١٧١٣٩. كما أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت، ٥٧٦٩.

يعني: إنّ حكمة نزول القرآن عليك لتذكّر بآياته، وتوصل المؤمنين إلى المعرفة الإلهية بإشاراته فيتوصّلون إلى الخشية، وهي الإجلال والإحترام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [/ فاطر/ ٢٨] أي العلماء به تعالى، وبمعرفته، فيعرفون من خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى فيطّلعون على ذلك كشفاً وشهوداً، لا أنزلْنا عليك لتجهد في عبادتنا وتتفرغ إلى طاعتنا، وتشقى بكثرة الكدّ والجدّ في ذلك.

وقوله (قل): يا أيّها السالك. وقوله (لقتيل): أي مقتول. وقوله (الحُبَّ): أي المحبّة والعشق، أي: الذي قتله عشقه الربّانيّ، وكلّ عشق كذلك إنْ كشف صاحبه عنه، وتحقّق به، ولم يحتجب بالفاني عن الباقي، وقتل المحبّة الإلهيّة الكشف عن نفسه ومعرفته بها واطّلاعه على حولها وقوّتها بحيث لم يبقَ فيه لنفسه حركة أصلاً في باطنه وظاهره، وهو الموت الإختياري، كما قدّمناه وإنْ بقي بأحواله كلّها في ظاهره على ما هو عليه في حياته الدنيويّة فإنّه يتبدّل عند نفس باختياره، فيظهر فيه له أمر ربّه، فيصير المستولي عليه في ظاهره وباطنه ربّه تعالى لا غيره؛ وهي أحوال الموتى، قال تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [٣٢/ الزمر/ ٣٠] وقال سبحانه وتعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ «أي مات» ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٣] أي: خلقتهم التي هم عليها؛ فإنّهم ميّتون وإن تحرّكوا في ظواهرهم وبواطنهم بتحريك ربّهم، لا بتحريك أنفسهم عندهم. وإنْ اختاروا الحركة فإنّ اختيارهم باختيار ربِّهم لهم أنْ يختاروا فيختاروا، فربّهم ظاهر لهم بهم فيهم على ما ذكرنا، حتّى إنّ الحقّ تعالى هو سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به إلى غير ذلك من حواسّهم، كما ورد في حديث المتقرِّب بالنوافل.

وقوله (وفّيْتَ): بتشديد الفاء، يقال: وفّى فلاناً حقَّه: أعطاه، وافياً كوَفّاه، ووافاه فاستوفاه، كذا في القاموس. وقوله (حَقَّهُ): أي حقّ الحبّ والعشق، أي: ما

يستحقّه من الحقوق، ووصل إلى منتهياه، والذي يقتضيه من نتيجته وفائدته النافعة في الدنيا والآخرة؛ وهي ظهور أمر الله تعالى في ظاهر العبد وباطنه، وانكشاف التصرّف الربّانيّ بالعبد الفاني. وقوله **(وللمُدَّعِي)**: معطوف على قتيل الحبّ، والمدّعي هو العبد الذي يدّعي أنّه عرف نفسه، وعرف أنّه متحقِّق باستيلاء ربّه عليه في ظاهره وباطنه بمجرّد تخيّل نفسه بذلك، ومجرّد تعقّله لما هنالك، وتصديقه به؛ فهو من غير إحساس بذاك، ولا إدراك؛ وإنّما إحساسه بنفسه أنّها المتحرِّكة ظاهراً أو باطناً فهو مؤمن مصدّق لا صاحب معرفة ذوقيّة وجدانيّة؛ فهو يعبد ربّه تعالى، وهو غائب عنه، ولم يحضر عنده إلّا نفسه على الوهم والتخيل. ومع ذلك هو يدّعي لنفسه بنفسه مقامات العارفين، وأحوال الواصلين. وتقدير الكلام: وقل للمدّعي. وقوله **(هيهات)**: اسم فعل، بمعنى بَعُد، أي: الذي أنت فيه من الأحوال النفسانيّة بعيدة جدّاً عن الأحوال الوجدانيّة، والأمور الذوقيّة التي تدّعيها بالكذب والبهتان/ [٣٣١/ ب] وإنّما أنت مؤمن بالغيب، بعيد عن مقام الإحسان الذي قال فيه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «أنْ تعبد الله كأنّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك»[١].

وقوله **(ما الكَحَلُ)**: بفتح الكاف، وفتح الحاء لمهمة، وهو كما قال في القاموس: «الكَحَل، محرّكة: أنْ يعلوَ منابِت الأشفار سواد خِلْقَة، أو تَسوَدُّ مَواضِعُ الكَحْل. كَحِلَ، كفرح؛ فهو أكْحَل. والكَحْلاء: الشديدة سواد العين، أو التي كأنّها مَكْحُولة وإنْ لم تَكْحَل». وقوله **(الكُحْل)**: بضمّ الكاف وسكون الحاء المهملة، هو الإثْمِد، كالكِحَال، ككتاب، وكلّ ما وُضِع في العين لتشفى به، وهذا مثل أصله: «ليس التكحّل في العينين كالحكل»، قال المتنبّي:

لأنّ حلمك حلم لا تكلّفه ليس التكحّل في العينين كالكحل

---

(١) انظر تخريجه ص١٠٧٧.

والمعنى: ليس الكُحْل الأسود الموضوع في العين مثل الكَحَل، بالتحريك السواد الخلقي الذي جعله الله تعالى في العين. وكذلك ليس ذوق المعرفة الإلهيّة، ووجدان المعارف الربّانيّة، والإحساس بالأمر الحقّ الذي قام به كلّ شيء الكشف والشهود مثل فهم ذلك بالعقل، وتخيله بالقوّة الخياليّة، وهو غائب عنه، فيدّعيه زوراً وبهتاناً وظناً وحسباناً.

٩ - تَعَرَّضَ قَوْمٌ لِلْغَرَامِ فَأَعْرَضُوا بِجَانِبِهِمْ عَنْ صِحَّتِي فِيهِ وَاعْتَلُّوا

١٠ - رَضُوا بِالأَمَانِي وَابْتُلُوا بِحُظُوظِهِمْ وَخَاضُوا بِحَارَ الْحُبِّ دَعْوَى فَمَا ابْتُلُّوا

١١ - فَهُمْ فِي السُّرى لَمْ يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهِمْ وَمَا ظَعَنُوا فِي السَّيْرِ عَنْهُ وَقَدْ كَلُّوا

١٢ - وَعَنْ مَذْهَبِي لَـمَّا اسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الْـ هُدَى حَسَدَاً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ضَلُّوا

(**تعَرَّضَ**): بتشديد الراء، فعل ماض من قولك: تعرّضت لفلان، أي: تصدّيت له، ويقال: تعرّضت أسألهم، كذا في الصحاح. وقوله (**قوم**): فاعل تعرّض، والقوم: الجماعة من الرجال والنساء معاً. أو الرجال خاصّة، أو يدخله النساء على تَبَعِيَّة، ويؤنَّث، وجمعه: أقوام، وجمع جمعه: أقاوم وأقاويم وأقائم، كما في لقاموس. ونكَّرَهم لتنكير أحوالهم عليهم، وتحقيراً لهم لكذبهم وافترائهم. وقوله (**للغرام**): أي للمحبّة والعشق الإلهيّ. واللام للعهد، أو للجنس. وقوله (**فأَعرَضوا**): الفاء للترتيب والتعقيب والفور. وأعرضوا من الإعراض عن الشيء، وهو الصدّ عنه ويقال: أَعْرَضَ فلان، أي: ذهب عرضاً وطولاً، كذا في الصحاح. وقوله (**بجانبهم**): متعلق بأعرضوا، والجانب: شقّ الإنسان، قال في القاموس: «الجَنْب والجَانِب والجَنَبَة، مُحَرَّكة: شِقُّ الإنسان وغيره، والجمع: جُنُوب وجَوَانِب وجَنَائِب». أفرد الجانب لقصد الجنس، أو لأنّ إعراضهم كلّهم سواء فكأنّهم أعرضوا بجنب واحد. وقوله (**عن صحّتي**): أي موافقتي للحقّ والصواب. وقوله (**فيه**): أي الغرام. والصُّحّ بالضمّ، والصِّحَة بالكسر، والصَّحاح بالفتح: ذهاب المرض، والبَرَاءة من كلّ عيب. صَحَّ يَصِحُّ، وهو صَحِيح وصَحاح، كذا

في القاموس. يعني: إنّ هؤلاء القوم المذكورين تصدّوا لدعوى المحبّة والعشق الربّانيّ، معرضين عن منهج الصواب وطريق الاستقامة، متصدّين لمجرّد الدعاوى الكاذبة، لبست عليهم أنفسهم أنّهم عرفوا الله تعالى، المعرفة الذوقيّة فأحبّوه سبحانه، ولا يحبّه تعالى إلّا عارفه المعرفة الذوقيّة. وسبب ذلك ما سبق في الأبيات قبله أنَّ سبب المعرفة الذوقيّة الفناء والاضمحلال بالكلّيّة في الوجود الحقّ، وجود الحضرة الإلهيّة. وسبب الفناء المذكور الموت الاختياري؛ فمن لم يمت، ومن لم يفنَ لم يعرف الوجود الحقّ، سبحانه وتعالى، المعرفة الذوقيّة. ومن لم يعرفه تعالى المعرفة الذوقيّة لم يحبّه تعالى؛ فمحبّته بالفناء في وجوده الحقّ سبحانه،. وهؤلاء لم يموتوا الموت الاختياري، فلم يفنوا عن دعاوى وجودهم في وجود ربّهم الحقّ؛ فلم يعرفوه تعالى المعرفة الذوقيّة؛ فلم يحبّوه، وقد ادّعوا محبّته كذباً وبهتاناً /[٣٣٢/أ] وذلك أنّهم قنعوا بتخيّلات عقولهم، وتصويرات أفكارهم، فتخيّلوا الموت بأفهامهم، وظنّوا أنّهم ماتوا، وفهموا معنى الفناء والاضمحلال؛ فظنوا أنّهم فنوا، واضمحلّوا. وتخيّلوا بعقولهم الوجود الحقّ، فظنّوا أنّهم وجدوا الوجود الحقّ، وهم إنّما وجدوا معنى عقليّاً خيالياً تصوّروه في نفوسهم، والوجود الحقّ تعالى بعيد عن تصورات الأفهام وتخيّلات الأوهام. ثمّ أحبّوا ما وجدوا من المعنى العقلي، والتخيّل الفكريّ فظنّوا أنّهم أحبّوا ربّهم، وأنّ ربّهم أحبّهم، قال القائل:

هيهات أن تصطاد عنقاء البقا ... بلعابهن عناكب الأفكار

وقال الآخر:

إنّ الإله الذي يبدو بكم ولكم ... والله والله ما هذا هو الله

وقوله (واعتلوا): من العلّة بالكسر، وهي الغرض والحظّ النفسانيّ، أي: دخلوا في العلل النفسانيّة والأعراض الشهوانيّة. قال في القاموس: «تَعَلَّلَ بالأمر: تَشَاغَل، كاعْتَلَّ، وتَعَلَّلَ بالمرأة: تَلَهَّى، وعَلَّلَه بطعام وغيره تعليلاً: شَغَلَه به». وقوله (رَضُوا):

أي قنعوا، أو اطمأنت نفوسهم. وقوله (**بالأماني**): جمع أمنية، وهي ما يتمنّاه الإنسان، أي: يريد حصوله، قال في القاموس: «تَمَنّاه: أرادَه، ومَنَّاه تَمْنِيَة وـ به، وهي المُنْيَة بالضمّ والكسر، والأُمْنِيَّة بالضمّ: وتَمَنَّى: كذب». ومن ذلك قول الشاعر:

نـأى والأمـاني الكاذبـات بـه دَنَـتْ ... بـديع جمـال مـن محاسـنه الحُسن

والمعنى: إنّهم قنعوا من المعرفة الإلهيّة الذوقيّة بتمنّي نفوسهم لها، واطمأنّت قلوبهم على ما يجدونه عندهم من المُحالات، قال تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [١٦/ النحل/ ١١٦]. وقال عليه الصلاة والسلام: «المُتشبّع بما ليس عنده كلابس ثوبي زور»[1]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني»[2]. وقوله (**وابْتُلُوا**): أي ابتلاهم الله تعالى. وقوله (**بحظوظهم**): جمع حَظّ، وهو النصيب والجَدّ، وجمع القلّة: أَحُظ، والكثرة حُظُوظ، وأَحَاظ على خير قياس، كأنّه جمع أُحُظ، قال الشاعر:

وليس الغنى والفقر من شيمة الفتى ... ولكـن أُحـاظ قُسِّمت وجـدود

وقوله (**فخاضوا**): من خُضْتُ الماءَ أَخُوضُه خَوْضَاً وخِيَاضَاً، والموضع مَخَاضَةً، وهو ما جاز للناس فيه مُشاة وركباناً. وخَاضَ القومُ في الحديث وتَخَاضُوا، أي: تفاوضوا فيه، كذا في الصحاح. وقوله (**بحار**): جمع بَحْر، مفعول خاضوا. وقوله (**الحبّ**): أي المحبّة والعشق الربّانيّ. وقوله (**دعوى**): أي خوضهم ذلك مجرّد دعوى نفسانيّة وزعم منهم أنَّ حالهم كذلك أخذاً من كتب أهل المعارف، وحفظاً من كلمات أولي التحقيق، وفهماً عقليّاً من إشارات أصحاب الكمال ممن تقدّمهم

---

(١) ذكره ابن فارس في مقاييس اللغة، وكذلك غيره من اللّغويّين، مادّة شبع بهذا اللفظ. وقد أخرج البخاريّ في صحيحه كتاب النكاح، باب: المتشبّع بما لم ينل وما ينهى من افتخار، ٥٢١٩، بلفظ: «المتشبّع بما لم يُعْطَ كلابس ثوبي زور».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده باب: حديث شدّاد بن أوس ١٧٥٨٨، بلفظ العاجز بدل الأحمق.

أو عاصرهم، يتلقّفون الكلمة والكلمتين من كلام أهل الله تعالى، ثمّ يدّعون وجدانها، ويظنون أنّ فهمها وجدانها كمن ينظر إلى غيره وهو يأكل الحامض فيتلمّظ هو من الحموضة، متوهِّماً أنّه ذائق لذلك، وليس في فمه شيء، وكذلك هم ليس عندهم شيء من ذلك؛ وإنّما يتخيّلون بأفهام عقولهم وتخيّلات أفكارهم.

وقوله (فما ابْتُلُّوا): بتشديد اللام، أي: لم يصبهم البلل أصلاً من خوضهم تلك البحار التي خاضوها بمجرّد دعواهم خوضها بالدعوى القاليّة أو الحاليّة. وقوله (فهم): أي أولئك القوم. وقوله (في السُّرى): بضمّ السين المهملة، كالهُدَى سير عامة الليل، كما في القاموس. وهو السير في ليل عالم الأكوان إلى أنْ تقطعه/ [٣٣٢/ ب] فيظهر له أنّه نهار عالم الوجود الحقّ من مطلع الكشف والعيان. وقوله (لم يَبْرَحُوا): من البَراح، كسحاب، مصدر بَرِحَ مكانه كسمِع: زال عنه، كذا في القاموس. وقوله (من مكانهم): أي موضعهم الذي هم فيه. يعني: هم في سيرهم الذي ساروه، لم يذهبوا، ولم يزولوا عن حالهم الأوّل، وعادتهم، وطبعهم، وغفلتهم، وحجابهم عن ربّهم. وقوله: (وما ظَعَنُوا): بالظاء المعجمة، أي: ساروا. وظَعَنَ، كمَنَعَ، ظَعْناً، ويحرّك: سار. وأظْعَنَه: سَيَّرَهُ، كذا في القاموس. وقوله (في السير): أي سيّرهم من نفوسهم إلى ربِّهم الذي هو سيّر السالكين الصادقين في طريق معرفة الله تعالى، المعرفة الذوقيّة. وقوله (عنه): أي عن مكانهم الذي كانوا فيه واقفين، ومكانهم في سيرهم هذا هو نفوسهم الأمّارة بالسوء، أي: المدّعية للأمر الذي تجده فيها، وهو أمر الله تعالى المتلبس بها عليها، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُـم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ ـ يعني بذلك ـ ﴿إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وفي قوله (أُوتيتم): بالبناء للمفعول: إشارة إلى أنّ هذا العلم لا يؤتيه للعبد السالك إلّا الله تعالى، ولا يمكن أنْ يؤتيه له شيء غير الله تعالى. من تعلّم أو تفهّم، أو اجتهاد في طاعة، أو عبادة؛ وإنّما يلقيه تعالى في قلب العبد المستعدّ بالتقوى، والإخلاص، والعمل الصالح، كما قال

تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢]

وقوله (وقد كَلُّوا): بفتح الكاف وتشديد اللام، أي: تعبوا ونصبوا، وهم في زعم السير، وليسوا بسائرين؛ وإنّما هم واقفون عند نفوسهم لم يفارقوها، والتعب كلّه والنصب حاصل لأجسامهم يكدُّونها بالرياضات الظاهرة والحركات المزعجة، وترك الأكل والشرب، والنوم، وشغلهم كلّه في أعمالهم الظاهرة، ونفوسهم على ما هي عليه من أحوالها القاهرة واستيلائها الشديد، وغلبتها الباهرة، قال الشاعر:

يا ساعياً في عمار الجسم مجتهداً ... أتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وقال الآخر:

هذّب النفس بالعلوم لترقى ... وترى الكلّ فهي لكلّ بيت
إنّما النفس كالزجاجة والعلم ... سراج وحكمة الله زيت
فإذا أشرقت فإنّك حيّ ... وإذا أظلمت فإنّك ميت

وقوله (وعن مذهبي): متعلّق باستحبّوا. والمذهب: المُعتقَد الذي يذهب إليه، والطريقة، كذا في القاموس. يعني: عن مشربي ومقامي الذي أنا فيه، وهو الاشتغال بالتقوى في القلب موضع نظر الربّ تعالى، والانهماك في أعمال الباطن فقط. وأمّا الظاهر فإنّ التقوى فيه، والأعمال الصالحة المرضية تحصل بالتبعيّة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [٢٢/ الحج/ ٣٢]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «التقوى ههنا، وأشار إلى قلبه»[1].

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرّ والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره عند الكبر، ٦٧٠٦، بلفظ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقِّره. التقوى ههنا، ويشير على صدره ثلاث مرات بحسب امرء من الشرّ أن يحقّر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام دمه ماله وعرضه».

وقال البوصيري في همزيّة المديح النبويّ:

وإذا حلّت الهداية قلباً نشطت بالعبادة الأعضاء

فإنّ التقوى إذا كانت في النفس والقلب ظهرت في الجسد والأعضاء والجوارح. وأمّا إذا كانت التقوى في الأعضاء والجوارح فلا تتبعها النفس والقلب. وقوله (**لمّا استحبّوا**): أي أحبّوا، يقال: أحببته واستحببته. وقال في الصحاح: «والاستحباب كالاستحسان». وقوله (**العمى**): مصدر عَمِيَ كرَضِيَ عَمَىً: ذَهَبَ بصرُه كلّه. والعَمَى أيضاً: ذهاب بصر القلب، كما في القاموس. والمعنى هنا بالعمى زيادة الغفلة في النفس والقلب، وعدم التيقُّظ لأمر الله تعالى، والانهماك في عمل الجوارح بالقوى/ [٣٣٣/ أ] النفسانيّة مع الإعراض عن الله تعالى، وعدم الالتفات إلى تجلّياته وظهوراته في آثار قدرته بالكلّيّة. وقوله (**على الهُدَى**): بضمّ الهاء وفتح الدال المهملة: الرشاد، والدلالة، هَدَاه هُدًى وهَدْياً وهِدايةً وهِدْيَةً، بكسرها: أرشده فَهَدَى واهْتَدَى، وهَدَاه الله الطريق، وله، وإليه، كذا في القاموس. وفيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [٤١/ فصّلت/ ١٧] وقوله (**حسداً**): تمييز، أو مفعول من أجله. والحسد أنْ تتمنّى زوال نعمة المحسود إليك، كذا في الصحاح. وقوله (**من عند أنفسهم**): يعني ما تبعوا فيه غيرهم، والحاسد يخالف المحسود، ويذم فعله، ويستقبح صنيعه لعلمه بعجزه عن تحصيله لصعوبته عليه قال القائل:

حسدوا لفتى إذْ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنّه لذميم

(**وقد ضلّوا**): من الضلال نقيض الهدى، لا شكّ أنّ من استحسن العمى عن الحقّ وأحبّه وترك الهدى والرشاد إليه، وارتكب الحسد، وتمنّى انتقال نعمة أنعمها الله تعالى على غيره إليه، بأنّه ضلّ عن سواء الطريق، واتّبع غير سبيل المؤمنين.

١٣- أَحِبَّةَ قَلْبِي وَالمَحَبَّةُ شَافِعِي[1] لَدَيْكُمْ إذا شِئْتُمْ بِها اتَّصلَ الحَبْلُ

١٤- عَسَى عَطْفَةٌ مِنْكُمْ عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ فَقَدْ تَعِبَتْ بَيْنِي وبَيْنكُمُ الرُّسْلُ

(أحبّة قلبي): منادى مضاف، والتقدير: يا أحبّة قلبي. والأحبّة جمع حبيب، وأضافهم إلى قلبه لصدقه في محبّتهم. وخطابه بالنداء للحضرات الإلهيّة؛ حضرات الأسماء والصفات بآثارها في عوالم الإمكان. وقوله **(والمحبّة شافعي لديكم)**: أي عندكم. يعني: لا وسيلة لي إلى قربكم والوصول إلى لقائكم إلّا محبّتي لكم؛ فإنّ عملي لكم واعتقادي فيكم خدمة لأمركم، وعبوديّة لحكمكم. وعلى العبد خدمة مولاه، والتحقّق بالعبودية له. ولا يكون ذلك وسيلة له؛ لأنّه ليس بقدر زائد على حقيقة حاله، ومقتضى شأنّه، فما بقي عنده إلّا المحبّة؛ فهي الشافعة له في تحصيل القرب، ومعاملة المولى له بالزيادة على ما يعامل به العبيد من اختصاصه، بالتقريب إلى جنابه، ورفع شأنه بإتحافه بلذيذ خطابه، وكشف الستر بينه وبينه، وإزالة حجابه. وذلك لأنّ قدر العبيد القائمين بخدمة مولاهم أنْ يسكنهم دار الجنان، ويوليهم بسوابغ الإحسان، ويمتّعهم في جوار مولاهم بأنواع الحور والولدان. وهذا من المولى تعالى جزاء لهم على ما كان منهم في الدنيا من بذلهم الطاقة في خدمة أوامره ونواهيه، وصدق عبوديّتهم له، شكراً على كمال نعمه، وإتمام مساعيه. وهذا العبد المخصوص طالب بكمال الخلوص ما هو فوق الجزاء من القرب إلى مولاه، والتمتّع برؤياه ولقياه. ولا وسيلة له غير محبّته، وكمال تقرّبه إليه، ومودّته. وأيضاً فإنّ المحبّة القديمة من أوصافه تعالى لخلقه، كما ورد في الخبر الإلهيّ، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] وفي الحديث لقدسيّ: «كنت كنزاً مخفيّاً لم أعرف؛ فأحببت أنْ أعرف فخلقت خلقاً تعرّفت إليهم، فبي عرفوني»[2]؛

---

(١) في (ق): شافعٌ.

(٢) انظر تخريجه ص٧٨٠.

فالمحبّة منه له، فهي أقرب شافع، وأكمل نافع. وقوله (إذا شئتم): أي أنّ ذلك موقوف على مشيئتكم؛ لأنَّ المحبّة في العبد كون حادث لا أثر له في اتّصال ولا انفصال؛ وإنّما التأثير لأصلها الثابت بحقيقة فرعها النابت. وقوله (بها): أي بتلك المحبّة، أي: بسببه. وقوله (اتّصل الحبل): والحبل الرباط. وجمعه: أَحْبُل [وأَحْبَال] وحِبَال وحُبُول. والعهد والذمّة، والأمان، والوصال، والتواصل، كذا في القاموس. قال/ [٣٣٣/ ب] تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٠٣] وحبل الله هو القرآن. طرفه الأعلى بيد الله. وهو جهة كونه كلامه القديم الذي ليس بحرف ولا صوت. وطرفه الآخر النازل بأيدينا؛ وهو كوننا نقرؤه، ونفهم معناه ونؤمن به، ونعمل بمقتضاه؛ فمن تمسّك به، وسار على طريقة ما فيه وصل إلى الله تعالى. ومن تركه وعدل عن العمل بمقتضاه انقطع به، ولم يتّصل به الحبل. وقوله (عسى): فعل مُطْلقاً، أو حرف مُطْلقاً للترجِّي في المحبوب والإشفاق في المكروه، كذا في القاموس. وقوله (عَطْفَةٌ): بالرفع اسم عسى، لأنّها ترفع الاسم وتنصب الخبر. وقوله (منكم): متعلّق بفعل محذوف، تقديره: نكون منكم. والخطاب للحضرات الإلهيّة الظاهرة بالآثار الكونيّة. وقوله (عليّ) بتشديد الياء التحتيّة، صفة لعطفة، أي: كائنة عليّ. وقوله (بنظرة): صفة لعطفة، من باب ضرب: يقال عطف عليه بكذا. وفي المصباح: «عَطَفَتْ الناقة على ولدها عَطْفَاً، من باب ضرب: حنَتْ عليه ودَرّ لبنُها». والمعنى: أنّه يترجّى من أحبّته أنْ يحنوا عليه، ويعطفوا بنظرة منهم إليه من تجلّي الاسم الحَنّان المنّان. وهذه النظرة التي ترجّاها هي نظرة الاعتناء بشأنه، والإصلاح لظاهره وباطنه؛ وهي نظرة الحقّ بالحقّ للحقّ، وتنكيرها للتعظيم. فإذا حصلت هذه النظرة للعبد السالك في الدنيا كفته إصلاحاً للظاهر والباطن، وتوفيقاً وعناية منه تعالى بالعبد؛ فهي خير له من عمله بنفسه. وعلامة حصول هذه النظرة للعبد انعزال نفس العبد عن تدبيره بالكلِّيّة؛ فتتبدل نفسه من استقلالها وانفرادها بالقلب المتقلّب من

أمر الله تعالى؛ فتصير نفسه قلباً ينقلب من باطن علم الحقّ تعالى إلى ظاهر عالم الأكوان كلمح البصر في كلّ آن.

وقوله **(فقد تعبت بيني وبيكم الرسْل)**: جمع رسول، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، المرسلون من الله تعالى إلى الخلق لإصلاح ظواهرهم وبواطنهم على طبق شريعة الله تعالى التي حكم بها على كلّ أمّة من الأمم، بحسب ما يناسبهم في الإصلاح، وانقلاب نفوسهم قلوباً متقلِّبة بأمر الله تعالى الذي هو كلمح بالبصر. والمعنى: إنّ النفوس الأمّارة بالسوء من الأمم أتعبت الرسل عليهم السلام في إصلاحها، وإيصال التوحيد إليها، حتّى أمرهم الله تعالى أنْ يقنعوا منهم بإصلاح ظواهرهم، والله سبحانه يتولّى بواطنهم فيمن أراده بتلك النظرة المذكورة؛ فتلك النظرة هي مقصود الكاملين؛ فتفنى نفوسهم عن عمل العاملين. ولقد سألتُ بعض من كنت أجتمع بهم من أهل الله تعالى أرباب الأذواق فقلت له: ما هذا الأمر؟. فحلّق بمسبحته وإبهامه، ونظر منها، وقال لي: الحقّ تعالى ينظر من قلبي هكذا، وأشار إلى هذه النظرة التي أوجبت له تبدّل نفسه قلباً بعد فنائه كلّه بالكليّة. فعلمت حسن حاله باستغراقه في مرتبة كماله.

١٥- أَحِبَّايَ أَنْتُمْ أَحْسَنَ الدَهْرُ أَمْ أَسَا فَكُونُوا كَمَا شِئْتُمْ أَنا ذَلِكَ الخِلُّ

١٦- إذا كَان حَظِّي الهَجْرُ مِنْكُمْ وَلَمْ يكُنْ بِعادٌ فَذَاكَ الهَجْرُ عِنْدِي هُوَ الوَصْلُ

(أحِبَّايَ): منادى مضاف إلى ياء المتكلّم حذف منه حرف النداء تخفيفاً، وتقديره: يا أحبائي. وهم أحبّته المذكورين في البيت السابق. وقوله **(أنتم)**: مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: موجودون بتحقيق الوجود لكم من حيث ذاتكم الواحدة، المتعدّدة، المتكثرة، المختلفة بالصور والأشكال الكونيّة التي هي آثار صفاتكم وأسمائكم التي لا يبلغها إلّا الإحصاء، من قبيل قول القائل:

تكثّرتُ بالأسماء مَعْ أحديتي لتعلم أنّي واحد وكثير

ويجوز أنْ يكون أحبّاي مبتدأ، وأنتم خبره. يعني: أنتم أحبائي على كلّ حال، لا أتحوّل/ [٣٣٤/ أ] ولا أتبدّل، ولا أتغيّر عن محبّتكم أبداً في جميع مظاهركم التي تظهرون بها من حيث آثار أسمائكم الحسنى. وقوله (**أحسن الدهر أم أسا**): أي سواء كان الدهر محسناً لي، أو مسيئاً. والدهر من جملة الأسماء الحسنى، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «لا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر»[1] أخرجه الإمام أحمد عن أبي قتادة الحارث بن ربعي. وورد أيضاً أنَّ من أسمائه تعالى الأبد، كما ذكر الخوارزمي في كتابه «مقبول المنقول» في جملة أسماء الله تعالى الحسنى اسم الأبد. ثمّ شرح معناه في جملة شرح الأسماء فقال: «الأبد هو الدائم الذي لا آخر له، ولا منتهى؛ وإنّما أُطلق الأبد على الله تعالى لأنّه هو خالق الأبد، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «لا تسبّوا الدهر؛ فإنّ الله هو الدهر» لأنّه هو خالقه والفاعل فيه؛ وإنّما عدل الناظم عن صريح اسم الله تعالى أدباً مع الله تعالى أنْ تنسب الإساءة إليه سبحانه جرياً على عادة العرب في نسبة الأمور إلى أسبابها الظاهرة. وقوله (**فكونوا**): أي ابقوا ودوموا. وقوله (**كما شئتم**): أي على الوصف الذي أنتم فيه بمقتضى مشيئتكم القديمة الأزليّة، على وفق علمكم السابق القديم الكاشف عنّا وعن كلّ شيء أزلاً من غير ابتداء، ونحن وكلّ شيء إلى الأبد معدومون؛ لأنّه تعالى علام الغيوب، والغيوب جمع غيب، وهو ما غاب في عدمه مما كان، أو يكون، أو هو كائن. وقوله (**أنا ذلك الخِلّ**): بكسر الخاء المعجمة؛ أي: الخليل، من الخَلّة بالفتح، وهي الصداقة. والضمّ لغة، ذكره في المصباح. وقال في الصحاح: الخِلّ: «الودود الصديق». واللام للحصر، أي: أنا ذلك المحبّ المعهود الذي لا محبّة كمحبّتي؛ لأنّ محبّته محبّة محمّديّة موروثة، موجبة للشكر في السراء، والصبر في الضرّاء وهي المحبّة الذاتيّة الظاهرة بالتجلّيات الباهرة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث أبي قتادة الأنصاري، ٢٣٢١٧.

ثمّ قال (**إذا كان حظّي**): أي نصيبي وقسمتي. وقوله (**الهجرُ**) بالرفع: اسم كان مؤخر. وحظّي خبرها مقدّم. أو بالنصب خبر كان، وحظّي اسمها. والهَجْر: مصدر هَجَرْتُهُ هَجْراً، من باب قتل: تركته ورفضته؛ فهو مَهجور. وهجرت الإنسان: قطعته، والاسم: الهِجران، كذا في المصباح. والمعنى: بالهَجْر هنا ترك المناجاة الإلهيّة في السرّ، وعدم الاعتناء من الربّ تعالى بالعبد بعدم الحفظ له من طوارق الأمور المزعجة، وتأخير الإجابة له في الدعاء. وقوله (**منكم**): متعلّق بالهجر؛ لأنّه مصدر، أو بواجب الحذف، حال من الهجر. والخطاب للأحبّة المذكورين. وقوله (**ولم يكن**): أي يوجد مع ذلك الهجر. وقوله (**عندي**): يعني باعتبار أنني مستسلم إليكم، ومنقاد لكم، وقد تساوى في ظاهري وباطني الإحسان منكم والإساءة. وقوله (**هو**): أي الهجر المذكور. وقوله (**الوصل**): أي المواصلة، خلاف المقاطعة، وحيث كان الهجر للتأديب، وتعليم الصلاح، وحثّاً على التوبة والأوبة، وإيثاراً للجانب الإلهيّ على الجانب الكونيّ؛ فما هو هجر في المعنى، ولا هو إعراض؛ بل هو إقبال، وطلب، ومزيد اعتناء بالعبد ما لم يكن ذلك الهجر إبعاداً، أو طرداً؛ فإنّ الهجر المذكور على قسمين: قسم يكون للإبعاد والطرد عن الجناب الإلهيّ. وقسم يكون للتأديب والإصلاح؛ وهذا القسم الثاني هو هجر في الظاهر وهو وصل في الباطن، وأي وصل خصوصاً إذا كان الهجر في الظاهر بتسليط البلاء على العبد المؤمن، وأذيّة الخلق له، وتتابع الأمراض والأوجاع عليه؛ فإنّ ذلك في ظاهر العادة بحسب ما يتبادر للذهن أنّه هجر وإعراض من الربّ تعالى عن عبده المؤمن به؛ وهو نفع له في باطن الأمر، ورفعة مقام عند ربّه، كما وردت به الأخبار النبويّة والأحاديث الصحيحة المرضية. ذكر في كتاب «مقبول المنقول» للخوارزميّ قال: عن أبي/ [٣٣٤/ ب] سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: «دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يوعك، فوضعت يدي عليه، فوجدت حَرّه بين يديّ فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله،

ما أشدّها عليك. قال: إنّا كذلك يضاعف لنا البلاء، ويضاعف لنا الأجر. قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أشدّ بلاء؟ قال: الأنبياء. قلت: يا رسول الله، ثمّ مَن؟ قال: ثمّ الصالحون، إنْ كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتّى ما يجد أحدهم إلّا العباءة يحويها. وإنْ كان أحدهم لَيفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء»[1].أخرجه ابن ماجه. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إنَّ الصداع والمليلة لا يزال بالمؤمن، وإنّ ذنبه مثل أُحد، فما يتركه وعليه من ذلك مثقال حبّة من خردل»[2] أخرجه الإمام أحمد.

وعن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، أنّهما سمعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «ما يصيب المؤمن من وَصَب، ولا نَصَب، ولا سقم، ولا حزن. حتى الهمّ يهمه إلّا كفّر الله به سيئاته»[3] أخرجه البخاريّ ومسلم والترمذيّ. وفي مسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرقه وجع فجعل يشتكي ويتقلّب على فراشه فقالت عائشة: لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه!. فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إن الصالحين يُشدد عليهم، وإنه لا يُصيب مؤمناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلّا حُطّت عنه خطيئة، ورُفع بها درجة»[4]. وله في رواية أخرى قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا كثرت ذنوب العبد، ولم يكن له ما يكفِّرها ابتلاه بالحزن

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب: الصبر على البلاء، ٤١٦٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، باب: باقي حديث أبي الدرداء، ٢٢٣٦٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسنده أبي هريرة، ٨٢٤٣. ومسند أبي سعيد الخدريّ، ١٢٠٨٩. وأخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب المرض، باب: وضع اليد على المريض، ٥٦٦٠، بلفظ قريب، عن عبد الله بن مسعود. كما أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: البرّ والصلة، باب: ثواب المؤمن يصيبه من مرض أو حزن، ٦٧٣٣. كما أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في ثواب المريض، عن أبي سعيد الخدريّ، ٩٨١.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، باب: حديث عائشة، رضي الله عنها، ٢٦٠٠٦.

ليكفّرها»[1]. وعن محمّد بن خالد السلميّ عن أبيه عن جدّه، وكانت له صحبة، أنّه خرج زائراً لرجل من إخوانه بلغه شكايته، فدخل عليه فقال: أتيتك زائراً، وعائداً ومبشِّراً. قال: كيف جمعت هذا كلّه!. قال: خرجت أريد زيارتك، فبلغني شكايتك، فكانت عيادة، وأبشِّرك بشيء سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إنّ العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده»[2].

وفي رواية: «ثمّ صبّره على ذلك حتّى يبلِّغه المنزلة التي سبقت له من الله عزّ وجلّ»[3]. أخرجه أحمد. وأخرج أبو داوود المسند منه فقط.

١٧ - وَمَا الصَّدُّ إِلَّا الوُدُّ مَا لَـمْ يَكُنْ قِلَىً ... وَأَصْعَبُ شَيْءٍ غَيْرَ إِعْرَاضِكُمْ سَهْلُ

١٨ - وَتَعْذِيْبُكُمْ عَذْبٌ لَدَيَّ وَجَوْرُكُمْ ... عَلَيَّ بِـمَا يَقْضِي الهَوَى لَكُمُ عَـدْلُ

١٩ - وَصَبْرِيَ صَبْرٌ عَنْكُمُ وَعَلَيْكُمُ ... أَرَى أَبَداً عِنْدِي مَرَارَتَهُ تَحْلُو

(وما الصدّ): صَدَّ عنه صُدُوداً: أَعَرَض. وصَدَّ فلاناً عن كذا صَدّاً: مَنَعَهُ وصَرَفَهُ، كما في القاموس. أي: الإعراض عنّي منكم بحسب ظاهر الحال كما مر في الهجر. قوله (إلّا الوُدّ): والوُدُّ والوِداد: الحُبّ، ويثلّثان، كالوِدَادَة، كذا في القاموس. أي: إلا الإقبال والمحنة منكم تعليماً للأدب، وتوصيلاً للأديب؛ فإنَّ سوء معاملة الرب للعبد المؤمن في الدنيا قد تكون إصلاحاً في حقّه، يعامله بما لا يلائمه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [٤٣/ الشورى/ ٣٠]. وفي كتاب «مقبول المنقول» للخوارزميّ قال: عن شيخ بني مرّة قال: قدمت الكوفة، فأخبرت عن بلال بن أبي بردة، فقلت: إنّ فيه معتبراً فأتيته،

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث السيدة عائشة، ٢٥٩٧٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث رجل، ٢٢٩٩٨.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث رجل، ٢٢٩٩٨، كما أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الجنائز، باب: الأمراض المكفّرة للذنوب، ٣٠٩٠.

وهو محبوس في داره التي كان بنى. وإذا كلّ شيء منه قد تغيّر من العذاب والضرب، وإذا هو في قشاش. فقلت: الحمد لله يا بلال، لقد رأيتك تمر بنا، وأنت تمسك أنفك غيرغبار، وأنت في حالك هذه. فقال لي: ممن أنت/ [٣٣٥/ أ] قلت من بني مرّة من عُبَادٍ، فقال: ألا أحدّثك حديثاً عسى الله أنْ ينفعك به. قلت هات. قال: حدّثني أبي، أبو بردة عن أبي موسى رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا يصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلّا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»[١] أخرجه الترمذي. وقال فيه حديث غريب. وأخرج الترمذيّ وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قال: «إذا أراد الله بعبده خيراً عجّل له العقوبة في الدنيا. وإذا أراد بعبده الشرّ أمسك عنه حتى يوافي به يوم القيامة»[٢].
وقوله (ما لم يكن): أي ذلك الصدّ عن العبد المؤمن.

وقوله (قِلىً): بالكسر مصدر قَلَا زيداً قلىً وقَلَاء: أبغضه، كرماه ورضيه قِلَىً وقِلَاءً ومَقْلِيَةً: أبغضه وكرهه غاية الكراهة، وتركه أو قَلاه في الهجر، وقَلِيَهُ في البُغض، كذا في القاموس. وقد ورد أنّ المشركين قالوا لمّا فتر الوحي عن عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إنّ ربّه قَلَاه وأبغضه، فأنزل تعالى عليه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [٩٢/ الضحى/ ١-٣] فإنّ الصدّ والإعراض إذا كانا عن بغض وكراهة للعبد كانا وبالاً على العبد وعقابا له. وقوله (**وأصعب شيء**): أي من أمور الدنيا وبلاياها، ومصائبها، ونكباتها. وقوله (**غير إعراضكم**): أي إعراض الأحبّة عن ذلك العبد إعراض بغض وكراهة. وقوله (**سهل**): أي ذلك الأمر الصعب، لأنّه يكون لحكمة يعلمها الحقّ تعالى فيكون من قبيل إعراض الدلال من المحبوب الموصوف بالجمال، لا إعراض الملال، كما أشار إليه الشاعر حيث قال:

---

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة حم عسق، ٣٥٦١.
(٢) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: الجنائز، باب: الصبر على البلاء، ١٢٣٨.

وخلّصني من غمرة الموت أنّه صدود دلال لا صدود ملال

وقوله (**وتعذيبكم**): أي يا أيّها الأحبّة لي بأنواع العذاب في الدنيّا. وقوله (**عذب**): قال في القاموس: «العذب من الطعام والشراب كلّ مستساغ» وقوله (**لديّ**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: عندي. وهذا مقتضى المحبّة أنَّ تعذيب المحبوب لمحبّه يجده المحبّ عذباً لذيذاً، ولا يجد له ألماً ولا وجعاً. قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربيّ قدّس الله سرّه.

يسمى عذاباً من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صائن

وقوله (**وجوركم**): الجَوْر المَيْل عن القصد، يقال: جار عليه في الحكم، كذا في الصحاح. وخطاب الأحبّة بنسبة الجور إليهم على مقتضى حال المحبّ العاشق؛ فإنّه يجد عدم جريان المحبوب على مقتضى حاله وما يطلبه هواه، وعشقه من دوام الوصل واللقاء جوراً وظلماً له من محبوبه، ومحبوبه حكيم يفعل بالحكمة ما هو الأكمل من الأمور، وكلام العشاق يُطوى ولا يُنشر؛ لأنّه جارٍ على مقتضى المحبّة؛ لا على مقتضى العقل، كما قلت:

لقد جئت بالضدّين في مقتضى الهوى ومن جاء بالضدّين حاد عن النقل

أريد وصالاً والحبيب يريد لي مقاطعة والحبّ ينبت كالبقل

وإنّي مريد ما أراد فكيف لي ولا خير في حبّ يدبّر بالعقل

وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (**بما يقضي**): أي يحكم. وقوله (**الهوى**): أي الحبّ والعشق؛ فإنّ مقتضاه الحكم بما ذكرنا من عدم مخالفة المحبوب في جميع مراداته. ومن جملة مراداته: هجران المحبّ والصدّ عنه فالمحبّ العاشق متحيّر في ذلك، يريد وصال المحبوب ولقاءه، ويريد مراده أيضاً، وهو الهجران والصدّ، فيجمع بين الضدين في الإرادة؛ ولهذا قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له في ترجمان الأشواق:

حــــار أربـــاب الهـــوى في الهــــوى وارتبكــــوا

وقوله (لكُمُ): بضمّ الميم للوزن. وقوله (عدل): ضدّ الظلم والجور، وإنّما كان جور المحبوب على محبّه وظلمه له عدلاً منه في حقّه/ [٣٣٥/ ب] لأنّ الظلم منع الحقّ عن صاحبه، ولا حقّ هنا للمحبّ على محبوبه، لأنّ المحبّ هو الذي تحرّش بالمحبوب؛ فأحبّه، وعشقه لمّا رأى حسنه وجماله. والظلم أيضاً وضع الشيء في غير موضعه، والمحبوب حكيم، يضع كلّ شيء في موضعه؛ فكلّ حكم منه عدل، وكلّ نعمة منه فضل، وفي جعل الجَوْرِ بما يقضي الهوى لطافة، حيث لم يكن ذلك جوراً بحسب ما يقضي المحبوب؛ فهي حكاية مقتضى الهوى لا غير. وقوله (وصبري): أي الذي عندي في الهوى والمحبّة.

وقوله (صَبْرٌ عنكمُ وعليكمُ): أي هو منقسم إلى قسمين، الأوّل: صبره عنكم، أي: عن ملاحظتكم، ودوام مشاهدتكم في آثار جمالكم وجلالكم. والثاني: صبره عليكم، أي: تحمّل مشقّات بلائكم، ومصائب امتحاناتكم له، وأذيّة المُسلَّطين عليه من جهتكم؛ فالأوّل يقتضي احتجاب الجمال عنه. والثاني يقتضي انكشاف الجلال له. وقد تساوى عنده شهود جمالكم، وشهود جلالكم؛ فهو محبّ لكم على كلّ حالة تكون منكم له؛ ولهذا قال (أرى): أي أجد في نفسي بمقتضى غلبة الهوى والعشق على قلبي. وقوله (أبداً): أي في كلّ وقت من الأوقات، وكلّ حال من الأحوال. وقوله (عندي): أي في مذهبي ومشربي المخصوص بي، سواء وافقني غيري، أو لم يوافقني. وقوله (مرارته): المرارة ضدّ الحلاوة، والضمير للصبر. والمعنى مرارة ذلك الصَبر المذكور.

وقوله (تحلو): فعل مضارع، يدلّ على التجدّد والحدوث دائما. قال في القاموس: «الحُلْوُ، بالضمّ: ضدّ المر، حَلِيَ كرَضِيَ ودَعَا وشَرُفَ حَلاوَةً وحَلْواً وحُلْواناً بالضمّ.

٢٠- أَخَذْتُمْ فُؤَادِي وَهْوَ بَعْضِي فَمَا الذِي   يَضُرُّكُمُ لَوْ كَانَ عِنْدَكُمُ الكُلُّ

(أخذتم): الخطاب للأحبّة الظاهرين له بطريق التجلّي بالأسماء والصفات في آثارها الكونيّة. وإنّما هو واحد بالذات، كثير بأنواع الظهور والتجلّيات في الصور كلّها؛ فلا يمكن المحبّ أنْ يغفل عنه أصلاً، فلهذا قال **(أخذتم)**: وقوله (فؤادي): أي قلبي؛ فهو ملاحظ لآثار أسمائكم وصفاتكم، لا تغيبون عنه في كلّ أمر من الأمور، وشأن من الشؤون، لتحقّيق علمه بكم، ومعرفته بظهوركم، وتجلّيكم بآثار أسمائكم وصفاتكم التي لا تحصى. وقوله **(وهو بعضي)**: أي هو جزء من أجزاء بدني. وقوله (فما الذي): الفاء للتفريع، وما استفهاميّة بمعنى: أيّ شيء الذي. وقوله (يَضُرُّكُمُ): بضمّ الكاف وضمّ الميم لأجل الوزن. وقوله **(لو كان عندكمُ)**: بضمّ الميم. وقوله **(الكلّ)**: أي كلّ بدني بجميع أجزائه أيضاً، مع أنّ الكلّ عند الأحبّة أيضاً، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [١٣/ الرعد/ ٨] أي: مجرّد مقادير عدميّة، لا أعيان لها عنده تعالى، أي: في حضرة علمه القديم. وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [١٥/ الحجر/ ٢١] وتنزيله تجلّيه به، وظهور نور وجوده الحقّ بقدره المعلوم في حضرة علمه سبحانه، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٤٩] أي: بتقدير له عندنا في حضرة العلم الأزليّ. وقد أراد الناظم قدّس الله سرّه بقوله **(لو كان عندكُمُ الكلُّ)**: أي لو رجعت إلى أصل التقدير العلمي[1]، وزال عنّي لبس الوجود بالتجلّي فكنت كما كنت، وكان كما كان، قال العارف الشيخ عبد الكريم الجيليّ قدّس الله سرّه:

تعالوا بنا حتّى نعود كما كنّا   ولا عهدنا خنتم ولا عهدكم خنّا[2]

---

(١) هكذا وردت، ولعلّها التقدير العدمي.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنّة مأواه».

٢١- نَـأَيْتُمْ فَغَـيْرَ الـدَّمْعِ لَـمْ أَرَ وَافِيَـاً سِوَى زَفْرَةٍ مِنْ حَرِّ نَارِ الجَوَى تَعلُو

٢٢- فَـسُهْدِيَ حَـيٌّ فِي جُفُـونِي مُخَلَّـدٌ وَنَـوْمِي بِهَا مَيْتٌ وَدَمْعِي لَهُ غَسْلُ

٢٣- هَوَىً طَلَّ مَا بَيْنَ الطُّلُوْلِ دَمِي فَمِنْ جُفُوْنِي جَرَى بِالسَّفْحِ مِنْ سَفْحِهِ وَبْلُ

(نأيتم): أي أعرضتم عنّي أيّها الأحبّة المذكورون. يعني: أعرضتم عنّي فلم تتجلّوا بي عليّ، وحجبتموني بي عنكم، فجعلتم نفسي حجابي عن مشاهدتكم ظاهرين لي بنفسي/ [٣٣٦/ أ] لأنّ نفسي أثر من آثار أسمائكم وصفاتكم، وهذا مقتضى المحبّة؛ لأنّها تقتضي أنْ يكون محبّ ومحبوب، ويوسف ويعقوب. ثمّ أخذ يشكو حاله، وما يقاسيه في طريق المحبّة، فقال (فغير الدمع): أي دمع عيني من شدة البكاء والانتحاب، وتوجّعات الشوق والاكتئاب. وقوله (لم أرَ وافياً): اسم فاعل من وفَى بالعهد، كوعى، وَفَاء: ضدّ غدر، كأوْفَى، ووفَى الشيء وُفِيًا، كَصُلِيّ: تمّ وكَثُر، فهو وَفِيّ ووافٍ، كذا في القاموس. والمعنى: لم أرَ مَنْ يفِي بالعهد غير الدمع؛ فإنّه وفيّ لي بعهد محبّتي ففرج عنّي بعض ما أجد على حسب قدرته، كما قالوا: البكاء فرَج. أو معنى وافياً: كثيراً. وقوله (سوى زَفْرَة): وهي اسم من الزفير، وهو اغتراف النفس للشدّة، وقد زَفَرَ يَزْفِرُ، والاسم: الزَّفْرَة، والجمع: زَفَرَات، بالتحريك؛ لأنّه اسم، وليس بنعت، وربّما سكّنَها الشاعر للضرورة، كذا في الصحاح. وقال في القاموس: «زفَر يَزْفِرُ زَفْراً وزَفِيراً: أخرج نفَسَه بعد مدّه إيّاه. وزفَرتِ النارُ: سُمِعَ لتوقُّدِها صوتٌ. والزَّفْرة وتضمّ: التنفّس كذلك. يعني: ولم أرَ وافياً أيضاً غير التنفس الشديد، والتحرّق المديد. وتنكير الزفْرَة للتعظيم والتهويل. وقوله (من حَرِّ نار الجَوَى): وهو هوى باطن، والحزن، وتطاول المرض، كذا في القاموس. وقوله (تعلو): بالعين المهملة، أي: ترتفع، من عَلَتْ الزفْرَة تَعْلُو عُلُوّاً: ارتفعت. قال في القاموس: «عَلَا عُلُوّاً. وعلَا النهارُ: ارتفع. يعني: أنّ تلك الزفرة، أي: التنفس الشديد ترتفع وتعلو؛ فتفي له، وتخفف عنه بعض ما يجده من حرارة نار المحبّة والعشق. وأمّا (تغلو): بالغين المعجمة، من

الغليان، فهو يائي؛ فإنّه يقال: غَلَا يَغْلِي، قال في القاموس: «غَلَتِ القِدْر تَغْلِي غَلْيَاً وغَلَيَانَاً، وأغْلَاها وغَلَّاها». وظاهره أنّه لا يقال: غَلَا يَغْلُو، بخلاف عَلَا يَعْلُو بالعين المهملة، بمعنى يصعد ويرتفع؛ فإنّه صحيح.

وقوله (**فَسُهدِي**): الفاء للتفريع على ما قبله؛ لأنَّ ما قبله أصل له، وسبب لحصوله. والسُّهد بضمّ السين المهملة، وهو الأرق، بمعنى السهر بالليل، كذا في القاموس. وقوله (**حيّ**): أي موصوف بالحياة، على الاستعارة المكنيّة. أي: إنسان حيّ. كناية عن قُوَّتِه، وزيادة إزعاجه له. وقوله (**في جفوني مُخَلَّد**): بتشديد اللام، أي: لا موت يعتريه، ولا زوال. ترشيح للاستعارة، وذكر الحياة تخييل. وقوله (**ونومي بها**): أي في جفوني. والباء بمعنى في. وقوله (**ميت**): بسكون الياء التحتيّة، على الاستعارة بالكناية، أي: إنسان ميت. وقوله (**ودمعي**): أي ماء بكائي. وقوله (**له**): أي لذلك الميت. وقوله (**غَسل**): بفتح الغين المهملة وضمّها. قال في القاموس: «غَسَلَه غَسْلَاً، ويُضَمّ، أو بالفتح: مصدر، وبالضمّ اسم». وذكر الموت تخييل الاستعارة. والتغسيل: ترشيح.

وقوله (**هوىً**): بدل من الجوى في قوله (**من حرّ نار الجوى**): أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو هَوِيَ، بضمير راجع إلى الجوى، أو التقدير عندي هوى، خبر مقدّم، ومبتدأ مؤخّر، وتنكيره للتعظيم. وقوله (**طلّ**): بالطاء المهملة، أي: هَدَرَ ولم يعتبر. وقوله (**ما بين الطلول**): جمع طَلَل، وهو الشاخص من آثار الدار. وجمعه أطْلَال وطُلول، كذا في القاموس. وقوله (**دمي**): فاعل طلّ. يعني: ذلك الهوى جعل دمي هدراً بين الطلول، بلام العهد، أي: ما بقي شاخصاً من آثار دار الأحبّة المعهودة لي سابقاً، وهي عامرة بهم. كناية عن جسده البالي بتراكم الأشواق، وترادف لواعج المحبّة، وغلبة التلهُّف والاحتراق؛ فإنّ نفسه لمّا كانت مدبِّرة له عن أمر الله تعالى كان عامراً بالأرواح المنفوخة، وهو غافل عن الأمر الربّانيّ، والشأن الرحمانيّ. وهو يمرح في جاهليّته بأنواع الأماني، وجمع الطلول

باعتبار تجدّد جَسده البالي مع الأنفاس القائم بأمر الله تعالى أيضاً الذي هو كلمح بالبصر./ [٣٣٦/ ب] ثمّ إنّه لـمّا انكشف له أمر ربّه، وأحسَّ بلطائف إقباله عليه وقربه، انعزلت نفسه عن تدبيره، وظهر له التدبير الإلهيّ في تقديمه وتأخيره، فماتت نفسه الأمارة بالسوء، وحييت المطمئنّة. وانتقلت من [المظنَّة إلى...](1) ولم يبقَ من دار جسمانيّته إلّا الأثر، وانتظام طبيعته، ومزاجه الحيوانيّ قد انتثر. ثمّ أخبر أنّ الحبّ والعشق قد حكم بأنّ دمه هدر، وأنّ عقله ذهب بسبب غلبة الهوى عليه شذر مذر، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

قـف بـالطلول الدارسـات بلعلـع وانـدب أجنتنـا بـذاك البلقـع

وقوله (**فمن جفوني**): الفاء للسببيّة على ما قبله، ومن جفوني، أي: من أغطية عيوني، عين قلبي، وعيون حواسّي الخمس، . وقوله (**جرى بالسفح**): أي بسفح جبل مزاجي وطبيعتي. وقوله (**من سفحه**): أي من سفح دمي، قال في القاموس: «السفْح عُرْض الجبل المُضْجِع، أو أصله، أو أسفله، أو الحضيض. والجمع سُفُوح، وسفَحَ الدم كمنع: أراقه، و ـ الدمع: أرسله، سفْحاً وسُفُوحَاً». وقوله (**وَبْل**): أي مطر شديد، قال في المصباح: «وبلتِ السماءُ وَبْلا، من باب وعد، ووُبُولاً: اشتدّ مطرها، وكان الأصل: وبَلَ مطر السماء، فحُذف للعلم به؛ ولهذا يقال للمطر: وابل. والمعنى: إنّ ذلك الهوى والعشق جعل دمي هدراً من تذكّري أحبابي الذين هم تلك الحضرات الإلهيّة، المتصرِّفون سابقاً في بدني ظاهراً وباطناً، فلمّا ماتت نفسي وهُدر دمي، وكان خراب بنيان جسدي، بحيث صار كالأطلال البالية الدارسة، ترتّب على ذلك جريان مياه المعارف والعلوم الإلهيّة من أغطية عيوني، أي: حجب حواسّي وعقلي على سفح مزاجي المنجبل من الطبائع، والعناصر، والأخلاط الأربعة.

---

(١) كلمة غير واضحة في المخطوط، ولم أجدها في غيره. لعلّها الميتة.

٢٤- تبَالَــهَ قَــوْمِي إذْ رَأَوْنِي مُتَــيَّماً وَقَالُوا بِمَنْ هَذَا الفتَى مَسَّهُ الخَبْلُ
٢٥- وَقَـالَ نِـسَاءُ الحَـيِّ عَنَّـا بِـذِكْرِ مَـنْ جَفَانَـا وَبَعْـدَ العِزِّ لَـذَّ لَـهُ الـذُّلُّ

(**تَبَالَهَ**): أي أظهر البَلَهَ من نفسه، وليس بِأَبْلَه قال في المصباح: «بَلِهَ بَلَهاً، من باب تعب: ضَعُفَ عَقْلُهُ، فهو أبْله، والأُنثى: بَلْهاء، والجمع: بُلْهٌ، مثل: أَحْمَر وحَمْرَاء وحُمْر. ومن كلام العرب: «خير أولادنا الأبله الغفول». المعنى: إنّه لشدّة حيائه كالأبله؛ فيتغافل ويتجاوز، فشبّه ذلك بالبله. وقوله (**قومي**): أي عشيرتي وأهلي. وقوله (**إذْ رأوني**): أي وجدوني. وقوله (**مُتيّماً**): من تيّمه الحبّ، أي: عبَّدَه وذَلَّله؛ فهو مُتيَّم، كذا في الصحاح. وقوله (**وقالوا**): أي قومي. (**بمن هذا الفتى**): أي بسبب أي إنسان. والفتى: الشابّ والفتاة الشابّة. وقد فَتِيَ بالكسر يفْتى فتىً. والفَتَى: السَّخِيّ الكريم، يقال: هو فَتَىً بيِّنُ الفتوّة، كما في الصحاح. وقوله (**مَسَّهُ الخَبْلُ**): بالخاء المعجمة والباء الموحّدة ساكنة، قال في الصحاح: «الخَبْل بالتسكين: الفساد». وقال في المصباح: «الخَبْلُ ـ مثال فَلْس: الجنون، وشِبْهُهُ كالهَوَجُ والبَلَه، وخَبَلَه الحُزْن من باب ضرب: إذا أذهب فؤاده، فهو مَخْبُول ومُخَبَّل، والخَبل بفتحتين: الجنون أيضاً». يعني: إنّ قومي أظهروا من أنفسهم الجهل بحالي، وهم يعلمون أنّي محبّ وعاشق، غير أنّهم لا يعهدون أحوال العشاق. إنّها كأحوالي من ملازمة التلهّف والتأسّف والنحيب والبكاء والاحتراق من غير تعلّق بشخص مخصوص ظاهراً أو باطناً ولا التفات إلى شيء من الأكوان أصلاً. فتحيّروا في شأني، وتوقفوا في أمري. وقالوا فيما بينهم هذا الموصوف بالفتوّة وكرم الأخلاق بسبب ـ أي: محبوب من الناس جميل البهاء والإشراق ـ مسّه الجنون فهو المتيّم/ [٣٣٧/ أ] المفتون.

وقوله: (**وقال نِساء**): بكسر النون، قال في المصباح: «النِّسْوَة بكسر النون أفصح من ضمِّها، والنساء بالكسر، والنسوان: اسمان لجماعة إناث الأَناسِيِّ، الواحدة: امرأة، من غير لفظ الجمع». وقوله (**الحيّ**): هو واحد أحياء العرب.

وقال في المصباح: «الحيّ: القبيلة من العرب، والجمع أحياء. وقوله (**عَنّا**): بفتح العين المهملة وتشديد النون هنا: اسم فعل بمعنى: كُفُّوا عَنّا، وتنحّوا، وتباعدوا، قال في المصباح: «عن حرف جرّ، ومعناها المُجاوَزَة؛ إمّا حِسًّاً، نحو: جلست عن يمينه، أي: مُتَجاوِزاً مكان يمينه في الجُلُوس إلى مكان آخر. وإمّا حكمًاً، نحو: أخذْتُ العلم عنه، أي: فَهِمْته عنه، كأن الفهم تجاوز عنه. ومعناه هنا: تجاوزاً». وقوله (بذكر): متعلّق باسم الفعل. وقوله (مَنْ جَفانا): أي لا تذكروا لنا مَنْ أعرض عنّا، ولم يردنا، قال في المصباح: «جَفَا السَّرْجُ عن ظَهْر الفرس يَجْفُو جَفَاءً: ارتفع، ومنه: جَفَيْتُهُ فَتَجَافَى: إذا بَعُدتْ عن مودّته، وجَفَوْتُ الرجلَ أَجْفُوهُ: أعرضت عنه، أو طَرَدْتُهُ، وهو مأخوذ من جَفَاء السَيل: وهو ما نفاه السيل. وقد يكون مع بُغْضٍ». وقوله (**وبعد العزّ**): أي عزّه بالدنيا، والمال، والجاه الذي كان له على غيره. وقوله (**لذّ**): بتشديد الذال المعجمة، أي: صار لذيذاً. وقوله (**له الذلّ**): أي الهوان والمذلّة. والمعنى في ذلك أنّ من عرف الله تعالى، وتحقّق به عرف فناء كل ما سواه سبحانه، فلا يكون عنده عزّ إلّا عزّ الحقّ تعالى، وعزّ الإيمان به، والإسلام له، والانقياد إليه، وما عدا ذلك من الأكوان كلّه ذلّ وهوان، قل تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٦٣/ المنافقون/ ٨].

٢٦- وَمَاذَا عَسَى عَنِّي يُقَالُ سِوَى غَدَا بِنُعْمٍ لَـهُ شُـغْلٌ نَعَـمْ لِي بِهَـا شُـغْلُ

(وما): استفهاميّة مبتدأ، و(ذا): اسم موصول، خبره. والمعنى: أي شيء الذي. وقوله (عسى عنّي يقال): عسى فعل ماضي يرفع الاسم، وهو ضمير عائد إلى الموصول، وجملة (**يقال**) في محل نصب خبر عسى. وجملة (عسى): صلة الموصول. و(عنّي): متعلِّق بـ (**يُقال**) ويُقال مبني للمجهول. وقوله (سوى): بكسر السين المهملة، اسم استثناء بمعنى غير. وقوله (غدا): بالغين المعجمة والدال المهملة، يقال: غَدَا عليه غُدُوّاً وغُدْوَةً بالضمّ، واغْتَدَى: بكسر، من الغُدْوَة بالضمّ: البُكْرَة، أو مابين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغَدَاة والغَدِيَّة، كذا في القاموس.

وقوله (**بنعم**): بالضمّ، اسم امرأة، كما في القاموس. وهي مشهورة من محبوبات العرب، يُكنّى بها عن الحضرات الإلهيّة الأسمائيّة. وقوله (**له شغل**): أي هو مشغول بحبّها وتجلّيها عليه بالآثار الكونيّة من الروحانيّة والجسمانيّة. وقوله (**نَعَم**): بفتحتين، مثل: بلى، كلمة جواب. وقوله (**لي بها شغل**): عن كلّ شيء؛ بل عن نفسه وأحوالها. والقائل ذلك غائب عن شغله الذي هو مشغول به، لا يعرفه، فيظن أنّه مشغول بغير تلك الحضرة المذكورة، ولا يعلم أنه لا شغل إلّا بها. ولنا من أبيات قولنا:

وبها عنها البرايا اشتغلت وعجيب فارغ مشتغل

٢٧- إِذَا أَنْعَمَتْ نُعْمٌ عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ فَلَا أَسْعَدَتْ سُعْدَى وَلَا أَجْمَلَتْ جُمْلُ

٢٨- وَقَدْ صَدِئَتْ عَيْنِي بِرُؤْيَةِ غَيْرِهَا وَلَثْمُ جُفُوْنِي تُرْبَهَا للصَّدَا يَجْلُو

(**إذا أَنْعَمَتْ**): من النُعمى بالضمّ: الخَفْض والدَعَة والمال، كالنِعْمَة بالكسر، والاسم: النَعْمَة، بالفتح، نَعِمَ كسَمِعَ ونَصَر وضَرَب. والنِّعْمَة، بالكسر: المَسَرَّة، واليد البيضاء الصالحة، وأنعم الله عليه، وأنعم بها، كذا في القاموس. وقوله (**نُعْمٌ**): بالضمّ وسكون العين المهملة: اسم امرأة، كناية عن الحضرة الإلهيّة. وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق بأنْعَمَتْ. وقوله (**بنظرة**) مُتعلّق بأنعمت أيضاً. والتنكير للتعظيم، أي: بنظرة منها إلى اعتنائي، وبأحوالي، أو بنظرة منّي إليها، بأنْ أراها في آثار أفعالها، متجلّية بستائر الأكوان، وملابس/ [٣٣٧/ ب] الصور والأعيان. وقوله (**فلا أَسْعَدَتْ**): من أَسْعَدَهُ: أَعَانَهُ، كذا في القاموس. وقوله (**سُعْدَى**): بضمّ السين المهملة وسكون العين المهملة: اسم امرأة من محبوبات العرب. وقوله (**ولا أَجْمَلتْ**): يقال أجْمَل الشيءَ جَمَعَه عن تَفْرِقَة، وأجْمَلَ الصَنيعَة: حَسَّنهَا وكَثَّرَها، كذا في القاموس. وقوله (**جُمْلُ**): بضمَ الجيم وسكون الميم: اسم محبوبة من محبوبات العرب. والمعنى في ذلك: كلّ محبوبة من محبوبات النساء

بحيث إذا وقع ذلك من إحداهنّ وصدر فإنّ الحضرة الإلهيّة هي التي أنعمت بالإسعاد والإجمال، لا خصوص تلك الصور من النساء؛ لأنّهنّ آثار تلك الحضرة الأسمائيّة، وهي المتجلّية بتلك الصور على غيرها.

وقوله (**وقد صدئت**): من صَدَأُ، بالهمز، يقال: صَدِئَ الحديد: علاه الطَّبَع والوَسَخ، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «صَدَأُ الحديد: وَسَخُه، وقد صَدِئَ يَصْدَأُ صَدَأً». وقوله (**عيني**): أي الباصرة، أو بصيرة قلبي». وقوله (**برؤية غيرها**): أي غَيْر نُعْم المكنّى بها عن محبوبة الحضرة الإلهيّة في كلّ ما تراه عينه من الأشياء الحسّيّة أو المعنويّة. وقوله (**ولَثْمُ**): أي تَقْبيلُ، من لَثِمَ فاها، كسمع وضرب: قَبَّلَها، كما في القاموس. وقوله (**جُفُونِي**): أي أغطية عيوني، كناية عن حُجُبِهِ الوَهْمِيَّة، وهي حواسه الظاهرة والباطنة، حيث هو ناظر بها لا بربّه، وإضافة (**اللَّثْم**) المصدر إلى جفونه من إضافة المصدر إلى فاعله. وقوله (**تربها**): مفعول لثم، والضمير عائد إلى نُعْم المُكنَّى بها عمّا ذكر، وكنَّى بتربها ـ وهو لغة في ترابها ـ عن الصور الجسمانية التي هي آثار أسمائها وصفاتها. ولَثْمُ ذلك كناية عن النظر في انحلال تراكيبها وإرجاعها إلى التراب الذي هو معظم أجزائها، والتأمّل في ذلك، وفي إمساك ذلك التركيب العرضي بالقدرة الإلهيّة. وقوله (**للصَّدَا**) بالقصر، وحذف الهمز لضرورة الوزن، أي: لذلك الصدأ المعهود بالذِّكر قبله. وهو قوله (**قد صَدِئَتْ عيني**). وقوله (**يَجْلُو**): من جَلَا المرآة جَلْواً وجِلاءً: صَقَلَها. وجَلَا الهمَّ عنه: أذهبه، كذا في القاموس. فإذا انجلى وانكشف عن عين قلبه وَسَخَ الأغيار، وانمسح ذلك الغبار ظهرت الأسرار، وتجلّت له حضرة الواحد القهّار، بفناء أستار الآثار، وانمحاق حجب الليل والنهار.

٢٩- وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي قَتِيلُ لِحاظِهَا ... فَإِنَّ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ نَصْلُ

(**وقد علموا**): يعني قومي المذكورين في قوله قبل ذلك (**تَبَالَهَ قومي إذْ رأوني**... إلى آخره). وقوله (**أَنّي قَتِيلُ لِحاظها**): أي المحبوبة الحقيقيّة السابق

ذكرها. واللِّحاظ كسحاب، مؤخر العين، وككتاب سمة تحت العين كالتلحيظ، كما في القاموس. كناية بذلك عن تجلّياتها بالصور الإنسانيّة الكاملة، وكونه قتيل تلك اللِّحاظ، أي: متوصّلاً بها إلى الفناء والاضمحلال في الوجود الحقّ بطريق الإرشاد، والتعريف بالهمم الربّانيّة من قلوب المشايخ الكاملين. وقوله (**فإنّ لها**): أي لتلك اللِّحاظ المذكورة. وقوله (**في كُلِّ جَارِحَةٍ**): أي عضو من أعضائي. وقوله (**نَصْلُ**): النصل حديدة السهم، والرمح، والسيف، ما لم يكن له مقبض، كما في القاموس. وهو القوّة التي يظهر للعارف أنّها من أمر الله تعالى فإنها سارية في كلّ عضو، وإنّما يظهرها له، ويعرفه بها شيخه الكامل المحقّق بهمّته الربّانيّة، فكأنّما هي صادرة منه لكمال توجّهه عليه بالأمر الإلهيّ. وقوله (**فإنّ لها**): بكسر الهمزة، مشدّدة النون، حذف اسمها، وهو ضمير الشأن، والتقدير: فإنّه، أي: إن الشأن. وقوله (**نَصْلُ**): خبرها، قال ابن هشام في المغني: وقد يُرفع المبتدأ بعد أن يكون اسمها ضمير شأن محذوف، كقوله عليه السلام: «إنَّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون»[1]. والأصل إنّه، أي: الشأن... إلى آخر ما ذكره.

٣٠- حَدِيثِي قَدِيْمٌ فِي هَوَاهَا وَمَا لَهُ كَمَا عَلِمَتْ بَعْدٌ وَلَيْسَ لَهَا قَبْلُ

(**حديثي**): أي خبري، قال في القاموس: «الحديث الخبر، والجديد، فهو من حدث حدوثاً وحداثة نقيض قدّم، وتضمّ داله إذا ذُكر مع قَدُم، فعلى هذا: حديث فعيل بمعنى فاعل / [٣٣٨/ أ] أي حادث. والمعنى بحديثي، أي: مِنّي، وهو كلّي روحاً ونفساً وجسماً، أو خبري، وهو ما يعرفه مِنِّي العالم بي، أو هو المعلوم من أحوالي. وقوله (**قديم**): أي لا بداية له في الحضرة العلميّة القديمة الأزليّة، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه (إنشاء الجداول والدوائر): «الإنسان قديم حادث موجود معدوم. أمّا قولنا قديم فلأنّه موجود في العلم القديم، متصوّر فيه

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: اللباس، باب: عذاب المصورين يوم القيامة، ٥٩٥٠.

أزلاً وهي مرتبة من مراتب الوجود. وأمّا قولنا محدث، فإنّ شكله وعينه لم تكن ثمّ كانت». وقوله (في هَوَاهَا): متعلّق بـ قديم، الضمير لنعم في الأبيات. وقوله (كما عَلِمَتْ): أي نُعْمُ، المحبوبة المكنّى بها عن الحضرة الإلهيّة الأسمائيّة؛ فإنّ العلم الإلهيّ قديم أزليّ محيط بالواجبات والممكنات والمستحيلات، وإحاطته بالممكنات والمستحيلات هو عين إحاطته بالواجبات، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه بأنّه تعالى عَلِمَ ذَاتَهُ فعَلِمَ العَالَمَ، فعِلْمُهُ بذاته وعِلْمُهُ بالعَالَمِ واحد؛ لأنّ أعيان العالَم صور تجلّياته بحسب أسمائه وصفاته لذاته؛ فهو متجلٍّ بذاته لذاته في مظاهر أسمائه وصفاته، متنزّهاً عن مشابهة مخلوقاته، مقدّساً عن مماثلة مصنوعاته؛ فتنزيهه عين تشبيهه، وتشبيهه عين تنزيهه، وهو المعروف بالتنزيه والتشبيه، وبذلك جاء الشرع المحمّديّ، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [٤٢/ الشورى١١] فنزّه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١]. فشبّه وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٣] فنزّه: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٣] فشبّه وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٢٥] فنزّه: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ [٩/ التوبة/ ١٠٤] فشبّه وقال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ [٧/ الأنفال/ ١٧]، فنزّه: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] فشبّه: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] فشبّه ثانياً.

وأخرج الترمذيّ بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليّاً يوم الطائف فانتجاه، فقا ل الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمّه. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما انتجيته ـ فنزّه ـ ولكن الله انتجاه»[1]، فشبّه. وفي حديث ابن ماجه «إنّي والله ما حَمَلْتُكُمْ ـ فنزّه ـ فإنّ الله حَمَلَكُمْ»[2] فشبّه.

---

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب المناقب، باب: قول النبيّ لعليّ: أنت منّي وأنا....

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الكفّارات، باب: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً، ٢١٨٥، بلفظ: «والله ما أنا حملتكم؛ فإنّ الله حملكم...».

وفي حديث مسلم: «أما إنّي لم أقلها ـ فنزّه ـ ولكنّ الله قالها الله»[1] فشبّه، كما فصلناه في كتاب (الوجود الحقّ) لنا. وقوله (بعدٌ): منوَّن، مرفوع بالابتداء، وخبره متقدّم عليه، وهو (له): الجار مع المجرور. وقوله (وليس له قبلُ): حذف تنوينه لأنّه قافية. وأصل (قبلٌ) بالتنوين، اسم ليس مؤخّر، وخبرها له، وهما ظرفان مقطوعان عن الإضافة لفظاً ومعنى، كما قال الشاعر:

هواها هوى لم يعرف القلب غيره ... فلا قبله قبل ولا بعده بعد

والمراد: إنّ ذلك الحديث القديم خارج عن الزمان، ماضيه وآتيه؛ فإنّ المعلومات الإلهيّة قبل خروجها إلى عالم الإمكان معدومات الأعيان في أنفسها؛ وليست مغايرة لحضرة العلم القديم الأزليّ، ولهذا كانت تلك المعلومات جميعها قديمة أيضاً، فيستحيل عليها التغير والتبدّل، وتغيرها وتبدّلها في عالم الإمكان من جملة أحوالها المعلومة لها في حضرة العلم القديم أيضاً كحدودها، ومقاديرها، وأماكنها، وأزمنتها، وتركيبها، وانحلالها، وترتبها بالتقدّم والتأخّر. كلّ ذلك في العلم الإلهيّ قديم أزليّ.

٣١- وَمَا لِيَ مِثْلٌ فِي غَرَامِي بِهَا كَمَا ... غَدَتْ فِتْنَةً فِي حُسْنِهَا مَا لَهَا مِثْلُ

(ومالي مِثْل): بكسر الميم وسكون الثاء المثلّثة: الشبه. وقوله (في غرامي): أي حبّي وعشقي وقوله (بها): متعلّق بغرامي، والضمير لنُعْم، المحبوبة المكنّى بها عمّا ذكر، والمشهور أنّ التجلّيات الإلهيّة لا تتكرر، وما تجلّي الحقّ تعالى على شيئين فمن زمان واحد، ولا على شيء واحد في زمانين بتجلّي واحد أصلاً، وذلك من سعة الحضرة الإلهيّة؛ فإنّه من أسمائه تعالى الواسع، وهو الذي وسع كلّ شيء رحمة وعلماً، ولهذا قال الشيخ الأكبر قدّس الله / [٣٣٨/ ب] سرّه في قول القائل:

كلّ يوم تتلوّن ... غير هذا بك أحسن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: دعاء النبيّ لغفار وأسلم، ٦٥٩٣.

لو قال: (إنّ هذا بك أحسن) لكان أحسن؛ فإنّ التمكين في التلوين من أكمل أحوال أهل اليقين، لموافقة ذلك نفس الأمر، ولابن إسرائيل قدّس الله سرّه:

تلوينك من دلائل العرفان والراحة في تقلّب الأعيان

لا تطمع أنْ تكون لوناً أبداً والخالق كلّ ساعة في شان

وقوله (كما غدت): قال في القاموس: «غَدَا عليه غُدُوّاً وغَدْوَةً بالضمّ، واغْتَدَى: بَكَّر». وأشار بأوّل النهار إلى ابتداء تجديد الأكوان بتجلّي محاسن الأعيان. وضمير غدت إلى نُعْم المحبوبة، المُكّنى بها عمّا ذكر. وقوله (فِتْنَةً): بالنصب، خبر غدت. والفِتْنَة، بكسر الفاء: الخِبْرَة، وإعجابك بالشيء. فَتَنَهُ يَفْتِنُهُ فَتْناً وفُتُوناً وأَفْتَنَه، كذا في القاموس. وقوله (في حُسْنها): أي المحبوبة المذكورة، والحُسْن: ما ظهر من الجمال، فهو أثر الجمال الظاهر على صفحات الأكوان. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله كتب الحُسْن على كلّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة»[1] ومعنى كونها فتنة: التعلّق القلبيّ بجمالها الحقيقيّ، أو بأثره الذي هو حُسْن كلّ شيء، وهو الحبّ الإلهيّ الملتبس بحبّ الأغيار، وعشق الآثار، قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [٦/الأنعام/ ٩] وقوله (ما لها): أي للمحبوبة المذكورة. وقوله (مِثل): أي شبيه يماثلها في ذاتها، أو صفة من صفاتها، أو اسم من أسمائها، أو اثر من آثارها؛ بل لا غير لها يغايرها؛ لأنّها وحدها لا يوجد لها شريك أصلا؛ فلا موجود غيرها أزلاً وأبداً؛ وإنّما هي الكلّ، هي ظاهرة بآثار أسمائها وصفاتها تتجلّى لمن شاءت وتستتر عمّن شاء.

٣٢- حَرَامٌ شِفَا سُقْمِي لَدَيْهَا رَضِيتُ مَا بِهِ قَسَمَتْ لِي فِي الهَوَى وَدَمِي حِلٌّ

(حرام): خبر مقدّم. وقوله (شِفا): مبتدأ مؤخّر. وقوله (سُقْمي): بضمّ السين المهملة وسكون القاف. لغة. قال في القاموس: «السَّقَام كسَحَاب، وجَبَل وقُفْل:

---

(١) انظر تخريجه ص٥٥٦.

المرض، سَقِمَ كفَرِحَ، وكَرُمَ، فهو سَقِيم». وقوله (لديها): متعلِّق بحرام، أي: هو ممتنع بحكمها ومقتضى شرعها. والضمير للمحبوبة المذكورة فيما سبق، وهذا السقام الذي شفاؤه والبرء منه حرام، ممتنع، لا يكون أصلاً. هو الضعف الكونيّ، والمرض الحبّي، والداء الافتقاري؛ فلا قوّة إلّا بالله، وما بالله فهو لله. والضعف ملازم في عين القوّة الإلهيّة، قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] ولا شفاء إلّا به تعالى؛ فهو الشفا لا سواه، ولا استغناء إلّا به، فهو الغَناء للعبد في عين افتقار العبد.

وقوله (رضيتُ ما به قَسَمَتْ لي من الهوى) والمعنى: إنني راضٍ بقسمتي التي قسمتها لي حضرة علمها أزلاً. وضمير به إلى سُقْمي، أي: بسبب سُقْمي قسمت لي ذلك القسم. و(في الهوى): متعلّق بقَسَمَتْ. و(الهوى): هو الحبّ، إشارة إلى الحديث القدسيّ: «كنت كنزاً مخفياً لم أُعرف، فأحببت أن أُعرف، فخلقت خلقاً تعرّفت إليهم؛ فبي عرفوني»[1] وتعرّفه إليهم بما قدّره لهم وعليهم من المقادير؛ فالأحوال الحسنة من تعرّف الجمال، والأحوال السيئة من تعرّف الجلال، وذلك هو القسمة الأزليّة بسبب السُّقم اللازم، والمرض الملازم. وقوله (ودمي حلّ): أي حلال لها، ليس بحرام عليها؛ لأنّي ملكها، والمالك يفعل بمملوكه ما يشاء ويحكم عليه بما يريد، وهو تأكيد في المعنى لرضائه بما قسمته له في الأزل، سواء نزل به أو ما نزل.

٣٣- فَحَالِي وَإِنْ سَاءَتْ فَقَدْ حَسُنَتْ بِهَا وَمَا حَطَّ قَدْرِي فِي هَوَاهَا بِهِ أَعْلُو

(فحالي): الفاء للتفريع على ما قبله، وحاله هي ما قَسَمَتْ له في علمها الأزليّ من التقادير. وقوله/[٣٣٩/ أ] وإن ساءت، أي: كانت حالاً سيئة، والحال مؤنّث، لأنّه بمعنى الحالة التي يكون عليها الشيء، وسوؤها عدم ملائمتها لي،

(١) انظر تخريجه ص٧٨٠.

قال في القاموس: «ساءَهُ سَوْءً وسَوَاءً وسَوَاءَةً ومَسَاءَةً ومَسَائِيَةً: فَعَل به ما يَكْرَهُ، والسُّوء بالضمّ: الاسم منه، وكلّ آفة». وقوله (فَقَد حَسُنَتْ بها): أي صارت حسنة بسببها، أي: المحبوبة المذكورة، وذلك لأنّ السيئات تصير حسنات بالتوبة منها، أي: الرجوع إلى الحقّ، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٢٤/ النور/ ٣١] أي: ارجعوا إلى الله تعالى بفناء نفوسكم، وظهور التجلّي بكم عليكم. وقال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٧٠] وهذا التبدّل بسبب تبدّل نفوسهم بتجلّي ربّهم بعد فنائها واضمحلالها بالكلّيّة، وليس هو بإباحة المحرمات على النفوس المكلّفة.

وقوله (وما): أي والفعل الذي. وقوله (حَطَّ): أي نقص وأحبط. وقوله (قَدْرِي): أي مقداري ومبلغي، قال في الصحاح: «قَدْرُ الشيء مَبْلَغُهُ، وهو في الأصل مصدر، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١] أي: ما عظّموه حقّ تعظيمه».

وقوله (في هَوَاهَا): أي محبّة هذه المحبوبة المذكورة. وقوله (به): أي بذلك الفعل الذي نقصني. وقوله (أَعْلُو): أي ارتفع وافتخر؛ لأنّه محض تجلّيه تعالى، وأثر ظهوره، لا هو فعل نفسي؛ إذْ لا نفس لفنائها واضمحلالها في ظهوره تعالى. وهذا مقام لا يُعرف إلّا ذوقاً ووجداناً، والغلط فيه كثير، والتخلّص منه عسير، وهو قول الخضر عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [١٨/ الكهف/ ٨٢] وهو صادق في نفس الأمر وإنْ لم يعذره موسى، عليه السلام، وحكم عليه بظاهر شرعه الذي جاء به إلى بني إسرائيل بقوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٧٤] وقد فهمه طائفة من الناس، فحسبوا أنّ فهمه ذوقه، فادعوه، ونفوسهم باقية أمّارة بالسوء، وهيهات هيهات أنْ يتبدّل سوؤها حُسْناً، وتصير سيِّئاتهم حسنات بمجرّد الدعوى الباطلة، وقد أباحوا المحرّمات، وهم عندي أكفر من اليهود والنصارى، والله رؤوف بالعباد.

٣٤- وَعُنْوَانُ مَا فِيهَا لَقِيتُ وَمَا بِهِ شَقِيتُ وَفِي قَوْلِي اخْتَصَرْتُ وَلَمْ أَغْلُ
٣٥- خَفِيتُ ضَنىً حَتَّى لَقَدْ ضَلَّ عَائِدِي وَكَيْفَ تَرَى العُوَّادُ مَنْ لَا لَهُ ظِلُّ

(وعُنْوَانُ): بالضم، يقال: عُنْوان الكتاب وعُنْيَانه، ويكسران، سُمِّيَ لأنّه يَعِنّ له، أي: يظهر من ناحيته، وأصله عُنَّان كرمّان، وكلّما استدللت بشيء تُظْهِرَه على غيره، فعُنْوان له، وعَنَّ الكتاب، وعَنَّنَه وعَنْوَنَه وعَنَّاه: كتب عُنْوانَه، كذا في القاموس. وقوله (ما): أي الحال والأمر الذي. وقوله (فيها): أي في هواها، أي: المحبوبة المذكورة، وقوله (لَقِيتُ): أي وجدت من أحوالها المحبّة والعشق؛ فإنّ ذلك بمنزلة الكتاب المكتوب بالتقدير الإلهيّ؛ ولهذا أثبت له العنوان. وقوله (وما): أي والذي، معطوف على (ما) الأولى. وقوله (به): أي بسببه. وقوله (شَقِيتُ): أي أصابني الشقاء، وهو الشِدَّة والعُسْر، وقد شَقِيَ كرَضِيَ شَقَاوَة، ويكسر وشَقاً وشَقَاءً، كذا في القاموس. يعني: من محن المحبّة، وبلايا العشق. وقوله (اختصرت): أي اكتفيت بقولي شقيت عن التطويل بذكر ما قاسيت من العظائم. وقوله (ولم أَغْلُ): بحذف الواو للجازم من غَلَا يَغْلُو غُلُوّا، قال في القاموس: «غَلَا في الأمر غُلُوّاً جاوز حَدَّه». يعني: لم أجاوز في ذكر ما أجده عن حدّ الأمر في نفسه.

وقوله (خفيت): أي استترت عن الأبصار والبصائر، يقال: خَفِيَ خَفَاءً فهو خافٍ/[٣٣٩/ ب] وخَفِيَ: لم يَظْهَر، وخَفَاه هو وأَخْفَاه: سَتَرَه وكَتَمَه، كذا في القاموس. وقوله (ضَنَىً): بالتنوين مفعول من أجله، وهو علّة للفعل قبله، يقال: ضَنِيَ ضَنَىً: مَرِضَ مَرَضاً مُخَامِراً، كلّما ظُنَّ بُرْؤُه نُكِس، وأَضْنَاه المرض، كذا في القاموس، قال الشاعر:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

وقوله (حتّى لقد ضَلَّ): أي تحيّر ولم يهتدِ إلى الصواب. وقوله (عائدي): من العيادة، وهي زيارة المريض، فاعل ضلّ. يعني: لم يجدني لاختفائي عليه. وقوله

(وكيف): اسم استفهام إنكاري، معناه النفي. وقوله (ترى العُوّادُ): جمع عائد. يعني: الزائرين لي في مرض محبّتي وعشقي المبرح بي. وقوله (من لا به ظلّ): أي أثر، وشخص يظهر، وشبح يلوح، قال في القاموس: «الظلّ من كلّ شيء شخصه». والمعنى في ذلك: إنّه فَنِيَ وجوده عنه في وجود محبوبته المكنّى عنها بنُعم فيما تقدّم، بحيث لو ورد عليه خاطرمنه يعوده في مرضه ذلك، وشدّة ضناه لم يجد له أثر في الوجود أصلاً، فضلاً عن عائد يأتيه من غيره، وهي حالة المولّهين في الله تعالى وتقدّس.

٣٦- وَمَا عَثَرَتْ عَيْنٌ عَلَى أَثَرِي وَلَـمْ تَدَعْ لِيَ رَسْماً فِي الهَوَى الأَعْيُنُ النُّجْلُ

(**وما عَثَرَتْ**): أي وجدت واطّلعت، قال في الصحاح: «عَثَرَ عليه يَعْثُر، أي: اطّلَع عليه، وأعْثَرَه عليه غيرُه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [١٨/ الكهف/ ٢١] وقوله (**عين**): أي باصرة، أو عين قلب، وهي البصيرة، وهي نكرة في سياق النفي، فتعمّ كلّ عين من إنسان كامل، أو غيره. وقوله (**على أَثَرِي**): أي وجودي الذي هو أثر في الوجود الحقّ تعالى، لرجوعه بعد فنائه، ومحو حقيقته إلى المعلومات الإلهيّة المشهودة له تعالى أزلاً وأبداً، على ما هي عليه متقلّبة في جميع أحوالها. وقوله (**ولم تَدَعْ**): أي تترك. وقوله (**لي**): أي لحقيقتي الظاهرة والباطنة. وقوله (**رسماً**): مفعول تدع، والرسم: الأثر، أو بقيّة، أو ما لا شخص له من الآثار، كذا في القاموس. وقوله (**في الهوى**): أي المحبّة والعشق. وقوله (**الأعين**): جمع عين، وهي الباصرة، أو عين القلب. وقوله (**النُّجْل**): جمع نجلاء، يقال: عين نَجلاء، قال في القاموس: «الأَنْجَل: الوَاسِع العَرِيض الطويل. والنَجَل بالتحريك: سِعَةُ العَين. نَجِلَ كفَرِحَ، فهو أَنْجَل». وهي أعين المشايخ العارفين المحقِّقين من أهل الله تعالى؛ فإنّ أعين أبصارهم متّسعة جدّاً، فلا يخفى عليهم شيء في عالم الملك. وأعين بصائرهم أوسع فلا يخفى عليهم في عالم الملكوت. وكونهم لم يتركوا له رسماً وإنّما أفنوا رسمه بالكلّيّة بإرشادهم له، ودلالتهم له إلى

الحقّ بأقوالهم، وأحوالهم وعلوّ هممهم لصدقه معهم في صحبتهم، وكمال توجّهه إلى طلب الحقّ عناية من الله وهداية له.

٣٧- وَلِي هِمَّةٌ تَعْلُو إذا مَا ذَكَرْتُهَا وَرُوحٌ بِذِكْرَاهَا إذَا رَخُصَتْ تَغْلُو

(**ولي همّة**): أي باعث قلبي، وقال في القاموس: «الهِمَّة بالكسر، وتُفتح: ما هُمَّ به من أمر ليُفعل، والهوى». وقوله (**تعلو**): أي ترتفع إلى معالي الأمور. وقوله (**إذا ما ذكرتها**): أي إذا ذكرت المحبوبة المكنّى عنها بما مرّ. والمعنى في ذلك: إنّ باعث قلبه، وكمال توجّهه طالب لما وراء الأكوان من حضرة الغيب المطلق، كما قال العارف الكامل:

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن أين يدري الناس أين توجّهنا

وقوله (وروح): أي منبعث من الأمر الإلهيّ، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] ولم يقل نفس لأنّها غافلة عن أمر ربّها كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

قلوب متى منه خلت فنفوس لأحرف وسواس اللعين طروس/[٣٤٠/أ]

وإنْ ملئت منه ومن نور ذاته فتلك بدور أشرقت وشموس

وقوله (**بِذِكْرَاهَا**): أي المحبوبة المذكورة. والذِكْرى بالكسر، اسم من التذكّر، قال في القاموس: «اذَّكَرَهُ وادَّكَرَهُ واسْتَذْكَرَهُ: تَذَكَّرَهُ وأَذْكَرَهُ إيّاه، وذَكَّرَهُ، والاسم: الذِكْرَى، تقول: ذَكَّرْتُهُ ذكرى، غَيْر مُجْرَاةٍ. وقوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢]: اسم لِلتَذْكِير. و: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٣٨/ ص/ ٤٣]: عبرة لهم. و﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٣]: من أين له التوبة. و: ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [٣٨/ ص/ ٤٦] أي: يُذَكَّرون بالدار الآخرة، ويُزَهَّدُون في الدنيا. ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [٤٧/ محمّد/ ١٨] أي: فكيف لهم إذا جاءتهم الساعة بذكراهم»، كذا في القاموس. ويصحّ رجوع الضمير إلى الروح، أي: بتذكّرها نفسَها من قبيل: من

عرف نفسه فقد عرف ربّه. وقوله (إذا رَخُصَتْ): أي صارت رخيصة بغفلتها وجهلها. وقوله (تَغْلُو): أي تصير غالية، لا يُدرك ثمنها، ولا يُعرف سعرها، قال في القاموس: «غَلَا غَلَاءً، فهو غَالٍ، وغَلِيّ: ضدّ رَخُصَ. وأَغْلَاه اللهُ، وبِعْتُه بالغَالِي. والغَلِيّ كغَنِيّ، أي: الغَلَاء».

٣٨- جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ

(جرى حبّها): أي المحبوبة الحقيقيّة المذكورة. وقوله (مجرى دمي): أي في المجرى الذي يجري فيه دمي، وهو قوله (في مفاصلي): جمع مَفْصَل، وِزان مَسْجِد، أحد مَفاصل الأعضاء، كذا في المصباح، وقال في القاموس: «المَفْصِل: كلّ مُلتقى عَظْمَينِ من الجَسَد». قال بعض القائلين:

قد تخللت مسَّكَ الرّوحَ منِّي وبذا سمي الخليل خليلاً

وقوله (فأصبح): الفاء تفريعيّة. وقوله (لي عن كلّ شُغْلٍ): يعني من أشغال نفسي وأشغال غيري، حيث لم تبقَ عنده نفسه، لأنّها ذهبت مع الذاهبين إلى الله تعالى، ولا بقي عنده غيره، وما بقي إلّا الحقّ تعالى قائم بنفسه، وقائم به كلّ أفعاله سبحانه، والجميع أفعاله. وقوله (بها): أي لا بغيرها، أي: المحبوبة الحقيقيّة المذكورة. وقوله (شُغْل): أي اشتغال، وذلك بالضرورة الوجدانيّة حيث وجد الحق بالحقّ، فاشتغل بالحقّ بشغل من الحقّ، فعل من أفعال الحقّ، وقد زهق الباطل من النفس وغيرها، قال تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١].

٣٩- فَنَافِسْ بِبَذْلِ النَّفْسِ فِيهَا أَخَا الهَوَى فَإِنْ قَبِلَتْهَا مِنْكَ يَا حَبَّذَا البَذْلُ

٤٠- فَمَنْ لَمْ يَجُدْ فِي حُبِّ نُعْمٍ بِنَفْسِهِ وَلَوْ جَادَ بِالدُّنْيَا إِلَيْهِ انْتَهَى البُخْلُ

(فنافس): الفاء للتفريع على ما قبله، نافسْ: فعل أمر من المنافسة، قال في الصحاح: «نَافَسْتُ في الشيء مُنَافَسَة ونِفَاساً: إذا رغبت فيه على وجه المباراة في

الكرم، تنافسوا فيه، أي: رغبوا». والخطاب لأخي الهوى. وقوله (**ببذلِ**): متعلّق بنافسْ، بَذَلَهُ يَبْذُلُهُ: أعطاه وجاد به، كذا في القاموس. وقوله (**النفس**): هي الروح، والنَّفْسُ أيضاً الجسد، ونَفْسُ الشيءِ: عَيْنُه، يؤكِّد به، يقال: رأيت فلاناً نَفْسَه، وجاءني بِنَفْسِه، كما في الصحاح. والمعنى هنا: ببذل النفس الإحساس والذوق والوجدان؛ ليتجلّى الحيّ القيّوم بما يقول منك أنا فانٍ. ذلك أثر من آثار القدرة الربّانيّة قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] فإذا وجد العبد السالك ذلك المعنى فقد بذل نفسه لربّه، فكانت نفسه حقيقة تجلّي ربّه بما كسب في خير، وما اكتسب من شرّ. وقوله (**فيها**): أي في نُعْم، كناية عن الحضرة الأسمائيّة. يعني: في محبّتها. وقوله (**أخا الهوى**): أي يا أخا الهوى. يعني: يا من هو أخي في المحبّة الإلهيّة، قال في القاموس: الأخ: من النسب، والصديق، والصاحب». وقوله (**فإنْ قَبِلَتْهَا**): أي قبلتْ نفسُك نُعْمَ المحبوبة المذكورة/ [٣٤٠/ ب] وقوله منك بأن تبدّلت نفسك بتجلّي ربك عليك بجميع أفعالك، فتصير من الأبدال الذين تبدّلت نفوسهم بتجلّيات ربّهم، وهذا معنى القبول من الحضرة الإلهيّة الأسمائيّة، المكّنى عنها بنُعْم، المحبوبة المشهورة. وقوله (**يا حبّذا**): أي يا أخا الهوى حبّذا، قال في الصحاح حبّذا زيد: حبَّ فعل ماض لا يتصّرف. وأصله حبب على ما قال الفرَّاء، وذا فاعله، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة، جُعِلا شيئاً واحداً، فصارا بمنزلة اسم برفع ما بعده، وموضعه رفع بالابتداء وزيد خبره. ولا يجوز أن يكون بدلاً من ذا، لأنّك تقول: حبّذا امرأة، ولو كان بدلاً لقلت: حبّذت المرأة، قال جرير:

يا حبّذا جبل الريّان من جبل ... وحبّذا ساكن الريّان من كانا

وحبّذا نفحات من يمانيّة ... تأتيك من قبل الريّان أحياناً

وقال في القاموس: «حبّذا الأمر»، أي: هو حَبيب، جُعِل «حَبَّ» و« ذا » كشيءٍ واحد وهو اسم، وما بعده مرفوع به، ولزم «ذا» «حبّ»، وجرى كالمَثَل، بدليل

قولهم في المؤنّث حبّذا، لا حبّذِه». وقوله (**البَذْل**): خبره، واللام للعهد، أي: البذل المذكور، وهو بذل النفس في هوى المحبوبة المذكورة. وقوله (**ومن لم يَجُد**): من جاد يجود، قال في الصحاح: «جَادَ الرجلُ بماله يَجُود جُوْدَاً، بالضمّ فهو جواد. وقوله (**في حُبِّ**): أي محبّة. وقوله (**نُعْم**): هي المحبوبة المذكورة. وقوله (**بنفسه**): متعلِّق بيجُد. وقوله (**وإنْ جاد بالدنيا**): أي بجميع ما فيها من كلّ ما له ثمن واعتبار. وقوله (**إليه**): متعلِّق بانتهى، قُدِّم عليه للحصر. وقوله (**انتهى**): أي وصل إلى النهاية، بحيث لا مزيد عليه. وقوله (**البُخْلِ**): فاعل انتهى، بضمّ الباء الموحّدة وسكون الخاء المعجمة، وفيه لغات أخرى: ضدّ الكرم، قال في القاموس: «البُخْل والبُخُول، بضمّها ضِدّ الكَرَم، بَخِلَ كفَرِحَ وكَرُمَ، بُخْلاً بالضمّ والتحريك فهو بَاخِل». فإنّ المحبّة الإلهيّة تقتضي الخروج عن كلّ ما سواه تعالى من الدنيا والآخرة، والزهد في جميع ذلك، بحيث لا يبقى قلبه متعلّقاً بشيء من ذلك أصلاً، وهذا مقام السالكين المحجوبين عنه تعالى بأنفسهم؛ فلا يعتبر ذلك منهم في طريق المحقّقين حتّى يخرجوا عن أنفسهم أيضاً، ويزهدوا فيها؛ فينكشف حجابها عنه تعالى، قال العارف الكامل سيدي على وفا المصري قدّس الله سرّه:

تجرّد عن مقام الزهد قلبي ... فأنت الحقّ وحدك في سرودي
أأزهد في سواك وليس شيء ... أراه سواك يا سرّ الوجود

٤١- وَلَوْلَا مُرَاعَاةُ الصِّيَانَةِ غَيْرَةً ... وَلَو كَثُرُوا أَهْلُ الصَّبَابَةِ أَوْ قَلُّوا
٤٢- لَقُلْتُ لِعُشَّاقِ المَلَاحَةِ أَقْبِلُوا ... إلَيْهَا عَلَى رَأْيِي وعَنْ غَيْرِهَا وَلُّوا
٤٣- وَإنْ ذُكِرَتْ يَوْمَاً فَخُرُّوا لِذِكْرِهَا ... سُجُوداً وَإنْ لَاحَتْ إلَى وَجْهِهَا صَلُّوا

(**ولولا**): حرف امتناع لوجود، أي: امتناع شيء لوجود شيء آخر. وقوله (**مراعاة**): مصدر رَاعَيته، لاحظته مُحْسِناً إليه، وراعَيت الأمرَ: نظرت إلامَ يصير، كذا في القاموس. وقوله (**الصِيَانَة**): بالصاد المهملة والياء التحتيّة: مصدر صَانَه

صَوْناً وصِيَانَة: حَفَظَه، كما في القاموس. والمراد هنا حفظه للأشياء الخمس التي فرض عليه الشرع المحمّديّ حفظها على نفسه، فاللام للعهد؛ وهي الكلّيّات الخمس الواجب على كلّ مسلم حفظها ومراعاتها: الدين، والعقل، والدم، والمال، والعرض. ولكلّ واحدة حدّ في الشرع، واجب على من انتهكها وضيّعها ولم يحفظها؛ فالدين: قتل من ضيعه بالردّة، والعقل: الحد على من ضيعه بشرب الخمر. والدم: القتل بالقصاص على من أراقه، والمال: القطع بالسرقة فيه. والعِرْض: بكسر العين المهملة: الحدّ على من ضيّعه بالزنا والقذف، كما هو مفصل في محلّه من الفقه. وقوله **(غَيْرَة)** : بفتح العين المعجمة مصدر/ [٣٤١/ أ] قولك غَار الرجل على أهله يَغَار غَيْراً وغَيْرَةً وغَاراً. ورجل غَيُور وغَيْران، كذا في الصحاح. يعني: غَيْرَة منه على أحكام الله تعالى أنْ ينتهكها الجاهلون، ويتشبَّه بأهل المعرفة الغافلون.

وقوله **(وإنْ كَثُرُوا)**: الواو ضمير جمع الذكور، فاعل كثر. وقوله **(أهل)**: مرفوع على البدليّة من واو الضمير. والواو حرف، هي علامة جمع الذكور. وأهل فاعل كثر، وهي لغة أكلوني البراغيث. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [٢١/الأنبياء/٣] وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «يتعاقبون عليكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»[1]. وقوله **(الصَّبَابَة)**: بالبائين الموحّدتين، قال في القاموس: «الصَبابة الشوق، أو رِقَّتُه، أو رِقَّة الهوى، صَبِبْتَ كَقَنِعْتَ، تَصُبُّ، فأنت صَبٌّ، وهي صَبَّةٌ». وقوله **(أو قَلُّوا)**: يعني أهل الصَبابة. والمعنى: سواء كان العشّاق كثيرين، أو قليلين؛ فإنّ العشق قد يصفو عن الشهوة الطبيعيّة في أصحاب النفوس الأبيّة فيكونون قليلاً، وقد يمتزج العشق بالشهوة الطبيعيّة في الحيوانات، وفيمن كثف طبعه من الآدميين فيكونون كثيراً. والعشق كلّه حبّ إلهيّ سواء كان صافياً أو ممتزجاً من إنسان، أوغيره. وسواء تعلّق بالجنس،

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، ٥٥٥.

كالإنسان يعشق الإنسان، والحيوان يعشق الحيوان. أو تعلّق بغير الجنس، ولا يصفو من كدر الطبيعة في العاشق والمعشوق إلّا في العارفين المحقّقين، فيظهر لهم الحبّ الإلهيّ بحيث يكون الحقّ تعالى هو المحبّ والمحبوب، والطالب والمطلوب، وقليل ما هم. وذلك مرادنا بقولنا من أبيات لنا:

كلّ حسن من حسنه مستعار فلذا كلّ واله فيه واله

ما درى الناس أنْ كلّ جمال فهو في الخلق لمحة من جماله

وكذا الحبّ كلّه قطرة من حبّه نفسه بدا في خياله

صور كلّنا محبّاً ومحبو باً وهذا مرادنا بوصاله

وقوله (لَقُلْتُ): جواب لولا، واللام موطئة للقسم المحذوف. وقوله (لعشّاق): جمع عاشق متعلّق بقُلْتُ. وقوله (المَلاحَة): بفتح الميم مصدر مَلُحَ الشيءُ بالضمّ، مَلَاحَة: بَهُجَ، وحَسُنَ منظرُه، فهو مليح، والأُنثى مَلِيْحَة، والجمع مِلَاح، كذا في المصباح. وهي ظهور الجمال الحقيقيّ كالحُسن الظاهر على الأشياء من إنسان وغيره، وعشّاق الملاحة، وهم المفتتنون بملاح الأكوان من النساء والولدان، وأنواع الأموال، والمآكل، والمشارب، والمناكح، والمراكب، والصنائع، والجاه، والمناصب، وما أشبه ذلك مما يراه الإنسان حسناً ذا ملاحة. وقوله (أقبلوا): أي توجّهه في عين إقبالكم على ما تعشقون من ذلك. وقوله (إليها): أي إلى هذه المحبوبة الواحدة المكنّى عنها بنُعْم فيما سبق من الأبيات؛ فإنّ جميع هذه الملاحة الظاهرة في الأكوان ملاحتها على جميع الآثار وألوان الأطوار. وقوله (على رأيي): الرائي العقل والتدبير، ورجل ذو رأي أي: ذو بصيرة وحِذْق في الأمور وجمع الرأي: آراء، كذا في المصباح. والمعنى: أقبلوا متوجّهين إلى هذه الحقيقة المحبوبة والحضرة الإلهيّة المطلوبة في كلّ ما توجّهتم إليه على حسب ما أراه، وأعتقده من ظهور جمال الحقّ تعالى على كلّ شيء. وقوله (وعن غيرها): أي غير المحبوبة المذكورة. وقوله (ولّوا): بتشديد اللام، أي: أعرضوا؛ لأنّ غيرها صور

وأشكال فانية في نفسها، مضمحلّة لا وجود لها، والوجود كلّه الظاهر عليها في حال فنائها وعدمها بالكلّيّة، وهو وجود هذه المحبوبة المذكورة، والحضرة الإلهيّة المتجلّية بكلّ صورة وقوله (وإنْ ذُكِرَتْ): بالبناء للمفعول، أي: هذه المحبوبة المذكورة أي ذكر كان، بذكر اللسان، أو بذكر القلب، أو بذكر العقل أو/[٣٤١/ ب] الفكر باسم من أسمائها، أو بصفة من صفاتها، أو بفعل من أفعالها.

وقوله (يوماً): أي في وقت من الأوقات. وقوله (فَخَرُّوا): من الخَرِّ، وهو السُقُوط كالخُرُور، أو من عُلُو إلى سُفْل، يَخِرُّ ويَخُرُّ، كذا في القاموس. والخطاب لعشّاق المَلاحة المذكورين. وقوله (لِذِكْرِهَا): أي لذكر هذه المحبوبة الوارد عليهم، أو المسموع لديهم. وقوله (سجوداً): جمع ساجد، من السجود، وهو الخضوع والإنحناء. وقوله (وإنْ لاحت): أي ظهرت لكم لانكشاف الحجاب بينكم وبينها. وقوله (إلى وجهها): أي ما يواجهكم منها، وهو الاسم من أسمائها الجامع لجميع أسمائها. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١١٠]. وتقديم الجار والمجرور للحصر؛ فإنّه متعلّق بِصَلُّوا. وقوله (صَلُّوا): فعل أمر من الصلاة، وهي العبادة المخصوصة المعروفة. قال في القاموس: «الصلاة: الدعاء، والرحمة، والاستغفار، وعبادة فيها ركوع وسجود[1]. اسم يوضع موضع المصدر». وأمرهم بالسجود وحده لذكرها؛ فإنّه دون ظهورها، وبالصلاة ذات الركوع والسجود لظهورها، فإنّه المطلوب الكامل عند كلّ عالم عامل كما ورد: «إنّ الله في قبلة أحدكم...»[2] الحديث.

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة».

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: العمل في الصلاة، باب: ما يجوز من البصاق والنفخ في الصلاة، ١٢١٣، عن ابن عمر رضي الله عنه، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى نخامة في قبلة المسجد، فتغيّظ على أهل المسجد، وقال: «إنّ الله قِبَل أحدكم، فإذا كان في صلاته فلا يبزقنّ» أو قال: «لا يتنخّمن». ثمّ نزل فحتّه.

٤٤- وَفِي حُبِّهَا بِعْتُ السعَادَةَ بِالشَّقَا ضَلَالاً وعَقْلِي عنْ هُدايَ بِهِ عَقْلُ

(وفي حبّها): أي المحبوبة المذكورة. والجار والمجرورمتعلّق ببعتُ، قُدّم للحصر. وقوله (بعت السعادة): الدنيويّة التي يرغب فيها الغافلون، وينهمكون في تحصيلها من مال، وجاه، ووجاهة، ومنصب، ونحو ذلك. وبيعها كناية عن الإعراض عنها، والزهد فيها، بالظاهر والباطن. وقوله (بالشقاء): أي التعب والمشقة، وما يناله السالك في الدنيا من الأذى، وإنكار أهل الغفلة عليه، وجحودهم ما لديه. والباء هي الدّاخلة على الثمن في قولك: بعت هذا بهذا. وقوله (ضَلالاً): تمييز لنسبة بيع السعادة المذكورة. يعني: حيرة منّي، واندهاشاً في جمال المحبوبة المذكورة. وقوله (وعقلي): أي قوّة إدراكي في الأمور الدنيويّة. وقوله (عن هُدَايَ): أي اهتدائي، واطّلاعي على مصالح معاشي، وتدبير أحوالي. وقوله (به عقل): أي ربط بما أنا ساعٍ في تحصيله، ومهتم بتأصيله من المعرفة الإلهيّة، والفتوحات الربّانيّة.

٤٥- وَقُلْتُ لِرُشْدِي والتَنَسُّكِ وَالتُّقَى تَخَلَّوْا ومَا بَيْنِي وَبَيْنَ الهَوَى خَلُّوا

(وقلت لِرُشْدِي): مصدر رَشَدَ، كنصر وفَرِح، رُشْداً ورَشَداً ورَشَاداً: اهتدى، كاسترشد، كما في القاموس. وقوله (والتَنَسُّكِ): أي التعبّد، قال في الصحاح: النَسْك: العبادة. والناسك: العابد. وقد نَسَكَ وتَنَسَّكَ: أي تَعَبَّدَ».

وقوله (والتقى): مصدر اتَّقيت الشيءَ وتَقَيْتُهُ وأَتَّقِيهِ تُقَىً وتقِيّةً وتِقَاءً ككِساء: حَذَّرْتُهُ، والاسم التقْوَى، كذا في القاموس. وقوله (تَخَلَّوْا): بتشديد اللام. قال في القاموس: خَلَّى الأمر وتَخلّى منه، وعنه: تركه. ويقال: خَلَّى مكانه: مضى عن الأمر، ومنه: تَبَرّأ». والمعنى في ذلك: إنّه قال لهذه الثلاثة هدايته في دين الله، وعبادته لله تعالى، على الوجه الأكمل المطلوب، وتقواه في الشريعة المحمّديّة، بطريق الكناية: اتركوني، ولا تشغلوا قلبي بالالتفات إليكم، ورؤية محاسنكم وكمالكم عن

الاشتغال بالتوجّه التام القلبي إلى التحقّق بتجلّيات ربّي. وأضاف الرشد إلى ياء المتكلّم لثبوته عنده، ودوام إقامته فيه. وأتى بالتنسّك والتّقى معرفاً بلام العهد؛ لأنّ ذلك معهود منه، ومعروف لديه، وثابت في ظاهره وباطنه. وأشار بخطابه لهذه الثلاثة إلى أنّها عنده لا تفارقه مع إعراضه عن الاشتغال بها وتوجّه قلبه وقالبه بالكلّيّة إلى جناب ربّه وخالقه لا يغيب عنه، وأنّه في دوام مراقبته، وهذه حالة الكاملين، وطريق أهل الله/ [٣٤٢/ أ] الصادقين. ولمّا كانت هذه الحالة خفيّة عن العلماء من أهل الشريعة، لا يعرفونها في المحقّقين من الأولياء العارفين، فضلاً عن خفائها على عامّة المؤمنين والمسلمين ظنوا أنّ طريقهم ترك الشريعة. والتهاون بأحكامها العقوبة المنيعة، وحسبوا أنّ الأولياء منتهكون لأحكامها، ولا يحترمون حلالها وحرامها، فصغرت عندهم مشارب الحقيقة، وفتحت في أعينهم محاسن أهل الطريقة، فأكثروا عليهم الملام، وأنكروا أحوالهم المخلصة الشريفة بين الأنام، وفضّلوا عليهم أحوال أهل التقوى والعبادة المشتغلين بالعمل الصالح، والعلم النافع عن التفرّغ للتحقيق بحقائق الإرادة، ومعارف أهل السلوك في طريق السادة المنهمكين في نجاة نفوسهم من النار، المعرضين عن تجلّيات الكريم الغفار، المقبلين بكلّيتهم على نيل الشهوات الأُخرويّة في دار القرار، لا يعرفون مقامات الرجال، ولا يعرفون بين نساء النفوس وذكور القلوب من الأبطال، وشتّان بين علوم الأغيار، وعلوم الحقّ في تجلّياته ببدائع الأسرار؛ فإنّ العلوم الشرعيّة طريق عامّة المسلمين. والعمل الصالح بمقتضاها طريق الخاصّة من أهل اليقين. وكلاهما ناجٍ في الآخرة، وحائز في الجنّة أنواع الحالة الفاخرة. وأمّا العلوم الإلهيّة فهي نتائج تلك العلوم الشرعيّة، والأعمال المرضيّة، وأهلها خواص الخواص المعرضون عنها مع وجودها فيهم، ودوامها لديهم، بحيث صارت لهم طبيعة، لا يتكلّفون فيها بالنفوس المطيعة؛ فتصدر منهم

على أكمل الوجوه العليّة، وأشراف الأحوال السنيّة. ومع ذلك لم يشتغلوا بها عن مطلوبهم الأعلى، ومشهودهم الأجلى ومشروبهم الأحلى. ولعمري فهم الرجال، كلّ الرجال، وهم الأئمّة الأبطال، لا يشعرون بخالص أعمالهم، ولا بصدق أحوالهم لعدم التفاتهم إلى ذلك من شدّة توجّههم إلى التحقّق بتجلّيات القدير المالك. وقد استولى الحقّ تعالى على قلوبهم، وأعلمهم بما ينفعهم في طريق مطلوبهم، وعمل بهم جميع ما هم به مكلّفون، وهم لا يشعرون، فتراهم متردّدين بين رجائه وخوفه. ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٤].
وقد أشرنا إلى ذلك بأبيات لنا من قصيدة، وهي قولنا:

ويلي من العاذل المغرور في عذلي ... يظنّ باعي عن العلياء في قصر
حتّى غدا زاعماً من فرط طاعته ... وزهده أنّه من أفضل البشر
وليس يعلم ما تجني عبادته ... من الحجاب له عن لذّة النظر
ومَن إلى الزهد والطاعات ينظر عن ... مولاه أعمى ومن بالعكس ذو بصر
ونحن قوم عن الأغيار همّتنا ... ترفّعت لعزيز الأمر مقتدر
لا الزهد عمّن سواه عنه يحجبنا ... ولا بطاعته عنّا بمستتر
هو الفنا لا بنا حيث الوجود له ... والظلّ ليس بموجود مع الشجر

وقوله (وما بيني وبين الهوى): ما زائدة، والهوى: المحبّة. واللام للعهد، أي: المحبّة المعهودة لمحبوبته المشهودة. وقوله (خَلُّوا): بفتح الخاء المعجمة، وتشديد اللام مرفوعة: فعل أمر من خلَّى عنه: تركه. يعني: اتركوني مشتغلاً بمحبّة هذه المحبوبة، والانهماك في شهودها، والتحقّق بتجلّياتها، ولا تشغلوني بكم عنها كما شغلتم غيري، وخطاب هذه الثلاثة بخطاب العقلاء على الاستعارة من قبيل قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [١٢/ يوسف/ ٤] وقوله سبحانه: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [٤١/ فصّلت/ ١١].

٤٦ - وَفَرَّغْتُ قَلْبِي عَنْ وُجُودِيَ مُخَلِّصاً لَعَلِّيَ فِي شُغْلِي بِهَا مَعَهَا أَخْلُو

/ [٣٤٢/ ب] (**وفرغت**): بتشديد الراء. وقوله (**قلبي**): مفعول فرَّغت. وقوله (**عن وجودي**):أي الذي أنا به موجود بأن تركت نسبة وجودي إليّ، ونسبتي إليه، وجرّدته في نفسي عنّي، وأفردته وجوداً مطلقاً عن جميع قيودي الكونيّة، فكنت أنا العدم المقدّر بالتقادير الصادرة منه. وقوله (**مُخَلِّصاً**): بكسر اللام مشدّدة: اسم فاعل من التخليص قال في الصحاح: «خَلَّصْتُهُ من كذا تَخْلِيصَاً، أي: نجَّيْتُهُ فَتَخَلَّص». وهو حال من فاعل فرّغت. ومعناه: جعلت قلبي متنحّياً من دعوى وجودي، كما روي عن أبي القاسم الجنيد قدّس الله سرّه أنّه قال: «عبدت الله ثلاثين سنة فما فتح عليّ بشيء، فمررت يوماً ببغداد فسمعت جارية تغنّي بهذه الأبيات:

إذا قلت أهدي الهجر لي حلل البلا تقولين لولا الهجر لم يطب الحبّ

وإنْ قلت هذا القلب أحرقه الجوى تقولي بنيران الجوى شرف القلب

وإنْ قلت ما ذنبي إليكِ أجبتني وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

فعملت على تجريد وجودي وانفراده عنّي، فوصلت إلى الله في تلك الليلة»، ويصحّ أن يكون مُخْلِصاً بسكون الخاء المعجمة وكسر اللام، مخفّفة، من الإخلاص، حال من فاعل فرَّغتُ، أي: كان تفريغي ذلك عل وجه الإخلاص منّي في إرادة التعريف إلى الله تعالى.

وقوله (**لَعَلِّيَ**): بفتح الياء التحتيّة لاستقامة الوزن. و(**لعلّ**): كلمة طمع في الأمر المحبوب، وإشفاق وخوف في الأمر المكروه. وقوله (**في شغلي بها**): أي بالمحبوبة المذكورة. وقوله (**معها**): أي مع المحبوبة المذكورة. وقوله (**أخلوا**): من خلا، وقع في موضع خالٍ لا يُزاحم فيه، كأَخْلَى واسْتَخْلَى به، وخَلا به وإليه ومعه خَلْواً وخَلاَءً وخَلْوَةً: سأله أن يجتمع به خلوة ففعل، كذا في القاموس. والمعنى: إنّ تفريغ قلبي عن وجودي بحيث يبقى وجودي كلّه له، وأبقى أنا فرضه وتقديره من غير

وجود لي، لعلّي بسبب ذلك أصير في خلوة مع المحبوبة المذكورة. وخصّ قلبه بالتفريغ عن وجوده؛ لأنّه الأصل في نسبة الوجود إليه؛ وهو الوجود الحقّ. ولهذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [٦/ المائدة/ ١٠٥٢] أي: ابدؤوا بها فاعرفوها حتّى يزول استقلالها، ولا بالدعوى، فإذا زالت دعواها الاستقلال ـ ودخلت تحت جملة تصرف الحقّ تعالى في جميع الأكوان صارت قلباً متقلّباً بالأمر الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر؛ فإذا وصل إلى إدراكه التجدّد في الخلق الجديد كما قال تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] زال عنه اللبس فزالت نفسه الجامدة بالأوهام؛ فيظهر له حينئذ تجريد الوجود الحقّ عنه وعن جميع الأكوان، ويرجع هو وجميع الأكوان إلى عدمه الأصلّي، قال صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[1] وفي الحديث: «ابدأ بنفسك ثمّ بمن تعول»[2] أي: من بقيّة الأكوان فنفسك أصل كما ذكرنا.

٤٧- وَمِنْ أَجْلِهَا أَسْعَى لِمَنْ بَيْنَنَا سَعَى ... وَأَعْدُو وَلَا أَغْدُو[3] لِمَنْ دَأْبُهُ العَذْلُ

٤٨- فَأَرْتَاحُ لِلْوَاشِيْنَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... لِتَعْلَمَ مَا أَلْقَى وَمَا عِنْدَهَا جَهْلُ

٤٩- وَأَصْبُوا إِلِى العُذَّالِ حُبّاً لِذِكْرِهَا ... كَأَنَّهُمْ مَا بَيْنَنَا فِي الهَوَى رُسْلُ

٥٠- فَإِنْ حَدَّثُوا عَنْهَا فَكُلِّي مَسَامِعٌ ... وَكُلِّي إِنْ حَدَّثْتُهُمْ أَلْسُنٌ تَتْلُو

(ومن أجلها): أي من أجل المحبوبة المذكورة. وقوله (أسعى): أي أقصد عمل الخير والنفع والطاعة. قال في القاموس: «سَعَى يَسْعَى سَعْياً، كرَعَى: قَصَدَ، وعَمِلَ، ومَشَى». وقوله (من بيننا): أي بيني وبين المحبوبة المذكورة. وقوله (سَعَى):

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

(٢) ذكره العسقلانيّ في فتح الباريّ في شرح صحيح البخاريّ، كتاب: العلم، باب: العلم والعظة بالليل، ١١٢. كما ذكره النوويّ في شرح صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش، ٣٣٩٨.

(٣) في (ق): وأغدو ولا أعدو.

أي مشى بالصلح، وقصد/[٣٤٣/أ] الخير والنفع كالأنبياء عليهم السلام؛ فإنّهم ساعون لتأليف القلوب النافرة عن الله تعالى لتجتمع عليه، وكذلك ورثتهم من الأولياء المحقِّقين، كما قال تعالى لموسى عليه السلام وأخيه في حقّ فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٤٤]. وإذا حصل الإيمان من الأمّة المحمّديّة أمر داعيها بالتلطّف بها قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٥/ الحجر/ ٨٨]. وإذا لم يحصل الإيمان فأمر بضدّ ذلك؛ وهي سعاية خير أيضاً، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [١٦/ التحريم/ ٩] وقوله (**وأَعْدُو**): بالعين المهملة معطوف على أسعى، من العَدْو بسرعة، وهو سرعة السير. وقال في تفسير المغني: «المشي هو السير السهل، وهو جنس الحركة المخصوصة، فإذا اشتدّ فهو سعي، وإذا ازداد فهو عَدْوٌ»، أي: امتثل أوامرهم، واجتنب نواهيهم بشدّة عزم، وهمة صادقة. وقوله (ولا أغدو): بالغين المعجمة، من غَدَا عليه غُدُّواً وغَدْوَة، بالضمّ، واغْتَدَى: بَكَّر، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «الغُدُوُّ نقيض الرَواح، وقد غَدَا يَغْدُو غُدُوّاً». وقوله (**لمن دَأْبُهُ**): دَأَبَ في عَمَلِهِ كمَنَعَ، دَأْباً، ويحرّك، ودُؤُوباً بالضمّ، جَدَّ وتَعِبَ، والدَأْبْ أيضاً، ويحرَّك: الشأن والعادة، كما في القاموس.

وقوله (**العَذْلُ**): أي اللوم والتعنيف، كما هو عادة المتفقِّهة في المذاهب، يفتِّشون على عيوب الناس وذنوبهم، ولا يلتفتون إلى عيوب نفوسهم وذنوبهم، لتحسين ظنونهم بأنفسهم، وتأويلهم كلّ ما يفعلونه من المخالفات، ولا يؤَوِّلون ما يرونه من ذنوب غيرهم. وقد قال الإمام النووي ـ من كبار فقهاء الشافعيّة ـ: «يجب على الإنسان أنّ يحمل أخاه على المحامل الحسنة إلى سبعين وجهاً؛ فإنْ عجز يقول: لعلّ له عذر لا أعلمه». وقد وجدت كتاباً مستقلّا سمّاه مصنّفه «تحفة الأكياس في تحسين الظنّ بالناس»[1] وأمّا فيما يوهم الكفر فقد قال في «تنوير الأبصار» ولا يُفتى بتكفير

---

(١) ورد في المخطوط لديّ باسم «تحفة الأكياس في حسن الظن بالنّاس» تأليف الشيخ أحمد المصري الشهير بالفولي، وهو شيخ الأزهر، سيصدر بتحقيق خالد الزرعي إن شاء الله تعالى.

مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره خلاف، ولو رواية ضعيفة» فمَنْ شأنه وعادته اللوم والتعنيف، لا يغدو إليه الناظم، ولا يسرع إلى قبول قوله، والعمل بمقتضى ظنونه في بعض ما يذهب إليه، ويمكن أنْ يكون قوله (لمن بيننا سعي): يعني بالإفساد والفتنة، وهو الشيطان المقارن له، الذي شأنه دائماً الوسوسة، وإيقاع العدواة بين الإنسان وربّه، بتهوين المعاصي عليه، والمخالفات ليقع فيها، فيغضب عليه ربّه. وكونه يسعى إليه ويعدو لعلمه بالحفظ له، والصيانة منه، من جهة الحقّ تعالى. كما نقل عن أبي مدين، الغوث، قدّس الله سرّه، أنّه قيل له: «كيف أنت مع الشيطان؟. فقال أرأيتم لو بال أحدكم في البحر فهل ينجس ببوله؟. قالوا: لا. فقال: هكذا حالي معه». وعدم غدوه، وعدم ميله إلى اللائمين والمعنِّفين له؛ لأنّهم يؤذون بجهلهم أحواله الصادقة؛ ولهذا قال بعد ذلك على طريقة اللف والنشر المرتّب (فارتاح): أي أنشط، وأقبل متوجّهاً بكمال الهمّة. قال في القاموس: «الارتياح: النشاط والرحمة، وارتاح الله به برحمته أنقذه من البليّة». وقوله (للواشين): جمع واشي، قال في القاموس: «وَشَى كلامَه كَذَبَ فيه، ووَشَى به إلى السلطان وَشْياً ووِشَايَةً: نَمَّ، وسَعَى». وأراد بالواشين الساعين بالفساد. إشارة إلى قوله في البيت قبله (لمن بيننا سعى). وقوله (بيني وبينها): أي المحبوبة المذكورة، بأنْ كان قصده إغضابها عليّ لتعاقبني. وقوله (لتعلم): أي المحبوبة المذكورة، وهو علّة لارتياحه، ونشاطه للواشين بينه وبينها، أي: ليحصل لها العلم الوقوعي التنجيزي. وقوله (ما): أي الذي أو أمراً، مفعول تعلم.

وقوله (ألقى): أي ألقاه بمعنى/ [٣٤٣/ ب] أقاسيه وأعانيه في محبّتها من الألم، والتأذّي بصنيع الواشين، وسعايتهم بالإفساد؛ فإنّها إذا علمت بذلك شفقت عليه ورحمته. وقوله (وما عندها): أي عند المحبوبة المذكورة. وقوله (جهل): بما أقاسيه من ذلك؛ لأنّ الجهل على حضرة تلك المحبوبة المذكورة مستحيل؛ فهي عالمة بعلمها القديم الكاشف عن المعدومات على ما هي عليه كشفاً تامّاً لا يحتمل

النقيض. وأمّا علمها الوقوعي التنجيزي فهو لا يزيد على ذلك العلم القديم شيئاً، لانّ العلم القديم علم حضوري في الأزل والأبد على السواء، لاستحالة الزمان، ومروره على الحضرة الإلهيّة؛ فالمعدومات الأزليّة التي تعلّق بالكشف عنها العلم القديم فهي معلومات هي على ما هي عليه من عدمها الأصلي أزلاً وأبداً، وإنّما استفادت الوجود بمجرّد نسبته إليها، أو نسبتها إليه عند الحوادث من الأكوان. وبالنسبة إلى علمهم الحادث بها، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ [١٦/ النحل/ ٩٦] أي: هو نافد، منقبض وإن وجدتموه وجد، ثمّ انعدم، وما عند الله باق على أصله العدمي، يتقلّب في أطواره في العدم على ما هو عليه، بحسب ترتيبه، وتقديم أحواله بعضها على بعض. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [٤٧/ محمّد/ ٣١] يعني: حتّى نعلم عندكم، فتعلمون أنّا نعلم ذلك؛ وهو معنى العلم الوقوعي التنجيزي، كما ذكرنا. وقوله (**وأصبوا**): أي أميل، وأَحنُّ، قال في القاموس: «صَبَا إليها: حَنَّ صَبْوَةً وصُبُوّاً». وقوله (**إلى العذّال**): جمع عاذل، وهو اللائم المعنّف، قال في القاموس: العَذْل الملامة كالتَعْذِيل، والاسم العَذَل، محرّكة». وأشار بقوله (**وأصبوا إلى العُذّال**) إلى قوله في البيت قبله (**ولا أغدو لمن دأبه العذل**) فكأنّه بذلك يرى حكمة الحقّ تعالى في كلّ ما يقع من خير أو شرّ، وأنّه كلّه منافع للعباد، ليترتّب عليه مصالحهم في الدنيا والآخرة. وقوله (**حُبّاً**): أي لأجل حبّي، أي: محبّتي. وقوله (**لذكرها**): أي المحبوبة المذكورة؛ وهو علّة لقوله (**وأصبوا إلى العذّال**): يعني لأسمع من العذّال ذكر المحبوبة فألتذّ بذكرها، من قبيل قول الشاعر:

أحـــبّ العـــذول لتكـــراره ... حـديث الحبيب عـلى مـسمعي

وأهـوى الرقيـب لأنّ الرقيـب ... يكـون إذا كـان حبّـي معـي

وقوله (**كأنّهمُ**): بضمّ الميم لاستقامة الوزن. يعني العُذّال. وقوله (**ما بيننا**): ما زائدة، أي: بيني وبين المحبوبة المذكورة. وقوله (**رُسْل**): بسكون السين المهملة،

جمع رسول، قال في الصحاح: «أَرْسَلْتُ فلاناً فهو مُرْسَل ورَسُول، والجمع: رُسْل ورُسُل. يعني بالسكون وبالضمّ. والمعنى: إنّ اللائمين والمعنّفين له على المحبّة اشتبهت حالتهم في لومهم له، وتعنيفهم على المحبّة بحالة الرسل الذين ينقلون أخبار المحبوبة إلى محبّها، وأخبار المحبّ إلى محبوبته؛ لأنّهم يقولون له: اترك حبّها فإنّه مضرة لك؛ وهي تريد ذلك القول منهم لفرط جمالها، ودلالها، وعزّتها. ويقولون أيضاً لها فلان يحبّك لتنفر منه وتعرض عنه. والمحبّ يريد ذلك لتدوم محبّته مع الهجر والجفاء من المحبوبة له، ولهذا كان مقام المحبّة حجاباً عن المحبوب، لأنّ فيه بقيّة مغايرة للمحبوب، وبها كان محبّاً، وكان بذلك الفرق بين المحبّ والمحبوب، والطالب والمطلوب، والراغب والمرغوب، ولو كان هنا المصراع للبيت الذي قبله، ومصراع البيت الذي قبله له لكان أنسب بفعل الواشين، أي: المُفْتِنِين بينهما؛ فإنّ نقلهم الأحاديث أحدهما للآخر يشبه الرسالة. وقوله/ [٣٤٤/ أ] لتعلم أن ما ألقى مناسب لقوله (**وأصبو إلى العذال حبّاً لذكرها**): أي ما ألقى من أَلِـم المَلامَة والتعنيف على المحبّة. وقوله (**فإنْ حدّثوا**): أي العذّال بأنْ ذكروا الأحاديث والأخبار. وقوله (**عنها**): أي عن المحبوبة المذكورة. وقوله (**فكلّي**): أي ظاهري وباطني. وقوله (**مَسامِع**): جمع مِسْمَع، وهو آلة السمع. وقال في الصحاح: «السَامِعَة: الأُذُنُ، وكذلك المِسْمَع بالكسر، يقال: فلان عظيم المِسْمَعَيْنِ». وإنّما كان كلّه مَسَامِعاً لإصغائه بكلّيته إلى ذكر محبوبته شوقاً إليها، وإقبالاً عليها. وقوله (**وكُلِّي**): بفتح الياء التحتيّة لأجل الوزن، أي: ظاهري وباطني. وقوله (**إنْ حَدَّثْتُهُم**): أي العُذّال بتقدير عنها: أي عن المحبوبة المذكورة بأنْ ذكرت محاسنها لهم، وجميل صنعها معي. وقوله (**أَلْسُنٌ**): جمع لسان، وهو آلة النطق المعروفة. وقوله (**تَتْلُو**): أي تقرأ، يقال: تلوت القرآن تلاوة: قرأته. على معنى أنّي إذا نطقت بذكر صفاتها، ونشر محاسنها ونعمها الكاملة نطقت بظاهري وباطني؛ فكانت جميع أعضائي ألسنة ناطقة بذلك، ومن هذا القبيل قولنا من قصيدة في المديح النبويّ:

قد صار كلي قلوباً في محبّته وإنْ مدحت فكلّي فيه أفواه

٥١- تَخَالَفَتِ الأَقْوَالُ فِيْنَا تَبَايُناً بِرَجْمِ ظُنُونٍ بَيْنَنَا مَا لَهَا أَصْلُ
٥٢- فَشَنَّعَ قَوْمٌ بِالْوِصَالِ وَلَمْ تَصِلْ وَأَرْجَفَ بِالسُّلْوَانِ قَوْمٌ وَلَمْ أَسْلُ
٥٣- وَمَا صَدَّقَ التَّشْنِيعُ عَنْهَا لِشِقْوَتِي وَقَدْ كَذَبَتْ عَنِّي الأَرَاجِيفُ وَالنَّقْلُ

(**تخالفتِ الأقوال**): جمع قول. يعني: كلّ قوم من الناس قولهم يخالف قول القوم الآخرين. وقوله (**فينا**): أي في حقّي، وفي حقّ المحبوبة المذكورة. وقوله (**تبايناً**): أي من جهة التباين، أي: التفارق والتقاطع؛ فكلّ قول منها يباين القول الآخر ويفارقه، وينقطع عنه. وقوله (**برجم ظنون**): متعلّق بتخالفت، والرجم: القذف. والظنون: جمع ظن، وهو التردّد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم. والجمع: ظنون وأظانين، كذا في القاموس. وقوله (**بيننا**): أي بيني وبين المحبوبة المذكورة. وقوله (**ما لها**): أي لتلك الظنون أصل ترجع إليه، وإنّما هي كلّها أكاذيب وتخيلات باطلة من نفوس عاطلة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [٤٩/الحجرات/ ١٢] الآية، ثمّ بيّن ذلك بقوله (**فشنّع**): بتشديد النون، من الشَنَاعة، وهي الفَظاعة، فهو شَنيع، أي: شديد فظيع، وشَنّع عليه تَشْنِيعاً: شدّد في أمره. وقوله (**قوم**): أي طائفة من الناس غافلون عن معرفة ربّهم، يظنّون أنّ المخلوق يصل إلى إدراك الخالق، كما يصل إلى إدراك أمثاله من المخلوقين، ولا يعلم أنّ الطريق كلّه سلوك من الأزل إلى الأبد، كما قال تعالى لأعرف العارفين به نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [٢٠/ طه/ ١١٤] أي علماً بك. والعلم الحادث الذي يقبل الزيادة والنقصان لا يصل إلى إدراك القديم أصلاً، وإنّما السلوك كلّه من حادث إلى حادث، من حيث أنّه صادرعن القديم، لا من حيث هو حادث فقط، مع قطع النظرعن صدوره عن القديم، فإنّ ذلك علم أهل الغفلة والحجاب. وقوله (**بالوصال**): أي الوصول إلى إدراك من لا يدرك، ولقاء

المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة الإلهيّة الربّانيّة، كلقاء المخلوق للمخلوق، وهيهات هيهات أنْ يدرك المعدوم الذاتيّ للموجود بالذات. وقوله (ولم تَصِل): أي لم تجعلني واصلاً إليها ومدرك حقيقة ما لديها فإنّ ذلك محال، وليس لمخلوق إليه مجال؛ وإنّما كلّ حادث /[٣٤٤/ ب] مقامه العجز عن نيل هذا الكنز، كما قال الصدّيق الأكبر، أبو بكر بن أبي قحافة، خطيب هذا المنبر: «العجز عن درك الإدراك إدراك» ولقد صدق في مقاله؛ فإن البحث عن كنه ذات الله إشراك. وقوله (وأَرْجَفَ): من الإرجاف، واحد أراجيف: الأخبار، وقد أرْجَفُوا في الشيء، أي: خاضوا فيه، كذا في الصحاح. وقوله (بالسُّلْوَان): أي نسيان المحبوبة المذكورة، قال في القاموس: «سَلَاه، و ـ عنه كدَعَاه ورَضِيَه، سَلْواً وسُلُوّاً وسُلْواناً وسُلِيّاً: نَسِيَهُ». وقوله (قوم): أي طائفة من الناس، وذلك لمّا رأوه رسخ على مقام العجز، وسلك في أطوار الأحوال المستفادة، وتقلبات الأفعال المعتادة، ورجع إلى بدايته في نهايته، ظنّوه تسلّي بالأغيار عن التطلّع إلى وجوه الأسرار، وهيهات هيهات أنْ يحيا بالحياة الوهميّة منه في تحقيق مقام المحبّة مات، ورجع إلى العدم الأصليّ بالذات. وقوله (ولم أسلُ): أي والحال أنّه لم يكن منّي سلوٌ للمحبوبة، ولا إعراض عن تلك الحضرة المطلوبة.

وقوله (وما صدق التشنيع): بلام العهد الذكري. وقوله (عنها): أي تشنيع القوم عن المحبوبة المذكورة بأنّها واصلته؛ فأدركها بحسب كمال عجزه عنها، وقد سبق في ديباجة هذا الديوان أنّ الشيخ إبراهيم الجعبري قدّس الله سرّه قال: «كنت سألت جماعة من الأولياء عن مسألة فلم يجبني أحد منهم عنها، فسألته عنها، أي: سأل الشيخ عمر بن الفارض صاحب هذا الديوان قدّس الله سرّه عنها فقلت له يا سيّدي: هل أحاط أحد بالله علماً، فنظر إليّ نظر معظّم لي، وقال: نعم، إذا حيّطهم يحيطون يا إبراهيم، وأنت منهم»، ولهذا قال في تجويز حصول هذا المقام له لشقوتي، أي: لشدّة أتعابي وشدائدي التي قاسيتها في طريق المحبّة؛ فإنّ معاناة ألم

ذلك مانع من استجلاء المقام المذكور، ولا يمنع من قول الناظم قدّس الله سرّه إذا حيّطهم يحيطون. قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [٢/ طه/ ١١٠]. وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٢٥]. يعني: ما لم يحيِّطهم فيحيِّطون، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٢٥] وأيضاً فإنّ المفهوم من قوله (**إذا حيَّطهم**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: خلق لهم الإحاطة به، اللائقة بهم، المخلوقة لهم، اتّصفوا بها، فأحاطوا به، لا كإحاطته بنفسه، لأنّ إحاطته بنفسه قديمة، وإحاطتهم حادثة، والقديم منزّه عن مشابهة الحوادث، ولعلّ قوله هذا في بدايته. وقوله ذاك في نهايته، والله أعلم وأحكم. وقوله (**وقد كذبت عنّي الأراجيف**): وكذبها عدم مطابقتها للواقع؛ فإنّي ما سلوت المحبوبة المذكورة، ولا أسلوها أبداً على طول المدى.

٥٤- وَكَيْفَ أُرَجِّي وَصْلَ مَنْ لَوْ تَصَوَّرَتْ حِمَاهَا المُنَى وَهْمَاً[١] لَضَاقَتْ بِهَا السُّبْلُ

(**وكيف**): اسم استفهام، أي: على أي كيفيّة. وقوله (**أُرجِّي**): بتشديد الجيم، من الرجا، وهو ضدّ اليأس. ووقوله (**وَصْل**): أي وصول إلى حقيقة. وقوله (**مَنْ**): أي حضرة محبوبة حقيقيّة. وقوله (**لو تَصَوَّرَتْ حماها**): بكسر الحاء المهملة، مفعول تصوّرت، و(**الحِمَى**): المَحْمِيّ الممنوع الذي لا يُقرب، قال في القاموس: «أَحْمَى المكان: جعله حِمَىً لا يُقْرَب» وقوله (**المنى**): فاعل تصوّرتْ، والمُنَى مقصور: الأُمنية، وهي التمنِّي، وأصله التقدير، قال في القاموس: «مَنَاه الله تَمْنِيَةً: قَدَّرَه». يعني: لو أنّ التمنِّي تصوَّر حمى هذه المحبوبة، أي: جعل لحماها صورة في نفسه على طريقة الاستعارة المكنيّة. وحماها كناية عن حضرات أسمائها وصفاتها. وهذا فضلاً عن تصوّر ذاتها العليّة. وقوله (**وهماً**): تمييز، أي بطريق التوهّم دون التحقّق. وقوله (**لضاقت**): من الضيق، وهو ضدّ الاتساع. وقوله (**بها**): أي

---

(١) في (ق):وَهْناً.

بتلك/[٣٤٥/ أ] المنى. وقوله (السُّبْل): بسكون الباء الموحّدة، جمع سبيل، أي طريق. يعني: لمّا اتسع له طريق يسلك فيه إلى تصوّر حماها، وانسدّت عليه جميع الطرق من كمال عزّتها وقوّة امتناعها عن العقول، وشدّة تنزّهها عن مشابهة الحوادث حتّى قالوا: كلّ ما خطر في بالك فالله بخلاف ذلك.

٥٥- وَإِنْ وَعَدَتْ لَمْ يَلْحَقِ الفِعْلُ قَوْلَهَا   وَإِنْ أَوْعَدَتْ فَالقَوْلُ يَسْبِقُهُ الفِعْلُ

(وإنْ وعدتْ): هذه الجملة الشرطيّة معطوفة على الجملة الأولى الشرطيّة في البيت قبله، وهي قوله (**لو تصوّرت حماها المنى....إلى آخره**). يعني: وكيف أُرَجِّي وصل محبوبة إنْ وعدتْ أحداً وعداً في الخير أخّرت ذلك الوعد إلى يوم القيامة، ولا تفي له في الدنيا؛ لأنّ الدنيا فانية، وما وعدت به أمور باقية لا فناء لها، ولهذا قال لبيد: (ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل). قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «صدقت» . ولمّا قال: (كلّ نعيم لا محالة زائل). قال له: «كذبت، نعيم الآخرة لا يزول»[1]. وقال تعالى:﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ [١٦/ النحل/ ٩٦] ـ وهي الدنيا وما فيها؛ فإنّ الله تعالى لم ينظر إليها منذ خلقها ـ ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [١٦/ النحل/ ٩٦] هو الآخرة وما فيها، كما قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [٤/ النساء/ ٥٧] وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٥] وقوله (**لم يلحق الفعل قولها**) الفِعلُ: فاعل يلحق. وقولَهَا مفعوله. والمعنى: إنّ فعلها ما وعدت به من الخير لا يلحق وعدها بالقول، وذلك لما قلنا من ضرورة فناء الدنيا وما فيها، وإنّ ذلك كلّه على التقضّي والزوال، فلا بدّ من المطال.

وقوله (وإنْ أوعدت): يعني وعيداً في الشرّ. قال في المصباح: وَعَدَهُ وَعْداً: يُستعمل في الخير والشرّ، ويُعَدَّى بنفسه وبالباء فيقال: وَعَدَهُ الخَيْرَ وبالخَيرِ، وشَرّاً

---

(١) ذكره عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب، الشاهد: الثالث والعشرون بعد المئة، وقال: أخرجه السلفي في المشيخة البغداديّة ٤٢٨٢. كما ذكره أبو هلال العسكري في ديوان المعاني، باب: أصدق بيت قالته العرب، ١/ ٢٤٤. ولفظا التصديق والتكذيب وردا على لسان أبي بكر رضي الله عنه كما في كنز العمال، ٨٩٣٢، وعلى لسان عثمان بن مظعون رضي الله عنه كما في فتح الباري لابن حجر.

بالشَّرِّ. وقد أسقَطُوا لفظَ الخيرِ والشرِّ، وقالوا في الخير: وَعَدَهُ وَعْدَاً وَعِدَةً. وفي الشرّ: وَعَدَهُ وَعِيْدَاً؛ فالمصدر فارق، وأَوْعَدَهُ إيعَاداً، أو قالوا: أوعده خيراً وشرّاً، بالألف أيضاً. وقد أدخلوا الباء مع الألف في الشرّ خاصّة» انتهى. والمشهور: إنّ وعد في الخير وأوعد في الشر، وعليه قول الشاعر:

وإنِّي إنْ أوعدتـــه أو وعدتـــه   لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وسمعت بعض مشايخي يقول في ذلك: «إن أوعد بزيادة الألف على وعد إشارة إلى أنّه ينبغي أنْ يزيد في مدّة الوعيد فيؤخّره، ولا يزيد في الوعد فيعجّل به، ومعنى ذلك: حيث اقتضاه الحال، وحال الدنيا كما ذكرنا يقتضي سرعة الفناء، والزوال؛ فلا يليق أنْ تكون فيها إلّا البشرى الحسنة بوعد الله تعالى بالنعيم الأبديّ في دار الخلود، والبشرى بعض الوعد الإلهيّ، قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [١٠/ يونس/ ٦٤]. وقوله (**فالقول بسبقه الفعل**): أي يكون فعل وعيدها في الشرّ سابقاً على القول بالوعيد، فقد يكون العذاب في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [٦/ التوبة/ ١٠١] وقال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [١٣/ الرعد/ ٢٤] وذلك لأنّ العذاب ينقطع في الآخرة عن عصاة المؤمنين؛ فليس الوعيد به مؤبّداً كالوعد بالنعيم؛ ولهذا يكون في الدنيا، فيسبق فعله على قوله في حقّ الكافرين الذين لم يؤمنوا بقوله، فكأنّ قوله (لم يسبق) لإنكارهم له، فيعذّبون في الدنيا، كما وقع للأمم الماضية، كقوم نوح وغيرهم من الأمم، ويتحقّقون بقول الوعيد في الآخرة، فيكون فعل الوعيد سبق قوله.

٥٦- عِـدِيْنِي بِوَصْـلٍ وَامْطُـلِي بِنَجَـازِهِ   فَعِنْـدِي إذا صَـحَّ الهَوَى حَسُنَ المَطْلُ

(عديني): فعل أمر، يخاطب به المحبوبة المذكورة والحضرة المشهورة. وقوله (بوصل): أي لقاء ورؤية، وهو قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٧٥/ القيامة/ ٢٤] وفي الحديث: «قال صلّى الله عليه وسلّم إنّكم سترون ربّكم كما

ترون الشمس في الظهيرة»[1] وفي رواية «كما ترون القمر ليلة البدر». الحديث في الصحيحين، ولنا في مطلع أبيات قولنا:/ [٣٤٥/ ب].

يا طلعة الشمس بل يا طلعة القمر تختال في حلل الأشباح والصور

في القلب أنت وما في القلب أنت كما إنْ أنت في بصري ما أنت في بصري

وهذا الوارد في الكتاب والسنّة وعد بالوصل واللقاء والرؤية للعباد الصالحين. وصيغة الأمر في البيت صيغة دعاء، والإجابة محقّقة بالنصوص الواردة في ذلك، ولسان المحبّة يقتضي طلب ذلك وإنْ كان محقّقاً. ثمّ قال: **(وامطُلي)**: من المَطْل، وهو التسويف بالعِدَة والدَّيْن كالامْتِطَال والمُماطَلَة والمِطَال، كذا في القاموس. وقوله **(بنَجَازِهِ)**: أي الوعد المفهوم من الكلام، والجار والمجرور متعلِّق بامطلي، يقال: نَجِزَ كفَرِحَ ونَصَر: انقضى وفَنِيَ، و ـ الوعد: حضر، و ـ الكلام: انقطع، ونَجَزَ حاجتَه: قضاها، كأنْجَزَهَا، كما في القاموس. وهذا المطل هو تأخير الوفاء بالوعد إلى الآخرة بعد مقاساة: عقبة الموت، والقبر، والبعث، والحشر، والصراط، والميزان، والحساب. وهذه عادة العشّاق يحبّون الوعد والمطال، وتختلف بهم المطالب والأحوال، قال شاعرهم:

أَطِلْ فمهما استطعت هجري وزد كما شئت من عذابي

عسى يطيل الوقوف بيني وبينك الله في الحساب

وقال الآخر:

أعلل قلبي منك بالوعد وحده وإنْ لم يكن للوعد منك وفاء

وقوله **(فعندي)**: الفاء للتفريع على ما قبله. **(إذا صحّ الهوى)**: أي خلصت المحبّة من شوائب الميل إلى الأغيار، ومن التردّد والغفلة عن ملاحظة وجوه الأسرار. وقوله **(حَسُنَ المَطْلُ)**: أي كان التسويف بالوفاء للوعْد أمراً حسناً

---

(١) انظر تخريجه ص٢٧١.

مقبولاً عند العشّاق إبقاءً للتلهّف والتلّهب والاشتياق. وأمّا إذا لم يصحّ الهوى بأنْ غلبت عليه شهوة العاجل ودقّت على قلبه دفوف الخواطر بالجلاجل؛ فإنّه يستعجل الوصال، وتسأم نفسه من الإطالة فيكره المَطال، ولم يكن هواه إلّا مجرّد القيل والقال.

٥٧- وَحُرْمَةِ عَهْدٍ بَيْنَنَا عَنْهُ لَمْ أَحُلْ   وَعَقْدٍ بِأَيْدٍ بَيْنَنَا مَا لَهُ حَلُّ

٥٨- لَأَنْتِ عَلَى غَيْظِ النَّوَى وَرِضَى الهَوَى   لَدَيَّ وَقَلْبِي سَاعَةً مِنْكِ مَا يَخْلُو

(وحُرْمَةٍ) الواو للقسم، والحُرمة بالضمّ وبضمتين، وكهمزة: ما لا يحلّ انتهاكه، والذمّة والمهابة، ومن يعظّم حرمات الله ، أي: ما وجب القيام به، وحَرُمَ التفريط فيه، كذا في القاموس. وقوله (عَهْدٍ): تنكير للتعظيم، والعهد: الموثق واليمين. وقوله (بيننا): أي بيني وبين المحبوبة المذكورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وقوله (عنه): أي عن ذلك العهد والميثاق. وقوله (لم أَحُلْ): بضمّ الحاء المهملة، من حال عن الشيء: أعرض عنه. وقوله (وعَقْدٍ): معطوف على حرمة، أو على عهد بتقدير حرمة، أي: وحرمة عقد، والعقد: الضمان والعهد، وتنكيره للتعظيم أيضاً.

وقوله (بأيدٍ): جمع يد، وهي الكفّ، أو من أطراف الأصابع إلى الكفّ، أصلها يدي، وجمعها أيْدٍ، وجمع الجمع أياد، واليد: الجاه، والوقار، والقوّة، والقدرة، كذا في القاموس. ومعنى ذلك: وضع اليد الإنسانيّة والقوّة والقدرة الروحانيّة والجسمانيّة في اليد الإلهيّة الربّانيّة، وهو تسليم الأمر كلّه إليه، والانطراح بالكلّيّة لديه، وهو معنى: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم. وقوله (بيننا): أي بين حضرة جمعي، وحضرة جمعيّة الأسماء الربّانيّة، ويرجع ذلك إلى حقيقة التعلّق الربّانيّ بكلِّية النشأة الإنسانيّة. وقوله (ما له حَلُّ): بفتح الحاء المهملة، مصدر حللت/ [٣٤٦/ أ] العقدة حَلّا، من باب قتل، كذا في المصباح، وقوله (لأنتِ):

بكسر التاء خطاب للمحبوبة المذكورة. واللام في جواب القسم. وقوله (**على غِيظ النَوَى**): أي البعد؛ لأنّ مقتضاه: سلو المحبوب لطول البعد، فإذا لم يوجب ذلك كان الأمر على خلاف مقتضاه، فيوجب غيظ البعد على طريق الاستعارة، حيث لم يوجد مقتضاه. وقوله (**ورضا الهوى**): أي المحبّة؛ فإنّ مقتضاها الدوام والبقاء عليها، ورضا الهوى: الجريان على مقتضاه في كلّ حال، وهو استعارة بالكناية أيضاً. وقوله (**لديّ**): بتشديد الياء التحتيّة، وهي ياء (لدى) أدغمت في ياء المتكلّم. قال في القاموس: «لدى ظرف زماني ومكاني كعنده». وهذا الظرف متعلِّق بواجب الحذف، خبرقوله لأنت. والمعنى: لأنتِ عندي، أي: كائنة عندي على معنى كمال الحضور، وعدم الغفلة عنها. وقوله (**وقلبي ساعة منك ما يخلو**): الواو للحال، والجملة في محل نصب حال من ياء المتكلّم في لديّ. يعنى: أنّه دائم الحضور لذهاب أوهام الأغيار عن قلبه وانكشاف الأمور. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٣٣/الأحزاب/ ٤١]. والذكر الكثير: دوام تذكر القلب آثار تجلّيات الربّ من دون غفلة عنه. قال الجنيد قدّس الله سرّه:

ذكرتك لا أنّي نسيتك ساعة   وأيسر ما في الذكر ذكرُ لساني

٥٩- تُرَى مُقْلَتِي يَوْماً تَرَى مَنْ أُحِبُّهُمْ   وَيَعْتِبُنِي دَهْرِي وَيَجْتَمِعُ الشَّمْلُ

(**تُرى**): بضمّ التاء الفوقيّة، مبنيّاً للمفعول، حُذفت منه همزة الاستفهام، وأصله: أَتُرى. قال في المصباح: «رَأَى في الأمر رَأياً، والذي أُرَاه بالبناء للمفعول: بمعنى: الذي أظن، وبالبناء للفاعل: بمعنى الذي أذهب إليه». وقوله (**مقلتي**): نائب فاعل تُرى. يعني: أتظن عيني فضلاً عن أنْ تعلم. وقوله (**يوماً**): ظرف لترى الثاني، وتَرى التاء الثاني بفتح التاء الفوقيّة من الرؤية وهي المعاينة، قال في المصباح: «رأيت الشيء رؤية: أبصرته بحاسّة البصر». وفاعل ترى ضمير يعود على مقلتي. وقوله (**من أحبّهم**): أي الذين أحبّهم، وهم المحبوبة الواحدة المتجلِّية بآثار أسمائها وصفاتها في كلّ شيء من الأكوان، كما قال تعالى مرّة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا﴾

[٢٠/ طه/ ١٢] وقال مرّة أخرى: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩] وقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [٧٣/ المزمّل/ ٢٠] يعني: لا تحصون تجلّياته وظهوراته بكلّ شيء من آثاره. وقال القائل:

تأمّل بعين القلب ما أنت واجد ... لتعلم أنّي واحد وكثير

ولنا في مطلع قصيدة:

هذا الكثير الواحد ... فافرح به يا واجد

وقول الصدّيق الأكبر رضي الله عنه: «ما رأيت شيئا إلّا الله فيه» من هذا القبيل. والجاهل يظنّ أنّ العارف يتكلّم في الله بغير علم، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وقوله (ويُعتبني): بضمّ الياء التحتيّة: من قولك أعتبت زيداً، إذا أزلْتُ سبب عتابه. قال في المصباح: «أعتبني: الهمزة للسَّلْب، أي: أزال الشكوى والعِتاب». وقوله (دهري): أي زماني الذي اقتضى وقوع الفراق بيني وبين أحبّتي. وقوله (ويجتمع الشمْل): أي شملي بالأحبّة. يقال: جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُم، أي: ما تفرّق من أمرهم، وفَرّق شَمْلَهُم، أي: ما اجتمع من أمرهم، كذا في المصباح.

٦٠- وَمَا بَرِحُوا مَعْنًى أَرَاهُمْ مَعِي فَإِنْ ... نَأَوْا صُورَةً فِي الذِّهْنِ قَامَ لَهُمْ شَكْلُ

٦١- فَهُم نُصْبُ عَيْنِي ظَاهِرَاً حَيْثُمَا سَرَوْا ... وَهُمْ فِيْ فُؤَادِي بَاطِنَاً أَيْنَمَا حَلُّوا

(ومَا بَرِحُوا): أي ما زالوا، يقال: بَرِحَ الشيء يَبْرَحُ من باب: تعِب بَرَاحاً: زال من مكانه، كما في المصباح. وقوله (مَعْنَىً): تمييز، أي: من جهة المعنى الذي أعلمه منهم إذا استحضرتهم وشاهدت تجلّياتهم في كلّ أثر من آثارهم. وقوله (أراهم): جملة فعليّة في محل نصب خبر ما برحوا، وضمير الجمع اسمها، وهو عائد على الأحبّة، أي: الحبيب الظاهر بالتجلّي في كلّ شيء. وقوله (معي)/ [٣٤٦/ ب] من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [٩/ التوبة/ ٤٠] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٤٦]

وهذه المعيّة أزليّة أبديّة؛ فإنّ الممدّ لشيء مع ذلك الشيء الذي يمدّه لا يفارقه كما لا يفارق الشاخص ظلّه والوابل طَلّه؛ فإنّ عدم كان معلوماً، وإنّ وجد كان مشهوداً خصوصاً وعموماً. وقوله (فإنْ نأوا): الفاء تفريعيّة، والنأي: الإعراض. وقوله (صورة): تمييز، أي: نأياً هو صورة ناءٍ لا حقيقة ناءٍ، والنأي الصوريّ هو إلقاء الحقّ تعالى في قلب العبد معنى كون من الأكوان يوجب غفلة قلبه عن الشهود والعيان، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرّة»[1]. وهو كما قال بعضهم في حقّه عليه السلام: «إنّه غين أنوار، لاغين أغيار، وإلّا فإنّه تعالى لا يعرض عن شيء أزلاً، ولا أبداً؛ لأنّه لا يكون الشيء معلوماً، أو موجوداً إلّا بعلمه تعالى وإيجاده». وقوله (في الذهن): أي ذهني، والذهن: الذكاء والفطنة والجمع: أذهان، كذا في المصباح . والجار والمجرور متعلّق بـ(قام)، قدّم عليه لإفادة انحصار الشكل بالذهن؛ إذ لا يصحّ شرعاً أنْ يكون في الخارج، كما أشار إليه الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه بقوله في الفتوحات المكّيّة: «إنّ الحقّ تعالى ما حجر علينا أنْ نتخذ له صورة في الذهن؛ وإنّما حجر علينا أنْ نتخذ له صورة في الخارج. يعني: إنّ الصورة في الخارج هي الصنم المعبود من دون الله تعالى. وقد نهانا سبحانه عن عبادة الأصنام، وقال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٣٧]» وقوله (قام): أي ثبت. وقوله (لهم): أي للأحبّة المذكورين. وقوله (شَكْل): فاعل قام، والشَّكْل: المِثْل، يقال: هذا شَكْلُ هذا. والجمع: شُكُول مثل: فَلْس وفُلُوس، وقد يجمع على أَشكال، ويقال: إنّ الشَكْل الذي يُشَاكِل غيرَه في طبعه، أو وصفه من أنحائه، وهو يُشَاكِلُهُ، أي: يشابهه، كما في المصباح. وهذا الشكل القائم لهم في ذهنه أمر ضروري لا يمكن زواله مخافة

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

التعطيل، ولهذا قال: (قام لهم شكل). ولم يقل: أقيم. وهو نوع من أنواع التجلّي، كما تجلّى تعالى لموسى عليه السلام في صورة شجرة الزيتون، حتّى قال لأهله: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [٢٠/ طه/ ١٠] إلى آخر الآية. وهو تجلّي في الخارج من غير اتّخاذ من الإنسان. وبالاتّخاذ يكون صنماً، وهو المنهيّ عنه كما ذكرنا.

وقوله (**فهم**): الفاء للتفريع، وهم: أي الأحبّة المذكورون. وقوله (**نُصْبَ عيني**): قال في القاموس: «هذا نُصْبُ عَيني، بالضمّ والفتح، أو الفتح لحن». وقال في الصحاح: «النَصْبُ مصدر نَصَبْتُ الشيءَ إذا أقمته، وأصل النَصْب ما نُصِبَ فَعُبِدَ من دون الله تعالى، وكذلك النُصْبُ بالضمّ، وقد يحرّك». وقوله (**ظاهراً**): أي منصوبون في الظاهر (**لعيني**): أي في الخارج من غير اتّخاذ منّي، وهو التجلّي في الصور، ومنه قول الحلّاج: «لو شاء ربُّنا ظَهَرَ بخرم إبرة، ولو شاء احتجب بالسموات والأرض». وقوله (**حيثما سَرَوْا**): أي ساروا ليلاً. والسُّرَى كالهُدى: سَيْرُ عامّة الليل، سَرَى يَسْرِي، وأَسْرَى واسْتَرَى، كذا في القاموس. وإنّما خَصّ سيرَهم بالليل لأنّ ظهورهم بالتجلّي في ليل الأكوان. قال ابن عطاء الله في الحِكَم: «الكون ظلمة، إنّما أناره ظهور الحقّ فيه». وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] وقال القائل:

ليلـــي بوجهـــك مـــشرق ... وظلامـــه في النـــاس ســـاري

النـــاس في غـــسق الظـــلام ... ونحـــن في ضـــوء النهـــار

وقولهم (**وهم**): أي الأحبّة المذكورون. وقوله (**في فؤادي**): أي قلبي، كناية عن كمال الحضور، وتمام شهود النور بالنور. وقوله (**باطناً**): أي في باطني، وهو خلاف الظاهر. وقوله (**أينما حلّوا**): أي سكنوا. وحلّ بالمكان: نزل. قال في المصباح: «حَلَلْتُ بالبلد حُلُولاً، من باب قَعَدَ: إذا نزلت به، ويتعدّى بنفسه أيضاً فيقال/ [٣٤٧/ أ] حَلَلت البلدَ» والمعنى في أي مكان تجلّوا وظهروا. قال تعالى:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥].

٦٢-لَهُمْ أَبَداً مِنِّي حُنُوٌّ وَإِنْ جَفَوْا وَلِي أَبَداً مَيْلٌ إِلَيْهِمْ وإِنْ مَلُّوا

(لهم): أي للأحبّة المذكورين. وقوله (أبداً): أي دائماً لا ينقطع. وقوله (منّي) على التجريد البياني حيث لم يقل حنوي. وقوله (حُنُوٌّ): بتشديد الواو، وتنكيره للتعظيم. يقال: حَنَتِ المرأةُ على ولدها حُنُوٌّ كالعُلُوِّ: عَطَفَتْ، كما في القاموس. وقوله (وإنْ جَفَوا) يقال: جَفَوْت الرجلَ أَجْفُوهُ: أَعرضتُ عنه، أو طردته. وقد يكون مع بغض. والمعنى بذلك: إنّي أشتاق دائماً إلى شهود التجلّيات الإلهيّة في كلّ شيء، وإنْ استترتْ عنّي وحجبتني عن مشاهدتها فإنّه تعالى له التجلّي والاستتار على حسب ما يشاء ويختار. وقوله (ولي أبداً): أي دائماً لا ينقضي. وقوله (مَيْل): مصدر مال إليه مَيْلاً ومَمَالاً ومَمِيلاً وتَمْيالاً ومَيَلاناً ومَيْلُولَةً: عدل، فهو مائل، كذا في القاموس. يعني: إقبالاً بالمحبّة والشوق. وقوله (إليهم): أي إلى الأحبّة المذكورين. وقوله (وإنْ ملّوا): من مَلِلْتُهُ ومَلِلْتُ منه، بالكسر، مَلَلاً ومَلاَلَةً ومَلاَلاً: سئمته، كذا في القاموس. وجاء في الحديث: «إنّ الله لا يَمَلُّ حتّى تَمَلُّوا»[1]: أي تفعلوا أفعال من يملّ الطاعة فتصدر منكم الهفوات، فتقضي الحجاب عنه سبحانه، والميل القلبي بالمحبّة، والشوق باقٍ عند المحبّ لا يزول، وليس لنجمه أفول[2].

* * *

(١) قطعة من حديث، أخرجه مالك في الموطأ، كتاب: صلاة الجماعة، باب: ما جاء في صلاة الليل، ٢٥٨.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة وسماعاً على شيخنا المؤلّف قدّس الله سرّه. وكتبه إبراهيم بن محمّد الدكدكجي.

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً

[الطويل]

١ ــ شَرِبْنَـا عَـلَى ذِكْـرِ الحَبِيْـبِ مُدَامَـةً   سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ

(شربنا): أي معاشر السالكين في طريق الله تعالى بالهمم العالية والأنفاس الغالية. وقوله (على ذكر الحبيب): أي المحبوب، وهو الحقّ تعالى، المتجلِّي على عباده ظاهراً وباطناً، بصورة كلّ شيء. من حيث أنّ الأشياء كلّها آثار أسمائه الحسنى في مقامه الأنزه الأسنى، وذكره: تذكّره بعد نسيان الغفلة عنه، وحجاب التباعد منه. وقد يراد بالذكر الذكر باللسان، أو بالقلب والجنان، وهو تكرار اسمه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١]؛ فإنّ الاشتغال بما سواه لعب ولهو يغترّ به الجاهلون. ومن عادة الشربة الفاسقين أنّهم يشربون على السماع والطرب بأنواع التلاحين، فجرى على سننهم من قلب أعيان الوجود، والكشف عن حقائق الكرم الإلهيّ والجود. وأشار إلى أنّ ذكر الحبيب عنده من أقوى أسباب الطرب، وما سُمِع ذكره إلّا اهتز نشاطاً بذكره واضطرباً.

وقوله (مدامة): أي خمرة، قال في القاموس: «المُدام: الخمر، كالمُدامَة، لأنّه ليس شراب يُستطاع إدامة شربه إلّا هي» وقال في الصحاح: «قال الأصمعي: دَوَّمَتْ الخمر شاربها: إذا سكِر فدار». وعلى هذا فيكون اشتقاق المُدامة من السُّكر والدوران، وعلى أنّها مشتقّة من دَامَ الشيءُ يَدُومُ ويَدَام دَوْمَا ودَواماً ودَيْمُومَة: بقي واستمرّ تفاؤلاً ببقاء السرور والطرب، كما سمّوا المفازة تفاؤلاً بالفوز، واللديغ بالسلام تفاؤلاً بسلامتهَ. والمعنى: بالمُدامة هنا شراب المحبّة الإلهيّة الناشئة من شهود آثار الأسماء الجماليّة للحضرة العليّة؛ فإنّها توجب السكر والغيبة

بالكلّيّة عن جميع الأعيانّ الكونيّة، والأغيار الإمكانيّة، حتّى عن السالك نفسه بحيث يفنى ويذوب في معاينة الوجود الحقّ؛ فيصير طاهراً من حدث المعقول، وخبث المحسوس، في مقام الصدق وإليه الإشارة بقولنا:

إنّ الفناء طهارة الإنسان ... بالوصل معرفة البعيد الداني

فصلاة معرفة الإله بغير ما ... طهر الفناء عديمة الأركان

إلى آخر الأبيات الموجبة للنفي والإثبات. وقوله (**سكرنا**): أي غبنا لذّةً وطرباً عن كلّ ما سوى/ [٣٤٧/ ب] الحقيقة، واتّصلنا بغيب غيبنا من ممتدّ هاتيك الرقيقة. وقوله (**بها**): أي بتلك الخمرة الإلهيّة المذكورة، والنشأة المطلقة المحصورة المتجلِّية في صورة بعد صورة، والنازلة بسورة بعد سورة. ولنا في هذا المعنى ما يتغنّى به المغنى قولنا:

إنّ كاس التوحيد من يحتسيه ... قاء منه معارفاً وعلوما

كن بصيراً ولا تلم أهل سكر ... بشراب التقى تصير الملوما

شرب الغرب شمس فقام الليـ ... ـل سكران ثمّ قاء النجوما

وقوله (**من قبل أنّ يُخلق الكرم**): يُخلق بضمّ أوّله مبني للمفعول، والكَرْمُ نائب الفاعل. يعني: إنّ سكره المذكور سابق في الحضرة العلميّة قبل ظهور كلّ مقدوره؛ فإنّه لولا التعين الأوّل في الوجود القديم لمّا كان التعين الثاني بالأثر الحادث الوجودي العديم. قال أبو نواس ابن هاني، وإنْ لم يكن قوله من هذه المعاني:

أَمُرُّ بالكرم خلف حائطها ... تأخذني نشوة من الطرب

أسكر بالأمس إنْ عزمت على الشـ ... ـرب غدا إن ذا من العجب

فإنّ كلّ كلام مقيد بالحدود له وجه يعتبره السالك من جملة نطق الوجود، ولنا قصيدة على عروض هذه القصيدة الخمريّة الفارضيّة لابأس بإيرادها كلّها لتكون شرحاً لبعض هذه المعاني المرضيّة، وهي ديواننا المشهور كاللواء المنشور:

تجلّت لنا ذات وفعل بدا واسم فكانت وما كنّا وليس لنا وسم

هنالك قامت بالوجود قيامة بها حشرت أرواحنا واختفى الجسم

مدام بها الأفراح دامت لأهلها ومن لم يذقها كل أوقاته غمّ

وقام بها الساقي وحيَّى فساقنا إلى مورد منها لذيذ به الطعم

إذا ما تراءت في الكؤوس بدا لها شعاع له في كلّ ناحية نجم

هي السرّ للأشياء والجهر دائماً على عدد الأنفاس والبدء والختم

بها يهتدي الأعمى إليها ويسمع الأ صمّ وتأتي ناطقين بها البكم

ويأمن ذو خوف ويفرح ذو أسى ويعتزّ ذو ذلّ ويبرا بها السقم

ولو أنّهم صبّوا على البحر قطرة لعاد بها عذباً ولو آته سمّ

ولو ذكروا حول الحطيم صفاتها لزال عن البيت العتيق بها الحطم

ولو لم تكن أسماءها قد تبيّنت لما بان في الأكوان كيف ولا كم

ولولا سنا كاساتها من ورا الورى لما كان ذوق في الندامى ولا فهم

ولو أنّ ميتاً لقنّوه بلفظها لقام سريعاً نحوها شوقه ينمو

ولولا بدت لم يشعر الأشعري بها ولولا تخفّت ما تجهّمها جهم

ولو بيتيم الوالدين قد اعتنت لعزّ وعنه زال من ذلّه اليتم

ولولا معاني حسنها ظهرت على ملاح الورى ما كان عشق ولا همّ

جمال تجلّى في جلال وعكسه فقوم لهم مدح وقوم لهم ذمّ

وكلّ قلوب الناس لو لم تهم بها لما طاب نثر في الكلام ولا نظم

ولكنّهم هاموا ورقت طباعهم ولم يعلموا في أي وادٍ بها همّوا

لثام من الأشياء يحجب وجهها حلا لعيون العاشقين به اللثم

ألا حيّ ياصاحي على سكرة بها ودع عنك من هم دونها عندهم

وشقّق بها الأثواب عنك وكن بها مجرّد عزم لا يقاس به عزم/ [٣٤٨/ أ]

وبتّ في ثرى حاناتها متلففا بأثواب ذلٍّ في هواها بها تسمو

وكن عاجزاً عنها تكن قادراً بها فعدلك عنها منك نحو السوى ظلم

هي البيت بيت الله حجّت قلوبنا إليها فلا ذنب علينا ولا جرم

إذا نحن أحرمنا نلبِّي بذكرها وفي علميها عندنا يكثر العلم

وإنْ زمزم الحادي بها فهي زمزم وعن مَصّنا من ثديها ما لنا فطم

نعمنا بها في لذّة العيش والصبا وما ذاك إلّا أنّها أنعمت نعم

هي الدهر في تقليب أيامه على بنيه له حرب بهم وله سلم

إذا ما شربناها خفيناً بنورها وعند طلوع الشمس ما للدجى رسم

بها للحواس الخمس منّا تمتّع فسمع ولمس ذوقنا بصر شمّ

وللعقل أيضاً لذّة في جمالها وسرّ بدا منها له وجب الكتم

وقد سكرت حاناتها وكؤوسها بها في تجلِّيها وقد سكر الكرم

ولو أنّ إنساناً صحا لرأي هنا من السكرقد هامت بها العرب

ومن سكرهم منها يقولون غيرها وهذا أب قالوا كما هذه أمّ

وقالوا عيون في وجوه وأرجل وأيد وقالوا أرؤس ودم ولحم

معان تبدّت في صفاء وجودها فقوم لهم أجر وقوم لهم إثم

وتلك نعوت قائمات بها لها على الفرض والتقدير لا أنّه حتم

إشاراتها اللاتي بوصف مشيئة تسمّى بأشيا وهي هالكة عقم

وما ثمّ توليد وليس مبايناً لها ذاك بل وصف إليها له ضمّ

تحقّـق بـها قلنـاه فيهـا مجانبـاً   سواه فما قلناه فيها هو الغنم
وإيـاك والتوليـد في جعلهـا السـوى   فذلك قذف منك في حقّها شتم
وإنْ جهـل الأقـوام ذلـك واختفـى   علـيهم فللتوحيـد توليـدهم
نـصحتك فامـسح عـن بـصيرتك   بقولي وإلّا فالنصوص لك الخصم
وهـذا هـو الحـقّ الـذي هـو ظـاهر   وبالغيب فيها ما عداه هو الرجم
خـذ الكـأس منّـي يـا ابـن ودّي فإنّـه   روًى بهذا فليكن عندك الحزم
ومــل طربــاً في النـشأتين بـشربه   فإنّ شرابي للـضلال بـه هـضم
شراب طهــور في كــؤوس نظيفــة   كريم به الساقي ومنه العطا الجمّ
عــلى رنــة الأســماء دام مــدامنا   وإنْ نمّق الزور الوشاةُ وإنْ نموا
وفي مقعـد الـصدق العزيـز منـا لـه   تجلّت لنا ذات وفعل بدا واسم

وهذا ردّ العجز على الصدر للإشارة إلى أنّ الأوّل هو الآخر والظاهر، هو الباطن، ونور الشمس ظاهر في البدر.

٢- لَهَا البَدْرُ كَأْسٌ وَهِيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا   هِـلَالٌ وَكَـمْ يَبْـدُو إِذَا مُزِجَـتْ نَجْـمُ

(لها): أي لتلك المدامة المذكورة من حيث أنّها محبّة إلهيّة، كما ذكر، وهي عين المحبّة الأزليّة ظاهرة في مظاهر الآثار الكونيّة، **(فشمسٌ)**: يحبّهم ظهر نورها في بدر يحبُّونه، من قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] وذلك الظاهر عين الباطن، وهو المشرق على جميع المواطن، وهو خمر الوجود الحقّ، والخطاب الصدق، شربه كلّ شيء من الأشياء، فظهرت به الظلالات والأفياء؛ فهو محبّه، ينبت كلّ حبّه. وهو خمره، يسكر عقل زيد وعمرو. وهو وجود يفيض أنواع الكرم والجود. وهو خطاب كن فيكون، تتفصل به كلّ حركة وسكون. وهو ذات لقيام الأدوات، وهو صفات وأسماء لملابس/ [٣٤٨/ ب] سليمي وأسماء، ومَنْ

فَهِمَ الإشارة أغنته عن كلّ عبارة، وأهل الأذواق يفهمون ما معاني ما كتب في الأوراق. والأسرار في قلوب الأحرار. وقول (**البدر**): هو الإنسان الكامل، العالم المحقّق، قال في القاموس: «البدر: القمر الممتلئ، كالبادر». وقال في الصحاح: «يسمّى بدراً لمبادرته الشمس بالطلوع، كأنّه يُعَجِّلها المغيب. ويقال: سمِّيَ بدراً لتمامه». والإنسان الكامل ممتلئ من الحقّ تعالى تجلِّياً وظهوراً وإشراقاً ونوراً. وهو يبادر شمس الأحديّة بطلوعه في ظلمة الكونيّة، كأنّه يعجِّلها لمغيب، فيحجبها عن عيوب المريب، وهو مجلى الحقّ على التمام؛ وهو باب الخطايا والإنعام. وقوله (**كأس**): أي مظهر ومجلى للجناب الأعلى، وقد أشرنا إلى ذلك من قصيدة بقولنا:

كخروق الجدار يظهر منها ... قمر الأفق وهو عنها مصون

قال في القاموس: «الكأس: الإناء يُشْرَب فيه، أو ما دام الشراب فيه، مؤنّثة مهموزة، وجمعه: أكؤس وكؤوس وكاسات، ولله درّ القائل:

عطس الصبح في الدجا فاسقنيها ... خمرة تترك الحليم سفيها

لست أدري من رقّة وصفاء ... هي في كأسها أم الكأس فيها

وهذا القائل تردّد فيها وتحيّر في معاني صفات تجلّيها؛ وأمّا نحن فقطعنا بما هو الحقّ والصواب، موافقة بين الكشف ومعاني النصوص من السنة والكتاب حيث قلنا في مطلع لنا:

هي قامت بنفسها لذويها ... ليس في كأسها ولا الكأس فيها

خمرة تذهب العقول وتفني ... كلّ شيء لكلّ من يجتليها

وإنّما الإنسان الكامل كأساً لها من حيث هي خمرة مُدامة تُسكِرُ كلّ من شربها فيغيب عقله عن ملاحظة الأكوان؛ فإنّ الإنسان الكامل يتكلّم بما في من علوم تحقّقها عند المريد الصادق؛ فيشربها منه المريد الصادق؛ فتفنى كمّيته وكيفيّته فلا يبقى منه غيرها، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ

جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٧] وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] فتذهب التقادير المفروضة، هوي في أعيانها معروضة، ويبقى الوجود الحقّ على ما كان عليه قبل خلق الأكوان، ولا يبقى للسالك عين، ولا أثر، وبقيّة الله خير عبرة لمن اعتبره. وقوله **(وهي)**: تلك المدامة من حيث إنّها ذات وجوديّة، وحقيقة نورانيّة، أزليّة، أبديّة. وقوله **(شمس)**: أي طالعة مشرقة على كلّ تقدير وتصوير، وهو مقتضى علمها، وإرادتها، ومشيئتها، على حسب ما توجه به أمرها القديم، وحكمها المستقيم قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] أي منوِّرهما بنوره، وظاهر فيهما دونهما بحكم ظهوره على مقتضى غيبة الغلب وحضوره؛ فإنّ نو ر الشمس الطالعة في الآفاق هي التي تقابل البدر؛ فيظهر نورها فيه، من غير انتقال إليه، ولا اتّصال به؛ فيشرق في الظلمة غاية الإشراق. وقوله **(يُديرُها)**: أي تلك المدامة المذكورة. وإدارتها: نشر صفاتها الحسنى وأسمائها الظاهرة بآثارها في المقام الأسنى. وقوله **(هِلالٌ)**: هو ذلك البدر المذكور، إلّا أنّه محتجب بحظوظ نفسه عن إظهار بقيّة النور. كما أنّ الأرض إذا حالت بين القمر والشمس بعض حيلولة سترت بقيّة ذلك النور؛ فهو إذا كان بدراً امتلئ نوراً فلا/ [٣٤٩/ أ] غيريّة فيه؛ فلا يقدر على البيان. فإذا كان هلالاً حجبته نفسه كما تحجبُ البدر كرة الأرض، فيظهر هلالاً، فيمكنه الإدارة المذكورة. وقوله **(وكم)**: خبريّة، معناها كثير، وهي اسم مبني على السكون، مبهم مفتقر إلى التمييز، ويلزم لها التصدير. وقوله **(يبدو)**: أي يظهر. وقوله **(إذا مُزجتْ)**: بالبناء للمفعول، أي: خلطت بغيرها. وقوله **(نجم)**: فاعل يبدو، وتنكيره للتعظيم، وهو ذلك الهلال إذا نظر إلى غيره، وسار على خلاف سيره، فيرجع نجمها للهدى، ويحصل به لمن تابعه الإقتداء، قال تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [١٦/ النحل/ ١٦]. يعني: يهتدي به السالكون في برّ ظلمات الأجسام، وبحر ظلمات النفوس، على الوجه التّام. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «أصحابي

كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»[1]. والصحبة: اللقيا؛ ولو بالروحانيّة عند أهل الطريق. قال أبو العبّاس المرسي قدّس الله سرّه: «لي منذ ثلاثين سنة لوحجب عنّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين». والإشارة بـ (كم) التكثيريّة إلى أنَّ المزج بالغيبة، والحضور،والكشف، والاستتار مقام الداعي إلى الله ، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرّة»[2] هو مقام النجم الهادي في ظلمات البرّ والبحر. فهي أطوار ثلاثة، تجتمع وتفترق: الكامل المحقِّق؛ فالعارف المرشد؛ فالسالك الصادق. وهي أشخاص ثلاثة، أو شخص واحد له أطوار ثلاثة: شمس وبدر ونجم. تدهمهم الحقائق الغيبيّة، وتهجم عليهم الرقائق العينيّة؛ فلا ظن، ولا بالغيب رجم.

٣- وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا اهْتَدَيْتُ لِحَانِهَا وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا الوَهْمُ

(ولولا): تدخل على جملة اسميّة ففعليّة لربط امتناع الثانية بوجود الأولى، نحو: لولا زيد لأكرمتك، أي: لولا زيد موجود، كذا في مغني ابن هشام. وقوله (شذاها): مبتدأ، والخبر محذوف، تقديره موجود. والشَذَا بالشين والذال المعجمتين: قُوَّة ذَكَاء الرائحة، كذا في القاموس. والضمير للمدامة المذكورة. ويعني بـ (شذاها) أي: قوّة رائحة هذه المُدامة المذكورة، عالم الروح الأعظم الذي هو من أمر الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وهو بمنزلة الرائحة الزكيّة الفائحة عن أمر الله تعالى في جميع خلقه. وقد كنّى عنها العارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه بنسمة السحر. وكنّى عمّا نفخت فيه الأجسام بـ(بان الحمى) حيث قال في مطلع قصيدة له:

---

(١) انظر تخريجه ص١١٤٢.

(٢) انظر تخريجه ص٣٧٥.

أسكرت بان الحمى يا نسمة السحر فهل أتيت عن الأحباب بالخبر

نعم مررت بذاك الحمى فاكتسبت ذيول بردك ريّا نشره العطر

يا روح وروحي بروحي للحمى به فديتك بين البان والسمر

والتكنية عنها بالشذا ألطف وأكشف؛ لأنَّها تنقل بذاتها روائح الحقّ إلى أنوف بصائر المستعدّين لقبول الفيض الإلهيّ. وقوله (**ما اهتديت لحانها**): أي حان تلك المدامة المذكورة، والحَان: جمع حَانَة، وهي موضع بيع الخمرة، والحَانِيَّة: الخَمْرة نفسها، ذكره في القاموس[1]. يُكَنِّي بـ الحان عن حضرات الذات العليّة، وهي أنواع أسمائها وصفاتها السنيّة. يقول: لولا تلك الحضرات روائح تلك الحضرات لما اهتديت إلى الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ فإنّ تلك الآثار الحاملة لذلك السرّ المصان فاحت روائحها فعطّرت الأكوان، وما حُرم من شمّها إلّا المزكوم عن الإدراك والتحقّق ببدائع العلوم وفنون الفهوم. وقوله (**لولا سناها**): أي تلك المدامة المذكورة، والسنا بالقصر، قال في القاموس: «هو ضوء البرق». كنّى به عن نور العقل الإنسانيّ؛ فإنّه ضوء/[٣٤٩/ب] البرق الروحانيّ. والبرق الروحانيّ كناية عن الروح الأمريّ الذي هو كلمح بالبصر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] والعقل بالنسبة إلى الروح كاللسان للإنسان. وقوله (ما تصوّرها): أي المُدامة المذكورة. يعني: جعل لها فيه صورة، وأثبتها فيه. قال في القاموس: «الصُوْرَة، بالضمّ: الشَكْل. وجمعها: صُوَر وصِوَر وصُور». وقوله (**الوهْم**): بسكون الهاء: فاعل تصوّرها. يقال: وهَمْتُ إلى الشيء، وَهْمًا من باب وَعَدَ: سَبَق القلبُ إليه مع إرادة غيره، ووَهَمْتُ وَهْماً: وَقَعَ في خَلَدي، والجمع: أوهام، وشيء مَوْهُوم، وتَوَهَّمْتُ، أي: ظَنَنْتُ، ووَهِمَ في الحساب يَوْهَمُ وَهَماً، مثل: غَلِطَ يَغْلَطُ، وزناً ومعنى، كذا في المصباح؛ فالوَهْم بالسكون سبق، خلاف المعنى

---

(١) انظر تاج العروس مادّة حنو، ومختار الصحاح، مادّة حني.

المراد إلى القلب، وهو المراد هنا، والوَهَم بالتحريك: الغلط في الحساب، وهو غير مراد هنا، وهو المعنى: لولا عقلها النورانيّ الذي هو ضوء برق الروح الإنسانيّ لما أثبت الوَهْم لهذه المُدامة المكنّى بها عن الحقيقة الجامعة، الوجوديّة، الإلهيّة، صورة ذهنيّة؛ فإنّها لا صورة لها في نفسها، والعقل المثبّت لها من ضرورته إثبات الصورة لها؛ لأنّه لا يحكم على شيء إلّا بعد تصوّره؛ ولهذا قالوا: الحكم فرع التصّور، والتصوّر لا يضر أهل العرفان المتحقّقين بحقائق الإيمان؛ فكلّ ذي عقل يصوّر به ضرورة الحكم عليه بالربوبيّة، وببقية الصفات والأسماء والأفعال، إلى غير ذلك من الأحكام في كلّ حال، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في الفتوحات المكّيّة: «الحقّ تعالى لا صورة له، وله كلّ الصور؛ وإنّما كان كذلك لأنّه تعالى هو الخالق البارئ المصوّر. وقد قال سبحانه: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١]».

٤- وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ ... كَأَنَّ خَفَاهَا فِي صُدُوْرِ النُّهَى كَتْمُ

(ولم يبق): بضمّ الياء التحتيّة، مضارع أبقى، قال في المصباح: بَقِيَ الشيءُ يَبْقَى، من باب تعب، بَقَاء وبَاقِيَة، دَامَ وثَبَتَ، ويتعدّى بالألف فيقال: أبقيته». ومعنى لم يُبق هنا: لم يترك. وقوله: (منها): أي هذه المدامة المذكورة. يعني: في بصائر المكلّفين بأحكامها، وذلك لاستيلاء الغفلات على قلوب أكثرهم. وقوله (الدهر): فاعل يبقي. والدهر يُطلق على الأبد. وقيل هو الزمان، قلّ أو كثر. قال الأزهري: والدهر عند العرب يطلق على الزمان، وعلى الفصل من فصول السنة، وأقل من ذلك، ويقع على مدّة الدنيا كلّها. قال وسمعت غير واحد من العرب يقول: أقمنا على ماء كذا دهراً، وهذا المرعى يكفينا دهراً، ويحملنا دهراً. قال لكن لا يقال الدهر أربعة أزمنة، ولا أربعة فصول؛ لأنّ إطلاقه على الزمن القليل مجاز واتساع؛ فلا يخالف به المسموع، وينسب الرجل الذي يقول بقدم الدهر، ولا يؤمن بالبعث دَهريّ بالفتح على القياس. وأمّا الرجل المسنّ إذا نُسب إلى الدهر

فيقال: دُهريّ بالضمّ على غير قياس، كذا في المصباح. وقال في الصحاح في الحديث: «لا تسبّوا الدهر فإنَّ الدهرَ هو الله سبحانه»[1]. لأنّهم كانوا يضيفون النوازل إليه، فقيل لهم لا تسبّوا فاعل ذلك بكم؛ فإنّ ذلك هو الله سبحانه. وقال في القاموس: «الدهر: قد يُعدّ في الأسماء الحسنى، والزمان الطويل، والأمد الممدود وألف سنة. وتفتح الهاء. وجمعه أَدْهُر ودُهُور». والمعنى هنا بالدهر: زخارف الدنيا وزينتها الشاغلة للقلوب الغافلة، والمعيقة عن النهوض إلى شهود تجلّيات الحقّ تعالى فيها. وقوله (غيرَ حُشَاشَةٍ): بنصب غير، على أنّه مفعول يبقى. والحُشاشة بالضمّ، قال في المصباح: «الحُشَاشَة بَقِيَّة الروح في المريض، وقد تحذف الهاء فيقال: حُشَاش». وقال في القاموس: «الحُشاش والحُشاشةُ بضمّهما بقيّة الروح في المريض/ [٣٥٠/ أ] والجريح». والمعنى في ذلك أنّ الدهر المكنّى به عن الزخارف الباطلة والزينة العاطلة لم يترك في قلوب أكثر العباد حشاشة روحانيّة، وبقيّة روح آمرية به لاستيلاء الوساوس النفسانيّة والهواجس الطبيعيّة على بصائر الغالب من البرية. ثمّ قال (كأنّ): بتشديد النون حرف تشبيه، قال الرضي: «وكأنّ بمعنى شبه، قال الزجاج هي للتشبيه إذا كان خبرها جامداً، نحو: كأن زيداً أسدٌ، للشك إذا كان مشتقاً نحو: كأنّك قائم؛ لأنّ الخبر هاهنا في المعنى هو الاسم، والشيء لا يشبَّه بنفسه، والأولى أنْ يقال هي للتشبيه أيضاً. والمعنى: كأنّك شخص قائم حتّى يتغاير الاسم، والخبر حقيقة، فيصحّ تشبيه أحدهما بالآخر. وقوله (خفاها) بالقصر لضرورة الوزن، والأصل خفاءَها. والضمير للمُدامة المذكورة، وذلك من تجلّي اسمه تعالى الباطن، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣] فإنّه سبحانه يتجلّى على حسب ما يريد ويستتر كذلك. وقوله (في صدور): جمع صدر، وهو ما على مقدّم كلّ شيء وأوّله، وكلّ ما واجهك، كذا في القاموس. وقوله (النّهى): بالضمّ جمع نُهْيَة، قال في المصباح: «النُّهْيَة: العَقْل؛ لأنَّها تَنْهَى عن

(١) انظر تخريجه ص١٣٠١.

القبيح، والجمع: نُهَى، مثل: مُدْيَة ومُدَى». وهذا على الاستعارة المكنيّة المبنيّة على تشبيه العقل بالإنسان، وإثبات الصدر له تخييل. وقوله (كَتْمُ): مصدر كتمت زيداً الحديث كتماً: من باب قتل، وكِتْماناً، بالكسر، يتعدّى إلى مفعولين، ويجوز زيادة مِنْ في المفعول الأوّل فيقال: كتمت من زيد الحديث، مثل بعته الدار، وبعت منه الدار. والكَتْمُ هنا ترشيح للاستعارة. يعني: إنّ خفاء تلك الحقيقيّة عند العقول البشريّة يشبه خفاء الأسرار وكتمها في صدور الذين أوتوا العلم الإلهيّ، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٤٩] العلم المعتبر، أو المعهود، وهو علم الله تعالى المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٦٦].

٥- فَـإنْ ذُكِـرَتْ فِي الحَـيِّ أَصَبحَ أَهْلُـهُ   نَـشَاوَى وَلَا عَـارٌ عَلَـيْهِمْ وَلَا إثْـم

(فَإنْ ذُكِرَتْ): بالبناء للمفعول. ونائب الفاعل ضمير راجع إلى المُدامة المذكورة، والحضرة المنشورة، والحقيقة المشهورة. وقوله (ذُكِرَتْ): من الذكر، يقال ذَكَرْتُه بلساني وبقلبي، ذِكْرَى بالتأنيث وكسرالذال، والاسم ذُكْر بالضمّ، وبالكسر نصّ عليه جماعة منهم: أبو عبيدة وابن قتيبة، وأنكر الفرّاء الكسر في القلب، وقال: اجعلني على ذُكر منك بالضمّ، لا غير؛ ولهذا اقتصر جماعة عليه، كذا في المصباح. وقوله (في الحيّ): أي المنزل من منازل الناس. وأصله البطن من بطون العرب، وجمعها أحياء. وقوله (أصبح): أي دخل في الصبح. قال في المصباح: «الصُّبْح: الفجر، والصَّباح مثله، وهو أوّل النهار، وأصبحنا دخلنا في الصباح». والمعنى في ذلك هنا: ذهاب ظلمة ليل الغفلة، وإشراق أنوار التجلّيات الإلهيّة على القلب الذاكر. وقوله (أهله): أي أهل ذلك الحيّ. يعني: المتأهلين بالاستعداد لقبول أنوار الفيض الربّانيّ، والمدد الرحمانيّ. وقوله (نَشاوى): جمع نَشْوان، من النَّشْوَة، وهي السُّكْر. والمعنى: حصول السُّكْر لهم بما يتجلّى عليهم، وينكسف لديهم، فيغيبون به عن أوهام الأغيار في التحقيق بمعاني الأسرار.

وقوله (**ولا عار عليهم**): العار كلّ شيء لَزِمَ به عيبٌ، وعَيَّرَه الأمرَ، ولا تَقُلْ: بالأمر، وتَعَايَروا وعَيَّرَ بعضُهم بعضاً، كما في القاموس. وقوله (**ولا إثم**): أي ذَنْب، وهو بكسر الهمزة: أنّ يَعْمَل مَا لا يَحِلُّ، إثِمَ كعَلِمَ، إثْماً ومَأْثَماً، فهو آثِمْ وأثِيْم، كذا في القاموس. ويناسب معنى البيت قول أبي مدين قدّس الله سرّه من أبيات له:

فلا تلم السكران في حال سكره   فقد رفع التكليف في سكرنا عنّا

وقال العرودكي[1] قُدّس سرّه في مطلع أبيات له:/ [٣٥٠/ ب].

قم فاختطفها فإنّ العمر يختطف   صهباء يقدح منها العزّ والشرف

مدامة أخبرت عنها مشايخنا   سلسلاً وروى عن قدسها السلف

٦- وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الدِّنَانِ تَصَاعَدَتْ   وَلَـمْ يَبْـقَ مِنْهَا فِي الحَقِيْقَـةِ إلّا اسْـمُ

(**ومن بين أحشاء**): جمع حَشَا، وهو مقصور: المعَى، والجمع أَحشاء، مثل سَبَب وأسباب، كذا في المصباح. وقوله (**الدِّنَانِ**): جمع دَنّ، وهو كهيئةِ الحُبِّ[2]، أي: الخابية، إلّا أنّه أطول منه، وأوسع رأساً، وجمعه: دِنَان، مثل: سَهْم وسِهَام، كما في المصباح. وهذا على الاستعارة المكنيّة، بتشبيه الدنان بأجسام البشر، وإثبات الأحشاء لها تخييل. وقوله (**تَصاعَدَتْ**): الفاعل مستتر، يعود على المُدامة المذكورة، أي: ترقّت، وارتفعت شيئاً فشيئاً، وهو كناية عن خفاء العلوم الإلهيّة من صدور الرجال، وتقاصر الهمم الروحانيّة عن نيلها، وطلبها لانحراف القلوب عن هذا المجال. وموجب ذلك كمال الرغبة في محبّة الدنيا وشهواتها، وزيادة الانهماك فيها والإقبال. وقوله (**ولم يبق منها**): أي من المدامة المذكورة. وقوله (**في الحقيقة**): أي

---

(١) أبو بكر بن منيان العرودكي الصوفي. توفي ١١٢٠هـ ودفن بالصالحية في دمشق انظر معجم المؤلفين ٣/ ٧٦.

(٢) الحُبُّ: الجَرَّةُ، أو الضخمة منها.

حقيقة الأمر على وجه كمال الصدق. وقوله (اسم): بوصل همزة اسم، وهو فاعل يبقى، وأعلى من هذا أنْ يقال: ارتفعت الحقيقة المُدامية بعد تجلِّيها بنزولها في الصور الحسيَّة، بحيث أفنت الصور في تحقيق ذاتها، ومحت الرسوم الحسيّة والمعنويّة، ولم يبق منها عند المريد الصادق إلّا الاسم الذي يتولّاه؛ لأنّه مجلاه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨٠] فإنّه لا يُدعَى ويُطْلَب إلاّ بأسمائه؛ لأنّها المتصرّفة في العوالم دون الذات المقدّسة؛ لغناها عن العالمين بحكم قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٩٧].

٧- وَإِنْ خَطَرَتْ يَوْماً عَلَى خَاطِرِ امْرِئٍ · أَقَامَتْ بِهِ الأَفْرَاحُ وَارْتَحَلَ الهَمُّ

(وإنْ خطرت): من الخاطر، وهو ما يخطر بالقلب من تدبير أمر، يقال: خَطَرَ ببالي وعلى بالي خَطَرَ وخُطُوراً، من بابي ضرب وقعد، كذا في المصباح. والضمير للمدامة المذكورة، وخطورها مرور صورة ناشئة من قدر استعداد العبد لانكشاف التجلِّي الربّانيّ له، ويختلف الاستعداد قوّة وضعفاً، فتختلف الصور إلى أن تعمّ الأمثال والأضداد والخيالية والحسيّة، قال القائل:

عقد الخلائق في الإله عقائد · وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

وهو قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]. وقوله (يوماً): أي وقتاً من الأوقات، قال في المصباح: «والعربُ قد تطلق اليومَ وتريد الوقتَ والحِين، نهاراً كان أو ليلاً، فتقول: ذَخَرْتُكَ لهذا اليوم، أي: لهذا الوقت الذي افْتَقَرْتُ فيه إليكَ». وقوله (على خاطر امرئ): أي إنسان، بأنْ انكشفت له متجلِّية بصورة من الصورمطلقاً؛ فإنّ تجلِّيها واستتارها على حسب إرادتها ومشيئتها، فلو شاءت تجلَّت على إنسان بصور كلّ شيء، وإن شاءت تصوّرت دون صورة، وإن شاءت استترت على الإنسان في كلّ صورة وأشهدته الصور كلّها أغياراً لها، وهكذا على حسب ما تشاء. وقوله (أقامت به):

أي بذلك الأمر، أي: الإنسان. وقوله (**الأفراح**): فاعل أقامت، جمع فرح بالتحريك، وهو السرور. وقوله (**وارْتَحَلَ الهَمُّ**): أي الحزن، وجعل الأفراح مقيمة والهمّ مرتحلاً للإشارة إلى أنّ ذلك دائم دنيا وآخرة، بمجرّد الخطور في البال، فكيف إذا كثر الحضور والإقبال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٣٦] ومعلوم أنّ الشيطان للإنسان عدو مبين، والعدو دائماً يدخل الهم والحزن على عدوه، ويطرد عنه الفرح والسرور. / [٣٥١/ أ] وسبب الاقتران بالشيطان الغفلة عن شهود الرحمن في تجلّيه بصور الأكوان، وبالله المستعان.

٧- وَلَـوْ نَظَـرَ النُّـدْمَانُ خَـتْمَ إنَائِهَـا لَأَسْـكَرَهُمْ مِـنْ دَنِّهَـا[1] ذَلِـكَ الخَـتْمُ

(**ولو نظر الندمان**): جمع نَدِيْم، وهو المُنادِم على الشُّرْب، وجمعه: نِدَام بالكسر، ونُدْمَاء، مثل: كَرِيم وكِرَام وكُرَمَاء، ويقال فيه أيضاً: نَدْمَان». ويكني بهم عن السالكين في طريق الله تعالى. وقوله (**ختم إنائها**): أي المدامة المذكورة. الختم: مصدر خَتَمَه يَخْتِمَه خَتْماً وخِتَامَاً: طَبَعَه، كذا في القاموس. وهو كناية عن أثر التجلّي الربّاني في قلب العبد، والنظر إليه كناية عن التحقّق به السالب للغيريّة بالكليّة. وكنّى بإنائها عن النفس الإنسانيّة؛ فإنّ الختم واقع عليها بالتجلّي الخاص بها في جميع شؤونها وأحوالها في كلّ وقت من الأوقات، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وهو عام في كلّ نفس مؤمنة أو كافرة. وقوله (**لأسكرهم**): أي غيّبهم عنهم وعن كلّ شيء. وقوله (من دَنّها): بفتح الدال المهملة، الدَنّ: الراقود العظيم، أي: الخابية الكبيرة، أو أطول من الخابية، أو أصغر، يُطلى داخله بالقار، ذكره في القاموس. كنّى به عن الجسم الإنساني. وقوله (**ذلك الختم**): أشار إلى الختم المذكور.

---

(١) في (ق): دونها.

٩- وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْرِ مَيِّتٍ   لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَانْتَعَشَ الجِسْمُ

(ولو نَضَحُوا): أي رَشُّوا، وضمير الجمع للنُّدْمَان في البيت قبله. وقوله (منها): أي من المدامة المذكورة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله خلق الخلق في ظلمة»[1]. يعني: قدّرهم في العدم، ثمّ رشّ عليهم من نوره، أي: نور وجوده الحقّ بالتجلّي الربّانيّ، فمن أصابه من ذلك النوراهتدي، أي: من تحقّق بعدمه الأصليّ، وانكشف له نور الوجود الحقّ، ومن أخطأه، أي: لم يتحقّق بذلك، ضلّ وغوى. وقوله (ثَرَى): أي تراب. وقوله (قبر ميِّت): بتشديد الياء التحتيّة من الموت، وهو عبارة عن زوال القوّة الحيوانيّة، وإبانة الروح عن الجسد، ذكره الراغب. وقال في القاموس: «مَاتَ يَمُوت فهو مَيْتٌ ومَيِّتٌ. يعني: بالتشديد والسكون: ضدّ حيّ» ونضحهم كناية عن توجّههم بالجمعيّة الكبرى إلى حضرة المتجلّي الحقّ بإذنه سبحانه، كما قال تعالى عن عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [٥/ المائدة/ ١١٠]. وقوله (لعادت): إليه الروح، أي: روحه التي كانت له من قبل. وقوله (وانتعش): قال في المصباح: «انْتَعَشَ العَاثِر: نَهَض من عَثْرَتِه، ونَعَشَهُ الله وأنْعَشَهُ: أقامه». وقوله (الجسم): أي قام جسم ذلك الميت، وعاد حيّاً كما كان، لو أراد الله تعالى وأذن في ذلك لمن شاء من عباده السالكين في طريق التحقيق، كما وقع إحياء الموتى بطريق الكرامة لجماعة من أولياء الله تعالى، ميراثاً عيسويّاً روحانيّاً.

١٠- وَلَوْ طَرَحُوا فِي فَيْءِ حَائِطِ كَرْمِهَا   عَلِيْلاً وَقَدْ أَشْفَى لَفَارَقَهُ السُّقْمُ

(ولو طرحوا): أي الندمان المذكورون. (فِي فَيء): الفَيء مهموز، من فَاءَ الرجلُ يَفِيْء، من باب باع: رَجع، وفَاء الظِّلّ يَفِيء فَيْئاً: رَجَعَ من جانب المشرق،

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنّة، باب: إنّ القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، ٢٤١، بلفظ: «إنّ الله تعالى خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم نوراً من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضلّ»، فلذلك أقول: جفّ القلم على علم الله عزّ وجلّ. في طريق التحقيق، كما وقع إحياء الموتى بطريق الكرامة لجماعة من أولياء الله تعالى، ميراثاً عيسويّاً روحانيّاً.

كذا في المصباح. كنّى بالفيء عن عالم الخيال، خيال الإنسان الكامل؛ فإنّه راجع عن جانب مغرب الأكوان إلى جانب مشرق شمس الأحديّة من مطلع الروح الآمري الربّانيّ. وقوله (**حائط**): أي جدار. وقوله (**كَرْمِهَا**): أي كَرْم هذه المدامة المذكورة، والكَرْم وزان فَلْس: العِنَب، كذا في المصباح. وفي الحديث: «لا تسمّوا العنب الكَرْمَ؛ فإنّما الكَرْمُ الرجلُ المسلمُ»[1]. وليس الغرض حقيقة النهي عن تسميته كَرْماً، ولكنه رمز إلى أنّ هذا النوع من غير الأناسي المسمّى بالاسم المشتق من الكرم أنتم أحقّاء بأنْ لا تؤهّلوه لهذه التسمية غيرة للمسلم التقي أنْ يشارك فيما سماه الله ، وخصّه بأن جعله صفته فضلاً بأن تسمّوا بالكرم من ليس بمسلم، فكأنّه قال إنّ تأتّى لكم أنْ لا تسمُّوه مثلاً باسم الكرم، ولكن بالجفنة والحبلة فأوفوا وكما في القاموس./ [٣٥١/ ب] وتسمية الله هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [٤٩/ الحجرات/ ١٣] وضمير كرمها عائد إلى المدامة المذكورة. وكنّى به عن عوالم الإمكان الظاهرة للحسّ والعقل؛ فإنّها جدار بين الدنيا والآخرة؛ فإنّ الجسد الإنسانيّ وما تضمّن من الجوارح، والأعضاء، والقوى الروحانيّة بمنزلة الجدار، وهو جدار هذا الكرم المذكور؛ فإذا انهدم بالموت صار الإنسان في عالم الآخرة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [١٧/ الكهف/ ١٨] أي: وراءه من قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] والكنز من قوله صلّى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفيّاً»[2] والمعنى بالطرح فِي فَيْءِ الحائط المذكور توجّه خاطر الإنسان الكامل، واشتمال خياله على صورة ذلك العليل. وقوله (**عليلاً**): مفعول طرحوا، من العلة بالكسر: المرض، عَلَّ يَعِلُّ واعْتَلَّ وأعَلَّه الله فهو عليل، ولا تقل مَعْلُول. والمتكلّمون يستعملونها، كذا في القاموس. ومرضه جسمانيّاً أو روحانيّاً كما في قوله

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: مسند أبي هريرة، ١٠٢٣٧.

(٢) انظر تخريجه في ص ٧٨٠ + ص١٣٥١..

تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [٢/ البقرة/ ١٠] فإنّ القلوب تمرض روحانيّاتها كما تمرض الأجسام. ودواء الأجسام حسِّيّ، ودواء القلوب معنويّ. ومن جملة الدواء أنْ يكون المريض مطروحاً بالاعتقاد والتذلل في خاطر الإنسان الكامل، العالم بربّه العامل. وقوله (وقد أشفى): بالشين المعجمة، والفاء، قال في المصباح: «أشْفَيْت على الشيء، بالألف: أشرفت. وأشْفَى المريض على الموت، أي: أشرف. وقوله (لفارقه السُّقم): بضمّ السين المهملة، وسكون القاف لغة فيه. قال في المصباح: «سَقِمَ سَقَماً، من باب تَعِبَ: طَالَ مرضُه، والسُّقْم من باب قَرُبَ فهو سَقِيم».

١١- وَلَوْ قَرَّبُوا مِنْ حَانِهَا مُقْعَدَاً مَشَى وَتَنْطِقُ مِنْ ذِكْرَى مَذَاقَتِهَا الْبُكْمُ

(ولو قربوا): أي الندمان. وقوله (من حانها): أي المدامة المذكورة، جمع حانة، والحانيّة: الخَمْرَة، والحَانَة: موضع بيعها، كذا في القاموس. والمَعْنِي بالحانة هنا: التي جمعها حان مجالس أهل العلوم الإلهيّة، أصحاب التحقيق والعرفان. وقوله (مقعداً): بصيغة اسم المفعول، مَنْ به داء القعاد، قال في القاموس: «به قُعُاد وأقْعَاد: داء يقعده فهو مُقْعَد».وكنّى به هنا عمَّن لا نهوض له إلى معرفة ربّه، المعرفة الحقيقيّة. قال السوديّ اليمني، قدّس الله سرّه، في مطلع أبيات له:

يا مقعد العَزَمات يا عبد الهوى يا بايناً والبين يهدم ما بنى

زرني أعلمك الهوى وفنونه واشتمّ أنفاسي يَزِلْ عنك العنا

وقوله (مشى): أي انطلق من قيود أوهامه وشهواته، وسلك حيث أراد من مسالك التحقيق بعناية التوفيق. وقوله (وتنطق): أي تتكلّم بالعلوم الإلهيّة، والحقائق العرفانيّة. وقوله (من ذِكري): الذِّكرى بالكسر مقصور: الاسم من الذِّكر، بالكسر، وهو الحفظ للشيء، والشيء يجري على اللسان، تقول: ذكّرته بالتشديد ذكرى غير مُجراة. وقوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢] اسم للتذكير. ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [٣٨/ ص/ ٤٣] عبرة لهم. كذا في القاموس.

والمعني بالذكرى هنا : التذكّر والحفظ بدوام استحضار التجلِّيات الإلهيّة في عوالم الإمكان بحيث تزول غيريّتها عند بصيرته بالكلّيّة. وقوله (**مذاقتها**): أي المدامة المذكورة. والمَذاقة: فعل مرّة من إدراك الطعم الواصل إلى حاسّة الذوق. قال في المصباح: «الذوق إدراك الطعام بواسطة الرطوبة المنبثّة بالعصب المفروش على عَضَل اللسان، يقال: ذُقْتُ الطعامَ أَذُوقُهُ ذَوْقَاً وذَوَاقَاً وذَوَاقَانَاً: إذا عرفته بتلك الواسطة». والمعنى: في ذلك تذكّر معاني التجلِّيات الإلهيّة الجارية على ألسنة العارفين المحقِّقين؛ فإنّ الكلام إذا خرج من القلوب دخل إلى القلوب، والذي في الألسنة لا/ [٣٥٢/ أ] يجاوز الألسنة. وقوله (**البكم**): فاعل تنطق، وهم جمع أَبكم، من بَكِمَ يَبْكَمُ، من باب تعب، فهو أَبْكَم، أي: أخرس، وقيل الأخرس الذي خُلِق ولا نطق له، والأَبْكَم الذي له نُطْق ولا يَعْقِل الجواب، والجمع: بُكْم، كذا في المصباح. والمكنّى بذلك عن الغافل المحجوب عن تجلِّيات علام الغيوب؛ فإنّه أبكم اللسان والقلب، فلا ينطق إلّا عن الأغيار بالأغيار.

١٢- وَلَوْ عَبِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طِيْبِهَا   وَفِي الغَـرْبِ مَزْكُـوْمٌ لَعَـادَ لَـهُ الـشَّمُّ

(**ولو عَبِقَتْ**): عَبِقَ به الطِيْب عَبَقَاً، من باب تعب: ظَهَرَت ريحُه بثوبة أو بدنه، فهو عَبِق قالوا ولا يكون العَبَق إلّا الرائحة الطيِّبة الزكيّة، كما في القاموس[1]. وقوله (**في الشرق**): أي في جهة بلاد المشرق، وهي التي خرج منها أولياء العراق، وفيها القطب، وتوجَّه إليها أهل الدنيا من جميع الآفاق. وقد يراد بالشوق قلب الإنسان الكامل، لأنّه مشرق شمس الوجود الحقّ. وقوله (**أنفاس**): جمع نَفَس، بالتحريك، قال في المصباح: «النَّفَس، بفتحتين: نَسِيم الهواء، والجمع: أَنْفَاس» وهو فاعل عبقت. وقوله (**طِيْبِها**): أي طِيب المُدامة المذكورة. والمعنى في ذلك: لو تقررت معاني التجلِّيات الإلهيّة عن ذوق ووجدان من الإنسان الكامل العرفان،

(١) أخذ المؤلّف مادّة عبق هنا من المصباح، وليس من القاموس.

وانتشرت روائحها منه في جوانب الأكوان. وظهرت عليه أمارات الصدق في الوجدان. وقوله (وفي الغرب): أي في جهة بلاد المغرب، وهي التي خرج منها الأولياء الكبار، وهاجر أكثرهم إلى بلاد المشرق، كالشيخ الأكبر وغيره. وفي ذلك يقول قدّس الله سرّه:

رأى البرق شرقيّاً فحنّ إلى الشرق ... ولو لاح غربياً لحنّ إلى الغرب
فإنّ غرامي بالبريق ولمعه ... وليس غرامي بالأماكن والترب

وقال أيضاً:

هنيئاً لأهل الشرق في حضرة القدس ... بشمسٍ جَلَتْ أنوارُها ظلمةَ الرمس

وقال أيضاً من قصيدة له:

علوم لنا في عالم الكون قد سرت ... من المغرب الأقصى إلى مطلع الشمس
تجلّى بها من كان عقلاً مجرّداً ... عن الفكر والتخمين والظن والحدس

ولنا في تضمّن المصراع الأوّل من البيت الأول قولنا:

أيا ساكنين الشرق قد شرقت بكم ... عيوني بدمع حين تسامت سنا البرق
فقوموا بعذري عندكم إن مبتدا ... غرامي بكم قد كان من أقرب الطرق
وما ذاك إلّا أنني كنت غافلاً ... أظن جداري ليس يؤذن بالخرق
فمدّت يد شرقيّة قادريّة ... بها نشأتي خضراء طيّبة العرق
فقلت لأهل الغرب لا تعتبونني ... بكم إنني في الجمع من غير ما فرق
صعدت بكم أوج العلا وتمرغت ... بألحانكم في القلب ساجعة الورق
ألا فاعذروا طرف المحبّ فإنّه ... رأى البرق شرقيّاً فحن إلى الشرق

وقوله (مَزكوم): من الزُّكْمَة، قال في المصباح: «الزُّكْمَة، بالضمّ، والزكام معروف، وأَزْكَمَه الله، بالألف، فَزُكِمَ، بالبناء للمفعول على غير قياس، فهو

مَزْكُوم». والمعنى بذلك: من لا يشم رائحة التجلّيات الإلهيّة لاشتغال نفسه بتوهّمات الأغيار الكونيّة. وقد عُرضت عليّ أبيات باللغة التركيّة في مدح الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه لبعض فضلاَء الأروام، فقلت في تعريبها والأحقّ أن تكون عربيّة في مدح ابن عربيّ.

طيب محيي الدين مسك الورى فاح لكن كلّ أنف لا يشم
وعلوم خرجت من فمه كلّ فهم بهداها لا يلمّ/[٣٥٢/ب]
قوسه من ذا الذي يرمي به غرض التحقيق يا قوم هلّموا

وقوله (**لعاد**): أي رَجَعَ. وقوله (**له**) : أي لذلك المزكوم. وقوله (**الشَّمّ**): أي حاسّة إدراك الروائح بحيث يصير يَشمّ روائح التحقيق والعرفان من كلام أهل الكشف والعيان.

١٣- وَلَوْ خُضِّبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَفُّ لَامِسٍ لَمَا ضَلَّ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ النَّجْمُ

(**ولو خُضّبَتْ**): بالبناء للمفعول، مخففاً أو مشدّداً، يقال: خَضَبَهُ يَخْضِبُهُ: لوّنه كخصّبه، كذا في القاموس. وقال في المصباح: خَضَبْتُ اليدَ وغيرها خَضْباً، من باب: ضرب بالخِضَاب، وهو الحنّاء، ونحوه، قال ابن القطّاع: فإذا لم يذكروا الشيب والشعر قالوا: خَضَبَ خِضاباً واخْتَضَبَ بالخِضاب». وقوله (**من كأسها**): أي المُدامة المذكورة. والكأس بهمزة ساكنة، ويجوز تخفيفها: القدح مملوءاً من الشراب، ولا تسمّى كأساً إلّا وفيها الشراب، وهي مؤنّثة، كذا في المصباح. وقوله (**كفّ**) نائب فاعل خُضّبَتْ، والكفّ مؤنّثة، قال في المصباح: «الكفّ من الإنسان وغيره أنثى. قال ابن الأنباري وزعم من لا يُوثّقُ به أنَّ الكف مذكّر، ولا يعرف تذكيرها من يُوثَق بعلمه. وأمّا قولهم كفّ مخضّب فعلى معنًى ساعد مخضّب وقال الأزهري: الكفّ الراحة مع الأصابع، سمّيت بذلك لأنّها تكفّ الأذى عن البدن». وقوله (**لامِسٍ**): اسم فاعل، قال ابن دريد: أصل اللّمْس باليد ليُعْرَفَ

مَسُّ الشيء، ثمّ كثر ذلك حتّى صار لكلّ طالب، قال : ولَمَسْتُ مَسِسْتُ، وكلّ ماسٍّ لامس، وقال الفارابي: اللَّمْسُ المَسُّ. وفي التهذيب عن ابن الأعرابي: اللَّمْس يكون مَسَّ الشيء بالشيء وقال في باب الميم: المسّ مَسك الشيء بيدك، وقال الجوهري: اللَّمْسُ باليد، ذكره في المصباح. والإشارة بكفّ اللامس عن يد المريد الصادق في إرادة الله تعالى إذا وضعها في يد الإنسان الكامل المرشد المحمَّدي الجامع وقت المبايعة والمعاهدة، كما ورد في الحديث، قال: صلّى الله عليه وسلّم في بيع الملامس أنّ يقول: «إذا لمست ثوبك أو لمست ثوبي فقد وجب البيع بيننا بكذا»[1] وهو بيع النفس لله تعالى اللابس بالتجلّي والتأثير، ثوب الصورة الإنسانيّة الكاملة وهي صورة الشيخ المرشد؛ فإذا وضع المريد الصادق في الإرادة يده في يد الشيخ الكامل المرشد إلى الله تعالى عن الذوق والوجدان، فقد لمس المريد ثوب المراد، وقد وجب البيع، ولزم، وتمّ. وقد اشترى الحقّ تعالى نفس المريد فلا رجوع له عن بيعه شرعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ [٩/ التوبة/ ١١١] أي من المصّدقين بالشيخ المرشد، وإنّه كما ذكرنا إذ يلزم من ذلك التصديق بالوجود الحقّ المتعيّن له بطريق التقدير تعييناً فانياً معدوماً بالذات والصفات من غير حلول؛ إذ لا يحلّ الوجود في العدم، ولا اتّحاد؛ إذ لا يكون الوجود الحقّ هو العدم الباطل، ولا انحلال؛ إذ لا ينحلّ العدم من الوجود من العدم. ثمّ قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ﴾ [٩/ التوبة/ ١١١] وهي إشارة إلى بيع المشايخ الكاملين كما ذكرنا، ووجدان الشيخ الكامل لازم من صدق المريد، فمتى صدق المريد في إرادة الله تعالى وجد الشيخ الكامل المرشد إلى الله تعالى؛ لأنّه حجّة الله تعالى على خلقه في الأرض إلى يوم القيامة.

---

(١) لم نعثر عليه بهذا اللفظ، وإنّما أخرج مالك في الموطأ، كتاب البيوع ، باب: الملابسة والمنابذة، ١٣٣٦، عن أبي هريرة، بلفظ: «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نهى عن الملابسة والمنابذة».

ومتى كذب المريد لم يجد له مرشداً أصلاً قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٧] وقد أشار الناظم قدّس الله سرّه إلى المرشد الكامل بقوله (**من كأسها**) لما أشار على الحقيقة الوجوديّة الحقّة بالمدامة المذكورة. والتخضيب كناية عن اتّصال المدد الربّاني بالمريد الصادق الفاني. وقوله (**لَمَا ضَلَّ**): أي تاه وتحيّر، يقال: ضلّ الرجل عن الطريق، وضلّ عنه يَضِلّ: من باب ضرب ضلالاً وضلالة زلّ عنه فلم يهتدِ إليه؛ فهو ضالّ، هذه لغة أهل نجد، وهي/ [٣٥٣/ أ] الفصحى، وبها جاء القرآن في قوله تعالى: ﴿إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ [٢٤/سبأ/ ٥٠]. وفي لغة لأهل العالية من باب تعب، ذكره في المصباح. وقوله (**في ليل**): أي كون من الأكوان. وقوله (**وفي يده النجم**): أي الكوكب المضيء. كناية عن المدد الذي حصل له من لمس يد الشيخ الكامل، واتصاله به بالربط المعنوي، القلبي، الحاصل له بالمبايعة والمعاهدة، قال تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ١٦] وفي الحديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[١] والصحبة المعنويّة القلبيّة باقية في الورثة المحمّديّين إلى يوم القيامة.

١٤- وَلَوْ جُلِيَتْ سِرّاً عَلَى أَكْمَهٍ غَدَا بَصِيراً وَمِنْ رَاوُوقِهَا تَسْمَعُ الصُّمُّ

(**ولو جُلِيَتْ**): بالبناء للمفعول، جَلَتِ الماشطةُ العروسَ على زوجها جِلْوَة بالكسر، والفتح لغة، وجِلَاء مثل: كِتاب، واجْتَلاها: نظر إليها تجلّى، ذكره بالمصباح. وضمير الغائبة إلى المُدامة المذكورة. وقوله (**سرّاً**): أي خفيّة، والسرّ: ما يُكْتَم، وهو خلاف الإعلان، والجمع: أسرار، كذا في المصباح. والمعنى في ذلك: انكشاف الحقيقة الوجوديّة الجامعة. وقوله (**على أكمه**): متعلّق بـ (**جليت**)، والأَكْمَه من كَمِهَ كَمَهاً، من باب تعب؛ فهو أَكْمَه، والمرأة كَمْهَاء، مثل: أحمر وحمراء، وهو العمى يولد عليه الإنسان، وربّما كان من عرض، كما في المصباح.

---

(١) انظر تخريجه ص١١٤٢.

وهو العبد الغافل المحجوب بنفسه عن معرفة تجلّيات ربّه. وقوله (**غدا**): من غَدَا غُدُواً، من باب قعد: ذهب غُدْوَةً، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، هذا أصله، ثمّ كَثُر حتّى استُعمل في الذهاب والانطلاق، أي وقتٍ كان، والغَدَاة: الضَّحْوة، ذكره في المصباح، وأشار بقوله (غدا) إلى انشقاق فجر السالك بعد ظلمة ليلته بالفتح الربّانيّ، والمدد الرحمانيّ، كما ورد عن الإمام علي كرّم الله وجهه أنّه قال لخادمه كميل: أطفِ المصباح؛ فقد طلع الصباح». يشير إلى أنّه قد انكشف لك نور الوجود الحقّ، فلا تستعمل نور العقل بعد الآن في تخييل المعاني الإلهيّة، واطلبها في الحسّ والعيان. وانظر بنور الله لا بنور العقل؛ فإنّ نورالعقل يحتاج إليه الإنسان ما دام محبوساً في ظلمات الأكوان، قال صلّى الله عليه وسلّم: «المؤمن ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله»[1].

وقوله (**بصيراً**): أي ذا بصر يرى به ما لم يكن يرى، ويكشف ببصيرته عن أسرار الورى. وقوله (**ومن راووقها**): أي المدامة المذكورة، والراووق: المِصْفَاة، وربّما سمّوا البَاطِيَة راوُوقاً، وهو مشتق من رَاقَ الشرابُ يَرُوق رَوْقاً، أي: صفا، وروّقته أنا ترويقاً، ذكره في المصباح[2]. ويشير بالراووق إلى العقل الذي للإنسان الكامل؛ فإنّه لا يهجم على الإدراك، وصاحبه لا يدرك به، وإنّما يدرك بنور ربّه، ثمّ يعرض ما أدركه بنور ربّه على عقله، وعقله يصفي ذلك من كدر الأغيار، ودنس الآثار؛ فهو الراووق، وهو الفاروق، كعقل عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فإنّه تبع لما جاء به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا استقلال له في الإدراك؛ فإنّه يفرّق بين الحقّ والباطل لغلبة المتابعة عليه، ولهذا قيل له الفاروق.

---

(١) ذكره السيوطيّ في الدرّ المنثور، وقال أخرجه بن جرير عن ثوبان، باب: ٥١، بلفظ: «احذروا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله». انظر «الدرّ المنثور» ٦/ ١٠٦ .

(٢) ذكره في القاموس، وليس في المصباح.

وقوله (تسمع الصمّ): بضمّ الصاد المهملة، جمع أصمّ من قولهم: صَمَّتِ الأُذن صَمَماً، من باب تعب: بَطَل سمعُها؛ فالذَكَر: أَصَمُّ، والأُنثى صَمَّاء، والجمع: صُمٌّ، مثل أحْمَر وحَمْرَاء وحُمُر، كذا في المصباح. يكنّي بالصمّ عن الغافلين الذين لا يسمعون الحقّ لاشتغالهم بالباطل الذي هو غير الحقّ تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٠٠] وكونهم يسمعون من راووقها أي: من مصفاتها التي هي العقل النورانيّ المقبل، دون العقل الظلمانيّ المدبّر، ولا يقدر أحد أنْ يسمع كلام أهل الله تعالى العارفين بربّهم إلّا إذا سمعه من عارف بربّه، فإذا سمعه من غير العارف، أو تلقّاه من الكتب، وفهمه بعقله الظلمانيّ المدبّر، فليس ذلك هو كلام أهل الله تعالى العارفين به، وإنّما هو كلام نفسه، وهو يتفهّمه بعقله، وقد أشرنا إلى ذلك بقولنا/ [٣٥٣/ ب]:

كلامنا نعرفه ... نحن ومن يعرفنا
وإنّما يفهمه ... في الناس من يفهمنا
ولم يكن يجهله ... إلّا الذي يجهلنا
ومن يرده فليكن ... ملازماً مجلسنا
أو مجلساً لكلّ من ... تلمذه الصدق لنا
وقلبه معتقد ... ويحسن الظنّ بنا
ويسمع التقرير ... عن كلامنا من فمنا
ولا يقلّد جاهلا ... بالحقّ فيما طعنا
فالناس فيهم حسد ... وسوء ظنٍّ كمنا
والجهل بالله لهم ... قد صار شيئاً حسنا
وكلّ شخص يدعي ... ما ليس فيه علنا

١٥- وَلَوْ أَنَّ رَكْباً يَمَّمُوْا تُرْبَ أَرْضِهَا وَفِي الرَّكْبِ مَلْسُوْعٌ لَمَا ضَرَّهُ السُّمُّ

(ولو أنّ رَكْباً): هو جمع راكب، قال في المصباح: «رَاكِبُ الدّابةِ، جمعه: رَكْب، مثل: صَاحِب وصَحْب، ورُكْبَان». يشر بذلك إلى المحمولين من أهل السلوك والعرفان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠]، فالحامل لهم هو الحقّ تعالى، وهم المحمولون في البرّ على الدوابّ، وفي البحر على السفن، وعلى الأرض والأبنية والأشجار والعارفون بذلك ركب؛ لأنّهم جماعة الراكبين، ومن لم يعرف حيوان في صورة إنسان لغفلته عن الأمر، واشتغاله في زيد وعمر. وقوله (**يمّمُوا**): أي قصدوا. وقوله (**تُرْب**): وزان: قفل: لغة في التراب، كذا في المصباح. وقوله (**أرضها**): أي المدامة المذكورة. كنّى بذلك عن الصور الجسمانيّة التي تنبت فيها الصورة الروحانيّة الأمريّة، من بزر أمر الله تعالى، فآثرت عَنَاء قيد المعاني في قشور المبانيّ، ثمّ استخرجت منها هذه المدامة بعصر الفتح الربّانيّ، والفيض الرحمانيّ؛ وهو إشارة إلى الإنسان الكامل المرشد. وقوله (**وفي الركب**): بلام العهد الذكري، أي: الركب المذكور. وقوله (**ملسوع**): أي واحد منهم ملسوع، لسعته الحيّة والعقرب تلسعه لسعاً، وهو كناية عن المحبّ العاشق المتوجّه بكلّيته نحو حبيبه ولأخباره ناشق، الذي قال فيه القائل، وهو من الأوائل، والمحبّة حجاب هائل:

قد لسعت حيّة الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلّا الحبيب الذي علقت به فإنّه رقيَّتي وترياقي

وقوله (**لما ضرّه السُّمّ**): بضمّ السين، أو فتحها، أو كسرها. قال في المصباح: «السُمّ ما يَقْتُل، بالفتح في الأكثر، وجمعه: سُمُوم، مثل: فَلْس وفُلُوس، وسِهَام أيضاً، مثل: سَهْم وسِهَام. والضمّ لغة لأهل العالية، والكسر لغة بني تميم». وكنّى بالسمّ عن الغيريّة الظاهرة من الأكوان الفانية؛ فإنّه إذا قصد المرشد الكامل يعرِّفه

بحقائق الكائنات، ويوقفه على معاني التجلّيات؛ فلا يضرّه شيء من الأشياء، ولا تحجبه الظلالات والأفياء.

١٦- وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوْفَ اسْمِهَا عَلى جَبِيْنِ مُصَابٍ جُنَّ أَبْرَأَهُ الرَّسْمُ

(**ولو رَسَمَ**): أي كتب. وقوله (**الرَاقي**): من رَقَيْتُهُ أَرْقِيه، من باب رمى، رَقْياً: عَوَّذْتُه بالله ، والاسم الرُّقيَا على فُعْلى، والمَرّة رُقْيَة، والجمع: رُقَىً، مثل مُدْيَة ومُدَى، ذكره في المصباح. والإشارة بالراقي إلى الإنسان الكامل، وهو الشيخ المرشد. وقوله (**حروف**): جمع حرف، أحد حروف الهجاء. وقوله (**اسمها**): أي المدامة المذكورة، وحروف اسمها كناية عن انحرافات ما يتخيّله السالك من معاني تجلّيات الحضرة الإلهيّة وقت حضوره معها بها لا بنفسه، ورسم ذلك إنّما يكون من المرشد الكامل بطريق التوجّه الربّانيّ، والإمداد الرحمانيّ، فتارة يتأتى بالإلقاء الإلهاميّ من القلب إلى القلب مع صدق الحال، وتارة يتأتّى بتقرير العبارات، وتبيين الإشارات، وتارة بإلباس خرقة الصوفيّة المشهورة، وشرطها كمال الصدق من الطرفين، فيسري الحال الصادق بأمرالله في المريد الصادق، وتارة بنظر الشيخ الصادر من قوله صلّى الله عليه وسلّم : «كنت بصره الذي يبصر به» في الحديث المشروط بالتقرّب بالنوافل، وتارة بنظر المريد الصادق إلى الشيخ من قوله عليه السلام، وفي الحديث: «إذا رُؤُوا ذكر الله»[1]. وهذا/ [٣٥٤/ أ] الأمر يختلف باختلاف الاستعداد في السرعة والبطء، والإخلاص في الخدمة، والأدب مع المشايخ، وحفظ حرمتهم غيبة وحضوراً. وقوله (**على جبين مصاب**): الجبين ناحيةُ الجَبْهَة من مُحاذاة النَّزْعَة إلى الصُّدْغ، وهما جَبِيْنَان: عن يمين الجبهة وشمالها، قاله الأزهري وابن فارس وغيرهما، فتكون الجبهة بين جَبِيْنَيْن. وجمعه جُبُن بضمتين، مثل: بَرِيْد وبُرُد، وأَجْبِنَة مثل: أسلحة، كذا في المصباح. و(**المصاب**) قال في الصحاح: «رجلٌ مُصاب، وفي عقله صَابَة، أي: فيه طَرَفٌ من الجُنُون». وقوله

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد في المسند، باب: من حديث أسماء بنت يزيد، ٢٨٣٦٨.

(جُنَّ): بضمّ الجيم وتشديد النون، من الجَنَّة، وهي الجُنُون، وأَجَنَّه الله، بالألف، فجُنَّ هو، بالبناء للمفعول؛ فهو مجنون، كذا في المصباح. والإشارة به إلى الغافل المحجوب الذي هو منقاد لتخيلات عقله وهواه ووسواسه في جميع مدركاته ينتقل بفكره وذهنه من كون إلى كون، ولا يرى إلّا الأكوان، وهو معرض عن تجلّيات الحقّ تعالى بها، فينظرها قائمة بنفسها، متحرِّكة ساكنة بنفسها، تعطي وتمنع، وتخفض وترفع، وليس لله تعالى ذكر معها، ولا بها، ولا فيها. وما ذلك إلّا من فساد خياله، وغلبة الأوهام على عقله، ولولا أنّه صاحٍ لهذه الحالة التي هو فيها لحكمنا عليه بالجنون المطبق شرعاً، وأسقطنا عنه جميع التكاليف الشرعيّة، ولكنّه لمّا صحا لهذه الحالة الفاسدة ورسخ فيها، وصارت له عالماً مستقلاً، غيرعالم الأكوان المفتقرة إلى تأثير الرحيم الرحمن، فرض الله تعالى عليه فيها جميع التكاليف الشرعيّة، وألزمه بها على الغيب عن حضرته تعالى، الظاهرة المنكشفة في كلّ شيء مقتاً منه تعالى له، وإبعاداًعن جَنابه، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ﴾ [٥/ المائدة/ ٤١] يعني من أدناس الأغيار بمياه التجلّي والاستتار، فهذا هو المراد بالمصاب الذي جُنّ. وقوله (أبرأه): أي شفاه من دائه الذي هو فيه، قال في المصباح: «بَرَأَ من المرض يَبْرَأُ، من بابي نفع وتعب». وقال في القاموس: «بَرَأَ المريضُ يَبْرَأُ يَبْرُؤُ بُرْءاً بالضمّ وبُرُوءاً وبَرْءاً، ككَرُمَ وفَرِح بَرْءاَ وبُرْءاً: نَقِه، وأَبْرَأَهُ الله». وقوله (الرَّسم): بلام العهد الذكري، أي: الرسم المذكور الذي رسمه ذلك الراقي على جبين المصاب المذكور، فظهر نور يتلألأ في وجهه، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [٤٨/ الفتح/ ٢٩] أي: الفناء في الله بمشاهدة نور وجوده تعالى على كلّ شيء، كما قال الشيخ عبد الكريم الجيليّ في قصيدته العينيّة المشهورة:

واسجد أي افْنَ وافْنَ عن الفنا ... واسجد لأخرى والمتيّم والع[1]

وإنّما كان الرسم على الجبين ليدوم استحضار ذلك عنده في أعلى مكان منه.

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة ولله الحمد».

١٧ - وَفَوْقَ لِوَاءِ الجَيْشِ لَوْ رُقِمَ اسْمُهَا لَأَسْكَرَ مَنْ تَحْتَ اللِوَا ذَلِكَ الرَّقْمُ

(وفوق لواء): الجيش بالمدّ، قال في المصباح: «لِوَاءُ الجيش: عَلَمُهُ، وهو دون الراية، والجمع: أَلْوِيَة». وقال في القاموس: «واللِواء، بالمدّ: العَلَم، وجمعه: أَلْوِيَة، وأَلْوَاه: رَفَعَه. و(الجَيْشُ): الجُنْد، أو السائرون لِحَرْب أو غيرها». أشار بلواء الجيش إلى الطريقة المنشورة لكلّ شيخ من مشايخ الصوفيّة، الكاملين المحقِّقين التي يمشي تحتها المريدون السالكون في حرب نفوسهم لقطع مسافاتها إلى معرفة ربّهم، كما أنّ لواء جيش القادريّة الذي رفعه شيخنا العارف بالله تعالى عبد القادر الكيلانيّ قدّس الله سرّه للمريدين السالكين على طريقته هو الذلّ والانكسار، ولواء جيش المحيويّة الذي رفعه شيخنا العارف بالله تعالى، الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، قدّس الله ، سرّه للمريدين السالكين على طريقته هو العلم النافع، والعمل الرافع. ولواء جيش الشاذليّة/ [٣٥٤/ ب] الذي رفعه العارف الكامل أبو الحسن الشاذليّ، قدّس الله ، سرّه للمريدين السالكين، على طريقته هو: ترك التدبير حتّى صنّف في طريقه ذلك تلميذ تلميذه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندريّ، قدّس الله سرّه، كتابه الذي سمّاه «التنوير في إسقاط التدبير». وهكذا كلّ شيخ له طريقة خاصّة هي لواؤه المنشور، وعلمه المشهور. وقد أشار إلى نحو ذلك الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد التونسي المعروف برزّوق، قدّس الله سرّه. وهو شاذلي الطريقة في كتابه «قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة»، قال: «قاعدة تعدّد وجوه الحسن يقضي بتعدّد وجوه الاستحسان، وحصول الحسن لكلّ مستحسن، فمن ثمّة كان لكلّ فريق طريق، فللعامِّي تصوّف حوته كتب المحاسبيّ ومن نحا نحوه. وللفقيه تصوّف رامه ابن الحاجّ في مدخله. وللمحدّث تصوّف حام حوله أبو بكر بن العربي في سراجه. وللعابد تصوّف دار عليه الغزاليّ في منهاجه. وللمترِيِّض تصوّف نبّه عليه القشيري في رسالته. وللناسك تصوّف حواه القوت والإحياء. وللحكيم تصوّف أدخله الحاتمي؛ وهو

الشيخ الأكبر في كتبه. وللمنطقيّ تصوّف نحا إليه ابن سبعين في تآليفه. وللطبائعي تصوّف جاء به البونيّ في أسراره. وللأصوليّ تصوّف قام به الشاذليّ في تحقيقيه؛ فليعتبر كلّ بأصله من محلِّه. وبالله التوفيق. ثمّ قال «قاعدة في اختلاف المسالك راحة للسالك، وإعانة له على ما أراد من بلوغ الأرب، والتوصّل للمراد؛ فلذلك اختلفت طرق القوم، ووجوه سلوكهم؛ فمن ناسك يؤثر الفضائل بكلّ حال، ومن عابد يتمسّك بصحيح الأعمال. ومن زاهد يفرّ من الخلائق. ومن عارف يتعلّق بالحقائق. ومن ورع يتحقّق المقام بالاحتياط. ومن متمسِّك يتعلّق بالقوم في كلّ مناط، ومن مريد يقوم بمعاملة البساط. والكلّ في دائرة الحقّ بإقامة الشريعة، والفرار من كلّ ذميمة وشنيعة». ثمّ قال قاعدة: «لا يلزم من اختلاف المسالك اختلاف المقصد؛ بل قد يكون متّحداً مع اختلاف مسالك كالعبادة، والزهادة، والمعرفة، مسالك لقرب الحقّ على سبيل الكرامة، وكلّها متداخلة؛ فلا بدّ للعارف من عبادة، وإلّا فلا عبرة بمعرفته إذا لم يعبد معروفه، ولا بدّ له من زهادة، وإلّا فلا حقيقة عنده إذا لم يعرض عمّا سواه، ولا بدّ للعابد منهما؛ إذْ لا عبادة إلّا بمعرفة، ولا فراغ للعبادة إلّا بزهد كذلك، إذْ لا زهد إلّا بمعرفة، ولا زهد إلّا بعبادة. والادّعاء بطالة. نعم، من غلب عليه العمل فعابد، أو الترك فزاهد، أو النظر لتصريف الحقّ فعارف. والكلّ صوفيّة، والله أعلم». ثمّ قال قاعدة: «لا بدّ من معرفة عبادة وزهادة لكلّ عابد وعارف وزاهد؛ ولكن من غلب عليه طلب العمل كان عابداً، ومعرفته وزهده تبع لعبادته. ومن غلب عليه ترك الفضول كان زاهداً. وعبادته ومعرفته تبع لزهده. ومن غلب عليه النظر للحقّ بإسقاط الخلق كان عارفاً. وعبادته وزهده تبع لأصله. فالنسب تابعة للأصول، وإلّا فالطرق متداخلة. ومن فهم غير ذلك فقد أخطأ. نعم يخفف الأمر، ويقوى بحسب البساط. والله أعلم. قاعدة ضبط النفس بأصل يرجع إليه في العلم، والعمل لازم لمنع التشعّب والتشغّب، فلزم الاقتداء بشيخ قد تحقّق اتّباعه للسنّة، وتمكّنه من المعرفة ليرجع إليه فيما يرد أو يراد، مع التقاط الفوائد

الراجعة لأصله من خارج، إذ الحكمة ضالّة المؤمن، وهو كالنحلة ترعى كلّ طيّب ثمّ لا تنبت غير جَبْحِها، والجَبْحُ بالجيم والباء الموحّدة والحاء المهملة، ويثلّث: خلية العسل. وجمعه أَجْبُح وأَجْبَاح، كذا في القاموس. وإلّا لم يُنتفع بعسلها، وقد تشاجر فقراء الأندلس من المتأخّرين في الاكتفاء بالكتب من المشايخ، ثمّ كتبوا للبلاد فكلّ أجاب على حسب فتحه. وجملة الأجوبة دائرة على ثلاثة،/ [٣٥٥/أ] وهي النظر للمشايخ، فشيخ التعليم تكفي عنه الكتب للَبيب حاذق، يعرف موارد العلوم. وشيخ التربية تكفي عن الصحبة لديِّنٍ عاقل ناصح. وشيخ الترقية يكفي عنه اللقاء والتبرّك. وأخذ كلٍّ من وجه واحد. ثمّ الثاني النظر لحال الطالب؛ فالبليد لا بدّ له من شيخ يربِّيه. واللبيب تكفيه الكتب في الترقية لكنّه لا يَسْلَم من رعونة نفسه. وإنْ وصل لابتلاء العبد برؤية سببه، الثالث النظر للمجاهدات؛ فالتقوى لا تحتاج إلى شيخ لبيانها وعمومها. والاستقامة تحتاج إلى شيخ في تمييز الأصلح منها، وقد يكتفي دونه اللبيب بالكتب ومجاهدة الكشف. والترقية لا بدّ فيها من شيخ يُرجع إليه في فتوحها كرجوعه عليه الصلاة والسلام للعرض على ورقة لعلمه بأخبار النبوّة، ومبادئ ظهورها حين فاجأه الحقّ، وهذه الطريقة قريبة من الأولى، والسنّة معها، والله أعلم. قاعدة تشعب الأصل قاض بالتشعب في الفرع، وكلّ طريق للقوم لم يرجعوا بها لأصل واحد؛ بل لأصول غير الشاذليّة؛ فإنّهم بنوها، على أصل واحد، وهو إسقاط التدبير مع الحقّ تعالى فيما دبّره من القهريات والأمريات، ففروعهم راجعة إلى اتّباع الكتاب والسنّة، وشهود المنّة، والتسليم للحكم بملاحظة الحكمة، وهذه نكتة مذاهب القوم وحولها يحومون، لكنّهم لم يصرِّحوا بوجوهها كهذه الطائفة. قاعدة مطالبة الشخص على قدر حاله، ومخاطبته بما يقتضيه وجود أصله، فلا يطالب عامّي بزائد على التقوى، وفقيه بزائد على الاستقامة، ويطالب المريد بالصدق بعد تحصيل الأوَّلَينِ. والعارف بالورع؛ فعامّي لاتقوى له: فاجر. وفقيه لا استقامة له: مقصِّر. ومريد لا صدق له: متلاعب. وعارف لا ورع له: ناقص. وأصل التصوّف دائر

على الأحسن، هذا إنْ تحررت طريقته فواجبه في الأحكام الورع، ولازمه في السنن التحفّظ. وحاله في الآداب دائر مع قلبه؛ ولذلك اختلفت أحواله فيه. فَلْيَعتَبِرْ كلٌّ في محلِّه، ولا يطالب بشيء في غير وجهه». إلى هنا كلام سيدي أحمد رزّوق الشاذلي قدّ س الله سرّه؛ فإشارة الناظم هنا قدّس الله سرّه بلواء الجيش إلى طريقة من الطرق المذكورة. وفوقيّة اللواء كناية عن ابتداء أمر المريد في أوّل سلوكه في ذلك الطريق المخصوص، وأهم ما يكون فيه، وأعلى، وأتمّ، وأكمل، وألزم، وأوجب ما يتعيّن عليه تقديمه. وقوله (لو رُقِمَ): بالبناء للمفعول. والرَّقْم الكتابة. والراقم هو الله تعالى حُذف للعلم به، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢] وذلك من مبادئ التوفيق، قال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [١١/ هود/ ٨٨] أي: ارجع بالتوبة من كلّ ذنب، وهنا شرطان في حصول التوفيق الإلهيّ؛ فالأوّل التوكّل عليه تعالى في جميع الأمور، ظاهراً و باطناً. قال تعالى:﴿ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [٧٣/ المزّمل/ ٩]. والثاني: التوبة بالرجوع إليه تعالى من ملاحظة كلّ شيء، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٢٤/ النور٣١]. وقوله (اسمها): أي المدامة المذكورة، واسمها ذاتها المسمّاة باسم من أسمائها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨٠] وبيان ذلك بأن ينظر المريد ذوقاً وإحساساً في الاسم الإلهيّ المتوجّه عليه، فيلاحظ ربّه تعالى مسمّىً به في حال دخوله تحت لوائه المذكور؛ فإنّ كان اسمه تعالى الباسط فيلاحظه في حاله ذلك، أو اسمه تعالى القابض فيلاحظه كذلك. والاسم المحيي كذلك، والمميت كذلك، والمعطي، والمانع، والخافض، والرافع، والمقدّم، والمؤخِّر، ونحو ذلك. وهي أسماء الأفعال، ومثلها الأسماء الذاتيّة كالقدير، والعليم، والمريد، ونحو ذلك.

وقوله (لَأَسْكَرَ): من سَكِرَ سَكَراً، من باب تعب، وكسر السين في المصدر لغة، فيبقى/ [٣٥٥/ ب] مثل عِنَب فهو سَكْران، وامرأة سَكْرَى. والسُّكْر اسم منه، وأَسْكَرَه الشراب: أزال عقلَه، كذا في المصباح. والمعنى: ليغيب إدراك العقل عن

الأكوان جميعها. وقوله (مَنْ): مفعول أسكر. وقوله (تحت اللِوا): بالقصر لضرورة الوزن. واللام فيه للعهد الذِكْريّ، أي: اللِواء المذكور. والذي تحت اللِواء هم المريدون الصادقون في تسليم نفوسهم لحكم طريقة شيخهم الذي التزموا طريقته، ودخلوا تحت تصرّف أمره ظاهراً وباطناً. وقوله (ذلك الرَّقْم): بلام العهد الذِّكْرِيّ، أي: الرقم المذكور. قال في المصباح: «رَقَمت الشيءَ: أَعْلَمته بعلامة تميِّزه عن غيره كالكِتابة ونحوها.

١٨ - تُهَـذِّبُ أَخْـلَاقَ النَّـدَامَى فَيَهْتَـدِي بِهَـا لِطَرِيـقِ العَـزْمِ مَـنْ لَا لَـهُ عَـزْمُ

(تُهذّب): أي تُنقّي، وتُخلّص، وتطهّر من الأدناس، يقال: هَذَبَهُ يَهْذِبُهُ هَذْباً: نَقَّاه، وأَخلَصه، وأَصلَحه، كهَذَّبَهُ ـ بالتشديد ـ ورجل مُهذّب، أي: مُطَهَّر الأخلاق، كذا في القاموس. وقوله (أَخلاقَ): جمع خُلُق، بضمّتين، وهو السجيّة والعادة التيّ انطبع عليها الإنسان بأنّ تصرّف كلّ خلق في محلّه؛ فالكرم في الخير، والبخل بالدين، والخوف من الله ، والأمن من كلّ من سواه. والرجا والطمع فيما عند الله تعالى، واليأس ممن سواه، والغضب في دين الله، والحلم على أهل الدين من عباد الله ، والصبرعلى مراد الله، والشكر لعطاء الله، وهكذا كلّ خلق ينصرف في مصرفه الذي هو له على وجه، وإنّما تكون الأخلاق ذميمة إذا صرفت في غير مصارفها، فما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [٥٩/الحشر/٩] ولم يقل تعالى: ومن يزل شحّ نفسه؛ لأن الأخلاق التي خلق عليها الإنسان لا تزول عنه أصلاً، وهي كلّها حسنة إذا صرفت في مصارفها التي وضعت لها شرعاً؛ فالشحّ بالدين والمروءة حسن، وبالدنيا قبيح. كما أنّ التكبّر على المتكبِّرين بالباطل حسن، وعلى المتواضعين قبيح. والحسد على الخير بأنْ يكون له مثله من غير أنْ يزول الخيرعن محلّه حسن. والحسد بتمنّي زوال النعمة عن الغير قبيح سواء عاد إليه مثلها أو لم يعد. وهكذا في جميع الأخلاق الإنسانيّة. وقوله (الندامى): جمع نديم. قال في المصباح: «النَّدِيم المُنَادِم على الشرب، وجمعه: نِدَام، بالكسر، ونُدَمَاء، مثل: كَرِيم وكِرام وكُرَمَاء، ويقال فيه أيضاً: نَدْمَان، والمرأة نَدْمَانَة،

وجمعها نَدَامَى». وأشار بالندامى إلى المريدين السالكين بالتقوى في دين الله تعالى.

وقوله (**فيهتدي بها**): أي بالمدامة المذكورة. والفاء للتفريع والتفصيل. وقوله (**لطريق العَزْم**):أي لمصرفه المخلوق له، وهو العزم على الخير دون الشرّ، يقال: عَزَم على الشيء، وعَزَمَهُ عَزْمَاً، من باب ضرب: عَقَدَ ضميره على فعله، وعَزَمَ عَزيمة وعَزْمَة: اجتهد وجَدَّ في أمره، كذا في المصباح. والعزم على الأمور خُلُق من الأخلاق للإنسان، وطريقة مصرفه المعين له شرعاً، وهو الخير وترك الشرّ. وقوله (**من لا له عزم**): من فاعل يهتدي، وجملة له عزم من المبتدأ المؤخّر، والخبر المقدّم صلة الموصول، والعائد ضمير له. والمعنى في ذلك: إنّه يصل إلى طريق العزم بشرب هذه المدامة المذكورة. الإنسان الذي لا عزم له معتبر شرعاً في الخير؛ ولهذا نكّره لتعظيمه. وإلّا فلا يخلو الإنسان عن عزم على شيء، وكأنّ عزمه على الباطل عدم لا اعتبار له.

١٩ - وَيَكْـرُمُ مَـنْ لَمْ يَعْـرِفِ الجُـودَ كَفُّـهُ   وَيَحْلُـمُ عِنْـدَ الغَـيْظِ مَـنْ لَا لَـهُ حِلْـمُ

(**ويَكْرُمُ**): كَرُمَ الشيءُ كَرَمَاً: نَفُسَ وعَزَّ، فهو كريم. وقوم كِرَام وكُرَمَاء، وامرأة كَريمة، ونساء كَرائِم وكَريمات، كذا في المصباح. وقوله (**من لم يعرفِ الجُودَ**): بالنصب مفعول مقدّم ليعرف. وقوله (**كَفُّهُ**): بالرفع، فاعل يعرف. ومعنى ذلك: أنَّ الرجل الذي كفّه لا يعرف/ [٣٥٦/ أ] الجود أصلاً بأنّ كان مسرفاً، أو بخيلاً يصير كريماً جواداً بسبب شربه لهذه المدامة المذكورة. والجود مصدر جاد الرجل يَجُود، من باب قال، جُوْداً بالضمّ: تكرَّم، فهو جَوَاد، والجمع: أَجْواد، ونِساء جُوْد. وجاد بالمال: بَذَلَه، وجاد بنفسه: سَمَحَ بها عند الموت، كما في المصباح. وقوله (**ويَحْلُم**): بضمّ اللام، من حَلُم بالضمّ حِلْمَاً بالكسر: صَفَحَ وسَتَرَ، فهو حليم، كذا في المصباح. وقوله (**عند الغيظ**): هو الغَضَب المحيط بالكَبِد، وهو أشدُّ الحَنَق. وفي التنزيل: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ [٣/ آل عمران/ ١١٩] وهو مصدر من غاظه الأمر، من باب سار، ولا يكون الغيظ إلّا بوصول مكروه إلى المغيظ. وقد يُقام الغيظ مقام الغضب في حقّ الإنسان، فيقال: اغتاظ من لا شيء كما يقال: غَضِب من لا شيء، وكذا عكسه، كما في المصباح. والمعنى في ذلك: إنّ الحِلْم المعتبر شرعاً عند

الغيظ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [٣/آل عمران/ ١٣٤] وقوله (مَنْ): فاعل يحلم. وقوله (لا له حلم): يعني من ليس له حِلْم معتبر، فيصير له حِلم معتبر شرعاً بسبب شربه من المدامة المذكورة.

٢٠- وَلَـوْ نَـالَ فَـدْمُ القَـوْمِ لَـثْمَ فِـدَامِها لَأَكْـسَبَهُ مَعْنَـى شَـمَائِلِهَا اللَّـثْمُ

(ولو نال): يقال نِلْتُهُ أَنِيلُهُ وأَنَالُهُ نَيْلاً ونَالاً ونَالَةً: أَصَبْتُهُ، وأَنَلْتُهُ إيّاه، وأَنَلْتُ له ونِلْتُهُ، والنَيْلُ والنائِل: ما نِلْتَهُ، كذا في القاموس. وقوله (**فَدْمُ القومِ**): بفتح الفاء وسكون الدال المهملة، رجلٌ فَدْمٌ: بَيِّن الفَدَامَة والفُدُومَة، أي: بعيد الفهم غير فطن، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «الفَدْمُ العَيِيّ عن الكلام في ثِقَلٍ ورَخَاوَة، وقِلَّة فَهْم، والغَلِيظ الأحْمَق الجافي. والمعنى في (**فَدْمُ القوم**): الجاهل الغافل المحبّ للقوم الصالحين، المتولِّع باعتقاد أهل المعرفة الكاملين كيفما كان، قال صلّى الله عليه وسلّم: «المرء مع من أحبّ»[1] وقال تعالى في أصحاب الكهف: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٌ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٌ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٢] فقد ذكر معهم الكلب ثلاث مرّات، وهو باق على صفته الكلبيّة، لأنّه كما قال تعالى: ﴿وَكَلۡبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِ﴾ وهو فناء الكهف. وقيل الوصيد: الباب، وقيل: العتبة، وهو كلب مرّوا به فتبعهم، فطردوه، وأنطقه الله تعالى، فقال: أنا أحبّ أحبّاء الله تعالى، فناموا وأنا أحرسكم. ذكره البيضاوي في تفسيره. وكذلك فَدْم القوم ملحق بهم، مذكور معهم في حضرة الحقّ تعالى وإنْ كان كلباً متكالباً على الدنيا، متنجساً بنجاسات المحرّمات، قبيحاً بقبائح الذنوب والمعاصي، لكنّه مؤمن بوعد الله تعالى ووعيده، مصدّق بالدين الحقّ، محبّ لأولياء الله تعالى، معتقد فيهم الولاية الكاملة على القطع واليقين، من غير شبهة عنده في ذلك، ولا شكّ له، ولا تردد عنده، يحرسهم

---

(١) انظر تخريجه ص٥٦٣.

بالردّ عنهم، وحماية أعراضهم وأديانهم من طعن الطاعنين، وتنقيص المنكرين؛ فهو رفيقهم في الدنيا والآخرة كما ورد أنّ كلب أصحاب الكهف يدخل الجنّة. وقوله (**لَثْمَ**): بالنصب مفعول نال، واللَّثْمُ مصدر لَثِم فاها، كسمع وضرب: قبَّلَهَا، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «لَثمتُ الفمَ لَثْماً من باب ضرب: قَبَّلْتُه، ومن باب تعب لغة». وقوله (**فِدامها**): أي المدامة المذكورة. والفِدام بالفاء والدال المهملة، ككتاب وسحاب وشَدَّاد وتَنُّور: شيء يشده العجم والمجوس على أفواهها ـ أي أفواه كؤوس الخمرة ـ عند السقي والمصفاة، كذا في القاموس. يكنِّي بالفِدام عن غطاء المدامة المذكورة، وهو حجابها الذي تحتجب به عن العقول البشريّة، وهو العقل الإنسانيّ؛ فإنّه فدامها في حالة الجهل بها. وهو مصفاتها في حالة العلم بها. ويكنِّي بلثم ذلك الفدام عن العلم بالتجلّي والاستتار، ومعرفة ذلك في كلّ شيء. وقوله (**لأَكْسَبَهُ**): أي لأَكْسَبَ ذلك الفَدْم المذكور، يقال : كَسَبْتُ/ [٣٥٦/ ب] زيداً مالاً وعِلماً: أي أَنَلْتُه، قال ثعلب: وكلّهم يقول: كَسَبَكَ فلانٌ خيراً إلّا ابنَ الأعرابي؛ فإنّه يقول: أَكْسَبَك، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «كَسَبَ: أصاب، وكَسَبَهُ: جَمَعَهُ، وـ فلاناً مالاً: كأَكْسَبَهُ إيّاه، فَكَسَبَه هو». وقوله (**معنى شمائلها**): أي أخلاقها وصفاتها. والضمير للمدامة المذكورة، قال في الصحاح: «الشمائل الخلق». وكنّى بمعنى شمائلها عمّا يظهر في العبد من معاني الأخلاق الإلهيّة، والصفات والأسماء الربّانيّة الذاتيّة والفعليّة؛ فإنّ للعبد مثل ذلك، ولهذا ورد في الحديث «إنّ الله خلق آدم على صورته»[1] لكن الذي ظهر في العبد من ذلك معنى تلك الأخلاق والصفات والأسماء، وذلك صورها دون حقائقها القديمة؛ ولهذا قال: معنى شمائلها. ولم يقل: شمائلها. حتّى يفنى العبد، وتفنى معانيه كلّها؛ فتظهر شمائلها على الحقيقة. وتشرق بأنوارها صفات تلك الرقيقة. وقوله (**اللثم**): فاعل أكسبه، واللام للعهد الذكري، أي: ذلك اللثم المذكور.

---

(١) انظر تخريجه ص٧٥٩.

٢١- يَقُوْلُوْنَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَبِيْرٌ أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ

٢٢- صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوا وَنُورٌ وَلَا نَارُ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمُ

(**يقولون**): أي المحجوبون عنها، الطالبون لها، الراغبون في معرفتها، ظناً منهم بأنّها تحصل لهم بمجرّد وصفها، وانطباع ذلك الوصف في خيالهم كما تحصل لهم معرفة ما يريدون من الأكوان بانطباع صورته في الخيال، والأمر الإلهيّ أعلى من ذلك وأنزه، فتستحيل عليه الصورة من حيث هو، وله صورة كلّ شيء بعد معرفة تنزّهه عن صورة كلّ شيء. وقوله (**لي صفها**): أي اذكر لنا صفاتها التي تعلّق كشفك ووجدانك بها لنعلمها فنعرفها كما عرفتها أنت، ونجدها على الوصف الذي وجدتها أنت؛ فإنّ المعرفة الوجدانيّة هي المطلوبة والمرغوب فيها، لا المعرفة الخياليّة التصوريّة التي تتصورها العقول بأفكارها؛ فإنّها معرفة عاميّة، تحصّلها أهلها بالدليل والبرهان، أو التقليد والإذعان، وإنْ اكتفى بها شرعاً في مقام الإيمان دون مقام الإحسان. وقوله (**فأنت بوصفها خبير**): أي ذو علم مستفاد الاختبار، يقال: خَبَرْتُ الشيءَ أَخْبُرُهُ، من باب قتل خُبْراً: عَلِمْتُه، فأنا خَبير به كذا في المصباح. والخِبْر والخِبْرَة، بكسرهما، ويُضمّان، والمَخْبَرَة والمَخْبُرَة: العِلْم بالشيء كالاخْتِبَار والتَخَبُّر، وقد خَبُرَ ككَرُم، كما في القاموس.

وقوله (**أَجَلْ**): بفتح الهمزة، وفتح الجيم وسكون اللام، أي: نعم، قال في الصحاح: «وقولهم أجلْ إنّما هو جواب مثل نَعَمْ. قال الأخفش: إلّا أنّه أحسن من نَعَمْ في التصديق، ونَعَمْ أَحْسَنَ منه في الاستفهام، فإذا قال: أنت سوف تذهب. قلتَ: أَجَلْ. وكان أحسن من نعم. وإذا قال: أتذهب؟. قلت: نعم. وكان أحسن من أجل، فهي هنا في كلام الناظم قدّس سرّه أحسن من نعم؛ لأنّ الكلام تصديق، وليس باستفهام. وقوله (**عِندي بأوصافها عِلْمُ**): أي بأوصاف المدامة المذكورة من حيث ظهورها لي، ومعرفتي بها، ووجداني إيّاها ذوقاً وكشفاً بحسب استعدادي لقبول فيضها، وتلقي مددها، لا من حيث هي في ذاتها على ما هي

عليه؛ فإنّها من هذه الحيثيّة لا يعلم بها غيرها، ولا يدركها سواها. ثمّ قال في أوصافها (صَفَاءٌ): أي هي صفاء مجرد عن الكثافة، يقال: صَفَا صُفُوّاً، من باب قَعَدَ، وصَفَاءً: إذا خَلَصَ من الكَدَر فهو صافٍ. وصَفَّيْتُه من القَذَى تَصْفِيَةً: أَزَلْتُه عنه، كذا في المصباح. ثمّ قال (ولا ماء): أي لا كثافة ماء فيها. ثمّ قال (ولُطْفٌ): من لَطُفَ الشيءُ، فهو لَطِيف، باب قَرُبَ: صَغُرَ جسمه، وهو ضد الضخامة، والاسم اللَّطَافَة، كما في المصباح. وقال الراغب: «اللطيف إذا وصف به الجسم فضدّ الجَثْل، شجرة جَثْلَة: إذا كانت كثيرة الورق، ضخمة. ويعبّر باللطافة عن الحركة الخفيفة، وعن تعاطي الأمور الدقيقة. وقد يعبّر باللطيف عمّا لا تدركه الحاسّة، ويصحّ أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه. وأنْ يكون لعلمه بدقائق الأمور وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم، قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١٩]» وقال بعد/ [٣٥٧/ أ] ذلك: ولا هو، أي: هواء بالمدّ، وقصر لضرورة الوزن، أي: ليس لها كثافة الهواء أيضاً، ولا كدورته. ثمّ قال (ونور ولا نار) النور: الضوء، وهو خلاف الظلمة، والجمع: أنوار، وأنار الصُّبح إناره: أضاء، كما في المصباح. ونفى عن ذلك النور كثافة النار وكدوراتها. ثمّ قال (وروح ولا جسم): أي هي روح مجرّد عن علاقة الجسميّة، قال في المصباح: «ومذهب أهل السنّة أنّ الروح هو النفس الناطقة المستعدّة للبيان وفهم الخطاب، ولا تفنى بفناء الجسد. وأنّه جوهر لا عَرَض، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٦٩] والمراد هذه الأرواح». وقال في القاموس: «الرُّوح بالضمّ ما به حياة الأنفس، ويُؤنّث. والقرآن، والوحي، وجبريل، وعيسى، عليهما السلام، والنفخ، وأمر النبوّة، وحكم الله تعالى، وأمره، ومَلَكٌ وَجْهُهُ كَوَجْهِ الإنسان وجسده كالملائكة». والحاصل: إنّ أوصاف هذه المدامة باعتبار تجلِّي حقيقتها الغيبيّة عليه ظاهرة له بأربعة أوصاف: الصفاء، واللطف، والضياء، والروح؛ فهي روح مجرّدة عن الماء، والهواء، والنار، والتراب، بعيدة عن كثافات العناصر الأربعة وإنْ ظهرت متلبّسة بها، حاملة للجسم العنصري المركّب

منها، وهي أمر الله تعالى الظاهر بصورة الروح، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وأمر الله قيّوميّته على جميع العوالم، وليس بيد العبد المخلوق من المعرفة بربّه غير التحقّق بروحه المنفوخة فيه عن الأمر الربّانيّ، فمن تحقّق بروحه تحقّق بأمر ربّه، ومن تحقّق بأمر ربّه تحقّق بربّه، وهو قدر استعداده، لا هذا هو الأمر في نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١] وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

ونـدرك منهـا في كـمال شـهودنا ... كما يدرك الخفّاش من باهر الشمس

وله أيضاً من أبيات أخرى له:

مـا قلتـه قلـت عنّـي ... فـلا أرى القـول يغنـي

هيهـات أدرك ذاتـاً ... إلـيَّ أقـرب منّـي

وللشيخ العارف الكامل أحمد الرفاعي قدّس سرّه:

يـسائلني عـن سرّ لـيلى رددتـه ... بعميـاء مـن لـيلى بغـير يقـين

يقولـون خبرنـا فأنـت أمينهـا ... ومـا أنـا إنْ خـبّرتهم بـأمين

وإنّما كان كذلك، لأنّه إنّما يخبرهم بقدر استعداده في المعرفة الربّانيّة، والحقّ تعالى عنده أعلى وأنزه.

٢٣- تَقَـدَّمَ كُـلَّ الكَائِنَـاتِ حَـدِيْثُهَا[1] ... قَـدِيماً وَلَا شَـكْلٌ هُنَـاكَ وَلَا رَسْـمُ

(تقَدَّم): أي سبق سبقاً ذاتياً لا زمانيًا إذْ الزمان من جملة الكائنات. وقوله **(كلَّ الكائنات)**: مفعول تقدّم. والكائنات: جمع كائنة، وهي المخلوقات. وقوله **(حديثُها)**: أي حديث هذه المدامة المذكورة، فاعل تقدّم. والحديث ما يُتحدَّث به ويُنقل، ومنه حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، كذا في المصباح. وقال في

(١) في (ق): وجودها.

القاموس: «الحَدِيث الخَبَر، وجمعه أحَادِيث. والمُحادَثَة: التحادث». والمَعْنيّ هنا بالحديث: الكلام النفسيّ الإلهيّ الذي ليس من جنس الحروف والأصوات المخلوقة. ولا شكّ أنّه صفة من صفات الله تعالى؛ ليس عين ذاته، ولا غيرها يتعلّق بطريق الإظهار والإبداء بكلّ ما تعلّق به العلم الإلهيّ، فصفة العلم الإلهيّ كاشفة العالم نفسه أزلاً وأبداً عن كلّ معلوم واجب، وهو ذاته تعالى، وصفاته، وأسماؤه، وأفعاله، وأحكامه، وكلّ معلوم ممكن، وهو جميع منفعلاته تعالى، ومخلوقاته ما كان وما يكون، وما هو كائن إلى الأبد على هذا الترتيب الذي عليه كلّ ممكن منها، وصفة الكلام الإلهيّ كاشفة للمعلومات الإلهيّة عمّا في العلم الإلهيّ على حسب ما يشاء تعالى ويريد/ [٣٥٧/ ب] وقوله (**قديماً**): حال من حديثها؛ فإنّ رتبة العلم متقدّمة على رتبة المعلومات تقدّماً ذاتيّاً، لا زمانيّا أيضاً. وإنْ كان الكلّ قديماً فإنّ الممكنات إمكانها ذاتيّ من نفسها. وهي كلّها معدومة في الأزل، مرتّبة على هذا الترتيب الذي هي عليه، وقد كشف عنها العلم الإلهيّ أزلاً، وتعلّقت بها صفة الكلام الإلهيّ في الأزل، فظهرت بالوجود الحقّ على حسب حدودها ومقاديرها وترتيبها الذي هي عليه؛ ولهذا كان العلم الإلهيّ تابعاً للمعلومات الممكنة المعدومة أزلاً في حضرة العلم الإلهيّ، والمعلومات على ما هي عليه تابعة للكلام الإلهيّ أزلاً في حضرة الإيجاد المحدث لها، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٠]؛ فالحقّ تعالى له القول، وهو الكلام، قال سبحانه: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٣] وقال تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [١٤/ مريم/ ٣٤] وخصّ عيسى عليه السلام لغلبة شهود ذلك عليه، وفناء ما عداه عنده. وقوله (**ولا شكل هناك**): أي في تلك الحضرة الأزليّة، حضرة العلم الإلهيّ، والكلام الإلهيّ؛ وإنّما الشكل في عالم الكون. وكذلك قوله (**ولا رسم**): قال في المصباح: «الشَّكْل المِثْل، يقال: هذا شكل هذا، والجمع: شُكُول، مثل: فَلْس وفُلُوس، وقد يُجمع على

أَشكال. ويقال: إنّ الشَّكْل الذي يُشاكِل غيره في طبعه، أو وصفه من أنحائه، وهو يُشاكِلُه، أي: يشابهه». و(الرسم): الأثر، والجمع: رُسُوم وأَرْسُم، مثل: فَلْس وفُلُوس وأَفْلُس. والمعنى في ذلك: إنّ الأشكال جميعها، والرسوم هي أعيان الممكنات، وهي المخلوقات كلّها حادثة، ليس شيء منها له وجود حضرة العلم الإلهيّ والكلام الإلهيّ؛ بل هي كلّها معدومة في هاتين الحضرتين، وإنّما هي موجودة بالإيجاد الإلهيّ الكلاميّ بطريق إشراق الوجود الحقّ عليها، وهي الآثار الكونيّة بمنزلة الظلّ عن الشاخص، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] أي: الظلّ الذي هو الكائنات، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ﴾ أي: شمس الوجود الحقّ. ﴿عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥-٤٦] أي: أرجعناه إلى حضرة كلامنا وعلمنا كما هو كذلك ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٦] فيزول عنه إشراق الوجود الكلاميّ، ويعود معدوماً كما هو كذلك في نفسه. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى أنْ قال سبحانه: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٥] والسجود: الفناء والاضمحلال. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «السلطان العادل ظلّ الله في الأرض»[1] أي: مكشوف له أنّه أثرعن الكلام الإلهيّ، والعلم الإلهيّ، كما ذكرنا. وقال صلّى الله عليه وسلّم: « سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه»[2] وفي رواية: «في ظلّ عرشه» أي: يكشف لهم ببركة أعمالهم الصالحة عن كونهم آثاراً عنه تعالى، أو آثاراً عن الأثر الذي هو عرشه. فيتحقّقون بمعرفته تعالى المعرفة الذوقيّة الكشفيّة بعد ما كانوا في المعرفة الخياليّة العقليّة التي عند علماء الرسوم. وأهل العموم، أخذوها من البراهين

---

(١) ذكره السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب: المحلّى من السين، ١٣٣٤٩، بلفظ: السلطان العادل المتواضع ظلّ الله ورمحه في الأرض، ويرفع للوالي العادل المتواضع في كلّ يوم وليلة عمل ستين صدّيقاً، كلّهم عابد مجتهد. وقال أخرجه الديلمي عن أنس.

(٢) انظر تخريجه ص٨٢١.

والأدلّة العقليّة، أو التقليد لبعضهم بعضاً. ولنا شرح مستقلّ على هذه الأبيات السبعة المتوالية التي هذا البيت أوّلها، وهو قوله (تقدَّم كلّ الكائنات .. إلى آخره). سمّيناه لمعة النور المضيئة شرح الأبيات السبعة من الخمريّة»... وكان ذلك بإشارة بعض العلماء المحقّقين من شيوخنا رحمهم الله تعالى.

٢٤- وَقَامَتْ بِهَا الأَشْيَاءُ ثَمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا احْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَهْمُ

(وقامت): أي ثبتت وتعيّنت من غيروجود لها في نفسها، وإنّما ثبوتها وتعينها بالوجود العلميّ الإلهيّ، والوجود الكلاميّ الإلهيّ، كوجود النخلة في النواة، ومنه سمّي تعالى الحيّ القيّوم أزلاً وأبداً، كما سمّي خالقاً ورازقاً، ونحو ذلك من الصفات الذاتيّة والفعليّة القديمة الأزليّة. وقوله (بها): أي بالمدامة المذكورة. وقوله (الأشياء): فاعل قامت، جمع شيء، وهو كلّ معقول ومحسوس وموهوم. وقوله (ثَمَّ): بفتح الثاء المثلثة وتشديد الميم، أي: هناك إشارة إلى حضرة قيّوميّتها على الممكنات، كما ذكرنا. وقوله (لِحِكْمَةٍ): أي لأجل حكمة يقتضيها العلم الإلهيّ، والكلام الإلهيّ. قال في القاموس: «الحِكْمَة بالكسر: العَدْل، والعِلم والحِلْم والنُبوّة/ [٣٥٨/ أ] والقرآن، والإنجيل. وأَحْكَمَه أَتْقَنَه فَاسْتَحْكَم، ومَنَعَه عن الفساد». والمعنى هنا العدل؛ لاستحالة الظلم عليه تعالى، قال في القاموس: «العَدْل ضِدّ الجَوْر، وما قام في النفوس أنّه مستقيم». وهذا إشارة إلى علمه تعالى بالأشياء الممكنة العدميّة على ما هي عليه كاشف لها، فهو تابع لها، لا يظهر منها بكلامه القديم إلّا ما هي عليه في كشف علمه القديم فلله الحجّة البالغة، كما قال سبحانه، وقوله تعالى بعده: ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٤٩] أي: لو كنتم في إمكانكم العدمي مهتدين لعلمكم كذلك مهتدين لكنتم في حضرة كلامه تعالى القديم، مهتدين لهداكم أجمعين في عالم إيجادكم، وتأثيره فيكم، ولكنكم لستم كذلك في عالم إمكانكم العدميّ، فلستم كذلك في حضرة علمه الأزليّ، فلستم كذلك في حضرة كلامه القديم؛ ولهذا ظهرتم في عالم إيجادكم، وتأثيره فيكم منكم

المؤمن، ومنكم الكافر، ومنكم العاصي، ومنكم المطيع إلى غير ذلك، وكذلك كلّ شيء. وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٣٥- ٣٦]. والإشارة إلى الحضرة العلميّة، أو الكلاميّة، أو الإمكانيّة العدميّة. وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [٩٣/ الضحى/ ٧] أي: ضالًّا، ثمّ مهتدياً، فهداك. ولعلّه الضلال المحمود؛ وهو الحيرة في عظمة الله تعالى وجلاله، وهكذا في كلّ تغيير وتبديل أوجد تعالى الشيء هكذا في الأزل متغيِّراً متبدِّلاً في عالم إمكانه كذلك، فتكلّم به كذلك، فأوجده كذلك؛ فالفاعل للأفعال الحسنة أو القبيحة شرعاً فاعل حقيقي في عالم إمكانه العدمي، ثمّ حضرة العلم الإلهيّ؛ فحضرة الكلام الإلهيّ، فعالم الإيجاد والتأثير، فهو الظالم لنفسه قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [١١/ هود/ ١٠١]. ومن هنا أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وجاءت الشرائع والأديان ليتميّز الخير من الشرّ، والحقّ من الباطل، ولا جبر في نفس الأمر؛ لأنّ العبد مختار مريد للخير أو للشرّ في عالم إمكانه، ثمّ في حضرة علم الحقّ تعالى، وحضرة كلامه، ثمّ في عالم إيجاده تعالى له، وتأثيره فيه، كما أنّ العبد لا قدرة له مؤثرة في أفعاله أصلاً؛ فلا يقدر أنْ يوجد شيئاً لم يوجده الحقّ تعالى. ولا يقدر أنْ يعدم شيئاً لم يعدمه الله تعالى؛ لأنّ الوجودليس له، وإنّما هو وجود الله تعالى الحقّ، ولا وجود لكلّ ما سواه إلا بطريق إيجاده تعالى، وتأثيره وحده، لا وجود لشيء معه سواه. والإيجاد للأشياء إشراق نور الوجود الحقّ عليها بإرادته تعالى، ومشيئته على مقتضى علمه، وتقديره، وقضائه أزلاً، وتوجّه كلامه القديم. فاغتنم أيّها السالك المنصف هذا المبحث هنا من لباب المعرفة بالله العليّ الكبير. وقوله (**بها**): أي بتلك الحكمة المذكورة، أو بالمدامة المذكورة نفسها، أو بالأشياء نفسها. وقوله (**احتجبت**): أي استترت، قال في المصباح: «حَجَبَه حَجْباً، من باب قتل: منعه، ومنه قيل للستر حجاب، لأنّه يمنع المشاهدة. وقيل للبوّاب حاجِب؛ لأنّه يمنع من الدخول،

والأصل في الحِجَاب: جسم حائل بين جسدين، وقد استُعمل في المعاني، فقيل: «العَجْز حِجَاب بين الإنسان ومراده، والمعصية حِجَاب بين العبد وربّه» والضمير في احتجّبت للمدامة المذكورة، أو للحكمة لخفائها، أو للأشياء نفسها. وقوله **(عن كلّ من)**: أي إنسان موصوف بأنّه كما قال **(لا له فهم)**: أي لافهم له، بفتح الفاء وسكون الهاء، قال في القاموس: «فَهِمَهُ كفَرِح فَهْماً، ويُحرَّك، وهي أفصح، وفَهَامَة وفَهَامِيَة: عَلِمَه، وعَرَفَه بالقلب، وهو فَهِم ككَتِف: سريع الفهم». وقال في المصباح: «فَهِمْتُه فَهَماً، من باب تَعِبَ، وتسكين المصدر لغة. وقيل: الساكن اسم للمصدر: إذا عَلِمتَه». والإشارة بمن لا فهم له إلى المحجوبين بأنفسهم عن شهود ربّهم، فإذا احتجبوا أنكروا مالم يفهموه من كلام/ [٣٥٨/ ب] العارفين بربّهم، فأنكروا على العارفين بسبب ذلك، ورموهم بالعظائم والقبائح، وكفَّروهم، والله بكلّ شيء بصير: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٤٢] الآية. وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدّس الله سرّه:

إذا علم الله الكريم سريرتي ... فلست أبالي من سواه إذا سخط

وقد صحّ عندي منزلي من مهيمني ... فلست أبالي من دنا اليوم أو شحط

فيا عجباً من عارف قال إنّه ... تولّع حبّاً بالإله ولم يمط

سوى ربّه عنه وساءت ظنونه ... بنا فمتى يدرك فيستدرك الغلط

إذا كان من أبدى التحنّي بجانبي ... يغيّره قول الوشاة فقد سقط

ولكنّ ربِّي قد أتى فأتيته ... وقلت لسرِّي حسبك المنتهى فقط

ولا تلتفت من ظن سوءٍ بنا ولا ... تعرّج عليه واعف عن شيء فرط

وقال أيضاً قدسّ الله سرّه:

خُصصت بعلم لم يخصّ بمثله ... سواي من الرحمن ذي العرش والكرسي

وأُشهدت من علم الغيوب عجائباً ... تصان عن التذكار في عالم الحسّ

فيا عجباً إنّي أروح وأغتدي غريباً وحيداً في الوجود بلا جنس
لقد أنكر الأقوام قولي وشنّعوا عليّ بعلم لا ألوم به نفسي
فلاهم مع الأحياء في نور ما أرى ولا هم مع الأموات في ظلمة الرمس
فسبحان من أحيا الفؤاد بنوره وأفقدهم نور الهداية بالطمس
علوم لنا في عالم الكون قد سرت من المغرب الأقصى إلى مطلع الشمس
تحلّى بها من كان عقلاً مجرّداً عن الفكر والتخمين والظن والحدس
وأصبحت في بيضاء مثلي نقيّة إماماً وإنّ الناس منها لفي لبس

ولقد أنصف قدّس الله سرّه، ونصح في قوله أيضاً:

إذا ما لقيت الناس فلتلقَ عاقلاً فذلك إن نازعته لا يعاقب
ولا تلقَ إنّي قد نصحتك عارفاً فمن يَلْقَه صُبّت عليه المصائب
فهذا الذي يجري بحكمة وقته ولا شكّ أنّ للوقت بالحكم طالب
فلله مكر في العباد محقّق لذلك لم تؤمن لديه العواقب
له الحكم والتحكيم في كلّ مأمن فلا يغلب المكر الإلهيّ غالب

٢٥- وَهَامَتْ بِهَا رُوْحِي بِحَيْثُ تَمَازَجَا اتّـ ـتِحَاداً وَلَا جِرْمٌ تَخَلَّلَهُ جِرْمُ[١]

٢٦- فَخَمْرٌ وَلَا كَرْمٌ وَآدَمُ لِي أَبٌ وَكَرْمٌ وَلَا خَمْرٌ وَلِي أُمُّهَا أُمُّ[٢]

(وهَامَتْ): يقال هَام يَهِيم هَيْماً وَهَيَمَاناً: أحبّ امرأة. والهُيَّام: العُشّاق المُوَسْوِسُون، والهُيَام بالضمّ، كالجُنون من العِشق، كذا في القاموس. وقوله **(بها)**: أي بالمدامة

---

(١) في (ق): بها اتّصلت روحي.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ ولله الحمد مقابلة وسماعاً على شيخنا المؤلّف حفظه الله تعالى.وقد ورد البيت في (ق):

فنفسٌ ولا خمرٌ وآدمُ لي أبٌ وخمرٌ ولا نفسٌ ولي كرمها أمُّ

المذكورة. وقوله (روحي): هي غاية ما يدرك السالك من أمر الله تعالى في تجلّيه عزّ وجلّ كما قدمناه. وقوله (**بحيث تمازجا**): أي اختلط أحدهما بالآخر، وضمير التثنية للمدامة وروحه؛ وذلك لأنّ المعدوم إذا اختلط بالموجود كاختلاط النخلة بالنواة قبل أن تظهر منها وهي معدومة فيها، ليس هو باختلاط في نفس الأمر، لأنّ شرط الاختلاط أنْ يكون كلّ من الشيئين موجوداً، وهذا ممتنع؛ إذ لا وجود لشيء مع الحقّ تعالى؛ وإنّما وجود الموجودات بوجود الحقّ تعالى، على معنى أنّه ظهور وجود الحقّ تعالى، لا وجود مستفاد من وجوده؛ لأنّه تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [١١٢/ الإخلاص/ ٤]. وقوله (**اتّحاداً**): أي صارا شيئاً واحداً كاتّحاد النخلة بالنواة قبل أنْ/ [٣٥٩/ أ] تظهر منها وهي معدومة فيها، وهو اتّحاد العالم بالمعلوم من حيث هو معلوم، لا من حيث ظهوره عنه في الخارج عن علمه. وقوله (ولا جِرْم): هو بكسرالجيم: الجسد، والجمع: أَجرام، مثل حِمْل وأحمال، كذا في المصباح. وقوله (تخلَّله جِرم): من خلَّلَ الرَّجل لِحيته: أوصل الماء إلى خِلالها، وهو البَشَرَة التي بين الشعر، وكأنّه مأخوذ من تَخَلَّلْتُ القومَ إذا دخلت بين خَلَلِهِم وخِلالِهِم كما في المصباح. يعني: ليس هذا الاتّحاد مثل تخلَّل الجسم في الجسم كتخلُّل الماء في الصوفة، أو ماء الورد في الورد، بحيث لو عصر لخرج منه؛ وإنّما هو كتخلل الشجر المعدوم العين في بزره الموجود؛ فإنّ كلّ بزرة تنبت شجرة خاصّة لا تكون في بزرة أخرى غيرها من غير جنسها، وليس هذا باتّحاد ولا حلول كما شنّع به المحجوبون على أهل طريق الله تعالى العارفين به؛ فإنّ ذلك من عدم فهمهم لمعاني كلامهم، وعدم معرفتهم باصطلاحاتهم في إيراد علومهم الإلهيّة بينهم؛ فإنّ شرط معنى الاتّحاد والحلول أن يكون موجوداً يتَّحِد، أو يحل في موجود آخر كما قدمناه. وهنا ليس الأمر كذلك.

وقوله (**بعده فخمر**): بفاء التفريع، أي: فخمر موجود وهو المدامة المذكورة. وقوله (**ولا كَرْم**): بفتح الكاف وسكون الراء، وهو العنب، كذا في المصباح، أي:

لا كَرْم موجود. وكنّى بالكَرْم عن عوالم الإمكان، وهي المخلوقات كلّها؛ فإنّها فانية معدومة بعدمها الأصلي، والوجود الظاهرعليها هو وجود الحقّ تعالى، لاغير كما مرّ غير مرّة. وقوله (وآدم): الواو للحال، وآدم مبتدأ، وهو أبو البشر، أوّل مخلوق من هذا النوع الإنساني. وقوله (لي): جار ومجرورمتعلّق بواجب الحذف، خبر مقدّم. وقوله (أب): مبتدأ مؤخّر، والجملة خبر المبتدأ الذي هو آدم، وجملة (آدم لي أب) في محل نصب حال من الضمير في موجود، المقدّر أوّلا أو ثانيا. وتقديره خمر موجود هو في حال كون آدم أباً لي. يعني: أبوّة آدم عليه السلام لي، وبنوّتي له كائنة في عالم الإمكان على ما هي عليه في عالم الإيجاد والتأثير، وما بين ذلك في حضرة العلم الإلهيّ والكلام الإلهيّ، لم يتغير شيء من ذلك، ولم يتبدل عن النظام الظاهر، والترتيب الباهر. وقوله (وكَرْمٌ): بفتح الكاف أيضاً وسكون الراء: مبتدأ، وهو عالم الإمكان كما ذكرنا، أي: موجود. وقوله (ولا خمر): أي موجود حينئذ؛ لأنّ الوجود واحد، فإذا نُسب إلى الخمرالإلهيّ، وهو التجلّي الأمريّ الوجوديّ، لا يبقى للكرم ـ الذي هو كناية عن عالم الإمكان ـ وجود أصلاً، وإذا نُسب إلى الكرم المذكور لا يبقى للخمر المذكور وجود أصلاً. ونظير ذلك أنّه عطس رجل في مجلس الجنيد قدس الله سرّه فقال الحمد لله ، ولم يقل ربّ العالمين، فقال له الجنيد: أكملها. فقال: وما العالم حتّى يذكر مع الله؟! فقال الجنيد: «الحادث إذا قرن بالقديم لا يبقى له وجود». فاحتمل ضمير له أنْ يعود إلى الحادث، أي: لا يبقى للحادث وجود. ويكون الوجود كلّه للقديم. ويحتمل أيضاً أن يكون عائداً إلى القديم، أي: لا يبقى للقديم وجود؛ لأنّه حينئذ أضيف إلى الحادث، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] بالإضافة، وهذا في الدنيا. وقوله تعالى في الآخرة: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] والنور الحقيقيّ هو الوجود الحق. وقوله (ولي): الواو للحال، ولي جار ومجرور، صفة لأم في آخر البيت. وقوله (أمّها): مبتدأ والضمير للخمر، أي: أم المدامة

المذكورة، والأم بتشديد الميم، قال الراغب: «الأمّ بإزاء الأب، وهي الوالدة القريبة التي ولدته، والبعيدة التي ولدت من ولدته؛ ولهذا قيل لحوّاء هي أمّنا، وإنْ كان بيننا وبينها وسائط. ويقال لكلّ ما كان أصلاً لوجود شيء، أو تربيته، أو إصلاحه، أو مبدئه: أمّ، قال الخليل: لكلِّ شيء ضمّ إليه سائر ما يليه يسمّى أماً، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٤]/ [٣٥٩/ ب] أي: اللوح وذلك لكون العلوم كلّها منسوبة إليه، ومتولّدة منه، وقيل لمكّة أمّ القرى، وذلك لما روي أنّ الدنيا دحيت من تحتها». وقوله (أمّ): خبر أمّها، وتقدير الكلام: وكرم موجود، ولا خمر موجود في حال كون أمّ الخمر. بمعنى المدامة المذكورة. أُمّاً موصوفة بأنّها كائنة لي، قال تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ﴾ « فيمحو باستتاره ويثبت بتجلّيه كلّ شيء يشاؤه: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩] أصل الكتاب الذي مرجع الكتاب إليه، والكتاب: اللوح المحفوظ. وأمّه حضرة العلم الإلهيّ، أو الكلام الإلهيّ، أو الكتاب حضرة العلم الإلهيّ من قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٤] فأمّ الكتاب هي الذات الوجوديّ الإلهيّة، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كنّا حروفاً غاليات لم نُقَلْ ... متعلّقات في ذرى أعلى القلل

أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هُو ... والكلّ في هُو هُو فسلْ عمّن وصل

٢٧- وَلُطْفُ الأَوَانِي فِي الحَقِيقَةِ تَابعٌ ... لِلُطْفِ المَعَانِي والمَعَانِي بِهَا تَنْمُو[1]

(ولطف الأواني): جمع إناء وآنية، قال المصباح: الإناء والآنية: الوعاء والأوعِيَة، وزنا ومعنى». وقال في القاموس : «الإناء بالكسر معروف، وجمعه: آنية وأوانٍ». وقال الراغب: «الإناء ما يوضع فيه الشيء، وجمعه آنية، نحو كساء وأكسية،

---

(١) في (ق): تسمو.

والأواني جمع الجمع». وكنّى بالأواني عن عالم الإمكان، وهو جميع المخلوقات. وقوله (**في الحقيقة**): أي حقيقة الأمر الإلهيّ، وذلك في نظر العارف المتحقّق بربّه، دون الغافل المحجوب. وقوله (**تابع للطف المعاني**) جمع معنى. قال في القاموس: «مَعَنى الكلام، ومَعْنِيَّه ومَعْنَاتُهُ ومَعْنِيَّتُهُ واحد، من عَنَى بالقول، كذا أراده». وقال في المصباح: «وقال أبو حاتم: وتقول العامّة: لأيّ مَعْنَىً فعلتَ، والعرب لا تعرف المَعْنَى، ولا تكاد تَكَلَّم به، نَعَم قال بعض العرب: ما مَعْنِيُّ هذا، بكسر النون وتشديد الياء. وقال أبو زيد: هذا في مَعْنَاةِ ذاك، وفي مَعناه سواء، أي: مماثلته ومشابهته دلالة ومضموناً ومفهوماً. وقال الفارابي أيضاً: ومعنى الشيء ومَعْنَاتُه واحدٌ، ومَعْنَاه وفَحْواه ومَقْتَضَاه ومضمونه كلّه: هوما يدلُّ عليه اللفظ، وفي التهذيب عن ثعلب: المَعْنَى والتفسير والتأويل واحد. وقد استعمل الناس قولهم هذا مَعْنَى كلامه وشبهه، ويريدون: هذا مضمونه ودلالته، وهو مطابق لقول أبي زيد والفارابي. وأجمع النحاة وأهل اللغة على عبارة تداولوها، وهي قولهم: هذا بمَعْنَى هذا وهذا وهذا في المعنى واحد، وفي المعنى سواء. وهذا في معنى هذا، أي: مماثل له و مشابه». والإشارة بلطف المعاني هنا إلى لطف ما تدلّ عليه صور الممكنات من الحضرات الإلهيّة واالتجلّيات الربّانيّة، وهو ما لا يدركُ للعقول والحواس، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [٦/الأنعام/١٠٧] قال بعضهم في هذه الأية لف ونشر مرتّب، فإنّ قوله هو اللطيف راجع إلى قوله لا تدركه لأبصار. وقوله (**الخبير**): راجع إلى قوله (**وهو يدرك الأبصار**): وأنّه تعالى من كمال لطفه لا تدركه الأبصار، وألطف شيء في العوالم الأرواح والنور المحمّديّ، وذلك بالنسبة إليه تعالى كثيف جدّاً مثل كثافة الأجسام بالنسب إلى لطافة الأرواح. وهذا معنى أنّه تعالى لايدرك للأرواح فضلاً عن الأشباح. وذكر الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في الفتوحات المكّيّة في تقسيم المعلومات، قال: «الوجود الحقّ والعدم الصرف، لو وضعا في ميزان قام بهما على

السواء، وبينهما الممكن له وجه إلى الوجود، ووجه إلى العدم فهو يقبل كلاً / [٣٦٠/ أ] منهما على السواء بترجيح المرجّح». والمعنى هنا في البيت: إنّ المعاني الإلهيّة إذا غلبت على الكائنات كشفاً وشهوداً، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ [١٢/ يوسف/ ٢١] كان الكلّ لطيفاً، والكلّ لطيف في نفس الأمر، ولكن اقتران أحدهما بالآخر يوجب الكثافة في العقول والأبصار، قال عفيف الدين التلمساني قدّس الله سرّه:

معنى به لطف الكثيف فأصبحت	صمّ الجبال هي الغصون الميّس
وحقيقة طوت البعيد فرامه	نجد وليث الغاب ظبي أخنس
ووراء ذاك ولا أشير لأنّه	سرّ لسان النطق عنه أخرس
أمر له وبه ومنه تعينت	أعياننا ووجوده المتلبِّس

وقوله (والمعاني): أي العلوم والمعارف الإلهيّة في قلب العارف صاحب الذوق والوجدان، والكشف والعيان. وقوله (بها): أي بتلك اللطافة، قدّم الجار المجرور للحصر. وقوله (تنمو): قال في المصباح: «نَمَى الشيء يَنْمَى، من باب رمى، نَماء، بالفتح والمدّ: كَثُرَ، قال الأصمعي: وزعم بعض الناس إنْ نما يَنْمُو نُمُواً من باب قعد لغة، ويتعدّى بالهمزة». وقال في القاموس: «نَما يَنْمُو نُمُوّاً: زاد، كنَمَى يَنْمِي نَمْياً ونُمِيّاً ونَماءً ونَمِيَّة وأَنْمَى ونَمَّى». والمعنى في ذلك: إنَّ المعاني الإلهيّة تزداد باللطافة الروحانيّة، فتنزل على القلوب الطاهرة من العيوب نزول الأمطار الغزيرة من سماوات الغيوب.

٢٨- وَقَدْ وَقَعَ التَّفْرِيقُ وَالكُلُّ وَاحِدٌ فَأَرْوَاحُنَا خَمْرٌ وَأَشْبَاحُنَا كَرْمُ

(وقد وقع التفريق): الواو للحال، والجملة حال من المعاني التي تنمو. يعني: إنّ التفريق بينها واقع في حال نموّها وزيادتها، قال في المصباح: «فَرَقْتُ بين الشيئين فَرْقَاً: من باب قتل، فَصَلْتُ أبعاضه، وفَرَقْتُ بين الحقّ والباطل: فصلتُ أيضاً، هذه اللغة العالية، وبها قرأ السبعة في قوله تعالى: ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ

ﱡﭐ ... ٱلۡفَٰسِقِينَ ﱠ [٥/ المائدة/ ٢٥] وفي لغة: من باب ضرب، وقرأ بها بعض التابعين، وقال ابن الأعرابي: فَرَقْتُ بين الكلامَينِ فافترقا، مُخَفَّف، وفَرَقْتُ بين العَبدينِ فتَفَرَّقا، مُثَقَّل، فجعل المُخفَّف في المعاني، والمثقّل في الأعيان، والذي حكاه غيره: إنّهما بمعنى، والتثقيل مبالغة والتفريق هنا من فرق المشدّد للمبالغة" وهو التفصيل بحيث لا إجمال، وقد بلغنا عن بعض المعاصرين من أهل المعرفة الإلهيّة أنّه كان يقول: «أُعْطِيَ الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه التفصيل، ونحن أعطينا التفصيل والإجمال»، وكان يظن بعض من نقل إلينا أنّ هذه زيادة على الشيخ الأكبر قدّس الله سرهما. وكنت أقول له: ليس الأمر كذلك؛ لأنّه تعالى يقول: ﱡﭐ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﱠ [١٧/ الإسراء/ ١٢] فعلم الله تعالى كلّه مفصل، ويستحيل عليه الإجمال في شيء من علمه تعالى لأنّه خفاء عليه، وهو الذي لا يخفى عليه شيء، وكان الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه كلّما وجّه الحقّ تعالى بصيرته وألهمه شيئاً فصّله له تفصيلاً، ولا يجمله عليه. وأمّا هذا العارف فكان علمه الذي يلقيه الحقّ تعالى عليه مفصَّلاً ومُجملاً، وهو إنصاف منه رحمه الله تعالى، ونحن الغالب علينا التفصيل فيما يلقى إلينا، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

وقوله **(والكلّ واحد)**: أي هووجود واحد حيّ لذاته كشف أزلاً بعلمه عن معلومات ممكنة معدومة الأعيان، وتكلّم بها بكلامه النفسانيّ القديم الأزليّ، فظهر ذلك الوجود الواحد، وتجلّى وانكشف، فشهد ذاته بذاته، وتلك المعلومات الممكنة معدومة الأعيان على ما هي عليه لم توجد. وهذا مشهد العارفين، وصلت إليهم معرفة الوجود الواحد الحقّ إلى عالم إمكانهم العدميّ، فآمنوا وصدَّقوا بإيمان/ [٣٦٠/ ب] وتصديق ممكن عدمي مثلهم، وكان هذا مراد الخالق تعالى بما خلق، كما ورد في الحديث القسي: «كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أنْ أُعرف فخلقت خلقاً تعرفت إليهم فبي عرفوني»[1]. لهم جميع صفاته تعالى وأسمائه، بإظهار الأنبياء

---

(١) انظر تخريجه ص٧٨٠ و ص ١٣٥١.

والرسل. عليهم السلام، لهم رحمة به. وكلّ ذلك من جنس عالم إمكانهم الذي هم فيه على الترتيب والنظام الذي عليه العوالم في أنفسها مما هو مقتضى المشيئة الإلهيّة. وقوله (فأرواحنا): الفاء للتفريع والتفصيل. يعني: أرواحنا الأمريّة المنفوخة فينا من أمر الله تعالى بواسطة الروح الأعظم المحمّدي الجامع المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٧/ التوبة/ ١٢٨] الآية. وقوله (خمر): أي هي المدامة المذكورة؛ لأنّ الأرواح تفصيل لإجمال الروح المحمّديّ، وهو النور الثاني في قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [٣٤/ النور/ ٣٥] وهو النور الممكن المعدوم العين في النور الوجوديّ الحقّ، وهو الحضرة التي من دخلها كان عينها. وقوله (وأشباحنا): جمع شَبَح، والشَبَح: الشخص، والجمع: أشباح، مثل: سبب وأسباب، كذا في المصباح، وهي الصور التي عليها الكائنات في عالم إمكانها، وعالم إيجادها. وقوله (كَرْم): أي بمنزلة الكَرْم، وهو العِنَب المتضمِّن للعصير الروحانيّ الذي يكون خمراً فيسكرالعقول بما يلقي إليها من العلوم والحقائق العرفانيّة وقلنا من قصيدة لنا:

عليك نديمي بارتشاف كؤوسها	ففي كأسها منها بقيّة صهباء
وما الكأس إلّا أنت والروح خمرها	تحقّق تجد في السكر أنواع سرّاء
وفي عالم الكرم الذي قد تعرّشت	عناقيده قف واغتنم فضل نعماء
وخذ منه عنقوداً هو الجسم ثمّ دع	كثائفه واحفظ لطائف لألاء

٢٩- وَلَا قَبْلَهَا قَبْلٌ وَلَا بَعْدَ بَعْدَهَا   وَقَبْلِيَّةُ الأَبْعَادِ فَهْيَ لَهَا حَتْمُ[1]

(**فلا قبلها**): أي المدامة المذكورة. وقوله (**قبل**): أي زمن يقال فيه قبل كذا، قال في المصباح: «قبل: خلاف بعد، ظرف مبهم، لا يُفهم معناه إلّا بالإضافة لفظاً أو تقديراً». وقوله (**ولا بعد بعدها**): والتقدير بعد، بفتح الباء الموحّدة، أي: ليس

(١) في (ق): ختم.

بَعد البَعد الذي لتلك المدامة المذكورة بَعد، أي: زمان، يقال فيه: هذا بعد هذا. قال في المصباح: «بعد ظرف مبهم لا يفهم معناه إلّا بإضافته لغيره، وهو زمان متراخٍ عن الزمان السابق؛ فإنْ قَرُب منه قيل: بُعَيْدَه، بالتصغير، كما يقال: قَبْل العصر، فإذا قرب قيل قُبَيل العصر بالتصغير، ويسمّى تصغير التقريب، وجاء زيد بعد عمرو، أي: متراخياً زمانُه عن زمان مجيء عمرو، ويأتي بمعنى مع، كقوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [٦٨/ القلم/ ١٣] أي مع ذلك». وقوله **(وقَبْلِيَّةُ الأَبْعَادِ)**: جمع بَعْد، بفتح الباء الوحْدة، يعني الزمن الذي يقال فيه قبل بالنسبة إلى كلّ زمن يقال فيه بعد بالإضافة إلى كلّ شيء. وقوله **(فهي)**: أي القبليّة المنسوبة إلى كلّ بعديّة من الأبعاد. وقوله **(لها)**: أي للمدامة المذكورة. وقوله **(حَتْم)**: بالحاء المهملة والتاء المثناة الفوقيّة، مصدر حَتَمَ عليه الأمر حَتْماً، من باب ضرب: أوجبه جَزْمَاً. وانْحَتَم الأمرُ وتَحَتَّم: وَجَبَ وُجُوباً لا يمكن إسقاطه. وكانت العرب تسمِّي الغراب حَاتِماً؛ لأنّه يَحْتِمُ بالفِراق على زعمهم أي: يوجبه بنعاقه، وهو من الطِّيَرَة، ونُهي عنه، كذا في المصباح. والمعنى: إنْ قبليّة كلّ بعد لهذه المدامة المذكورة على وجه القطع والجزم، من غير شكّ، ولا تردّد أصلاً. والمشار إليه في مجموع هذا البيت: إنّ الحضرة الإلهيّة منزّهة عن الدخول في قيود الزمان، كما هيّ منزَّهةعن قيود المكان؛ فلها القبليّة المطلقة عن كلّ شيء، والبعديّة المطلقة عن كلّ شيء في الأزل الذي هو الحضرة الدائمة، المحيط بالأزمنة كلّها إحاطة واحدة، فلا ماضي للأزليّة، ولا حال، ولا استقبال. [٣٦١/ أ].

٣٠- وَعَصْرُ[1] المَدَى مِنْ قَبْلِه كَانَ عَصْرَهَا وَعَهْـدُ أَبِيْنَـا بَعْـدَهَا وَلَهَـا اليُـتْمُ

(وعصر المدى): العَصْر مُثَلَّثَة وبضمّتين: الدهر، وجمعه: أَعْصَار وعُصُور وَأَعْصُر وعُصُر، والعَصْر: اليوم، والليلة، والعشي إلى احمرار الشمس، ويُحَرَّك،

(١) في (ق): وحصر.

والغَدَاة، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «والعَصْران: الغَدَاة والعَشيّ، والليل والنهار أيضاً». و(المَدَى): بفتحتين الغاية، وبَلَغ مَدَى البصر، أي: مُنْتَهاه وغايتُه. وقال ابن قتيبة: ولا يقال: مَدُّ البصر التثقيل. وفي البارع مثله، وقد يقال: مَدّ البصر بالتثقيل، حكاه الزمخشريّ، والجوهريّ، وتَبِعه الصغَانيّ». أشار بعصرالمدى إلى العصر الذي هو الدهر، وهو الزمان الطويل الذي هو من مبدأ خلق العالم إلى حيث لا منتهى، قال في القاموس: «الدَّهْر قد يُعَدُّ في الأسماء الحسنى، والزمان الطويل، والأبد المدود، وألف سنة». وقال في المصباح: «الدَّهْر يُطلق على الأبد، وقيل هو الزمان، قلّ أو كثر. وقال الأزهري: والدهر عند العرب يُطلق على الزمان، وعلى الفصل من فصول السنة، وأقلّ من ذلك، ويقع على مُدَّة الدنيا كلّها». وهو المعنى هنا بقوله: عصرالمدى، كناية عن الدهر كلّه من ابتداء خلق العالم إلى ما لا نهاية له؛ فإنّه ورد في الحديث: «لا تسبّوا الدهر؛ فإنّ الله هو الدهر»[1] بناء على نسبة الجاهليّة جميع ما يقع من الأمور إلى الدهر، ويسبّونه بذلك، والأمور كلّها واقعة بقدرة الله تعالى وحده، المؤثّرة في كلّ شيء، وهم لا يسبّون الدهر إلّا من جهة صدور الوقائع عنه، والوقائع إنّما هي صادرة عنه تعالى؛ فإنّه تعالى هو الدهر الذي يعنونه، لا الزمان الممتدّ الذي هو في خيالهم أنّه الدهر، وأنّ الوقائع منسوبة إليه؛ فإنّه أمر اعتباري، لا وجود له في نفسه، فضلاً عن أنْ ينسب إليه وجود أمر ما.

وقوله **(من قبله)**: أي من قبل عصر المدى الذي هو الدهر بمعنى الزمان الممتدّ عندهم، لا بمعنى الدهر الذي هو من أسماء الله تعالى الحسنى؛ ولهذا كنّى عنه بعصر المدى، ولم يقل: والدهر، لأنّ الدهر بالمعنى الإلهيّ لاقبل له. وقوله **(كان عصرها)**: أي وجد زمانها، أي: زمان تلك المدامة المذكورة. والعصر الثاني: مصدر عَصَرْتُ العِنَب عَصْراً، من باب ضرب: استخرجت ماءه، واعْتَصَرْتُه كذلك، واسم ذلك الماء: العَصِير، فعيل بمعنى مفعول، كذا في المصباح. وعصرها

---

(١) انظر تخريجه ص١٣٠١.

كناية عن تميز عصيرها عن عنبها، وهو تمييز الوجود الحقّ عن الصور المتلبّس بها هنا، كما قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه في آخر قصيدة له:

ووراء ذاك ولا أشير لأنّه سرّ لسان النطق عنه أخرس
معنى به وله ومنه تعينت أعيانه ووجوهها المتلبّس[1]

أي: المتلبّس بكلّ شيء، وهذا التلبّس أمر وهميّ بالنظر إلى إدراك العقول، لا في نفس الأمر؛ لأنّ هذا الوجود المتلبّس وجود حقّ حقيقيّ مطلق عن كلّ قيد، حتّى عن قيد الإطلاق والأشياء التي تلبَّس بها كلّها تقادير فانية، وتصاوير معدومة؛ فلا تغير الوجود الحقّ المتلبّس بها عمّا هو عليه، ولا تتغير هي أيضاً بظهوره بها عمّا هي فيه من العدم الأصليّ، ولكن الاقتران بالتجلّيّ يحدث لها أمراً لم تكن فيه من قبل، وهو إيهام الوجود المحقّق لها عند العقول والحواس، فيتحقّق العقل بها أنّها وجدت بعد عدم، وحدثت بعد أنْ لم تكن، ولهذا أمرنا الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [١٠/يونس/١٠١]. وفي الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/الأنعام/٣] وهذه الظرفيّة وهميّة؛ لأنّها خطاب للعقول والحواس باعتبارها المجهول فيها من تلك القوّة الوهميّة؛ ابتلاء لها، وامتحاناً في عالم التكليف.

وقوله (**وعهد أبينا**): أي آدم أبي البشر عليه السلام، والعهد: الالتقاء والمعرفة، ومنه عهدي به والزمان، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «العهد الوصيّة، يقال: عَهِد إليه يَعْهَد، من باب تعب: إذا أوصاه/ [٣٦١/ ب] وعَهِدتُ إليه بالأمر: قدَّمتُه، وفي التنزيل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [٣٦/يس/ ٦٠] والعهد الموثّق، وعَهِدتُه بمال: عَرَّفتُه به. والأمر كما عهدت، أي: كما عرفت. وهو قريب العهد بكذا، أي: قريب المعرفة والحال. وعَهِدتُه بمكان كذا: لقيته. وعهدي به قريب، أي: لقائي». وهذه المعاني: تصلح هنا. و(**وصيّة آدم**): عليه السلام عهد

---

(١) – ورد البيت بلفظ: أمر به وله.

نبوّته، أو أخذ الميثاق عليه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ وهو محمّد صلى الله عليه وسلم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [٣/ آل عمران/ ٨١] الآية. أو عهد بنيه، وهو يوم الميثاق، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] الآية.

وقوله (بعدها): أي بعد ظهورهذه المدامة في ملابس أعتابها وعناقيدها، وهو تلبّسها بالأشياء. وقوله (ولها اليُتْمُ): هو مصدر يَتمَ يَيْتَم، من بابي تَعِب وقَرُب، يُتْماً، بضمّ الياء وفتحها، لكن اليُتْم في الناس من قِبَل الأب، فيقال: صغير يَتِيم، والجمع: أيْتام ويَتَامَى، وصغيرة يَتِيمَة، وجمعها: يتامى، وفي غير الناس من قِبَل الأُم، فإنْ مات الأبوان فالصغير: لَطِيم. وإنْ ماتت أمّه فقط فهو عَجِيّ. ودرّة يتيمة، أي: لا نظير لها. ومن هنا أُطلق اليتيم على كلّ مفرد يَعِزّ نَظِيره، كذا في المصباح. وضمير (لها): للمدامة المذكورة. ونسبة اليتيم إليها، كناية عن فناء الروح الذي هي متلبّسة به في أوّل ظهورها قبل تلبّسها بالطبيعة التي هي متلبسة بها، فكأنّ الروح أبوها، والطبيعة أمّها. فإذا ظهرت في عالم التركيب من الروح والطبيعة، وهو عالم الحيوان والإنسان. ودخل الإنسان في مجاهدة السلوك إليها، ومات أبوها الذي هو الروح الأمريّ بالتحقّق بالفناء والاضمحلال، كانت يتيمة في عالم طبيعتها، وهو حجر أمها، وذلك لضرورة قيامها بالتكاليف الشرعيّة أمراً ونهياً؛ وهو معنى: «كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به»[1] في حديث المتقرِّب بالنوافل. وهذه حال السالك الصادق في سلوكه إلى معرفة ربّه، وتحقيقه بمعاني قربه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٥٢] ومال اليتيم القوى الطبيعيّة، والأعضاء الحسيَّة، أي: لا تفنوها بالكليّة بعد فناء عالم النفوس والأرواح. والنهي عن قربان مال اليتيم لأجل بقاء التكاليف الشرعيّة على العبد.

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

٣١- مَحَاسِـنُ تَهْـدِي المَـادِحِينَ لِوَصْـفِهَا   فَيَحْـسُنُ فِيهَـا مِـنْهُمُ النَّثْـرُ وَالـنَظْمُ

(**محاسن**): أي هذه محاسن. يعني صفات المدامة التي تقدّم ذكرها، والمحاسن جمع حُسْن بالضمّ، قال في القاموس: «الحُسْن، بالضمّ: الجَمال، وجمعه: مَحَاسِن على غير قياس، وحَسُنَ ككَرُم ونَصَرَ، فهو: حَاسِن وحَسَن وحَسِيْن كأمير، وغُراب ورمّان. والمَحَاسِن أيضاً: المواضع الحَسَنَة من البدن الواحد، كمِقْعَد أوْ لا واحد له، ووَجْهٌ مُحَسَّن: حَسَن». وقوله (**تهدي**): أي تدلّ. وقوله (**المادحين**): جميع مادح، وهو الذي يمدحها، ويثني عليها ببدائع صفاتها الحسنة. وقوله (**لوصفها**): متعلّق بتهدي، والضمير للمدامة المذكورة، والوصف مصدر وصفته وصفاً، من باب وعد: أخبرت بما فيه من الأحوال والهيئات. ويقال: أصله من قولهم وَصَفَ الثوبُ الجِسْمَ: إذا أظهر حاله وبيّن هيئاته، كذا في المصباح. وقوله (**تهدي المادحين**): إشارة إلى أنّهم ما مدحوها إلّا بما هدتهم محاسنها إليه من كشفهم عن معاني تجلّياتها بأسمائها الحسنى الواردة في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنّة»[1] أي: من كشف الله تعالى له عن تجلّيه تعالى بها، وظهورها له بآثارها التي هي جميع العوالم دخل جنّة العرفان، وتمتّع بنعيم المعرفة والإيقان. وقوله (**فيحسن فيها**): أي في المدامة المذكورة، أو في تلك المحاسن. وقوله (**منهمُ**): بضمّ الميم لضرورة/ [٦٦٢/ أ] الوزن، أي من المادحين المذكورين. وقوله (**النثر**): فاعل يحسن، ونثر الكلام: تفريقه، والمرادعدم دخوله في الوزن المعروف. قال في المصباح: «نَثَرْتُه نَثْراً، من بابي قتل وضرب: رَمَيْت به مُتَفَرِّقاً، فانْتَثَر». وقوله (**والنظم**): معطوف على النثر، وهو الكلام الموزون، وأصله من نَظَمَ الخَرَز، قال في المصباح: «نَظَمْتُ الخَرَز نَظْماً، من باب ضرب: جعلتُه في سِلْك وهو النظام بالكسر. ونَظَمْت الشعر نَظْماً». والمعنى: نثر الكلام

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط، ٢٧٣٦، بلفظ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلّا واحداً من أحصاها خل الجنّة».

ونظمه قصائد وأشعار إلهيّة، ولا يسمّى ذلك شعراً، لأنّ الشعر حديث النفس فيما تشعر به من المعاني، قال تعالى في شأن نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [٣٦/ يس/ ٦٩] والذكر والقرآن حقّ، والشعر باطل. ومن هنا إيراد المعاني الإلهيّة التي يُفتح بها على قلوب الأولياء العارفين بربّهم فينظمونها أو ينثرونها، كما قال الجنيد، قدس الله سرّه: «عِلْمُنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنّة». وقال الشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه: «لا نقبل شيئاً من عِلْمنا هذا إلّا بشاهدي عدل من الكتاب والسنّة؛ فلهذا لم يكن كلامهم شعراً».

قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كلامنا ليس بشعر ولا ... من شاعر بل وارث مصطفى

أنطقه الله به مثل ما ... أنطق أهل الدين والاصطفا

ومراده الأنبياء عليهم السلام، كما قال تعالى لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [١٢/ يوسف/ ٣٢] أي: ومن اتبعني أيضاً، وهم الأولياء الورثة لعلوم النبيّين بسبب كمال متابعتهم لهم ظاهراً وباطناً.

٣٢- وَيَطْرَبُ مَنْ لَمْ يَدْرِهَا عِنْدَ ذِكْرِهَا ... كَمُشْتَاقِ نُعْمٍ كُلَّمَا ذُكِرَتْ نُعْمُ

(ويطرب): من طَرِبَ طَرَباً فهو طَرِب، من باب تَعِبَ، وطَرُوب مبالغة، وهو خِفَّة تصيبه لشدّة حزن أو سرور، والعامّة تخصّه بالسرور، كذا في المصباح. وقوله (ومن لم يدرها): أي هذه المدامة المذكورة، أي: الذي لا يعرفها ذوقاً وكشفاً ووجداناً. وقوله (عند ذكرها): يتعلّق الظرف بقوله ويطرب. يعني: الغافل المحجوب يحصل له الطرب والخفّة الروحانيّة، والنشاط الجسمانيّ، في وقت ذكره لها، أي: لهذه المدامة المذكورة بأن يذكرها بلسان، أو يسمع ذكره أمن غيره، أو عند تذكره لها بقلبه؛ فإن لم يدرها إذا فتح عليه بمعرفتها يطرب طرباً زائداً، والذكر في

حقّه هو التذكر، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [٣٥/ فاطر/٣٧] وإذا تذكّرها فَنِيَ عن كلّ ما سواها، وشهدها وحدها بشهودها، لا بشهوده لفناء وجوده، وهو قوله تعالى بطريق الإشارة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [١٥/الحجر/٩] وطربه الحاصل له لانتفاء جميع أحزانه، وهمومه، وتفريده لحقيقة معلومة، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٠/يونس/ ٦٢] وقوله (**كمشتاق نُعْم**): بضمّ النون وسكون العين المهملة، قال في القاموس: «نُعْم بالضم امرأة». والمعنى هنا اسم امرأة محبوبة من محبوبات العرب. وقوله (**كلّما ذكرت**): بالبناء للمفعول. وقوله (**نُعْم**): بالضمّ اسم هذه المحبوبة؛ فإنّ عاشقها إذا ذكرها يطرب بذكرها، وكذلك إذا ذكرها غيره عنده، أو تذكرها هو بقلبه.

٣٣- وَقَالُوا شَرِبْتَ الإِثْمَ كَلَّا وَإِنَّمَا   شَرِبْتُ التِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِيَ الإِثْمُ

(**وقالوا**): أي أهل الغفلة والحجاب. وقوله (**شربت الإثم**): بالثاء المثلّثة، أي: الخمرة المُعتصَرة من العنب المحرّمة شرعاً، وذلك لأنّهم يرونه غائباً لا يدرك ما يدركونه من أمور الدنيا وأحوالها؛ لاستغراق بصيرته في مشاهدة حضرة ربّه، وتمتّعه بلذائذ تجلّيات الوجود الحقّ، وزيادة قربه، وليس عندهم ما يقتضي ذلك الاستغراق غير الأمور المحرّمة، كالخمر والحشيشة ونحو ذلك، أو عَتَهِهِ وجُنُونِهِ. ولا يجدونه معتوهاً ولا مجنوناً في بعض أوقاته؛ فيقطعون بما يقولون في حقّه مما ذكر. وقوله (**كلّا**): هي مركّبة/ [٣٦٢/ ب] عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية. قال: «وإنّما شُدِّدَت [لامها] لتقوية المعنى، ولدفع توهّم بقاء معنى الكلمتين. وعند غيره هي بسيطة، وهي عند سيبويه والخليل والمبرّد والزجّاج وأكثر البصريين: حرف معناه الردع والزجر، لا معنى لها عندهم إلّا ذلك، حتّى إنّهم يجيزون أبداً الوقف عليها، والابتداء بما بعدها، كذا في مغني ان هشام. وقوله

(وإنّما): هي أداة حصر مركّبة من: إنّ المشدّدة وما الكافّة لئنّ عن العمل. وقوله (شربت التي): أي المدامة التي. وقوله (في تركها): أي عدم شربها. وقوله (عندي): يعني لمعرفتي بحكم ذلك، لا عند غيري لعدم معرفة الغير بها. وقوله (الإثم): أي الذنب العظيم، قال في القاموس: «الإثم بالكسر: الذَنْب، والخمر». وقد استعمل الناظم هنا، قدّس الله سرّه، لإثم بمعنييه على طريقة الجناس التامّ؛ فإنّ من لم يشرب هذه المدامة المذكورة فهو معتكف على الشرك الخفي وبالأغيار مكتفٍ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [١٢/يوسف/١٠٦] إشارة إلى الشرك الخفي، وهو شرك الأسباب، والاعتماد عليها دون ربّ الأرباب، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»[1]. وقال العارف بالله الشيخ أرسلان الدمشقي، قدّس الله سرّه، في ابتداء رسالته: «كلّك شرك خفيّ، ولا يبيّن لك توحيدك إلّا إذا خرجت عنك، وهذا الشرك الخفيّ لا إثم فيه عند علماء الظاهر، وإنّما هو إثم عند العارفين بالله من الأولياء المقرّبين، ولهذا قال في تركها عندي لإثم.

٣٤- هَنِيئاً لِأَهْلِ الدَّيْرِ كَمْ سِكِرُوا بِهَا وَمَا شَرِبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا

(هنيئاً): من هَنَأَنِي الطعام يَهْنَؤُنِي: ساغ ولذّ، وأَكَلْتُهُ هَنِيْئاً مَرِيْئاً: بلا مشقّة، كذا في المصباح. وقوله (لأهل الدير): هو دير النصارى، قال في المصباح: «الدَّيْر للنصارى، معروف، والجمع: دُيُورة، مثل: بَعْل وبُعُولَة. وينسب إليه: دَيْرَانِي على غير قياس، كما قيل: حَرَّاني». وأهل الدير هنا كناية عن الأولياء الوارثين للمقام العيسوي الروحانيّ من ولاية عيسى عليه السلام في الدين المحمّدي الجامع لجميع مقامات لأنبياء والمرسلين قبله، عليهم الصلاة السلام؛ فإنّ الأولياء ورثة الأنبياء، وهم العلماء بالله الذين قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا﴾

---

(١) انظر تخريجه ص٦٨٧.

[٣٥/ فاطر/ ٢٨] أي العلماء به تعالى. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّا معاشر الأنبياء لانورّث درهماً ولا ديناراً إنّما نورّث العلم»[١].

ومعناه: العلم بالله وعنه، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [٥٨/ المجادلة/ ١١]. وقوله (**كم سكروا بها**): أي بهذه المدامة المذكورة من حيث أنّهم تذكّروها بنفوسهم، وأشرفوا بها على عالم الأرواح المجرّدة عن الظلمات فزجّ بهم في عالم النور المحمّدي ولم يصلوا إلى المنتهى قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٤٢] وذلك في حال سلوكهم إلى الوجود الحقّ تعالى؛ فإنّهم يغيبون في ذلك النور، ولا ينكشف لهم سرّه المستور، لبقاء البقيّة النفسانيّة في تجلّي الحقيقة الربّانيّة. وقوله (**وما شربوا منها**): أي من تلك المدامة المذكورة لعدم وصولهم إليها فهم مترامون في الطريق عليها. والشرب كناية عن وصولها في سريانها إلى نفوسهم فتنقلب أنانيّتهم أنانيّتها، ويرتفع البين من البين، وتقرّ العين بالعين، وتنمحي يقظة الغين، وترجع إلى الواحد حقيقة الاثنين، وهذا السريان بلا سريان، لأنّ الوجود الحقّ يكشف عن المعدومات الكونيّة، فلا يبقى وجود إلّا وهو عين وجوده، منسوب عند المعدومات إليها من فيض كرمه وجوده، فيتراءى ذلك السريان لعيون الأكوان، وكيف يسري الوجود في العدم، أو يمتزج الحدوث بحضرة القدم. وقوله (**ولكنّهم**): أي أهل الدير المذكورين/ [٣٦٣/ أ] وقوله (**همّوا**): أي صرفوا هممهم إلى حقيقة عينها بمحو نقطة غينها، فكانت نقطة نفوسهم تنمحي عنهم تارة، وتثبت تارة أخرى، كما قال تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩] والأم هي الأصل، فجميع ما هو مكتوب من صور الحروف الكونيّة، مفردة كانت أو مركّبة، راجعة إلى النسخة الأصليّة، والحقيقة الذاتيّة، وإليه ترجعون وإليه تقلبون.

---

(١) انظر تخريجه ص٨٢٩.

٣٥- وَعِنْدِيَ مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشْأَتِي مَعِي أَبَداً تَبْقَى وَإِنْ بَلِيَ العَظْمُ

(**وعندي**): أي في حضرة ذاتي المعلومة للوجود الحقّ أزلاً وأبداً بالعلم القديم الأزليّ الأبديّ. وقوله (**منها**): أي من تلك المدامة المذكورة. وقوله (**نَشْوَةٌ**): أي سكر، قال في المصباح: «النَشْوة: السُكر، ورجل نَشوان، أي: سَكْران». وامرأة نشوى، والجمع نشاوى بالفتح. وقوله (**قبل نَشْأَتِي**): يقال نَشَأَ الشيء نَشْأً، مهموز من باب نفع: حَدَثَ وتَجَدَّدَ، وأَنْشَأْتُه: أَحْدَثْتُه، والاسم: النَشْأَة، والنَشَاءَة وِزَان تَمْرَة ومَلَامَة، ونَشَأْتُ في بني فلان نَشْأً: رُبِّيْتُ فيهم، كما في المصباح. والمعنى: إنّ عندي في مقام فنائي عنّي واضمحلالي منّي سكرة بمدامة الحضرة الوجوديّة قبل ظهوري بوجودها وقيامي عندي، وعندكم بنعمتها وجودها. وقوله (**معي أبداً تبقى**): أي تلك النشوة القبليّة، والسكرة القلبيّة الأزليّة في حضرتها العلميّة؛ فهي باقية معي لا تزول، لأنّ بها يكون لها على قلبي النزول. وقوله (**وإنْ بلي العظم**): يقال بَلِيَ، من باب تعب: بِلىً، بالكسر والقصر، وبَلَاءً بالفتح والمدّ: خَلُقَ، فهو بالٍ، وبَلِيَ المَيتُ: أَفْنَته الأرض، كذا في المصباح. والمعنى: وإنْ ذهب جسمي بالفناء والاضمحلال حتّى فنيت عظامي، وما بقي منّي شبح، ولا خيال؛ فإنّ هذه المدامة المذكورة باقية معي، لا أفارقها ولا تفارقني أزلاً وأبداً، قال الشيخ عبد الكريم الجيليّ قدّس الله سرّه، في مطلع قصيدة له[١]:

تعالوا بنا حتّى نعود كما كنّا ولا عهدنا خنتم ولا عهدكم خنّا

٣٦-عَلَيْكَ بِهَا صِرْفاً وَإنْ شِئْتَ مَزْجَهَا فَعَدْلُكَ عَنْ ظَلْمِ الحَبِيبِ هُوَ الظُلْمُ

(**عليك**): خطاب للمريد الصادق، وهي اسم فعل بمعنى خذ، قال الرضي: «يقال عليك زيداً، أي: خذه كأن الأصل عليك أخذه. وقال في القاموس: «عليك زيداً الزمه». وقال في الصحاح: «تقول عليّ زيداً، وعليّ بزيد، معناه: أعطني

(١) العبارة من الصحاح، وليس من القاموس. انظر الصحاح مادّة: علا.

زيداً». وقوله (بها): أي بالمدامة المذكورة. وقوله (صرفاً): الصِرْف بالكسر: الشراب الذي لم يُمْزَج، ويقال: لكلّ خالصٍ من شوائب الكَدَر صِرْف؛ لأنّه صُرِف عنه الخَلْطُ ، كذا في المصباح. والصرافة في هذا الشراب كناية عن فناء كلّ ما عدا الوجود الحقّ، ومشاهدة الوجود الحقّ الصرف به لا بالنفس المغايرة له؛ فيكون يبصر الحقّ بالحقّ، كما يسمع الحقّ بالحقّ، ويعلم الحقّ بالحقّ: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الحديث. ونظير ذلك قول الشيخ أبي مدين، قدّس الله سرّه، في مطلع قصيدة له:

أدرها لنا صرفاً ودع مزجها عنّا فنحن أناس لا نرى المزج مذ كنّا

حضرنا فغبنا عند دور كؤوسها وعدنا كأنّا لا حضرنا ولا غبنا

وقوله (وإنْ شئت): أي أردت يا أيها السالك. وقوله (مَزَجَهَا): أي خَلَطَهَا بغيرها، مَزَجتُ الشيءَ بالشيء مَزْجاً، من باب قتل: خلطّته، كذا في المصباح. والضمير للمدامة المذكورة. يعني: إنْ أردت النزول من حضرة الجمع، وهو توحيدك الصرف، وهو شهود الحقّ بالحقّ إذا وصلت إليه، وتحقّقت به، ولم يبقَ عندك غير الوجود الحقّ، وكلّ ما عداه فانٍ، فمزجت ذلك الوجود الحقّ بصور الكائنات التي هي تقاريره العدميّة وتصاويره/ [٣٦٣/ ب] الوهميّة إذ ليس في الحقيقة غيره، ولا في نفس الأمر سواه، لا إله إلّا الله ، وإنّما صور الكائنات الحسيّة والعقليّة كلّها ملابسه، ومظاهره، وتجلّياته عند تلك الملابس والمظاهره والتجلّيات، لا عنده تعالى، ولنا في مطلع قصيدة قولنا:

ظهرت يا نور والسوى عدم فأشرقت من ظهورك الظلم

وبان سرّ الحدوث في صور بها عليها تلبس القدم

وقوله (فَعَدْلُكَ): يقال عَدَل عن الطريق عُدُولاً: مالَ عنه وانصرف، كذا في المصباح. وقوله (عن ظَلْم): بفتح الظاء المعجمة وسكون اللام، قال في القاموس:

«الظَلْم ماء الأسنان وبريقها، وهو كالسواد داخل عظم السن، من شدّة البياض كفِرَنْد السيف». وقوله (الحبيب): أي المحبوب، وهو النورالمحمّدي الذي هو أوّل مخلوق من نوره تعالى على معنى أنّه أوّل تقدير عدمي، وتصوير اقتداري، فكأنّه ماء ثغر الحبيب القديم، ورشحات ثنايا مراشف النديم، لأنّها آثار أسمائه الحسنى، وتجلّيات حضرات وصفه الأسنى، قال الشيخ الأكبر، الخطيب على هذا المنبر، قدّس الله سرّه:

سلامي على سلمى ومن حلّ بالحمى	وحُقّ لمثلي رقّة أن يسلّما
وماذا عليها لو تردّ تحيّة	عليها ولكن لا احتكام على الدمى
سروا وظلام الليل أرخى سدوله	فقلت لها صبّا غريباً متيّما
أحاطت به الأشواق سوراً وأرصدت	له راشقات النبل أيان يمما
فأبدت ثناياها وأومض بارق	فلم أدر من شق الحنادس منهما
وقالت أما يكفيه أنّي بقلبه	يشاهدني في كلّ وقت أما أما

وقوله (هو الظلم) قال في القاموس: «الظُلْم بالضمّ وضع الشيء في غير موضعه، والمصدر الحقيقيّ الظَلْم، بالفتح، ظَلَمَ يَظْلِمُ ظَلْماً، بالفتح، فهو ظَالِم وظَلُوم. وقال في المصباح: «الظُلْم: اسم من ظَلَمَهُ ظَلْماً، من باب ضرب، وأصل الظُلْم: وضع الشيء في غير موضعه». والمناسب هنا لحصول الجناس التامّ ظَلْم الحبيب، بالفتح، والظَلْم بالفتح أيضاً بالمعنيين المختلفين. والمعنى: إنّه إنْ كان ولا بدّ من مزج الوجود الحقّ بالصور التقديريّة المعدومة في نفسها، بحيث تظهر موجودة بذلك الوجود الحقّ، الواحد الأحد، فليكن مزجها بما هو منها، والكلّ منها، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٦] وقال أيضاً: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ [٢٧/ النمل/ ٦١] وهذا هو حضرة الفرق، والأسفل منه أسفل سافلين، وهو رؤية تلك الصور التقديريّة موجودات بأنفسها تغاير وجودها الذي هي قائمة به

وجود الحقّ تعالى، وهو حبس أهل الغفلة والحجاب في مطامير التباعد والاجتناب إلى يوم العرض والحساب، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [٩٥/ التين/ ٤-٦]. يعني: جميع أفراد الإنسان مخلوقون في أحسن تقويم، ومردودون إلى أسفل سافلين، وليس لهم جزاء وأجر على ما يجدونه في أسفل سافلين من المصائب والمتاعب، والبلايا والأحزان، إلّا الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحات؛ فإنّ لهم على ذلك أجراً عظيماً عند ربّهم غير مكدّر عليهم بمنّة أحد؛ بل مشكورون عليه، وممدوحون به، ويسمّى الأوّل: القرآن، والثاني: الفرقان، والثالث: ما تتلو الشياطين على ملك سليمان.

٣٧- وَدُوْنَكَهَا فِي الحَانِ وَاسْتَجْلِهَا بِهِ ... عَلَى نَغَمِ الأَلْحَانِ فَهْيَ بِهَا غُنْمُ

(ودونكها): أي خُذْ هذه المدامة، قال الراغب: «وقد يُغرَى بلفظ دون، فيقال: دونك/ [٣٦٤/ أ] كذا أي: تناوله». وقال في الصحاح: «ويقال في الإغراء بالشيء دونكه». قالت تميم للحجّاج: أَقْبِرْنا صالحاً، وكان قد صَلَبَهُ. فقال: دُونَكُمُوه». ومعنى دُوْنَكَهَا هنا: إغراء بالمدامة المذكورة، أي: تناولها، وخذها. بتقدير تحقّق في فنائك واضمحلالك في الوجود الحقّ الذي أنت به موجود عندك على الوهم، وهو معنى شربها؛ فإنّ الشرب إبطال ما هو ظاهر من المائعات؛ فإذا تحقّقت بتمييزك عن وجودك الذي أنت به موجود وجدت كلّ ما سواه معدوماً، وأنت من جملة ما سواه، وظهر لك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٣٠]. ومن هنا أُطلق عليه اسم المدامة بطريق الكناية دون التسمية. ولأنّ التحقّق به يوجب السُّكر عن كلّ ما سواه. وقوله (في الحان): أي الحانة، وهي: البيت الذي يباع فيه الخمر، وهو الحانوت أيضاً، والجمع: حانات، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «الحانات: المواضع التي يُباع فيها الخمر، والحَانِيَّة: الخمر، منسوبة إلى

الحانة، وهو الخمّار». والإشارة بذلك هنا إلى كلّ شيء، لأنّ هذه المدامة المكنّى بها عن الوجود الحقّ الواحد الأحد له ظهور، وتجلّي، وانكشاف، بتقدير إلى شيء، وتصويره، فكان كلّ شيء حانة على الاستقلال، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٨٥/ القصص/ ٨٨] كما أنّه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٧] فلا حلول، ولا اتّحاد، وعلى معنى الحانة حسُن قولي: الحان، وذلك في مطلع قصيدة لي:

هـذه الكائنـات أم هـي حانَـهْ أسـكرتنا كُؤوسَـهَا الملآنَـهْ

وقوله (**واستجلها به**): أي في الحان المذكور، بمعنى اطلب جلوتها، يقال: جَلَت الماشطة العروس على زوجها، جِلْوَة بالكسر، والفتح لغة، وجِلاء مثل: كتاب، واجتلاها: نظر إليها، تجلّى، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «جَلَوْتُ العروسَ جلوة، واجْتَلَيْتَهَا بمعنى إذا نظرت إليها مَجْلُوَّة».

وقوله (**على نغم**): بالتحريك، قال في القاموس: «النَغَم، مُحَرَّكَة، وتسكَّن: الكلام الخَفِيّ، الواحدة: بِهَاء، ونَغَم في الغِنَاء، كضرب، ونصر، وسمع، وتنغّم». وقال في المصباح: «نَغَمَ نَغْماً، من بابي ضرب ونفع: تكلّم بكلام خَفِيّ، وسَكَتَ فما نَغَمَ بِحَرْفٍ، وتَنَغَّم: مثله، والنغمة: جَرْس الكلام وحُسْن الصوت في القراءة. والجَرْس، مثال فَلْس: الكلام». وقال في الصحاح: «فلان حَسَنُ النَّغْمَة: إذا كان حسنَ الصوت في القراءة».

وقوله (**الألحان**): جمع لحن، قال في الصحاح: «اللَّحْن واحد الأَلْحَان واللُّحُون، ومنه الحديث: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب»[1] وقد لَحَنَ في قراءته إذا طَرَّبَ بها وغَرَّدَ. وهو أَلحَنُ الناس: إذا كان أَحْسَنَهم قراءة أو غِناء، وقال في القاموس: «اللَّحْن من الأصْوات: المَصُوغَة الموضوعة، والجمع: أَلْحان ولُحُون،

---

(١) انظر تخريجه ص٩٣٩.

ولحَنَ في قراءته: طَرَّب فيها». وقوله (فهي): أي تلك المدامة التي تجلّى، فينظر إليها المحبّ كما ذكرنا. وقوله (بها): أي بنغم الألحان. يعني: نغمات الآلات المطربة. وقوله (غُنْمُ): مصدر غَنِمْتُ الشيءَ أَغْنَمُهُ غُنْماً: أَصَبْتُه، غَنِيْمَة ومَغْنَماً، والجمع: الغَنَائِم والمَغَانِم، كذا في المصباح. ولهذا اتّخذ كلّ طائفة من الصوفيّة سماعاً مخصوصاً بالألحان والآلات المطربة؛ فإنّ أحسن ما يكون ذلك في حالة الكشف، والشهود لتجلّيات حقيقة الوجود، وملاحظته ما له على عباده من الكرم والجود. وحرّم ذلك على أهل اللهو والغفلة والجحود؛ لأنّه يزيدهم غفلة وانهماكاً فيما هم فيه من الإعراض عن الربّ المعبود، في حالة شهود أغياره بالمعنى المردود.

٣٨- فَمَا سَكَنَتْ وَالْـهَمَّ يَوْمَاً بِمَوْضِعٍ كَذَلِكَ لَـمْ يَسْكُنْ مَعَ النَغَمِ الغَمُّ

(فما سكنت): أي تلك المدامة المذكورة، أي: ثبتت واستقرّت، من حيث دوام تجلّيها. وقوله (والهمَّ): بالنصب، الواو للمعيّة، والهمّ مفعول معه، والهَمّ: الحُزْن، وأَهَمَّنِي الأمر، بالألف: أقلقني. وهَمَّنِي هَمّاً، من باب قتل: مثله، كما في المصباح. وقوله (يوماً)/ [٣٦٤/ ب] منصوب على الظرفيّة. وقوله (بموضع): أي بمظهر من مظاهرها، وصورة من صور تجلّياتها، ولكن كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨]. وقوله (كذلك): أي مثل ذلك. وقوله (لم يسكن مع النغم الغمّ): فإنّ الأنغام تطرب القلوب فتجلوها عن الأكدار، وتعين العارفين، والسالكين على إعراض قلوبهم عن ملاحظة الأغيار.

٣٩- وَفِي سَكْرَةٍ مِنْهَا وَلَوْ عُمْرَ سَاعَةٍ تَرَى الدَّهْرَ عَبْداً طَائِعاً وَلَكَ الحُكْمُ

(وفي سكرة): هي فعل مرّة من السُكْر بالضمّ: اسم من سَكِرَ سَكَراً، من باب تَعِبَ، وكسر السين في المصدر لغة، فيبقى مثل عِنَب، فهو سَكْران، وامرأة

سَكَرَى. وأَسْكَرَهُ الشراب: أزال عقله، كذا في المصباح. وقوله (**منها**): أي من المدامة المذكورة.

وقوله (**ولو عُمْرَ ساعة**): أي ولو كان عُمْرُهُ عُمْرَ ساعة، أي: مدّة بقائه في الدنيا مقدار ساعة زمانيّة، قال في المصباح: عَمَرَه الله يَعْمُرُهُ، من باب قتل. وعَمَّرَه تَعْميراً، أي: أطال عُمْرَه». و(**الساعة**): الوقت، من ليل أو نهار، والعرب تُطلِقها وتريد بها الحين والوقت وإنْ قلّ، وعليه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٤]، كذا في المصباح.

وقوله (**ترى**): خطاب للمريد السالك في طريق الله تعالى على الصدق في أحواله. وقوله (**الدهر**): مفعول أوّل لترى. والدهر: الزمان قلّ أو كثر. والمعنى فيه زمانه، أي: مدّة عمره في الدنيا. وقد يراد بالدهر هنا مدّة الدنيا كلّها. وقوله (**عبداً**): مفعول ثان لترى، أي: خادماً يخدمك في كلّ ما تريد. وقوله طائعاً، أي: لا يعصي عليك، ولا يمتنع عنك في كلّ أمر، وذلك بسبب فناءك عنك، وخروجك عن أنانيّتك، وشهودك ربّك بربِّك بعدما كنت تشهد نفسك بنفسك، أو ربّك بنفسك.

وقوله (**ولك الحكم**): أي التحكّم على كلّ شيء، ومن كان كذلك، فلا يحكم إلّا بما يحكم الله تعالى؛ بل حكمه حكم الله تعالى به؛ لأنّه فانٍ عن نفسه، فلا حكم له من نفسه، وهكذا كان شيخنا أبو صالح عبد القادر الكيلانيّ، قدّس الله سرّه. وأمثاله من أهل الله تعالى متحقِّقين بمعنى قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٨] وعباده الذين هو فوقهم أولياؤه العارفون به، استولى عليهم، فغلب على ذواتهم الفانية بذاته الباقية، وعلى صفاتهم وأحوالهم الفانية بصفاته وأسمائه الباقية، وهذا معنى فوقيّته عليهم بصفة القهر لمن يقهره من خلقه. وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «أهل الشام سوط الله في الأرض

ينتقم بهم ممن يشاء من عباده»[1]. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

إذا ما لقيت الناس فلتلقَ عاقلاً ... فذلك إن نازعته لا يعاقب

ولا تلق إنّي قد نصحتك عارفاً ... فمن يلقه صُبّت عليه المصائب

فهذا الذي يجري بحكمة وقته ... ولا شكّ أنّ الوقت بالحكم طالب

ولله مكر في العباد محقّق ... لذلك لم تؤمن لديه العواقب

له الحكم والتحكيم في كلّ مأمن ... فلا يغلب المكر الإلهيّ غالب

٤١ - فَلَا عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِياً ... وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سُكْراً بِهَا فَاتَهُ الحَزْمُ

(فلا عيش) يقال: عاش عَيْشاً من باب سار: صار ذا حياة، فهو عائش، والأنثى عَائِشَة، كذا في المصباح. يعني: أنّ حياته لمّا كانت حيوانيّة لا إنسانيّة كان لا حياة له. وقوله (في الدنيا): أي في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ / [٣٦٥/ أ] وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٢٠] وهذه الحاة الدنيا هي الحياة الحيوانيّة، لا حياة الإنسانيّة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [٦/الأنعام/ ١٢٢]. وقوله: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨] وقوله (صاحياً): حال من فاعل عاش، أي: صاحياً للَّعب، واللهو، والزينة، والتفاخر، والتكاثر، ولم يسكر بالمدامة المذكورة، فيغيب عن هذه الأشياء الخمسة فهو ميت عن الحياة الإنسانيّة. وقوله (ومن لم يمت سكراً): أي من كثرة سُكْره بأنْ استوعب أوقاته كلّها في مشاهدة الوجود الحقّ، وصار لم يشعر بشيء سواه فقد مات سكراً حينئذ. وقوله (بها): أي بالمدامة

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، باب: أهل الشام سوط الله تعالى في أرضه، ٩٥٣، كما ذكره السيوطيّ في جمع الجوامع، باب: حرف الهمزة، ٧٨٨، وقال: أخرجه أحمد، وأبو يعلى، والبغويّ، والباروديّ، والطبرانيّ، وابن عساكر، والضياء، عن خريم بن فاتك.

المذكورة. وقوله (**فاته الحَزْم**): والحَزْم مصدر، حَزَمَ فلانٌ رأيه حَزْمَاً: أتقنه، كما في المصباح. وقال في القاموس: «الحَزْمُ ضبط الأمور، والأخذ فيه بالثِقَة». والمعنى: إنّ من لم يسكر بهذه المدامة المذكورة، وصحا للأمور الخمسة، واشتغل بها عن مشاهدة ربِّه في الأمور الخمسة وغيرها؛ فإنّه أضاع أوقاته، وأفسد أحواله، ولم يضبط أمره، وبنى ما هو فيه على الغرور بالأماني الكاذبات، قال صلّى الله عليه وسلّم: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»[1].

٤٠- عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ ... وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمُ

(**على نفسه**): أي ذاته، وأحواله، وأفعاله، وأقواله. (**فليبك من ضاع عمره**): أي ذهب عمره ضائعاً باشتغاله بالأغيار عن الأسرار، وجهله بمعرفة نفسه التي تحصل له المعرفة بربّه في جميع الأطوار، فإنّ اللائق به أنْ يبكي طول الليل والنهار على فوات حظّه من الله الذي هو بُدُّه اللازم الذي لا بدّ له منه في الدنيا وفي دار القرار.

وقوله (**وليس له**): الواو للحال. يعني: والحال أنّه ليس له. وقوله (**منها**): أي من المدامة المذكورة. وقوله (**نصيب ولا سهم**): النصيب الحصّة، والجمع: أنصبة وأنصباء ونُصُب بضمّتين. والسهم: النَصِيب، والجمع: أَسْهُم وسِهَام وسُهْمَان بالضمّ، كذا في المصباح؛ فإنّ النصيب من ذلك ولو كان محبّة أهله، واعتقاد الخير فيهم ملحقّ له بهم، كما ورد في الحديث: «المرء مع من أحبّ»[2]. والأحاديث في ذلك كثيرة، كما ذكر في كتاب «مقبول المنقول» قال: أخرج البخاريّ ومسلم عن أنس رضي الله عنه، أنّ رجلاً سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الساعة فقال: متى الساعة؟. قال: ما أعددت لها. قال: لا شيء إلّا أنّي أحبّ الله ورسوله. قال: أنت مع من أحببت. قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبيّ صلّى الله

---

(١) انظر تخريجه ص١٤١٠.

(٢) انظر تخريجه ص٥٦٣.

عليه وسلّم أنت مع من أحببت. قال أنس فأنا أحبّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأبا بكر وعمر. وأرجو أن أكون معهم بحبّي إيّاهم وإنْ لم أعمل أعمالهم»[١].
ولأبي داوود قال: «ما رأيت أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فرحوا بشيء لم أرهم فرحوا بشيء أشدّ منه. قال رجل: يا رسول، الرجل يحب الرجل على العمل من الخير يعمل به، ولا يعمل بمثله. فقال رسول الله صلّى عليه وسلّم: المرء مع من أحبّ»[٢] وأخرج البخاريّ ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحبّ قوماً ولمّا يلحق بهم؟. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: المرء مع من أحبّ»[٣].
وأخرج أحمد وأبو داوود عن أبي ذرّ رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله، الرجل يحبّ القوم، ولا يستطيع أنّ يعمل بأعمالهم. قال: أنت يا أبا ذرّ مع من أحببت. قال: قلت فإنّي أحبّ الله ورسوله. قال: «فإنّك مع من أحببت، يعيدها مرّة أو مرّتين»[٤].
وروى أحمد عن جابر رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «العبد مع من أحبّ»[٥].[٦]

---

(١) أخرجه البخاريّ، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب، ٣٦٨٨. كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرّ والصلة، باب: المرء مع من أحبّ.
(٢) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب: الأدب، باب: إخبار الرجلِ الرجلَ بمحبّته، ٥١٢٩.
(٣) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: علامةَ حبّ الله عزّ وجلّ، ١١٦٨. كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرّ والصلة، باب: المرء مع من أحبّ، ٦٨٨٨.
(٤) هذه الرواية أخرجها أبو داوود في سننه، كتاب: الأدب، باب: إخبار الرجل الرجل بمحبّته إيّاه، ٥١٢٨. كما أخرج أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، ١٣٠٤٠، بلفظ قريب من هذا اللفظ عن أنس.
(٥) أخرجه أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله، ١٤٩٧٨.
(٦) ورد على حاشية المخطوط قول الناسخ: «بلغ، ولله الحمد، قراءةً ومقابلة على شيخنا العارف المؤلّف قدّس سرّه». وكان قبل سطرين قد كتب على الحاشية نفسها وبصورة معاكسة للحاشية السابقة كلمة: بلغ.